



3 1142 00499 6354



New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:  
212-998-2482  
Web Renewal:  
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
*ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL*		
<p style="color: blue; text-align: center;">OCT 10 2003 JUN 20 2011 Bobst Library Circulation</p>		<p style="color: blue; text-align: center;">RETURNED MAR 28 2011 JUL 1 2011 BOBST LIBRARY</p>
PHONE/WEB RENEWAL DATE		

Provided by the Library of Congress  
Public Law 480 Program



75-963503

(Vol. 15-17)

al-Tabarī, 838-923.

/ Jāmi' al-bayān /

# جَامِعُ الْبَيَانِ

عن

## نَافِلِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء الخامس عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

كتاب التبريد

من

كتاب التبريد

كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد  
كتاب التبريد

كتاب التبريد

BP

130

.4

.T3

1954

v. 15-17

c. 1

## فهارس

الجزء الخامس عشر من جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

### ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
			<u>سورة بنى إسرائيل</u>		
١	سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً . . .	١	٢٤	واخفض لهما جناح الذل . . .	٦٥
٢	وآتينا موسى الكتاب . . .	١٨	٢٥	ربكم أعلم بما فى نفوسكم . . .	٦٨
٣	ذرية من حملنا مع نوح . . .	١٨	٢٦	وآت ذا القربى حقه . . .	٧١
٤	وقضينا إلى بنى إسرائيل . . .	٢٠	٢٧	إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين . . .	٧١
٥	فإذا جاء وعد أولاهما . . .	٢٠	٢٨	وإما أن تعرضن عنهم ابتغاء رحمة . . .	٧٤
٦	ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . .	٣٠	٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . .	٧٦
٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . . .	٣١	٣٠	إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء . . .	٧٧
٨	عسى ربكم أن يرحمكم . . .	٤٣	٣١	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق . . .	٧٧
٩	إن هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم . . .	٤٦	٣٢	ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة . . .	٨٠
١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٦	٣٣	ولا تقتلوا النفس . . .	٨٠
١١	ويدع الإنسان بالشر . . .	٤٧	٣٤	ولا تقرّبوا مال اليتيم . . .	٨٤
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين . . .	٤٨	٣٥	وأوفوا الكيل إذا كيلتم . . .	٨٥
١٣	وكل إنسان أئزمنه طائره فى عنقه . . .	٥٠	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم . . .	٨٦
١٤	اقرأ كتابك . . .	٥٣	٣٧	ولا تمش فى الأرض مراحاً . . .	٨٨
١٥	من اهتدى فلنما يهتدى لنفسه . . .	٥٣	٣٨	كل ذلك كان سيئه عند ربك . . .	٨٨
١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية . . .	٥٤	٣٩	ذلك مما أوحى إليك ربك . . .	٩٠
١٧	وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح . . .	٥٧	٤٠	أفأصفاكم ربكم بالبنين . . .	٩٠
١٨	من كان يريد العاجلة . . .	٥٩	٤١	ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليدكروا . . .	٩١
١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها . . .	٥٩	٤٢	قل لو كان معه آلهة كما يقولون . . .	٩١
٢٠	كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء . . .	٦٠	٤٣	سبحانه وتعالى عما يقولون . . .	٩١
٢١	انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . . .	٦١	٤٤	تسبح له السموات السبع والأرض . . .	٩١
٢٢	لا تجعل مع الله إلهاً آخر . . .	٦١	٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك . . .	٩٣
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . .	٦٢	٤٦	وجعلنا على قلوبهم أكنة . . .	٩٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٧	نحن أعلم بما يستمعون به . . .	٩٥	٧٥	إذن لأذقناك ضعف الحياة . . .	١٣١
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	٩٦	٧٦	وإن كادوا ليستفزّونك . . .	١٣٢
٤٩	وقالوا إذا كنا عظاما . . .	٩٧	٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك . . .	١٣٣
٥٠	قل كونوا حجارة أو حديدا . . .	٩٨	٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس . . .	١٣٤
٥١	أو خلقا مما يكبر في صدوركم . . .	٩٨	٧٩	ومن الليل فتهجد به نافلة لك . . .	١٤١
٥٢	يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده . . .	١٠١	٨٠	وقل رب أدخلني مدخل صدق . . .	١٤٨
٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن . . .	١٠١	٨١	وقل جاء الحق وزهق الباطل . . .	١٥١
٥٤	ربكم أعلم بكم ، إن يشأ يرحمكم . . .	١٠٢	٨٢	ونزّل من القرآن ما هو شفاء . . .	١٥١
٥٥	وربك أعلم بمن في السموات . . .	١٠٣	٨٣	وإذا أنعمنا على الإنسان . . .	١٥٣
٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه . . .	١٠٣	٨٤	قل كلُّ يعمل على شاكلته . . .	١٥٤
٥٧	أو لئن الذين يدعون يبتغون . . .	١٠٤	٨٥	ويستلونك عن الروح . . .	١٥٤
٥٨	وإن من قرية إلا نحن مهلكوها . . .	١٠٦	٨٦	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا . . .	١٥٧
٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات . . .	١٠٧	٨٧	إلا رحمة من ربك . . .	١٥٨
٦٠	وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس . . .	١٠٩	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن . . .	١٥٨
٦١	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	١١٥	٨٩	ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن . . .	١٥٩
٦٢	قال أرايتك هذا الذي كرمت عليّ . . .	١١٦	٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا . . .	١٥٩
٦٣	قال اذهب فن تبعك منهم . . .	١١٧	٩١	أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . . .	١٦٠
٦٤	واستفزز من استطعت منهم . . .	١١٧	٩٢	أو تسقط السماء كما زعمت علينا . . .	١٦٠
٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . . .	١٢٢	٩٣	أو يكون لك بيت من زخرف . . .	١٦٣
٦٦	ربكم الذي يُزجّي لكم الفلك في البحر . . .	١٢٢	٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا . . .	١٦٦
٦٧	وإذا مسكم الضر في البحر . . .	١٢٣	٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة . . .	١٦٦
٦٨	أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر . . .	١٢٣	٩٦	قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم . . .	١٦٧
٦٩	أم أمتم أن يعيدكم فيه . . .	١٢٤	٩٧	ومن يهتد الله فهو المهتد . . .	١٦٧
٧٠	ولقد كرمنا بني آدم . . .	١٢٥	٩٨	ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا . . .	١٦٩
٧١	يوم ندعو كل أناس بإمامهم . . .	١٢٦	٩٩	أو لم يروا أن الله الذي خلق . . .	١٦٩
٧٢	ومن كان في هذه أعمى . . .	١٢٧	١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائن . . .	١٧٠
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك . . .	١٢٩	١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات . . .	١٧١
٧٤	ولولا أن ثبتناك . . .	١٣١	١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء . . .	١٧٤



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٣	فأراد أن يستفزهم من الأرض . . .	١٧٦	١٨	وتحسبهم أيقاظا وهم رقود . . .	٢١٣
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل . . .	١٧٦	١٩	وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم . . .	٢١٥
١٠٥	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . . .	١٧٧	٢٠	إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم . . .	٢١٥
١٠٦	وقرآنا ففرقناه لتقرأه على الناس . . .	١٧٧	٢١	وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا . . .	٢٢٤
١٠٧	قل آمنوا به أو لا تؤمنوا . . .	١٨٠	٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم . . .	٢٢٥
١٠٨	ويقولون سبحان ربنا . . .	١٨٠	٢٣	ولا تقولن لشيء إني فاعل . . .	٢٢٨
١٠٩	ويخرون للأذقان ليكون . . .	١٨١	٢٤	إلا أن يشاء الله . . .	٢٢٨
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن . . .	١٨٢	٢٥	ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين . . .	٢٣٠
١١١	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا . . .	١٨٨	٢٦	قل الله أعلم بما لبثوا . . .	٢٣٠
<u>تفسير سورة الكهف</u>					
١	الحمد لله الذي أنزل على عبده . . .	١٩٠	٢٧	واتل ما أوحى إليك . . .	٢٣٣
٢	لينذر بأسا شديدا من لدنه . . .	١٩٢	٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون . . .	٢٣٤
٣	ما كثر في ألبدا . . .	١٩٢	٢٩	وقل الحق من ربكم . . .	٢٣٧
٤	وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . . .	١٩٣	٣٠	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤٢
٥	ما لهم به من علم ولا لآبائهم . . .	١٩٣	٣١	أولئك لهم جنات عدن . . .	٢٤٢
٦	فعلك باخع نفسك على آثارهم . . .	١٩٤	٣٢	واضرب لهم مثلا رجلين . . .	٢٤٤
٧	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها . . .	١٩٤	٣٣	كلنا الجنة آتت أكلها ولم تظلم . . .	٢٤٤
٨	وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا . . .	١٩٤	٣٤	وكان له ثمر ، فقال لصاحبه . . .	٢٤٤
٩	أم حسبت أن أصحاب الكهف . . .	١٩٧	٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه . . .	٢٤٦
١٠	إذ أوى الفتية إلى الكهف . . .	٢٠٠	٣٦	وما أظن الساعة قائمة . . .	٢٤٦
١١	فضربنا على آذانهم في الكهف . . .	٢٠٥	٣٧	قال له صاحبه وهو يحاوره . . .	٢٤٧
١٢	ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين . . .	٢٠٥	٣٨	لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى . . .	٢٤٧
١٣	نحن نقص عليك نبأهم بالحق . . .	٢٠٧	٣٩	ولولا إذ دخلت جنتك . . .	٢٤٨
١٤	وربطنا على قلوبهم إذ قاموا . . .	٢٠٧	٤٠	فعسى ربى أن يوتين خيرا . . .	٢٤٨
١٥	هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه . . .	٢٠٨	٤١	أو يصبح ماؤها غورا . . .	٢٤٨
١٦	وإذ اعتزتموهم وما يعبدون . . .	٢٠٨	٤٢	وأحيط بثمره . . .	٢٥٠
١٧	وترى الشمس إذا طلعت تزاور . . .	٢١٠	٤٣	ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله . . .	٢٥٠
			٤٤	هنالك الولاية لله الحق . . .	٢٥٠
			٤٥	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا . . .	٢٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا . . .	٢٥٣	٦٢	فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا . . .	٢٧٤
٤٧	ويوم نسير الجبال . . .	٢٥٧	٦٣	قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة . . .	٢٧٤
٤٨	وعرضوا على ربك صفًا . . .	٢٥٧	٦٤	قال ذلك ما كنا نبغ . . .	٢٧٥
٤٩	ووضع الكتاب فترى المجرمين . . .	٢٥٨	٦٥	فوجدنا عبدا من عبادنا . . .	٢٧٥
٥٠	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	٢٥٩	٦٦	قال له موسى هل أتبعك . . .	٢٨٣
٥١	ما أشهدتهم خلق السموات . . .	٢٦٣	٦٧	قال إنك لن تستطيع معي صبرا . . .	١٨٣
٥٢	ويوم يقول نادوا شركائى . . .	٢٦٣	٦٨	وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا . . .	٢٨٣
٥٣	ورأى المجرمون النار فظنوا . . .	٢٦٣	٦٩	قال ستجدنى إن شاء الله صابرا . . .	٢٨٣
٥٤	ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس . . .	٢٦٦	٧٠	قال فإن اتبعتنى . . .	٢٨٣
٥٥	وما منع الناس أن يؤمنوا . . .	٢٦٦	٧١	فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة . . .	٢٨٤
٥٦	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين . . .	٢٦٧	٧٢	قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي . . .	٢٨٥
٥٧	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه . . .	٢٦٨	٧٣	قال لا تؤاخذنى بما نسيت . . .	٢٨٥
٥٨	وربك الغفور ذو الرحمة . . .	٢٦٩	٧٤	فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاما فقتله . . .	٢٨٦
٥٩	وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا . . .	٢٧٠	٧٥	قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع . . .	٢٨٧
٦٠	وإذ قال موسى لفتاه . . .	٢٧١	٧٦	قال إن سألتك عن شئ بعدها . . .	٢٨٧
٦١	فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما . . .	٢٧٢	٧٧	فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية . . .	٢٨٨
			٧٨	قال هذا فراق بينى وبينك . . .	٢٩١

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٢	تأويل قوله تعالى : وقضى ربك الآية .
٦٤	معنى التأنيف .
٦٧	ما ورد في برّ الوالدين .
٧١	تأويل قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » . والمراد من القرابة .
٧٨	ما كانت العرب عليه من قتل أولادهم خشية الفاقة ، فنهاهم الله عنه .
٨١	معنى السلطنة التي جعلت لولى الدم على الجاني .
٨٦	تأويل قوله تعالى « وَلَا تَقْفُ » ... الآية . وما اشتملت عليه من النهي عن شهادة الزور وغيرها .
٩٢	ما ورد في تسييح الأشياء ، وفضل لاإله إلا الله .
١٠٤	بيان أن بعض العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، وأسلم المعبودون ، واستمرّ العابدون على عبادتهم .
١٠٩	تأويل قوله تعالى « وإذ قلنا لك إن ربك » ... الآية .
١١٠	الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ، فصارت فتنة .
١١٨	معنى استفزاز الشيطان للعباد .
١٢٧	تأويل قوله تعالى : « ومن كان في هذه أعمى » ... الآية .
	تفسير سورة بنى إسرائيل
١	معنى التسييح .
٢	بعض أحاديث وردت في الإسراء .
١٦	الإسراء كان بالجسد لا بالروح .
١٨	تأويل قوله تعالى « ذرية من حملنا » ... الآية ، وبيان أن المراد منه جميع بنى آدم .
٢١	المراد بالفسادين اللذين قضى على بنى إسرائيل بهما ، وبعض أخبار تدل على تاريخهم .
٣١	تأويل قوله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » ، وذكر الفساد الثاني لبنى إسرائيل ، وتخريب بمختصر لبيت المقدس .
٤٤	تأويل قوله تعالى « عسى ربكم » ... الآية . وماحصل لبنى إسرائيل من تسلط العرب عليهم ، وذكر الشواهد على ما فيها .
٤٧	تأويل قوله تعالى « وكان الإنسان عجولا » . وبيان أن العجلة في الإنسان طبيعة ، وكيف استعجل آدم عليه السلام .
٤٩	تأويل قوله تعالى « فمحونا آية الليل » . وما قيل في السواد الذي في القمر .
٥٠	تأويل قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره ... الآية . وبيان أن لاعدوى ولا طيرة ، وأن السعد والشقاء قد قضيا .
٥٤	تأويل قوله تعالى « وإذا أردنا أن نهلك قرية . معنى الدمار ، والشاهد على ذلك .
٥٨	ما قيل في مقدار القرن من السنين .

الصفحة

الصفحة

- ١٢٧ من جهيل نعم الله عليه في الدنيا ، فهو في الآخرة أشدّ جهلاً عن معرفة هذه النعم .
- ١٣٤ ما الصلاة التي أمر الله بها عند الدُّلوك؟ وبيان الساعات التي يتجلى فيها على عباده .
- ١٤٢ التهجّد كان في حقه عليه الصلاة والسلام فرضاً . وذكر المقام المحمود وما ورد فيه .
- ١٥١ تأويل قوله تعالى « وقل جاء الحقّ » . . . الآية .
- ١٥٢ ما في القرآن من الشفاء من الجهل .
- ١٥٥ ما قيل في الرُّوح .
- ١٥٨ تأويل قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس » . . . الآية ، وذكر سبب النزول .
- ١٥٩ ما اقترحتّه قريش من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ١٧١ الآيات التسع التي أوتيتها موسى .
- ١٧٧ تأويل قوله تعالى « وبالحقّ أنزلناه » . . . الآية .
- ١٧٨ المدة التي نزل فيها القرآن .
- ١٨٢ تأويل « قل ادعوا الله » . . . الآية ، وذكر أسباب النزول .
- ١٩٠ تفسير سورة الكهف
- ١٩٧ ذكر أصحاب الكهف ، وسبب خروجهم إليه .
- ٢١٠ مقرّ الكهف من الشمس .
- ٢١٦ بعث أهل الكهف من نومهم .
- ٢٣٠ المدة التي لبثوها في الكهف .
- ٢٣٤ ما كانت تقوله عظماء العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن فقراء المؤمنين .
- ٢٣٧ تأويل قوله تعالى « وقل الحقّ من ربكم » ، والشواهد على السراشق .
- ٢٥٣ معنى الباقيات الصالحات .
- ٢٥٩ أمر إبليس وما كان عليه ابتداء .
- ٢٧١ مسير موسى عليه السلام إلى الحَضِير .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٩٢	مُنْقَرٍ	١٣٦	بِرَاحٍ	١	
٩٢	مُطَبِّرٍ		د	٢٤١	الضُّحَى
٤٦	بِسْوَارٍ			٢٨٩	السَّرَى
٢٨	العساكِرِ	٢٣٨	تَمْدُودٍ	٢٨٩	مُبْتَلَى
٢٨٤	نُكْرًا	١٤١	هَجُودٍ		
٢٨٤	إِمْرًا	١٤١	سَجُودٍ	ب	
١٣٣	حَصِيرًا	٨٩	مَزِيدٍ	٧١	لَا يَشُوبُ
٢٦١	غَائِرًا	٥٦	وَالنَّفْدِ	٢٢٤	وَأَطْيَبُ
٢٦١	جَوَائِرًا	٢٠٦	الْأَمْدِ	٢٤٤	غَالِيَهُ
٥٧	دَمَارًا	٢٤٣	الْأَنْضَادِ	٩٦	وَبالشَّرَابِ
٥٨	مُخْبِرًا	٢٩٠	بِالْبَيْوَدِ	٦٦	أَزْيَبًا
	ز	٢٤٤	بِزَائِدَةٍ	ت	
			ر	١١٦	أَجْحَقَتْ
١٩٧	الْأَجْرَازُ	١٠٧	قَدَرٍ	١١٦	فَأَضَعَتْ
	س	١٠٧	سَطَرٍ	١١٦	وَجَلَقَتْ
		١٠٧	النَّسْرِ	٢	لَيْتُ
٢١١	الْفَوَارِسُ	١٦٨	يُنِيرُ	٢٨٨	مَنْصَلَتَا
٢٤٣	لِبَاسِهَا	٧٩	تَوْتَبِرُ	ج	
١٠٠	الرَّأْسَا	٢١٠	أَزُورَارُ	١٦٣	وَالعَرَجُ
	ض	١٧٥	مَشْبُورُ	١٠٠	مُسْتَهْدِجَا
		١٩٤	المَقَادِرُ		
٢٥٧	عَائِضُ	٧٢	المُبْتَدِرُ	ح	
٢٥٧	القَابِضُ	٩٦	المُسْحَرُ	٢٤١	مَدَّ بُوْحُ
٢٦٨	الدَّحِضُ	١٢٤	مَنْشُورُ	١٣٦	رَبَاحُ

الجزء الخامس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٤٢	الْحَوَاتِيمُ	٨٧	عاقٍ		
٢٦٩	وَلَمْ تَكَلِّمْ	١٣٨	غَسَقًا		ظ
٢٨٩	وَتَحْمَحُمُ			٢١٣	أَيْقَاطًا
٢٧١	اللِّطَائِمُ		ك	٢١٣	غِيَاظًا
٨٧	الْأَيَّامِ	٢٤٣	الْأَرَائِكِ		
١٥٣	الْمَنَامِ				ع
٢٤٩	قِيَامًا		ل	١٠١	أَتَقَنَّعُ
٢٤٧	وَالسَّنَامَا	١٥٩	تَنْتَقِيلُ	١٢٤	تَبْيِيعُ
٢٢٦	مُرْجَمَا	٢٦٩	مَا يَبِيلُ	١٦٨	سَاعَا
	ن	١٦٢	قَبِيلُهَا		ف
١٠٠	أَسْتَأْنَهَا	٩٥	إِذْلالِ	٢٦٦	مُتَكَلِّفِ
٢٨٩	بِالْإِحْسَانِ	٢٠٧	بَاطِلِي	١٣٧	دَنْفَا
٤٦	بَادِنِ	٢٨٩	عُقَيْلِ	١٣٧	تَزَحْلَفَا
٢٤٩	صُفُونَا	٧٩	كَاهِلَا		
٦٣	جَافُونَا	١٩٣	شَمَالَا		ق
٦٣	تَشْكُونَا	١٢٤	شَمَالَا	٨٨	المُخْتَرِقِ
٦٣	يُوصِينَا	١٢٤	جُفَلَا	٢٥٢	فَتَزَلَّتْ
٢٩٠	حِينَا	٢٩٠	نُصُولَا	٢٩١	المُطَرِّقِ
	ي		م	٢٦٥	بِمَوْبِقِ
٢٥٠	الْكَمِيِّ	٤٥	قِيَامِ	٢٣٨	مُسْرَدَقِ
٨٧	التَّقَافِيَا	١٧٠	الإِعْدَامِ	٢٠٩	مَرْفِقِي
				١٧	بِالعِنَاقِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة بني إسرائيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا  
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : يعنى تعالى ذكره بقوله تعالى ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ) تنزيها للذي أسرى عبده ، وتبرئة له مما يقول فيه المشركون ، من أن له من خلقه شريكا ، وأن له صاحبة وولدا ، وعلوا له وتعظيما ، عما أضافوه إليه ونسبوه ، من جهالاتهم ، وخطأ أقوالهم .

وقد بينت فيما مضى قبل ، أن قوله : سبحان : اسم وُضع موضع المصدر ، فنصب لوقوعه موقعه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : نصب ، لأنه غير موصوف ، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها . فمنها الصلاة ، كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله ( فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ) : فلولا أنه كان من المصلين . ومنها الاستثناء . كان بعضهم يتأول قول الله تعالى ( أَمْ أَقُلُّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ) : لولا تستنون ، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن ، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله ( إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ) قال : ( قَالُوا وَسَطُّهُمْ : أَمْ أَقُلُّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ) ؟ فذكرهم تركهم الاستثناء . ومنها النور ، وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا ذَلِكَ لَأَحْرَقْتَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَتْ مِنْ شَيْءٍ » : أنه عنى بقوله سُبْحَاتُ وَجْهِهِ : نور وجهه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ) . قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سُئِلَ عن التسبيح ، أن يقول الإنسان : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قال : إنزَاهُ اللَّهُ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن الحسن بن صالح ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله : سُبْحَانَ اللَّهِ : قال : إنكاف لله . وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل . والإسراء والسُرى : سير الليل . فن قال : أُسْرِي ، قال : يُسْرِي إِسْرَاءً ؛ ومن قال : سَرَى ، قال : يَسْرِي سُرَى ، كما قال الشاعر :

وَلَيْلَةَ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ      وَتَمَّ بِلَيْتِي عَن سُرَاهَا لَيْتُ

ويروى : ذاتِ نَدَى سَرَيْتُ .

ويعنى بقوله ( لَيْلًا ) من الليل . وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرأها .

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر بن عياش ورجلٌ يحدث عنده بحديث حين أُسْرِي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لا تجيئ بمثل عاصم ولا زبر ، قال : قرأ حذيفة ( سُبْحَانَ اللَّهِ أُسْرِي بِعَيْبُدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) وكذا قرأ عبد الله .

وأما قوله ( مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) فإنه اختلف فيه ، وفي معناه . فقال بعضهم : يعنى من الحرم ، وقال : الحرم كله مسجد . وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا . وقال : وقد ذُكِرَ لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة أُسْرِي به إلى المسجد الأقصى ، كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن السائب ، عن أبي صالح بن باذام ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، في مُسْرِي النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : « ما أُسْرِي برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة ، فصلت العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر ، أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانئ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتُ بِهِذِهِ الْوَادِي ، ثُمَّ جِئْتُ بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرَيْنِ » .

(١) البيتان في (اللسان : ليت) شاهدا على أن لاته عن وجهه يليته ويلوته ليتا : حبسه عن وجهه وسرفه ، قال الراجز : « وليلة ذات سرى سريت » . الخ . وقيل معنى هذا : لم يلقى عن سراها أن أتندم فأقول : ليتني ما سريتها . وقيل معناه : لم يصرفني عن سراها صارف ، أى لم يلقى لائت ، فوضع المصدر موضع الاسم . وفي التهذيب : أن لم يلقى عنها نقص ولا عجز . وكذلك آتاه عن وجهه : فعل وأفعل : بمعنى . اه . و ( في اللسان : سرى ) السرى : سير الليل : عامته ، وقيل السرى : سير الليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه . وسريت سرى ومسرى ، وأسريت : بمعنى : إذا سرت ليلا . بالآلف : لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعا . اه . وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت . وقال السهيلي في الروض الأنف ( ١ : ٢٤٢ ) انفقت الرواية على تسميته إسراء ، ولم يسمه أحد منهم سرى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى ، وأسرى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة . . . إلى أن قال : لا يجوز أن يقال : سرى بعينه . بوجه من الوجوه ؛ فذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة . اه .



وقال آخرون : بل أُسْرِيَ به من المسجد ، وفيه كان حين أُسْرِيَ به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن عدى ، عن سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، وهو رجل من قومه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْبَيْقُطَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، فَأْتَيْتُ بِطِطْسَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كِنْدَا وَكِنْدَا ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ ، قَالَ : فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، فَغَسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ حُسِّيَ لِمَنَا وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ أُتَيْتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ يُقَالُ لَهُ السُّبْرَاقُ ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبِغْلِ ، يَقَعُ خَطْوُهُ مُسْتَهَيَّ طَرْفِهِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا ، حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمُتَّقِدِسِ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا ، ثُمَّ عَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ، يعني ابن صعصعة : رجل من قومه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة : رجل من قومه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : ثنا عمرو بن عبد الرحمن ، عن الحسن ابن أبي الحسن ، قال : قال رسول الله : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَجْرِ ، جَاءَ نِي جِبْرِيلُ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ، فَجَاءَ نِي الثَّانِيَةَ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ، فَجَاءَ نِي الثَّالِثَةَ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَخَذَ بِعَضْدِي ، فَقَمَمْتُ مَعَهُ ، فَخَرَّجَ بِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْبِغْلِ ، لَهُ فِي فِخْذَيْهِ جَنَاحَانِ يَحْفِزُ بِهِمَا رِجْلَيْهِ ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُسْتَهَيَّ طَرْفِهِ ، فَحَمَلْتَنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَّجَ مَعِي ، لَا يَقْوَتُنِي وَلَا أَقْوَتُهُ .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنسًا يحدثنا عن ليلة المُسْرَى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة : « أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ قال : أولهم هو خيرهم ، فقال

(١) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (المطبعة المصرية ٢ : ٢١٠) ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في صحيحه وأتى بالحديث مطولاً . قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكر هذه الرواية : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة . وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ، كابن شهاب ، وثابت البناني وقتادة (يعني عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث . وانظر أيضاً ما قاله الشهاب الخفاف في (تسميم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، في نقده لرواية شريك بن أبي نمر سندا ومثنا) .

أحدهم : أخذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى جاءوا ليلة أخرى ، فيما يَسْرَى قلبه ، والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ، ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه ، فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام ، فشق ما بين نحره إلى لَبْسَتِهِ ، حتى فَرَّغَ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم ، حتى أَتَى جوفه . ثم أَتَى بطَسَّت من ذهب فيه تَوَرَّ محشو إيماناً وحكمة ، فحشا به جوفه وصدره ولغاديدته ، ثم أطبقه ، ثم ركب البُرَاق ، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس ، فصلى فيه بالنسبيين والمرسلين إماماً ، ثم عَرَجَ به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ قال : هذا جبرئيل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بُعِثَ إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : فمرحبا به وأهلاً ، فيسْتَبْشِرُ به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يُعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبرئيل : هذا أبوك ، فسلم عليه ، فردَّ عليه ، فقال : مرحبا بك وأهلاً بابني ، فنعم الابن أنت . ثم مضى به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم قد أُرْسِلَ إليه ، فقيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتُحَ لهما ؛ فلما صَعِدَ فيها ، فإذا هو بنهرين يجريان ، فقال : ما هذان النهران يا جبرئيل ؟ قال : هذا النيل والفُرات عنصرهما<sup>٣</sup> . ثم عَرَجَ به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بُعِثَ إليه ؟ قال : نعم قد بُعِثَ إليه ، قيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتُحَ له ، فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور ، من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، وغير ذلك ، مما لا يعلمه إلا الله ، فذهب يَشْتَمُ تراه ، فإذا هو مسك أذفر ، فقال : يا جبرئيل ما هذا النهر ؟ قال : هذا الكوثر الذي خبباً لك ربك في الآخرة . ثم عَرَجَ به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عَرَجَ به إلى الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عَرَجَ به إلى السادسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عَرَجَ به إلى السابعة ، فقالوا له مثل ذلك . وكلّ سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس ، فوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفق عليّ أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سيّدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة ، فندّلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما شاء ، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى ، فاحتبسه ، فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلى خمسين صلاة على أمي كل يوم وليلة ؛ قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع ، فليخفف عنك وعنهم ، فالتفت إلى جبرئيل ، كأنه يستشير في ذلك ، فأشار إليه : أن نَعَمَ ، فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبار عز وجل وهو مكانه ، فقال : رب خفف عنا ، فإن أمتي لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ؛ ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه ، فلم يزل يردّ دُوه موسى إلى ربه ، حتى صارت إلى خمس

(١) في البخاري (باب التوحيد) : فحشا به صدره ولغاديدته ، يعني عروق حلقه .

(٢) في البخاري (طبعة الحلبي ٩ : ١٨٣) : « وقد بعث » . وقد أبقينا رواية المؤلف كما هي ، لاختلاف نسخ البخاري في رواية

(٣) كذا في البخاري أيضا .

بعض الكلام .

صلوات ، ثم احتبسه عند الخمس ، فقال : يا محمد ، قد والله راودتُ بني إسرائيل على أدنى من هذه الخمس ، فضعفوا وتركوه ، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت إلى جبرئيل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبرئيل ، فرفعه عند الخمس ، فقال : يا رب إن أمي ضعاف أجسادهم وقلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، فخفف عنا ، قال الجبار جل جلاله : يا محمد ، قال : لسيك وسعديك ، فقال : إني لا أبديل القول لذي ، كما كتبت عليك في أم الكتاب ، ولك بكل حسنة عشر أمثالا ، وهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك . فرجع إلى موسى ، فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عني ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالا ، قال : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه ، فارجع فليخفف عنك أيضا ، قال : يا موسى : قد والله استحيت من ربي ، مما أختلف إليه ، قال : فاهبط باسم الله ، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبد من المسجد الحرام ، والمسجد الحرام : هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه ، وقوله (إلى المسجد الأقصى) يعني : مسجد بيت المقدس ، وقيل له : الأقصى ، لأنه أبعد المساجد التي تزار ، ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام . فتأويل الكلام تنزيها لله ، وتبرئة له مما نخله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة ، وما يجمل عنه جل جلاله ، الذي سار بعبده ليلا من بيته الحرام ، إلى بيته الأقصى .

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فقال بعضهم : أسرى الله بجسده ، فسار به ليلا على البراق ، من بيته الحرام ، إلى بيته الأقصى ، حتى أتاه ، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعيبره ، وعظيم سلطانه ، فجمعت له به الأنبياء ، فصلى بهم هنالك ، وعرج به إلى السماء ، حتى صعد به فوق السموات السبع ، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ، ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته ، فصلى به صلاة الصبح .

ذكر من قال ذلك ، وذكر بعض الروايات التي رويت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بتصحيحه

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن

شهاب ، قال : أخبرني ابن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق ، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام ، يقع حافرهما موضع طرفة فيها ، قال : فررت بعير من عيرات قريش ، بواد من تلك الأودية ، فنفرت العير ، وفيها بعير عليه غرارتان : سوداء وزرقاء ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء ، فأتى بقدرحين : قنداح خمر ، وقنداح لبن ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قنداح اللبن ، فقال له جبرئيل : هديت إلى الفطرة ، لو أخذت قنداح الخمر غوت أمتك . قال ابن شهاب : فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي هناك إبراهيم وموسى وعيسى ، فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : فأما موسى فضرَبَ رَجُلُ الرَأْسِ ، كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرَّجَ من ديماس ، فأشبهه من رأيتُ به عروة

ابن مسعود الشَّقِيقِيّ ؛ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنَا أُشْبِهُهُ وَلَدِهِ بِهِ . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدث قريشا أنه أُسْرِيَ بِهِ . قال عبد الله : فارتدّ ناس كثير بعد ما أسلموا . قال أبو سلمة : فأقْبَى أبو بكر الصديق ، فقيل له : هل لك في صاحبك ، يزعم أنه أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، ثُمَّ رَجَعَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ ، قَالُوا : أَفْتَشْهَدُ أَنَّهُ جَاءَ الشَّامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ : إِنِّي أَصْدَقُهُ بِأَعْدَمٍ مِنْ ذَلِكَ ، أَصْدَقُهُ بِخَيْرِ السَّمَاءِ . قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا كُنْتُ بِنَاءِ قُرَيْشٍ قُمْتُ ، فَتَمَثَّلَ اللَّهُ لِي بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ » . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهْرِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : « لَمَّا جَاءَ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبِرَاقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَأَنَّهُا ضَرَبَتْ بِذَنبِهَا ، فَقَالَ لَهَا جَبْرِئِيلُ : مَهْ يَا بِرَاقُ ، فَوَاللَّهِ إِنْ رَكِبَكَ مِثْلَهُ ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ نَاءٍ عَنِ الطَّرِيقِ : أَيَّ عَلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ » . قال أبو جعفر : ينبغي أن يقال : نائية . ولكن أسقط منها التانيث .

فقال : « ما هذه يا جبرئيل ؟ قال : سر يا محمد . فسار ما شاء الله أن يسير ، فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق . يقول : هلم يا محمد ، قال جبرئيل : سر يا محمد ، فسار ما شاء الله أن يسير . قال : ثم لقيه خلق من الخلائق ، فقال أحدهم : السلام عليك يا أول ، والسلام عليك يا آخر ، والسلام عليك يا حاشر ، فقال له جبرئيل : اردد السلام يا محمد ، قال : فردّ السلام . ثم لقيه الثاني ، فقال له مثل مقالة الأولين ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء واللبن والخمر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبرئيل : أصبت يا محمد الفِطْرَةَ ، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغويت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبرئيل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا بقدر ما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عدو الله إبليس ، أراد أن تميل إليه ؛ وأما الذين سلّموا عليك ، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى » .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي هريرة أو غيره « شك أبو جعفر » في قول الله عز وجل ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) قال : « جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال جبرئيل لميكائيل : اتنني بطسّ من ماء زمزم ، كما أظهر قلبه ، وأشرح له صدره ، قال : فشقّ عن

(١) نص العبارة في الدر المنثور للسيوطي (٤: ١٣٩) ثم بقية الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم الثالثة كذلك . ولعل في الكلام سقطا .

بطنه ، فغسله ثلاث مرّات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طيسات من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غيل ، وملاه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس ، فحُمِّل عليه ، كلَّ خُطُوَّةٍ منه منتهى طَرَفه ، وأقصى بصره . قال : فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ، ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جِبْرِئِيلُ ما هَذَا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تُضَاعَف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين . ثم أتى على قوم تُرَضِّخ رءوسهم بالصخر ، كلما رُضِخَتْ عادت كما كانت ، لا يفتُرُ عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رِقَاع ، وعلى أدبارهم رِقَاع ، يَسْرَحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورَضْف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئا ، وما الله بظلام للعبيد . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ، ولحم آخر في قَدِير خبيث ، فجعلوا يأكلون من الشيء ، ويدعون النضيج الطيب . فقال : ما هؤلاء يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عندها زوجها حلالا طيبا ، فتأتي رجلا خبيثا ، فيبيت معه حتى تصبح ، قال : ثم أتى على خشبة في الطريق ، لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هَذَا يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يعدون على الطريق فيقطعونه . ثم قرأ ( وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ ) . . . الآية . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة ، لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها ، وهو يزيد عليها ، ويريد أن يحملها ، فلا يستطيع ذلك . ثم أتى على قوم تُقَرِّضُ ألسنتهم وشيفاهم بمقاريض من حديد ، كلما قرّضت عادت كما كانت ، لا يفتُرُ عنهم من ذلك شيء . قال : ما هؤلاء يا جِبْرِئِيلُ ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك ، خطباء الفتنة ، يقولون ما لا يفعلون . ثم أتى على جُحْرٍ صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج ، فلا يستطيع . فقال : ما هَذَا يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها . ثم أتى على واد ، فوجد ريحا طيبة باردة ، وفيه ريح المسك ، وسمع صوتا ، فقال : يا جِبْرِئِيلُ ، ما هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ البَارِدَةُ ، وَهَذِهِ الرَّاحَةُ السَّيِّئَةُ كَثِيرَةُ المِسْكِ ، وَمَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت غرني وإستبرقي وحريرتي وسندسي ، وعبقري ولؤلؤي ومرجاني ، وفضتي وذهبي ، وأكواني وصحافي وأبارقي وفواكهي ونخلي ورماني ، ولبني وخرى ، فأتني ما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحا ولم يُشرك بي . ومن يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألتني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، لأخلف الميعاد ، وقد

أفصح يؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيت . ثم أتى على واد ، فسمع صوتا منكرا ،  
 ووجد ريحا مائة . فقال : ما هذِهِ الرِّيحُ يا جِبْرِئِيلُ ؟ وما هَذَا الصَّوْتُ ؟ قال : هذا صوت جهنم ،  
 تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلالى ، وسعيرى وجحيمى ، وضريعى وغَسَّاقى ،  
 وعذابي وعذابى ، وقد بعدت قعرى ، واشتدت حرى ، فأتني ما وعدتني ، قال : لك كل مشرك ومشاركة ،  
 وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبَّار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت . قال :  
 ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ؛ فلما قضيت  
 الصلاة قالوا : يا جبرئيل ، من هذا معك ؟ قال : محمد ، فقالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا :  
 حينئذ الله من أخ ومن خليفة . فنعى الأخ ونعم الخليفة ، ونعم الخبيء جاء . قال : ثم لقي أرواح الأنبياء ،  
 فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا ، وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتا لله ،  
 يؤتمنى . وأنقذنى من النار ، وجعلها على بردا وسلاما . ثم إن موسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى  
 كلمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ، ونجاة بنى إسرائيل على يدي . وجعل من أمى قوما يهدون بالحق ،  
 وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما ، وعلمنى  
 الزبور ، وألانى الحديد ، وسخر لى الجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن  
 سليمان أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح ، وسخر لى الشياطين ، يعملون لى ما شئت من  
 محاريب وتمائيل وجيفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلمنى منطق الطير ، وآتانى من كل شىء ،  
 فضلا ، وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلانى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكا  
 عظيما لا ينبغي لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيبا ، ليس على فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام  
 أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته ، وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن  
 فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ  
 فيه ، فيكون طيرا بإذن الله ، وجعلنى أبرئ الأكمة والأبرص ، وأحسب الموتى بإذن الله . ورفعنى وطهرتنى ،  
 وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عاينا سبيلا . قال : ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم  
 أثنى على ربه ، فقال : كلنكنم أثنى على ربى ، وأنا من على ربى ، فقال : الحمد لله الذى  
 أرسلتنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على الفرقان ، فيه تبيان كل  
 شىء . وجعل لى خيرا أمة أخرجت للناس ، وجعل لى سبطا ، وجعل لى أممى هم  
 الأولون وهم الآخرون . وشرح لى صدرى ، ووضع لى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعل لى  
 فاتحا حاتما . قال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد . قال أبو جعفر : وهو الرازى : خاتم النبوة ، وفاتح الشفاعة  
 يوم القيامة — ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهاها ، فأتى بإناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب ، فشرب منه  
 يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل له : اشرب ، فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر  
 فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لأريده . قد رويت . فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم : أما إننا

سَتَحْرُومَ عَلَى أُمَّتِكَ ، وَلَوْ شَرِبْتَ مِنْهَا لَمْ يَتَّبِعَكَ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا الْقَلِيلَ . ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ ، وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ تَامَ الْخَلْقَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، كَمَا يَنْقُصُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، عَلَى يَمِينِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، وَعَنْ شِمَالِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، قَالَتْ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التَّامُ الْخَلْقَ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، وَمَا هَذَا الْبَابَانِ ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَالْبَابُ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ . ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرَائِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَإِذَا هُوَ بِشَابِيَيْنِ ، فَقَالَ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الشَّابِيَانِ ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنَا الْخَالَةِ ، قَالَ : فَصَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي الْحُسْنِ ، كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ الَّذِي فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي الْحُسْنِ ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : مَنْ هَذَا إِدْرِيسَ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ ، وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، ثُمَّ دَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ يَقْصُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ ؟ قَالَ : هَذَا هَارُونَ الْخَبِيثُ فِي قَوْمِهِ ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ ، فَجَاوَزَهُ ، فَبَكَى الرَّجُلُ ، فَقَالَ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مُوسَى ، قَالَ : تَمَسَّ بِاللَّهِ يَبْكِي ؟ قَالَ : تَزْعُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ بَنِي آدَمَ عَلَى اللَّهِ ، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَدْ خَلَقَنِي فِي دُنْيَا ، وَأَنَا فِي أُخْرَى ، فَلَوْ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ لَمْ أَبَالِ ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :

جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المحييء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جاوس ، بيض الوجوه ، أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلس من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلس من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلس من ألوانهم شيء ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبرئيل من هذا الأشمط ، ثم من هؤلاء البيض وجوههم ، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، وما هذه الأنهار التي دخلوا ، فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شتم على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه : قوم لم يلدسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فتابوا ، فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار : فأولها رحمة الله ، وثانيها : نعمة الله ، والثالث : سقايم ربهم شرابا طهورا . قال : ثم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، قال : فغشها نور الخلاق عز وجل ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سل ، فقال : اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ؛ وأعطيته داود ملكا عظيما ، وألئت له الحديد ، وسخرت له الجبال ؛ وأعطيته سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ؛ وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يرى الأكمة والأبرص ، ويحيى الموتى بإذن الله ، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ؛ فقال له ربه : قد اتخذتك حبيبا وخليلا ، وهو مكتوب في التوراة : حبيب الله ، وأرسلت إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرك معي ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة ، حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أول النبيين خلقا ، وآخرهم بعثا ، وأولهم يقضى له ، وأعطيته سبعا من المثاني ، لم يعطها نبي قبلك ، وأعطيته الكوثر ، وأعطيته ثمانية أسهم : الإسلام والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلت فاتها وخاتما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فضلتني ربي بسيت : أعطاني فواتح الكلم وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلتني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وقندف في قلوب عدوتي الرعب من مسيرة شهر ، وأحييت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبيلي ، وجعلت لي الأرض كلها طهورا ومسجدا ، قال : وقرض على خمسين صلاة ؛ فلما رجع



إلى موسى ، قال : يم أمرت يا محمد ، قال : بِخَمْسِينَ صَلَاةً . قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، فسأله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، ثم رجع إلى موسى . فقال : بكم أمرت ؟ قال : بأربعين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه ، فسأله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : أميرت بِثَلَاثِينَ ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ . فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه فسأله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشرين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ . فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه ، فسأله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشر . قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع على حياء إلى ربه ، فسأله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه خمسا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بخمس ، قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ . فَمَا أَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فقيل له : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات ، فلأنهن يجزي عنك خمسين صلاة . فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا . فكان موسى أشدهم عليه حين مر به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

حدثني محمد بن عبيد الله ، قال : أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم . قال : ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره « شك أبو جعفر » ، عن أبي هريرة في قوله ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) قال : جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث علي بن سهل ، عن حجاج ، إلا أنه قال : جاء جبرئيل ومعه ميكائيل ، وقال فيه : وإذا يقوم يسرحون كما تسرح ، الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ، وقال في كل موضع : قال علي : ما هؤلاء من هؤلاء يا جبرئيل ، وقال في موضع تُقَرَّضُ أَلْسِنَتُهُمْ : تُقَصُّ أَلْسِنَتُهُمْ ، وقال أيضا في موضع : قال علي فيه : ونعم الخليفة . قال في ذكر الحمر ، فقال : لا أريده ، قد رويت ، قال : جبرئيل : قد أصبت الفطرة يا محمد ، إنها ستحرم على أمتك . وقال في سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أيضا : هذه السدرة المنتهى ، إليها ينتهي كل أحد خلا على سبيلك من أمتك ؛ وقال أيضا في الورقة منها : تُظَلُّ الْخَلْقُ كُلَّهُمْ ، تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة ، من حب الله عز وجل . وسائر الحديث مثل حديث علي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، قال : أخبرنا أبو هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى ، في قوله ( سُبْحَانَ الَّذِي

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ( قَالَ : ثنا النبي صلى الله عليه وسلم  
 عن ليلة أُسْرِيَ بِهِ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : « أَتَيْتُ بَدَايَةَ هَبِي أَشْبَهَهُ الدَّوَابُّ بِالْبَغْلِ ، لَهُ أذُنَانِ مُضْطَرِبَتَانِ ،  
 وَهُوَ السُّرَّاقُ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ تَرَكَبُهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي ، فَرَكَبْتُهُ ، فَاَنْطَلَقَ بِي يَضَعُ يَدَهُ  
 عِنْدَ مَنْتَهَى بَصَرِهِ ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَمِينِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ  
 وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَن شِمَالِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ  
 وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ  
 الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا ، تَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ  
 أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ . أَوْ قَالَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ، فَتَرَأْتُ عَن الدَّابَّةِ ، فَأَوْتَقْتُهَا بِالْحَلْقَةِ الَّتِي  
 كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُ بِهَا ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، فَقَالَ لِي جَسْبَرَائِيلُ : مَاذَا رَأَيْتَ  
 فِي وَجْهِكَ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَمِينِي : أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ  
 وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِي الْيَهُودِ ، أَمَا لَوْ أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدْتَ أُمَّتُكَ .  
 قَالَ : ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَسَارِي : أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ وَلَمْ أُعْرَجْ  
 عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِي النَّصَارَى ، أَمَا إِنَّكَ لَوُ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرْتَ أُمَّتُكَ ، قُلْتُ :  
 ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ الدُّنْيَا ، رَافِعَةً يَدَهَا تَقُولُ عَلَي رِسَالِكَ .  
 أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهَا . قَالَ : تِلْكَ الدُّنْيَا تَزَيَّنَتْ لَكَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوُ وَقَفْتَ  
 عَلَيْهَا لَأَخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . ثُمَّ أَتَيْتُ بِلِئَاءِ بَيْنَ : أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ ، وَالْآخَرُ  
 فِيهِ خَمْرٌ ، فَقِيلَ لِي : اثْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتِ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، قَالَ : أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ  
 أَوْ قَالَ : أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ .

قال معمر : وأخبرني الزُّهريُّ ، عن ابن المسيب أنه قيل له : أما إنك لو أخذت الحمر غَوَتْ أُمَّتُكَ .  
 قال أبو هارون في حديث أبي سعيد : « ثُمَّ جِيءَ بِالْمُعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ ،  
 فَلِذَا هُوَ أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَيْتِ كَيْفَ يُجِدُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ ، فَعُرِجُ بِنَا فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَيْتُنَا  
 إِلَى بَابِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جَسْبَرَائِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جَسْبَرَائِيلُ ؟ قِيلَ : وَمَنْ  
 مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ . قَالَ : نَعَمْ ، فَفَتَحُوا وَسَلَّمُوا عَلَيَّ  
 وَإِذَا مَلِكٌ مُوَكَّلٌ بِحُرْسِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ، مَعَ كُلِّ  
 مَلِكٍ مِنْهُمْ مِائَةٌ أَلْفٌ ، ثُمَّ قَرَأَ : ( وَمَا يَعْلَمُ جَنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ  
 يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ ، لَمْ يَشْعُرْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَلِذَا هُوَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فَلِذَا كَانَتْ  
 رُوحُ مُؤْمِنٍ ، قَالَ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ . اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ، وَإِذَا كَانَ رُوحٌ  
 كَافِرٍ قُلَّ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ ، وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ . اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّيلٍ ، فَقُلْتُ : يَا جَسْبَرَائِيلُ  
 مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلِّمْ عَلَيَّ ، وَرَحِّبْ لِي ، وَدَعَا لِي بِخَمِيرٍ ، وَقَالَ : مَرَحِبًا بِالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ تَنْظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَمْ مَشَافِيرُ كَمَشَافِيرِ الْإِبِلِ ، وَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِيرِهِمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِّنْ نَّارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْفَلِهِمْ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا . ثُمَّ تَنْظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ يُحْدِثُ مِنْ جَانُودِهِمْ ، وَيُرْدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ يُنْقَلُ : كَلُّوا كَمَا أَكَلْتُمْ ، فَإِذَا أَكْرَهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ حُلُومَ النَّاسِ ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ بِالسَّبِّ ، ثُمَّ تَنْظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ عَلَى مَائِدَةٍ ، عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوَى كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ مِنَ اللَّحْمِ ، وَإِذَا حَوْلَهُمْ جِيْفٌ ، فَجَعَلُوا يَمِيلُونَ عَلَى الْجِيْفِ ، يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَدْعُونَ ذَلِكَ اللَّحْمَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الرِّزَاةُ ، عَمِدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ، ثُمَّ تَنْظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَمْ بَطُونٌ كَأَتْمَا الْبَيْتِ ، وَهِيَ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثَارُوا ، فَيَمِيلُ بِأَحْدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَقْعُ ، فَيَتَوَطَّشُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بِأَرْجُلِهِمْ ، وَهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُورًا وَعَشِيًّا ؛ قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبَا ، رَبَا فِي بَطُونِهِمْ ، فَشَأْنُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . ثُمَّ تَنْظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَلِّقَاتٍ بِشُدَيْبَيْنِ ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مُنْكَسَاتٍ بِأَرْجُلِهِنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هُنَّ اللَّاقِي بَزْمِينَ وَيَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، قَالَ : ثُمَّ صَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَحَوْلَهُ تَبَعَ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ يَحْيَى وَعَيْسَى ، يُشْبِهُ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ ، ثِيَابَهُمَا وَشَعْرُهُمَا ، فَسَلَّمَا عَلَيَّ ، وَرَحَّبَا بِي . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيَسَ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ الْمُحَبَّبِ فِي قَوْمِهِ ، حَوْلَهُ تَبَعَ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طَوِيلُ اللَّحْيَةِ ، تَكَادُ لِحْيَتُهُ تَمَسُّ سُرَّتَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَثِيرُ الشَّعْرِ لَبُورٌ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُمَا ، قَالَ مُوسَى : تَزَعَمُ النَّاسُ أَنَّي أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ، فَهَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مَنِّي ، وَلَوْ كَانَ وَحْدَهُ لَمْ أَكُنْ أَبْلَى ، وَلَكِنْ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، فَتَقَبَّلَ : هَذَا مَكَانُكَ وَمَكَانُ أُمَّتِكَ ، ثُمَّ تَلَا ( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ ) . ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ

أَلْفَ مَلَكٍ ، لَا يَبْعُدُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِشَجَرَةٍ ، إِنْ كَانَتْ الْوَرْقَةُ مِنْهَا  
لَمُعْطِيَةً هَذِهِ الْأُمَّةَ ، فَإِذَا فِي أَصْلِهَا عَتَيْنٌ تَجْرِي قَدُ تَشْعَبَتِ شُعْبَتَيْنِ ، فَسَأَلْتُ : مَا هَذَا  
يَا جَسْبَرْتِيلُ ؟ قَالَ : أَمَّا هَذَا : فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ ، وَأَمَّا هَذَا : فَهُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ،  
فَاعْتَسَلْتُ فِي نَهْرِ الرَّحْمَةِ ، فَفَقُصِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ . ثُمَّ أَخَذْتُ عَلَى الْكَوْثَرِ ،  
حَتَّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا مَا لَاعَيْنُ رَأْتُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعْتُ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ،  
وَإِذَا فِيهَا رُتْمَانٌ كَأَنَّهُ جُلُودُ الْإِبِلِ الْمُقْتَبَةِ ، وَإِذَا فِيهَا طَيْرٌ كَأَنَّهَا الْبُخْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :  
إِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ لِنَاعِمَةٌ ، قَالَ : أَكَلْتَهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَإِنِّي لَا رُجُوءَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا ،  
وَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا : لِمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لِيَزِيدَ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً ،  
فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمِ أَمْرِكَ رَبِّكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً . قَالَ :  
ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يَقْتُمُوا بِهَذَا ، فَارْجِعْتُ إِلَى رَبِّي فَسَأَلْتُهُ ،  
فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّي إِذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى ،  
حَتَّى فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، فَقَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَسَأَلْتُ :  
قَدُ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، أَوْ قَالَ : قُلْتُ : مَا أَنَا بِرَاجِعٍ ، فَفَقِيلَ لِي : إِنْ لَكَ  
بِهَذِهِ الْخَمْسِ صَلَوَاتٍ خَمْسِينَ صَلَاةً ، الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ  
يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ  
يَعْمَلْهَا ، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنَّ عَمَلَهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى روح بن القاسم ، عن أبي هارون  
عمارة بن جوين العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : وثنى  
أبو جعفر ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا فَرَعْتُ  
مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ ، وَلَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي  
يَمْدُ إِلَيْهِ مَيْتُكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حَضَرَ ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ  
الْأَبْوَابِ ، يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَقِظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ  
أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ( مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) ، ثُمَّ ذَكَرْ نَحْوَ حَدِيثٍ مَعْمَرٍ ،  
عَنْ أَبِي هَارُونَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فِي حَدِيثِهِ « قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ بَنِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا لِمَنْ  
أَنْتِ ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُهَا ، فَقَالَتْ : لِيَزِيدَ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ . » ثُمَّ انْتَهَى حَدِيثُ ابْنِ حَمِيدٍ عَنْ سَلْمَةَ إِلَى ههنا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن

المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أُسرى به، إبراهيم وموسى وعيسى فقال: أمّا إبراهيمُ فلم أر رجلاً أشبهه بصاحبيكم منه. وأمّا موسى فَرَجُلٌ آدَمٌ طَوَالَ جَعْدٍ أَقْسَى، كأنه من رجالِ سُنُوءَةٍ. وأمّا عيسى فَرَجُلٌ أَحْمَرٌ، بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ سَبِطُ الشَّعْرِ، كَثِيرٌ خَيْلَانِ الْوَجْهِ، كأنه خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ، كأن رأسه يُقَطَّرُ ماءً، ومابه ماءً، أشبهه من رأيتُ به عُرْوَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، ولم يقل عن أبي هريرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أُسرى به، مُسْرَجًا ملجماً ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: ما يملكك على هذا؟ فوالله ما ركبتك أحد قط أكرم على الله منه، قال: فإرْفَضَ عَرَقًا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أسرى بنبي الله عشاء من مكة إلى بيت المقدس، فصلى نبي الله فيه، فأراه الله من آياته، وأمره بما شاء ليلة أُسرى به، ثم أصبح بمكة. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: حُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا السُّبْرَاقُ، ففوق الحمار ودون البغل، يتضع حافره عند منتهى طرفه، فحدث نبي الله بذلك أهل مكة، فكذب به المشركون، وأنكروه وقالوا: يا محمد، نخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، وأقبلت من ليلتك، ثم أصبحت عندنا بمكة، فما كنت تخبرنا به وتأتى به قبل هذا اليوم مع هذا. فصدقه أبو بكر، فسمي أبو بكر الصديق من أجل ذلك.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، قال: «لما كان ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابة يقال لها البراق، دون البغل وفوق الحمار، تضع حافرها عند منتهى ظفرها، فلما أتى بيت المقدس أتى بلناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن، قال: فقال له جبرئيل: هديت وهديت أمتك.»

وقال آخرون من قال: أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، بنفسه وجسمه أسرى به عليه السلام، غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصل فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا عاصم بن بهدلة عن زبّان بن حبيش، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) قال: لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش، ورجل يحدث عنده بحديث حين أسرى بالنبي

صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لا تجيئ بمثل عاصم ولا زرّ ؛ قال : قال حذيفة لزرّ بن حبيش ؛ قال : وكان زرّ رجلاً شريفاً من أشرف العرب ، قال : قرأ حذيفة ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنْ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) وكذا قرأ عبد الله ، قال : وهذا كما يقولون : إنه دخل المسجد ، فصلى فيه ، ثم دخل فربط دابته ، قال : قلت : والله قد دخله ، قال : من أنت ، فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك ؟ قال : قلت : زرّ بن حبيش ، قال : ما عملك هذا ؟ قال : قلت : من قبيل القرآن ، قال : من أخذ بالقرآن أفلح ، قال : فقلت ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) قال : فنظر إلى فقال : يا أصلع ، هل ترى دخله ؟ قال : قلت : لا والله ، قال حذيفة : آجَل والله الذي لا إله إلا هو ما دخله ، ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه ، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار ، وما أعدّ الله في الآخرة أجمع ؛ وقال : تدري ما البراق ؟ قال : دابة دون البغل وفوق الحمار ، خطوه مدّ البصر .

وقال آخرون : بل أسرى بروحه ، ولم يسر بجسده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى بعض آل أبي بكر ، أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) ولقول الله في الخبر عن إبراهيم ، إذ قال لابنه ( يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحي يأتي الأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ » فالله أعلم أي ذلك كان ؟ قد جاءه وعابن فيه من أمر الله ما عابن ، على أي حالته كان ، نائماً أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

❖ والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله أسرى بعبد محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله حمله على البراق ، حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الآيات . ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من

أهل الشرك ، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكرا عندهم ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم . أن يرى الرأى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ وبعد : فإن الله إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره . فإن ظنَّ ظانَّ أن ذلك جائز ، إذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها ، كما قال قائلهم :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَبِبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ ١

يعنى : حسبت بغام راحلتى صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق ، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام . فأما فيما لادلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه ، فلأنها لاتحذف ذلك ، ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله ( أُسْرَى بِعَبْدِهِ ) أسرى بروح عبده ، بل الأدلة الواضحة ، والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ؛ ولو كان الإسراء بروحه ، لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدواب لاتحمل إلا الأجسام . إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا : أسرى بروحه : رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن جبرئيل حمله على البراق ، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ، ولم يُحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حُمِلَ على البراق ، لاجسده ، ولا شئ منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

وقوله ( الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) يقول تعالى ذكره : الذى جعلنا حوله البركة لسكانه ، فى معاشهم وأقواتهم وحروثهم وغروثهم . وقوله ( لِنُنزِلَهُ مِنْ آيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره : كى نُرِيَّ عبدنا محمدا من آياتنا ؛ يقول : من عبرنا وأدلتنا وحججنا ، وذلك هو ما قد ذكرت فى الأخبار التى رويتها آنفا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَّه فى طريقه إلى بيت المقدس ، وبعد مصيره إليه من عجائب العسير والمواعظ . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِنُرِيَّهُ مِنْ آيَاتِنَا ) ما أراه الله من الآيات والعبر فى طريق بيت المقدس .

وقوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) يقول تعالى ذكره : إن الذى أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ولغير ذلك من

(١) البيت تقدم الاستشهاد به فى ( ٤ : ٩٢ ) من هذا التفسير . واستشهد به الفراء ( فى معانى القرآن ١٧٩ ) ولكنه لم يبين موضع الشاهد فيه كما بينه المؤلف هنا ، وهو أن العرب قد تحذف المضاف ، وتقيم المضاف إليه مقامه ، كما فى البيت ، إذ أنه يريد : حسبت بغام راحلتى صوت عناق .

قولهم وقول غيرهم ، البصير بما يعملون من الأعمال ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، بل هو محيط بجميعه علما ، ومحصيه عددا ، وهو لم بالمِرصاد ، ليجزى جميعهم بما هم أهله .  
وكان بعض البصريين يقول : كسرت « إن » من قوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) لأن معنى الكلام قل يا محمد : سبحان الذي أسرى بعبده ، وقل : إنه هو السميع البصير .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢)

\* يقول تعالى ذكره : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ، وآتى موسى الكتاب ، وردّ الكلام إلى (وَأَتَيْنَا) وقد ابتدأ بقوله أسرى ، لما قد ذكرنا قبل في ماضى ، من فعل العرب في نظائر ذلك ، من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه . وعنى بالكتاب الذى أُوتى موسى : التوراة ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول : وجعلنا الكتاب الذى هو التوراة بيانا للحق ، ودليلا لهم على صحجة الصواب فيما افترض عليهم ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه .

وقوله ( أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة ( أَلَّا يَتَّخِذُوا ) بالياء بمعنى : وآتينا موسى الكتاب بأن لا يتخذوا يا بنى إسرائيل ( مِن دُونِي وَكِيلًا ) . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ( أَلَّا يَتَّخِذُوا ) بالياء على الخبر عن بنى إسرائيل ، بمعنى : وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ، ألا يتخذ بنو إسرائيل من دونى وكيلا ، وهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين ، فبأيهما قرأ القارئ فصيّب الصواب ، غير أنى أوتر القراءة بالياء ، لأنها أشهر في القراءة ، وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء . ومعنى الكلام : وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا يتخذوا حفيظا لكم سواى . وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى . وكان مجاهد يقول : معناه في هذا الموضع : الشريك . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ) قال : شريكا . وكان مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه ، شريكا منه له ، ووكيلا للذى أقامه مقام الله .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الآية ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) جعله الله لهم هدى ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجعله رحمة لهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)

\* يقول تعالى ذكره : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا



موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، ذرية من حملنا مع نوح . وعنى بالذرية : جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم ، عربهم وعجمهم ، من بني إسرائيل وغيرهم ، وذلك أن كل من على الأرض من بني آدم ، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) والناس كلهم ذرية من أنجى الله فى تلك السفينة . وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له ، وامرأته وثلاث نسوة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ، فأما سام : فأبو العرب ، وأما حام : فأبو الحبش ، وأما يافث : فأبو الروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) قال : بنوه ثلاثة ونساؤهم ، ونوح وامرأته .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد : بنوه ونساؤهم ونوح ، ولم تكن امرأته .

وقد بينا فى غير هذا الموضع فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .  
وقوله ( إِنَّهُ كَانَ عَابِدًا شَكُورًا ) يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنه » إن نوحا ، والهاء من ذكر نوح ، كان عبدا شكورا لله على نعمه .  
وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكورا ، فقال بعضهم : سماه الله بذلك ، لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : ثنا سفيان ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان نوح إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله ، فسُمي عبدا شكورا .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود قال : ما لبس نوح جبديدا قط ، ولا أكل طعاما قط إلا حمد الله ، فلذلك قال الله ( عَبْدًا شَكُورًا ) .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا سفيان الثوري ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، قال : إنما سمى نوح عبدا شكورا : أنه كان إذا لبس ثوبا حمد الله ، وإذا أكل طعاما حمد الله .

(١) الحبش : ليسوا حاميين ، وإنما هم فرع من الساميين : جنسا ولفة . وأولاد حام هم الزنوج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) من بنى إسرائيل وغيرهم ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) قال : إنه لم يجد ثوبا قط إلا حمد الله ، ولم يبسل ثوبا قط إلا حمد الله ، وإذا شرب شربة حمد الله ، قال : الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة ، وليس في تفسيرها ، وإذا شرب شربة قال هذا ، ولكن بلغني ذا .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن النضر بن شسبي ، عن عمران بن سليم ، قال : إنما سمى نوح عبدا شكورا ، أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني ، ولو شاء أجاجني ؛ وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أظماني ، وإذا لبس ثوبا قال : الحمد لله الذي كساني ، ولو شاء أعزاني ، وإذا لبس نعلا قال : الحمد لله الذي حداني ، ولو شاء أحفاني ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذي أخرج عني أذاه ، ولو شاء حبسه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عبد الجبار بن عمر : أن ابن أبي مريم حدثه ، قال : إنما سمى الله نوحا عبدا شكورا ، أنه كان إذا خرج البراز منه قال : الحمد لله الذي سوت عنيك طيبا ، وأخرج عني أذاك ، وأبقي منفعتك .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله لنوح ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) ذُكِرْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِدْ ثُوبًا قَطُّ إِلَّا حَمَدَ اللَّهَ ، وَكَانَ يَأْمُرُ إِذَا اسْتَجَدَّ الرَّجُلُ ثُوبًا أَنْ يَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ ، وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) قال : كان إذا لبس ثوبا قال : الحمد لله ، وإذا أخلقه قال : الحمد لله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء: الفراغ من الشيء ، ثم يستعمل في كل مفروق منه . فتأويل الكلام في هذا الموضع : وفرغ ربك إلى بنى إسرائيل ، فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه ، بإعلامه إياهم ، وإخباره لهم ( لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ) يقول : لتعصن الله يا معشر بنى إسرائيل ، ولتخالفن أمره في بلاده مرتين . ( وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ) يقول : ولتستكبرن على الله ، باجترائكم عليه ، استكبارا شديدا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال : أعلمناهم .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول : أعلمناهم .  
وقال آخرون : معنى ذلك : وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب ، وسابق علمه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال : هو قضاء قضى عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قضاء قضاه على القوم كما تسمعون .  
وقال آخرون : معنى ذلك : أخبرنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ) قال : أخبرنا بني إسرائيل .

وكل هذه الأقوال تعود معانيها إلى ماقلت في معنى قوله ( وَقَضَيْنَا ) ، وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب ، لإجماع القراء على قراءة قوله ( لَتَفْسِدُنَّ ) بالتاء دون الياء ، ولو كان معنى الكلام : وقضينا عليهم في الكتاب ، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء ، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم ، وقلنا لهم : كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة .

وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى ، ما حدثني به هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي صالح ، وعن أبي مالك ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة : ( لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ) ، فكان أول الفسادين : قتل زكريا ، فبعث الله عليهم ملك النبط ، وكان يدعى صحابين ، فبعث الجنود ، وكانت أساورته من أهل فارس ، فهم أولو بأس شديد ، فتحصنت بنو إسرائيل ، وخرج فيهم بختنصر يتما مسكينا ، إنما خرج يستطم ، وتلطف حتى دخل المدينة ، فأتى مجالسهم ، فسمعهم يقولون : لو يعلم عدونا ما قُذِفَ في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ، ما أرادوا قتالنا . فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم ، واشتد القيام على الجيش ، فاجعوا ، وذلك قول الله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَتَعُولًا ) . ثم إن بني إسرائيل تجهزوا ، فغزوا النبط ، فأصابوا

(١) في تاريخ الطبري (ج ٢ قسم أول ص ٦٥٧ طبعة أوربة) : صيحيان ، وفي بعض النسخ في هامشه : صحيان ، وصيحيان ، وسنحاريب وفي ٦٥٦ منه : صيحون ، وفي رواية بهامشه عدة صور للكلمة .

منهم ، واستنقذوا ما في أيديهم ، فذلك قول الله ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين : قتل زكريا ويحيى بن زكريا ، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ، ملكا من ملوك فارس ، من قتل زكريا ، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيعة بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا ، وقتلوا الأنبياء ، بعث الله عليهم ملكا فارسا بختنصر ، وكان الله ملكه سبع مئة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها وفتحها . وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ، ثم سب أهلها وبني الأنبياء ، وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومئة ألف عجلة من حلي ، حتى أوردته بابل . قال حذيفة : فقلت : يا رسول الله ، لقد كان بيت المقدس عظيمًا عند الله ؟ قال : أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد ، وكان بلاطه بلاطه من ذهب ، وبلاطه من فضة ، وعمده ذهبًا ، أعطاه الله ذلك ، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء ، في طرفه عتير ، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل ، فأقام بنو إسرائيل في يديه مئة سنة ، تعد بهم الجوس وأبناء الجوس ، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم ، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له كورس ، وكان مؤمنا : أن سير إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم ، فسار كورس ببني إسرائيل وحلي بيت المقدس ، حتى رده إليهم ، فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مئة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي . فسלט الله عليهم إبطنانحوس ، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر ، فغزا بني إسرائيل ، حتى أتاهم بيت المقدس ، فسب أهلها ، وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم : يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء ، فعادوا في المعاصي ، فسب الله عليهم السباء الثالث ملك رومية ، يقال له قاقس بن إسبايوس ، فغزاهم في البر والبحر ، فسباهم وسب حلي بيت المقدس ، وأحرق بيت المقدس بالنيران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا من صنعة حلي بيت المقدس ، ويردده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف سفينة وسبع مئة سفينة ، يرسي بها على يافا ، حتى تنقل إلى بيت المقدس ، وبها يجمع الله الأولين والآخرين . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل ، وفي أحداهم ما هم فاعلون بعده . فقال ( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب

لَتَنْفُسِيدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُونًا كَبِيرًا ) . . . إلى قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ  
لِلْكَافِرِينَ حَاصِرًا ) فكانت بنو إسرائيل ، وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ،  
متعطفًا عليهم ، محسنًا إليهم ، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم : ما كان قدم إليهم في الخبر على لسان موسى ، ما أنزل  
بهم في ذنوبهم ، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ، أن ملكا منهم كان يدعى صديقة ، وكان الله إذا ملك  
الملك عليهم ، بعث نبيا يسدده ويرشده ، ويكون فيما بينه وبين الله ، ويحدث إليه في أمرهم ، لا ينزل عليهم الكتب ،  
إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها ، ويهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة ؛  
فلما ملك ذلك الملك ، بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا الذي  
بشّر بعيسى ومحمد . فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانا ؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم  
الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ، ومعه ست مئة ألف راية ، فأقبل سائرا  
حتى نزل نحو بيت المقدس ، والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بنى إسرائيل  
إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده ست مئة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم ،  
فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث ، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا  
وبسنحاريب وجنوده ، فقال له النبي عليه السلام : لم يأتي وحى أحدث إلى في شأنك ، فيبناهم على ذلك ،  
أوحى الله إلى شعيا النبي : أن ائت ملك بنى إسرائيل ، فمره أن يوصى وصيته ، ويستخلف على ملكه من  
شاء من أهل بيته ، فأتى النبي شعيا ملك بنى إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك  
أن توصى وصيتك ، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك ، فإنك ميت . فلما قال ذلك شعيا ؛  
لصديقة ، أقبل على القبلة ، فصلى وسبح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص  
وتوكل وصبر وصدق وظن صادق : اللهم رب الأرباب ، وإله الآلة ، قُدُّوسَ الْمُتَقَدِّسِينَ ، يا رحمن  
يا رحيم ، المترحم الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل ،  
وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى ، سرى وعلايتى لك ، وإن الرحمن استجاب له ، وكان عبدا  
صالحا ، فأوحى الله إلى شعيا أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ، وقبل منه ورحمه ، وقد رأى  
بكاهه ، وقد أحرر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوة سنحاريب ملك بابل وجنوده ، فأتى شعيا النبي  
إلى ذلك الملك فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد ، وانقطع عنه الشر والحزن ، وخر ساجدا  
وقال : يا إلهي وإله آبائي ، لك سجدة وسبحة وكرامة وعظمة ، أنت الذى تعطى الملك من تشاء ،  
وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأول والآخر ، والظاهر  
والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجيبت دعوتى ، ورحمت تضرعى . فلما رفع  
رأسه ، أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقة فيامر عبدا من عبيده بالتينة ، فيأتيه بماء التين ، فيجعله على  
قرحته فيشفى ، ويصبح وقد برأ ، ففعل ذلك فشفي ، وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علما  
بما هو صانع بعدونا هذا ، قال : فقال الله لشعيا النبي : قل له : إني قد كفيتك عدوك ، وأنجيتك منه ،

(١) اسمه في الكتاب المقدس : إشعيا بن أموص . وانظر خبر النبي شعيا في تاريخ الطبري (٢ قسم أول ٦٣٨) طبعة أوربية .

وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه ؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم ، فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فأخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا ؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب ، فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم يختصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ؛ فلما رأهم خروا ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ، ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنحاريب له : قد أتاني خير ربكم ، ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي ، فلم أطع مرشدا ، ولم يلتفتني في الشقوة إلا قلة عقلي ، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي ، فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يبقيك ومن معك لكرامة بك عليه ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شر لك ، لتزدادوا شقوة في الدنيا ، وعذابا في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ، ولتندروا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم ، فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته . ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه ، فحذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا ، وكان يبرز قههم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما يفعل بنا ، فافعل ما أمرت ، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس ، فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهاتمه وسحرته : يا ملك بابل ، قد كنا نقص عليك خبر ربهم ، وخبر نبينهم ، ووحى الله إلى نبينهم ، فلم تطعنا ، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوَّفوا ، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « لما مات سنحاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده ، يعمل بعمله ، ويقضى بقضائه ، فلبث سبع عشرة سنة ، ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه ؛ فخرج أمر بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضا عليه ، ونبينهم شعيا معهم لا يذعنون إليه ، ولا يقبلون منه ؛ فلما فعلوا ذلك ، قال الله فيما بلغنا لشعيا : قم في قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام النبي أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء استمعي ، ويا أرض أنصتي ، فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وفضلهم بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها ، فأوى شاردتها ، وجمع ضالَّتها ، وجبر كسيرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمنها ؛ فلما فعل ذلك بتطيرت ، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ، حتى لم يبق منها عظم صحيح ، يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل هؤلاء القوم الخاطئين ، الذين لا يدرون أين جاءهم الحنين ، إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار

ربما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجه ، وإن الثور ربما يذكر المرح الذي سمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحنين ، وهم أولو الألباب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير . وإني ضارب لهم مثلا فليسمعوه : قل لهم : كيف ترون في أرض كانت خواء زمانا ، خربة مواتا لاعمران فيها ، وكان لها رب حكيم قوى ، فأقبل عليها بالعمارة ، وكره أن تحرب أرضه وهو قوى ، أو يقال ضييع وهو حكيم ، فأحاط عليها جدارا ، وشيّد فيها قصرا ، وأبطن فيها نهرا ، وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب ، وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه قنما ذارأى وهمّة ، حفيظا قويا أمينا ، وتأنى طلوعها وانتظرها ؛ فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا ، قالوا : بئست الأرض هذه ، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ، ويدفن نهرا ، ويقبض قيسمها ، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة ، خربة مواتا لاعمران فيها ، قال الله لهم : فإن الجدار ذمتي ، وإن القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ، وإن القسيم نبيي ، وإن الغراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمأهم الخبيثة ، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثل ضربه الله لهم يتقربون إلى بذبح البقر والغنم ، وليس ينالني اللحم ولا آكله ، ويدعون أن يتقربوا بالتقوى والكف عن الأنفس التي حرمتها ، فأيديهم مخصوبة منها ، وثيابهم مزملة بدمائها ؛ يشيدون لي البيوت مساجد ، ويظهرون أجوافها ، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ، ويزوقون لي البيوت والمساجد ويزينونها ، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها ، فأنى حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وأنى حاجة لي تزويق المساجد ولست أدخلها ، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ، ولتكون معلما لمن أراد أن يصلّى فيها ، يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر على أن يفقه قلوبنا لأفقهها ، فاعمد إلى عودين يابسين ، ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون ، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا ، فلما قال لهما ذلك ، اختلطا فصارا واحدا ، فقال الله : قل لهم : إني قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولّف بينها ، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ، أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم ، وأنا الذي صورتها ؛ يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، في كل ذلك لا نسمع ، ولا يستجاب لنا ؛ قال الله : فسلمهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ، ألسنت أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المحبين ، وأرحم الراحمين ؟ ألأن ذات يدي قلت ؟ كيف ويداي مبسوطتان بالخير ، أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ، ألا وإن رحمتي وسعت كل شيء ، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها ، أو لأن البخل يعتريني ؟ أو لست أكرم الأكرمين ؟ والفتاح بالخيرات ، أجود من أعطى ، وأكرم من سئل ؛ لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نورّت في قلوبهم فبنذوها ، واشتروا بها الدنيا ، إذن لأبصروا من حيث أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم ، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ، ويتقوون عليه بطعمة الحرام ، وكيف أنور صلاتهم ، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربي ويحادني ، وينتهك محارمي ، أم كيف تزكو عندي

صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ، وإنما أوجرُ عليها أهلها المغصوبين ، أم كيف أستجيب لهم دعاءهم ؟ وإنما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد ، وإنما أستجيب للداعى اللين ، وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين ، وإن من علامة رضاي رضا المساكين ، فلو رحموا المساكين ، وقربوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدلوا للغائب ، وأدّوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين ، وكلّ ذى حقّ حقه ، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم ، وإذن لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ، وإذن لدعمت أركانهم ، فكنت قوة أيديهم وأرجلهم ، وإذن لثبّت ألسنتهم وعقولهم ، يقولون لما سمعوا كلامي ، وبلغتهم رسالاتي ، بأنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، وأن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين اطلعوا ، وكلهم يستخفي بالذى يقول ويسير ، وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما يبديون وما يكتُمون ، وإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبتته على نفسي ، وجعلت دونه أجلا مؤجلا ، لا بدّ أنه واقع ، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب ، فليخبروك متى أنفذه ؟ أو فى أى زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرّون على أن يأتوا بما يشاءون ، فليأتوا بمثل القدرة التى بها أمضيت ، فإنى مظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وإن كانوا يقدرّون على أن يقولوا ما يشاءون ، فلؤلّفوا مثل الحكمة التى أدبّر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين ؟ فإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة فى الأجرء ، وأن أحوّل الملك فى الرّعاء ، والعزّ فى الأذلاء ، والقوة فى الضعفاء ، والغنى فى الفقراء ، والثروة فى الأقتلاء ، والمدائن فى الفلوات ، والآجام فى المفاوز ، والبردى فى الغيطان ، والعلم فى الجهلة ، والحكم فى الأميين ، فسلمهم متى هذا ، ومن القائم بهذا ؟ وعلى يد من أسّنه ؟ ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فإنى باعث لذلك نبيا أميا ، ليس أعمى من عميان ، ولا ضالا من ضالين ، وليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحّاب فى الأسواق ، ولا مترّين بالفحش ، ولا قوال للحنأ ، أسدّده لكل جميل ، أهب له كلّ خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعبء والعرف خلقه ، والعدل والمعروف سيرته ، والحقّ شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملّته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الحماله ، وأشهر به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلّة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلّف به قلوبا مختلفة ، وأهواء مشتتة ، وأما متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، توحيدا لى ، وإيمانا وإخلاصا لى ، يُصلّون لى قياما وقعودا ، وركوعا وسجودا ، يُقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ، ألهمهم التكبير والتوحيد ، والتسبيح والحمد والمدحة ، والتمجيد لى فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومُتَقَلِّبِهِمْ ومثوالم ، يكتبون ويهلّون ، ويقدرّسون على رءوس الأسواق ، ويظهرون لى الوجوه والأطراف ، ويعقدون الثياب فى الأنصاف ، قُرْبانهم دماؤهم ، وأناجيلهم صدورهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار ،



ذلك فضلى أوتيه من أشياء، وأنا ذو الفضل العظيم». فلما فرغ نبيهم شيعاء إليهم من مقاتله، عدّوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه، فهرب منهم، فلقينته شجرة، فانفلقت، فدخل فيها، وأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة من ثوبه، فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها، فنشروها حتى قطعوها، وقطعوه في وسطها.

قال أبو جعفر: فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى، وقول ابن زيد، كان إفساد بنى إسرائيل في الأرض المرّة الأولى، قتلهم زكريا نبي الله، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصي الله، وعتوهم على ربهم. وأما على قول ابن إسحاق الذى روينا عنه، فكان إفسادهم المرّة الأولى ما وصف من قتلهم شيعاء بن أمصيا نبي الله. وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل، وأن المقتول إنما هو شيعاء، وأن يختصر هو الذى سلط على بنى إسرائيل في المرّة الأولى بعد قتلهم شيعاء. حدثنا بذلك ابن حميد، عن سلمة عنه.

وأما إفسادهم في الأرض المرّة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم، أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا. وقد اختلفوا في الذى سلطه الله عليهم، منتقما به منهم عند ذلك. وأناذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله. وأما قوله (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا) فقد ذكرنا قول من قال: يعنى به: استكبارهم على الله، بالجرأة عليه، وخلافهم أمره.

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا) قال: ولتعنّ الناس علوا كبيرا.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وأما قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا) يعنى: فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض، كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا) قال: إذا جاء وعد أولى تينك المرتين، اللتين قضينا إلى بنى إسرائيل (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ).

وقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يعنى تعالى ذكره بقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) وجهنا إليكم، وأرسلنا عليكم (عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول: ذوى بطش في الحروب شديد. وقوله (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يقول: فترددوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا: بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جؤسا وجؤسانا.

وينحو الذى قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس.

حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) قال: مَشَوْا. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك بيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لَاتِي بِسَيْفٍ مُحَمَّدٍ فَجَاسَ بِهِ الْأَعْدَاءَ عَرُضَ الْعَسَاكِيرِ  
وجائز أن يكون معناه : فجاسوا خلال الديار ، فقتلوهم ذاهبين وجائين ، فيصح التأويلان جميعا . ويعنى بقوله ( وكان وعداً مفعولاً ) وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لاحتمال ، لأنه لا يخلف الميعاد .

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله ( أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) فيما كان من فعلهم في المرة الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم ، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة ، وما كان من صنعهم بهم ، فقال بعضهم : كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله ( فإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ) قال : بعث الله عليهم جالوت ، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج والذل ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله ، فبعث الله طالوت ، فقاتلوا جالوت ، فنصر الله بني إسرائيل ، وقتل جالوت بيدى داود ، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ) قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري ، فسبى وقتل ، وجاسوا خلال الديار كما قال الله ، ثم رجع القوم على دخن فيهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت ، حتى بعث طالوت ومعه داود ، فقتله داود .

وقال آخرون : بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى ، ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن أبي المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، يقول في قوله ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) قال : بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل آشور ونيشوى ، فسألت سعيدا عنها ، فرغم أنها الموصل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، قال : ثني يعلى بن مسلم بن

(١) البيت شاهد على أن جاس ، معناه : قتل . وقال في (اللسان : جوس) : الجوس : مصدر جاس جوسا وجوسانا : تردد . وفي التنزيل العزيز : « فجاسوا خلال الديار » : أي ترددوا بينها للغارة . وقال الفراء : قتلوكم بين بيوتكم . قال : وجاسوا وحاسوا : بمعنى واحد : يذهبون ويحيثون . وقال الزجاج : « فجاسوا خلال الديار » : فطافوا في خلال الديار ، ينظرون : هل بق أحد لم يقتلوه ؟ وفي الصحاح : « فجاسوا خلال الديار » : أي تخللوا ، فطلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الإخبار : أي يطلبها .

سعيد بن جبير ، أنه سمعه يقول : « كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) بكى وفاضت عيناه ، وطبق المصحف ، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ، ثم قال : أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه ، فأرى في المنام مسكينا ببابل ، يقال له بختنصر ، فانطلق بمال وأعبده له ، وكان رجلا مؤسيرا ، فقيل له أين تريد ؟ قال : أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل ، فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو المساكين ، ويلطف بهم ، حتى لم يبق أحد ، فقال : هل بقي مسكين غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكين بفتح آل فلان مريض ، يقال له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا ، حتى أتاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه ، فنقله إليه ، ومرّضه حتى برأ ، فكساه وأعطاه نفقة ، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي : ما بيكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئا أجزيك ، قال : بلى شيئا يسيرا إن ملكت أطعني ، فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ، ولا يمنعني أن يعطيه ما سأله ، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به ، فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه ، وكتب في كتابه .

وضرب الدهر من ضربه ؛ فقال يوما صيحون ، وهو ملك فارس ببابل : لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلانا ، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج إلا لياكل في مطبخه ؛ فلما قدم الشام ، ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جليدا ، فكسر ذلك في ذرعه ، فلم يسأل<sup>٢</sup> ، قال : فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام ، فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ، فلو غزوتموها مادون بيت مالها شيء ، قالوا : لا نحسن القتال ، قال : فلو أنكم غزوتهم ، قالوا : إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل ، حتى أنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لنوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان ؛ فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جليدا ، كبر ذلك في روعه ، ولم يسألهم عن شيء ، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، وقالوا لي كذا وكذا ، الذي ذكر سعيد ابن جبير أنه قال لهم . قال الطليعة لبختنصر : إنك فصحتني<sup>٣</sup> : لك مئة ألف ، وتزع عما قلت ، قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزع . ضرب الدهر من ضربه ؛ فقال الملك : أو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساعا ساغوا ، وإلا انثنوا ما قدروا عليه ، قالوا : ما ضرك لو فعلت ، قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني ، فدعا بختنصر وأرسله ، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يجرّبوا ولم يقتلوا ، ومات صيحون الملك<sup>٤</sup> ، قالوا : استخلفوا رجلا ، قالوا : على رسلكم ، حتى تأتي أصحابكم ، فإنهم فرسانكم ، لن ينقضوا عليكم شيئا ، أمهلوا ، فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسمه في الناس ، فقالوا : ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا ، فلنكوه حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيى

(١) في عرائس المجالس للعلبي : ويتلطف بهم ، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه .

(٢) في عرائس المجالس للعلبي : فلم يسألهم عن شيء .

(٣) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربة . وفي الأصل : إن صحبتني . تحريف .

(٤) كذا في عرائس المجالس للعلبي من ٣٣٦ طبة الحلبي وفي الأصل : ورمى في جنازة صورا .

ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : « ظهر بختنصر على الشام ، فخرّب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى دمشق ، فوجد بها دما يغلي على كبا : أي كناسة ، فسألهم ما هذا الدم ؟ قالوا : أدركنا آباءنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ، قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم ، فسكن . »  
وقال آخرون : يعنى بذلك قوما من أهل فارس ، قالوا : ولم يكن في المرّة الأولى قتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذا جاء وعدّ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار ) قال : من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ويسمعون حديثهم ، معهم بختنصر ، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ، ونصرت عليهم بنو إسرائيل ، فهذا وعد الأولي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأسٍ شديدٍ ) جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ثم ذكر نحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فإذا جاء وعدّ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأسٍ شديدٍ ) قال : ذلك أي من جاءهم من فارس ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَافِرًا (٦)

يقول تعالى ذكره : ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه . أنه يبعثهم عليهم ، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم ، فيما ذكر السدي في خبره ، أن بني إسرائيل غزوهم ، وأصابوا منهم ، واستنقذوا ما في أيديهم منهم . وفي قول آخرين : إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم ، وردّ ما كان أصاب من أموالهم عليهم ، من غير قتال . وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه ، هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه ، وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيد في ما مضى ( وأمددناكم بأموالٍ وببنين ) يقول : وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين .

وقوله ( وجعلناكم أكثر نافرٍ منهم ) يقول : وصيرناكم أكثر عدوّ نافرٍ منهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وجعلناكم أكثر نافرٍ ) : أي عددا ، وذلك في زمن داود .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا )  
يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ  
عَلَيْهِمْ ) لبي إسرائيل ، بعد أن كانت الهزيمة ، وانصرف الآخرون عنهم ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا )  
قال : جعلناكم بعد هذا أكثر عددا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ  
عَلَيْهِمْ ) ثم رددت الكرة لبي إسرائيل .

حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، في قوله ( وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِينَ ) قال : أربعة آلاف .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءَ  
وُجُوهَكُمْ ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَمَلُوا تَبِيرًا (٧)

يقول تعالى ذكره لبي إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ ) يا بني إسرائيل ، فأطعمتم  
الله وأصلحتم أمركم ، ولزمت أمره ونهيه ( أَحْسَنْتُمْ ) وفعلمت ما فعلتم من ذلك ( لِأَنْفُسِكُمْ ) لأنكم إنما  
تفعلون بفعلكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم  
سوءاً ، ويُسَمِّي لكم أموالكم ، ويزيدكم إلى قوتكم قوة . وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانته ( وَإِنْ  
أَسَأْتُمْ ) يقول : وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ ، فإلى أنفسكم تسبون ، لأنكم تسخطون بذلك  
على أنفسكم ربكم ، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ، ويمكن منكم من بغاكم سوءاً ، ويخلدكم في الآخرة  
في العذاب المهين . وقال جل ثناؤه ( وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ) والمعنى : فإليها ، كما قال ( بَانَ رَبُّكَ أَوْحَى  
كَلِمًا ) والمعنى : أوحى إليها .

وقوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ) يقول : فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتين إفسادكم يا بني إسرائيل  
في الأرض ( لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ) يقول : ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها .  
وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة  
( لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ) بمعنى : ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم ،  
واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك ، بقوله ( وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ) وقالوا : ذلك خبر عن الجميع  
فكذلك الواجب أن يكون قوله ( لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ) على  
التوحيد ، وبالياء ، وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل ، أحدهما ما قد ذكرت ، والآخر منهما : ليسوء الله

وجوهكم ، فمن وجهه تأويل ذلك إلى ليسوء مجيء الوعد وجوهكم ، جعل جواب قوله فإذا محذوفاً ، قد استغنى بما ظهر عنه ، وذلك المحذوف « جاء » ، فيكون الكلام تأويله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء ؛ ومن وجهه تأويله إلى : ليسوء الله وجوهكم ، كان أيضاً في الكلام محذوف ، قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه ، غير أن ذلك المحذوف سوى « جاء » ، فيكون معنى الكلام حينئذ : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم ، فيكون المضمرة « بعثناهم » ، وذلك جواب إذا حينئذ . وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين ( لِنِسْوَةٍ وُجُوهُكُمْ ) على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه ، عن نفسه .

وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى .

ذكر الرواية بذلك ، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل « أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بُحْتَنَصْر ، وكانوا يصدقون ، فتصدق رؤياهم ، فأقبل فسأل عنه ، حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت فضمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر لنا بها طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمرًا ، فأكلوا وشربوا ، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال له : إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر ، فقال : أتسخر بي ؟ فقال : إني لأتخر بك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ، فكلمته أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ذلك ، وإلا لم ينقصك شيئاً ، فكتب له أماناً ، فقال له : أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، فاجعل لي آية تعرفني بها ، قال : ترفع صيفتك على قصبة أعرفك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ، ويدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هيوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها ، فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستها ثياباً رفاقاً حمراً ، وطيببتها ، وألبستها من الخليل ، وقيل : إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود ، وأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له نفسها ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت ، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها ؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، فقال : ما الذي تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا ، فأوتى برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحك ، سليني غير هذا ، فقالت له : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما ألحَّت عليه بعث إليه ، فأتى برأسه ، والرأس يتكلم ، حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا يحل لك ذلك ؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضاً ، فارتفع الدم فوقه ؛ فلم يزل يلقي عليه التراب ، حتى بلغ سور المدينة

وهو يغلى وبلغ صيحابين ، فثار في الناس ، وأراد أن يبعث عليهم جيشا ، ويؤمر عليهم رجلا ، فأناه بختنصر  
وكلمه وقال : إن الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف . وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها ،  
فابعثني ، فبعثه ، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم . فلم يطلقهم . فلما اشتد عليهم  
المقام وجاع أصحابه ، أرادوا الرجوع ، فخرجت إليهم عجوز من عجائر بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير  
الجند ، فأقى بها إليه ، فقالت له : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة ، قال :  
نعم . قد طال مقامي ، وجاع أصحابي . فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني . فقالت : أرأيتك إن  
فتحت لك المدينة أتعطيني ماسألتك ، وتقتل من أمرتك بقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال : نعم ،  
قالت : إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كل زاوية ربعاً . ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء  
فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا . فلما سرف تساقط ، ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا  
من جوانبها ، فقالت له : اقتل على هذا الدم حتى يسكن . وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ،  
فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفاً وامرأة ؛ فلما سكن الدم قالت له : كف يدك ، فإن الله تبارك وتعالى  
إذا قتل نبي لم يرض ، حتى يقتل من قتله . ومن رضى قتله . وأناه صاحب الصحيفة بصحيفته . فكف  
عنه وعن أهل بيته . وخرّب بيت المقدس . وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة  
فله جزيته تلك السنة ، وأعانه على خرابه الروم . من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى . فلما خرب بختنصر ذهب  
معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزارياء وميشائيل . هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء  
وذهب معه برأس جالوت ؛ فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات . فلك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه  
دانيال وأصحابه ، فحسداهم الخجوس على ذلك ، فوشّوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون  
إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل ، إن لنا رباً نعبد ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم  
فأمر بخدمته فخدمهم ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبعا ضارياً ليأكلهم . فقال : انطلقوا فلناكل  
ولنشر ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم . ولم يخدم  
منهم أحداً ، ولم ينكأه شيئا ، ووجدوا معهم رجلا . فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقالوا : ما بال هذا السابع  
إنما كانوا ستة ، فخرج إليهم السابع ، وكان ملكاً من الملائكة . فلطمه لطمه ، فصار في الوحش ، فكان  
فيهم سبع سنين ، لا يراه وحش إلا أناه ، حتى ينكحه ، يقتص منه ما كان يصنع بالرجال ، ثم إنه رجع  
ورد الله عليه ملكه ، فكانوا أكرم خلق الله عليه . ثم إن الخجوس وشّوا به ثانية ، فلقوا أسداً في بئر قد  
ضرى ، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها ، فألقوا إليه دانيال ، فقام الأسد في جانب ، وقام دانيال  
في جانب لا يمسه . فأخرجوه ، وقد كان قبل ذلك خدّاً لم خدّاً ، فأوقد فيه نارا ، حتى إذا أجمها قدفهم  
فيها ، فأطفأها الله عليهم ، ولم ينلهم منها شيء . ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنماً رأسه من ذهب ،  
وعنقه من شبه ، وصدرة من حديد . وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ، ورجلاه من فحار ؛ فينا هو  
قائم ينظر . إذ جاءت صخرة من السماء من قبيل القبلة ، فكسرت الصم ، فجعلته هشياً . فاستيقظ فرعا

وأنسيها ، فدعا السحرة والكهنة ، فسألهم ، فقال : أخبروني عما رأيتم ، فقالوا له لا ، بل أنت أخبرنا ، ما رأيتم ، فنعبه لك ، قال : لأدرى ، قالوا له : فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم ، فادعهم فاسألهم ، فان هم لم يخبروك بما رأيتم فما تصنع بهم ؟ قال : أقتلهم ، فأرسل إلى دانيال وأصحابه ، فدعاهم ، فقال لهم : أخبروني ماذا رأيتم ؟ فقال له دانيال : بل أنت أخبرنا ما رأيتم فنعبه لك ، قال : لأدرى قد نسيتها ، فقال له دانيال : كيف نعلم رؤيا لم نخبرنا بها ؟ فأمر البواب أن يقتلهم ، فقال دانيال للبواب : إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه ، فأخبرنا ثلاثة أيام ، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه ، وإلا فاضرب أعناقنا ، فأجلهم فدعوا الله ، فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا يختصر على حدة ، فأتوا البواب فأخبروه ، فدخل على الملك فأخبره ، فقال : أدخلهم عليّ ، وكان يختصر لا يعرف من رؤياه شيئا ، إلا شيئا يذكرونه ، فقالوا له : أنت رأيتم كذا وكذا ، فقصوها عليه ، فقال : صدقتم ، قالوا : نحن نعبها لك . أما الصنم الذي رأيتم رأسه من ذهب ، فإنه ملك حسن مثل الذهب ، وكان قد ملك الأرض كلها ؛ وأما العنق من الشبه ، فهو ملك ابنك بعدك ، يملك فيكون ملكه حسنا ، ولا يكون مثل الذهب ؛ وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس ، يملكون بعد ابنك ، فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد ؛ وأما بطنه الأخطا ، فإنه يذهب ملك أهل فارس ، ويتنازع الناس الملك في كل قرية ، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين ، والشهر والشهرين ، ثم يُقتل ، فلا يكون للناس قوام على ذلك ، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار ؛ فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب ، فأظهره على بقية ملك أهل فارس ، وبقية ملك ابنك وملكك ، فدمره وأهلكه ، حتى لا يبقى منه شيء ، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم ، فعطف عليهم يختصر ، فأحبهم ؛ ثم إن المحوس وشورا بدانيال ، فقالوا : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول ، وكان ذلك فيهم عارا ، فجعل لهم يختصر طعاما ، فأكلوا وشربوا ، وقال للبواب : انظر أول من يخرج عليك يبول ، فاضربه بالطمبرزين ، وإن قال : أنا يختصر ، فقل كذبت ، يختصر أمرني ، فحبس الله عن دانيال البول ، وكان أول من قام من القوم يريد البول يختصر ، فقام مُدِلًا . وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه ؛ فلما رآه البواب شدّ عليه ، فقال : أنا يختصر ، فقال : كذبت ، يختصر أمرني أن أقتل أول من يخرج ، فضربه فقتله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن أبي المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبیر ، قال : بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، قال : فردّ الله لهم الكرة عليهم كما قال : قال : ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه ، فبعث عليهم في المرة الآخرة يختصر ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذرية ، وأخذ ما وجد من الأموال ، ودخلوا بيت المقدس ، كما قال الله عزّ وجلّ ( وَلَيَسُدَّنَّ خُلُوفُ الْمُسْجِدِ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلَيُتَّبِرُوا مَا عَدَوْا تَتَّبِيرًا ) دخلوه فتبروه وخرّبوه ، وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيف والجيف والقذر ، فقال الله ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا ، فَرَحِمْنَاكُمْ ) فرحمهم فردّ إليهم ملكهم ،



وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل ، وقال لهم : إن عدتم عدنا ، فقال أبوالمعلّى ، ولأعلم ذلك إلا من هذا الحديث ، ولم يعدهم الرجعة إلى ملكهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذا جاء وَعَدُّ الآخِرَةِ ، لَيْسُوءُ وَا وَجُوهُكُمْ ) قال : بعث الله ملك فارس ببابل جيشا ، وأمر عليهم بختنصر ، فأتوا بني إسرائيل ، فدمروهم ، فكانت هذه الآخرة ووعدها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، قال : لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه ، قال : ثلاثة ، فمن استأخر منكم بعدها فليمش إلى خشبته ، فغزا الشام ، فذلك حين قتل وأخر ببيت المقدس ، ونزع حليته ، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمر ، وحيوانا يأكل عليه الخنازير ، وحمل التوراة معه ، ثم ألقاها في النار . وقدم فيها قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل . فقال لإنسان : أصلح لي أجسام هؤلاء ، لعل أختار منهم أربعة يخدموني ، فقال دانيال لأصحابه : إنما نصبروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم ، لانتأكلوا لحم الخنزير ، ولا تشربوا الخمر ، فقالوا للذي يصلح أجسامهم : هل لك أن تطعمنا طعاما . هو أهون عليك في المؤنة مما تطعم أصحابنا ، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيك ، قال : ماذا ؟ قال : خبز الشعير والكرات ، ففعل فسمنوا قبل أصحابهم ، فأخذهم بختنصر يخدمونه ، فبينما هم كذلك ، إذ رأى بختنصر رؤيا ، فجلس ففسها ؛ فعاد فرقد فرآها ، فقام ففسها ، ثم عاد فرقد فرآها ، فخرج إلى الحجرة ، ففسها ؛ فلما أصبح دعا العلماء والكهّان ، فقال : أخبروني بما رأيت البارحة ، وأولوا لي رؤياي ، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته ، موعداكم ثلاثة ، فقالوا : هذا لو أخبرنا برؤياه ، وذكر كلاما لم أحفظه ، قال : وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول : لو دعاني الملك لأخبرته برؤياه ، ولأوتها له ، قال : فجعلوا يقولون : ما أحق هذا الغلام الإسرائيلي ! إلى أن مرّ به كهيل ، فقال له ذلك ، فرجع إليه فأخبره ، فدعاه فقال : ماذا رأيت ؟ قال : رأيت تمثالا ، قال إيه ، قال ورأسه من ذهب ، قال إيه ، قال : وعنقه من فضة ، قال إيه ، قال : وصدرة من حديد ، قال إيه ، قال : وبطنه من صُفْر ، قال إيه ، قال : ورجلاه من آتُك ، قال إيه ، قال : وقدماه من فِخْخار ، قال : هذا الذي رأيت ؟ قال إيه ، قال : فجاءت حصاة ، فوقعت في رأسه ، ثم في عنقه ، ثم في صدره ، ثم في بطنه ، ثم في رجله ، ثم في قدميه ، قال : فأهلكته . قال : فما هذا ؟ قال : أما الذهب فإنه مُلْكُك ، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ، ثم ملك ابن ابنك ، قال : وأما الفخار فملك النساء . فكساه جبة ترثون ، وسوره ، وطاف به في القرية ، وأجاز خاتمه . فلما رأت ذلك فارس ، قالوا : ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي ، فقالوا : اثتوه من نحو الفتية الثلاثة ، ولا تذكروا له دانيال ، فإنه لا يصدقكم عليه ، فأثتوه ، فقالوا : إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك ، وآية ذلك أنك

(١) كذا في الأصل . والفتلة بحرفة . وفي الكتاب المقدس : سقر دانيال ، الإصحاح الخامس : « حينئذ أمر بلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان ، وقلادة من ذهب في عنقه » .

إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والخمر، لم يأكلوا ولم يشربوا، فأمر بحطب كثير فوضع، ثم أرقاهم عليه، ثم أوقد فيه نارا، ثم خرج من آخر الليل يبول، فإذا هم يتحدثون، وإذا معهم رابع يروح عليهم بصلي، قال: من هذا يادانيال؟ قال: هذا جبريل، إنك ظلمتهم، قال: ظلمتهم، مر بهم ينزلوا، فأمر بهم فنزلوا، قال: ومسح الله تعالى بختنصر من الدواب كلها، فجعل من كل صنف من الدواب رأسه رأس سبع من السباع الأسد، ومن الطير النسر، وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين، ثم كتبت سطرين، فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما، فقالت له أمه: إنك لو أعدت إلى دانيال منزلته التي كانت له من أبيك، أخبرك، وكان قد جفاه فدعاه، فقال: إني معبد إليك منزلتك من أبي، فأخبرني ماهذان السطران؟ قال: أما أن تعيد إلى منزلتي من أبيك، فلا حاجة لي بها، وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة، فأخرج من في القصر أجمعين، وأمر بقله، فأقفلت الأبواب عليه، وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه، معه سيف، فقال: من جاءك من خلق الله فاقتله، وإن قال: أنا فلان، وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي حتى كان شطر الليل، فرقد ورقد صاحبه، ثم نبهه البطن، فذهب يمشي والآخر نائم، فرجع فاستيقظ به، فقال له: أنا فلان، فضربه بالسيف، فقتله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( **إِنْ أَحْسَدْتُمْ أَحْسَدْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ** ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ ) آخر العقوبتين ( **لَيْسُوءٌ وَأُجُوهَكُم** ، وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) كما دخله عدوهم قبل ذلك ( **وَلَيُتَّبِرُوا مَا عَدَوْا تُتَّبِيرًا** ) فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر الجبوسى البابلى، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال ( **فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ** ) من المرتين ( **لَيْسُوءٌ وَأُجُوهَكُم** ) قال: ليقبحوا وجوهكم ( **وَلَيُتَّبِرُوا مَا عَدَوْا تُتَّبِيرًا** ) : قال: يدمروا ما عدوا تدميرا، قال: هو بختنصر، بعثه الله عليهم في المرة الآخرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد، وتسير ما عدوا تتييرا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنى ابن إسحاق، قال: فيما بلغني: استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك، يعنى بعد قتلهم شعبياء، رجلا منهم يقال له: نأشة بن أموص، فبعث الله الخضر نبيا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول: « **إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا** ، لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ ، فَقَامَ عَنْهَا وَهِيَ تَهْتَرُ خَضِرَاءَ » . قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل: إرميا بن حنانيا، وكان من سبط هارون بن عمران.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالوا: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثنا بن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن

ابن إسحاق . عن لايتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ، واللفظ لحديث ابن حميد : أنه كان يقول : قال الله تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل : يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك . ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قد سئمتك . ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتلك . ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك . ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك . ولأمر عظيم اختيأتك : فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل ، يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله : قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله تعالى إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، واقصص عليهم ما أمرت به . وذكّرهم نعمتي عليهم . وعرفهم أحداثهم ، فقال إرميا : إني ضعيف إن لم تقوّني ، وعاجز إن لم تبلّغني ، ومخطئ إن لم تسدّدني ، ومخذول إن لم تنصرنني ، وذليل إن لم تعزّني . قال الله تبارك وتعالى : أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلها والألسنة بيدي ، ألقها كيف شئت ، فطبيعتي . وإني أنا الله الذي لا شيء مثلي . قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتي ، وأنا كلّمتم البحار ، ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت أمري ، وحددت عليها بالبطحاء ، فلا تعدّني حدتي ، تأتي بأمواج كالجبال ، حتى إذا بلغت حدتي ، ألبستها مدلّة طاعتي ، خوفاً واعترافاً لأمرتي : إني مملوك ، ولن يصل إليك شيء معي . وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي ، لتبلغهم رسالاتي ، ولتستحقّ بذلك مثل أجر من تبعك منهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، وإن تقصّر عنها ، فلك مثل وزر من تركب في عماء ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر لكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستنبيكم بامعشر الأبناء ، وسلمهم كيف وجد آبائهم مغبّة طاعتي . وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي . وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشق بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي ، فإن الدوابّ بما تذكروا أوطانها الصالحة ، فتنتابها ، وإن هؤلاء القوم قدرتموا في مروج الهلكة . أما أحرارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا ، ليعبدوهم دوني ، وتحكموا فيهم بغير كتابي ، حتى أجهلواهم أمري ، وأنسواهم ذكرى ، وغرّوهم مني . أما أمراؤهم وقادانهم فبَطّروا نعمتي . وأمنوا مكري ، ونبذوا كتابي ، ونسوا عهدي ، وغيروا سنتي ، فأدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ، فهم يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني ، جراءة على ، وغرة وقرية على وعلى رسلي ، فسبحان جلالى وعلوى مكاني ، وعظم شأني ، فهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ؟ وهل ينبغي لي أن أخلق عبادا أجعلهم أرباباً من دوني ؟ وأما قرآؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ، ويزيّنون بعمارتها لغيري ، لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقّهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء ، فكثرون مقهورون مغبرون ، يخوضون مع الخائضين ، ويتمنّون على مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التي أكرمهم بها ، ويزعمون أن لأحد أولى بذلك منهم مني . بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمري حين غير المغبرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا ، وصدّقوا ، حتى عزّ أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلمهم يستجيبون ،

فأطوَّلت لهم ، وصفححت عنهم ، لعلمهم يرجعون ، فأكثرت ومددت لهم في العمر لعلهم يتذكرون ، فأعذرت في كل ذلك ؛ أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ، فلا يزدادون إلا طغيانا وبُعدا مني ، فحتى متى هذا ؟ أبي يتمرسون ، أم إياي يخادعون ؟ وإني أحلف بعزتي : لأقيضنَّ لهم فتنة يتحير فيها الحليم ، ويضلَّ فيها رأى ذى الرأى ، وحكمة الحكيم ، ثم لأسلطنَّ عليهم جبارا قاسيا عاتيا ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان ، يتبعه عدد ، وسواد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قطع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ، كأن خفيق راياته طيران النسور ، وإن حملة فُرسانه كوبر العقبان . ثم أوحى الله إلى إرميا : إني مهلك بني إسرائيل بياض ، ويافث أهل بابل ، وهم من ولد يافث ابن نوح . ثم لما سمع إرميا وحي ربه صاح وبكى وشقَّ ثيابه ، ونبذَ الرماد على رأسه ، وقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقيت التوراة ، ومن شرَّ أيامي يوم ولدت فيه ، فما أبقيت آخرَ الأنبياء إلا لما هو أشرُّ عليّ ، لو أراد بي خيرا ما جعلني آخرَ الأنبياء من بني إسرائيل ، فمن أجل تصيبهم الشَّقوة والهلاك . فلما سمع الله تصرُّع الحضرة وبكائه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشقَّ ذلك عليك فيما أوحيت لك ؟ قال : نعم يا ربِّ أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسرَّ به ، فقال الله : وعزتي العزيزة لأهلك بيت المقدس وبني إسرائيل ، حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه . وطابت نفسه ، وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحقِّ ، لا أمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبدا . ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه ، فاستبشر وفرح وقال : إن يعدُّ بنا ربنا بذنوب كثيرة قد منَّاها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته ، ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشرِّ ، وذلك حين اقرب هلاكهم ، فقلَّ الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمست عنهم حين ألهمهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم : يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه ، قبل أن يمسكم بأس الله ، وقبل أن يُبعث عليكم قوم لارحمة لهم بكم ، وإن ربكم قريب التوبة ، مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه ، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه ، وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نبورزاذان بن سنحاريب بن دارياس بن تمرود ابن فالخ بن عابر بن تمرود صاحب إبراهيم الذي حاجَّه في ربه ، أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدُّه سنحاريب أراد أن يفعل ، فخرج في ستِّ مئة ألف راية ، يريد أهل بيت المقدس ؛ فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر ، أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا أين ما زعمت لنا : أن ربك أوحى إليك ألا يهلك أهل بيت المقدس ، حتى يكون منك الأمر في ذلك ، فقال إرميا للملك : إن ربي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق . فلما اقرب الأجل ، ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله على هلاكهم ، بعث الله ملكا من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا فاستفته ، وأمره بالذي يستفتى فيه ، فأقبل الملك إلى إرميا ، وكان قد تمثَّل له رجلا من بني إسرائيل ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : رجل من بني إسرائيل ، أستفتيك في بعض أمرى ، فأذن له ، فقال له الملك : يا نبيَّ الله ، أتيتك أستفتيك في أهل رحى ، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به ، لم آت إليهم إلا حسنا ، ولم آت لهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتي

إياهم إلا إسقاطا لي ، فأفتنى فيهم يا نبي الله ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصيل ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير ، وانصرف عنه . فكث أياما ، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذي جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبي الله : أو ما ظهرت لك أخلاقهم بعد ، ولم تر منهم الذي تحب ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ، ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه ، إلا قد أتيتها إليهم ، وأفضل من ذلك ، فقال النبي : ارجع إلى أهلك ، فأحسن إليهم ، أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين ، أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مراضاته ، ويجنبكم سخطه ، فقام الملك من عنده ، فلبث أياما ، وقد نزل بختنصر و جنوده حول بيت المقدس ، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ، ففزع منهم بنو إسرائيل فرعا شديدا ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل ، فدعا إرميا ، فقال : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني بربي واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس ، يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يأتك لهم أن يمتنعوا من الذي هم فيه ، مقيمون عليه ؟ فقال له الملك : يا نبي الله ، كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم ، كنت أصبر عليه ، وأعلم أن ما ربه في ذلك سخطي ؛ فلما أتتهم اليوم ، رأيتهم في عمل لا يرضى الله ، ولا يحبه الله عز وجل ، فقال له نبي الله : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد عليهم غضبي ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكن غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق ، إلا مادعوت عليهم ربك أن يهلكهم ، فقال إرميا : يا مالك السموات والأرض ، إن كانوا على حق ، وصواب فأبقيهم ، وإن كانوا على سُخطك وعمل لا يرضاه فأهلكهم ، فما خرجت الكلمة من في إرميا ، حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس ، فالتهب مكان القربان ، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها ؛ فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، وقال : يا مالك السموات والأرض ، بيدك ملكوت كل شيء ، وأنت أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذي وعدتني ، فنودي إرميا : إنهم لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا ، فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه ، التي أفتى بها ثلاث مرات ، وأنه رسول ربه . ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش ، ودخل بختنصر و جنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرَّب بيت المقدس ؛ أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ، ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقفوا فيه التراب حتى ملئوه ، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل ، فاختر منهم سبعين ألف صبي ؛ فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ، ففعل ، وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلِمة ، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل ، وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا

من سبط يوسف بن يعقوب ، وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشير بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ، ومن بقى من بني إسرائيل ، وجعلهم يختنصر ثلاث فرق ، فثلاثاً أقمر بالشام ، وثلاثاً سبي ، وثلاثاً قتل ، وذهب بآنية بيت المقدس ، حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصديان السبعين الألف ، حتى أقدمهم بابل ، فكانت هذه الواقعة الأولى ، التي أنزل الله بني إسرائيل ، بأحداشهم وظلمهم . فلما ولي يختنصر عنهم ، راجعوا إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل ، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ، ثم ذكر قصته حين أماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، ثم خبر رؤيا يختنصر وأمر دانيال ، وهلاك يختنصر ، ورجوع من بقى من بني إسرائيل في أيدي أصحاب يختنصر بعد هلاكه ، إلى الشام ، وعمارّة بيت المقدس ، وأمر عزير وكيف ردّ الله عليه التوراة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ، يعني بعد مهلك عزير ، ويعود الله عليهم ، ويبعث فيهم الرسل ، وفريقا يكذبون ، وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، أنه قال ، وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا ، قال : ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغية من بغايا بني إسرائيل ، كان فيهم ملك ، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك ، فهيمت ابنة ذلك الملك بأبيها ، فقالت : لو أتى تزوجت بأبي ، فاجتمع لي سلطانه دون النساء ، فقالت له : يا أبت تزوجني ، ودعته إلى نفسها ، فقال لها : يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا ، فقالت : من لي بيحيى بن زكريا ضيق على ، وحال بيني وبين أن أتزوج بأبي ، فأغلب على ملكه وديناه دون النساء ؛ قال : فأمرت اللعابين ، وحمّلت بذلك ، لأجل قتل يحيى بن زكريا ، فقالت : ادخلوا عليه فالعبوا ، حتى إذا فرغتم ، فإنه سيحككم ، فقولوا دم يحيى بن زكريا ، ولا تقبلوا غيره . وكان اسم الملك رواد ، واسم ابنته البغي ، وكان الملك فيهم إذا حدث فكذب ، أو وعد فأخلف ، خلسع ، فاستبدل به غيره ؛ فلما ألبوه ، وكثر عجبهم منهم ، قال : سلوني أعطكم ، فقالوا له : نسألك دم يحيى بن زكريا ، أعطنا إياه ، قال : ويحكم سلوني غير هذا ، فقالوا : لانسألك شيئاً غيره ، فخاف على ملكه إن هو أخلفهم ، أن يستحلّ بذلك خلسعه ، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي ، فذبجوه في طست ، ثم حزوا رأسه ، فاحتمله رجل في يده ، والدم يحمّل في الطست معه ، قال : فطلع برأسه يحمله ، حتى وقف به على الملك ، ورأسه يقول في يدي الذي يحمله ، لا يحل لك ذلك ، فقال رجل من بني إسرائيل : أيها الملك ، لو أنك وهبت لي هذا الدم ؟ فقال : وما تصنع به ، قال : أطهر منه الأرض ، فإنه كان قد ضيقها علينا ، فقال : أعطوه هذا الدم ، فأخذه فجعله في قلّة ، ثم عمد به إلى بيت في المذبح ، فوضع القلة فيه ، ثم أغلق عليه ، ففار في القلّة ، حتى خرج منها من تحت الباب ، من البيت الذي

هو فيه ، فلما رأى الرجل ذلك ، فطُيِّع به ، فأخرجه ، فجعله في فلاة من الأرض ، فجعل يفور ، وعظمت فيهم الأحداث ، ومنهم من يقول : أُقْبِرَ مكانه في القربان ولم يحوّل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكريا ، ( وبعض الناس يقول : وقتلوا زكريا ) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ، حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم ، أمر رأسا من رعوس جنده يدعى نبورزاذان صاحب القتل ، فقال له : إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس ، لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلا أن لأجد أحدا أقتله ، فأمر أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم نبورزاذان ، فدخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دما يغلي ، فسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ، ما شأن هذا الدم الذي يغلي ، أخبروني خبره ، ولا تكتُموني شيئا من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه ، فلم يُتقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمان مئة سنة القربان ، فتقبل منا ، إلا هذا القربان ، قال : ما صدقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبيل منا ، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي ، فلذلك لم يُتقبل منا . فذبح منهم نبورزاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رعوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم ، فذبحهم على الدم ، فلم يبرد ولم يهدأ ؛ فلما رأى نبورزاذان أن الدم لا يهدأ ، قال لهم : ويحكم يا بني إسرائيل ، اصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض ، تفعلون فيها ما شئتم ، قبل أن لا أترك منكم نافخ نار ، لا أنثى ولا ذكرا إلا قتلته ؛ فلما رأوا الجهد وشدة القتل ، صدقوه الخبر ، فقالوا له : إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أضعنا فيها ، لكان أرواحنا لنا ، وكان يخبرنا بأمركم ، فلم نصدقه ، فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبورزاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، فقال : الآن صدقتموني ، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم ؛ فلما رأى نبورزاذان أنهم صدقوه ، خرّ ساجدا ، وقال لمن حوله : غلقوا الأبواب ، أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس ، وخلا في بني إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريا : قد علم ربّي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قُتل منهم من أجلك ، فاهدا باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله ، ورفع نبورزاذان عنهم القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت وأيقنت أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فنبارك وتقدس ، وتسبح وتكبر وتعظم ، ملك الملوك ، الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيهن ، وما بينهما ، وهو على كل شيء قدير ، فله الحلم والعلم والعزة والجبروت ، وهو الذي بسط الأرض ، وألقى فيها رواسبها لثلاثا تزول ، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه . فأوحى الله إلى رأس من رعوس بقية الأنبياء أن نبورزاذان حبسور صدرق ، والحبور بالعبرانية : حديث الإيمان ؛ وإن نبورزاذان قال لبني إسرائيل : يا بني إسرائيل ، إن عدو الله خردوس ، أمرني أن أقتل منكم ، حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري ، وإني لست أستطيع

أن أعصيه ، قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل ، فذبحها ، حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك ، فطرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم ، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكره ، أرسل إلى نبورزاذان أن ارفع عنهم ، فقد بلغتني دماؤهم ، وقد انتقمتم منهم بما فعلوا ، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد ، وهي الواقعة الآخرة ، التي أنزل الله ببني إسرائيل ، يقول الله عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَقْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) وعسى من الله : حق ، فكانت الواقعة الأولى : بختصر وجنوده ، ثم ردّ الله لكم الكرة عليهم ، وكانت الواقعة الآخرة خردوس وجنوده ، وهي كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، يقول الله تبارك وتعالى ( وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ) ثم عاد الله عليهم ، فأكثر عددهم ، ونشرهم في بلادهم ، ثم بدّلوا وأحدثوا الأحداث ، واستبدلوا بكتابهم غيره ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، وضيعوا الحدود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي عتّاب رجل من تغلب ، كان نصرانياً عمراً من دهره ، ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن ، وفقهه في الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانياً أربعين سنة ، ثم عمّر في الإسلام أربعين سنة ، قال : كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبياً بعثه الله إليهم ، فقال لهم : يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم : إني قد سلبت أصواتكم ، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم ، فهتمّوا به ليقتلوه ، فقال الله تبارك وتعالى له : ائتمهم واضرب لي ولهم مثلاً ، فقل لهم : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : اقضوا ببني وبين كرمي ، ألم اختر له البلاد ، وطيبت له المدرة ، وحظرتّه بالسيّاح ، وعرّشته السويق والشوك والسيّاح والعوسج ، وأحطته بردائي ، ومنعته من العالم ، وفضّلته ، فلقيني بالشوك والخدوع ، وكل شجرة لا تؤكل ؛ ما لهذا اخترت البلدة ، ولا طيبت المدرة ، ولا حظرتّه بالسيّاح ، ولا عرّشته السويق ، ولا حطّته بردائي ، ولا منعته من العالم ؛ فضلتكم وأتممت عليكم نعمتي ، ثم استقبلتموني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمرى له ؟ إن الحمار ليعرف مذبّوده له ؟ إن البقرة لتعرف سيدها ، وقد حلفت بعزّي العريزة ، وبذراعي الشديد ، لآخذن بردائي ، ولأمرجن الحائط ، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم . قال : فوثبوا على نبيهم فقتلوه .



فضرب الله عليهم الذلّ ، ونزع منهم الملك ، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدّونها ، والملك في غيرهم من الناس ، فلن يزالوا كذلك أبدا ، ما كانوا على ما هم عليه .

قال : قال : فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بنى إسرائيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فلذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبرأوا ما عملوا تظبيرا ) قال : كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير ، قال : لأن الأولى كانت هزيمة فقط ، والآخرة كان التدمير ، وأحرق بختنصر التوراة ، حتى لم يبق منها حرف واحد ، وخرب المسجد .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا ، في اثني عشر من الخواريين يعلمون الناس ، قال : فكان فيما نهاهم عنه ، نكاح ابنة الأخ ، قال : وكانت للمكهم ابنة أخ تعجبه ، يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ؛ فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك ، فسألك حاجتك ، فقولي : حاجتي أن تذهب لي يحيى بن زكريا ؛ فلما دخلت عليه سألتها حاجتها ، فقالت : حاجتي أن تذهب يحيى بن زكريا ، فقال : سلى غير هذا ، فقالت : ما سألك إلا هذا ، قال : فلما أبت عليه ، دعا يحيى ، ودعا بطست فذبحه ، فبدرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم ترزل تغلى ، حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل ، فدلته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفا منهم ، من سن واحد ، فسكن .

وقوله ( وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ) يقول : وليدخل عدوكم الذي أبعثه عليكم ، مسجد بيت المقدس ، قهرا منهم لكم وغلبة ، كما دخلوه أول مرة ، حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض . وأما قوله ( وليتبرأوا ما عملوا تظبيرا ) فإنه يقول : وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا . يقال منه : دمّرت البلد : إذا خربته وأهلكت أهله ، وتبرّ تبرأ وتبارا ، وتبّرته أتبره تظبيرا . ومنه قول الله تعالى ذكره ( ولا تزد الظالمين إلا تبارا ) يعني : هلاكا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( وليتبرأوا ما عملوا تظبيرا ) قال : تدميرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وليتبرأوا ما عملوا تظبيرا ) قال : يدمروا ما عملوا تدميرا .

القول في تأويل قوله تعالى

عَمَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرَحْمَكُمْ ، وَإِن عُدْتُمْ عُدْنَا ، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ، (٨)

يقول تعالى ذكره: لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم ، بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ، ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، فيستنقذكم من أيديهم ، وينتشلكم من الذل الذي يحله بكم ، ويرفعكم من الخموله التي تصيرون إليها ، فيعزكم بعد ذلك ، وعسى من الله : واجب . وفعل الله ذلك بهم ، فكثرت عددهم بعد ذلك ، ورفع حساستهم ، وجعل منهم الملوك والأنبياء ، فقال جل ثناؤه لهم : وإن عدتم بامعشر بني إسرائيل لمعصيتي ، وخلاف أمري ، وقتل راسلي ، عدنا عليكم بالقتل والسبأ ، وإحلال الذل والصغار بكم ، فعادوا ، فعاد الله عليهم بعقابه ، وإحلال سخطه بهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ) قال : عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد ، قال : فسلب الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس : سندبادان وشهربادان وآخر . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قال : قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة : ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ) قال : فعادوا ، فسلب الله عليهم المؤمنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ) فعاد الله عليهم بعائده ورحمته ( وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ) قال : عاد القوم بشر ما ينحضرهم ، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث ، من نعمته وعقوبته . ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة : قال الله عز وجل في آية أخرى ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) . . . الآية ، فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ) فعادوا ، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهم يعطون الحزبة عن يدهم صاغرون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ) قال بعد هذا ( وَإِنْ عُدْتُمْ ) لما صنعتم لمثل هذا ، من قتل يحيى وغيره من الأنبياء ( عُدْنَا ) إليكم بمثل هذا .

وقوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن مسعدة ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : سبحنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : جعل الله مأواهم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : تحديسا حصورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : سبحنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( حَصِيرًا ) قال : يحصرون فيها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : يحصرون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) سبحنا يسجنون فيها حصروا فيها .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : سبحنا .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : الحصير : المهاد . وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عنى به الحصير الذي يبسط ويفرش ، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا ، فوجه الحسن معنى الكلام إلى أن الله جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا ، كما قال ( لَمْ يَنْجِ مِنْ جَهَنَّمَ مِيهَادًا ، وَمِنْ قَنَاقِيهِمْ غَوَاشٍ ) وهو وجه حسن ، وتأويل صحيح . وأما الآخرون ، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر ، الذي هو الحبس ، وقد بينت ذلك بشواهد في سورة البقرة ، وقد تسمى العرب الملك حصيرا ، بمعنى أنه محصور : أي محجوب عن الناس ، كما قال لبيد :

وَمَقَامَةٌ غُلَّبِ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِينٌ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامًا

(١) البيت في (ديوان لبيد ، طبع لندن سنة ١٨٩١ ص ٣٩) . والرواية فيه : « لدى طرف الحصير » . وروايته في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٧١) وفي (لسان العرب : قوم) : « كرواية المؤلف هنا . قالا : ويقال للملك حصير ، لأنه محجوب . والمقامة والمقام : المجلس ، ومقامات الناس : مجالسهم . والمقامة : السادة . والغلب : جمع أغلب ، وصف من غلب غلبا (كفرح فرحا) : =

يعنى بالحصير : الملك ، ويقال للبخيل : حصور وحصر : لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة ، وحبسه إياه عن النفقة ، كما قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَارٍ

ويروى : بسار . ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه ، واحتباسه إذا أراد . ومنه أيضا الحصور عن النساء ، لتعذر ذلك عليه ، وامتناعه من الجماع ، وكذلك الحصر في الغائط : احتباسه عن الخروج ، وأصل ذلك كله واحد ، وإن اختلفت ألفاظه . فأما الحصيران : فالجنبان ، كما قال الطرمح :

قَلِيلًا تَتَلَكَّى حَاجَةً ثُمَّ عُولِيَّتْ عَلَى كُلِّ مَقْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بَادِنِ

يعنى بالحصيرين : الجنين .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : معنى ذلك : ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) : فإرشا ومهادا لايزيله ، من الحصير ، الذي هو بمعنى البساط . لأن ذلك إذا كان كذلك ، كان جامعا معنى الحبس والامتناع ، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب ، أشهر منه بمعنى الحبس ، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء ، فإنما تقول : هو له حاصر أو مُحَصَّر ، فأما الحصير فغير موجود في كلامهم ، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به ، فيكون في لفظ فاعيل ، ومعناه مفعول به ، ألا ترى بيت لبيد : « لدى باب الحصير » ، فقال : لدى باب الحصير ، لأنه أراد : لدى باب المحصور ، فصرف مفعولا إلى فاعيل . فأما فاعيل في الحصر ، بمعنى وصفه بأنه الحاصر ، فذلك ما لا نجد في كلام العرب ، فلذلك قلت : قول الحسن أولى بالصواب في ذلك . وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن ذلك جائز ، ولا أعلم لما قال وجها يصح إلا بعيدا ، وهو أن يقال : جاء حصيرٌ ، بمعنى حاصر ، كما قيل : عليم بمعنى عالم ، وشهيد بمعنى شاهد ، ولم يُسمع ذلك مستعملا في الحاصر ، كما سمعنا في عالم وشاهد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)

يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به (للتّي هي أقوم) يقول : للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل ، وذلك دين الله الذي بعث

« إذا غلظت رقبته . وفي (السان : حصر) ذكر هذا الشاهد كرواية المؤلف ، مع وضع لفظة « ومقام » في مكان : « ومقامة » وأشار إلى الرواية الأخرى . ثم قال : والحصير الحبس ، وفي التنزيل : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، قال القتيبي : هو من حصرت ، أى حبسته . فهو محصور ، وهذا حصيره ، أى محبسه .

(١) تقدم شرح هذا الشاهد في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٥٥) .

(٢) البيت في ديوان الطرمح بن حكيم (طبع لندن سنة ١٩٢٧ ص ١٦٤) . وتتلئ الشيء : تتبعه . وتتلئ أيضا : بق بقية من دينه . وعوليت : ذهب بها إلى العالية ، وهي نجد . والحصير : سفينة تصنع من بردى وأصل ، ثم تفرش .

به أنبياءه وهو الإسلام ، يقول جل ثناؤه : فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل ، التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ) قال : التي هي أصوب : هو الصواب ، وهو الحق ؛ قال : والمخالف هو الباطل . وقرأ قول الله تعالى ( فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ) قال : فيها الحق ، ليس فيها عوج . وقرأ ( وَكَمْ تَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قِيمًا ) يقول : قِيمًا مستقيما .

وقوله ( وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأqvسد ، الذين يؤمنون بالله ورسوله ، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به ، وينتهون عما نهاهم عنه ، بأن لهم أجرا من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات كبيرا ، يعني ثوابا عظيما ، وجزاء جزيلًا ، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضى عمله . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) : قال : الجنة ، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير ، أجر كريم ، ورزق كريم ، فهو الجنة ، وأن في قوله ( أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) نصب بوقوع البشارة عليها ، وأن الثانية معطوفة عليها .

وقوله ( وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) يقول تعالى ذكره : وأن الذين لا يصدقون بالمعاد إلى الله ، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا ، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله ، أعتدنا لهم ، يقول : أعتدنا لهم ، لقدومهم على ربهم يوم القيامة ( عِنْدَ آبَائِهِمْ ) يعني موجهًا ، وذلك عذاب جهنم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)

\* يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ، ويدع الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر ، فيقول : اللهم أهلكه والعنه ، عند ضجره أو غضبه ، كدعائه بالخير : يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة ، في نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر ، كما يستجاب له في الخير ، هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) يعني قول الإنسان : اللهم العنه واغضب عليه ، فلو يعجل له ذلك كما يعجل له الخير ، هلك ، قال : ويقال : هو ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ ) ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ) أن يكشف ما به من ضر ، يقول تبارك وتعالى ، لو أنه ذكرني وأطاعني ، واتبع أمري عند الخير ، كما يدعوني عند البلاء ، كان خيرا له .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) يدعو على ماله ، فيلعن ماله وولده . ولو استجاب الله له لأهلكه .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر ، عن قتادة ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ) قال : يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك ، وعلى خادمه ، أو على ماله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته . فيعجل : فيدعو عليه ، ولا يحب أن يصيبه .  
واختلف في تأويل قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) فقال مجاهد ومن ذكرت قوله : معناه : وكان الإنسان عَجُولًا ، بالدعاء على ما يكره ، أن يُستجاب له فيه .

وقال آخرون : عني بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجرى في جميع جسده ، فرام النهوض ، فوصف ولده بالاستعجال ، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام ، قبل أن يتم خلقه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن سلمان الفارسي ، قال : أول ما خلق الله من آدم رأسه ، فجعل ينظر وهو يُخلق ، قال : وبقيت رجلاه ؛ فلما كان بعد العصر قال : يا رب عَجِّلْ قبل الليل ، فذلك قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده ، إلا صار لحما ودمًا ؛ فلما انتهت النفخة إلى سرتة ، نظر إلى جسده ، فأعجبه ما رأى من جسده ، فذهب لينهض ، فلم يقدر ، فهو قول الله تبارك وتعالى ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) قال : ضَجِيرًا ، لا صبر له على سراء ، ولا ضراء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَمَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَيَّتَيْنِ فَمَحَوْنَا ، آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَمَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، لَتَبْتَغُوا

فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ، وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومن نعمته عليكم أيها الناس ، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار ، بإظلامه علامة الليل ، وإضاءته علامة النهار ، لتسكنوا في هذا ، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا ، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها ، وابتداء دخولها ، وحساب ساعات النهار والليل

وأوقاتها (وكل شئٍ فصلناه تفصيلا) يقول: وكل شئٍ بيناه بيانا شافيا لكم أيها الناس، لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطمخيل، قال: قال ابن الكوّاء<sup>١</sup> لعلّي: يا أمير المؤمنين، ماهذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن (فحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ)، فهذه محوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سألت ابن الكوّاء عليا فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال عليّ: (فحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً) هُوَ الْمَحْو.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عمر، قال: كنت عند عليّ، فسأله ابن الكوّاء عن السواد الذي في القمر؟ فقال: ذلك آية الليل محيت.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا عمران بن حدير، عن رفيع بن أبي كثير، قال: قال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: سألوا عما شئتم، فقام ابن الكوّاء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قال: ذلك محو الليل.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا ابن عفير، قال: ثنا ابن أبي عمير، عن حسيب بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلا قال لعلّي: ما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله يقول (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ، فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ، فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال: هو السواد بالليل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ذكر ابن جريج، عن مجاهد، في قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) قال: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل (فحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال: السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله.

(١) ابن الكوّاء: هو عبد الله بن الكوّاء الخارجي، أحد الذين كانوا مع عليّ في صفين، ثم فارقه بعد التحكيم. فكان من زعماء الخوارج.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك خلقهما الله . قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال ( فَتَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) قال : ظلمة الليل وسُدُوقَةُ النَّهَارِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) ، فَتَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) : أى منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك جعلهما الله . واختلف أهل العربية في معنى قوله ( وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) فقال : بعض نحوِّي الكوفة : معناها : مضيئة ، وكذلك قوله ( وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ) معناه : مضيئا ، كأنه ذهب إلى أنه قيل مبصرا ، لإضاءته للناس البصر . وقال آخرون : بل هو من أبصر النهار : إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولهم : رجل مُجَبِّين : إذا كان أهله وأصحابه جبناء ، ورجل مُضْعِيف : إذا كانت رُواته ضعفاء ، فكذلك النهار مبصرا : إذا كان أهله بصراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ) قال : جعل لكم سبحا طويلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ) : أى بيَّناه تبيينا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَلَّ إِنْسَانَ أَزْمَنَهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَدْشُورًا (١٣)

يقول تعالى ذكره : وكلَّ إنسانَ أزمناه ما قضي له أنه عامله ، وهو صائر إليه ، من شقاء أو سعادة بعمله ، في عنقه لا يفارقه . وإنما قوله ( أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ) مثَّل لما كانت العرب تتفاعل به أو تتشامم ، من سوانح الطير وبوارحها ، فأعلمهم جل ثناؤه أن كلَّ إنسان منهم قد أزمه ربه طائره في عنقه ، نحسا كان ذلك الذي أزمه من الطائر ، وشقاء يورده سعيرا ، أو كان سعدا يورده جنات عدن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثني أبي ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله



أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عَدْوَى وَلَا طَيْسِرَةَ، وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ». حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشائم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: عمله وما قُدِّرَ عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائرته: عمله. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طائرته: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان؛ وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو جميعاً عن منصور، عن مجاهد (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفُقَيْمِي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شق أو سعيد. قال: وسمته يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ): إى والله بسعادته وشقائه بعمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائرته: عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: أَلْزَمْنَاهُ فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوق، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم، وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنائبات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ).

واختلفت القرآء في قراءة قوله (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قرآء العراق (وَنُخْرِجُ) بالنون (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) بفتح الياء من يلقاه، وتخفيف القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة رداً على قوله (أَلْزَمْنَاهُ)، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشوراً. وكان بعض قرآء أهل الشام يوافق هؤلاء على

قراءة قوله (وَيُخْرِجُ) ، ويخالفهم في قوله (يَلْقَاهُ) فيقرؤه (يَلْقَاهُ) بضم الياء وتشديد القاف ، بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه ، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله ، فيقول : يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشورا .

وذكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم عن حميد ، عن مجاهد أنه قرأها (وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) قال : يزيد : يعني يُخْرِجُ الطائر كتابا ، هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء ، وهي قراءة الحسن البصرى وابن مُحَيِّصن ؛ وكان من قرأ هذه القراءة وجهه تأويل الكلام إلى : وَيُخْرِجُ له الطائر الذي ألزماه عنق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتابا يقرؤه منشورا . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (وَيُخْرِجُ له) بضم الياء ، على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، وكأنه وجهه معنى الكلام إلى وَيُخْرِجُ له الطائر يوم القيامة كتابا ، يريد : وَيُخْرِجُ الله ذلك الطائر قد صيره كتابا ، إلا أنه نحاها نحو ما لم يسمّ فاعله .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه (وَيُخْرِجُ) بالنون وضمها (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) بفتح الياء وتخفيف القاف ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى ، أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك . فالصواب أن يكون الذي يليه خبرا عنه ، أنه هو الذي يخرج له يوم القيامة ، وأن يكون بالنون ، كما كان الخبر الذي قبله بالنون . وأما قوله (يَلْقَاهُ) فإنّ في إجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك ، وشدوذ ما خالفه ، الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين : أعني ضمّ الياء وفتحها في ذلك ، وتشديد القاف وتخفيفها فيه ؛ فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا ، فتأويل الكلام : وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم ، ألزماه نحسه وسعده ، وشقاه وسعادته ، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه ، وعامل من الخير والشرّ في عنقه ، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله ، وما كتبنا له أنه صائر إليه ، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا ، بأعماله التي عملها في الدنيا ، وبطائره الذي كتبنا له ، وألزمناه إياه في عنقه ، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) قال : هو عمله الذي عمل أحصى عليه ، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل ، يلقاه منشورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) : أي عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ

فِي عُنُقِهِ ) قال : عمله ( وَنُخْرِجُ لَهُ ) قال : نخرج ذلك العمل ( كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ) قال معمر : وتلا الحسن ( عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا ) يا بن آدم ، بسطت لك صحيفتك ، ووَكَّل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك . فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك . وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أَقْبَلْ أو أَكْثَر ، حتى إذا مت طُوبِت صحيفتك ، فجعلت في عنقك معك في قبرك . حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ( اقْرَأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَذَابَكَ حَسِيبًا ) قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : طائره : عمله ، ونُخْرِج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا .

وقد كان بعض أهل العربية يتأول قوله ( وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ) : أى حظّه من قولهم : طار سهم فلان بكذا : إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء ، وذلك وإن كان قولاً له وجه ، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت ، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره ، على أن ما قاله هذا القائل ، إن كان عنى بقوله حظّه من العمل والشقاء والسعادة ، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)

يقول تعالى ذكره ( وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ) فيقال له ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) ، فترك ذكر قوله : فنقول له ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه . وعنى بقوله ( اقْرَأْ كِتَابَكَ ) : اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا ، الذي كان كاتبانا يكتبانه ، ونخصيه عليك ( كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) يقول : حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك ، فيحصيها عليك ، لا يبتغي عليك شاهداً غيرها ، ولا تطلب عليك مُحْصِيًا سواها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّٰ فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ،

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : من استقام على طريق الحق فاتبعه ، وذلك دين الله الذي ابتهت به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ( فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) يقول : فليس ينفع بلزومه الاستقامة ، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ( وَمَنْ ضَلَّ ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، فأخذ على غير هُدًى ، وكفر بالله وبمحمد صلى

الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق ، فليس يضمر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه ، لأنه يُوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه . وإنما عني بقوله ( فَلَا تَمَّا يَتَّصِلُ عَلَيْهَا ) : وإنما يكسب إثم ضلاله عليها ، لاعلى غيرها . وقوله ( وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أَخْرَى ) يعنى تعالى ذكره : ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام . وقال ( وَازِرَةٌ وَزَرَ أَخْرَى ) لأن معناها : ولا تنزرن نفس وازرة ووزرن نفس أخرى ، يقال منه : وزرت كذا أزره ووزرا ، والوزر : هو الإثم ، يجمع أوزارا ، كما قال تعالى ( وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) وكان معنى الكلام : ولا تنأثم آثمة إثم أخرى ، ولكن على كل نفس إثمها ، دون إثم غيرها من الأنفس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أَخْرَى ) والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ، ولا يؤاخذ إلا بعمله .

وقوله ( وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسول ، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عندهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبر ، أو يأتيه من الله بيئته ، وليس معذبا أحدا إلا بذنبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ، قال : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله تبارك وتعالى نسَمَ الذين ماتوا في الفسقة ، والمعنوه والأصم والأبكم ، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خسر قوا ، ثم أرسل رسولا : أن ادخلوا النار ، فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ، وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بَرْدًا وسلاما ، ثم يرسل إليهم ، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل : قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ( وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة : نحوه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فَدَمَّرْنَاهَا

تدميرا (١٦)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) : فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ( أَمَرْنَا ) ، بقصر الألف وغير مدها ، وتخفيف الميم وفتحها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، فإن الأغلب من تأويله : أمرنا مترفيها بالطاعة ، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله ، وخلافهم أمره ، كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( أمرنا مُسْتَرْفِيهَا ) قال : بطاعة الله ، فعصوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا شريك ، عن سلمة أو غيره ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرنا بالطاعة فعصوا . وقد يحتمل أيضا إذا قرئ كذلك أن يكون معناه : جعلناهم أمراء ، ففسقوا فيها ، لأن العرب تقول : هو أمير غير مأمور . وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها ، ويحتاج لتصحيحه ذلك بالخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ ، مَا مُورَةٌ ، أَوْ سِكَّةٌ مَا بُورَةٌ » ، ويقول : إن معنى قوله : مأمورة : كثيرة النسل . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قبيله ، ولا يجيزنا أمرنا ، بمعنى أكثرنا ، إلا بمدّ الألف من أمرنا . ويقول في قوله « مُهْرَةٌ مأمورة » : إنما قيل ذلك على الانبعاث ، لحيء مأمورة بعدها ، كما قيل : « اَرْجِعَنَّ مَا زُورَاتٍ غَيْرَ مَا جُورَاتٍ » فهمز ما زورات ، لهمز ما جورات ، وهى من وَزَرْتُ ، إتباعا لبعض الكلام بعضا . وقرأ ذلك أبو عثمان ( أمرنا ) بتشديد الميم ، بمعنى : الإمارة .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ عن عوف ، عن أبي عثمان النهدي ، أنه قرأ ( أمرنا ) مشددة من الإمارة . وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل ، جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أمرنا مُسْتَرْفِيهَا ) يقول : سلطنا أشرارها ، فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يحدث عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، أنه قرأها ( أمرنا ) وقال : سلطنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي حفص ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : ( أمرنا ) مثقلة : جعلنا عليها مُسْتَرْفِيهَا : مستكبريها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ( أمرنا مُسْتَرْفِيهَا ) قال : بعثنا حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك ( أمرنا ) بمدّ الألف من أمرنا ، بمعنى : أكثرنا فسقتها . وقد وجه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ، إلا أن الذين حدثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك ، وكيف قرأ ذلك المتأولون ، إلا القليل منهم .

## ذكر من تأول ذلك كذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ) يقول : أكثرنا عددهم .  
حدثنا هشاد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة قوله ( أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ) يقول : أكثرنا مترفيا : أي كبراءها .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ) يقول : أكثرنا مترفيا : أي جبارتها ، ففسقوا فيها ، وعملوا بمعصية الله ( فَنَدِمْنَاهَا نَدْمَ مِيرًا ) وكان يقال : إذا أراد الله بقوم صلاحا ، بعث عليهم مصلحا ، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا ، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول : لا إله إلا الله ، ويئل للعرب من شرٍ قد اقترَب ، ففتح اليوم من ردمٍ يا جوج ومأجوج مثل هذا ، وحسب بين إبهامه والتي تليها ، قالت : يا رسول الله ، أهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثرت الخبيث » .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُسْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ) قال : ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا : أكثرنا . قال : والعرب تقول للشيء الكثير أمير لكثرتة . فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا ، فإنه يقال : أمير بنو فلان ، وأمير القوم بأمرون أمرا ، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم ، كما قال لبيد :  
إِنْ يَغْبِطُوا يَغْبِطُوا وَيَهْبِطُوا وَإِنْ أَمِيرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْقُلِّ وَالنَّفْسِ  
والأمير المصدر ، والامير الإمير ، كما قال الله جل ثناؤه ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ) قال : عظيما ، وحكي في مثل شر إمرا : أي كثير .

(١) البيت في ديوان لبيد طبع في سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ص ١٩ وفي روايته آخر البيت : « للهلك والنكد » في موضع : للقل والنكد في رواية المؤلف . وقال شارحه : يقول : إن غبطوا يوما فإنهم يموتون . ويبطوا هاهنا : يموتون . قال أبو الحسن وهو قول أبي عمرو . ويروي : « إن يغبطوا يعبطوا : يموتون عبطة ، كأنهم يموتون من غير مرض . ويقال لثناقة إذا ذبحت من غير علة : اعبطت ، أخذته من العبيط . والعبيط : الطرى من كل شيء » . اهـ . قلت : والقل والنكد : بمعنى القلة والفناء .

﴿ وَأُولَى الْقُرْآنَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ : قِرَاءَةٌ مِنْ قُرْأٍ ( أَمَرْنَا مُسْتَرَفِيهَا ) بِقِصْرِ الْأَلْفِ مِنْ أَمْرِنَا ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ مِنْهَا ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءِ عَلَى تَصْوِيبِهَا ، دُونَ غَيْرِهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَوَّلَى بِالصَّوَابِ بِالْقِرَاءَةِ ، فَأَوَّلَى النَّأْوِيَّاتِ بِهِ تَأْوِيلٌ مِنْ تَأْوِيلِهِ : أَمَرْنَا أَهْلَهَا بِالطَّاعَةِ ، فَعَصَوْا وَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ مَعْنَى أَمْرِنَا : الْأَمْرُ ، الَّذِي هُوَ خِلَافُ النَّهْيِ ، دُونَ غَيْرِهِ ، وَتَوْجِيهِ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَى الْأَشْهُرِ الْأَعْرَفِ مِنْ مَعَانِيهِ ، أَوَّلَى ( مَا وَجِدَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ) مِنْ غَيْرِهِ .

ومعنى قوله ( فَمَنَسَقُوا فِيهَا ) : فَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ فِيهَا ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ ( فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ) يقول : فَوَجِبَ عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ اللَّهُ وَفَسَوْقَهُمْ فِيهَا ، وَعِيدُ اللَّهِ الَّذِي أَوْعَدَ مِنْ كُفْرِهِ ، وَخَالَفَ رِسْلَهُ ، مِنَ الْهَلَاكِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنذَارِ ، بِالرَّسْلِ وَالْحُجْجِ ( فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) يقول : فَخَرَّبْنَاهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَخْرِيْبًا ، وَأَهْلَكْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا إِهْلَاكًا ، كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَكَانَ لَطْمٌ كَبِيكْرٍ ثَمُودَ تَمَّا رَغَا ظَهْرًا فَدَمَرَهُمْ دَمَارًا

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَم أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)

﴿ وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَكْتَذِبِي رَسُولِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ ، وَتَهْدِيدُهُمْ لَهُمْ بِالْعِقَابِ ، وَإِعْلَامُ مَنْهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ ، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّهُ مُجِئٌ بِهِمْ تَخْطِئُهُ ، وَمَنْزِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، الَّذِينَ سَلَكُوا فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَتَكْذِيبِ رِسْلِهِ سَبِيلَهُمْ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَى زَمَانِكُمْ ، قَرُونًا كَثِيرَةً ، كَانُوا مِنْ جَحُودِ آيَاتِ اللَّهِ وَالْكَفْرِ بِهِ ، وَتَكْذِيبِ رِسْلِهِ ، عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتُمْ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، فَيُعَذِّبُ قَوْمًا بِمَا لَا يُعَذِّبُ بِهِ آخَرِينَ ، أَوْ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِ نَاسٍ ، فَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا آخَرِينَ . يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فَأَنْبِئُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ ، فَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يَنْبِئُكُمْ عَلَى حُبِّجَنَّا عَلَيْكُمْ ، وَيُوقِظُكُمْ مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَلَمْ نَكُنْ لِنُعَذِّبْ قَوْمًا حَتَّى نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْبِئًا لَهُمْ عَلَى حُجْجِ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى فُسُوقِكُمْ مَقِيمُونَ . وَكَفَى بِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا . يَقُولُ : وَحَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللَّهِ خَابِرًا بِذُنُوبِ خَلْقِهِ عَالِمًا ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَا أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٤٤٣) استشهد به المؤلف على أن قوله تعالى : « فدمرناها تدميرا » معناه : خربناها تخريبا .

والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التي مطلعها :

أَلَا حَيَّ الدِّيَارَ بَسُّعَدًا إِنْ أَحَبَّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارَ

والضمير في قوله « وكان لهم كيبكر ثمود » راجع إلى جرير المذكور في البيت قبله وهو :

جَرَّ الْمُخْرِيَّاتِ عَلَى كُنُتَيْبِ جَرِيرٍ ثُمَّ مَا مَنَعَ الدَّمَارَ

وبكر ثمود : وله ناقة صالح . ورغا : صوت . والرغاء : صوت ذوات الخف .

من خلقه ، هو يجمع ذلك عالم خابر . بصير : يقول : يبصر ذلك كله ، فلا يغيب عنه منه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

وقد اختلف في مبلغ مدة القرن ، فحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : القرن : عشرون ومئة سنة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن كان ، وآخرهم يزيد بن معاوية . وقال آخرون : بل هو مئة سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصي أبو الصلت الطائي ، قال : ثنا سلامة بن حوأس ، عن محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن بسير المازني ، قال : وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال : « سيبعيش هذا الغلام قرننا ، قلت : كم القرن ؟ قال : مئة سنة » .

حدثنا حسان بن محمد ، قال : ثنا سلامة بن حوأس ، عن محمد بن القاسم ، قال : مازلنا نعد له حتى تمت مئة سنة ثم مات . قال أبو الصلت : أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا ، كان حنتين عبد الله بن بسير . وقال آخرون في ذلك بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاعر ، عن ابن سيرين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرن أربعون سنة » .

وقوله ( وكفى بربك ) أدخلت الباء في قوله ( بربك ) وهو في محل رفع ، لأن معنى الكلام : وكفاك ربك ، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا ، دلالة على المدح ، وكذلك تفعل العرب في كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم ، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع ، لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم : أكرم به رجلا ، وناهيك به رجلا ، وجاد بثوبك ثوبا ، وطاب بطعامكم طعاما ، وما أشبه ذلك من الكلام ، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء ، رفعت ، لأنها في محل رفع ، كما قال الشاعر :

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ هَدْيُهُ      كَفَى الْمَدَى عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذم ، فلا يدخلون في الاسم الباء ، لا يجوز أن يقال : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، إلا أن تريد : قام رجل آخر به ، وذلك معنى غير المعنى الأول .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٨) قال : « وكل ما في القرآن من قوله : ( وكفى بربك ) ، و ( كفى بالله ) و ( كفى بنفسك اليوم ) : فلو أقيمت الباء ، كان الخوف مرفوعا ، كما قال الشاعر : « ويخبرني . . . البيت » . وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه ؛ ألا ترى أنك تقول : كفاك به ، ونهاك به ، وأكرم به رجلا ، وبئس به رجلا ، ونعم به رجلا ، وطاب بطعامك طعاما ، وجاد بثوبك ثوبا . ولو لم يكن مدحا أو ذما لم يجوز دخولها ؛ ألا ترى أن الذي يقول : قام أخوك ، أو قعد أخوك ، لا يجوز له أن يقول : قام بأخيك ، ولا قعد بأخيك ؛ إلا أن تريد قام به غيره ، وقعد به » . اهـ . وقد اغترف المؤلف من كلام الفراء ما شاء ، غير أنه لم يعزه إلى قائله في هذا الموضوع .



القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا

مَذْحُورًا (١٨)

يقول تعالى ذكره : من كان طلبه الدنيا العاجلة ، ولها يعمل ويسعى ، وإياها يبتغي ، لا يؤقن بمعاد ، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله ( عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) يقول : يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه ، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به ، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته ( ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا ) يقول : ثم أصليناه عند مقدّمه علينا في الآخرة جهنم ، ( مَذْمُومًا ) على قلّة شكره إيانا ، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا ( مَذْحُورًا ) يقول : مُبْعَدًا : مُقْصِيًّا فِي النَّارِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) يقول : من كانت الدنيا همه وسدّامه وطلبته ونيته ، عجل الله له فيها ما يشاء ، ثم اضطّره إلى جهنم ، قال : ( ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ) مَذْمُومًا في نعمة الله مدحورا في نعمة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة ، أنه سمع أبا إسحاق الفزاري يقول : ( عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) قال : لمن نريد هلكته .

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مَذْمُومًا ) يقول : ملوما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) قال : العاجلة : الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)

يقول تعالى ذكره : من أراد الآخرة ، وإياها طلب ، ولها عمل عملها ، الذي هو طاعة الله ، وما يرضيه عنه ، وأضاف السعي إلى الهاء والألف ، وهي كناية عن الآخرة ، فقال : وسعى للآخرة سعى الآخرة ، ومعناه : وعمل لها عملها ، لمعرفة السامعين بمعنى ذلك ، وأن معناه : وسعى لها وهو مؤمن ، يقول : هو مؤمن مصدّق

بثواب الله، وعظيم جزائه على سعيه لها ، غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة ، يقول الله جل ثناؤه : فأولئك : يعني : فمن فعل ذلك ( كَانَ سَعِيهِمْ ) يعني عملهم بطاعة الله ( مَشْكُورًا ) وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك : حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة ، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ) : شكر الله لهم حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره : يُمَدِّدُ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ مَرِيدِي الْعَاجِلَةِ ، وَمَرِيدِي الْآخِرَةِ ، السَّاعِي لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، مِنْ عَطَائِهِ ، فَيُرْزَقُهُمَا جَمِيعًا مِنْ رِزْقِهِ ، إِلَىٰ بُلُوغِهِمَا الْأَمَدَ ، وَاسْتِيفَايَهُمَا الْأَجَلَ مَا كُتِبَ لِمَا ، ثُمَّ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُمَا الْأَحْوَالُ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَتَفْتَرِقُ بَيْنَهُمَا بَعْدَ الْوُرُودِ الْمَصَادِرِ ، فَفَرِيقٌ مَرِيدِي الْعَاجِلَةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ مَصْدَرُهُمْ ، وَفَرِيقٌ مَرِيدِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ مَأْبَهُمْ . ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) : يقول : وما كان عطاء ربك الذي يؤتاه من يشاء من خلقه في الدنيا ، ممنوعاً عن بسطه عليه ، لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك ، وقد آتاه الله إياه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) : أي منقوصاً ، وإن الله عز وجل قسم الدنيا بين البرِّ والفاجر ، والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : منقوصاً .

حدثنا محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت السراج ، قال : سمعت الحسن يقول : ( كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ) قال : كَلَّا نعطي من الدنيا ، البرِّ والفاجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ) . . . الآية ( وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ) . . . ثم قال ( كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ) قال ابن عباس : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد الآخرة . قال ابن جريج ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : ممنوعاً .

حدثنا بشر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ) أهل الدنيا وأهل الآخرة ( مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : ممنوعاً .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ) : أهل الدنيا وأهل الآخرة . ( مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) من بر ولا فاجر ، قال : والمحظور : الممنوع ، وقرأ ( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ، وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة ، وإياها يطلب ، ولها يعمل ؛ والآخر الذي يريد الدار الآخرة ، ولها يسعى موقناً بثواب الله على سعيه ، كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر ، بأن بصرنا هذا رشده ، وهديناه للسبيل التي هي أقوم ، ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد ، وخذلنا هذا الآخر ، فأضللناه عن طريق الحق ، وأغشيناه بصره عن سبيل الرشده . ( وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ) : يقول : وفريق مرید الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض ، لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة ( وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) بتفضيل الله بعضهم على بعض ، من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا ، فيما بسطناه لهم فيها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ) : أي في الدنيا ( وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) : وإن للمؤمنين في الجنة منازل ، وإن لهم فضائل بأعمالهم . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم ، درجة كالنجم يرمى في مشارق الأرض ومغاربها » .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَجْمَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْدِمَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : لا تجعل يا محمد مع الله شريكاً في ألوهته وعبادته ، ولكن أخلص له العبادة ، وأفرد له الألوهة ، فإنه لا إله غيره ، فإنك إن جعل معه إلهاً غيره ، وتعبد معه سواه ، تقدم مذموماً يقول : تصير ملوماً على ماضيت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه ، وتصيرك الشكر لغير من أولاك المعروف ، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره ،

مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوفا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه، لم يكن لك من دونه ولىٰ  
ينصرك ويدفع عنك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْتُومًا وَلَا ) يقول : مذموما في نعمة الله : وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب  
لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، فهو معنى به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؛ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا  
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ ، وَلَا تَنْهَرُهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)

يعنى بذلك تعالى ذكره : حَكَمَ ربك يا محمد بأمره إياكم ، ألا تعبدوا إلا الله ، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره .  
وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ ) وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا .

ذكر ما قالوا في ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس  
( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) يقول : أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا زكريا بن سلام ، قال : جاء رجل إلى الحسن ،  
فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فقال : إنك عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرجل : قضى الله  
ذلك علي . قال الحسن ، وكان فصيحاً : ما قضى الله : أى ما أمر الله ، وقرأ هذه الآية ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا  
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) فقال الناس : تكلم الحسن في القدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا  
إِيَّاهُ ) : أى أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه ، فهذا قضاء الله العاجل ، وكان يُقال في بعض الحكمة : من  
أرضى والديه : أرضى خالقه ، ومن أخط والديه ، فقد أخط ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا  
إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وفي حرف ابن مسعود ( وَوَصَّىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، قال : ثنا نصير بن أبي الأشعث ، قال : ثنا ابن حبيب  
ابن أبي ثابت ، عن أبيه ، قال : أعطاني ابن عباس مُصْحَفًا ، فقال : هذا على قراءة أبي بن كعب ، قال  
أبو كريب : قال يحيى : رأيت المصحف عند نصير فيه ( وَوَصَّىٰ رَبُّكَ ) يعنى : وقضى ربك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : وأوصى ربك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَوَصَّى رَبُّكَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قرأها ( وَوَصَّى رَبُّكَ ) وقال : إنهم ألصقوا الواو بالصاد ، فصارت قافا .

وقوله ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) يقول : وأمركم بالوالدين إحسانا، أن تحسنوا إليهما وتبروهما . ومعنى الكلام : وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين ؛ فلما حذف « أَنْ » تعلق القضاء بالإحسان، كما يقال في الكلام : أمرك به خيرا ، وأوصيك به خيرا ، بمعنى : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف « أَنْ » فيتعلق الأمر والوصية بالخير ، كما قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا  
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّ جَافُونَا

وعمل يوصينا في الخير :

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قراء الكوفيين ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ ) على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد ، فوحدوا ( يَبْلُغَنَّ ) لتوحيده ، وجعلوا قوله ( أَوْ كِلَاهُمَا ) معطوفا على الأحد . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( إِمَّا يَبْلُغَانَّ ) على التثنية وكسر النون وتشديدها ، وقالوا : قد اذكر الوالدين قبل ، وقوله ( يَبْلُغَانَّ ) خبر عنهما بعد ما قدّم أسماءهما ، قالوا : والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة . قالوا : والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الألف والنون . قالوا : وقوله ( أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) كلام مستأنف ، كما قيل : ( فَعَمَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ) وكقوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) ، ثم ابتداء فقال : ( الَّذِينَ ظَلَمُوا ) .

وأولى القراءتين بالصواب عندى في ذلك : قراءة من قرأه ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ ) على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما ، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين ، قد تناهى عند قوله ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) ثم ثم ابتداء قوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) .

وقوله ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفَّ ) يقول : فلا تؤفّف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما ، يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما ، كما صبرنا عليك في صغرك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز . وهي من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ١٧٨) قال : (والعرب تقول : أو صيك به خيرا ، وأمرك به خيرا ، وكان معناه : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية والأمر ، قال الشاعر : عَجِبْتُ . . . الأبيات .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( فَلَا تَقُلْ لَطْمًا أَفَّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ) قال : إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن ، فلا تقل لهما أفَّ تَقَدَّرَ رُهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد إما يبلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أفَّ حين ترى الأذى ، وتُمَيِّطُ عنهما الحتلاء والبول ، كما كانا يُمَيِّطَانَهُ عَنكَ صغيرا ، ولا تؤذهما .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أف» ، فقال بعضهم : معناه : كل ما غلظ من الكلام وقبح . وقال آخرون : الأُفُّ : وسخ الأظفار ، والتُّفُّ كل ما رَفَعَتْ يَدُكَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ . وللعرب في «أف» لغات ست : رفعا بالتنوين ، وغير التنوين ، وخفضها كذلك ، ونصبها ؛ فمن خفض ذلك بالتنوين ، وهي قراءة عامة أهل المدينة ، شَبَّهَهَا بِالْأَصْوَاتِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا ، كَقَوْلِهِمْ فِي حِكَايَةِ الصَّوْتِ : غَاقٍ غَاقٍ ، فَخَفَضُوا الْقَافَ وَنَوَّنُوهَا ، وَكَانَ حِكْمُهَا السُّكُونُ ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ يَعْرِبُهَا ، مِنْ أَجْلِ مَجِيئِهَا بَعْدَ حَرْفٍ سَاكِنٍ ، وَهُوَ الْأَلْفُ ، فَكَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ سَاكِنَيْنِ ، فَحَرَّكَوْا إِلَى أَقْرَبِ الْحَرَكَاتِ مِنَ السُّكُونِ ، وَذَلِكَ الْكَسْرُ ، لِأَنَّ الْخِزْوَمَ إِذَا حَرَّكَ ، فَإِنَّمَا يَحْرُكُ إِلَى الْكَسْرِ . وَأَمَّا الَّذِينَ خَفَضُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ قَرَأَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا يَدْخُلُونَ التَّنْوِينَ فِيمَا جَاءَ مِنَ الْأَصْوَاتِ نَاقِصًا ، كَالَّذِي يَأْتِي عَلَى حَرْفَيْنِ ، مِثْلَ مَهْ وَصَهْ وَبِخْ ، فَيَتَمَمُ بِالتَّنْوِينِ ، لِتَقْصَانِهِ عَنِ أَبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ . قَالُوا : وَأَفٌّ تَامٌ لِأَحَاجَةِ بِنَا إِلَى تَمَتُّهِ بِغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ . قَالُوا : وَإِنَّمَا كَسَرْنَا الْفَاءَ الثَّانِيَةَ ، لِثَلَاثَةِ تَجْمُوعِ بَيْنِ سَاكِنَيْنِ . وَأَمَّا مِنْ ضَمِّ وَنَوْنٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ : هُوَ اسْمُ كَسَائِرِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تُعْرَبُ ، وَلَيْسَ بِصَوْتٍ ، وَعَدَلَ بِهِ عَنِ الْأَصْوَاتِ . وَأَمَّا مِنْ ضَمِّ ذَلِكَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ : لَيْسَ هُوَ بِاسْمٍ مَتَمِّكِنٍ ، فَيُعْرَبُ بِإِعْرَابِ الْأَسْمَاءِ الْمُتَمَكِّنَةِ ، وَقَالُوا : نَضَمَهُ كَمَا نَضَمَ قَوْلَهُ ( لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ) ، وَكَأَنَّ نَضَمَ الْأِسْمِ فِي النَّدَاءِ الْمَفْرَدِ ، فَتَقُولُ : يَا زَيْدُ . وَمَنْ نَصَبَهُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، وَهُوَ قِرَاءَةٌ بَعْضِ الْمَكِّيِّينَ وَأَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَّهُ شَبَّهَهُ بِقَوْلِهِمْ : مُدًّا يَا هَذَا وَرُدًّا . وَمَنْ نَصَبَ بِالتَّنْوِينِ ، فَإِنَّهُ أَعْمَلُ الْفِعْلِ فِيهِ ، وَجَعَلَهُ اسْمًا صَحِيحًا ، فَيَقُولُ : مَا قُلْتُ لَهُ : أَفًّا وَلَا تَفًّا .

وكان بعض نحوِّي البصرة يقول : قُرِئَتْ : أَفَّ ، وَأَفَّا ، لَعْنَةً جَعَلُوهَا مِثْلَ نَعْتِهَا . وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ «أَفَّ» ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ : أَفَّ لَكَ عَلَى الْحِكَايَةِ : أَيْ لَا تَقُلْ لَهَا هَذَا الْقَوْلَ . قَالَ : وَالرَّفْعُ قَبِيحٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْ بَعْدَهُ بِلَامٍ ، وَالَّذِينَ قَالُوا : «أَفَّ» فَكَسَرُوا كَثِيرًا ، وَهُوَ أَجْوَدُ . وَكَسَرُ بَعْضُهُمْ وَنَوْنٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : «أَفِّي» ، كَأَنَّهُ أَضَافَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : أَفِّي هَذَا لَكُمَا ، وَالْمَكْسُورُ مِنْ هَذَا مَنْوُونٌ وَغَيْرُ مَنْوُونٍ ، عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ غَيْرٌ مَتَمِّكِنٍ ، نَحْوُ أَمْسٍ وَمَا أَشْبَهَهُ ، وَالْمَفْتُوحُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ كَذَلِكَ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ : كُلُّ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ السَّتِّ تَدْخُلُ فِي «أَفَّ» حِكَايَةً ، تَشَبَّهُهُ بِالْأِسْمِ مَرَّةً ، وَبِالصَّوْتِ أُخْرَى . قَالَ : وَأَكْثَرُ مَا تُكْسَرُ الْأَصْوَاتُ بِالتَّنْوِينِ ، إِذَا كَانَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ ، مِثْلَ صَهْ وَمَهْ وَبِخْ . وَإِذَا كَانَتْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ شَبَّهَتْ

بالأدوات « أَفَّ » مثل: لبت ومدَّ، وأُفَّ مثل مُدَّ، يشبهه بالأدوات<sup>١</sup>. وإذا قال أَفَّ مثل صَهَّ. وقالوا سمعت مِضِيًّا يا هذا ومِضِيًّا. وحكى عن الكسائي أنه قال: سمعت « ما علمك أهلك إلا مِضِيًّا ومِضِيًّا »، وهذا كَأَفَّ وَأَفَّ. ومن قال: « أَفًّا » جعله مثل مُخْفًا ومُخْفًا بعدا.

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك: قراءة من قرأه (فلا تَقُلْ لَهْمَا أَفَّ) بكسر الفاء، بغير تنوين، لعليتين: إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها، وأفصحها عند العرب. والثانية: أن حظَّ كلِّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون، فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أَفَّ حظها الوقوف، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل، لاجتماع الساكنين فيه. وكان حكم الساكن إذا حُرِّك أن يحرك إلى الكسر، حرَّكت إلى الكسر، كما قيل: مُدَّ وشُدَّ ورُدَّ الباب.

وقوله (وَلَا تَنْهَرَهُمَا) يقول جل ثناؤه: ولا ترجرهما.

كما حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرقاشي، عن عطاء ابن أبي رباح، في قوله (وَلَا تَقُلْ لَهْمَا أَفَّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا) قال: لا تنفض يدك على والديك، يقال منه: نَهَرَهُ يَنْهَرُهُ نَهْرًا، وانتهره ينتهره انتهارًا.

وأما قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) فإنه يقول جل ثناؤه: وقل لهما قولًا جميلًا حسنًا.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) قال: أحسن ما تجد من القول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب (قَوْلًا كَرِيمًا) قالوا: لا تمتنع من شيء يريدانه.

قال أبو جعفر: وهذا الحديث خطأ، أعنى حديث هشام بن عروة، إنما هو عن هشام بن عروة، عن أبيه، ليس فيه عمر، حدث عن ابن علية وغيره، عن عبد الله بن المختار:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا): أي قولًا لينًا سهلًا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرملة بن عمران، عن أبي الهذاج التميمي، قال قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله عز وجل في القرآن من بر الوالدين، فقد عرفته، إلا قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)

(١) ليس كلام المؤلف في تخريج اللغات الست في كلمة « أف » واضحا، وقد بينته المعاجم (اللسان: أف)، انظر معاني القرآن للقراء (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٩) ففية ما يوضح هذا الموضوع من كلام المؤلف، وهو كثير لم نرد أن نطول به ذبول الكتاب.

يقول تعالى ذكره : وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية ، ولا تخالفهما فيما أحبباً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء يحببانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، قال : سمعت هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن تلين لهما ، حتى لا تمتنع من شيء أحببانه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا الثوري ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء أحببانه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن لا تمتنع من شيء يريدانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن ، عن حرمة بن عمران ، عن أبي الهذاج ، قال :

قلت لسعيد بن المسيب : ما قوله (وَآخِضِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : ألم تر إلى قول العبد المذنب ، للسيد الفظ الغليظ . والذل بضم الذا والذلة مصدران من الذليل ، وذلك أن يتدلل ، وليس بذليل في الحلقة ، من قول القائل : قد ذلت لك أذل ذلة وذلاً ، وذلك نظير القمل والقالة ، إذا أسقطت الهاء ضمت

الذال من الذل ، والقاف من القمل ، وإذا أثبت الهاء كسرت الذال من الذلة ، والقاف من القيلة ، بما قال الأعشى :

وَمَا كُنْتُ قَلًا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيِبًا

يريد : القلة . وأما الذل ، بكسر الذا وإسقاط الهاء ، فإنه مصدر من الذلول من قولهم : دابة ذلول : بينة الذل ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة . ومنه قول الله جل ثناؤه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا) يجمع ذلك ذللاً ، كما قال جل ثناؤه (فاسئلكي سبيل ربك ذللاً) . وكان مجاهد يتأول

ذلك أنه لا يتوَعَّر عليها مكان سلكته .

(١) هذا عجز بيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١١٥) من قصيدة يهجوها عمرو بن المنذر بن عيدان ، ويعاتب بني سعد بن قيس . وصدره : « فأرضوه أن أعطوه مني ظلاماً » . وقال في (لسان العرب : زيب) الأزيب : الدعى ؛ قال الأعشى يذكر رجلاً من قيس عيلان ، كان جاراً لعمرو بن المنذر ، وكان أتهم هداجاً قائد الأعشى بأنه سرق راحلة له ، لأنه وجد بعض لحمها في بيته ، فأخذ هداج وضرب والأعشى جالس ؛ فقام ناس منهم ، فأخذوا من الأعشى قيمة الراحلة ، فقال الأعشى :

دَعَا رَهْطَهُ حَوْلِي فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ      وَنَادَيْتُ حَبِيًّا بِالْمُسْتَسْنَاءِ غَيْبًا  
فَأَعْطَوْهُ مِنِّي النَّصْفَ أَوْ أضعفوا له      وَمَا كُنْتُ قَلًا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيِبًا

أي كنت غريباً في ذلك الموضع ، لاناصر لي . والنصف : النصفه . يقول : أرضوه وأعطوه النصف أو فوقيه . والقل من الرجال : الخسيس ، ومنه قول الأعشى : اه .



واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام ( وَأَخْفِضْ كَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ) بضم الذال على أنه مصدر من الذليل . وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدري ( جَنَاحَ الذُّلِّ ) بكسر الذال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ ( وَأَخْفِضْ كَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) قال : كن لهما ذليلا . ولانكن لهما ذلولاً .  
حدثنا نصر بن علي ، قال : أخبرني عمر بن شقيق ، قال : سمعت عاصم الجحدري يقرأ ( وَأَخْفِضْ كَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولاً .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عمر بن شقيق ، عن عاصم ، مثله .  
قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل الذي تأوله عاصم ، كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها ، وبكسرها .

حدثنا نصر وابن بشار ؛ وحدثت عن الفراء ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ ( وَأَخْفِضْ كَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ) قال الفراء : وأخبرني الحكم بن ظهير ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه قرأها الذل أيضا ، فسألت أبا بكر فقال : الذل قرأها عاصم .  
وأما قوله ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) فإنه يقول : ادع الله لوالديك بالرحمة ، وقل رب ارحمهما ، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك ، كما تعطفنا على في صغري ، فرحماني وربباني صغيرا ، حتى استقلت بنفسي ، واستغيت عنهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَخْفِضْ كَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) هكذا علمتم . وبهذا أمرتم ، خذوا تعليم الله وأديه . « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مَادَ يَدَيْهِ ، رَافِعَ صَوْتَهُ ، يَقُولُ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ » . ولكن كانوا يرون أنه من برّ والديه ، وكان فيه أدنى ثقی ، فإن ذلك مَبْلِغُهُ جسيم الخير . وقال جماعة من أهل العلم : إن قول الله جل ثناؤه ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) منسوخ بقوله ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ) من بعد ما تبسّن لهم أنهم أصحاب الجحيم ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) ، ثم أنزل الله عز وجل بعد هذا ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال

في سورة بني إسرائيل (إِمَّا يَبْتَلِغَانَّ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) . . . إلى قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فنسختها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قَرَبَىٰ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا) . . . الآية ، قال : نسختها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية . وقد تحمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاماً في كل الآباء بغير معنى النسخ ، بأن يكون تأويلها على الخصوص ، فيكون معنى الكلام : وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين ، كما ربياني صغيراً ، فتكون مراداً بها الخصوص على ما قلنا ، غير منسوخ منها شيء . وعسى بقوله ربياني : تميماني .

#### القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره (رَبُّكُمْ) أيها الناس (أَعْلَمُ) منكم (بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكريمهم ، والبر بهم ، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم ، والعقوق لهم ، وغير ذلك من ضائر صدوركم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئته ، فاحذروا أن تظنوا لهم سوءاً ، وتعقدوا لهم عقوقاً . وقوله (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) يقول : إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة في واجب لهم عليكم ، مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه ، فإنه كان للأوابين بعد الزلة ، والتائبين بعد الهفوة ، غفوراً لهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي وعمي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) قال : البادرة تكون من الرجل إلى أبويه ، لا يريد بذلك إلا الخير ، فقال (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرني أبي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن حبيب بن أبي ثابت ، في قوله (إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه ، وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به . واختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) فقال بعضهم : هم المسبِّحون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة : وحدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : المسبحين .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأواب : المسبح .  
وقال آخرون : هم المطيعون المحسنون .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) يقول : للمطيعين المحسنين .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هم المطيعون ، وأهل الصلاة .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : للمطيعين المصلين .  
وقال آخرون : بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن أبي صخر حميد بن زياد ، عن ابن المنكدر يرفعه ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الصلاة بين المغرب والعشاء .  
وقال آخرون : هم الذين يصلون الضحى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا رباح أبو سليمان الرقاء ، قال : سمعت عونا العُمَيْلِيَّ يقول في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذين يصلون صلاة الضحى .  
وقال آخرون : بل هو الراجع من ذنبه ، التائب منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذى يصيب الذنب ثم يتوب ، ثم يصيب الذنب ثم يتوب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان بن داود ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، أنه سمع سعيد بن المسيب يُسأل عن هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن المسيب ، بنحوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هو العبد يذنب ثم يتوب . ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ومعمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، قال : الأواب : الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الراجعين إلى الخير .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، جميعا عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأواب : الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، أنه قال في هذه الآية : ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يذكر ذنوبه ثم يتوب .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله جل ثناؤه ( لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الأوابون : الراجعون التائبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله لها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عطاء بن يسار ، أنه قال في قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) يذنب العبد ثم يتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب فيتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب الثالثة ، فإن تاب تاب الله عليه توبة لا تمحى .

وقد روى عن عبيد بن عمير ، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، في قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : كنا نعدُّ الأواب : الحفيظ ، أن يقول : اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الأواب : هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، ومما يكرهه إلى ما يرضاه ، لأن الأواب إنما هو فعَّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا : إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال ، كما قال عبيد بن الأبرص :

وكلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَشُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَشُوبُ

فهو يشوب أوبا ، وهو رجل آتب من سفره ، وأواب من ذنوبه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَأَتِذَا الْقُرْبَى ) فقال بعضهم : عسى به : قرابة الميت من قبيل أبيه وأمه ، أمر الله جل ثناؤه عباده بصحتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سألت رجل الحسن ، قال : أعطيتي قرابتي زكاة مالي ؟ فقال : إن لم في ذلك لحقا سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية ( وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ) قال : صلته التي تريد أن تصله بها ، ما كنت تريد أن تفعله إليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي ( ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ) من قصيدته التي مطلعها : « أفقر من أهله منحوب » . يقول : كل غائب تنتظر أوبته ، إلا من مات ، فلا أوبة له إلى الدنيا . والبيت شاهد على أن الأواب الرجاء ، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة ، من آب يتوب إذا رجع ( انظر اللسان : أوب ) . وفيه أيضا : قال أبو بكر في قولهم : رجل أواب ، سبعة أقوال : الراحم ، والتائب ، والمسبح ، والذي يرجع إلى التوبة ، ثم يذنب ثم يتوب ، والمطيع ، والذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه . ٥١ . وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى القوي ، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره .

قوله (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَأَبْنَ السَّبِيلِ ) قال : هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن إلى ابن السبيل .

وقال آخرون : بل عسني به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفما قرأت في بني إسرائيل ( وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ) قال : وإنكم لتقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ، قال : نعم .

وأولى التأويلين عندي بالصواب : تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم ، من قبيل آبائهم وأمهاتهم ، وذلك أن الله عز وجل عقَّب ذلك عقيب حصَّه عباده على بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حصًّا على صلة أنسابهم ، دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلته إياه ، وبرك به ، والعطف عليه ، وخرج ذلك مخترج الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ، يدل على ذلك ابتدائه الوصية بقوله جل ثناؤه ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا ) فوجه الخطاب بقوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ ) إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ( أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ) إلى إفراده به . والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل ، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عمُّ به هو وجميع أمته .

وقوله ( وَالْمِسْكِينَ ) وهو الذلَّة من أهل الحاجة . وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( وَأَبْنَ السَّبِيلِ ) يعني : المسافر المنتقطع به ، يقول تعالى : وصل قرابتك ، فأعطه حقه من صلته إياه ، والمسكين ذا الحاجة ، والمجتاز بك المنتقطع به ، فأعنه ، وقوه على قطع سفره . وقد قيل : إنما عسني بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه : أن يضاف ثلاثة أيام .

والقول الأول عندي : أولى بالصواب . لأن الله تعالى لم يخص من حقوقه شيئاً دون شيء في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، فذلك عام في كل حق له أن يعطاه : من ضيافة ، أو حوالة ، أو معونة على سفره . وقوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدُّرًا ) يقول : ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقاً . وأصل التبذير : التفريق في السرف ؛ ومنه قول الشاعر :

أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ  
أَعَاصِيرَ مِينٍ فَيَسْقِي الْعِرَاقِ الْمُبَدِّرَا

(١) لم أقف على قائله . ويقال : أجار فلان فلانا : إذا خفوه وسمعه أن يظلمه ظالم . وجوارهم هنا بمعنى إجارتهم . والأعاصير : جمع إعصار ، وهو الريح التي تستدير وتحمل ما على الأرض من تراب وغيره . الفسق : الخروج عن الطاعة ، أو عن جميل الأخلاق . =

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد الحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيدين ، قال : قال عبد الله في قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا ) قال : التبذير في غير الحق ، وهو الإسراف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن المبدّر فقال : الإنفاق في غير حق .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار ، يحدث عن أبي العبيدين اضرير البصر ، أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا ) قال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى ابن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما التبذير؟ فقال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، وكانت به زمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما التبذير؟ فذكر مثله .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو الحوَّاب ، عن عمار بن زريق ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن التبذير : النفقة في غير حقه .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا يحيى بن كثير العبدي ، قال : ثنا شعبة ، قال : كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة ، فأتى على دار تُبْنِي بجمّ وأجر ، فقال : هذا التبذير في قول عبد الله : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا ) قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

= والمبدّر : اسم مفعول من التبذير ، وهو تفريق المال ونحوه ، وإفساده بالإسراف . قال في (اللسان : يذر) : والتبذير : إفساد المال وإنفاقه في السرف . وقيل : التبذير : أن ينفق المال في المعاصي . اه . وعلى هذا المعنى استشهد المؤلف بالبيت .

(١) هو معاوية بن سبرة السوائي ، أبو العبيدين : مصغر عبيدين ، الأعمى الكوفي . مات سنة ٩٨ هـ . (عن خلاصة الخزر جي) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : لا تنفق في الباطل ، فإن المبدّر : هو المسرف في غير حق .  
قال ابن جريج وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ، ما كان تبذيراً ، ولو أنفق مدياً في باطل ، كان تبذيراً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً ) قال : التبذير : النفقة في معصية الله ، وفي غير الحق ، وفي الفساد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ) قال : بدأ بالوالدين قبل هذا ، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ، ذكر هؤلاء وقال ( لَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً ) : لا تعط في معاصي الله .

وأما قوله ( إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ) فإنه يعني أن المفرقين أموالهم في معاصي الله لمنفقها في غير طاعته ، أولياء الشياطين ، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم ، وتابع أثرهم : هو أخوهم ( وكان الشيطان لربه كفوراً ) يقول : وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً ، لا يشكره عليها ، ولكنه يكفرها ، بترك طاعة الله ، وركوبه معصيته . فلكذلك إخوانه من بني آدم ، المبدرون أموالهم في معاصي الله ، لا يشكرون الله على نعمه عليهم ، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه ، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خولهموها وجل عز سنته ، من ترك الشكر عليها ، وتلقاها بالكفران .  
كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ ) : إن المنفقين في معاصي الله ( كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وكان الشيطان لربه كفوراً ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم ، إذا وجدت إليها السبيل ، بوجهك عند مسألتهم إياك ، ما لا تجد إليه سبيلاً ، حياء منهم ورحمة لهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ ) يقول : انتظر رزق تنتظره من عند ربك ، وترجو تيسير الله إياه لك ، فلا تؤيسهم ، ولكن قل لهم قولا ميسورا : يقول : ولكن عدوا جميلا ، بأن تقول : سيرزق الله فأعطيكم ، وما أشبه ذلك من القول اللين ، غير الغليظ ، كما قال جل ثناؤه ( وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ) .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ



عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ( قال : انتظار الرزق ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا )  
قال : لينا تعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن  
ابن عباس ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ) قال : رزق ( أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا  
بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ) .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله  
( وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : انتظار رزق من الله يأتيك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله  
( وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : إن سألوكم فلم يجدوا عندكم ما تعطيتهم  
ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره ترجوه ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : عِدْهُمْ عِدَّةَ حَسَنَةٍ ، إِذَا  
كَانَ ذَلِكَ ، إِذَا جَاءَنَا ذَلِكَ فَعَلْنَا ، أَعْطَيْنَاكُمْ ، فَهُوَ الْقَوْلُ الْمَيْسُورُ .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : إن سألوكم فلم يكن عندكم ما تعطيتهم ، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة ،  
قال : رزق تنتظره ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ  
رَبِّكَ ) قال : انتظار رزق الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن عبيدة  
في قوله ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : ابتغاء الرزق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ  
ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : أي رزق تنتظره ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) أي معروفاً  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا  
مَّيْسُورًا ) قال : عِدْهُمْ خَيْرًا . وقال الحسن : قل لهم قولاً لينا سهلاً .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول ، في قوله ( وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ) يقول : لا نجد شيئاً تعطيتهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ  
رَبِّكَ ) يقول : انتظار الرزق من ربك . نزلت فيمن كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم من المساكين .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنى حريز بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى عمارة ، عن عكرمة  
في قول الله ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : الرفق .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ،  
في قوله ( وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ) عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا )  
إذا خشيت إن أعطيتهم ، أن يتقووا بها على معاصي الله عز وجل ، ويستعينوا بها عليها ، فرأيت أن تمنعهم

خيرا ، فاذا سألوك ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قولا جميلا : رزقك الله ، بارك الله فيك .  
 ﴿٢٩﴾ وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد ، مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، بعيد المعنى ، مما يدل عليه ظاهرها ، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ( وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنِثُهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه ( قَوْلًا مَّيْسُورًا ) وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة ، لن يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه ، فيكون معنى الكلام كما قلناه ، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم ، وخلاف قوله ؛ أو يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للساثلين ، الذين أمير نبي الله صلى الله عليه وسلم بزعمه ، أن يمنعهم مأسألوهم ، خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله ، فعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أعطى من نفقة ، ليتقوى بها على طاعة الله في معاصيه ، أخوف من رجاء رحمته له . وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته ، لا لأهل معاصيه ، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمير بمنعهم مأسألوهم ، لينبئوا من معاصي الله ويتوبوا ، بمنعه إياهم مأسألوهم ؛ فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية ، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَجْمَعْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)

﴿٢٩﴾ وهذا مثل "ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوى الأموال ، فجعله كالمشدود يده إلى عنقه ، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء .

وإنما معنى الكلام : ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة في حقوق الله ، فلا تنفق فيها شيئا إمساك المغلولة يده إلى عنقه ، الذي لا يستطيع بسطها ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يقول : ولا تبسطها بالعطية كل البسط ، فتبتى لاشيء عندك ، ولا تجد إذا سئلت شيئا تعطيه سائلك . ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ) ، يقول : فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك ، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه ، محسورا : يقول : معييبا ، قد انقطع بك ، لاشيء عندك تنفقه . وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها ، وكلت ورزحت من السير ، بأنه حسير ، يقال منه : حسرت الدابة فأنا أحسيرها ، وأحسرها حسرا ، وذلك إذا أنضيت بالسير ، وحسرت بالمسألة ، إذا سألته فألحقت ، وحسرت البصر فهو يحسير ، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكسل . ومنه قوله عز وجل ( يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) ، وكذلك ذلك في كل شيء كسل وأزحف حتى يفضى .  
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هودة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَلَا تَجْمَعْلُ )

يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ) قال : لاجعلها مغلولة عن النفقة . ( وَلَا تَبْسُطْهَا ) : تبتذر بسرف .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يوسف بن بهز ، قال : ثنا حوشب ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية  
( وَلَا تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا )  
يقول : لانطفئ برزقي عن غير رضاي ، ولا تضعه في سُخْطِي فأسلبك ما في يديك ، فتكون حسيرا ،  
ليس في يديك منه شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا  
مَحْسُورًا ) يقول هذا في النفقة ، يقول ( لَا تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ) يقول : لاتبسطها  
بالخير ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يعني التبذير ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) . يقول : يلوم نفسه على ما فات من  
ماله . ( مَحْسُورًا ) . يعني : ذهب ماله كله فهو محسور .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا  
تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ) يعني بذلك البخل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً إِلَى  
عُنُقِكَ ) : أي لاتمسكها عن طاعة الله ، ولا عن حقه ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يقول : لاتنفقها  
في معصية الله ، ولا فيما يصلح لك ، ولا ينبغي لك ، وهو الإسراف . قوله ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا )  
قال : ملوما في عباد الله ، محسورا على ماسلف من دهره وفرط .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَاكَ  
مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ) قال : في النفقة ، يقول : لاتمسك عن النفقة ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ )  
يقول : لاتبتذر تبذيرا ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) في عباد الله . ( مَحْسُورًا ) يقول : نادما على ما فرط منك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لاتمسك عن النفقة فيما  
أمرتك به من الحق ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) فيما نهيتك ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) قال : مذموبا ( مَحْسُورًا )  
قال : منقطعاً بك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَاكَ مَغْلُولَةً  
إِلَى عُنُقِكَ ) قال : مغلولة لاتبسطها بخير ولا بعطية ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) في الحق والباطل ،  
فينفد مامعك ، وما في يديك ، فيأتيك من يريد أن تعطيه ، فيحسب بك ، فيلومك حين أعطيت هؤلاء ،  
ولم تعطهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده ، فيوسع عليه ، ويقدر على من يشاء ، يقول : وَيُسْقِيهِمْ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْهُمْ ، فيضيق عليه . (إنه كان بعباده خيرا) : يقول : إن ربك ذو خبرة بعباده ، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه . (بصيرا) : يقول : هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم ، يقول : فأنته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك ، من بسط يدك فيما تبسطها فيه ، وفيمن تبسطها له ، ومن كفها عن تكفها عنه ، وتكفها فيه ، فنحن أعلم بمصالح العباد منك ، ومن جميع الخلق ، وأبصر بتدبيرهم .

كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع ، فقال : ( إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ) قال : يَقْدِرُ : يُقِلُّ ، كل شيء في القرآن يَقْدِرُ كذلك ؛ ثم أخبر عباده أنه لا يرزؤه ولا يرزؤه أن لو بسط عليهم ، ولكن نظرا لهم منه ، فقال : ( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ) قال : والعرب إذا كان الخصب وبسط عليهم آثروا ، وقتل بعضهم بعضا ، وجاء الفساد ، فإذا كان السنة شغلوا عن ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا

كَبِيرًا (٣١)

يقول تعالى ذكره ( وَقَتَضَىٰ رَبُّكَ ) يا محمد ( أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) ، ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) فوضع تقتلوا نصب عطفًا على ألا تعبدوا .

ويعنى بقوله ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) خوف إقتار وفقر . وقد بيننا ذلك بشواهد في ماضى ، وذكرنا الرواية فيه . وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب ، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم ، خوف العيبة على أنفسهم ، بالإنفاق عليهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) : أى خشية الفاقة ، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة ، فوعظهم الله في ذلك ، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله ، فقال ( نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) قال : كانوا يقتلون البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) قال : الفاقة والفقر .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) يقول : الفقر .

وأما قوله ( إن قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) فإن القراء اختلفت في قراءته : فقراءته عامة قراء أهل المدينة والعراق ( إن قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) بكسر الخاء من الخطأ ، وسكون الطاء . وإذا قُرئ ذلك كذلك ، كان له وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون اسما من قول القائل : خَطِئْتُ فإنا أخطأنا ، بمعنى : أذنبت وأثمت . ويحكى عن العرب : خَطِئْتُ : إذا أذنبت عمدا . وأخطأت : إذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له . والثاني : أن يكون بمعنى خطأ ، بفتح الخاء والطاء ، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء ، كما قيل : قَتَبَ وَقَتَبَ وَحَيَّرَ وَحَيَّرَ ، وَنَجَسَ وَنَجَسَ . والخطء بالكسر اسم ، والخطأ بفتح الخاء والطاء : مصدر من قولهم : خَطِئْتُ الرجل ، وقد يكون اسما من قولهم : أخطأ . فأما المصدر منه فالإخطاء . وقد قيل : خَطِئْتُ ، بمعنى أخطأ ، كما قال الشاعر :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خِطِئْتَ كَاهِلًا

بمعنى : أخطأت . وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة ( إن قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا ) بفتح الخاء والطاء مقصورا ، على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم : أخطأ فلان خطأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة ( إن قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا ) ، بفتح الخاء والطاء ، ومدَّ الخِطْءَ ، بنحو معنى من قرأه خطأ ، بفتح الخاء والطاء ، غير أنه يخالفه في مدَّ الحرف . وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم ، يرون أن الخطء والخطأ بمعنى واحد ، إلا أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء ، وسكون الطاء ، في القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع الخطء بكسر الخاء ، وسكون الطاء ، في شيء من كلامهم وأشعارهم ، إلا في بيت أنشد له لبعض الشعراء :

الخطءُ فاحِشَةٌ والبيرُ نَافِلَةٌ كَعَجْوَةٍ غُرِسَتْ فِي الْأَرْضِ تُوْتَبِرُ

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ينسب إلى امرئ القيس بن حجر الكندي ، من مقطوعة تسعة أبيات ، ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا ، مطبعة الحلبي ص ١٠٥ ) قالها حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه . ومعنى يالهف : بأسف أو ياحسرة . وهند أخته . وخطئ : يعنى الخيل ، أى أخطأ . وكان قد طلب بنو كاهل من بني أسد ليلا ، فأوقع بين كنانة خطأ ، وهرب منه بنو كاهل . وهذا البيت هو أول الأبيات في الأغاني والعقد الثمين لوليم أورد . ومحل الشاهد في البيت أن خطئ خطأ ، وأخطأ إخطاء : لغتان بمعنى واحد : إذا عمل شيئا وأخطأ فيه ، عن غير عمد ، كما في البيت . والخطء بكسر الخاء وسكون الطاء : اسم مصدر بمعنى المصدر . وبعض اللغويين يقول : إن خطئ خطأ معناه وقع في الإثم عن عمد ، بخلاف أخطأ ، فإنه عن غير عمد .

(٢) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء وسكون الطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم إلا في بيت أنشد له لبعض الشعراء : « الخطء فاحشة . . . الخ البيت ) . ولم أقف على البيت ولاقائله في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، غير أن الفراء قال : قرأ الحسن : خطئا كبيرا بالمد ، وقرأ أبو جعفر المدني : خطأ كبيرا ، قصر وهمز ، وكل صواب . وكان الخطء الإثم ، وقد يكون في معنى خطأ بالقصر ، كما قالوا : قَتَبَ : وَقَتَبَ وَحَيَّرَ وَحَيَّرَ وَنَجَسَ وَنَجَسَ . ومثله قراءة من قرأ : هم أولاء على أرى =

وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء ، وفتحهما .  
 وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب ، القراءة التي عليها قرآء أهل العراق ، وعامة أهل الحجاز ،  
 لإجماع الحجة من القرآء عليها ، وشذوذ ما عداها . وإن معنى ذلك كان إثما وخطيئة ، لاخطأ من الفعل ،  
 لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدا لاخطأ ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم ، وتقدم إليهم بالنهي عنه .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خطئا كسيرا) قال : أي خطيئة .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إن قتلهم  
 كان خطئا كبيرا) قال : خطيئة . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : خطئا : أي خطيئة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ ، إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن (لا تقربوا) أيها الناس (الزنا إنّه كان فاحشة) يقول :  
 إن الزنا كان فاحشة (وساء سبيلا) يقول : وساء طريق الزنا طريقا ، لأنه طريق أهل معصية الله ،  
 والمخالفين أمره ، فأسوأ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ،

فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)

يقول جل ثناؤه : وقضى أيضا أن (لا تقتلوا) أيها الناس (النفس التي حرم الله) قتلها (إلا  
 بالحق) وحقها : ألا تقتل إلا بكفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قود بنفس ، وإن كانت كافرة  
 لم يتقدم كفرها إسلام ، فألا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولا تقتلوا النفس التي  
 حرم الله إلا بالحق) وأنا والله ما نعلم بجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، إلا رجلا قتل متعمدا ،  
 فعليه القود ؛ أو زنى بعد إحصانه ، فعليه الرجم ؛ أو كفر بعد إسلامه ، فعليه القتل .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة أو غيره ، قال : قيل لأبي بكر :

= وإثره . والناقلة : ما يكون زيادة على الفرض . والعجوة : أجرد تمر المدينة ، كما في اللسان . وتوتير : تصلح بالإبار ، ليجود ثمرها .

أَتَقْتَلُ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يُؤَدِّي الزَّكَاةَ ، قَالَ : لَوْ مَنَعُونِي شَيْئًا مِمَّا أَقْرَأُوا بِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتَهُمْ . فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَتْمِهَا ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذَا مِنْ حَقِّهَا .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَتْمِهَا ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ ؛ قِيلَ : وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ : زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ ، وَكُفْرًا بَعْدَ إِيمَانٍ ، وَقَتْلًا نَفْسٍ ، فَيُقْتَلُ بِهَا . وَقَوْلُهُ ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ) يَقُولُ : وَمَنْ قُتِلَ بِغَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ بِهَا كَانَ قَتْلًا بِحَقٍّ ( فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) يَقُولُ : فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَى الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَى قَاتِلِ وَلِيهِ ، فَإِنْ شَاءَ اسْتِقَادَ مِنْهُ ، فَقَتَلَهُ بَوْلِيهِ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ . وَقَدْ ائْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى السُّلْطَانِ الَّذِي جُعِلَ لَوْلَى الْمَقْتُولِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ ، نُحُو الَّذِي قُلْنَا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) قَالَ : بَيِّنَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا يَطْلُبُهَا وَلَى الْمَقْتُولِ ، الْعَقْلُ ، أَوْ الْقَوْدُ ، وَذَلِكَ السُّلْطَانُ . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) قَالَ : إِنْ شَاءَ عَفَا ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ السُّلْطَانُ : هُوَ الْقَتْلُ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) وَهُوَ الْقَوْدُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَوَّلَى التَّأْوِيلِينَ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ : تَأْوِيلٌ مِنْ تَأْوَلٌ ذَلِكَ : أَنَّ السُّلْطَانَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، مِنْ أَنَّ لَوْلَى الْقَتِيلِ الْقَتْلُ إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ : « أَلَا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ » . وَقَدْ بَيَّنَّتِ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا : كِتَابُ الْجِرَاحِ . وَقَوْلُهُ ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) ائْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةٌ قِرَاءَةَ الْكُوفَةِ ( فَلَا تُسْرِفُ ) بِمَعْنَى الْخَطَابِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَالْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ ، يَقُولُ : فَلَا

تقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله . وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك ، إذا قتل رجل رجلاً ، عمد ولى القتل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل ، فهى الله عز وجل عن ذلك عباده ، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام : قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف ، فلا تقتل به غير قاتله ، وإن قتلت القاتل بالمقتول ، فلا تمثل به . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والبصرة ( فَلَا تُسْرِفْ ) بالياء ، بمعنى فلا يسرف ولى المقتول ، فيقتل غير قاتل وليه . وقد قيل : عسني به : فلا يسرف القاتل الأول ، لا ولى المقتول . ب والصواب من القول في ذلك عندى ، أن يقال : إنهما قرءتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى في أحكام الدين ، قضاء منه بذلك على جميع عباده ، وكذلك أمره ونهيه بعضهم ، أمر منه ونهى جميعهم ، إلا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض ، فإذا كان ذلك كذلك ، بما قد بيننا في كتابنا « كتاب البيان ، عن أصول الأحكام » فعلوم أن خطابه تعالى بقوله ( فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ) نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان موجهاً إليه أنه معنى به جميع عباده ، فكذلك نهيه ولى المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدى فيه ، نهى لجميعهم ، فبأى ذلك قرأ القارى فصيب صواب القراءة في ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك ، نحو اختلاف القراء في قراءتهم إياه .

ذكر من تأول ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلحة بن حبيب ، في قوله ( فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا تقتل غير قاتله ، ولا تمثل به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير . عن منصور ، عن طلحة بن حبيب ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن خصيف ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله ( فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا تقتل اثنين بواحد .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ) إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ) كان هذا بمكة ، ونهى الله صلى الله عليه وسلم بها ، وهو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل ، كان المشركون يغتالون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تبارك وتعالى : من قتلكم من المشركين ، فلا يحملنكم قتله إياكم على أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحداً من عشيرته ، وإن كانوا مشركين ، فلا تقتلوا إلا قاتلكم ؛ وهذا قبل أن تنزل براءة ، وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين ، فذلك قوله ( فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ) يقول : لا تقتل غير قاتلك ، وهى اليوم على ذلك الموضع من المسلمين ، لا يحل لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم .

ذكر من قال : عسني به ولى المقتول

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَنْ قَتَلَ )



مَظْلُومًا فَفَقَدَ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) قال : كان الرجل يُقتل فيقول وليه : لا أرضى حتى أُقتل به فلانا وفلانا من أشرف قبيلته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا تقتل غير قاتلك ، ولا تمثل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا يقتل غير قاتله ؛ من قَتَلَ بِحَدِيدَةٍ قُتِلَ بِحَدِيدَةٍ ؛ ومن قَتَلَ بِخَشَبَةٍ قُتِلَ بِخَشَبَةٍ ؛ ومن قَتَلَ بِحَجَرٍ قُتِلَ بِحَجَرٍ . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ مَنِ أَعَسَى النَّاسَ عَلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ قُتِلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، أَوْ قُتِلَ بِدَخْنٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَوْ قُتِلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعته ، يعني ابن زيد ، يقول في قول الله جلَّ ثَنَاؤُهُ ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَفَقَدَ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) قال : إن العرب كانت إذا قُتِلَ منهم قتيل ، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم ، حتى يقتلوا أشرف من الذى قتله ، فقال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ ( فَفَقَدَ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطَانًا ) ينصره وينتصف من حقه ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) يقتل بريئا .

ذكر من قال عُنِيَ به القاتل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا يسرف القاتل في القتل .

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا ، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صوابا ، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب ، لاحتمال الكلام ذلك ، وإن في نهي الله جلَّ ثَنَاؤُهُ بعض خلقه عن الإسراف في القتل ، نهي منه جميعهم عنه .

وأما قوله ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِيَ بالهاء التي في قوله ( إِنَّهُ ) وعلى ما هي عادة ؟ فقال بعضهم : هي عائدة على ولي المقتول ، وهو المعنى بها ، وهو المنصور على القاتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) قال : هو دفع الإمام إليه ، يعني إلى الولي ، فإن شاء قتل ، وإن شاء عفا .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بها المقتول ، فعلى هذا القول هي عائدة على « مَنْ » في قوله ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) إن المقتول كان منصورا .

وقال آخرون : عُنِيَ بها دم المقتول ، وقالوا : معنى الكلام : إن دم القاتل كان منصورا على القاتل .

﴿٣٤﴾ وأشبه ذلك بالصواب عندى ، قول من قال : عَيْنى بها الولى ، وعليه عادت ، لأنه هو المظلوم ، ووليه المقتول ، وهى إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول ، وهو المنصور أيضا ، لأن الله جل ثناؤه قضى فى كتابه المنزل ، أن سلطه على قاتل وليه ، وحكمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء ، واستبقاه على الدية إن أحب ، والعمو عنه إن رأى ، وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه ، فلذلك قلنا : هو المعنى بالهاء التى فى قوله ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ، إِنَّ الْعَهْدَ  
كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)

﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل ، إسرافا وبدارا أن يكسبوا ، ولكن أقربوه بالفعلة التى هى أحسن ، والخلّة التى هى أجل ، وذلك أن تنصرفوا فيه له بالثمير والإصلاح والحيطة . وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) لما نزلت هذه الآية ، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا لا يخاطبونهم فى طعام أو أكل ولا غيره ، فأنزل الله تبارك وتعالى ( وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ) فكانت هذه لهم فيها رخصة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : كانوا لا يخاطبونهم فى مال ولا مأكلا ولا مركبا ، حتى نزلت ( وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ ) .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : الأكل بالمعروف ، أن تأكل معه إذا احتجت إليه ، كان أئبى يقول ذلك .

وقوله ( حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) يقول : حتى يبلغ وقت اشتداده فى العقل ، وتدبير ماله ، وصلاح حاله فى دينه ( وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ) يقول : وأوفوا بالعقد الذى تعاقدون الناس فى الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضا ، والبيوع والأشربة والإيجارات ، وغير ذلك من العقود . ( إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ) يقول : إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه ، يقول : فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس ، فتخفروهم وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك . وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبًا ، يقال فى الكلام : ليستلن فلان عهد فلان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وَقَضَى أَنْ (أَوْفُوا الْكَيْلَ) لِلنَّاسِ (إِذَا كِلْتُمْ) لَمْ يَحْقُوقَهُمْ قِيْلَتِكُمْ ، وَلَا تَبْخَسُوهُمْ (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) يَقُولُ : وَقَضَى أَنْ زِنُوا أَيْضًا إِذَا وَزَنْتُمْ لَمْ بِالْمِيزَانَ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا عَوْجَاجَ فِيهِ ، وَلَا دَغْلَ ، وَلَا خَدِيعَةَ .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس ، فقال بعضهم : هو القبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن : (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) قال : الْقَبَّانُ .

وقال آخرون : هو العدل بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : الْقِسْطُ : الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ . وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ الْمِيزَانُ : صَغَرُ أَوْ كَبُرَ ؛ وَفِيهِ لَغْتَانُ : الْقِسْطُاسُ بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَالْقِسْطُاسُ بِضَمِّهَا ، مِثْلُ الْقِرْطَاسِ وَالْقِرْطَاسِ ؛ وَبِالْكَسْرِ يَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَاءَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَبِالضَّمِّ يَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِ أَيْضًا بَعْضُ قُرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ ، وَبِأَيْتِهِنَّ قُرَأَ الْقَارِيُّ فُصَيْبٌ ، لِأَنَّهُمَا لَغْتَانُ مَشْهُورَتَانِ ، وَقُرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قُرَاءَةِ الْأَمْصَارِ .

وقوله ( ذَلِكَ خَيْرٌ ) يَقُولُ : إِيغَاؤُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ تَكْيِيلُونَ لَهُ الْكَيْلَ ، وَوَزْنَكُمْ بِالْعَدْلِ لِمَنْ تَوْفُقُونَ لَهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَخْسِكُمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ ، وَظَلَمَكُمْوَهُمْ فِيهِ . وَقَوْلُهُ ( وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) يَقُولُ : وَأَحْسَنُ مَرْدُودًا عَلَيْكُمْ وَأَوْلَى إِلَيْهِ فِيهِ فَعَلِكُمْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرْضَى بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، فَيُحْسِنُ لَكُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ) ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) أَي خَيْرُ ثَوَابًا وَعَاقِبَةً .

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول : يامعشر الموالي ، إنكم وليتيم أمرين ، بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا يَتَقَدَّرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَعُهُ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ ، إِلَّا أَبْدَلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وأحسَنُ تَأْوِيلًا ) قال : عاقبة وثوابا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ، كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا (٣٦)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) فقال بعضهم : معناه : ولا تقل ما ليس لك به علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) يقول : لا تقل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) لا تقل رأيت ، ولم تر وسمعت ولم تسمع ، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) قال : لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم .

حدثت عن محمد بن ربيعة ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن الحنفية ، قال : شهادة الزور .

وقال آخرون : بل معناه : ولا ترم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) يقول : لا ترم أحدا بما ليس لك به علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَقْفُ ) ولا ترم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ، ورمى الناس بالباطل ، وادعاء سماع ما لم يسمعه ، ورؤية ما لم يره . وأصل القفو : العضة والبهت . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لَانْقَضُوا أَمْنَا ، وَلَانْتَدَيْتَنِي مِنْ أَبِيْنَا » . وكان بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا :

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ الْعَرَانِينَ سَاكِينٌ يَهِينٌ الْحَيَاءُ لَا يُشِيرُ عَنِ التَّقَافِيَا

يعنى بالتقافى : التقاذف . ويزعم أن معنى قوله ( لا تَقْفُ ) لا تتبع ما لا تعلم ، ولا يعنك . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة ، يزعم أن أصله القيافة ، وهى اتباع الأثر ، وإذ كان كما ذكرنا وجب أن تكون القراءة ( وَلا تَقْفُ ) بضم الفاء وسكون القاف ، مثل : وَلا تَقْلُ . قال : والعرب تقول : قفوت أثره ، وقفت أثره ، فتقدم أحيانا الواو على الفاء ، وتؤخرها أحيانا بعدها ، كما قيل : قاع الحمل الناقية : إذا ركبها وقعا ، وعاث وعثى ؛ وأنشد سماعا من العرب :

وَلَوْ أَنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ لَعَاقَتَكَ مِنْ دُعَايِ الذَّنْبِ عَاقِي

يعنى عائق ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : لا تقل للناس ، وفيهم ما لا علم لك به ، فترميهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحق ، فذلك هو القفو .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه .

وأما قوله ( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ) فإن معناه : إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها ، من أنه سمع أو أبصر أو علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق ، وقال أولئك ، ولم يقل تلك ، كما قال الشاعر :

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ الدَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَيَّامِ

(١) البيت للنايفة الجندی ، وهو من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٧٩ ) شاهد على أن معنى التقافى : التقاذف . وفى ( اللسان : قفو ) قال أبو عبيد : الأصل فى القفو والتقافى : البهتان يرمى به الرجل صاحبه . اهـ . قال أبو بكر : قولهم قد قفا فلان فلانا قال أبو عبيد : معناه أتبعه أمرا كلاما قبيحا . وقال الميث : القفو : مصدر قولك قفا يقفو قفوا وقفوا ( الثانى بتشديد الواو ) ، وهو أن يتبع الشيء : قال تعالى : « وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت ، كما تقول : لا تدع من دعوت . قال : وقرا بعضهم : ولا تقف مثل ولا تقل . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » : أى لا تتبع ما لا تعلم . وقيل : ولا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . اهـ . والذى جمع دمية ، وهى التمثال من المرمر أو العاج أو نحوهما . وشم العرانبين : جمع شماء العرنبين ، أى مرتفعات قصبات الأنوف ، وهو من أمارات جهلهم .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ١٧٩ ) على أن العرب تقول قفا الشيء : إذا تتبعه كما تقول قافه . وكما قال الشاعر : عاقى ، يريد عائق . قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت . . . . . وبعضهم قال : ولا تقف . والعرب تقول : قفت أثره ، وقفوته ؛ ومثله : يعتام ويعتسى ، وعاث وعثى ، من الفساد ، وهو كبير ، منه شاك السلاح ، وشاكى السلاح . وسمعت بعض قضاة يقول : اجتنحى ماله ، واللغة الفاشية : اجتنح ماله . وقد قال الشاعر : « ولو أنى رأيتك . . . . . الخ البيت . هذا وقد نقلنا فى الشاهد الذى قبل هذا عبارة الفراء ، كما جاءت فى اللسان ، وفيها اختلاف عن عبارته هنا فى معانى القرآن ، ولعله من اختلاف النسخ . وأورد الفراء بعد بيت الشاهد بيتا آخر من وزنه وقافيته ، وهو الذى الحرق الطهوى كما فى ( اللسان : بعم ) :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَبَبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ

وقد سبق الاستشهاد به فى أكثر من موضع من هذا التفسير .

(٣) البيت لجرير بن الحنظلى ( ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥١ ) وهو البيت الثانى من قصيدة يجب بها الفرزدق ، مطلعها :

سَرَّتِ الْهَمُومُ فَبِتَّنْ غَيْرَ نِيَامِ وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ =

وإنما قيل : أولئك ، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير ، فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث ، لك التذكير للجمع الأول ، والتأنيث للجمع الثاني ، وهو الجمع الكثير ، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ  
كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره : ولا تمش في الأرض مرحًا ، إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا ( إنك لن تحرق الأرض ) يقول : إنك لن تقطع الأرض باختيالك ، كما قال رؤبة :

وقاتم الأعماقِ حاويِ المُحترقِ

يعنى بالتحرق : المقطع ( وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) بفخرك وكبرك ، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء ، وتقدم منه إليهم فيه معرفتهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئًا يقصر عنه غيرهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) يعني بكبرك ومرحك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ) قال : لا تمش في الأرض فخرًا وكبرًا ، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا تحرق الأرض بكبرك وفخرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ ) قال : لا تفخر . وقيل : ولا تمش مرحًا . ولم يقل مرحًا ، لأنه لم يرد بالكلام : لانكن مرحًا ، فيجعله من نعمت الماشي ، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرحًا ، ففسر المعنى المراد من قوله : ولا تمش ، كما قال الواجزي :

= الشاهد في هذا البيت أنه أشار إلى الأيام بأولئك ، ولم يقل تلك ، لأن أولئك يشار بها إلى الجمع الكثير ، وهؤلاء إلى الجمع القليل ، للمذكر والمؤنث والعامل وغيره .

(١) البيت مطلع أرجوزة مطولة ( ١٧١ بيتًا في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ م ، ص ١٠٤ ) وهو شاهد على أن قوله المحترق بمعنى المقطع ، كما في قوله تعالى : « إنك لن تحرق الأرض » أي لن تقطع الأرض . ويريد بقاتم الأعماق : وأديا مظلم النواحي ، لما كثر فيه من الغبار الناتج . والحاوي : الحائل . والمحترق : المر والمقطع . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٠ ) « إنك لن تحرق الأرض » : مجازة لن تقطع الأرض . وقال رؤبة : ... البيت . أي المقطع . وقال آخرون : إنك لن تقب الأرض ، وليس بشي .

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْعَصِيدُ وَالتَّمْرُ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

فقال : حبا ، لأن في قوله : يعجبه ، معنى يحب ، فأخرج قوله : حبا ، من معناه دون لفظه .  
وقوله (كُلُّ ذَلِكُ كَانَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) فإن القراء اختلفت فيه ، فقرأه بعض قراء  
المدينة وعامة قراء الكوفة (كُلُّ ذَلِكُ كَانَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) على الإضافة بمعنى : كل  
هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . . .  
إلى قولنا (وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) . (كَانَ سَيِّئُهُ) يقول : سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها .  
وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل (كُلُّ ذَلِكُ كَانَ كَانَ سَيِّئُهُ) بالإضافة ، لأن في عددنا من قوله (وَقَضَى  
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) أموراً ، هي أمر بالجميل ، كقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ، وقوله  
(وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كل ما فيه نهي عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة ،  
وأمر بحسنات ، فإذ لك قرأنا (سَيِّئُهُ) ، وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (كُلُّ  
ذَلِكُ كَانَ سَيِّئُهُ) وقالوا : إنما عني بذلك : كل ما عددنا من قولنا (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً  
إِمْلَاقٍ) ، ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكل ما عددنا من ذلك الموضوع إلى هذا الموضوع سيئة لاحتنة  
فيه . فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقديماً  
على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كل ذلك كان مكروها سيئة ؛ لأنه إن جعل قوله : مكروها  
نعت السيئة من نعت السيئة ، لزمه أن تكون القراءة : كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ، وذلك  
خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (كُلُّ ذَلِكُ كَانَ سَيِّئُهُ) على إضافة السبي  
إلى الهاء ، بمعنى : كل ذلك الذي عددنا ، من (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . . . (كَانَ سَيِّئُهُ) ،  
لأن في ذلك أمورا منيها عنها ، وأمورا مأمورا بها ، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضوع دون قوله (وَلَا  
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) ، إنما هو عطف على ما تقدم من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) ، فإذا  
كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السبي إلى الهاء ، أولى وأحق من قراءته سيئة بالتنوين ، بمعنى السيئة الواحدة .  
فتأويل الكلام إذن : كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك ، كان سيئها مكروها عند  
ربك يا محمد ، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه ، فاتق مواضعه والعمل به .

(١) البيتان في الملحق بشعر روية بن العجاج ، بأخر ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧٢) وروايتها فيه :

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْبُرُودُ وَالْقَرُّ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

ورواية البيت في (اللسان : سخن) كرواية المؤلف . قال : ويروي : «حتى ماله مزيد» . وقال : السخون من المرق : ما يسخن  
وقال في (برد) : كل ما برد به شيء : برود . أهولعله يريد الماء البارد ، تنقع به الغلة . وقال في (عصد) : العصيدة : دقيق  
يلت بالسمن ويطيخ . والشاهد في البيت : أن قوله حبا معقول مطلق ، لأنه بمعنى إعجابا ، لأن في قوله يعجبه ، معنى يحبه ، فكأنه  
مرادف له . وهو نظير قوله تعالى «ولامش في الأرض مرحا» : أي المرح . وقد سبق الاستشهاد بالبيت في بعض أجزاء التفسير .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْمَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَتُلَاقِي فِي جَهَنَّمَ  
مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بيننا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجمعها ، ونهيناك عن  
قبيحها . ( مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ) يقول : من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ  
رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ) قال : القرآن .

وقد بيننا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .  
( وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، فَتُلَاقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ) يقول : ولا تجعل مع الله  
شريكا في عبادتك ، فتلقى في جهنم ملوما ، تلومك نفسك وعارفوك من الناس ( مَدْحُورًا ) يقول :  
مُبْعَدًا مقصيا في النار ، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار ، فتنجو من عذابه .  
وبنحو الذي قلنا في قوله ( مَلُومًا مَّدْحُورًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ،  
في قوله ( مَلُومًا مَّدْحُورًا ) يقول : مطرودا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَلُومًا مَّدْحُورًا )  
قال : ملوما في عبادة الله ، مدحورا في النار .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب : الملائكة بنات الله : ( أَفَأَصْفَاكُمْ ) أيها الناس ( رَبُّكُمْ  
بِالْبَنِينَ ) يقول : أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد ( وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ) وأنتم لا ترضونهن  
لأنفسكم ، بل تثنونهن ، وتقتلونهن ، فجعلتم الله ما لا ترضونه لأنفسكم - ( إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا )  
يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ، الذين قالوا من القرية على الله ما ذكرنا : إنكم أيها الناس لتقولون بقبيلكم :  
الملائكة بنات الله ، قولا عظيما ، وتفترون على الله فرية منكم .

وكان قتادة يقول في ذلك ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَاتَّخَذَ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ) قال : قالت اليهود : الملائكة بنات الله .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا ، وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ) لهؤلاء المشركين المفترين على الله ( فِي هَذَا الْقُرْآنِ ) العسير والآيات والحجج ، وضر بنا لهم فيه الأمثال ، وحذرناهم فيه وأنذرناهم ( لِيَذَّكَّرُوا ) يقول : ليتذكروا تلك الحجج عليهم ، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ، ويعتبروا بالعبر ، فيتعظوا بها ، وينبئوا من جهالتهم ، فما يعتبرون بها ، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذير ، وما يزيدهم تذكيرنا إياهم ( إِلَّا نُفُورًا ) . يقول : إلا ذهابا عن الحق ، وبُعدا منه وهربا ، والنفور في هذا الموضع : مصدر من قولهم : نَفَرَ فلان من هذا الأمر ينفر منه نَفْرًا ونفورًا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهًا آخر : لو كان الأمر كما تقولون ، من أن معه آلهة ، وليس ذلك كما تقولون ، إذن لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم ، والتمست الزلفة إليه ، والمرتبة منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ) يقول : لو كان معه آلهة ، إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم ، فابتغوا ما يقربهم إليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ) قال : لابتغوا القرب إليه ، مع أنه ليس كما يقولون .

القول في تأويل قوله تعالى

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن

فِيهِنَّ ، وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَسٰكِنٌ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون ، الجاعلون معه آلهة غيره ، المضيفون إليه البنات ، فقال : تنزيها لله وعلاوا له عما تقولون أيها القوم ، من الفرية والكذب ، فإن ماتضيفون إليه من هذه الأمور ، ليس من صفته ، ولا ينبغي أن يكون له صفة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ

عُلُوًّا كَبِيرًا) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان . وقال تعالى (عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا) ولم يقل : تعاليا ، كما قال (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) كما قال الشاعر :

أَنْتَ الْفِدَاءُ لِكَعْبَةِ هَدَمْتُهَا      وَنَقَرْتَهَا بِيَسْدَيْكَ كُلَّ مَنْقَرٍ  
مُسْنَعُ الْحَمَامِ مَقِيلُهُ مِنْ سَقْفِهَا      وَمِنْ الْحَطِيمِ فَطَارَ كُلَّ مُطْبِرٍ

وقوله (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) يقول : تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا ، السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن ، وأنتم مع إنعامه عليكم ، وجميل أياديه عندكم ، تفترون عليه بما تفترون .

وقوله (وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) يقول جل ثناؤه : وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده .

كما حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا محمد بن يعلى . عن موسى بن عبيدة ، عن زيد ابن أسلم . عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمْرَ بِهِ نُوحُ ابْنُهُ ؟ إِنْ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ ، أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَلَمَّا صَلَاةُ الْخَلْقِ . وَتَسْبِيحُ الْحَقِّ ، وَبِهَا تُرْزَقُ الْخَلْقُ . قَالَ اللَّهُ (وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة يقول : لا يعين أحدكم دابته ولا ثوبه ، فإن كل شيء يسبح بحمده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : الشجرة تسبح ، والأسطهانة تسبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب ، قالوا : ثنا جرير أبو الخطاب ، قال : كنا مع يزيد الرقاشي ، ومعه الحسن في طعام ، فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان ؟ فقال : كان يسبح مرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، ويونس ، عن الحسن أنهما قالوا في قوله (وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قالوا : كل شيء فيه الروح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الكبير بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الطعام يسبح .

(١) البهتان شاهدان على أن المصدرين منقر ومطير المضافين إلى كل ، المررب مفعولا مطلقا ، ليسا من لفظ الفعل السابق عليهما ، لأن المنقر من نقر بتشديد القاف ، والمطير من طير بتشديد الياء ، مع أن الفعلين السابقين ثلاثيان . ولكن العرب تجيز وضع المصادر المختلفة عن الأفعال السابقة عليها ، ومنه في القرآن : «وتبتل إليه تبتيلا» ومصدر تبتل : هو التبتل لا التبتيل ، ولكن ذلك جائز لأن الحروف الأصول مشتركة في الأفعال والمصادر التي تليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ) قال : كل شيء فيه الروح يسبح ، من شجر أو شيء فيه الروح .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن الرجل إذا قال : لا إله إلا الله ، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها ، فإذا قال الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، فإذا قال الله أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، فإذا قال سبحان الله ، فهي صلاة الحلائق التي لم يدع الله أحد من خلقه ، إلا نوره بالصلاة والتسبيح ، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : أسلم عبدي واستسلم .  
وقوله ( وَلَكِنَّ لَاتَنفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : ولكن لانفقهمون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم . ( إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا ) يقول : إن الله كان حلماً لا يعجل على خلقه ، الذين يخالفون أمره ، ويكفرون به ، لولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين ، الذين يدعون معه الآلهة والأنداد ، بالعقوبة . ( غَفُورًا ) يقول : ساتراً عليهم ذنوبهم . إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا ) عن خلقه ، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض ( غَفُورًا ) لهم إذا تابوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ رَبُّكَ وَأَنْتَ حَاجِبٌ عَلِيمٌ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث ، ولا يقرؤون بالثواب والعقاب ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرأه عليهم ، فينتفعوا به ، عقوبة منا لهم على كفرهم . والحجاب ههنا : هو الساتر .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ رَبُّكَ ) : الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه ، وأن ينتفعوا به ، أطاعوا الشيطان ، فاستحوذ عليهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حِجَابًا مَسْتُورًا ) قال : هي الأكنة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ رَبُّكَ ) : قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ رَبُّكَ ) : قال : قال أبي : لا يفقهونه ، وقرأ ( قُلُوْهُمُ فِي أَكْنَتِهِمْ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْ ) لا يخلص ذلك إليهم .  
وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول : معنى قوله ( حِجَابًا مَسْتُورًا ) حِجَابًا سَاتِرًا ، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول ، كما يقال : إنك مشثوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن ، لأنه من شأمهم

ويعلمهم . قال : والحجاب ههنا : هو الساتر . وقال : مستورا . وكان غيره من أهل العربية يقول : معنى ذلك : حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه .

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب ، فيكون معناه : أن الله ستر عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم ، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَنِدَّهُ وَلَوَّا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة ، وهى جمع كنان ، وذلك ما يتغشأها من خذلان الله إياها عن فهم ما يتلى عليهم ( وفي آذانهم وقرا ) يقول : وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه ، وصمما . والوقر بالفتح فى الأذن : الثقل . والوقر بالكسر : الحمل . وقوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ ) يقول : وإذا قلت : لا إله إلا الله فى القرآن وأنت تتلوه ( وَلَوَّا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا ) يقول : انفضوا ، فذهبوا عنك نفورا من قولك ، استكبارا له ، واستعظاما من أن يوحد الله تعالى .

وبما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوَّا ) وإن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكروا ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، فصافها إبليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويُفْلِحَ بها ، ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فُلج ، ومن قاتل بها نُصير ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التى يقطعها الراكب فى ليالٍ قلائل ، ويسير الدهر ، فى فيثام من الناس لا يعرفونها ولا يقرؤون بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوَّا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا ) قال : بغضا لما تكلم به ، لثلا يسمعه ، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم فى آذانهم ، لثلا يسمعون ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ، ويستغشون ثيابهم ، قال : يلتفون بثيابهم ، ويجعلون أصابعهم فى آذانهم ، لثلا يسمعون ، ولا ينظر إليهم .

وقال آخرون : إنما عني بقوله ( وَلَوَّا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا ) الشياطين ، وإنما تهرب من قراءة القرآن ، وذكر الله .

(١) يقال : صافه ، بتشديد الفاء ، فهو مصاف : إذا رتب صفوفه فى مقابلة صفوف العدو . وتصافوا عليه : اجتمعوا صفا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع . قال : ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلابي ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَذَا ذَكَرْتَ رَبَّنَا فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا ) : هم الشياطين .

والقول الذي قلنا في ذلك ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ) فإن يكون ذلك خبراً عنهم أولى ، إذ كان يخبرهم متصلاً من أن يكون خبراً عن لم يجز له ذكر . وأما النفور ، فإنها جمع نافر ، كما القعود جمع قاعد ، والجلوس جمع جالس ؛ وجائز أن يكون مصدراً أخرج من غير لفظه ، إذ كان قوله ( وَلَوَّا ) بمعنى : نفروا ، فيكون معنى الكلام : نفروا نفورا ، كما قال امرؤ القيس :

وَرُضْتُ فَذَكَرْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالاً ١

إذ كان رُضْتُ بمعنى : أذلت ، فأخرج الإذلال من معناه ، لامن لفظه .

## القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧)

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك ، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله ( وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ) . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : النجوى : فعلهم ، فجعلهم هم النجوى ، كما يقول : هم قوم رضا ، وإنما رضا : فعلهم . وقوله ( إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) يقول : حين يقول المشركون بالله : ماتتبعون إلا رجلاً مسحوراً . وعني فيما ذكر بالنجوى : الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، صدره « وصرفنا إلى الحسى ورق كلامنا » وهو من قصيدة عدة أبياتها ٥٤ بيتاً ، وهو الخامس والعشرون فيها ، ( انظر مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٨ ) . وقد استشهد المؤلف على أن قول القرآن ، « ولوا على أدبارهم نفورا » يجوز أن يكون لفظ ( نفورا ) جمع نافر ، كجلوس جمع جالس ، وقعود جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدر نفر ، وهو مفعول مطلق للفعل « ولوا » لأنه يشول بمعنى نفروا ، كما يشول قول امرئ القيس ( أى إذلال ) بمعنى أى ذل مع ما بينهما من قرق في المعنى . ولكن العرب تسمح في وضع بعض المصادر موضع بعض على التأويل .

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ) قال : هي مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ) . . . الآية ، ونجواهم أن زعموا أنه مجنون ، وأنه ساحر ، وقالوا ( أساطير الأوليين ) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ( إن تتبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) إلى معنى : ماتبعون إلا رجلا له سحر : أي له رئة ، والعرب تسمى الرئة سحرا . والمسحور من قولهم للرجل إذا جين : قد انتفخ سحره ، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحور ، كما قال لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فنأنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحُورِ

وقال آخرون :

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ٢

أي نغذَى بهما . فكأن معناه عنده كان : إن تتبعون إلا رجلا له رئة ، يأكل الطعام ، ويشرب الشراب . لا تسلكوا لاحاجة به إلى الطعام والشراب ، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

(١) البيت في (ديوان لبيد ، رواية الطوسي ، طبع في سنة ١٨٨٠ من ٨١) وفي شرحه : عسافير : سفار ضعاف . أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا ، ومسحور مغلل بالطعام والشراب . وقوله : « إنما أنت من المسحورين » : من هذا . واستشهد به المؤلف على هذا قال : والمسحور : من قولهم للرجل إذا جين : قد انتفخ سحره . وكذلك يقال لكل ما أكل وشرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحور كما قال لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت . و ( في اللسان : سحر ) : وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . الخ البيت ، يكون على الوجهين ، وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحورين » يكون من التغذية والتدعية .

(٢) هذا عجز بيت من قول امرئ القيس بن حجر الكندي :

أَرَأَنَا مُوَضَّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ      وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ  
عَصَافِيرُ وَذِبَّانُ      وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مَجْلَحَةِ الذَّنَابِ

قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيتين : ( سحر ) أي تغذى أو نخدع . قال ابن امرئ برى : وقوله « موضعين » معناه : مسرعين . وقوله « لأمر غيب » : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهي عنه بالطعام والشراب . والسحر : التدعية . وفي « مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ٧٩ في شرح البيت الأول من البيتين : موضعين : مسرعين . لأمر غيب : يريد الموت أو المستقبل المجهول . ويروي : لحم غيب . وسحر : نلهي ، أو تغذى . يقول : أرانا في هذه الدنيا مسرعين للموت الذي غيب عنا وقته ، أو المستقبل المجهول ، لاندرى من أمره شيئا ، ونحن نلعلل عنه بالطعام والشراب . يريد : كيف يستلذ الطعام والشراب من هو جاد إلى شرب كأس المنية . وفي شرح البيت الثاني : العسافير : ضعاف الطير ، والمجالح : الجري ، والأثني مجلحة . يقول : نحن أشبه بالعسافير والذباب والدود في ضعفنا ، ولكننا أجرأ على الشر ، وارتكاب الآثام ، من الذئاب الضارية .

يقول تعالى ذكره : انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر ، كيف مثلوا لك الأمثال ، وشبهوا لك الأشباه ، بقولهم : هو مسحور ، وهو شاعر ، وهو مجنون ( فَضَلُّوا ) يقول : فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا . ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) يقول : فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه ، وبعدهم منه ، وأن الله قد خذلهم عن إصابته ، فهم لا يقدرّون على التخرّج مما هم فيه من كفرهم ، بتوفيقهم إلى الإيمان به .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) قال : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش ، وقالوا بعنهم : ( أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا ) لم نتحطم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا ( وَّرُفَاتًا ) يعني : ترابا في قبورنا .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يقول الله ( رُفَاتًا ) قال : ترابا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَقَالُوا أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا وَّرُفَاتًا ) يقول : غُبَار ، ولا واحد للرُفَات ، وهو بمنزلة الدُّقَاق والأُحْطَام ، يقال منه : رُفَت يُرْفَت رُفَاتًا فهو مرفوت : إذا صير كأحطام والرُّضَاص .  
وقوله ( أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) قالوا : إنكارا منهم للبعث بعد الموت ، إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة ، ورفاتا منحطمة ، وقد بليتنا فصرنا فيها ترابا ، خلقا مُدْشَأً كما كنا قبل الممات .  
جديدا : نعاد كما بدئنا ؟ فأجابهم جلّ جلاله ، يعرفهم قُدْرته على بعثه إياهم بعد مماتهم ، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلَاهُم ، خلقا جديدا ، على أي حال كانوا من الأحوال ، عظاما أو رُفَاتًا أو حجارة أو حديدا ، أو غير ذلك ، مما يعظّم عندهم أن يحدث مثله ، خلقا أمثالهم أحياء ، قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم .

## القول في تأويل قوله تعالى

\* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، فَسَيَقُولُونَ: مَنْ يُعِيدُنَا؟ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ، وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)

\* يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمكذابين بالبعث بعد الممات من قومك، القائلين (أئذا كنا عظاما ورَفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) : كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم ، وإعادته أجسامكم ، خلقا جديدا بعد بيلاكم في التراب ، ومصيركم رَفَاتًا، وأنكرتم ذلك من قدرته ، حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم، إن قدرتم على ذلك ، فإنني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك ، كما بدأتكم أول مرة .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) فقال بعضهم: عُنِيَ به الموت ، وأريد به : أو كونوا الموت ، فإنكم إن كنتموه أمثكم ، ثم بعثكم بعد ذلك يوم البعث .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت ، قال : لو كنتم موتى لأحييتكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعني الموت ، يقول : إن كنتم الموت أحييتكم .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو مالك الجني ، قال : ثنا ابن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبیر ، في قوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) كونوا الموت إن استطعتم ، فإن الموت سيموت ؛ قال : وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني ، عن سعيد ابن جبیر ، قال : هو الموت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن



عمر ، أنه كان يقول : « بجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، حتى يجعل بين الجنة والنار ، فينادى مناد يسمع أهل الجنة وأهل النار ، فيقول : هذا الموت قد جئنا به ، ونحن مهلكوه ، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك . »

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) يعني الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأمتمكم . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : « إن الله يحيى بالموت يوم القيامة ، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم ، كأنه كبش أملح ، فيقف بين الجنة والنار ، فينادى أهل الجنة وأهل النار : هذا الموت ، ونحن ذابحوه ، فأيقنوا بالخلود . »

وقال آخرون : عسى بذلك السماء والأرض والجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : السماء والأرض والجبال . وقال آخرون : بل أريد بذلك : كونوا ما شئتم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله كما كنتم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : من خلق الله ، فإن الله يميتكم ، ثم يعيدكم يوم القيامة خلقا جديدا . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) ، وجائز أن يكون عنى به الموت ، لأنه عظيم في صدور بني آدم ؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض ؛ وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه ، وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه ، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء .

وأما قوله ( فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ) فإنه يقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ( مَنْ يُعِيدُنَا ) خلقا جديدا ، إن كنا حجارة أو حديدًا أو خلقا مما يكبر في صدورنا ، فقل لهم : يعيدكم ( الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) يقول : يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدًا ، إنسا أحياء ، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أول مرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ )

أى خلقكم ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : فإنك إذا قلت لهم ذلك ، فسيهزؤون إليك رءوسهم برفع وخفض ، وكذلك النغض في كلام العرب ، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض ، أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمى الظلم نغضا ، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض ، وحرك رأسه ، كما قال الشاعر :

أَسْكَّ نَغْضًا لَأَيِّ مَسْتَهْدِجًا<sup>١</sup>

ويقال : نَغَضَتْ سَنَهُ : إذا تحركت وارتفعت من أصلها ؛ ومنه قول الراجز :

وَنَغَضَتْ مِنْ هَرَمٍ أَسْنَانُهَا<sup>٢</sup>

وقول الآخر :

لَمَّا رَأَيْتَنِي أَنْغَضْتَ لِي الرَّأْسَا<sup>٣</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) أى يحركون رءوسهم ، تكذيبا واستهزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) قال : يحركون رءوسهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : سيحركونها إليك استهزاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) قال : يحركون رءوسهم ، يستهزئون ويقولون متى هو ؟ حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : يهزءون .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للمعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٧) وهو السابع من أرجوزة مطولة . وفيه : « أسك » بالصاد ، في موضع « أسك » بالسين . والأسك : صفة من السكك ، وهو الصم . وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ، وقلة إشرافها . وقيل : قصرها ولصوقها بالخشاش ، يكون ذلك في الآدميين وغيرهم . قال : والنعام كلها سك وكذلك القطا . وأصل السكك الصم . اهـ . الثمان . وفي (اللسان : سكك) : الأمسك والمصك : القوى الجسم الشديد الخلق من الناس والإبل والحمير . وفي (نفس) : نفخ الشيء نفضا : تحرك واضطرب ، وأنفص هو : حركه اهـ . ولايني : أى لايقتر . وفيه أيضا (هدج) أورد البيت كرواية الديوان . قال : وهدج الظلم يهدج هدجانا واستهدج ، وهو مثنى وسمى وعدو ، كل ذلك إذا كان في ارتقاش . قال المعجاج يصف الظلم : « أسكك . . الخ » . ويروي مستهدجا (بكسر الدال) أى عجلان ، وقال ابن الأعرابي : أى مستعجلا ، أى أفرع فر . والبيت شاهد على أن « النغض » في كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض ، أو بالعكس .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٨٢) وعنه أخذ المؤلف . قال أبو عبيدة : « فسيفضون إليك رءوسهم » : مجازة : فسيفضون ويحركون ، استهزاء منهم . ويقال : قد نفضت من فلان : إذا تحركت وارتفعت من أصلها . قال : « ونفضت من هرم أسنانها » .

(٣) وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذي قبله ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٨٢) جاء بعد الأول على أن أنفص الرأس بمعنى حركه ورفع ، استهزاء بمن هو أمامه .

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ ) يقول جل ثناؤه : ويقولون متى البعث؟ وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا؟ كما كنا أول مرة ، قال الله عز وجل لنبيه : قل لم يا محمد إذ قالوا لك : متى هو؟ متى هذا البعث الذي تعدنا؟ عسى أن يكون قريبا ! وإنما معناه : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وَأُشَارُ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى » ، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ، وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا  
الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)  
يقول تعالى ذكره : قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا ، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة ، فتستجيبون بحمده .

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) يقول : بأمره .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ )  
قال : بأمره .

وقال آخرون : معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) : أي بمعرفته وطاعته .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه إياكم ، والله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله ، يعني : لله الحمد على كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر :

فإني بحمدي الله لا ثوبَ فاجرٍ لبستُ ولا من غدرَةٍ أتفتعُ

بمعنى : فاني والحمد لله لا ثوب لاثوب فاجر لبست .

(١) البيت شاهد على أن قوله « بحمد الله » في معنى « والحمد لله » . واستشهد به القرطبي في ( ١٠ : ٢٧٦ ) ولم ينسبه إلى قائل

وقوله ( وَتَنظُّنُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : وتحسبون عند موافاتكم القيامة ، من هول ما تعابنون ، فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلا ، كما قال جل ثناؤه ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فاستأجل العادين ) .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَنظُّنُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) :  
أى في الدنيا ، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقتلت ، حين عابنوا يوم القيامة .  
وقوله ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم :  
وقل يا محمد لعبادي : يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن ، من المحاورة والمخاطبة .  
كما حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن الحسن في هذه الآية ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : التي هي أحسن ، لا يقول له مثل قوله ، يقول له : يرحمك الله ، يغفر الله لك .

وقوله ( إِن الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ) يقول : إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ، ينزغ بينهم ، يقول : يفسد بينهم . يهيج بينهم الشر . ( إِن الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ) يقول : إن الشيطان كان لآدم وذريته عدوًّا ، قد أبان لهم عداوته ، بما أظهر لآدم من الحسد ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ، إِن يَشَأْ يُرْسِمَكُمْ ، أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ  
وَكَيْلًا (٥٤)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا ( أئذا كنا عظاماً ورُفَاتَا أئِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا - رَبُّكُمْ ) أيها القوم ( أَعْلَمُ بِكُمْ ، إِن يَشَأْ يُرْسِمَكُمْ ) : فيتوب عليكم برحمته ، حتى تنبؤوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر ( وَإِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ) : بأن يخذلكم عن الإيمان ، فتموتوا على شرككم ، فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عبد الملك بن جريج ، قوله ( رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ، إِن يَشَأْ يُرْسِمَكُمْ ) قال : فتؤمنوا ( أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ) ، فتؤمنوا ، أو إن يشأ يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم .

وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه ، لتدعوه إلى طاعتنا ، ربا ولا رقيبا ، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا ، وبأيدينا صرفهم وتديبرهم ، فإن شئنا رحمتنا ، وإن شئنا عذابناهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَرَبُّكَ ) يا محمد ( أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم ، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة ، ومن هو أهل للعذاب ، أهدي للحق من سبق له مني الرحمة والسعادة ، وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان ، يقول : فلا يكبرن ذلك عليك ، فإن ذلك من فعلي بهم ، لتفضيلي بعض النبيين على بعض ، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق ، وبعضهم إلى الجميع ، ورفعى بعضهم على بعض درجات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ) اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلم موسى تكليما ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وهو عبد الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبوراً ، كنا نحدث دعاء علمه داود ، تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ) قال : كلم الله موسى ، وأرسل محمدا إلى الناس كافة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ، ادعوا أيها القرم الذين زعمتم أنهم أرباب وآله من دونه ، عند ضرر ينزل بكم ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فتدعوهم آلهة ، فإنهم لا يقدرون على ذلك ، ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم . وقيل : إن الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول ، كانوا يعبدون الملائكة وعزيريا والمسيح ، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ) قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة وعزيرًا ، وهم الذين يدعون . يعنى الملائكة والمسيح وعزيرًا .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ، ( إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ) (٥٧)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يدعوه هؤلاء المشركون أربابا ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) ، يقول : يبتغي المدعوون أربابا إلى ربهم القربة والزلفة ، لأنهم أهل إيمان به ، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ( أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) أيهم بصالح أعماله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ( وَيَرْجُونَ ) بأفعالهم تلك ( رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ ) بخلافهم أمره ( عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ ) يا محمد ( كَانَ مَحْذُورًا ) متقى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في المدعويين ، فقال بعضهم : هم نفر من الجن .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، في قوله : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجن ، فأسلم الجن ، وبقى الإنس على كفرهم ، فأنزل الله تعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) يعنى الجن .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله في هذه الآية ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) قال : قبيل من الجن كانوا يعبدون ، فأسلموا .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني الحسين ، عن قتادة ، عن معبد ابن عبد الله الزماني ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن مسعود ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فأنزلت ( الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حدث عمه عبد الله بن مسعود ، قال : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قوم عبدوا الجن ، فأسلم أولئك الجن ، فقال الله تعالى ذكره ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم النفر من الجن ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فقال ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله : كان ناس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم أولئك الجنيون ، وثبتت الإنس على عبادتهم ، فقال الله تبارك وتعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجن ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا ، فكانوا يبتغون أيهم أقرب ؟  
وقال آخرون : بل هم الملائكة .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوام ، قال : أخبرنا قتادة ، عن عبد الله بن معبد الزماني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ، ويقولون : هم بنات الله ، فأنزل الله عز وجل ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ) معشر العرب ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : الذين يدعون الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة ( أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ) حتى بلغ ( إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا ) قال : وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين  
وقال آخرون : بل هم عزير ، وعيسى ، وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : عيسى ، وأمه ، وعزير .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : عيسى بن مريم ، وأمّه ، وعزير في هذه الآية ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : عيسى ابن مريم ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : هو عزير ، والمسيح ، والشمس ، والقمر .  
وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية : قول عبد الله بن مسعود الذي رويناها ، عن أبي معمر عنه ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة ، أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن عزير لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ، فيبتغي إلى ربه الوسيلة ، وأن عيسى قد كان رُفِعَ ، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا ، يعمل بطاعة الله ، ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال . فأما من كان لاسبيل له إلى العمل ، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة . فإذا كان لامعنى لهذا القول ، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل ، أو قول من قال : هم الملائكة ، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل . وأما الوسيلة ، فقد بينا أنها القرية والزلفة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الوسيلة : القرية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : الوسيلة ، قال : القرية والزلفي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ، كَانَ ذَلِكَ

فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وما من قرية من القرى ، إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء ، فبيدوهم استئصالا ، قبل يوم القيامة ، أو معذبوهم ، إما ببلاء ، من قتل بالسيف ، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ



مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) فمبيدوها أو معدّبوها بالقتل والبلاء ، قال : كلّ قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : سيصيبها هذا أو بعضه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مَعَذَّبُوهَا ) قضاء من الله كما تسمعون ، ليس منه بدّ ، إما أن يهلكها بموت ، وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل ، إذا تركوا أمره ، وكذبوا رسله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ) قال : مبيدوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيّك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : « إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية ، آذَنَ اللهُ في هلاكها » .

وقوله ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وذلك اللوح المحفوظ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) قال : في أم الكتاب ، وقرأ ( لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ ) ويعني بقوله ( مَسْطُورًا ) مكتوباً مبيناً ، ومنه قول العجاج :

واعلّم بأنّ ذَا الجلال قد قدّر في الكُتُبِ الأولى التي كان سطرٌ  
أمرّك هذا فاحتفظ فيه النهر

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك ، إلا أن من كان قبلهم من الأمم المكذبة ، سألوها ذلك مثل سؤالهم ؛ فلما أتاهم ما سألوها منه ، كذبوا رسلهم ، فلم يصدقوا مع محيي الآيات ، فعوجلوا ، فلم نرسل إلى قومك بالآيات ، لأننا لو أرسلنا بها إليها ، فكذبوا بها ، سلكتنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها .

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للعجاج بن ربيعة ، من أرجوزة مطولة ، عدة أبياتها ٢٢٩ بيتاً ، يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر ، (انظر ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥ - ٢١) . وفيه « الكتب » في موضع : « الصحف » . و « فاعلم » في موضع واعلم . وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٨٣ ) وقال مستور . أي مبينا مكتوباً . وفي روايته النثر ، يفتح النون والياء . وقال : النثر : الخديعة . وفي ( اللسان : نثر ) : والنثر بالتحريك : الفساد والضياع ، قال العجاج : « واعلم . . . الخ » الأبيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا ، وأن ينحى عنهم الجبال ، فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم ، لعننا نجتني منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا أهلکوا كما أهلک من قبلهم ، قال : بل تستأني بهم ، فأنزل الله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَآئُونَ ، وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ) .

حدثني إسحاق بن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن في قول الله تعالى ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَآئُونَ ) قال : رحمة لكم أيها الأمة ، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها ، أصابكم ما أصاب من قبلكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ، فمنهم من سُخِّرَتْ له الريح ، ومنهم من كان يحجي الموتى ، فإن سرك أن تؤمن بك ونصدقك ، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهابا ، فأوحى الله إليه : إني قد سمعت الذي قالوا ، فإن شئت أن نفعل الذي قاله ، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن تستأني قومك استأنت بهم ، قال : يارب أستأني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَآئُونَ ) قال : قال أهل مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم : إن كان ما تقول حقا ، ويسرك أن تؤمن ، فحوّل لنا الصفا ذهابا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت استأنت بقومك ، قال : بل استأنتي بقومي ، فأنزل الله ( وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ) وأنزل الله عز وجل ( مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أنهم سألوا أن يحوّل الصفا ذهابا ، قال الله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَآئُونَ ) قال ابن جريج : لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها إلا عذبوا ، فلوجعلت لهم الصفا ذهابا ثم لم يؤمنوا ، عذبوا ، و « أن » الأولى التي مع مَنَعْنَا ، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها ، وأن الثانية رفع ، لأن معنى الكلام : وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين من الأمم ، فالفعل لأن الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ، وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وقد سأل الآيات يا محمد من قبيل قومك ثمود ، فآتيناها ما سألت ، وجعلنا تلك

الآية ناقة مبصرة ، جعل الإبصار للناقة ، كما تقول للشجرة : موضحة ، وهذه حُجَّة مبينة . وإنما عني بالمبصرة : المضيئة البينة ، التي من يراها كانوا أهل بصر بها ، أنها لله حجة ، كما قيل : والنهار مبصرا . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَآتَيْنَا مُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ) : أي بيّنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ ذكره ( النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ) قال : آية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقوله ( فَظَلَمُوا بِهَا ) يقول عزّ وجلّ : فكان بها ظلمهم ، وذلك أنهم قتلوها وعقروها ، فكان ظلمهم بعقروها وقتلها . وقد قيل : معنى ذلك : فكفروا بها ، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله ، أراد : فكفروا بالله بقتلها ، فيكون ذلك وجها .

وأما قوله ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) فإنه يقول : وما نرسل بالعبير والذّكّر إلا تخويفا للعباد . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) وإن الله يخوف الناس بما شاء من آية ، لعلهم يعتبرون ، أو يذّكرون ، أو يرجعون . ذُكّر لنا أن الكوفة رُجفت على عهد ابن مسعود ، فقال : يأبها الناس إن ربكم يستعقبكم فأعتبوه . حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا نوح بن قيس عن أبي رجاء عن الحسن ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) قال : الموت الذريع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ، وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَأَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

وهذا حصّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على تبليغ رسالته ، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا . يقول جلّ ثناؤه : واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قُدرة ، فهم في قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته ، ونحن مانعوك منهم ، فلا تهبّ منهم أحدا ، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول : أحاط بالناس ، عصمك من الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن الحسن ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ  
 إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : يقول : أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك ، فعرف أنه لا يقتل .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : فهم في قبضته .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير  
 قوله ( أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : منعك من الناس . قال معمر ، قال قتادة ، مثله .  
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ  
 أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : منعك من الناس .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ )  
 أي منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك .  
 وقوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال  
 بعضهم : هو رؤيا عين ، وهي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، لما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن  
 ابن عباس في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هي رؤيا عين ، أريها رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، وليست برؤيا منام .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،  
 سُئِلَ عن قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هي رؤيا عين رآها النبي صلى  
 الله عليه وسلم ليلة أسرى به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ،  
 عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن فرات القزاز ، عن سعيد بن جبير ( وَمَا  
 جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : كان ذلك ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، فرأى  
 مارأى ، فكذب به المشركون حين أخبرهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُمَيْرِ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : أسرى به عشاء إلى بيت المقدس ، فصلى فيه ، وأراه الله ما أراه من  
 الآيات ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، فقالوا له : يا محمد ما شأنك ، أمسيت  
 فيه ، ثم أصبحت فينا ، تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ، فعجبوا من ذلك ، حتى ارتد بعضهم عن الإسلام .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوَذَةَ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : قال كفار أهل مكة : أليس من كَذِبِ بن أبي كَبْشَةَ أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبير ، قال : ثنا حُصَيْن ، عن أبي مالك في هذه الآية ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : مسيره إلى بيت المقدس .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : حين أُسْرِيَ به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : ليلة أُسْرِيَ به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس ، حين أُسْرِيَ به ، فكانت تلك فتنة الكافر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) يقول : الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا ارْتَدَوْا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ حِينَ حَدَّثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَسِيرِهِ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ وَكَذَّبُوا بِهِ ، وَعَجِبُوا مِنْهُ ، وَقَالُوا : « تُحَدِّثُنَا أَنْكَ سَرْتِ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ . »

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أني ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هو ما أرى في بيت المقدس ليلة أُسْرِيَ به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ) قال : أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسْرِيَ به ، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسْرِيَ به ، قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين ١ من العشر التي مكثها بمكة ، ثم رجع من ليلته ، فقالت قريش : تعشى فينا وأصبح فينا ، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع ، وأيم الله إن الهداة لتجيها شهرين شهرا مقبلة ، وشهرا مدبرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هذا حين أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس ، افتتن فيها ناس ، فقالوا : يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة ! وقال : « لَمَّا أَنَا فِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ ، لِيَحْمِلَنِي عَلَيْهِمَا ، صَرَّتْ بِأَذُنَيْهَا ، وَأَنْقَبَبَصَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا جَبْرِئِيلُ ، »

فقال : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ ، مَا رَكِبْتُكَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ حَتَّى مِنْهُ . قال : فَصَرَّتْ بِأُذُنَيْهَا ، وَأَرْقَضَتْ عَرَقًا ، حَتَّى سَالَ مَا تَحْتَهَا ، وَكَانَ مِنْتَهَى خَطُوبِهَا عِنْدَ مَنْتَهَى طَرَفِهَا ، فَلَمَّا أَنَاهُمْ بِذَلِكَ ، قَالُوا : مَا كَانَ مُحَمَّدٌ لِيَنْتَهَى حَتَّى يَأْتِيَ بِكَذْبَةٍ تَخْرُجُ مِنْ أَقْطَارِهَا ، فَأَتُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا صَاحِبُكَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ ، فَقَالُوا : تَصَدِّقُهُ إِنْ قَالَ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَرَجَعَ فِي لَيْلَةٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِيْ ، نَزَعَ اللَّهُ عَقُولَكُمْ ، أَصَدِّقُهُ بِخَيْرِ السَّمَاءِ ، وَالسَّمَاءُ أَبْعَدُ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَلَا أَصَدِّقُهُ بِخَيْرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ؟ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَدَّ جِئْنَا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَصَفَّهَ لَنَا ، فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ ، رَفَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِثْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : هُوَ كَذَا ، وَفِيهِ كَذَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَأَبْيَكُمْ إِنْ أَخْطَأَ مِنْهُ حِرْفًا ، فَقَالُوا : هَذَا رَجُلٌ سَاحِرٌ .

حُدِّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) يَعْنِي لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَكَانَتْ فِتْنَةً لَهُمْ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ( الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ) قَالَ : حِينَ أُسْرِي بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، بِنَحْوِهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي رَأَى أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ .

#### ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا عَمِي ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قَالَ : يُقَالُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَعَجَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ الْأَجْلِ ، فَدَعَا الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَتْ أَنَاسٌ : قَدِ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَيَدْخُلُهَا ، فَكَانَتْ رَجَعَتْهُ فِتْنَتُهُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ قَالَ : هِيَ رُؤْيَا مَنْامٍ : إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي مَنْامِهِ قَوْمًا يَبْلُغُونَ مِنْبَرَهُ .

#### ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زُبَّالَةَ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي فُلَانٍ يَنْزِلُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزْوًا قَصِيرَةً ،

فساءه ذلك ، فما استجمع اضاحكا حتى مات ، قال : وأنزل الله عز وجل في ذلك ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) . . . الآية :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عني به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى من الآيات والعبر ، في طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أسرى به ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل ، على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك ، وإياه عني الله عز وجل بها ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس ، إلا فتنة للناس ، يقول : إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام ، لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام ، وللمشركين من أهل مكة ، الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم ، وكفرا إلى كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إلا فتنة للناس )<sup>٢</sup> .  
وأما قوله ( والشجرة الملعونة في القرآن ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هي شجرة الزقوم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو عبيدة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( والشجرة الملعونة في القرآن ) قال : شجرة الزقوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( والشجرة الملعونة في القرآن ) قال : هي شجرة الزقوم . قال أبو جهل : أيخوفي ابن أبي كبشة بشجرة الزقوم ، ثم دعا بتمر وزبد ، فجعل يقول : زقمني . فأنزل الله تعالى ( طلعها كأنه رؤوس الشياطين ) ، وأنزل ( وئخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ) .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ( والشجرة الملعونة في القرآن ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( والشجرة الملعونة في القرآن ) فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد ، ويقولون : ترقموا هذا الزقوم . قال أبو رجاء : فحدثني عبد القدوس ، عن الحسن ، قال : فوصنها الله لهم في الصافات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : قال أبو جهل وكفار أهل

(١) معناه : لم يره الناس بعدها ضاحكا ضاحكا تاما حتى مات .

(٢) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا .

مكة : أليس من كذب ابن أبي كَبْشَةَ أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة! (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي مالك ، قال في قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن رجل يقال له بدر ، عن عكرمة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال : سئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك العزرمي ، عن سعيد بن جبير (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، بمثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي الخجّل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كان يحلف

ما يستثنى ، أن الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال :

سألت سعيد بن جبير ، عن الشجرة الملعونة في القرآن ، قال : شجرة الزقوم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة

عن ابن عباس ، قال : هي الزقوم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ

وُخْوَفُهُمْ) قَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) وهي شجرة الزقوم ، خوَّف الله بها عباده ، فافتنوا بذلك ، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام : زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ،

وإنا والله مانعهم الزقوم إلا التمر والزبد ، فتزقموا ، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) إني خلقتها من النار ،

وعذبت بها من شئت من عبادي . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ

فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم ، وذلك أن المشركين قالوا : نخبرنا هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، حتى لا تدع منه شيئا ، وذلك فتنة .



حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) قال : شجرة الزقوم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) الزقوم التي سألوها الله أن يملأ بيوتهم منها . وقال : هي الصَّرْفَان بالزبد تزقمه ، والصرفان : صنف من التمر . قال : وقال أبو جهل : هي الصرفان بالزبد ، وافتنوا بها .  
وقال آخرون : هي الكَشُوث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن مولى بني هاشم حدثه ، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أرسله إلى ابن عباس ، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن ؟ قال : هي هذه الشجرة التي تَلَوَّى على الشجرة ، وتجعل في الماء ، يعنى الكشوثا .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : عنى بها شجرة الزقوم ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ونصبت الشجرة الملعونة عطفاً بها على الرؤيا . فتأويل الكلام إذن : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، والشجرة الملعونة في القرآن ، إلا فتنه للناس ، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد ، وتمادى أهل الشرك في شركهم ، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسرى به . وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه : يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة ، والنار تأكل الشجر ، فكيف تنبت فيها وقوله ( وَنُحُوفُهُمْ قَمًا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ) يقول : ونحوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال ، فما يزيدهم تخويفنا إلا طغياناً كبيراً . يقول : إلا تمادياً وغياً كبيراً في كفرهم وذلك أنهم لما خوَّفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم ، دعوا بالتمر والزبد ، وقالوا : تَزَقَّمُوا مِنْ هَذَا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك ، ونذكر بعض من بقى .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ( الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ) قال : طلعتها كأنه رعوس الشياطين ، والشياطين ملعونون . قال ( والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) لما ذكرها زادهم افتتاناً وطغياناً ، قال الله تبارك وتعالى ( وَنُحُوفُهُمْ قَمًا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَنْسُجِدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

(١) الكشوث ، والكشوثا ، والكشوثاء : نبت يتعلق بالأغصان ، ولا عرق له في الأرض . وهي لفظة سوادية ( انظر اللسان والتلج ) .

طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ، لَنْ أُخْرَتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)

\* يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد تمادى هؤلاء المشركين في غيهم ، وارتدادهم عتوا على ربهم ، بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسدا واستكبارا ( لَنْ أُخْرَتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ) وكيف صدقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم . ويعنى بقوله ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ) : واذكر إذ قلنا للملائكة ( اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلَّا إِبْلِيسَ ) فإنه استكبر وقال ( أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ) يقول : لمن خلقته من طين ؛ فلما حذف « مِين » تعلق به قوله ( خَلَقْتَ ) فنصب ، يفخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار ، وخلق آدم من طين .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة تبارك وتعالى إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبتها وملحها ، فخلق منه آدم ، فكل شيء خلق من عذبتها ، فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين ، وكل شيء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ؛ ومن ثم قال إبليس ( أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ) : أى هذه الطينة أنا جئت بها ، ومن ثم ستمى آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

وقوله ( أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ) يقول تعالى ذكره : أ رأيت هذا الذى كرمته على ، فأمرتنى بالسجود له ويعنى بذلك آدم ( لَنْ أُخْرَتَنِي ) ، أقسم عدو الله ، فقال لربه : لَنْ أُخْرَتَ إِهْلَاكِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ( لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : لأستولين عليهم ، ولأستأصلنهم ، ولأستميلنهم ، يقال منه : احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

نَشَكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفْتُ جَهْدًا إِلَى جَهْدِ بِنَا فَأَضَعَفْتُ

وَاحْتَنَكْتُ أَمْوَالَنَا وَجَلَّفْتُ ١

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، من الأرجوزة السادسة فى بقية ديوان الزيفان السعدى ( بطاء بن أسيد الراجز ) ، وهى ملحقة بديوان المعجاج المطبوع فى ليبرج سنة ١٩٠٣ ص ٦٥ ، مع اختلاف فى رواية بعضها . والبيتان الأولان هما :  
نَشَكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ جَلَّفْتُ أَمْوَالَنَا مِنْ أَصْلِهَا وَجَرَفْتُ

أما البيت الثالث فليس فى الأرجوزة . ومعنى أجحفت : أصرت بنا وذهبت بأموالنا ، فلقينا من شدتها جهدا إلى جهد . واحتنكت : قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٤ ) . يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع ، من مال أو علم أو حديث أو غيره : أخذه كله واستقصاه . قال : نشكو إليك . . . الخ الأبيات . ومعنى جلقت : قشرت ، أو قشرت الجلد مع شيء من اللحم . والأبيات شاهد على أن الاحتنك معناه الاستئصال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (لَا حَتَّيْنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأحتوينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَا حَتَّيْنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لأستولين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا حَتَّيْنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأضلهم ، وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى ، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد ، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣)

يقول تعالى ذكره : قال الله لإبليس إذ قال له (لَسِنٌ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) : اذهب فقد أخرجتك ، فمن تبعك منهم ، يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك ، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم . يقول : ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي ، وثوابهم على اتباعهم إياك ، وخلافهم أمري ، (جزاء موفورا) : يقول : ثوابا مكثورا مكملًا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) عذاب جهنم جزاؤهم ، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) قال : وافرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، موفورا ، قال : وافرا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ، وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ ، وَمَا يَمْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا (٦٤)

يعني تعالى ذكره بقوله ( وَأَسْتَفْزِرُّ ) واستخفف واستجهل ، من قولهم : استفز فلانا كذا وكذا ، فهو يستفزه ( مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) . اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جل ثناؤه بقوله ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) فقال بعضهم : عنى به : صوت الغناء واللعب . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : باللهو والغناء .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : اللعب واللهو . وقال آخرون : عنى به : ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ ) بدعاك إياه إلى طاعتك ومعصية الله . ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : صوته كل داع دعا إلى معصية الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : بدعاك .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : واستفز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم يخص من ذلك صوتا دون صوت ، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته ، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله ، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ( وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) .

وقوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ) يقول : وأجمع عليهم من ركبان جنك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك ، والصرف عن طاعتي ، يقال منه : أجلب فلان على فلان إجلايا : إذا صاح عليه . وأجلب : الصوت ، وربما قيل : ما هذا الجلب ، كما يقال : الغلبة والغلب ، والشفقة والشفق . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ، في قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال : كل راكب وماش في معاصي الله تعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال : إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال الرجال : المشاة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية . عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ) قال : خيله : كلّ راكب في معصية الله ؛ ورجله : كل راجل في معصية الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ) قال : ما كان من راكب يقاتل في معصية الله ، فهو من خيل إبليس ، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس . والرجل : جمع راجل ، كما التجرّ : جمع تاجر ، والصّحْب : جمع صاحب .

وأما قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) فقال بعضهم : هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله ، واكتسابهموها من غير حلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) التي أصابوها من غير حلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) قال : ما أكل من مال بغير طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : الشرك في أموال الربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد والله شاركهم في أموالهم ، وأعطاهم الله أموالا أفنقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه ، وهو قول قتادة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) مرهم أن يكسبوها من خبيث ، وينفقوها في حرام .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : كلّ مال في معصية الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : مشاركته إياهم في الأموال والأولاد ، ما زيين لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) كلّ ما أنفقوا في غير حقه .

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك كلُّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يجرِّمون من الأنعام كالبحائر والسواائب ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : الأموال : ما كانوا يجرِّمون من أنعامهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : : مشاركتهم في الأموال : أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) فإنه قد فعل ذلك ، أما في الأموال ، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا . قال أبو جعفر : الصواب : حاميا .

وقال آخرون : بل عُنِيَ به ما كان المشركون يذبحونه لأنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) يعنى ما كانوا يذبحون لأنهم . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِيَ بذلك كلُّ مال عَصِي الله فيه بإنفاق في حرام ، أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسيب ، أو بجر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه ، وذلك أن الله قال ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) فكلُّ ما أطبع الشيطان فيه من مال وعَصِي الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض . وقوله ( وَالْأَوْلَادِ ) اختلف أهل التأويل في صفة شركته بنى آدم في أولادهم ، فقال بعضهم : شركته إياهم فيهم ، بزناهم بأمهاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا . حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أولاد الزنا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا ، يعني بذلك أهل الشرك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : الأولاد : أولاد الزنا .

وقال آخرون : عنى بذلك : وأدهم أولادهم وقتلهموهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : ما قتلوا من أولادهم ، وأتوا فيهم الحرام .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك : صبغهم إياهم في الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم ، فمجسوا ، وهودوا ، ونصروا ، وصبغوا غير صبغة الإسلام ، وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد فعل ذلك ، أما في الأولاد ، فلإيهم هودوهم ، ونصروهم ، ومجسروهم .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : شاركته إياهم في الأولاد ، سموا عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : كل ولد ولدته أنثى ، عصي الله بتسميته ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها ، بفعله به أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه ، لأن الله لم يخص بقوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى ، فكل ما عصى الله فيه أوبه ، وأطبع به الشيطان أو فيه ، فهو مشاركة من عصي الله فيه أو به إبليس فيه .

وقوله ( وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) يقول تعالى ذكره لإبليس : وعِدُّ أتباعك من ذرية آدم ، النصرة على من أرادهم بسوء ، يقول الله ( وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) لأنه لا يعنى عنهم من عقاب الله ، إذا نزل بهم . شيئا . فهم من عِدَاتِهِ في باطل وخديعة ، كما قال لهم عدو الله حين

حَصْحَصَ الْحَقَّ ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَتْلُوا مَوْتِي وَكُفُّوا أُنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

يقول تعالى ذكره لإبليس : إن عبادي الذين أطاعوني ، فاتبعوا أمري ، وعصوك يا إبليس ، ليس لك عليهم حجة .

وقوله ( وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكفاك يا محمد ربك حفيظا ، وقما بأمره ، فانقد لأمره ، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين ، ولا تخف أحدا ، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ) وعباده المؤمنون ، وقال الله في آية أخرى ( إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦)

يقول تعالى ذكره للمشركين به : ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر ، فيحملكم فيها ، ليتبعوا من فضله لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجارتكم ومطالبكم ومعاشكم ، وتتمسون من رزقه . ( إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) يقول : إن الله كان بكم رحيمًا ، حين أجرى لكم الفلك في البحر ، تسهلا منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية ، التي لولا تسهيله ذلك ، لكم لصعب عليكم الوصول إليها . وبنحو ما قلنا في قوله ( يُزْجِي لَكُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) يقول : يجرى الفلك .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يسيرها في البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يجرى .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يجريها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ ، فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضلَّ من تدعون : يقول : فقدتم من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة ، وجار عن طريقكم فلم يغنكم ، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتهم ، فلما دعوتهم وأغاثكم ، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد ، والبراءة من الآلهة ، وإفراذه بالألوهة كفرًا منكم بنعمته ( وكان الإنسان كفورًا ) يقول : وكان الإنسان إذا جحد لنعم ربه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)

يقول تعالى ذكره ( أفأمنتم ) أيها الناس من ربكم ، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك ، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم ، وأشركتم في عبادته غيره ( أن يخسِّفَ بكم جانب البر ) يعني ناحية البر ( أو يرسل عليكم حاصبًا ) يقول : أو يطرركم حجارة من السماء تفتلكم ، كما فعل بقوم لوط ( ثم لا تجدوا لكم وكيلًا ) يقول : ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه ، وما يمنعكم منه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أفأمنتم أن يخسِّفَ بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبًا ) يقول : حجارة من السماء ( ثم لا تجدوا لكم وكيلًا ) : أي منعة ولا ناصرًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( أفأمنتم أن يخسِّفَ بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبًا ) قال : مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر .

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ( أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ) إلى : أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ القُطْنِ مَنشُورًا  
وأصل الحاصب : الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء : الأرض فيها الرمل والحصى الصغار . يقال في الكلام حَصَبَ فلان فلانا : إذا رماه بالحصباء . وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب ، لرميها الناس بذلك . كما قال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَسَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبِهُنَّ شَمَالًا  
تَرْمِي العِضَاءَ بِحَاصِبٍ مِّنْ ثَلْجِهَا حَتَّى يَبِيْتُ عَلَى العِضَاءِ جَفَالًا<sup>٢</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)

يقول تعالى ذكره : أم أمنتم أيها القوم من ربكم ، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم ، أن يعيدكم في البحر تارة أخرى : يقول : مرة أخرى ، والهاء التي في قوله « فيه » من ذكر البحر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أن يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ) : أي في البحر مرة أخرى ( فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ) وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه ، من قولهم : قصف فلان ظهر فلان : إذا كسره ( فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ) يقول : فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم . يقول : بكفركم به ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ) يقول : ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ، ولا نائرا يثأرنا بإهلا كنا إياكم . وقيل : تبيعا في موضع التابع ، كما قيل : علم في موضع عالم . والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره : تبيع . ومنه قول الشاعر :

عَدَا وَأَعَدَّتْ غِزْلَانُهُمْ فَكَأْتَهُمَا صَوَامِينَ غُزْمٍ لَرَهْنٍ تَبِيعُ<sup>٣</sup>

(١) البيت للفردق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد بن المهلب ( ديوانه طبعه الصاوي ٢٦٢ - ٢٦٧ ) . استشهد به المؤلف على أن الحاصب : الريح التي تحمل الحصباء وهي صغار الحصى . والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة ، وأن أصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار ، كما أوضحه المؤلف .

(٢) البيتان للأخطل ( ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١ ) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويفتخر على قيس . والعشار : جمع عشار من الإبل ، وهي التي قد أقي عليها عشرة أشهر وهي حامل . وتروحت : أي ذهبت في الرواح وهو المشي إلى حظائرها . والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعامة . والهذج : عدو متقارب . وتكبهن : تمسطنهن ، يريد تكبهن الريح وهي هابة شمالا . والحاصب : ما تنثر من دقاق الثلج . والضمير في رمي : راجع إلى ريح الشمال . والعضاء : كل شجر له شوك ، أو كل شجرة واسعة الظل ، كثيرة الأفنان ، واحده : عضة . والحفال : ما تراكم من الثلج وتراكب . وهذا الشاهد في معنى الذي قبله .

(٣) البيت : شاهد على أن معنى التبيع في الآية : كل طالب بدم أو دين أو غيره . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٥ ) أي من يتبعنا لكم تبيعا ، ولأطالبنا لنا بها . وفي ( اللسان : تبيع ) : والتبيع التابع . وقول القرآن « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » =

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتبوع ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَبُرِّسِيلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ) يقول : عاصفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قاصفا التي تُغْرِقُ .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُكَيْنًا بِهِ تَبِيْعًا ) يقول نصيرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال محمد ثائرا ، وقال الحارث نصيرا ثائرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُكَيْنًا بِهِ تَبِيْعًا ) قال : ثائرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُكَيْنًا بِهِ تَبِيْعًا ) أي لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُكَيْنًا بِهِ تَبِيْعًا ) يقول : لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك ، والتارة : جمعه تارات وتبير ، وأفعلت منه : أترت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

\* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق . وتسخيرنا سائر الخلق لهم ( وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ ) على ظهور الدواب والمراكب ( و ) في ( الْبَحْرِ ) في الفلك التي سخرناها لهم ( وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ) يقول : من طيبات المطاعم والمشارب ، وهي حلالها ولذباتها ( وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) ذكر لنا أن ذلك : تمكثهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ، ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متميسر لغيرهم من الخلق .

قال الفراء : أي ثائرا ولا طالبا بالنار ، لإغراقنا إياكم . وقال الزجاج : معناه : لا تجدوا من يتبعنا بإلكار ما نزل بك ، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم . وقيل : تبيعا : مطالبا . ومنه قوله تعالى : « فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان » يقول : على صاحب الدم إتباع بالمعروف ، أي المطالبة بالدية ، وعلى المطالب أداء إليه بإحسان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) . . . الآية ، قال ( وَفَضَّلْنَاهُمْ ) في اليمين يأكل بهما ، ويعمل بهما ، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، في قوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) قال : قالت الملائكة : يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ، ويتنعمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في الآخرة ، فقال : وعزتي لأجعل ذرية من خلقت بيدي ، أكن قلت له كمن فكان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ، فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأُوْتِيَ لَكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ  
وَلَا يَظْمُونَ فَتِيلًا (٧١)

اختلف أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به ، فقال بعضهم : هو نبيه ، ومن كان يقتدى به في الدنيا ويأتى به .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال الإمام : ما عمل وأملى ، فكتب عليه ، فن بعث متقيا لله جعل كتابه بيمينه ، فقرأه واستبشر ، ولم يظلم فتيلًا ، وهو مثل قوله ( وَإِنَّمَا لِكِتَابِ اللَّهِ مُبِينٌ ) والإمام : ما أملى وعمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمْهَامِهِمْ ) قال : بأعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : بكتابهم الذي فيه أعمالهم .

حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمْهَامِهِمْ ) يقول : بكتابهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : بأعمالهم .

وقال آخرون : بل معناه : يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمرى ونهى .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت يحيى بن زيد في قول الله عز وجل ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمْهَامِهِمْ ) قال : بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه ، والذي عليه يحاسبون ، وقرأ ( لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ) قال : الشريعة : الدين ، والمنهاج : السنة ، وقرأ ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ) قال : فنوح أولهم ، وأنت آخرهم

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمْهَامِهِمْ ) : بكتابهم .

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به ، ويأتمون به في الدنيا ، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما أتم واقتدى به ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ، ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها .

وقوله ( فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ) يقول : فمن أعطى كتاب عمله بيمينه ( فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ) ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ( وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ) يقول تعالى ذكره : ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلًا ، وهو المنفصل الذي في شق بطن النواة . وقد مضى البيان عن الفتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ) قال : الذي في شق النواة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله هذه ، فقال بعضهم : أشير بذلك إلى النعم التي

عدّتها تعالى ذكره بقوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) فقال ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا )

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري . قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : سئل عن هذه الآية ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فقال : قال ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) قال : من عمى عن شكر هذه النعم في الدنيا ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه ، فهو في الآخرة أعمى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ) يقول : من عمى عن قدرة الله في الدنيا ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي هَذِهِ أَعْمَى ) قال : الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ) يقول : من كان في هذه الدنيا أعمى عما عين فيها من نعم الله وخلقها وعجائبها ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى . حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ) في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ) الغائبة التي لم يرها ( أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسئل عن قول الله تعالى ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فقرا ( إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) . وقرأ ( وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ) ، وقرأ حتى بلغ ( وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ) قال : كل له مطيعون ، إلا ابن آدم . قال : فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا ، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى ، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلا .

❦ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى

عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها ، وتصريف ما فيها ، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها ، وفيها هو كائن فيها ، أعمى وأضل سبيلا : يقول : وأضل طريقا منه في أمر الدنيا ، التي قد عاينها ورآها . وإنما قلنا : ذلك أولى تأويلاته بالصواب : لأن الله تعالى ذكره لم يخص في قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ ) الدنيا ( أعمى ) عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها ، دون بعض ، فيوجه ذلك إلى عماء عن نعمه بما أنعم به عليه ، من تكريمه بنى آدم ، وحملة إياهم في البر والبحر ، وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم ، بل عم بالخبر عن عماء في الدنيا ، فهم كما عمّ تعالى ذكره .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( فَهَوَى فِي الآخِرَةِ أعمى ) فكسرت القراءة جميعا ، أعنى الحرف الأول ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أعمى ) . وأما قوله ( فَهَوَى فِي الآخِرَةِ أعمى ) فإن عامة قراءة الكوفيين أمالت أيضا قوله فهو ( فِي الآخِرَةِ أعمى ) ، وأما بعض قراءة البصرة فإنه فتحه ، وتأوله بمعنى : فهو في الآخرة أشدّ عمى . واستشهد لصحة قراءته بقوله ( وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) .

وهذه القراءة : هي أولى القراءتين في ذلك بالصواب ، للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك ، وإنما كره من كره قراءته كذلك ، ظنا منه أن ذلك مقصوده بقصد عمى العينين ، الذي لا يوصف أحدا بأنه أعمى من آخر أعمى ، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت ، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر ، إلا بإدخال أشدّ أو أبين ، فليس الأمر في ذلك كذلك ؟

وإنما قلنا : ذلك من عمى القلب ، الذي يقع فيه التفاوت ، وإنما عسني به عمى قلوب الكفار ، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم ، فلذلك جاز ذلك وحسن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهَوَى فِي الآخِرَةِ أعمى ) قال : أعمى عن حجته في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ، وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ

خَلِيلًا (٧٣)

اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره ، فقال بعضهم : ذلك الإمام بالآلهة ، لأن المشركين دعوه إلى ذلك ، فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) (فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم)

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود ، فنعته قريش ، وقالوا : لاندعه حتى يُلِمَّ بآهتنا ، فحدث نفسه ، وقال : ما على أن ألمَّ بها بعد أن يدعوني أستلِمَ الحجر ، والله يعلم أتي لها كاره ، فأني الله ، فأنزل الله ( وإن كادوا ليقتلنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ) الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ولولا أن ثبتناك لقد تركزن إليهم شيناً قليلاً ) ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح ، يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه ، وكان في قولهم أن قالوا : إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا ، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ، ثم منعه الله وعصمه من ذلك ، فقال ( ولولا أن ثبتناك لقد تركزن إليهم شيناً قليلاً ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لتفتري علينا غيره ) قال : أطافوا به ليلة ، فقالوا : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض ما يريدون ، فهم أن يقارفهم في بعض ما يريدون ، ثم عصمه الله ، فذلك قوله ( لقد تركزن إليهم شيناً قليلاً ) الذي أرادوا ، فهم أن يقارفهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالوا له : ائت آهتنا فامسستها ، فذلك قوله ( شيناً قليلاً ) .

وقال آخرون : إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن ينظر قوماً بإسلامهم إلى مدة سألوهم الإنظار إليها .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وإن كادوا ليقتلنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ) ، وإذا لا تخدوك خليلاً ) وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أجأنا سنة حتى يهدى لآهتنا ، فإذا قبضنا الذي يهدى لآهتنا أخذناه ، ثم أسلمنا وكسرنا الآهة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ، وأن يؤجلهم ، فقال الله ( ولولا أن ثبتناك لقد تركزن إليهم شيناً قليلاً ) . والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن المشركين كادوا أن يقتلوه عما أوحاه الله إليه ، ليعمل بغيره ، وذلك هو الافتراء على الله ، وجائر أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه إلى أن يمس آهتهم ، ويُلِمَّ بها ، وجائر أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ، ومسألهم إياه ما سألوهم مما ذكرنا ، وجائر أن يكون غير ذلك ، ولا بيان في الكتاب ، ولا في خبر يقطع العذر ، أي ذلك كان ، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا ، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره ، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ، ببيان ما عني بذلك منه .



وقوله ( وَإِذَا لَاتَخَذُوا كَخَلِيلًا ) يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه، من الفتنة عن الذي أوحينا إليك، لاتخذوك إذن لأنفسهم خليلا، وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا، لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره: ولولا أن تبتنناك يا محمد، بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة، (لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) يقول: لقد كدت تميل إليهم، وتطمئن شيئا قليلا، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به، من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر: حين نزلت هذه الآية، ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله (وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتكلفتني إلى نفسي طرفة عين.

القول في تأويل قوله تعالى

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلا فبإسألوك، إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (ضِعْفَ الْحَيَاةِ) قال: عذابها (وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) قال: عذاب الآخرة. حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ): أي عذاب الدنيا والآخرة. حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) يعنى : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .  
 وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله ( إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ) مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة ( وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) فهما عذابان ، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة . وقوله ( ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ) يقول : ثم لا تجد لك يا محمد - إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم ، عذاب الحياة وعذاب الممات - علينا نصيرا ينصرك علينا ، ويمنعك من عذابك ، وينقذك مما نالك منا من عقوبة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦)

يقول عز وجل : وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض : يقول : ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ، ليخرجوك منها ( وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا ، حتى أهلكتهم بعذاب عاجل .

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض ، وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها ، فقال بعضهم : الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود ، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرَمِي أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ أَرْضَ الشَّامِ ، وَإِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ) .  
 وقال آخرون : بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا ، والأرض مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ) ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) وقد هم أهل مكة بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ولو فعلوا ذلك لما توطئوا ، ولكن الله كفهم عن إخراجهم حتى أمره ، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبي الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر : حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ) قال : قد فعلوا بعد ذلك ، فأهلكهم الله يوم بدر ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا ، حتى أهلكتهم الله يوم بدر . وكذلك كانت سنة الله في الرسل ، إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : لو أخرجت قريش محمدا لعدّوا بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ : قول قتادة ومجاهد ، وذلك أن قوله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ) في سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر ، فيوجه قوله ( وَإِنْ كَادُوا ) إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبرا عن جري له ذكر ، أولى من غيره . وأما القليل الذي استثناه الله جلّ ذكره في قوله ( وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) ، فإنه فيما قبل ، ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر ، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر ، فأخذهم بالعذاب يوم بدر ، وعسى بقوله خلافك : بعدك ، كما قال الشاعر :

عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلْفَهَا فَكَأَنَّهَا بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْتَهُنَّ حَصِيرًا

يعنى بقوله : خلفها : بعدها . وقد حكى عن بعضهم أنه كان يقرؤها : خلفك . ومعنى ذلك ، ومعنى الخلف في هذا الموضع : واحد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

يقول تعالى ذكره : لو أخرجوك لم يلثوا خلافك إلا قليلا ، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا ، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، فإننا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله ( لَا يَلْبَسُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) لأن معنى ذلك : لعدّناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به .

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي (اللسان : خلف) . شاهد على أن خلافك بمعنى بعدك . وقد سبق استشهاد المؤلف به عند تفسير قوله تعالى « فرح المخلفون بمقدم خلاف رسول الله » ( الجزء ١٠ : ٢٠٠ ) . ورواية المؤلف هنا تختلف عنها عند الآية من سورة التوبة ، ففيها « عقب الربيع خلفهم فكأنما » . وفي (اللسان : عقب) : « عقب الرذاذ خلفهم فكأنما » . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٢٨٧ ) « عفت الديار خلفها فكأنما » .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ) : أى سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك ، إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم ، لم يناظروا إن الله أنزل عليهم عذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا (٧٨)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ( أقيم الصلاة ) يا محمد ( ليدلوك الشمس ) . واختلف أهل التأويل فى الوقت الذى عناه الله بدلوك الشمس ، فقال بعضهم : هو وقت غروبها ، والصلاة التى أمر بإقامتها حينئذ : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى الأسدى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبى إسحاق ، يعنى الشيبانى ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبىه ، أنه كان مع عبد الله بن مسعود ، على سطح حين غربت الشمس ، فقرأ ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن هذا الحين دلكت الشمس ، وأفطر الصائم ، ووقت الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عتبة بن عبد الغافر ، أن أبا عبيدة بن عبد الله ، كتب إليه أن عبد الله بن مسعود ، كان إذا غربت الشمس صلى المغرب ، ويُنْفِطِرُ عندها إن كان صائماً ، ويُقَسِّمُ عليها يمينا ما يقسمه على شىء من الصلوات ، بالله الذى لا إله إلا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) . حدثنا محمد بن المنبى ، قال : ثنا ابن عدى ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : هذا دلوك الشمس ، وهذا غسق الليل ، وأشار إلى المشرق والمغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : دلوك الشمس : غروبها ، يقول : دلكت براح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله ، أنه قال : حين غربت الشمس دلكت ، يعنى براح مكانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : دلوكها : غروبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصلبها إذا وجبت ، وعندها يفطر إذا كان صائماً ، ثم يقسم عليها قسماً لا يقسمه على شىء من الصلوات ، بالله

الذى لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ثم يقرأ ويصليها ، وتصديقها من كتاب الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : كان أبي يقول : دلوكها : حين تريد الشمس تغرب ، إلى أن يغسق الليل ، قال : هي المغرب حين يغسق الليل ، وتدلوك الشمس للغروب .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس ، ويخلف أنه الوقت الذي قال الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله حين غربت الشمس : هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة . وقال : دلوكها : غروبها .

وقال آخرون : دلوك الشمس : ميلها للزوال ، والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها : الظهر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : دلوكها : ميلها ، يعني الشمس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال : في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : دلوكها : ميلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة ، عن أبي برزة الأسلمي ، قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : إذا زالت .

حدثنا ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا أبو عميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : أتيت أبا برزة ، فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا : ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : الظهر دلوكها ، إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر في ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) قال : لزوال الشمس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن عباس ، قال : دلوك الشمس : زيفها بعد نصف النهار ، يعني الظل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : دلوك الشمس ، قال : حين تزيغ عن بطن السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء ، لصلاة الظهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لدلوك الشمس ) قال : حين تزيغ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : دلوك الشمس : حين تزيغ .

بَيِّنَةٌ وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : قول من قال : عنى بقوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) : صلاة الظهر ، وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل ، يقال منه : ذلك فلان إلى كذا : إذا مال إليه . ومنه الخبر الذي روى عن الحسن ، أن رجلا قال له : أيُّدالك الرجل امرأته ؟ يعني بذلك : أيمل بها إلى المماثلة بحقها ؟ ومنه قول الراجز :

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِبَاحٍ      غُدُوَّةٌ حَتَّى دَلَكْتُ بِرَاحٍ<sup>١</sup>

ويروى : براح بفتح الباء ، فمن روى ذلك براح ، بكسر الباء ، فإنه يعني : أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها ، لينظر ما بقي من غيباتها . وهذا تفسير أهل الغريب : أبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني

(١) الرجز من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ص ١٨١ ) وروايته فيه : « ذيب » في موضع « غدوة » وهي كرواية ( اللسان : براح ) . قال الفراء : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » : جاء عن ابن عباس قال : هو زيفونها وزوالها للظهر . قال أبو زكريا : ورويت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس ، أنشدني بعضهم : « هذا مقام . . . البيت » : يعني الساق - ذيب - طرد الناس براح : يقول حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ؟ قال : هكذا فسروه لنا . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٧ ) : ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب . وقال : « هذا مقام . . . البيت . ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما بقي من غيباتها . والدلوك دنوها من غيبوتها . وقال أبو زيد الأنصاري في التواذر ( ص ٨٨ ) : ويقال : دلكت براح وبراح ( بفتح الباء وكسر الحاء ، أو ضمها ) وهو اسم للشمس معروف . قال الراجز .

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِبَاحٍ      غُدُوَّةٌ حَتَّى دَلَكْتُ بِرَاحٍ

قال أبو حاتم : براح : أي براحة . وفي ( اللسان : براح ) : وبراح وبراح ( بالياء مفتوحة وكسر الحاء وضمها ) : اسم للشمس معرفة ، مثل مقام ، سميت بذلك لانتشارها وبيانها .

وغيرهم . وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال حين غربت الشمس : دلكت براح ، يعني : براح مكانا ، ولست أدري هذا التفسير ، أعنى قوله : براح مكانا ، من كلام من هو ممن في الإسناد ، أو من كلام عبد الله ؛ فإن يكن من كلام عبد الله ، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب ، الذين ذكرت قولهم . وأن الصواب في ذلك قوله ، دون قولهم ؛ وإن لم يكن من كلام عبد الله ، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج ، وهو قوله :

وَالشَّمْسُ قَدَتْ كَادَتْ تَكُونُ دَنْقًا أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَرْحَلْنَآ

فأخبر أنه يدفع شعاعها ، لينظر إلى مغيبها براحه . ومن روى ذلك بفتح الباء ، فإنه جعله اسما للشمس ، وكسر الحاء ، لإخراجه إياه على تقدير قَطَامٍ وَحَدَامٍ وَرَقَاشٍ ، فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل ، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَدُلُّوكَ ، الشَّمْسُ ، حِينَ زَالَتْ ، فَصَلَّى فِي الظُّهْرِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو عميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : قال أبو برزة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « دعوت نبي الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اخرج يا أبا بكر ، قد دلكت الشمس » .

حدثني محمد بن عثمان الرازي ، قال : ثنا سهل بن بكتار ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نُبَيْحِ العَنَزِيِّ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث ابن حميد .

فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا ، فبين إذن أن معنى قوله جل ثناؤه ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما ، مما أوجب الله عليك فيهما ، لأنهما

(١) البيتان من مشطور الرجز للعجاج ( ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٢ من أرجوزة عدتها ٨١ بيتا ) وهي في زوائد الديوان ، لافي أصله . وها من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٨ ) قال : في دلوك الشمس : ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما بقى من غياها ، والدلوك دنوها من غيوبتها ، قال العجاج : « والشمس . . . الخ . » . وفي ( اللسان : ترخلف ) ويقال للشمس إذا مالت للمغيب ، إذا زالت عن كبد السماء نصف النهار : قد ترخلفت . قال العجاج : « والشمس . . . الخ . »

الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه ، من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل ؛ وغسق الليل : هو إقباله ودنوه بظلامه ، كما قال الشاعر :

آبَ هَذَا اللَّيْلِ إِذْ غَسَقًا

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده ، فقال بعضهم : الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : غسق الليل : بدو الليل .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية : ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : بدو الليل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : غسق الليل : غروب الشمس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( غسق الليل ) : صلاة المغرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إلى غسق الليل ) بدو الليل لصلاة المغرب . وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تنزال طائفة من أممي على الفطرة ، ما صلوا صلاة المغرب قبيل أن تبسد والنجوم » .  
حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إلى غسق الليل ) يعني ظلام الليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يقول ( غسق الليل ) : ظلمة الليل .

وقال آخرون : هي صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر ( إلى غسق الليل ) قال : صلاة العصر .

(١) هذا صدر بيت ، لعبيد الله بن قيس الرقيات . وعجزه « واشتكيت الهم والأرقا » واستشهد به على أن معنى « غسق الليل » : ظلامه . ( مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ : ٣٨٨ ) ورواية أبي عبيدة : « إن هذا الليل قد غسقا » وتوحيدها رواية اللسان أيضا . قال : غسق الليل يفسق ( كيقرب ) غسقا وغسقانا ، وأغسق : عن ثعلب : انصب وأظلم ، ومنه قول ابن الرقيات : « إن هذا الليل قد غسقا » .



ببَيِّنَاتٍ وَأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه ، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس . فأما صلاة العصر ، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل ، لا عند غسق الليل . وأما قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) فإن معناه : وأقم قرآن الفجر : أى ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن ، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) .

وكان بعض نحويي البصرة يقول : نصب قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) على الإغراء ، كأنه قال : وعليك قرآن الفجر ( إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) يقول : إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن . كان مشهوداً ، يشهده - فيما ذكر - ملائكة الليل وملائكة النهار .

وبالذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي ، قال : ثنى أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال : تشهدُهُ ملائكة الليل وملائكة النهار .

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا ليث بن سعد ، وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال ثنا ابن أبي مرزيم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يفتح الذكرك في ثلاث ساعات يبتقن من الليل : في الساعة الأولى منهن ، يتنظر في الكتاب الذي لا يتنظر فيه أحد غيره ، فيمنحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى الجنة عدن ، وهي دارة التي لم ترها عين ، ولا تخنطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين والصدقيين والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض ، فيقول قومي بعوني ، ثم يطلع إلى عبادته ، فيقول : من يستغفريني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعوني فأستجيب له ؟ حتى يطأع الفجر ، فذلك يقول ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) . قال موسى في حديثه : شهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار . وقال ابن عسكر في حديثه : فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عقيب بن عبد الغافر ، قال : قال أبو عبيدة بن عبد الله : كان عبد الله يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحراسان من ملائكة الله ، ويقرأ هذه الآية ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) إن قرآن الفجر كان مشهوداً )

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) وقرآن الفجر : صلاة الصبح ، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) صلاة الفجر . وأما قوله ( كَانَ مَشْهُودًا ) فإنه يقول : ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : أنه قال في هذه الآية ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : تنزل ملائكة النهار ، وتصعد ملائكة الليل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن أبي عبيدة ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : كانوا يقولون : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، فتشهد فيها جميعا ، ثم يصعد هؤلاء ، ويقم هؤلاء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) يعني صلاة الصبح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) قال : صلاة الصبح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) : صلاة الصبح ( إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) : يعني صلاة الغداة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) قال : صلاة الفجر . ( إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : مشهودا من الملائكة فيما يذكرون . قال : وكان علي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب يقولان : الصلاة الوسطى التي حض الله عليها : صلاة الصبح . قال : وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر : صلاتا النهار ، والمغرب والعشاء : صلاتا الليل ، وهي بينها ، وهي صلاة نوم . ما نعلم صلاة يُغْفَل عنها مثلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن الجريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده ، إن هذه الآية ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ ، كَانَ مَشْهُودًا ) إنما لصلاة الفجر إنها لمشهودة .

حدثني الحسن بن علي بن عباس ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرني أبي ، عن الزهري ، قال : ثنا سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ » ، ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : صلاة الفجر ، تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن . نافلة لك خالصة ، دون أمتك . والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة من الليل . وأما المجهود نفسه : فالنوم ، كما قال الشاعر :

ألا طرقتنا والرفاق هجود  
وقال الحطيئة :

ألا طرقت هند الهنود وصحبي  
بجوزان جوزان الجنود هجود<sup>٢</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن مجاهد بن يزيد ، عن أبي هلال ، عن الأعرج : أنه قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن رجل من الأنصار « أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فقال : لأنظرن كيف يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استيقظ ، فرفع رأسه إلى السماء ، فتلا

(١) البيت لم أقف على قائله . وهجود : يجوز أن يكون مصدر هجد بهجد هجودا : إذا نام ، ويكون المراد منه : والرفاق ذوو هجود أو الرفاق هاجدون ، فيكون بمعنى المشتق ، ويجوز أن يكون هجود جمعا لها جده ، بلا تأويل ، كقعود جمع قاعد ، وجلوس جمع جالس ، وحضور جمع حاضر . والعلات : جمع علة : اسم للمرأة من العل ، وهو السق الثاني بعد الأول . والنوال : ما يعطيه الحبيب حبيبه من ثمرة الحب .

(٢) البيت للحطيئة ( ديوانه طبعة الحميدية ص ١٠٣ ) . وقال شارحه : كل كوزة من كوز الشام : جند . وهجود : جمع هاجد ، وهو النائم ، ومثله قعود : جمع قاعد . ومحل الشاهد أن المجهود في الآية معناه : النوم ؛ كما في بيت الحطيئة . مصدر هجد بهجد هجودا إذا نام . ويكون المصدر في معنى المشتق ، أو يكون على معنى : والرفاق « ذوو هجود » ، ثم حذف المضاف ، وأقيم المصدر مقامه .

أربع آيات من آخر سورة آل عمران ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ )  
حتى مرّ بالأربع ، ثم أهوى إلى القبرية ، فأخذ سواكاً فاستنّ به ، ثم توضأ ، ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ  
فصنع كصنعه أوّل مرّة ، ويزعمون أنه التهجّد الذي أمره الله :

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سعيد ، عن أبي إسحاق ، عن  
محمد بن عبد الرحمن ، عن علقمة والأسود أنهما قالا : التهجّد بعد نومة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن  
الأسود ، قال : التهجّد : بعد نومة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن  
ابن يزيد ، عن علقمة ، والأسود ، بمثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ،  
قال : التهجّد : بعد النوم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : التهجّد : ما كان  
بعد العشاء الآخرة .

حدثت عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن كثير بن  
العباس ، عن الحجاج بن عمرو ، قال : إنما التهجّد بعد رقدة .

وأما قوله ( نَافِلَةٌ لَكَ ) فإنه يقول : نفلاً لك ، عن فرائضك التي فرضها عليك .

واختلاف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع كون صلاة كلّ  
مصلّ بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلاً ، إذ كانت غير واجبة عليه .  
فقال بعضهم : معنى خصوصه بذلك : هو أنها كانت فريضة عليه ، وهي لغيره تطوّع ، وقيل له : أقمها  
نافلة لك : أي فضلاً لك ، من الفرائض التي فرضها عليك ، عما فرضت على غيرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ) يعني بالنافلة أنها للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، أمر  
بقيام الليل ، وكتب عليه :

وقال آخرون : بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام ، لأنه لم يكن فعله ذلك يكفّر عنه شيئاً من الذنوب ،  
لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فكان له نافلة فضل ، فأما غيره فهو له كفارة ،  
وليس هو له نافلة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة ، فهو نافلة ، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل وزيادة ، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها ، فليست للناس نوافل .

وأولى القولين بالصواب في ذلك : القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل ، دون سائر أمته . فأما ما ذُكِرَ عن مجاهد في ذلك ، فقول لا معنى له ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكِرَ عنه ، أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ( لِيَسْتَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ) وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وأنزل عليه ( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ) عام قُبَيْضَ . وقيل له فيها ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ) فكان يعد له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد استغفار مئة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر ، إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك ، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن عطية ، عن شهر ، عن أبي أمامة ، قال : إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( نافلة لك ) قال : تطوعا وفضيلة لك .

وقوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) وعسى من الله واجبة ، وإنما وجه قول أهل العلم : عسى من الله واجبة ، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه ، من الجزاء على أعمالهم ، والعوض على طاعتهم إياه ، ليس من صفته الغرور ، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه ، إذا هو تعاهده ولزمه ، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ، ثم لم ينفعه ، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه ، مع الإطماع الذي تقدم منه لصاحبه ، على تعاهده إياه ولزومه ، فإنه لصاحبه غار ، بما كان من إخلافه إياه ، فيما كان أطمعه فيه ، بقوله الذي قال له . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده ، صح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمعه على طاعته ، أو على فعل من الأفعال ، أو أمر أو نهى أمرهم به ، أو نهام عنه ، فإنه موف لهم به ، وإنه منه كالعادة التي لا يُخْلِفُ الوفاء بها ، قالوا : عسى ولعل من الله واجبة .

وتأويل الكلام : أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها . ومن الليل فتهجد ، فرضا فرضته عليك ، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده ، وتغبط فيه . ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو

يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة ، قال : « يجمع الناس في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادى : يا محمد ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدى من هديت ، عبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت . فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة ، قال : « يجمع الناس في صعيد واحد ، فلا تكلم نفس ، فأول ما يدعو محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقوم محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : لبيك ، ثم ذكر مثله » .

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها ، قال : ثم يؤمر بالصراف ، فيضرب على جسر جهنم ، فيمر الناس بقدر أعمالهم ، يمر أولهم كالبرق ، وكرم الرياح ، وكرم الطير ، وكأسرع البهائم ، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ، ثم مشيا ، حتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه ، فيقول : رب لِمَا أَبْطَأْتُ بِي ؟ فيقول : إني لم أبطأ بك ، إنما أبطأ بك عملك . قال : ثم يأذن الله في الشفاعة ، فيكون أول شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام ، روح القدس ، ثم إبراهيم خليل الرحمن ، ثم موسى ، أو عيسى . قال أبو الزعراء : لأدري أيهما قال : قال : ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا ، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه ، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن في قول الله تعالى ( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : شفاعة محمد يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : هو الشفاعة ، يشفعه الله في أمته ، فهو المقام المحمود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) ، وقد ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَوْ مَلِكًا نَبِيًّا ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْ تَوَاضَعَ ، فَاخْتَارَ نَبِيَّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا ، فَأُعْطِيَ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثِينَ : أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَشَقَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ » . وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَرَوْنَ أَنَّهُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : هِيَ الشَّفَاعَةُ ، يَشْفَعُهُ اللَّهُ فِي أُمَّتِهِ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر والثوري ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال : سمعت حذيفة يقول في قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، حَيْثُ يُسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ، فَيَنْقُذُهُمُ الْبَصْرُ حِفَاةَ عُرَاةٍ كَمَا خَلِقُوا ، سَكُونًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ ، قَالَ : فَيَنَادِي مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمَهْدَى مِنْ هَدَايَتِكَ ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ . قَالَ : فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال حذيفة : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، حَيْثُ يَنْقُذُهُمُ الْبَصْرُ ، وَيُسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ، حِفَاةَ عُرَاةٍ كَمَا خَلِقُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقُومُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه ، هو أن يقاعده معه على عرشه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن داود بن يزيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) سُئِلَ عَنْهَا ، قَالَ : هِيَ الشَّفَاعَةُ » .

حدثنا علي بن حرب ، قال : ثنا مكِّي بن إبراهيم ، قال : ثنا داود بن يزيد الأودي ، عن أبيه ،

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم « في قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي . »

حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرَج ، قال : ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن الزُّبَيْدِيِّ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ ، فَيَكْسُونِي رَبِّي حِلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي ، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ . فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنى الليث ، عن عبيد الله ابن أبي جعفر ، أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الشَّمْسَ لَتَتَدَنُّو حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ ، فَيَبَيِّنَمَا هُمُ كَذَلِكَ اسْتَعَاثُوا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَمُوسِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ يَمْحَمِدُ . فَيَشْفَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَمْسُحِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَمَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَوْمئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا . »

حدثني أبو زيد عمر بن شَبَّهَةَ ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، عن علي بن الحكم ، قال : ثنى عثمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود وعلقمة ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا ذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيُؤْتَى بِرَبِطَتَيْنِ بَيْضَاوَتَيْنِ ، فَيَلْبَسُهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ ، ثُمَّ أُوْتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسَهَا ، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرِي ، يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ سَهْرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن علي بن الحسين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى ، وَجِبْرِئِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللَّهُ مَا رَأَهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : أَيُّ رَبِّ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ لِي ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، قَالَ : فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن علي بن الحسين ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : « ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ : يَا رَبَّ عِبَادِكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن آدم ، عن علي ، قال : سمعت ابن عمر يقول : « إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَجِيءُ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ ، ثُمَّ يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى



الله عليه وسلم في آخر الأمم هو وأمته ، فيرقي هو وأمته على كوثم فوق الناس ، فيقول : يا فلان اشفع ،  
ويا فلان اشفع ، ويا فلان اشفع ، فما زال يردّها بعضهم على بعض ، يرجع ذلك إليه ، وهو المقام المحمود  
الذي وعده الله إياه .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا حنيفة وريبع ، قالوا : ثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ،  
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْتَشَرُ  
النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ ، فَيَكْسُو فِي رَبِّي عِزًّا وَجَلًّا حَلَّةً خَضْرَاءَ ،  
ثُمَّ يُوْذَنُ لِي ، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) ،  
لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، فإن ما قاله مجاهد من أن الله  
يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر ، وذلك لأنه  
لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين ، بإحالة ذلك . فأما من  
جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام ، إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله  
عزّ وجلّ بائن من خلقه ، كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسها ، وهو كما لم يزل ، غير أن  
الأشياء التي خلقها ، إذ لم يكن هو لها مماسا ، وجب أن يكون لها مباينا ، إذ لافعال للأشياء إلا وهو مماس  
للأجسام ، أو مباين لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله عزّ وجلّ فاعل الأشياء ، ولم يجز في قولهم :  
إنه يوصف بأنه مماس للأشياء ، وجب بزعمهم أنه لها مباين ، فعلى مذهب هؤلاء ، سواء أقعد محمدا صلى الله  
عليه وسلم على عرشه ، أو على الأرض ، إذ كان من قولهم إن بينوته من عرشه ، وبينوته من أرضه بمعنى  
واحد ، في أنه بائن منهما كليهما ، غير مماس لواحد منهما .

وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ،  
ثم خلق الأشياء ، فأقامها بقدرته ، وهو كما لم يزل قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، فعلى  
قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على  
قولهم عرشه وأرضه ، في أنه لا مماس ولا مباين لهذا ، كما أنه لا مماس ولا مباين لهذه .

وقالت فرقة أخرى : كان الله عزّ ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ،  
ثم أحدث الأشياء وخلقها ، فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا ، وصار له مماسا ، كما أنه قد كان قبل  
خلقها الأشياء ، لا شيء يرزقه رزقا ، ولا شيء يحرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا ، وحرّم هذا ،  
وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ولا يباينه ، وخلق  
الأشياء ، فماس العرش بجلوسه عليه ، دون سائر خلقه ، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومباين ما شاء منه ، فعلى  
مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو أقعد على منبر من نور ، إذ كان من قولهم : إن

جلوس الربّ على عرشه ، ليس بجلوس يشغل جميع العرش ، ولا في إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الأشياء ، غير موجبة له صفة الربوبية. ولا مخرجه من صفة العبودية لربه. من أجل أنه موصوف بأنه له مباين ، كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة ، بأنه مباين لها ، هو مباين له . قالوا : فإذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودية ، والدخول في معنى الربوبية ، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن ، فقد تبين إذن بما قلنا ، أنه غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسلام ، ما قاله مجاهد ، من أن الله تبارك وتعالى يُقعد محمدا على عرشه . فإن قال قائل : فإننا لانكر إقعاد الله محمدا على عرشه ، وإنما ننكر إقعاده .

حدثني عباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، عن الجريري ، عن سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام . قال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسى الربّ بين يدي الربّ ، تبارك وتعالى ، وإنما ينكر إقعاده إياه معه . قيل : أفجائر عندك أن يقعه عليه لامعه . فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه ، أو إلى أنه يقعه ، والله للعرش مباين ، أو لأماس ولا مباين ، وبأى ذلك قال ، كان منه دخولا في بعض ما كان ينكره ، وإن قال : ذلك غير جائز ، كان منه خروجا من قول جميع الفرق التي حكينا قولهم ، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام ، إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقوال الثلاثة التي حكيناها ، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا

أَصِيرًا (٨٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه : **وقل يا محمد يا ربّ أدخلني مدخل صدق .**

واختلف أهل التأويل في معنى مُدْخَلِ الصّدق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه في أن يدخله إياه ، وفي مخرج الصّدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج إياه ، فقال بعضهم : عسّتي بمُدْخَلِ الصّدق : مُدْخَلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، حين هاجر إليها ، ومُخْرَجِ الصّدق : مُخْرَجِهِ مِنْ مَكَّةَ ، حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه ( **وقل ربّ**

(١) لعله هذه الجملة قد سقطت بقيتها في هذا الموضع . وسجده نظيرتها تامة في السطر الثالث بعدها .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ) .  
 حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف عن الحسن ، في قول الله  
 ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، أو يطردوه ، أو يوثقوه ، وأراد الله قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلى  
 المدينة ، فهو الذي قال الله ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، ( مُدْخَلَ صِدْقٍ )  
 قال : المدينة ( وَمُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ  
 وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي  
 مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق : مكة  
 حين خرج منها مخرج صدق ، قال ذلك حين خرج مهاجرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقل رب أمتني إمامة صِدْقٍ ، وأخرجني بعد الممات من قبرى يوم  
 القيامة مُخْرَجَ صِدْقٍ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : أثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
 ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) . . . الآية ، قال : يعنى بالإدخال : الموت ، والإخراج :  
 الحياة بعد الممات .

وقال آخرون : بل عسى بذلك : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني  
 منه مُخْرَجَ صِدْقٍ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) قال : فيما أرسلتني به من  
 أمرك ( وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال كذلك أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني مدخل صدق : الجنة ، وأخرجني مخرج صدق : من مكة

إلى المدينة :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) الْبَلَدِ ( وَخُجْرَجَ صِدْقٍ ) مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني في الإسلام مُدْخَلَ صِدْقٍ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) قال : أدخلني في الإسلام مُدْخَلَ صِدْقٍ ( وَأَخْرِجْنِي ) مِنْهُ ( مُخْرَجَ صِدْقٍ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني مكة آمناً ، وأخرجني منها آمناً :

## ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك قال في قوله ( رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) يعني مكة ، دخل فيها آمناً ، وخرج منها آمناً .

وأشبهه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : معنى ذلك : وأدخلني المدينة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني من مكة مُخْرَجَ صِدْقٍ .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن ذلك عَقِيبُ قَوْلِهِ ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْتِرُوا نَكَاحَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خِيَلَفَتَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) . وقد دللنا فيما مضى ، على أنه عَنِىَ بِذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ خَبَرِ اللَّهِ عَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَرَادُوا مِنْ اسْتَفْتِرَائِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُخْرِجُوهُ عَنْ مَكَّةَ ، كَانَ بَيِّنًا ، إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا ، أَنْ قَوْلِهِ ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) أَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، فِي أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الْبَلَدَةِ الَّتِي هُمُ الْمُشْرِكُونَ بِأَخْرَاجِهِ مِنْهَا مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَأَنْ يَدْخُلَهُ الْبَلَدَةَ الَّتِي نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا مُدْخَلَ صِدْقٍ .

وقوله ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَاجْعَلْ لِي مَلِكًا نَاصِرًا يَنْصُرُنِي عَلَى مَنْ نَآوَأْتِي ، وَعِزًّا أَقِيمَ بِهِ دِينَكَ ، وَأَدْفَعْ بِهِ عَنْهُ مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) يُوَعِّدُهُ لِيَنْزِعَ عَنْ مَلِكِ فَارِسَ ، وَعَزَّ فَارِسَ ، وَلِيَجْعَلَنَّهُ لَهُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ

سُلْطَانَا نَصِيرًا ) وإن نبي الله علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عز وجل ، ولحدود الله ، وفرائض الله ، وإقامة دين الله ، وإن السلطان رحمة من الله ، جعلها بين أظهر عباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض ، فأكل شديدهم ضعيفهم .  
وقال آخرون : بل عني بذلك حجة بيّنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ( سُلْطَانَا نَصِيرًا ) قال : حجة بيّنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك أمر من الله تعالى نبيه ، بالرغبة إليه في أن يؤتبه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده ، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده .  
وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به ، من إخراجهم من مكة ، فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجهم من بين أظهرهم ، إخراج صدق يحاوله عليهم ، ويُدخله بلدة غيرها ، بمدخل صدق يحاوله ، عليهم ولأهلها في دخوله إليها ، وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة ، التي أخرجها أهلها منها ، وعلى كل من كان لهم شبيها ، وإذا أوتي ذلك ، فقد أوتي لأشك حجة بيّنة .

وأما قوله ( نَصِيرًا ) فإن ابن زيد كان يقول فيه ، نحو قولنا الذي قلنا فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) قال : ينصرفي ، وقد قال الله لموسى ( سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ، فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ) هذا مقدم ومؤخر ، إنما هو سلطان بآياتنا ، فلا يصلون إليكما ؛

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ

شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد هؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الأرض ، ليخرجوك منها : ( جاء الحق ، وزهق الباطل ) .

واختلف أهل التأويل في معنى الحق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم المشركين أنه قد جاء ، والباطل الذي أمره أن يُعلمهم أنه قد زهق ، فقال بعضهم : الحق : هو القرآن في هذا الموضع ، والباطل : هو الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : الحق : القرآن ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : القرآن . ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) قال : هلك الباطل ، وهو الشيطان . وقال آخرون : بل عُنِيَ بِالْحَقِّ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ ، وبالباطل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : دنا القتال ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) قال : الشرك وما هم فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاث مئة وستون صنمًا ، فجعل يطعنهما ويقول : ( جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) . » وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء ، وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة ، وأن الباطل قد زهق ، يقول : وذهب كل ما كان لارضا لله فيه ولا طاعة ، مما هو له معصية ، وللشيطان طاعة . وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة إبليس ، وأن الباطل : هو كل ما وافق طاعته ، ولم يخص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعته ، ولا ذهاب بعض معاصيه ، بل عم الخبر عن مجيء جميع الحق ، وذهاب جميع الباطل ، وبذلك جاء القرآن والتنزيل ، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله ، أعنى على إقامة جميع الحق ، وإبطال جميع الباطل .

وأما قوله عز وجل ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) فإن معناه : ذهب الباطل ، من قولهم : زَهَقَتْ نَفْسُهُ : إذا خرجت ، وأزهقتها أنا ؛ ومن قولهم : أزهق السهم : إذا جاوز الغرض ، فاستمر على جهته ، يقال منه : زهق الباطل يزَهقُ زَهُوقًا ، وأزهقه الله : أى أذهبه ؛ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) يقول : ذاهبا .

وقوله عز وجل ( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء ، يستشفى به من الجهل من الضلالة ، ويبصر به من العمى للمؤمنين ، ورحمة لهم دون الكافرين به ، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحياون حلاله ، ويحرمون حرامه ،

فيدخلهم بذلك الجنة ، ويُنجيهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله ، أنعم بها عليهم ( وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) يقول : ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خساراً ، يقول : إهلاكاً ، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء ، أو نهى عن شيء ، كفروا به ، فلم يأتروا لأمره ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه ، فزادهم ذلك خساراً ، إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ، ورجسا إلى رجسهم قبل .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) إذا سمعه المؤمن انتفع به ، وحفظه ووعاه ( وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ ) به ( إِلَّا خَسَارًا ) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ، وأن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ (٨٣)

يقول تبارك وتعالى : وإذا أنعمنا على الإنسان ، فنجبناه من كرب ما هو فيه في البحر ، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك ، بعصوف الريح عليه إلى البر ، وغير ذلك من نعمنا ، أعرض عن ذكرنا ، وقد كان بنا مستغيثاً ، دون كل أحد سوانا ، في حال الشدة التي كان فيها ( وَنَأَى بِجَانِبِهِ ) يقول : وبعد منا بجانبه ، يعنى بنفسه ، « كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمَسَهُ » قبل ذلك .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن مجاهد ، في قوله ( وَنَأَى بِجَانِبِهِ ) قال : تباعد منا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
والقراءة على تصيير الهمزة في نأى قبل الألف ، وهي اللغة الفصيحة ، وبها نقرأ . وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك ( وَنَاءَ ) فيصير الهمزة بعد الألف ، وذلك وإن كان لغة جائرة قد جاءت عن العرب ، بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخر ، وتأخيرهموه في موضع هو مقدم ، كما قال الشاعر :

أَعْلَامٌ يُقَلِّلُ رَأَى رُؤْيَا فَهَوَّ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ

وكما قالوا آبار وهي آبار ، فقدموا الهمزة ، فليس ذلك هو اللغة الجودى ، بل الأخرى هي الفصيحة .  
وقوله عز وجل ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ ) يقول : وإذا مسه الشر والشدة ، كان قنوطاً من الفرج والروح .

(١) هكذا جاء هذا البيت في الأصول ، ولم يهتد إلى قائله بعد بحث ، وهو من بحر الخفيف ، وفيه تحريف في شطره الأول . ولعل الصواب في روايته هكذا :

أَمْ غُلَامٌ مُضَلَّلٌ رَأَى رُؤْيَا فَهَوَّ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ

أما محل الشاهد في البيت فليس ، في قوله « راء » فإنه مقلوب رأى ، قدمت اللام على العين ، وهو في تقدير « فلع » ، والدليل على ذلك أن مصدر الفعلين واحد ، وهو الرؤيا . ومثله في القلب : « ناء » ، أصله « نأى » ، ومصدرهما : النأى .

وبنحو الذي قلنا في اليثوس قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ) يقول : قَنُوطًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ) يقول : إذا مسه الشرَّ أَيْسَ وَقَنِيطَ .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)

يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : كلكم يعمل على شاكلته ، على ناحيته وطريقته ( فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ ) منكم ( أَهْدَى سَبِيلًا ) يقول : ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحق من غيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ) يقول : على ناحيته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى شَاكِلَتِهِ ) قال : على ناحيته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ) قال : على طبيعته ، على حيدته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ) يقول : على ناحيته ، وعلى ماينوى .

وقال آخرون : الشاكلة : الدين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ) قال : على دينه . الشاكلة : الدين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)



يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب ، عن الروح ما هي ؟ قل لهم : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا ، وذكُرَ أن الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فنزلت هذه الآية بمسألهم إياه عنها ، كانوا قوما من اليهود .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، ومعه عسيب يتوكأ عليه ، فر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم : أسألوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا نسأله ، فقام متوكئا على عسيبه ، فقمت خلفه ، فظننت أنه يوحى إليه ، فقال ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقال بعضهم لبعض : ألم نقل لكم لا نسأله . »

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : « بينا أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، إذ مررنا على يهود ، فقال بعضهم : سلّوه عن الروح ، فقالوا : ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون ؟ فقاموا إليه ، فسألوه ، فقام ، فعرفت أنه يوحى إليه ، فقمت مكاني ، ثم قرأ ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : ألم نهكم أن تسأله . »

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : « سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزّل الله تعالى ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : أتزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة . ( وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) ؟ . قال : فنزلت ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ) قال : ما أوتيتم من علم ، فنجاكم الله به من النار ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل . »

حدثني إسماعيل بن أبي المتوكل ، قال : ثنا الأشجعي أبو عاصم الحمصي ، قال : ثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب ، قال : ثنا القاسم بن معن ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : « إني لمع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، إذ أتاه يهودي ، قال : يا أبا القاسم : ما الروح ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) « لقيت اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فتعشّوه وسألوه وقالوا : إن كان نبيا علم ، فسيعلم ذلك ، فسأله عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، فأنزّل الله في كتابه ذلك كله ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) يعني اليهود . »

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : يهود تسأل عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : يهود تسأله .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) . . . الآية « وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا ما الروح ؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله عز وجل ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُجِبْ إليهم شيئا ، فأناه جبرئيل عليه السلام ، فقال له : ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقالوا له : من جاءك بهذا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : جاءني به جبرئيل من عند الله ، فقالوا : والله ما قاله لك إلا عدو لنا ، فأنزل الله تبارك اسمه ( قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فررنا بأناس من اليهود ، فقالوا : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فأسكت ، فرأيت أنه يوحى إليه ، قال : فتنجيت عنه إلى سباطة ، فنزلت عليه ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) . . . الآية . فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » .

وختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِرَ في هذا الموضع ما هي ؟ فقال بعضهم : هي جبرئيل عليه السلام .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : هو جبرئيل ، قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه .  
وقال آخرون : هي ملك من الملائكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : الروح : ملك .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عن حدثه عن علي بن أبي طالب ، أنه قال في قوله ( وَيَسْتَلْئُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : هو ملك من الملائكة ، له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة ، يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .  
وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (مِنْ أَمْرٍ رَبِّي) فإنه يعنى : أنه من الأمر الذى يعلمه الله عزّ وجلّ دونكم ، فلا تعلمونه ويعلم ما هو .

وأما قوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنى بقوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فقال بعضهم : عُنِي بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب ، خرج الكلام على المخاطبة ، لأن العرب كذلك تفعل ، إذا اجتمع فى الكلام محبّرٌ عنه غائب ومخاطب ، أخرجوا الكلام خطابا للجمع .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أخبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، أفعنيتنا أم قومك ؟ قال كُتِلًا قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تلو أنا أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شىء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتَاكُمْ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله عزّ وجلّ (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) قال : يا محمد والناس أجمعون .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) يعنى : اليهود .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : خرج الكلام خطابا لمن خوطب به ، والمراد به جميع الخلق ، لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثر ، فى علم الله قليل . وإنما معنى الكلام : وما أُوتِيتُمْ أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير ، مما يعلم الله .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)

يقول تعالى ذكره : ولئن شئنا لنذهبن بالذى آتيناك من العلم الذى أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبن به ، فلا تعلمه ، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلًا ، يعنى : قيّمًا يقوم لك ، فيمنعنا من فعل ذلك بك ، ولا ناصرًا ينصرك ، فيحول بيننا وبين ما نريد بك ، قال : وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عزّ وجلّ به ، رفعه من صدور قارئيه .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن بُشَدار ، عن معقل ، قال : قلت لعبد الله : وذكر أنه يسرى على القرآن ، كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا ؟ قال : يسرى عليه ليلا ، فلا يبقى منه في مصحف ، ولا في صدر رجل ، ثم قرأ عبد الله ( وَلَسِنُ شَيْئًا لَسَنَدُ هَبْنٍ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن إسحاق بن يحيى ، عن المسيب بن رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تَطْرُقُ النَّاسَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ نَحْوِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى فِي مِصْحَفٍ رَجُلٌ وَلَا قَلْبُهُ آيَةٌ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنِّي قَدْ جَمَعْتُ الْقُرْآنَ ، قَالَ : لَا يَبْقَى فِي صَدْرِكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ قرأ ابن مسعود : ( وَلَسِنُ شَيْئًا لَسَنَدُ هَبْنٍ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) » .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)

يقول عز وجل : ولئن شئنا لنذهبن يا محمد بالذي أوحينا إليك ، ولكنه لا يشاء ذلك ، رحمة من ربك ، وتفضلا منه عليك ، إن فضله كان عليك كبيرا ، باصطفائه إياك لرسالته ، وإنزاله عليك كتابه ، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ أِبْعَضُ ظَهِيرًا (٧٨)

يقول جل ثناؤه : قل يا محمد للذين قالوا لك : إنا نأتى بمثل هذا القرآن : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، لا يأتون أبدا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض عوناً وظهيرا . وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتيتهم بآية غيره ، شاهدة له على نبوته ، لأن مثل هذا القرآن ، بهم قدرة على أن يأتوا به .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سفيان وعمر بن أخطا ، وبحري بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن ميشكم ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به ، حق من عند الله عز وجل ، فإننا لأنراه متناسقا كما تناسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتتعرفون أنه من عند الله .

(١) قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود ، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أخطا الذي جاء في الأصل ، ولعله نعمان بن أخطا ، من بني تينقاع ( انظر السيرة طبعة الحلبي ٢ : ١٦١ ) .

تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ ، فقال عند ذلك ، وهم جميعاً: فَمِنْ حَاصٍ ، وعبد الله بن صُورِيَا ، وكتبانة بن أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَشْيِيعُ ، وكعب بن أسد ، وسهول بن زيد ، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فقالوا: يا محمد ، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا ( قُلْ لَيْسَ اجْتِمَاعُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لَيْسَ اجْتِمَاعُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ) . . . إلى قوله ( وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) قال : مُعِينًا ، قال : يقول : لو برزت الجن ، وأعانهم الإنس ، فتظاهروا ، لم يأتوا بمثل هذا القرآن . وقوله عز وجل ( لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ) رفع ، وهو جواب لقوله « لئن » ، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها ، لأن « لئن » كاليمين ، وجواب اليمين بلا مرفوع ، وربما جزم ، لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام ، كما قال الأعشى :  
لَيْسَ مُنِيَّتَ بِنَا عَنَّا غَيْبٌ مَعْرُوكَةٌ لَا تَلْتَفِينَا عَنَّا دِمَاءَ الْقَوْمِ نَنْتَقِلُ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)

يقول تعالى ذكره : ولقد بيّنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل ، احتجاجاً بذلك كله عليهم ، وتذكيراً لهم ، وتنبهياً على الحقّ ليتبعوه ويعملوا به ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) يقول : فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحقّ ، وإنكاراً للحجج الله وأدلته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَدْبُوعًا (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقال يا محمد ، المشركون بالله من قومك لك : لن نصدّقك ، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء .

(١) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٦٣ ) من قصيدته التي مطلعها : « ودع هريرة » وعدتها ٦٦ بيتاً ، وبيت الشاهد هو ال ٦٣ قالها ليزيد بن مسهر ، أبي ثابت الشيباني . يقول : إنا لانمل القتال ، ولو قدر لك أن تبطل بنا في أعقاب معركة قد خضناها ، لو جدت فينا قوة على قتال جديد ، ولم ترنا نعيد عن الخوض في الدماء مرة أخرى . ومحل الشاهد فيه أن قول الله « لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ » جواب للقسم المتقدم عليه في قوله تعالى « لئن اجتمعت » ولم يؤكد فعل الجواب بالنون ، لأنه مسبوقة بالنون « لا » . ومثله في قول الأعشى : « لاتلفنا » الذي لم يؤكد بالنون ، مع أنه جواب القسم « لئن منيت » ، وامتنع التوكيد ، لوجود النون في الجواب .

وقوله (يَنْبُوعًا) يفعل من قول القائل : نبع الماء : إذا ظهر وفار ، يَنْبُعُ وَيَنْبَعُ ، وهو ما نبع .  
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ  
 يَنْبُوعًا) : أى حتى تفجر لنا من الأرض عيوناً : أى ببلدنا هذا .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى  
 تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) قال : عيوناً .  
 حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْبُوعًا) قال : عيوناً .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 واختلفت القراء في قراءة قوله (تَفْجُرُ) فروى عن إبراهيم النخعي ، أنه قرأ (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا) خفيفة  
 وقوله (فَتَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) بالشديد ، وكذلك كانت قراءة الكوفيين يقرءونها ، فكأنهم  
 ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى : حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرة واحدة . وبشديدهم الثانية إلى أنها  
 تفجر في أماكن شتى ، مرة بعد أخرى ، إذا كان ذلك تفجر أنهار لأمهر واحد . والتخفيف في الأولى  
 والشديد في الثانية ، على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، أعجب إلى ، لما ذكرت من افتراق معنيهما ،  
 وإن لم تكن الأولى مدفوعة صححتها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ، فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وقال لك يا محمد مشركو قومك : لن نصدقك حتى  
 تستنبط لنا عينا من أرضنا ، تدفق بالماء أو تفور ، أو يكون لك بستان ، وهو الجنة ، من نخيل وعنب ،  
 فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، بأرضنا هذه التى نحن بها . خلالها : يعنى خلال النخيل والكروم ، ويعنى  
 بقوله (خلالها تَفْجِيرًا) بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا ، أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله (كَيْسَفًا) فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين بمعنى : أو  
 تسقط السماء كما زعمت علينا كَيْسَفًا ؛ وذلك أن الكَيْسَفَ في كلام العرب : جمع كَيْسَفَةٍ ، وهو جمع الكثير من  
 العدد للجنس ، كما تجمع السُدْرَةُ سِدْرٌ ، والتمر بتمر ، فحكى عن العرب سماعاً : أعطى كَيْسَفَةً من هذا  
 (١) في الكلام سقط ظاهر . والحاصل أنهم اتفقوا ، على تشديد تفجير واختلقوا في حتى تفجر ، فبعضهم شدد ، وبعضهم خفف ،  
 واختار المؤلف التشديد للعلمة التى ذكرها .

الثوب : أى قطعة منه ، يقال منه : جاءنا بثريد كِسْفٍ : أى قطع خبز . وقد يحتمل إذا قرئ كذلك ( كِسْفًا ) بسكون السين ، أن يكون مراداً به المصدر من كَسَفَ . فأما الكِسْفُ بفتح السين ، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر ، يقال : كِسْفَةٌ واحدة ، وثلاث كِسْفٍ ، وكذلك إلى العشر . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة وبعض الكوفيين ( كِسْفًا ) بفتح السين بمعنى : جمع الكِسْفَةِ الواحدة ، من الثلاث إلى العشر ، يعنى بذلك قِطْعًا : ما بين الثلاث إلى العشر .

❦ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى : قراءة من قرأه بسكون السين ، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، لم يقصدوا فى مسئلتهم إياه ذلك ، أن يكون بحدّ معلوم من القِطْع ، إنما سألوا أن يُسْقَطَ عليهم السماء قِطْعًا ، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كِسْفًا ) قال : السماء جميعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قوله ( كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ) قال : مرة واحدة ، والتي فى الروم ( وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ) قال : قطعا ، قال ابن جريج : كسفا لقول الله ( إن نَشَأَ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ نُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ) قال : أى قطعا .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كِسْفًا ) يقول : قطعا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كِسْفًا ) قال : قطعا .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ نُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ) يعنى قطعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

( أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ) :

يقول تعالى ذكره عن قِبل المشركين لنبى الله صلى الله عليه وسلم : أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ يَا مُحَمَّدَ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا . واختلف أهل التأويل فى معنى القبيل فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : حتى يأتى الله والملائكة كل قبيلة منا ، قبيلة قبيلة ، فيعابونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) مصدر الفعل كَسَفَ يَكْسِفُ ( كَضْرِبُ يَضْرِبُ ) هو الكسف ، بفتح الكاف وسكون السين ( اللسان ) .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَالْمَلَأْتِكُمْ قَبِيلًا ) قال : على حدثنا ، كل قبيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَأْتِكُمْ قَبِيلًا ) قال : قبائل على حدثها كل قبيلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَأْتِكُمْ عِيَانًا ، نقابلهم مقابلة ، فنعاينهم معاينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَأْتِكُمْ قَبِيلًا ) نعاينهم معاينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَأْتِكُمْ قَبِيلًا ) فنعاينهم .

ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل ، من قولهم : هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمة .

وأشبهه الأقال في ذلك بالصواب : القول الذي قاله قتادة ، من أنه بمعنى المعاينة ، من قولهم : قابلت فلانا مقابلة ، وفلان قبيل فلان ، بمعنى قبائلته ، كما قال الشاعر :

نُصَّاحِلِكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرَخَةِ حُبْلَى يَسْرَتِهَا قَبِيلُهَا

يعنى قابليتها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : إذا وصفوا بتقدير « فعمل » من قولهم قابلت ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجمع ، من المؤنث والمذكر ، على لفظ واحد ، نحو قولهم : هذه قبيلي ، وهما قبيلي ، وهم قبيلي ، وهن قبيلي .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٧٧) وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتا . والشاهد هو ال ١٧ فيها . وقوله :

فَلَتِي وَرَبِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً وَمَا صَكَ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين ، يعاتب بني مرثد وبني جعد . وفي رواية الشاهد : « أصلحك » بالهمزة بدل النون . يقول : لن أصلحك حتى تبوءوا بمثل جنائكم وبغيتكم ، وتصرخوا صرخة الخيل حين تعينها القابلة في المحاص . « وقبولها » في موضع : قبيلها . والأبيل الراهب . وتبوءوا : ترجعوا . ويسرتها : سبها ولادتها ، وأعاتبها فيها . والقبول : المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٩٠) عند قوله تعالى : « والملائكة قبيلًا » مجازة : مقابلة ، أي معاينة . وقال :

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل بشرتها قبيلها

أي قابليتها . فإذا وصفوا بتقدير « فعمل » من قولهم « قابلت » ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجمع ، من المذكر والمؤنث ، على لفظ واحد ، نحو قولك ، هي قبيل ، وهما قبيل ، وهم قبيل ، وكذلك هن قبيل . أه . وفي ( لسان العرب : قبل ) : والقيل والقبول القابلة . المحكم : قبلت القابلة الولد قبلا : أخذته من الوالدة ، وهي قابلة المرأة وقبولها وقبيلها ، قال الأعشى :

أصلحك حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل أسلمتها قبيلها

وروى : قبولها . أي يشتم منها .



القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ، أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا  
كِتَابًا نَّقْرؤه، قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي، هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكر أمرهم في هذه الآيات : أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب ؟ وهو الزخرف .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ ) يقول : بيت من ذهب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِّنْ زُخْرَفٍ ) قال : من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله : حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ )

والزخرف هنا : الذهب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ ) قال : من ذهب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن الحكم قال : قال مجاهد : كنا لاندرى ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود ( أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ ) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : لم أدر ما الزخرف ، حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود ( بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ ) .

وقوله ( أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ ) يعني : أو تصعد في درج إلى السماء ، وإنما قيل في السماء ، وإنما يرقى إليها لافها ، لأن القوم قالوا : أو ترقى في سلم إلى السماء ، فأدخلت « في » في الكلام ، ليدل على معنى الكلام ، يقال : رقيت في السلم ، فأنا أرقى رقياً ورقياً ورقياً ، كما قال الشاعر :

أَنْتَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي رَقِي الدَّرَجِ عَلَى الْكَلَالِ وَالْمَشِيْبِ وَالْعَرَجِ ١

وقوله ( وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ) يقول : ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء ( حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا ) منشورا نقرؤه ، فيه أمرنا باتباعك ، والإيمان بك .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت في (اللسان : رقى) قال : ورتقت في السلم رقياً (بوزن سقف) ورقياً (بوزن فعول) إذا صعدت ؛ وارتقت مثله ؛ أنشد ابن بري : « أنت الذي . . . البيت ، ولم ينسبه إلى قائله » .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كِتَابًا نَقَرُوهُ ) قال : من رب العالمين إلى فلان ، عند كل رجل صحيفة تصبغ عند رأسه يقرؤها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : كتابا نقرؤه من رب العالمين ، وقال أيضا : تصبغ عند رأسه موضوعة يقرؤها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ ) : أي كتابا خاصا نُؤمَر فيه باتباعك .

وقوله ( قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته ، أو يكون لى سبيل إلى شيء مما تسألونيه ( هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) يقول : هل أنا إلا عبد من عبيده من بنى آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتوني من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالتي وخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذي سألتوني أن أفعله بيد الله الذى أنا وأنتم عبيد له ، لا يقدر على ذلك غيره .

وهذا الكلام الذى أخبر الله أنه كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره كان من ملا من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحَاجَّتِهِ ، فكلموه بما أخبر الله عنهم فى هذه الآيات .

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم

والسبب الذى من أجله ناظروه به ١

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان ابن حرب ، ورجلا من بنى عبد الدار ، وأبا البخترى أبا بنى أسد ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، وأميمة بن خلف ، والعاص بن وائل ، وزبيبا ومُسَبِّها ابني الحجاج السهميين ، اجتمعوا . أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس ، عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض . ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه . حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه بدأ لهم فى أمره ببدء ، وكان عليهم حريضا . يحبّ رشدهم ، ويعزّ عليه عنّتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنعذرك فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعيبت الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك ؛ فإن كنت إنما جثت بهذا الحديث تطلب مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا ، سودناك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رديا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى - فربما كان ذلك ، بدلنا أموالنا فى طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه ، أو نعذرك فيك . فقال رسول الله صلى

(١) انظر هذا الحديث فى سيرة ابن هشام ( طبعة الخلبى ١ : ٣١٥ ) وفيه اختلاف يسير فى بعض الألفاظ . وفى تفسير

الله عليه وسلم : « ما بي ما تقولون . ما جئْتُكُمْ بِمَا جئْتُمْكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا . وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بِشِيرًا وَتَدِيرًا ، فَيَلْبَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي ، وَتَصَحُّتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ مَا جئْتُكُمْ بِهِ ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، أَصِيرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : يا محمد ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ مِنَّا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيْق بلادًا ، ولا أقلَّ مالا ، ولا أشدَّ عيشًا منا ، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيرَ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ويسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصِيَّ بن كلاب ، فإنه كان شيخًا صدوقًا ، فنسألُهم عما تقول ، حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألناك ، وصدقتك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك بالحق رسولًا ، كما تقول ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعِثْتُ ، إِنَّمَا جئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، أَصِيرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » . قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا ، فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث ملكًا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وإسألُك ، فليجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة ، ويعينك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ، إن كنت رسولًا كما تزعم ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعيل ، ما أنا بالذي يسألُ ربَّه هذا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِشِيرًا وَتَدِيرًا ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ مَا جئْتُكُمْ بِهِ ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصِيرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » . قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا ، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ . فقالوا : يا محمد ، فما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلبُ منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ، ويُعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالتمام يقال له الرحمن ، وإننا والله ما نؤمن بالرحمن أبدًا ؟ أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما بلغت منا ، حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهن بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، هو لعائكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا ، فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ، ليعرفوا منزلتك من الله ، فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل

(١) في بعض نسخ السيرة ، وفي تفسير القرطبي : « وليخرق » .

(٢) في السيرة والقرطبي : « إنه قد بلغنا إنك إنما .. الخ » .

ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لأؤمن لك أبدا ، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتني معك بنسخة منشورة ، معك أربعة من الملائكة ، يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا ، لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباحديهم إياه ، فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمدا قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا ، و شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وسب آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بججر قدر ما أطبق حمله ، فإذا سجد في صلاته ، فضخت رأسه به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث أبناء بني عبد الدار ، وأبا البخترى بن هشام . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد ، قال : قلت له في قوله تعالى : ( لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَمُجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ) قال : قلت له : نزلت في عبد الله بن أبي أمية ، قال : قد زعموا ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله ، وبما جئتهم به من الحق ( إذ جاءهم الهدى ) يقول : إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم ، وصحة ما جئتهم به ، إلا قولهم جهلا منهم ( أبعث الله بشرا رسولا ؟ ! ) فأن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها ، والثانية في موضع رفع ، لأن الفعل لها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ، لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا

رَسُولًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبية : قل يا محمد هؤلاء الذين أتوا الإيمان بك ، وتصديقك فيما جئتهم به من عندي ، استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر : لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لسنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة ، ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها . فأما غيرهم فلا يقدر على رؤيتها ، فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل ، وهم لا يقدر على رؤيتهم وهم (١) في تفسير القرطبي ( ١٠ : ٣٣٠ ) : ثم أتى معك معك معه أربعة . الخ . وفي السيرة : « ثم أتى معك أربعة . . . الخ .

ببيناتهم التي خلقهم الله بها ، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم ، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد للقائلين لك : ( أبتعث الله بشرا رسولا ؟ ) : ( كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) فإنه نعم الكافي والحاكم ( إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا ) يقول : إن الله بعباده ذوخبرة وعلم بأمرهم وأفعلهم ، والمحقّ منهم والمبطل ، والمهدى والضالّ ( بَصِيرًا ) بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء ، وكيف شاء وأحبّ ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، وهو مجازي جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدَاةِ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ، مَا أَوْهَمَ جَهَنَّمَ ، كَلِمًا خَبَتِ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ومن يهد الله يا محمد للإيمان به ، ولتصدقك وتصديق ماجئت به من عند ربك ، فوفقه لذلك ، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ ، لا من هداه غيره ، فإن الهداية بيده . ومن يضلّ : يقول ومن يضلله الله عن الحقّ ، فيخذله عن إصابته ، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله ، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ، ينصرونهم من دون الله ، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ، ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ) يقول : ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ( على وجوههم عُمِّيًّا وَبُكْمًا ) وهو جمع أبكم ، ويعنى بالبُكْمِ : الخرس .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَبُكْمًا ) قال : الخرس ( وَصُمًّا ) وهو جمع أصمّ .

فإن قال قائل : وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يُحشرون عُميًّا وبكْمًا وصمًّا ، وقد قال ( ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ) فأخبر أنهم يرون ، وقال ( إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ) ، وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) فأخبر أنهم يسمعون وينطقون . قيل : جازئ أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم ، يكون صفهم في حال حشرهم ، إلى موقف القيامة ، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال آخر ، غير حال الحشر ، ويجوز أن يكون ذلك ، كما روى عن ابن عباس في الخبر الذي حدثنيه عليّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ) ثم قال ( ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا ) ، وقال : ( سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ) ،

وقال ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) . أما قوله ( عُمَيَا ) : فلا يرون شيئاً يسرهم . وقوله ( بَكُومًا ) : لا ينطقون بحجة . وقوله ( صَمًا ) لا يسمعون شيئاً يسرهم . وقوله ( مَا وَاهُمُ جَهَنَّمُ ) : يقول جل ثناؤه : ومصيرهم إلى جهنم ، وفيها مساكنهم ، وهم وقودها .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( مَا وَاهُمُ جَهَنَّمُ ) : يعني أنهم وقودها .

وقوله ( كُلَّمَا خَبَّتْ رِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يعني بقوله خَبَّتْ : لانت وسكنت ، كما قال عدى بن زيد العبادي في وصف مزنّة :

وَسَطُّهُ كَالسَّيرَاعِ أَوْ سُرُجِ الْمِجْسَدِ حِينَا يَخْبُو وَحِينَا يُنِيرُ<sup>١</sup>

يعني بقوله : يخبو السرج : أنها تلين وتضعف أحياناً ، وتقوى وتنير أخرى ، ومنه قول القطامي :

فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا<sup>٢</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( كُلَّمَا خَبَّتْ ) قال : سكنت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( كُلَّمَا خَبَّتْ رِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : كلما أحرقهم تسعّر بهم حظبا ، فإذا أحرقهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمرات توهج ، فذلك خببوا ، فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن مجاهد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي ( شعراء النصرانية ص ٤٥٥ ) وهو مما كتب به إلى الزمان ، وهو من غرر قصائده . والبراع : فراشة إذا طارت في الليل لم يشك من يعرفها أنها شرارة طائرة عن نار . قال الجاحظ نار البراعة : قيل هي نار حياحب ، وهي شبيهة بنار البرق . قال : والبراعة طائر صغير ، إن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف ، أو مصباح يطير . والمجدل ، بكسر الميم : القصر المشرف ، لوثاقه بناؤه ، وجمعه مجادل . وخبث النار والحرب والحدة تغبو خبوا ( على فعل ) وخبوا ( على فعول ) : سكنت وطفئت ، وخذ لها . وقوله تعالى : « كلما خبت زدنهم سعيراً » : قيل معناه : سكن لها ، وقيل معناه : كلما تمنوا أن تغبو ، وأرادوا أن تغبو . ( انظر اللسان : يرع ، وجدل ، وخبيا ) .

(٢) هذا عجز بيت للقطامي . وصدره : « وكنا كالحريق أصاب غابا » ( انظر ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٠٢ ص ٣٩ ) قال : يخبو : يسكن . ويهب : يهبج . وساع : جمع ساعة . وفي ( اللسان : سوع ) الساعة : جزء من الليل والنهار . والجمع : ساعات وساع . قال القطامي « وكنا كالحريق لدى كفاح » . . . البيت . قال ابن بري : المشهور في صدر هذا البيت « وكنا كالحريق أصاب غابا » وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٩١ ) « كلما خبت زدنهم سعيراً » أي تأججا . وخبث سكت . وأنشد عجز البيت ، ثم قال : ولم يذكرها هنا جلودهم ، فيكون الخبو لها .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال ابن عباس ( كَلَّمَا خَبَبَتْ ) قال : خَبَبَتْهَا أَنهَا تَسَعَّرَ بِهِمْ حَطْبًا ، فَإِذَا أَحْرَقْتَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، صَارَتْ جَمْرًا تَتَوَهَّجُ ، فَإِذَا بُدِّلُوا خَلْقًا جَدِيدًا عَاوَدْتَهُمْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( كَلَّمَا خَبَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : كلما احترقت جلودهم بُدِّلُوا جُلُودًا ، غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كَلَّمَا خَبَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) قال : كلما لان منها شيء .

حدثت عن مروان ، عن جوير ، عن الضحاك ( كَلَّمَا خَبَبَتْ ) قال : سكنت ، وقوله ( زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : زدنا هؤلاء الكفار سعيرا ، وذلك إسعار النار عليهم ، والتهابها فيهم ، وتأججها بعد خببوتها ، في أجسامهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ، وَقَالُوا أَعِزَّنَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ؟! (٩٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ، ماذا كَثُرَتْ أَنَا نَفَعَلْ بِهِمْ ، من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما ، وإصلاطنا إياهم النار ، على ما بيَّنا من حالتهم فيها ، ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا ، يعني بأدلتهم وحججه ، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته ، وإفرادهم إياه بالألوهة ، دون الأوثان والأصنام ، ويقولهم إذا أمروا بالإيمان بالميعاد ، وبثواب الله وعقابه في الآخرة ( أَعِزَّنَا كُنَّا عِظْمًا ) بالية ( وَرَفَاتًا ) قد صرنا ترابا ( أَيْنَمَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ ) يقولون : نُبْعِثُ بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقًا جَدِيدًا ، كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا ؟ استنكارا منهم لذلك واستعظاما ، وتعجبا من أن يكون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، وَجَعَلَ

لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ ، فِيهِ قَابِئُ الظَّالِمُونَ إِلَّا كَفُورًا (٩٩)

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ( أَعِزَّنَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَاتًا أَيْنَمَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) بعيون قلوبهم ، فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض ، فابتدعها من غير شيء ، وأقامها بقدرته ، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم ، وأمثالهم من الخلق بعد فناهم ، وقبل ذلك ، وأن من قدر على ذلك ، فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا

جديدا ، بعد أن يصيروا عظاما ورُفَاتا . وقوله ( وَجَعَلْ لَّهُمْ أَجَلًا لَّارِيبَ فِيهِ ) يقول تعالى ذكره :  
وجعل الله هؤلاء المشركين أجلا هلاكهم ، ووقتا لعذابهم . لاريب فيه : يقول : لاشك فيه أنه آتيتهم ذلك الأجل :  
( فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ) يقول : فأبى الكافرون إلا الجحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم ، وتكديبا به :

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ

قَتُورًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد هؤلاء المشركين : لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي  
من الأموال ، وعنى بالرحمة في هذا الموضع : المال ( إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) يقول : إذن  
لَبَخِلْتُمْ بِهِ ، فلم تجودوا بها على غيركم ، خشية من الإنفاق والإقتار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس  
( إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) قال : الفقر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) أى خشية الفاقة .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) يقول : وكان الإنسان بخيلا ممسكا .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله  
( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) يقول : بخيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) قال : بخيلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) قال : بخيلا .  
مسكا . وفي القنور في كلام العرب لغات أربع . يقال : قنتر فلان يقنتر ويقنتر ، وقنر يقنتر ، وأقنر  
يقنتر ، كما قال أبو دُوَاد :

لَا أَعِدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنَّ فِقْدُ مَنْ قَد رُزِيَتْهُ الْإِعْدَامُ

(١) البيت لأبي دُوَاد (بوأبو غير مهموزة بعد الدال ، كما في التاج) وهو جارية بن الحجاج ، أو هو حفظة بن الشرف الإيادي .  
والبيت في ( الشعراء الشعراء لابن قتيبة طبعه ليدن سنة ١٩٠٢ ص ١٢٢ ) . وفي اللسان : قنر يقنر ويقنر قنرا وقنورا ، فهو قنر  
وقنور ، وأقنر . أى افتقر . وقنر على عياله وأقنر وقنر : أى ضيق عليهم في النفقة . ويقال : إنه لقنور : أى مقنر . فتلخص أن  
اللغات في هذا أربع قنر يقنر ويقنر (من بابي نصر وضرب) وقنر (بالتشديد) وأقنر (بالهمز) كما قال المؤلف .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَمَسَّئَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات ، تُبَيِّنُ لمن رآها أنها حجج لموسى ، شاهدة على صدقه ، وحقيقة نبوته .

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : التسع الآيات البيِّنات : يدهُ ، وعصاهُ ، ولسانهُ ، والبحرُ ، والطوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضفادعُ ، والدمُ ؛ آيات مفصلات .

حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) إلقاء العصا مرتين عند فرعون ، ونزع يده ، والعقدة التي كانت بلسانه . وخمس آيات في الأعراف : الطوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم . وقال آخرون : نحو من هذا القول ، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ : إحداهما الطَّمْسَةُ ، والأخرى الحَجَرُ . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز ، عن قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) فقلت له : هي الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه ، والطَّمْسَةُ ، والحجر . فقال : وما الطمسة ؟ فقلت : دعا موسى وأمن هارون ، فقال : قد أُجيب دعوتكما ، وقال عمر : كيف يكون الفقه إلا هكذا . فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أُصِيبَتْ بِمِصْرَ ، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر ، مُسِيخَتْ حِجَارَةٌ ، كانت من أموال فرعون أُصِيبَتْ بِمِصْرَ ؛ وقال آخرون : نحو من ذلك ، إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ : إحداهما السنين ، والأخرى النقص من الثمرات .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ومطر الوراق ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ ) قالوا : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص من الثمرات ؛

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : الطوفان ، والجراد ، والقُمَّلُ ، والضفادع ، والدم ، والسنين ، ونقص من الثمرات ، وعصاه ، ويده ؛

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سئل عطاء بن أبي رباح عن قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) ما هي ؟ قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصا موسى ، ویده .

قال ابن جريج ، وقال مجاهد مثل قول عطاء ، وزاد : ( أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ، وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : هما التاسعتان ، ويقولون : التاسعتان : السنين ، وذهاب عجمة لسان موسى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) وهي متتابعات ، وهي في سورة الأعراف ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : السنين في أهل البوادي ، ونقص من الثمرات لأهل القرى ، فهاتان آيتان ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، هذه خمس ، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء : البرص ، وعصاه إذ ألقاها ، فإذا هي ثعبان مبین :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والسنين ، ونقص من الثمرات :

وقال آخرون نحو من ذلك ، إلا أنهم جعلوا السنين ، والنقص من الثمرات ، آية واحدة ، وجعلوا التاسعة :

تلقف العصا ما يَأْفِكُونَ :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) ، ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : هذه آية واحدة ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ويد موسى ، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبین ، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يَأْفِكُونَ :

وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو ابن مَرْة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى النبي ، حتى نسأله عن هذه الآية ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : لا تقل له نبي ، فإنه إن سمعت له أربعة أعين ، قال : فسألا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَسْحَرُوا ، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَا تَقْتُلُوا مُحْصَنَةً ، أَوْ قَالَ : لا تَفِرُّوا مِنَ الرَّحْفِ ، ( شعبة الشاك ) « وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ عَلَيْنَكُمْ خَاصَّةٌ : لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ، فقبلاً يده ورجله ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكما أن تسلما ؟ قال : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود » :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي ، عن سعيد ، عن عمرو ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أن ابن مهدي قال : « لا تَمْشُوا إلى ذى سلطان » وقال ابن مهدي : أراه قال : « بيري » .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه ، عن شعبة بن الحجاج ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، فقال صاحبه : لا تقل نبى ، إنه لو سمعتك كان له أربع أعين ، قال : فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألانه عن تسع آيات بينات ، فقال : هُنَّ : وَلا تُشْرِكُوا بالله شَيْئاً ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلا تَمْشُوا بِبِيرِيءِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَمْقُتِلَهُ ، وَلا تَسْحَرُوا ، وَلا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلا تَقْنَدُوا الْمُحْصَنَةَ ، وَلا تَوَلُّوا يَوْمَ الرَّحْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ يَهُودٌ : أَنْ لا تَعْدُوا فى السَّبْتِ ، قال : فقبّلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبى ، قال : فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي ؟ قالوا : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبى ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .  
وأما قوله ( فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم ) فإن عامة قرآء الإسلام على قراءته على وجه الأمر ، بمعنى : فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى .  
وروى عن الحسن البصرى فى تأويله ما حدثني به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن ( فاسأل بني إسرائيل ) قال : سؤالك إياهم : نظرك فى القرآن .  
وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك ( فاسأل ) بمعنى : فسأل موسى فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حنظلة السدوسى ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأ ( فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم ) يعنى أن موسى سأل فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه .  
والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ بغيرها ، هى القراءة التى عليها قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ، ورغبتهم عما خالفها .  
وقوله ( فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً ) يقول : فقال لموسى فرعون : إني لأظنك يا موسى تنعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التى تفعلها من سحر ؛ وقد يجوز أن يكون مراداً به

إني لأظنك ياموسى ساحرا ، فوضِعَ مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشثوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم حجابا مستورا ، بمعنى : حجابا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا .

### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَاثَرٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ

يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا (١٠٢)

اختلفت القراءة في قراءة قوله ( لَقَدْ عَلِمْتَ ) فقراء عامة قراء الأمصار ذلك ( لَقَدْ عَلِمْتَ ) بفتح التاء ، على وجه الخطاب من موسى لفرعون . ورؤى عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك ، أنه قرأ ( لَقَدْ عَلِمْتَ ) بضم التاء ، على وجه الخبر من موسى عن نفسه . ومن قرأ ذلك على هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا ) إني لأظنك قد مسحرت ، فرى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب . وهذا وجه من التأويل . غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار خلافها ، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه ، أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع ، مع علمهم بأنها من عند الله ، بقوله ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِمَّنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ، وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا : هي سحر ، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله ، فكذلك قوله ( لَقَدْ عَلِمْتَ ) إنما هو خبر من موسى لفرعون ، بأنه عالم بأنها آيات من عند الله . وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة .

قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ ( لَقَدْ عَلِمْتَ ) يافرعون بالنصب ( مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . ثم تلا ( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال موسى لفرعون : لقد علمت يافرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البيئات ، التي أريتكمها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه ، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي ، إني لله رسول ، ما بعثني إليك إلا رب السموات والأرض ، لأن ذلك لا يقدر عليه ، ولا على أمثاله أحد سواه . بصائر : معنى بالبصائر : الآيات ، أمهن بصائر لمن استنصر بهن ، وهدى لمن اهتدى بهن ، يعرف بهن من رآهن .

أن من جاء بهن فحقق ، وأنهن من عند الله ، لا من عند غيره ، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهن ، ولا على شيء منهن سوى رب السموات والأرض ، وهو جمع بصيرة .

وقوله ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) يقول : إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير . والعرب تقول : ما شبرك عن هذا الأمر : أي ما منعتك منه ، وما صدك عنه؟ وشبره الله فهو يشبره ويشبره لغتان ، ورجل مشبور : محبوس عن الخيرات هالك ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذَا أُجَارِيَ الشَّيْطَانِ فِي سَنَنِ الْغَيْسِ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورًا

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، قال : ثنا عمر بن عبد الله ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) قال ملعونا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) يقول : ملعونا .

وقال آخرون : بل معناه : إني لأظنك يا فرعون مغلوبا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) يعني : مغلوبا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) يقول : مغلوبا .

وقال بعضهم : معنى ذلك : إني لأظنك يا فرعون هالكا .

(١) البيت لعبد الله بن الزبير من مقطوعة أربعة أبيات ، قالها حين جاء إلى النبي مسلما معتذرا عما فرط منه من هجائه ، بتحريض قريش على ذلك ( انظر سيرة ابن هشام طبعة مصفاة الحلبي وأولاده ، بتحقيق مصفاة السقا والإبياري وشلبس ، الطبعة الثانية القسم الثاني ص ٤١٩ ) والبيتان الأولان منها :

يَا رَسُولَ الْمَلِيكَ إِنِّي لَسَانِي رَأَيْتُ مَا فَتَقَّتْ إِذْ أَنَا بِبُورٍ  
إِذَا بَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيْسِ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورٍ

والرائق : الذي يسد الحرق . تقول : رتقت الشيء : إذا أصلحته وسدته . وفتقت : يعني في الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل بوبة رتق . ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح ، من نصحت الثوب : إذا خطته . والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور . وأبارى : أجازى وأعارض . وهي رواية في البيت . والسن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور هالك . وهنا محل الشاهد عند المؤلف . قال : ثبره الله يشبره ويشبره : كنعصر وضرب ، لغتان . ورجل مشبور : محبوس عن الخير هالك .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مشهوراً : أي هالكا ؛ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ) : أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه . وقال آخرون : معناه : إني لأظنك مبدلاً مغيراً .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عيسى بن موسى ، عن عطية ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ) قال : مبدلاً . وقال آخرون : معناه : محبوباً ، لا عقل له .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ) قال : الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه ؟ يعني : إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه ، دعت العرب مشبوراً . قال : أظنك ليس لك عقل يا فرعون ، قال : بينا هو يخافه ولا ينطق لساني أن أقول هذا لفرعون ، فلما شرح الله صدره ، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله . وقد بينا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : ( فَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ ) يستفز موسى وبني إسرائيل من الأرض ، ( فَأَغْرَقْنَاهُ ) في البحر ، ( وَمَنْ مَعَهُ ) من جنده ( جَمِيعًا ) ونجينا موسى وبني إسرائيل ( وَقُلْنَا لَهُمْ ) ( مِنْ بَعْدِهِ ) هلاك فرعون ( اسْكُنُوا الْأَرْضَ ) أرض الشام ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ) يقول : فإذا جاءت الساعة ، وهي وعد الآخرة ، جئنا بكم لفيفا : يقول : حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا ، أي مختلطين قدالتفت

بعضكم على بعض ، لا تتعارفون ، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيته ، من قولك : لفتت الجيوش : إذا ضربت بعضها ببعض ، فاختلف الجميع ، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لُفَّ به .  
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن ابن أبي رَزِين (جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) قال : من كل قوم .  
وقال آخرون : بل معناه : جئنا بكم جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) قال : جميعا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) جميعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) : أي جميعا ، أولكم وآخركم .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) قال : جميعا .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَتَفِيْفًا) يعني جميعا ، ووحد اللقيف ، وهو خبر عن الجميع ، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لفتته لفاً ولفيفا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ ، وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ  
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : وبالحق أنزلناه هذا القرآن : يقول : أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة ، والأمر المستحسنة الحميدة ، ونهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة ، والأخلاق الردية ، والأفعال الذميمة . (وبالحق نزل) يقول : وبذلك نزل من عند الله ، على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك

يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا ، لإمبشرا بالحنّة من أطاعنا ، فأنهى إلى أمرنا ونهيننا ، ومنذرا لمن عصانا ، وخالف أمرنا ونهيننا . ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( فَرَقْنَاهُ ) بتخفيف الراء من فرقناه ، بمعنى : أحكمناه وفصلناه وبيناه . وذكر عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء ( فَرَقْنَاهُ ) بمعنى : نزلناه شيئا بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة .

وأولى القراءتين بالصواب عندنا : القراءة الأولى : لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن . فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فتأويل الكلام : وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وفصلناه قرآنا ، وبيناه وأحكمناه ، لتقرأه على الناس على مكث . وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) يقول : فصلناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أنه قرأ ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) مخففا : يعني بيناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) قال : فصلناه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل بن الحبر ، قال : ثنا عباد ، يعني ابن راشد ، عن داود ، عن الحسن أنه قرأ ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) خففها : فرق الله بين الحق والباطل .

وأما الذين قرءوا القراءة الأخرى ، فإنهم تأولوا ما قد ذكرت من التأويل .

ذكر من قال ما حكيت من التأويل ، عن قارى ذلك كذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان ابن عباس يقرؤها ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) مثقلة ، يقول : أنزل آية آية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : ( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا - وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَتَزَلَّلْنَاهُ تَلْزِيلًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ) لم ينزل جميعا ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ ) قال :



فرقه : لم ينزله جميعه . وقرأ ( وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ) . . . حتى بلغ ( وأحسن تفسيرا ) ينقض عليهم ما يأتون به .  
 وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : نصب قوله ( وقرأنا ) بمعنى : ورحمة ، ويتأول ذلك ( وما أرسلناك إلا مبشرا وتذيرا ) ورحمة ، ويقول : جاز ذلك ، لأن القرآن رحمة ، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى ، وذلك كما قال جل ثناؤه ( والقمر قد رناهُ منازل ) . وقوله ( ليتقرأه على الناس على مكث ) يقول : لتقرأه على الناس على تَوَدُّة ، فترتله وتبينه ، ولا تعجل في تلاوته ، فلا يفهم عنك .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المكثب <sup>١</sup> ، قال : قلت لمجاهد : رجل قرأ البقرة وآل عمران ، وآخر قرأ البقرة ، وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ قال : الذي قرأ البقرة ، وقرأ ( وقرأنا فرقناه ليتقرأه على الناس على مكث ) .  
 حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ليتقرأه على الناس على مكث ) يقول : على تأييد .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( على مكث ) قال : على ترتيل .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( ليتقرأه على الناس على مكث ) . قال : في ترتيل .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد في قوله ( ليتقرأه على الناس على مكث ) ، قال : التفسير الذي قال الله ( ورتل القرآن ترتيلا ) : تفسيره .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قوله ( ليتقرأه على الناس على مكث ) على تَوَدُّة . وفي المكث للعرب لغات : مكث ، ومكث ، وميكت ومكيتي مقصور ، ومكثانا ، والقراءة : بضم الميم .  
 وقوله ( ونزلناه تنزيلا ) يقول تعالى ذكره : فرقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئا بعد شيء .  
 كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسبة ، قال : حدثنا عن أبي رجاء ، قال : تلا الحسن ( وقرأنا فرقناه ليتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلا ) قال : كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض ، لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس ، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمان عشرة سنة . قال : فسألته يوما على نسخة ، فقلت : يا أبا سعيد ( وقرأنا فرقناه ) فقلها أبو رجاء ، فقال الحسن : ليس فرقناه ، ولكن فرقناه ، فقرأ الحسن مخففة . قلت : من يحدثك هذا يا أبا سعيد ؟ أصحاب محمد ؟ قال : فمن يحدثني ؟ قال : أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثمان سنين ، وبالمدينة عشر سنين .  
 (١) المكثب : اسم فاعل من أكتب أو من كتب بالتحديد ، وهو المعلم ، يعلم الصبيان كتابة القرآن في ألواحهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ) لم ينزل في ليلة ولا ليلتين ، ولا شهر ولا شهرين ، ولا سنة ولا سنتين ، ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وما شاء الله من ذلك .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : كان يقول : أنزل على نبي الله القرآن ثمانين سنة ، وعشرا بعد ما هاجر ، وكان قتادة يقول : عشرا بمكة ، وعشرا بالمدينة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا ، إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء القائلين لك ( لَنْ نُّؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ) : آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : أولًا تؤمنوا به ، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ، ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك ، وإن تكفروا به ، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله ، من مؤمنى أهل الكتابين ، إذا يتلى عليهم هذا القرآن ، يخرون - تعظيما له وتكريما ، وعلمًا منهم بأنه من عند الله - لأذقانهم سجدا بالأرض .

واختلف أهل التأويل في الذى عُنِي بقوله ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ) فقال بعضهم : عُنِي به : الوجوه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ) يقول : للوجوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ) قال : للوجوه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : بل عُنِي بذلك اللّٰحَى .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن في ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ) قال : اللّٰحَى .

وقوله ( سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ) يقول جل ثناؤه : ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن ، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم : تنزيها لربنا ، وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به ، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب ، إلا مفعولا حقا يقينا ، إيمان

بالقرآن وتصديق به . والأذقان في كلام العرب : جمع دَقَن وهو مجمع اللّحين . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذي قال الحسن في ذلك ، أشبه بظاهر التنزيل .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في الذين عَشُوا بقوله ( أَوْتُوا الْعِلْمَ )  
وفي ( يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) . . . إلى قوله ( خَشُّوعًا ) قال : هم ناس من أهل الكتاب ، حين سمعوا ما أنزل الله على محمد ( قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنَّ كَان وَعَدُّ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ، إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) : من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) ، ما أنزل إليهم من عند الله ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنَّ كَان وَعَدُّ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ) .  
وقال آخرون : عُنِيَ بقوله ( الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) محمد صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) : كتابهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ )  
ما أنزل الله إليهم من عند الله .

ولمّا قلنا : عُنِيَ بقوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) : القرآن ، لأنه في سياق ذكر القرآن ، لم يَجْرُ لغيره من الكتب ذكر ، فيصرف الكلام إليه ، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله ( مِنْ قَبْلِهِ ) من ذكر القرآن ، لأن الكلام بذكره جرى قبله ، وذلك قوله ( وَقَرَأْنَا مَا قَرَّعْنَاهُ ) وما بعده في سياق الخبر عنه ، فلذلك وجبت صحة ما قلنا ، إذ لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْسُكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : ويخِرُّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين ، من قبل نزول الفرقان ، إذا يُتْلَى عليهم القرآن ، لأذقانهم ييكون ، ويَزِيدُهُمْ ما في القرآن من المواعظ والعبيرخشوعا ، يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته ، واستكانة له .

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا ميسر ، عن عبد الأعلى التيمي ، أن

من أوقى من العلم ما لم يُبَيِّنْهُ ، خَلِيقٌ أَلَا يَكُونُ أَوْ قَى عِلْمًا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ نَعَتَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ ( إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ) . . . الآيتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مسعز بن كيدآم ، عن عبد الأعلى التيمي بنحوه ، إلا أنه قال ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ) ثم قال : ( وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ) . قال : هذا جواب وتفسير للآية التي في « كهيعص » ( إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَلَا تَجْهَرُوا

بِعَلَاتِكُمْ ، وَلَا تَخَافُوا فِيهَا ، وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ( ١١٠ )

يقول تعالى ذكره لنبية : قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن : ادعوا الله ( أيها القوم ) ( أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم ، فإنما تدعون واحدا ، وله الأسماء الحسنى . وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم ، لأن المشركين فيما ذكر ، سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : يا ربنا الله ، ويا ربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إثنين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، احتجاجا لنبية عليهم .

#### ذكر الرواية بما ذكرنا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو : يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى ، فأنزل الله تعالى ( قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ، أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) . . . الآية » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يتهجّد بمكة ذات ليلة ، يقول في سجوده : يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، فسمعه رجل من المشركين ، فلما أصبح قال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي كبشبة ، يدعو الليلة الرحمن الذي باليامة ، وكان باليامة رجل يقال له الرحمن ، فنزلت ( قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) .

(١) كذا في الأصول ، ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم ، وقد تكرر ذلك منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَيَا مَا تَدْعُوا ) : بشيء من أسمائه .  
حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا محمد بن بكار النصرى ، قال : ثنا حماد بن عيسى ، عن عبيد بن الطفيل الجهمي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن عروة بن مالك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ ، مَنْ أَحْصَاهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

قال أبو جعفر : ولدخول « ما » في قوله ( أَيَا مَا تَدْعُوا ) وجهان : أحدهما : أن تكون صلة ، كما قيل : ( عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ) . والآخر أن تكون في معنى إن : كُرِّرَتْ لَمَّا اختلف لفظاهما ، كما قيل : ما إن رأيت كالليلة ليلة .

وقوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) اختلف أهل التأويل في الصلاة ، فقال بعضهم : عني بذلك ، ولا تجهر بدعائك ، ولا تخافت به ، ولكن بين ذلك . وقالوا : عني بالصلاة في هذا الموضع : الدعاء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قالت : في الدعاء .

حدثنا بشار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن أشعث بن سوار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كانوا يجهرون بالدعاء ، فلما نزلت هذه الآية ، أمروا ألا يجهروا ، ولا يخافتوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن مالك البكري ، عن أبي الجوزاء عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن عياض ، عن أبي عياض ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي عياض ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن عياض ، عن أبي عياض ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن ذكره عن عطاء ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في الآية : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) في الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء والمسألة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عتياش العامري ، عن عبد الله بن شداد ، قال : كان أعراباً إذا ستم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا إبلًا وولدا ، قال : فنزلت هذه الآية ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : في الدعاء .

حدثني ابن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) . . . الآية ، قال : في الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : ذلك في الدعاء .

وقال آخرون : عني بذلك الصلاة . واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عني بالنهي عن الجهر به ، فقال بعضهم : الذي نهي عن الجهر به منها : القراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كان إذا صلى بأصحابه ، رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع ذلك المشركون ، سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن

جاء به قال : فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) فيسمع المشركون ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) عن أصحابك ، فلا تُسْمِعِهم القرآن . حتى يأخذوا عنك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن ، شق ذلك على المشركين إذا سمعوه ، فيؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشم والعيب به ، وذلك بمكة ، فأنزل الله : يا محمد ( لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) يقول : لاتعلن بالقراءة بالقرآن ، إعلانا شديدا ، يسمعه المشركون فيؤذونك ، ولاتخافت بالقراءة بالقرآن : يقول : لاتخفض صوتك ، حتى لاتُسمع أذنك . ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) . يقول : اطلب بين الإعلان والجهر ، وبين التخافت والخفض طريقا ، لاجهرا شديدا ، ولا خفضا لاتُسمع أذنك ، فذلك القدر ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، سقط هذا كله ، يفعل الآن أي ذلك شاء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) . . . الآية ، هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه ، فرفع صوته بالقراءة ، أسمع المشركين ، فأذوه ، فأمره الله ألا يرفع صوته ، فيسمع عدوه ، ولا يخافت ، فلا يُسمع من خلفه من المسلمين ، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن ، فكان المشركون إذا سمعوا صوته ، سبوا القرآن ، ومن جاء به ؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُخفي القرآن ، فما يسمعه أصحابه ، فأنزل الله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، يقول : أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته وسمع المشركون ، سبوا القرآن ، ومن جاء به ، وإذا خفض لم يسمع أصحابه ، قال الله ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي ، تفرقوا ، وأبوا أن يستمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو ، وهو يصلي ، استرق السمع دونهم ، فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله عليه ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) فيتفرقوا عنك ( وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) فلا تُسمع من أراد أن يسمعها ، من استرق ذلك دونهم ، لعله يربو إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ، ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام ، فقالت قريش : لا تجهر بالقراءة ، فتوذي آلهتنا ، فهجو ربك ، فأنزل الله : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) . . . الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخفف بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) : أي بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبوا القرآن . ( وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) عن أصحابك ، فلا تسمعهم ( وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : في القراءة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه ، وإذا سمع ذلك المشركون سبوه ، فنزلت هذه الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سلمة ، عن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ ، خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، قال : فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ فقال : أناجي ربي ، وقد علم حاجتي . قيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان ، وأوقف الوسنان ، قيل : أحسنت : فلما نزلت ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) ، وأبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا حسان بن إبراهيم ، عن إبراهيم الصائغ ، عن عطاء ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : يقول ناس إنها في الصلاة . ويقول آخرون إنها في الدعاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) وأبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) وكان نبي الله وهو بمكة ، إذا سمع المشركون صوته ، رموه بكل خبث ، فأمره الله أن يعض من صوته ، وأن يجعل صلته بينه وبين ربه ، وكان يقال : ما سمعته أذنك ، فليس بمخافته . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة ، فيرمي بالخبث ، فقال : لا ترفع صوتك فتؤذي . وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، ( وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) » . وقال آخرون : إنما عسى بذلك : ولا تجهر بالشهد في صلاتك . ولا تخافت بها .



## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت هذه الآية في التشهد ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين مثله . وزاد فيه : وكان الأعرابي يجهر فيقول : التحيات لله ، والصلوات لله ، يرفع فيها صوته ، فنزلت ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) . وقال آخرون : بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة جيهارا ، فأمر بإخفائها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في بني إسرائيل ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته ، فأذى ذلك المشركين بمكة ، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه ، فلذلك قال ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) ، وقال في الأعراف ( وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تجهر بصلاتك ، تحسبها من إتيانها في العلانية ، ولا تخافت بها : تسيئها في السريرة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أنه كان يقول ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) : أي لاتراء بها علانية ، ولا تخفها سرا ( وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لا تحسن علانيتها ، وتسمى سريرتها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لاتراء بها في العلانية ، ولا تخفها في السريرة .

حدثني علي بن الحسن الأزرق ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحسن ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : تحسن علانيتها ، وتسمى سريرتها .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لاتصل مرآة الناس ، ولا تدعها مخافة .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) قال : السبيل بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون . قال : وكان أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف ،

فيصيح به، ويصيحون هم به وراءه، فهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وأن يُخافت كما يُخافت القوم، ثم كان السبيل الذى بين ذلك، الذى سن له جبرائيل من الصلاة.

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس، فى الخبر الذى رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصح الأسانيد التى روى عن صحابى فيه قول مخرجا. وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عقيب قوله (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أَيَا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وعقيب تقرير الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان. فإذا كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى وأشبه بقوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا): أن يكون من سبب ما هو فى سياقه من الكلام، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل، يعلم به الانصراف عما هو فى سياقه.

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أي ما ما تدعوا، فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك فى صلاتك ودعائك فيها ربك، ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها، فلا يسمعها أصحابك (وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا): ولكن التمس بين الجهر والخافتة طريقا إلى أن تُسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لانتجيز خلافهم فيما جاء عنهم، لكان وجهها يحتمله التأويل، أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التى أمرناك بالخافتة بها، وهى صلاة النهار، لأنها عجماء، لا يُجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التى أمرناك بالجهر بها، وهى صلاة الليل، فإنها يجهر بها (وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا): بأن تجهر بالتى أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتى أمرناك بالخافتة بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجهها غير بعيد من الصحة، ولكننا لانرى ذلك صحيحا، لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه، فإن قال قائل: فأية قراءة هذه التى بين الجهر والخافتة؟

قيل: حدثني مطر بن محمد، قال: ثنا قتيبة، ووهب بن جرير، قالا: ثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن الأسود بن هلال، قال: قال عبد الله: لم يخافت من أسمع أذنيه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن الأشعث، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، مثله.

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلَّةِ، وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: (وَقُلْ) يا محمد: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ

وَلَدًا) فيكون مريبوا لاربا ، لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا ، ولا يكون إلهها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول ، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان . (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) يقول : ولم يكن له حليف حالفه ، من الذل الذي به ، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرته غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر ، إلهها يطاع . (وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا) يقول : وعظم ربك يا محمد ، بما أمرناك أن تعظمه به ، من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك ونهاك .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال : لم يخالف أحدا ، ولا ينبغي نصر أحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ أَهْلَهُ هَذِهِ الْآيَةَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ، وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا) الصَّغِيرُ مِنْ أَهْلِهِ وَالْكَبِيرُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا أبو الجعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل ، ثم تلا (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القرظي ، أنه كان يقول في هذه الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) . . . الآية ، قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا . وقالت العرب : لبيك ، لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل الله ، فأنزل الله (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ، وَكَبَّرَهُ) أنت يا محمد على ما يقولون (تَكْبِيرًا) .

آخر تفسير سورة بني إسرائيل ، والحمد لله رب العالمين .

## تفسير سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله عز ذكره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خص برسالته محمدا، وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا، وأنزل عليه كتابه قويا، ولم يجعل له عوجا. وعني بقوله عز ذكره (قَيِّمًا) معتدلا مستقيما. وقيل: عني به: أنه قيم على سائر الكتب: يصدقها ويحفظها.

ذكر من قال: عني به معتدلا مستقيما

حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) يقول: أنزل الكتاب عدلا قويا، ولم يجعل له عوجا، فأخبر ابن عباس بقوله هذا، مع بيانه معنى القيم، أن القيم مؤخر بعد قوله، ولم يجعل له عوجا، ومعناه التقديم، بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قَيِّمًا.

حدثت عن محمد بن زيد، عن جوير، عن الضحاك، في قوله (قَيِّمًا) قال: مستقيما. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا): أي معتدلا لاختلاف فيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) قال: أنزل الله الكتاب قويا، ولم يجعل له عوجا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) قال: وفي بعض القراءات (وَلَكِنَّ جَعَلَهُ قَيِّمًا).

والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، للدلالة قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم (قَيِّمًا) مستقيما، لاختلاف فيه، ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق. وكسرت العين من قوله (عِوَجًا) لأن العرب كذلك تقول في كل أعوجاج كان في دين، أو فيما لا يرى شخصه قائما، فيدرك عيانا منتصبا كالعجاج في الدين، ولذلك كُسِرت

العين في هذا الموضع ، وكذلك العوج في الطريق ، لأنه ليس بالشخص المنتصب . فأماما كان من عوج في الأشخاص المنتصبه قياما ، فإن عينها تفتح ، كالعوج . في القناة ، والخشبة ، ونحوها ، وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ( ولم يجعل له عوجا ) : ولم يجعل له ملتبسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( ولم يجعل له عوجا قبيما ) ، ولم يجعل له ملتبسا .

ولا خلاف أيضا بين أهل العربية في أن معنى قوله ( قبيما ) وإن كان مؤخرا ، التقديم إلى جنب الكتاب . وقيل : إنما افتتح جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل ، وبالحبر عن إنزال كتابه على رسوله ، إخبارا منه للمشركين من أهل مكة ، بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمها هوها اليهود ، من قريظة والتبشير ، وأمروهم بمسئلتهموه عنها ، وقالوا : إن أخبركم بها فهو نبي ، وإن لم يخبركم بها فهو منقول ، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا ، فأبطأ الوحي عنه بعض الإبطاء ، وتأخر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه ، عن ميعاده القوم ، فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعده ، وأنه منقول ، فأنزل الله هذه السورة ، جوابا عن مسائلهم ، وافتتح أولها بذكره ، وتكذيب المشركين في أحدثهم التي تحدثوها بينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيما يروى أبو جعفر الطبري ، قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فلأنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجوا ، حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره ، وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث تأمركم بهن ، فلأن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل منقول ، فترؤا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم . فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ماهو ؟ فلأن أخبركم بذلك ، فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل منقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش ، فقالوا : يا معشر قريش : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن تسأله ، عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله صلى الله

(١) الظاهر : أن قوله « فيما يروى أبو جعفر الطبري » : من عبارة المؤلف عن نفسه ، وليس يعنى شخصا آخر . ولا هو من تعبير بعض تلاميذه عنه .

عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمرهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 «أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ» ، ولم يستثنوا ، فانصرفوا عنه ، فكثرت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة ،  
 وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها ، لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل عليه  
 السلام ، من الله عز وجل ، بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من  
 أمر الفيتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ  
 رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) . قال ابن إسحاق : فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 افتتح السورة فقال : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ ) يعني محمدا ، إنك رسول في تحقيق  
 ما سألوا عنه من نبوته ( وَكَمْ يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قَبِيْمًا ) : أي معتدلا ، لا اختلاف فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا  
 حَسَنًا (٢) مَكِّيِّينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)

يقول تعالى ذكره : أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه ، لينذركم أيها الناس بأسا من الله  
 شديدا ، وعنى بالبأس العذاب العاجل ، والنكال الحاضر والسطوة . وقوله ( مِّن لَّدُنْهُ ) يعني : من عند الله .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق : ( لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ) عاجل  
 عقوبة في الدنيا ، وعذابا في الآخرة . ( مِّن لَّدُنْهُ ) : أي من عند ربك الذي بعثك رسولا .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مِّن لَّدُنْهُ ) : أي من عنده .  
 فإن قال قائل : فأين مفعول قوله ( لِيُنذِرَ ) ؟ فإن مفعوله محذوف ، اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام  
 عليه من ذكره ، وهو مضمرة متصل بينذر قبل البأس ، كأنه قيل : لينذركم بأسا ، كما قيل ( يُخَوِّفُ  
 أَوْلِيَاءَهُ ) إنما هو : يخوفكم أوليائه .

وقوله ( وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ويبشر المصدقين الله ورسوله ( الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ) ،  
 وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ، والانتها عما نهى الله عنه ( أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ) يقول : ثوابا جزئيا  
 لهم من الله ، على إيمانهم بالله ورسوله ، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال ، وذلك الثواب : هو الجنة  
 التي وعدها المتقون . وقوله ( مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا ) خالدين ، لا ينتقلون عنه ، ولا ينتقلون . ونصب ما كتبت  
 على الحال من قوله ( أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ) في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر .

(١) أي لم يقل : « إن شاء الله » . ويشير إليه قوله تعالى : « ولا تقولن شيئا على فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كَثِيرًا فِيهِ أَبَدًا ) : أي في دار خلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جنت به عن الله ، وعملوا بما أمرتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)

يقول تعالى ذكره : ويحذر أيضا محمد القوم ( الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) من مشركي قومه وغيرهم ، بأس الله وعاجل نقمته ، وأجل عذابه ، على قبيحهم ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) يعني قريشا في قولهم : إنما نعبد الملائكة ، وهن بنات الله . وقوله ( مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ) يقول : ما لقائل هذا القول ، يعني قولهم ( اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) . ( به ) : يعني بالله من علم ، والماء في قوله ( بِهِ ) من ذكر الله . وإنما معنى الكلام : ما هؤلاء القائلين هذا القول بالله ، إنه لا يجوز أن يكون له ولد ، من علم ، فالجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك . وقوله ( وَلَا لِآبَائِهِمْ ) يقول : ولا لأسلافهم الذين مَضَوْا قَبْلَهُمْ ، على مثل الذي هم عليه اليوم ، كان لهم بالله وبِعِظْمَتِهِ عِلْمٌ . وقوله ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدنيين والكوفيين والبصريين ( كَبُرَتْ كَلِمَةً ) بنصب كلمة ، بمعنى : كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة ، على التفسير ، كما يقال : نعم رجلا عمرو ، ونعم الرجل رجلا قام ، ونعم رجلا قام . وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : نُصِبَتْ كَلِمَةٌ ، لأنها في معنى : أَكْبِرَ بِهَا كَلِمَةً ، كما قال جل ثناؤه ( وَسَاءَتْ مَرُتَفَقًا ) وقال : هي في النصب مثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا اللَّقَّاحُ تَرَوَّحَتْ هَسَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهْنُ شِمَالًا

(١) البيت غير منسوب . واللقحاح : هي التوق ذوات اللبن ، تنتج في أول الربيع ، فتكون لقاحا ، واحدها لقة ( بفتح اللام وكسرهما ) فلا تزال لقاحا حتى يدبر الصيف عنها . ( انظر اللسان : لقيح ) . وتروحت : عادت من مراعتها إلى مراحتها . أو تروحت : أصابها الريح . والهدج ( يسكون الدال ) مصدر هدج يهدج هدجا وهدجانا ، وهو المشى الرويد في ضعف . يقال : هدج الظلم يهدج هدجانا والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعام ، وخص بعضهم به الخول . ويقال في جمعه : أرؤل ، ورثلان ، ورثال ، ورثالة ( اللسان رأل ) وتكبهن : تلقيهن على صدورهن في الأرض . والشمال : الريح تهب من جهة الشمال . شبه سير اللقحاح في رجوعها إلى مراحتها بهدجان الرثال ، وهو مشى ضعيف . يريد أن اللقحاح في ذلك الوقت تهدج في سيرها هدج الرثال حين تسوقهن ريح الشمال . والشاهد في قوله : تكبهن شمالا ، فإن شمالا منصوب على التمييز ، وهو محمول عن الفاعل . والأصل تكبهن شمال . وهو نظير : نصب كلمة من قوله تعالى : « كبرت كلمة » فإن كلمة منصوبة على التمييز ، وهو تمييز نسبة محمول عن الفاعل ، والأصل كبرت كلمة ( بالرفع ) .

أى تكبهن الرياح شمالا. فكأنه قال : كبرت تلك الكلمة ، ووذُكِرَ عن بعض المكيين ، أنه كان يقرأ ذلك ( كَسُبَرَتْ كَلِمَةً ) رفعا ، كما يقال : عَظُمَ قولُك وكَسِبَر شَأْنُكَ . وإذا قرئ ذلك كذلك ، لم يكن فى قوله ( كَسُبَرَتْ كَلِمَةً ) مُضْمَرٌ ، وكان صفة للكلمة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : قراءة من قرأ ( كَسُبَرَتْ كَلِمَةً ) نصبا ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، فتأويل الكلام : عَظُمَتِ الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم ، الذين قالوا : اتَّخَذَ اللهُ ولداً ، والملائكة بنات الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( كَسُبَرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) قَوْلُهُمْ : إِنْ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ . وقوله ( إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) يقول عز ذكره : ما يقول هؤلاء القائلون اتَّخَذَ اللهُ ولداً ، بقبيلهم ذلك ، إلا كذبا وقرية افتروها على الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا كَبَخِعَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنْ أَلْمَأَمْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لَنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

يعنى تعالى ذكره بذلك : فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها ، على آثار قومك الذين قالوا لك ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ) تمردا منهم على ربهم ، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك ، فيصدقوا بأنه من عند الله ، حزنا وتلهفا ووجدا ، بإدبارهم عنك ، وإعراضهم عما أتيتهم به ، وتركهم الإيمان بك ، يقال منه : بَخِعَ فلان نفسه يبخعها بَخْعًا وبخوعا ، ومنه قول ذى الرمة :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِيعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لِيَشَىٰ نَحْتَهُ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

يريد : نَحْتَهُ ، فخفف .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ( بَاخِيعٌ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا كَبَخِعَ نَفْسَكَ ) يقول :

قاتل نفسك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٥١ من القصيدة الثانية والثلاثين ، وعدتها ثمانية وسبعون بيتا . والقائل : ونحته عدلته وصرفته . والبيت من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٩٣ ) قال : « فلعلك باخع نفسك » : مهلك نفسك . قال ذى الرمة : « ألا أيهذا . . . » البيت . أى نحته ، مشدد . ويقال : بَخِعْتُ له نفسى ونصحتى : أى جهدت له . وقال الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ١٨٣ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) باخع نفسك تخرج ، وقاتل نفسك . أى ( اللسان بَخِعَ ) نفسه يبخعها نجما وبخوعا : قتلها غيظا أو حما . وفى التنزيل « فلعلك باخع نفسك على آثَرِهِم » قال الفراء : أى تخرج نفسك ، وقاتل نفسك . وقال ذى الرمة ألا أيهذا . . . . . بشىء . . . » البيت . قال الأَخْفَشُ : بَخِعْتُ لك نفسى ونصحتى : أى جهدتها . أبخع بخوعا .



وأما قوله (أسفا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) قال : غضبا .  
وقال آخرون : جزعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أسفا ) قال : جزعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : معناه : حزنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أسفا ) قال : حزنا عليهم .

وقد بينا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وهذه معاتبة من الله عز ذكره ، على وجده بمعادة قومه إياه ، فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، وكان بهم رحيمًا .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَكَعَبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ) باخيع أنفسكم على آثاريهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ( يعاتبه على حزنه عليهم ، حين فاته ما كان يرجو منهم : أي لا تفعل . وقوله ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ) يقول عز ذكره : إنا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض ( لِئَنبَلُوهُمْ أَئِنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) يقول : لنختبر عبادنا أيهم أترك لها ، وأتبع لأمرنا ونهينا ، وأعمل فيها بطاعتنا ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما على الأرض زينة لها ) قال : ما عليها من شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً  
 لَهَا ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ  
 مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَتَنَاطِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ » .  
 وأما قوله ( لِنَبِّئُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) فلأن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عاصم العسقلاني ، قال ( لِنَبِّئُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ  
 عَمَلًا ) قال : أترك لها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبِّئُوهُمْ  
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) اختبارا لهم أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي ؟  
 وقوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) يقول عز ذكره : وإنا لنخرّبوها بعد عمارتناها ،  
 بما جعلنا عليها من الزينة ، فصيروها صعيدا جرّزا ، لانبات عليها ولا زرع ولا غرس . وقد قيل : إنه أريد  
 بالصعيد في هذا الموضع : المستوى بوجه الأرض ، وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك :

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، وبمعنى الجُرْز ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) يقول : يهلك كل شيء عليها ويبيد .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( صَعِيدًا جُرُزًا ) قال : بَلَقَعَا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا  
 جُرُزًا ) والصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا )  
 يعنى : الأرض ، إن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لىلى . فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .  
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( صَعِيدًا جُرُزًا ) قال : الجرّز :  
 الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترى أنه يقول ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ،  
 فَتَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ) قال : والجرّز : لاشيء فيها ، لانبات ولا منفعة . والصعيد : المستوى . وقرأ  
 ( لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : مستوية . يقال : جرّزت الأرض فهي مجرّوزة ، وجرّزها الجراد

والنعم ، وَأَرْضُونَ أَجْرَازَ : إذا كانت لاشيء فيها . ويقال للسنة المجدبة : جُرُزٌ وسنون أجزاز ، لجدوبها وبيسها ، وَقَلَّةٌ أمطارها ؛ قال الراجز :

قَدَّ جَرَفَتْهُنَّ السَّنُونَُ الْأَجْرَازُ<sup>١</sup>

يقال : أجزز القوم : إذا صارت أرضهم جُرُزًا ، وجَرَزُوا هم أرضهم : إذا أكلوا نباتها كله .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن ما خلقت من السموات والأرض ، وما فيهن من العجائب أعجب ، من أمر أصحاب الكهف ، وحجتي بكل ذلك ثابتة ، على هؤلاء المشركين من قومك ، وغيرهم من سائر عبادي ؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) قال محمد بن عمرو في حديثه ، قال : ليسوا عجبا بأعجب آياتنا . وقال الحارث في حديثه بقولهم : أعجب آياتنا : ليسوا أعجب آياتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) كانوا يقولون : هم عَجَبٌ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) يقول : قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) : أي وما قدرُوا من قَدَرٍ فيما صنعت من أمر الخلائق ، وما وضعت على العباد من حججى ما هو أعظم من ذلك :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن الذى آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه .

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٩٤ ) قال جرزا : أى غلظا لا يثبت شيئا ، والجميع : أرضون أجزاز . ويقال للسنة المجدبة : جرز ، وسنون أجزاز ، لجدوبها ، وبيسها ، وقلة مطرها . ثم أنشد بيتا لدى الرمة ، ثم بيت الشاهد . والبيت أيضا من شواهد ( اللسان : جرز ) قال : سنة جرز : إذا كانت جدبة . والجرز : السنة المجدبة ، قال الراجز : « قد جرفتن . . . البيت . ومعنى جرفتن : أى ذهبت بين كلهن ، أو جلهن . والضمير راجع إلى إلهه . ويجوز أن يكون معنى جرفتن بالتشديد : هزلتن ، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم ، لقلة المرعى .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أم حسبيبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ) يقول : الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب ، أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .  
 وإنما قلنا : إن القول الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه ، احتجاجا بها على المشركين من قومه ، على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس ، إذ سأله عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقته ، فكان تقريرهم بتكذيبهم ، بما هو أوكده عليهم في الحجة مما سألوا عنهم ، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه ، أشبهه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم .  
 وأما الكهف ، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم ، الذين قص الله شأنهم في هذه السورة .  
 وأما الرقيم ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : هو اسم قرية ، أو واد على اختلاف بينهم في ذلك

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يزعم كعب أن الرقيم : القرية .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أم حسبيبت أن أصحاب الكهف والرقيم ) قال : الرقيم : واد بين عسفان وآيلة دون فلسطين ، وهو قريب من آيلة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية ، قال : الرقيم : واد .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أم حسبيبت أن أصحاب الكهف والرقيم ) كذا نحدث أن الرقيم : الوادي الذي فيه أصحاب الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن سيالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( الرقيم ) قال : يزعم كعب أنها القرية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( الرقيم ) قال : يقول بعضهم : الرقيم : كتاب تبيانهم . ويقول بعضهم : هو الوادي الذي فيه كهفهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : أما الكهف : فهو غار الوادي ، والرقيم : اسم الوادي .

وقال آخرون : الرقيم : الكتاب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أم حسبيبت أن أصحاب الكهف والرقيم ) يقول : الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا أبي ، عن ابن قيس ، عن سعيد بن جبير ، قال :  
الرقيم : لوح من حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الرقيم : كتاب ، ولذلك الكتاب خير ،  
فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه ، وقرأ ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَالِيُونَ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ  
الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ) .  
وقال آخرون : بل هو اسم جبل أصحاب الكهف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
الرقيم : الجبل الذي فيه الكهف .  
قال أبو جعفر : وقد قيل إن اسم ذلك الجبل : بنجلوس .  
حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد ،  
عن ابن عباس ، وقد قيل : إن اسمه بنجلوس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان  
عن شعيب الجبتي<sup>١</sup> إن اسم جبل الكهف : بنجلوس . واسم الكهف : حيزم . والكلب : حمران .  
وقد روى عن ابن عباس في الرقيم ما حدثنا به الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل  
عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كل القرآن أعلمه ، إلا حنانا ، والأواه ، والرقيم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن  
دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب ، أم بنيان ؟  
وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم : أن يكون معناه به : لوح ، أو حجر ، أو شيء كتبت فيه كتاب ؛  
وقد قال أهل الأخبار : إن ذلك لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم ، حين أووا إلى الكهف . ثم  
قال بعضهم : رُفِعَ ذلك اللوح في خزنة الملك . وقال بعضهم : بل جعل على باب كهفهم . وقال بعضهم :  
بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم . وإنما الرقيم : فَعِيلٌ ، أصله : مرقوم ، ثم صُرف إلى فَعِيلٍ ، كما  
قيل للمجروح : جَرِيحٌ ، وللمقتول : قَتِيلٌ ، يقال منه : رَقِمْتَ كَذَا وكَذَا : إذا كتبتَه ، ومنه قيل للرقيم  
في الثوب رَقْمٌ ، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه . ومن ذلك قيل للحية : أَرَقِمٌ ، لما فيه من الآثار ؛ والعرب  
تقول : عليك بالرقمة ، ودع الضمّة : بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء ، ودع الضمّة الجانبية .  
والضفتان : جانبا الوادي . وأحسب أن الذي قال الرقيم : الوادي ، ذهب به إلى هذا ، أعني به إلى رقمة  
الوادي .

(١) شعيب الجبتي : هو شعيب بن الأسود الجبتي المحدث من أقران طاوس ، أخذ عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن وهران . وهو  
منسوب إلى الجبأ ، بالهمز والقصر ، كما قال الهمداني في صفة جزيرة العرب في مواضع ، وهو كورة المعافر ، بالقرب من الجند ( انظر  
معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة ، في رسم الجبأ من ٣٦٠ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ، إِلَى الْكَهْفِ: فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا

رَشَدًا (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أم حَسَبَيْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل ، هربا بدينهم إلى الله ، فقالوا إذ أووه : ( رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ) رغبة منهم إلى ربهم ، في أن يرزقهم من عنده رحمة . وقوله ( وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ) يقول : وقالوا : يسر لنا بما نبتغي وما نلتمس من رضاك ، والهرب من الكفر بك ، ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا . رَشَدًا : يقول : سَدَادًا إِلَى الْعَمَلِ بِالَّذِي تَحَبُّ : وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف ، الذي ذكره الله في كتابه ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك ، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، وكان لهم ملك عابد وثن ، دعاهم إلى عبادة الأصنام ، فهربوا بدينهم منه ، خشية أن يفتنهم عن دينهم ، أو يقتلهم ، فاستخفوا منه في الكهف :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو في قوله ( أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ) كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام ، وكان ملكهم كافرا ، وقد أخرج لهم صنما ، فأبوا ، وقالوا : ( رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا ) قال : فاعترضوا عن قومهم لعبادة الله ، فقال أحدهم : إنه كان لأبي كهف يأوى فيه غنمه ، فانطلقوا بنا نكن فيه ، فدخلوه وفقدوا في ذلك الزمان ، فطلبوا ، فقيل : دخلوا هذا الكهف ، فقال قومهم : لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف ، فبنوه عليهم ثم ردموه ، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى ، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم ، فقال بعضهم لبعض ( كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ ) فقالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . . . حتى بلغ ( فابعثوا أحدكم بِيورقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ) . وكان ورق ذلك الزمان كبارا ، فأرسلوا أحدهم يأتهم بطعام وشراب ؛ فلما ذهب ليخرج ، رأى على باب الكهف شيئا أنكره ، فأراد أن يرجع ، ثم مضى حتى دخل المدينة ، فأنكر ما رأى ، ثم أخرج درهما ، فنظروا إليه فأنكروه ، وأنكروا الدرهم ، وقالوا : من أين لك هذا ؟ هذا من ورق غير هذا الزمان ، واجتمعوا عليه يسألونه ، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم ، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون ، فنظروا في ذلك اللوح ، وسأله الملك ، فأخبره بأمره ، ونظروا في الكتاب متى فقد ، فاستبشروا به وبأصحابه ، وقيل له : انطلق بنا ، فأرنا أصحابك ، فانطلق وانطلقوا معه ، ليريه ، فدخل قبل القوم ، فضرب على آذانهم ، فقال الذين غلبوا على أمرهم : ( لَنَنْتَحِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : مَرَجَ أَمْرُ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ ، وَعَظُمَتْ فِيهِمْ

الخطايا، وطغت فيهم الملوك ، حتى عبدوا الأصنام ، وذبحوا للطواغيت ، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم ، متمسكون بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ، ملك من الروم ، يقال له : دَقِينُوس ، كان قد عبد الأصنام ، وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه في ذلك ، ممن أقام على دين عيسى ابن مريم ، كان ينزل في قُرى الروم ، فلا يترك في قرية ينزلها أحداً من يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله ، حتى يعبد الأصنام ، ويذبح للطواغيت ، حتى نزل دَقِينُوس مدينة الفتيّة أصحاب الكهف ؛ فلما نزلها دَقِينُوس ، كبر ذلك على أهل الإيمان ، فاستخفوا منه ، وهربوا في كل وجه . وكان دَقِينُوس قد أمر حين قدمها ، أن يتبع أهل الإيمان ، فيُجمعوا له ، واتخذ شُرطاً من الكفّار من أهلها ، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها ، فيستخرجونهم إلى دَقِينُوس ، فيقدمهم إلى الجامع التي يذبح فيها للطواغيت ، فيخبرهم بين القتل ، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة ، ويُقَطِّع بالقتل ، فيفتين ، ومنهم من يأتي أن يعبد غير الله ، فيقتل ؛ فلما رأى ذلك أهل الصلابة ، من أهل الإيمان بالله ، جعلوا يُسَلِّمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيقتلون ويقطعون ، ثم يربط ما قطع من أجسادهم ، فيعلّق على سور المدينة ، من نواحيها كلها ، وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فمنهم من كفر فترك ، ومنهم من صلّب على دينه فقتل ؛ فلما رأى ذلك الفتيّة أصحاب الكهف ، حزنوا حزناً شديداً ، حتى تغيرت ألوانهم ، وتحوّلت أجسامهم ، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة ، والتحميد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والبكاء ، والتضرّع إلى الله ، وكانوا فتية أحداثاً أحرارا ، من أبناء أشراف الروم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن اسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حدائث أسنانه وضّح الورق ، قال ابن عباس : فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم ، يبيكون إلى الله ، ويستغيثونه ، وكانوا ثمانية نفر : مكسليميننا ، وكان أكبرهم ، وهو الذي كلّم الملك عنهم ؛ ومخسيميلىنا ، ويمليخا ، ومرطوس ، وكشوطوش ، ويرونس ، ودِينُوس ، ويطونس قالوس<sup>١</sup> فلما أجمع دَقِينُوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، بكَرُوا إلى الله ، وتضرّعوا إليه ، وجعلوا يقولون : اللهم ربّ السموات والأرض ، لن ندعو من دوتك إلها ( لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ) اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة ، وادفع عنهم البلاء ، وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ، ومنعوا عبادتك إلا سرّاً ، مستخفين بذلك ، حتى يعبدوك علانية . فبينما هم على ذلك ، عرفهم عرفاؤهم من الكفار ، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، وذكروا أمرهم ، وكانوا قد دخلوا في مُصَاتَى لهم ، يعبدون الله فيه ، ويتضرّعون إليه ، ويتوقّعون أن يندُكروا لدَقِينُوس ، فانطلق أولئك الكفرة ، حتى دخلوا عليهم مُصَلِّاهم ، فوجدوهم سجدوا على وجوههم ، يتضرّعون ويبيكون ، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دَقِينُوس وفتنته ؛ فلما رأهم أولئك الكفرة من عرفائهم ، قالوا لهم : ما خلّفكم عن أمر الملك ، انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم ، فرفعوا أمرهم إلى دَقِينُوس ، وقالوا : تجمع الناس للذبح لأهنتك ، وهؤلاء فتية من أهل بيتك ، يسخرون منك ، ويستهنئون بك ، ويعصون أمرك ، ويتركون

(١) قال القرطبي في تفسيره ( ١٠ : ٣٦٠ ) : وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية ، والسند في معرفتها واه . ونقلها عن الطبري .

أهلك، يعمدون إلى مُصَلَّى لهم ولأصحاب عيسى بن مريم، يصلون فيه، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى، وأصحاب عيسى، فلم تركهم يصنعون هذا وهم بين ظهرائي سلطانك ومُلْكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلينا، وهم أبناء عظماء المدينة، فلما قالوا ذلك لدقيوس، بعث إليهم، فأتى بهم من المصلَّى الذي كانوا فيه، تفيض أعينهم من الدموع، مُعْتَفرة وجوههم في التراب. فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسرة أهل مدينتكم، ولمن حضر منّا من الناس، اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم، فقال مكسلينا: إن لنا إلهًا نعبد، ملاء السموات والأرض عظمتُه، لن ندعو من دونه إلهًا أبدًا، ولن نقرّ بهذا الذي تدعوننا إليه أبدًا، ولكننا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا، خالصًا أبدًا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نقرّ بها أبدًا، ولسنا بكائنين عبّادًا للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عبّادًا لها، بعد إذ هدانا الله له، رهبتك، أو فترقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك. ثم قال أصحاب مكسلينا لدقيوس مثل ما قال. قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فنزع عنهم لبسهم، من لبس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم، فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي ووطنتي، وأهل بلادتي، وسأفرغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعي أن أعجل ذلك لكم، إلا أني أراكم فتيانا حديثة أسنانكم، ولا أحب أن أهلككم حتى أستأني بكم، وأنا جاعل لكم أجلا تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فنزع عنهم؛ ثم أمر بهم، فأخرجوا من عنده، وانطلق دقيوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها، قريبا منها، لبعض ما يريد من أمره. فلما رأى الفتية دقيوس قد خرج من مدينتهم، بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يُدكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة، في جبل يقال له: بنجلوس، فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله، حتى إذا رجع دقيوس أتوه، فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل قتي منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام، والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى قتي منهم يُقال له يملخا، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرًا من أهلها، وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يملخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين، الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة، فيشترى لهم طعاما وشرابا، ويتسمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكير هو وأصحابه بشيء في ملا المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ملبثوا؛ ثم قدم دقيوس الجبار المدينة التي منها خرج إلى مدينته، وهي مدينة أفسوس؛ فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففزع من ذلك أهل الإيمان، فتخبثوا في كل نخبأ؛ وكان يملخا



بالمدينة، يشترى لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكى، ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقنوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذُكروا وافْتَقَدُوا، والتسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت؛ فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعا شديدا، ووقعوا سجودا على وجوههم، يدعون الله، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة؛ ثم إن يملخا قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعموا من هذا الطعام الذى جئتمكم به، وتوكلوا على ربكم؛ فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع، حذرا وتخوفا على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضا، على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخير، فيبناهم على ذلك؛ إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عددا، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مؤقنون، مُصَدِّقُونَ بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم؛ فلما كان الغد فقدهم دقنوس، فالتسهم، فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا يظنون أن نبى غضبا عليهم فيما صنعوا فى أول شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمرى، ما كنت لأجهل عليهم فى نفسى، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشئ إن هم تابوا وعبدوا آلهتى، ولو فعلوا لتركهم، وما عاقبتهم بشئ سلف منهم. فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوما ففجرت مرّة عصاة، مقيمى على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنت أجلتهم أجلا، وأخسرتهم عن العقوبة التى أصبت بها غيرهم، ولو شاءوا لرجعوا فى ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا، ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يندرون أمواهم بالمدينة؛ فلما علموا بقدمك، فرّوا فلم يروا بعد. فإن أحببت أن تؤتّى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واشدد عليهم، يدلوك عليهم، فإنهم محتبون منك؛ فلما قالوا ذلك لدقنوس الجبار، غضب غضبا شديدا، ثم أرسل إلى آبائهم، فألقى بهم، فسألم عنهم، وقال: أخبرونى عن أبنائكم المرّدة، الذين عصوا أمرى، وتركوا آلهتى، اثبتونى بهم، وأثبتونى بمكانهم. فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك، ولم نخالفك، قد عبدنا آلهتك، وذبحنا لهم، فلم تقتلنا فى قوم مرّدة، قد ذهبوا بأموالنا فبذروها وأهلكوها فى أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا فى جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة، هربا منك؟ فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله عز وجل فى نفسه أن يأمر بالكهف، فيُسَدَّ عليهم، كرامة من الله أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول ولا يطوف بها شئ، وأراد أن يحبيهم، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور. فأمر دقنوس بالكهف أن يُسَدَّ عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المرّدة الذين تركوا آلهتى، فليموتوا كما هم فى الكهف عطشا وجوعا، وليكن كهفهم الذى اختاروا لأنفسهم، قبرا لهم، ففعل بهم ذلك عدو الله، وهو يظن أنهم أبقاظ، يعلمون ما يصنع بهم، وقد تَوَوَّفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشاه الله ما غشاهم، يُقَلِّبُونَ ذات النبين وذات الشمال. ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقنوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتتهما أن يكتبنا

شأن الفتية أصحاب الكهف ، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم ، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص ، ثم يضمنها له تابوتا من نحاس ، ثم يجعل اللوحين فيه ، ثم يكتب عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان ، ويختبأ على التابوت بخاتمهما ، وقالوا : لعل الله أن يظنهم على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ، ففعلا ، ثم بنيا عليه في البنيان ، فبقي دقینوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا ، ثم هلك دقینوس والقرن الذي كانوا معه ، وقرون بعده كثيرة ، وخلفت الخلوف بعد الخلوف .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج . عن عبد الله بن كثير . عن مجاهد . قال : كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم ، وأهل شرفهم ، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة ، على غير ميعاد . فقال رجل منهم هو أسنهم : إني لأجد في نفسي شيئا ، ما أظن أن أحدا يجده . قالوا : ماذا تجد ؟ قال : أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض ، وقالوا : نحن نجد ، فقاموا جميعا ، فقالوا ( رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ) ، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف ، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقینوس ، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا رقدا .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا ، مطوقين مسورين ذوى ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم . فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب ، وأخرجوا معهم آلتهم التي يعبدون ، وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان ، فآمنوا ، وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه ، فقالوا في أنفسهم ، من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم ، فخرج شاب منهم ، حتى انتهى إلى ظل شجرة ، فجلس فيه ، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره ، من غير أن يظهر منه ، فجاء حتى جلس إليه ، ثم خرج الآخرون ، فجاءوا حتى جلسوا إليهما ، فاجتمعوا ، فقال بعضهم : ما جمعكم ؟ وقال آخر : بل ما جمعكم ؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه ، مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج منكم فتیان ، فيخجلوا ، فيتواتقا أن لا يفشى واحد منهما على صاحبه ، ثم يفشى كل واحد منهما لصاحبه أمره ، فإننا نرجو أن نكون على أمر واحد ، فخرج فتیان منهم ، فتواتقا ، ثم تكلموا ، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه . فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما ، قد اتفقا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على الإيمان ، وإذا كهف في الجبل قريب منهم ، فقال بعضهم لبعض : ائتوا إلى الكهف ( يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِيراً فَتَقَا ) فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم ، فناموا ، فجعله الله عليهم رقدة واحدة ، فناموا ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا . قال : وفقدتم قومهم فطلبوهم ، وبعثوا البرد ، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح : فلان بن فلان ، وفلان ابن فلان ، أبناء ملوكنا ، فقعدناهم في عهد كذا وكذا ، في شهر كذا وكذا ، في سنة كذا وكذا ، في مملكة فلان

ابن فلان ، ورفعوا اللوح في الخزانة ، فمات ذلك الملك ، وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين ، وجاء قرن بعد قرن ، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا .  
وقال آخرون : بل كان مصيرهم إلى الكهف ، هربا من طلب سلطان كان طلبهم ، بسبب دعوى جناية ، ادعى على صاحب لم أنه جناها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن شروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنما ، لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأقى سمّاما ، فكان فيه قريبا من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه الإسلام ، وجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة ، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض ، وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك ، حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فغيره الحوارى ، فقال : أنت ابن الملك ، وتدخل معك هذه النكداء ، فاستحيا ، فذهب فرجع مرّة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، فسبه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة ، فماتا في الحمام جميعا ، فأتى الملك ، فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنك ، فالتمس ، فلم يقدر عليه هربا ، قال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية ، فالتمسوا ، فخرجوا من المدينة ، فمروا بصاحب لم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم ، فذكروا أنهم التمسوا ، فانطلق معهم الكلب ، حتى أوام الليل إلى الكهف ، فدخلوه ، فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ، ثم نصبح إن شاء الله ، فترون رأيكم ، ففُضِرَب على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم . قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرعب ، فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، ودعهم فيه ، يموتوا عطشا وجوعا . ففعل .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ الْخَزِينَةَ الْأَخْصَى

لَمَّا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)

يعنى جل ثناؤه بقوله ( فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ) : فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف : أى ألقىنا عليهم النوم ، كما يقول القائل لآخر : ضربك الله بالفالج ، بمعنى ابتلاه الله به ، وأرسله عليه . وقوله ( سِنِينَ عَدَدًا ) يعنى سنين معدودة ، ونصب العدد بقوله ( فَضَرَبْنَا ) . وقوله ( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ )

لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ( يقول : ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف ، بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم ، لينظر عبادي ، فيعلموا بالبحث : أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا ( أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : أصوب لقدّر لبثهم فيه أمدا ، ويعنى بالأمد : الغاية ، كما قال النابغة :

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ

وذكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم ، قوم من قوم الفتية ، فقال بعضهم : كان الحزبان جميعا كافرين . وقال بعضهم : بل كان أحدهما مسلما ، والآخر كافرا .

ذكر من قال : كان الحزبان من قوم الفتية

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أي الحزبين ) من قوم الفتية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : ما كان لواحد من الفريقين علم ، لا لكفارهم ولا للمؤمنين . وأما قوله ( أَمَدًا ) فإن أهل التأويل : اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : معناه : بعيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : بعيدا .  
وقال آخرون : معناه : عددا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَمَدًا ) قال : عددا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وفي نصب قوله ( أَمَدًا ) وجهان : أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله ( أَحْصَى ) كأنه قيل : أي الحزبين أصوب عددا لقدّر لبثهم .

وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب ، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

(١) البيت للنابغة الذبياني ، في ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ١٥٢ ) من تصديده التي مطلعها : « يادارمية بالعلياء فالسند » وهي خمسون بيتا ، والشاهد هو السادس والعشرون منها . قال شارحه : الأمد : الغاية التي تجرى إليها ( وعلى هذا استشده المؤلف ) . يقول : لا تنتظر على حقد و غضب ، إلا لمن هو مثلك في الناس ، أو قريب منك .

والآخر : أن يكون منصوبا بوقوع قوله (لَبِثُوا) عليه ، كأنه قال : أي الحزبين أحصى للبهم غاية .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِآلِ حَقِّ ، إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُنُنَّا إِذَا شَطَطًا (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف . بالحق : يعنى بالصدق واليقين الذى لاشك فيه . (لَأَنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) يقول : إن الفتية الذين أووا إلى الكهف الذين سألك عن نبهم الملائكة من مشركى قومك ، فتية آمنوا بربهم ، (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) يقول : وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا ، وبصيرة بدينهم ، حتى صبروا على هجران دار قومهم ، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه ، إلى خشونة المكث في كهف الجبل .

وقوله (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول عز ذكره : وألهمناهم الصبر ، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى غرفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) : يقول بالإيمان . وقوله (إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : حين قاموا بين يدى الجبار دقنوس ، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته : (رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيهما من شىء ، وألفتك مربوبة ، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ، ونعبد المربوب (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) يقول : لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلها ، لأنه لا إله غيره ، وإن كل ما دونه فهو خلقه (لَقَدْ قُنُنَّا إِذَا شَطَطًا) : يقول جل ثناؤه : لئن دعونا إلها غير إله السموات والأرض ، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها ، شططا من القول : يعنى غالبا من الكذب ، مجاوزا مقداره في البطول والغلو ، كما قال الشاعر :

أَلَا يَا لِقَوْمِي قَدْ أَشْطَطْتُ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أُوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي

(١) البيت للأحوص بن محمد . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٤) قال : « قلنا إذا شططا » : أى جورا وغلوا ، قال : « ألا يا لقومي قد أشطت عواذلى » . . . البيت ، وذكر بعده بيتا آخر ، وهو :

وَيَسْتَحْيِينِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أَحْيِيَهُ وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ

وفي (اللسان : شطط) : الشطط : مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام ، أو غير ذلك من كل شىء مشتق منه . اه . وقال : وشط في سلته وأشط : جاوز القدر ، وتباعد عن الحق . وشط عليه في حكمه يشط شططا . واشتط وأشط ، : جار في قضيته . وقال أبو عبيد : شططت أشط ، بضم الشين ، وأشططت : جرت . قال ابن برى : أشط : بمعنى أبعد ، وشط : بمعنى بعد . وشاهد أشط بمعنى أبعد ، قول الأحوص : « ألا يا لقومي قد أشطت عواذلى » . . . البيت .

يقال منه : قد أشط فلان في السَّوْمِ : إذا جاوز القدر وارتفع ، يُشِطُّ إِشْطَاطًا وَشَطَطًا . فأما من البعد فإنما يقال : شطَّ منزل فلان يَشْطُ شَطُوطًا ، ومن الطول : شطت البخارية تشطَّ شَطَاطًا وَشَطَاطَةً : إذا طالت . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( شَطَطًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا ) يقول : كذبا . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا ) قال : لقد قلنا إذن خطأ ، قال : الشَطَطُ : الخطأ من القل .

القول في تأويل قوله تعالى

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)

يقول عز ذكره مخبرا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف : ( هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ) الله ( آلهة ) يعبدونها من دونه ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) يقول : هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة ، وفي الكلام محذوف اجتزى بما ظهر عما حذف ، وذلك في قوله ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلهة ، والآلهة لا يؤتى عليها بسُلطان ، ولا يسأل السلطان عليها ، وإنما يسأل عابدها السلطان على عبادتهموها ، فعلوم إذ كان الأمر كذلك ، أن معنى الكلام : لولا يأتون على عبادتهموها ، واتخاذهمها آلهة من دون الله ، بسُلطان بَيِّن .

وبنحو ما قلنا في معنى السلطان قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) يقول : بعذر بَيِّن ، وعسني بقوله عز ذكره ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) : ومن أشد اعتداء وإشراكا بالله ، ممن اختلق ، فتخرَّص على الله كذبا ، وأشرك مع الله في سلطانه شريكا يعبده دونه ، ويتخذة إلها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذِ اعْتَرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) \*

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض : وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من

دون الله آلهة ( وَمَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ) يقول : وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله ،  
ف« ما » إذ كان ذلك معناه : في موضع نصب ، عطفًا لما على الماء والميم ، التي في قوله ( وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ) .  
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ) وَمَا  
يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ) وهي في مصحف عبد الله ( وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) هذا تفسيرها .

وأما قوله ( فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ) فإنه يعني به : فصيروا إلى غار الجبل ، الذي يسمّى بنجلوس ،  
( يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) يقول : يبسط لكم ربكم من رحمته ، بتيسيره لكم الخرج من الأمر  
الذي قد رُميتم به من الكافر دقينوس ، وطلبه إياكم ، لعرضكم على الفتنة .

وقوله ( فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ) جواب لإذ ، كأن معنى الكلام : وإذا اعتزلتم أيها القوم قومكم ، فأووا  
إلى الكهف ؛ كما يقال : إذ أذنبت فاستغفر الله ، وتب إليه .

وقوله ( وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) يقول : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم  
والكرب ، خوفًا منكم على أنفسكم ودينكم . مرفقا ، ويعنى بالمرفق : ما ترتفقون به من شيء . وفي المرفق من اليد  
وغير اليد لغتان : كسر الميم وفتح الفاء ، وفتح الميم وكسر الفاء . وكان الكسائي يُنكر في مِرْفَقِ الْإِنْسَانِ  
الذي في اليد إلا فتح الفاء وكسر الميم . وكان الفراء يحكى فيهما ، أعنى في مرفق الأمر واليد ، اللغتين كلتيهما ،  
وكان ينشد في ذلك قول الشاعر :

بِتُّ أَجَانِي مِرْفَقًا عَنِ مِرْفَقِي

ويقول : كسر الميم فيه أجود .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول في قوله ( مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) شيئًا ترتفقون به ، مثل المقتطع ،  
ومِرْفَقًا ، جمعها اسماء كالمسجد ، ويكون لغة ، يقولون : رفق يرفق مِرْفَقًا ، وإن شئت مِرْفَقًا ، تريد رفقًا ، ولم يُقْرَأ .  
وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة ( وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ  
مِرْفَقًا ) بفتح الميم ، وكسر الفاء ، وقراءته عامة قراء العراق في المصرين ( مِرْفَقًا ) بكسر الميم ، وفتح الفاء :  
بفتح الميم والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من  
أهل القرآن ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذي أختار في قراءة ذلك

(١) هذا بيت من الرجز ، استشهد به المؤلف على أن المرفق الذي يرتفق به وينتفع به يجوز فيه فتح الميم مع كسر الراء وكسر الميم مع  
فتح . وكذلك مرفق اليدين ، وهو موافق لما قاله الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٨٤ من مصورة الجامعة ) قال : وقوله « من أمركم  
مرفقا » كسر الميم الأعمش والحسن ، ونصبتها أهل المدينة وعاصم ؛ فكان الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء ، أرا دوا أن يفرقوا بين المرفق  
من الأمر ، والمرفق من الإنسان . وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ، ومن الإنسان . والعرب أيضا تفتح الميم من مرفق الإنسان ،  
لغتان فيهما . أما أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٩٥ ) فإنه قال : المرفق : ما ارتفق به ، ويقروءه قوم مرفقا ( أي بالفتح ) فأما  
في اليدين فهو مرفق . ولم أجد هذا الشاهد عند الفراء ، ولا عند أبي عبيدة ، ولا في لسان العرب . ومعنى أجانى : أبعده .

( وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) بكسر الميم وفتح الفاء ، لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب ، وكذلك ذلك في كل ما ارتفق به من شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ، وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)

يقول تعالى ذكره ( وَتَرَى الشَّمْسَ ) يا محمد ( إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يعني بقوله ( تَزْوُرُ ) : تعدل وتميل ، من الزور : وهو العوج والميل ؛ يقال منه : في هذه الأرض زور ؛ إذا كان فيها اعوجاج ، وفي فلان عن فلان ازورار ، إذا كان فيه عنه إعراض ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم .

يَوْمٌ بِهَا الْحُدَاةُ مِيَاهَ تَحُلِي وَفِيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازوراراً  
يعني : إعراضاً وصدأً .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة ( تَزْوُرُ ) بتشديد الزاي ، بمعنى : تزاور بتأين ، ثم أدمج إحدى التائين في الزاي ، كما قيل : نظأهرون عليهم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( تَزَاوَرُ ) بتخفيف التاء والزاي ، كأنه عنى به تَفَاعَلُ من الزور . ورؤى عن بعضهم ( تَزْوَرُ ) بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمّر ، وبعضهم : تزوار : مثل تحمار .  
والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان ، أعنى ( تَزَاوَرُ ) بتخفيف الزاي ، و ( تَزْوَرُ ) بتشديدها ، معروفتان ، مستفيضتا القراءة بكل واحدة منهما في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . وأما القراءتان الأخرتان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما ، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم ، لشذوذهما عما عليه قراءة الأمصار .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ) قال أهل التأويل .

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . ذكره البكري في معجم ما استعجم طبع القاهرة ( لجنة التأليف ، بتحقيق مصطفى السقا ) في رسم « أبان » . قال : أبان : جبل . وهما أبانان : أبان الأبيض وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرمة يقطع بينهما . فأبان الأبيض لبني جرهم من بني فزارة ، خاصة ، والأسود : لبني والبة ، من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وقال بشر فيهما « وفيها عن أبانين ازورار » . وقال الأصمعي : أراد أبانا ، فناء للضرورة . ونخل ، كما في معجم ما استعجم : على لفظ جمع نخلة ، قال يعقوب : هي قرية بواد يقال له : شذخ ، لفزارة وأشجع وأثمار وقريش والأنصار . . . على لكتين من المدينة . أو هي ماء بين القصة والثالمية . ويقوم بها : يقصد بالإبل ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل يحدو بها ، ويخني لها . والازورار : الميل والعدول والإعراض عن الشيء ، كما استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « تزاور عن كهفهم » أي تميل عنه وتتحرف .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال : ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) قال : تمثيل .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يقول : تمثيل عنهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول : تمثيل عن كهفهم يمينا وشمالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يقول : تمثيل ذات اليمين ، تندأ عنهم ذات اليمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) قال : تمثيل عن كهفهم ذات اليمين .

حدثت عن يزيد بن هارون ، عن سفیان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقهم ، ولو أنهم لا يقبلون لأكلهم الأرض ، قال : وذلك قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال : ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ) تمثيل .

وقوله ( وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول تعالى ذكره : وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم . وإنما معنى الكلام : وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين ، لثلا تصيب الفتية ، لأنها لو طلعت عليهم قبأهم لأحرقهم وثيابهم ، أو أشعبهم . وإذا غربت تتركهم بذات الشمال ، فلا تصيبهم ؛ يقال منه : قرأضت موضع كذا : إذا قطعه فجاوزه . وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب : قرأضته قبأا ودبأا ، وحذوته ذات اليمين والشمال ، وقبأا ودبأا : أي كنت بجذائه ؛ قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد . وأصل القراض : القطع ، يقال منه : قرضت الثوب : إذا قطعته ؛ ومنه قيل للمقراض : مقراض ، لأنه يقطع ؛ ومنه قرض القار الثوب ؛ ومنه قول ذي الرمة :

إلى ظعنٍ يقراضن أجوازاً مشرفٍ شبالاً وعن أيمانين الفوارس<sup>١</sup>

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٣١٣ من القصيدة رقم ٤١ ، وعدة أبياتها ٥١ بيتا . أي نظرت

يعنى بقوله : **تَقْرَضُنَّ** : يقطعن .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول : **تَدْرَهُم** .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ) تركهم ذات الشمال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عز وجل ( **تَقْرَضُهُمْ** ) قال : تركهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله : ( **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ ) قال : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا ابن سنان القزآز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ) قال : تركهم .

وقوله ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) يقول : والفتية الذين أووا إليه فى متسع منه ، **يُجْمَع** : فجوات ، وفجاء ممدودا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) يقول : فى فضاء من الكهف ، قال الله ( **ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ** ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) قال : المكان الداخلى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) قال : المكان الذاهب .

= إلى ظعن يقرضن أى يملن عنها . والفوارس : رمال بالدهناء . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى ( مجاز القرآن : ١ : ٣٩٦ ) ، قال : « **تقرضهم** ذات الشمال » أى تخلفهم شمالا ، وتجاوزهم وتقطعهم ، وتركهم عن شمالها . ويقال : هل مررت بمكان كذا وكذا ؟ فيقول المسئول : قرضته ذات اليمين ليلا . وقال ذو الرمة : « إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف . . . البيت . ومشرف والفوارس : موضعان بنجد ، كما فى معجم ما استمعتم ، وأنشد البيت فى رسم الفوارس ، ونسبه إلى ذى الرمة . والظعن : جمع ظبينة ، وهى المرأة فى الهودج على جلها أو ناقها .

حدثني ابن سنان ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ( فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ) قال : في مكان داخل .  
 وقوله ( ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) يقول عزّ ذكره : فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم ، من تصييرناهم ، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم ، بحيث تراور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت ، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غرّبت ، مع كونهم في المتسع من المكان ، بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم ، ولا تسبلي على طول رقبتهم ثيابهم ، فتعفن على أجسادهم ، من حجج الله وأدلته على خلقه ، والأدلة التي يستدل بها أولو الأبواب على عظيم قدرته وسلطانه ، وأنه لا يُعجزه شيء أراده . وقوله ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ) يقول عزّ وجلّ : من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق ، التي جعلها أدلة عليه ، فهو المهتدي : يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق ( وَمَنْ يَضِلْ ) يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته ، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد ( فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ) يقول : فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفا يرشده لإصابها ، لأن التوفيق والخذلان بيد الله ، يوفق من يشاء من عباده ، ويخذل من أراد ؛ يقول : فلا يحزنك إدبار من أدبر عنك من قومك ، وتكذيبهم إياك ، فإنني لو شئت هديتهم فآمنوا ، وببدي الهداية والضلال .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ، وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ، لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَلَمَلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا (١٨)  
 يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصصهم ، لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا . والأيقاظ : جمع يقظ ؛ ومنه قول الراجز :

وَوَجَدُوا إِخْوَتَهُمْ أَيْقَاظًا وَسَيْفًا غِيَاظًا لَهُمْ غِيَاظًا

وقوله ( وَهُمْ رُقُودٌ ) يقول : وهم نيام . والرقود : جمع راقد ، كالجلوس : جمع جالس ، والقعود : جمع قاعد . وقوله ( وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول جلّ ثناؤه : ونقلب هؤلاء الفتية في رقبتهم مرة للجنب الأيمن ، ومرة للجنب الأيسر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) وهذا التقلب في رقبتهم الأولى . قال : وذكر لنا أن أبا عياض قال : لهم في كل عام تقليبان ،

(١) البيتان (في ديوان المعاج الراجز ، في الملحق بديوان ص ٨١ - ٨٢) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتا . ورقا البيتين فيها هما : ١٦ ، ٨ . وهما من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٩٧ ) قال « وتحسبهم أيقاظا » : واحدهم : يقظ . ورجال أيقاظ ؛ وكذلك جميع يقظان : أيقاظ ، يذهبون به إلى جميع يقظ . وقال رؤبة : « ووجدوا . . . البيتين » وقد نسبهما لرؤبة ، وهما في ديوان المعاج . وقد تداخلت أشعارهما على الرواة والقويين . وغياظ : اسم رجل .

حدثت عن يزيد ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) قال : لو أنهم لا يقبلون لأكلتهم الأرض .  
وقوله ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله : ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ) فقال بعضهم : هو كلب من كلابهم كان معهم . وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى . وقال بعضهم : كان إنسانا من الناس ، طبأخا لهم تبعهم .  
وأما الوصيد ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : هو الفناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بِالْوَصِيدِ ) يقول : بالفناء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الألفطس ، عن سعيد بن جبير ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء . قال ابن جريج : يمسك باب الكهف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) يقول : بفناء الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بفناء الكهف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( بِالْوَصِيدِ ) قال : يعنى بالفناء .

وقال آخرون : الوصيد : الصعيد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) يعنى فناءهم . ويقال : الوصيد : الصعيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون ، عن عنبرة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : الوصيد : الصعيد .

(١) قوله « كان إنسانا الخ » كذا في الأصول وفي ابن كثير . وقيل كلب طبأخ الملك . وقد كان واقفهم على الدين ، وصحبه كلبه . هـ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو ، في قوله ( وَكَلَبَهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : الوصيد : الصعيد ، التراب .  
وقال آخرون : الوصيد : الباب .

## ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَكَلَبَهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : بالباب ، وقالوا بالفناء .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الوصيد : الباب ، أو فناء الباب ، حيث يغلّق الباب ، وذلك أن الباب يُوصد ، وإيصاده : إطباقه وإغلاقه ، من قول الله عز وجل ( لَمَّا عَلَيَّهِمْ مُؤْصَدَةٌ ) . وفيه لغتان : الأصيد ، وهي لغة أهل نجد ، والوصيد : وهي لغة أهل تهامة ، وذكّر عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : إنها لغة أهل اليمن ، وذلك نظير قولهم : ورّخت الكتاب وأرخته ، ووكدت الأمر وأكدته ، فمن قال الوصيد ، قال : أوصدت الباب ، فأنا أوصيده ، وهو مُوصد ، ومن قال الأصيد ، قال : آصدت الباب ، فهو مُؤْصَد ، فكان معنى الكلام : وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب ، يحفظ عليهم بابه .  
وقوله ( لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَهُمْ فِرَارًا ) يقول : لو اطلعت عليهم في رقدهم التي رقدوها في كهفهم ، لأدبرت عنهم ، هاربا منهم فارا ( وَوَلَّيْتَهُمْ رُعبًا ) يقول : وللثت نفسك من اطلاعك عليهم فزعًا ، لما كان الله ألبسهم من الهيبة ، كي لا يصل إليهم واصل ، ولا تلمسهم يد لأمس ، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه ، في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه ، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( وَوَلَّيْتَهُمْ رُعبًا ) فقراءته عامة قراء المدينة بتشديد اللام من قوله ( وَوَلَّيْتَهُ ) بمعنى أنه كان يمتلي مرة بعد مرة . وقراء ذلك عامة قراء العراق ( وَوَلَّيْتَهُ ) بالتخفيف ، بمعنى : ملثت مرة . وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ : كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالُوا : رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ، فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ، فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ، وَلَا يَشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)  
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره : كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف ، فحفظناهم من وصول واصل إليهم ، وعين ناظر أن ينظر إليهم ، وحفظنا أجسامهم من البلاء ، على طول الزمان ، وثيابهم من العفن على مرّ الأيام ، بقدرتنا ؛ فكذلك بعثناهم من رقدتهم ، وأيقظناهم من نومهم ، لتعرفهم عظيم سلطاننا ، وعجيب فعلنا في خلقنا ، وليردادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه ، من براءتهم من عبادة الآلهة ، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له ، إذا تبينوا طول الزمان عليهم ، وهم بهيئتهم حين رقدوا . وقوله ( لِيَسْأَلُوا بِآيَاتِنَاهُمْ ) يقول : ليسأل بعضهم بعضا ( قال قائلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ) يقول عزّ ذكره : فتساءلوا ، فقال قائلٌ منهم لأصحابه : ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم ( قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) يقول : فأجابهم الآخرون ، فقالوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، ظننا منهم أن ذلك كذلك كان ، فقال الآخرون : ( رَبَّنَا كَمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ) فسلموا العلم إلى الله :

وقوله ( فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ) : يعنى مدينتهم التي خرجوا منها هيرابا ، التي تسمى أفسوس ( فَلْيَسْئَلُوا أَهْلَ الْأَرْضِ كَيْ طَعَامًا ؟ قَالُوا بَرَزُوا مِنْهَا ) ذُكِرَ أَنَّهُمْ هَبُوا مِنْ رَقَدَتِهِمْ جِياعًا ، فلذلك طلبوا الطعام .

ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن بشرس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إنهم غبروا ، يعنى الفتية من أصحاب الكهف ، بعد ما بنى عليهم باب الكهف ، زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه ، ورد إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشترى طعاما ؛ فلما أتى باب مدينتهم ، رأى شيئا ينكره ، حتى دخل على رجل فقال : يعنى بهذه الدراهم طعاما ، فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس ، فأوانا الليل ، ثم أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان ؛ فأنت لك بها ؟ فرفعه إلى الملك ، وكان ملكا صالحا ، فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس ، حتى أدركتنا الليل في كهف كذا وكذا ، ثم أمروني أن أشتري لهم طعاما ؛ قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ؛ قال : فانطلقوا معه ، حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل على أصحابي قبلكم ؛ فلما رأوه ، ودنا منهم ، ضرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلما دخل رجل أُرعب ، فلم يقدرُوا على أن يدخلوا عليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، اتخذوها مسجدا يصلون فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتعبدوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سمعهم ، فلبثوا دهرا طويلا ، حتى هلكت أممهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلما ، فاختلجوا في الروح والجسد ، فقال قائل : يبعث الروح والجسد جميعا ؛

وقال قائل : يُبعث الروح ، فأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئا ، فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسْوَح ، وجلس على الرَّمَاد ، ثم دعا الله تعالى ، فقال : أى ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم آية تبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما ، فدخل السوق ، فجعل يُنكر الوجوه ، ويعرف الطرق ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما ؛ فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها ، قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبْع ، يعنى الإبل الصغار ، فقال له الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله ، فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم ، فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان ، يعنى ملكهم الذى مضى ، فقال الفتى : انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضُرب على أذنه وعلى آذانهم ؛ فلما استبطوه دخل الملك ، ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا ، غير أنها لأرواح فيها ، فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم . قال قتادة ، وعن ابن عباس ، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة ، فرأوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف ، قال : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح ، يقال له تيدوسيس ؛ فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة ، فتحزب الناس فى ملكه ، فكانوا أحزابا ، فمنهم من يؤمن بالله ، ويعلم أن الساعة حقّ ، ومنهم من يكذب ، فكبر ذلك على الملك الصالح تيدوسيس ، وبكى إلى الله وتضرّع إليه ، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ، ويقولون : لا حياة إلا الحياة الدنيا ، وإنما تُبعث النفوس ، ولا تُبعث الأجساد ، ونسوا ما فى الكتاب ، فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا ، وأنهم أئمة فى الحقّ ، فجعلوا يكذبون بالساعة ، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ وميلة الخواريين ؛ فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس ، دخل بيته فأغلقه عليه ، ولبس مِسْحَا ، وجعل تحته رمادا ، ثم جلس عليه ، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا ، يتضرّع إلى الله ، ويبكى إليه مما يرى فيه الناس ؛ ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد ، أراد أن يظّهر على الفتية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم ، ويجعلهم آية لهم ، وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس ، ويتمّ نعمته عليه ، فلا ينزع منه ملكه ، ولا الإيمان الذى أعطاه ، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا ، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين ، فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف ، وكان الجبل بنجلوس الذى فيه الكهف لذلك الرجل ، وكان اسم ذلك الرجل أولياس - أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف ، فيبنى به حظيرة لغنمه ، فاستأجر عاملين ، فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ، ويبنيان بها تلك الحظيرة ، حتى نزعوا ما على فم الكهف ، حتى فتحا عنهم باب الكهف ، وحجهم الله من الناس بالرعب ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم

غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائما ؛ فلما نزعوا الحجارة ، وفتحوا عليهم باب الكهف ، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتي ، للفتية أن يجلسوا بين ظَهْرِي الكهف ، فجلسوا فرحين ، مُسْتَمِرَّة وجوههم ، طيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ ، فَسَلَّمَ بعضهم على بعض ، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها ، إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها ، ثم قاموا إلى الصلاة فصلَّوا ، كالذي كانوا يفعلون ، لا يُرَوْنَ ، ولا يُرَى في وجوههم ، ولا أبقارهم ، ولا ألوانهم ، شيء يُنْكرونها ، كهيئتهم حين رقدوا بعشي أمس ، وهم يرون أن ملكهم دقنوس الجبار في طلبهم والتماسهم ؛ فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون ، قالوا لئليخا ، وكان هو صاحب نفقتهم ، الذي كان يتتبع لهم طعامهم وشرايبهم من المدينة ، وجاءهم بالخبر أن دقنوس يلتمسهم ، ويسأل عنهم ، أنبئنا يا أخي ، ما الذي قال الناس في شأننا عشي أمس عند هذا الجبار ؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون ، وقد خيَّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون ، في الليلة التي أصبحوا فيها ، حتى تساءلوا بينهم ، فقال بعضهم لبعض : ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) نياما ؟ ( قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ) وكل ذلك في أنفسهم يسير ، فقال لهم يملیخا : افتقدتُم والتَمِسْتُم بالمدينة ، وهو يريد أن يؤتَى بكم اليوم ، فتدَّبِحُون للطواغيت ، أو يقتلُكُمْ ، فما شاء الله بعد ذلك فعل ، فقال لهم مكسليمتنا : يا إخوتاه ، اعلموا أنكم ملاقون ، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ، ولا تُنكروا الحياة التي لا تنبئ بعد إيمانكم بالله ، والحياة من بعد الموت ، ثم قالوا لئليخا : انطلق إلى المدينة ، فتسمع ما يقال لنا بها اليوم ، وما الذي تُذكر به عند دقنوس ، وتلطَّف ، ولا يشعرن بنا أحد ، وابتع لنا طعاما فأتنا به ، فإنه قد آن لك ، وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به ، فإنه قد كان قليلا ، فقد أصبحنا جوعا . ففعل يملیخا كما كان يفعل ، ووضع ثيابه ، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ، وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم ، التي ضُربت بطابع دقنوس الملك ، فانطلق يملیخا خارجا ؛ فلما مرَّ بباب الكهف ، رأى الحجارة مزروعة عن باب الكهف ، فعجب منها . ثم مرَّ فلم يبال بها ، حتى أتى المدينة مستخفيا ، يصدِّع عن الطريق ، خوفا أن يراه أحد من أهلها ، فيعرفه . فيذهب به إلى دقنوس ، ولا يشعر العبد الصالح أن دقنوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين . أو ما شاء الله من ذلك ، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين ؛ فلما رأى يملیخا باب المدينة رفع بصره ، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان ظاهرا فيها ؛ فلما رآها عَجِب ، وجعل ينظر مستخفيا إليها ، فنظر يمينا وشمالا ، فتعجب بينه وبين نفسه ، ثم ترك ذلك الباب ، فتحوَّل إلى باب آخر من أبوابها ، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها ، ورأى على كل باب مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف ، ورأى ناسا كثيرا مُخَدَّكِينَ ، لم يكن يراه قبل ذلك ، فجعل يمشى ويعجب ، ويخيل إليه أنه حيران ! ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه ، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ، ويقول : يا ليت شعري ، أمَّا هذه عشية أمس ، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ، ويستخفون بها . وأمَّا اليوم فلإنها ظاهرة ، لعالي حالم ، ثم يرى أنه ليس بتائم ؛ فأخذ كسائه



فجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة ، فجعل يمشى بين ظهري سوقها ، فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم عيسى ابن مريم ، فزاده فرقا ، ورأى أنه حيران ، فقام مُسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ، ويقول في نفسه : والله ما أدرى ما هذا ؟ أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قُتل ؛ وأما الغداة فأسمعهم وكل إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف ، ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف ، أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا ، فقام كالحيران لا يتوجه وجهها ؛ ثم لقي فتى من أهل المدينة ، فقال له : ما اسم هذه المدينة يا فتى ، قال : اسمها أفسوس ، فقال في نفسه : لعلنى مسأ ، أو بنى أمر أذهب عقلى ، والله يحق لى أن أسرع الخروج منها ، قبل أن أخزى فيها . أو يصيبنى شر فأهلك ، هذا الذى يحدث به يملخا أصحابه ، حين تبين لهم ما به ، ثم إنه أفاق فقال : والله لو عَجَلت الخروج من المدينة قبل أن يُفْطِنَ لى لكان أكيس لى ، فدنا من الذين يبيعون الطعام ، فأخرج الورق التى كانت معه ، فأعطاها رجلا منهم ، فقال : بعنى بهذه الورق يا عبد الله طعاما ، فأخذها الرجل ، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها ، فعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه ، فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم ، من رجل إلى رجل ، ويتعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ، ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا فى الأرض ، منذُ زمان ودهر طويل ؛ فلما رأهم يتشاورون من أجله ، قرى فرقا شديدا ، وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقنوس ، يسلمونه إليه . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه ، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم : أفضلوا على ، فقد أخذتم ورتى فأمسيكوا ، وأما طعامكم فلا حاجة لى به ، قالوا له : من أنت يا فتى ؟ وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين ، فأنت تريد أن تخفيه منا ، فانطلق معنا ، فأرناه وشاركنا فيه ، مُخِيفًا عليك ما وجدت ، فإنك إن لانفعل نأت بك السلطان ، فسلمك إليه فيقتلك . فلما سمع قولهم ، عجب فى نفسه ، فقال : قد وقعت فى كل شىء كنت أخطر منه ! ثم قالوا : يا فتى ، إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت ، ولا تظن فى نفسك أنه سيخفى حالك ، فجعل يملخا لا يدري ما يقول لهم ، وما يرجع إليهم ، وفرق حتى ما يُجِير إليهم جوابا ؛ فلما رأوه لا يتكلم ، أخذوا كساءه ، فطوقوه فى عنقه ، ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مُلَبَّبا ، حتى سمع به من فيها ، فقيل : أُخِذ رجل عنده كنز ، واجتمع عليه أهل المدينة ، صغيرهم وكبيرهم ، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة ، وما رأيناها فيها قط ، وما نعرفه ؛ فجعل يملخا لا يدري ما يقول لهم ، مع ما يسمع منهم ؛ فلما اجتمع عليه أهل المدينة ، فرق ، فسكت فلم يتكلم ، ولو أنه قال : إنه من أهل المدينة لم يُصَدَّق ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة ، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها ، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها ، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا . فبينما هو قائم كالحيران ، ينتظر متى يأتيه بعض أهله ، أبوه أو بعض إخوته ، فيخلصه من أيديهم ، إذ اختطفوه ، فانطلقوا به إلى رئيسى المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها ، وهما رجلان صالحان ، كان اسم أحدهما أريوس ، واسم الآخر أسطيوس ؛ فلما

انطلق به إليهما، ظنّ يملیخا أنه ينطلق به إلى دقینوس الجبار، ملكهم الذى هربوا منه، فجعل يلتفت يمينا وشمالا، وجعل الناس يسخرون منه، كما يسخر من الخنون والحيران، فجعل يملیخا يبكى، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهم إله السموات والأرض، أولج معى رُوحا منك اليوم، تؤيدنى به عند هذا الجبار، وجعل يبكى ويقول فى نفسه: فُرق بينى وبين إخرى، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأنى يذهب بى إلى دقینوس الجبار، فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعا بين يدى دقینوس، فإننا كنا تواقنا لتكوننّ معا، لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا، ولا نعبد الطواغيت من دون الله، فُرق بينى وبينهم، فلن يرونى، ولن أراهم أبدا، وقد كنا تواقنا أن لانفترق فى حياة ولا موت أبدا! يا ليت شعرى ما هو فاعل بى؟ أقاتلى هو أم لا؟ ذلك الذى يحدث به يملیخا نفسه، فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يملیخا أنه لم يذهب به إلى دقینوس، أفاق، وسكن عنه البكاء؛ فأخذ أريوس وأسطيوس الورق، فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذى وجدت يافى؟ هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا، فقال لهما يملیخا: ما وجدت كنزا، ولكن هذه الورق وِرَق آبائى، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدرى ما شأنى، وما أدرى ما أقول لكم، فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يملیخا: ما أدرى، فكنت أرى أنى من أهل هذه القرية، قالوا: فن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه؛ فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب، لاتبتنا بالحق، فلم يدر يملیخا ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون، فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يُحمق نفسه عمدا، لكى ينفلت منكم؟ فقال له أحدهما، ونظر إليه نظرا شديدا: أنظنّ أنك إذ تنجاتنّ نرسلك ونصدّقك بأن هذا مال أبيك؟ وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، وإنما أنت غلام شاب، تظنّ أنك تأفكنا، ونحن نتمط كما ترى، وحوالك سراة أهل المدينة، وولاة أمرها، إنى لأظننى سامر بك فتعذب عذابا شديدا، ثم أوثقت حتى تعرف بهذا الكنز الذى وجدت؛ فلما قال ذلك، قال يملیخا: أنبثونى عن شىء أسألکم عنه، فإن فعلتم صدقتکم عما عندى، أرايم دقینوس الملك الذى كان فى هذه المدينة عشية أمس ما فعل؟ فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقینوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال له يملیخا: فوالله إنى إذا لحيران، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول، والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقینوس، وإنى قد رأيت عشية أمس، حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لأدري أمدينة أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معى إلى الكهف الذى فى جبل بنجلوس أريكم أصحابى. فلما سمع أريوس ما يقول يملیخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله، جعلها لكم على يدى هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يبرنا أصحابه، كما قال: فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة، كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف، لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يملیخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم، عن القدر الذى كان يأتي به،

ظنوا أنه قد أُخِذَ ، فذُهب به إلى ملكهم دَقِينُوسَ الذي هربوا منه ، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه ، إذ سمعوا الأصوات وجلَّسَ الخيل مُصْعِدَةً نحوهم ، فظنوا أنهم رُسل الجبار دَقِينُوسَ ، بعث إليهم لِيؤْتِي بهم ، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة ، وسلَّم بعضهم على بعض ، وأوصى بعضهم بعضا ، وقالوا : انطلقوا بنا ، نأت أحنانا يملِخا ، فإنه الآن بين يدي الجبار دَقِينُوسَ ينتظر متى نأتيه . فبينما هم يقولون ذلك ، وهم جلوس بين ظهري الكهف ، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف ، وسبقهم يملِخا ، فدخل عليهم وهو يبكي ؛ فلما رأوه يبكي بكوا معه ، ثم سأله عن شأنه ، فأخبرهم خبره ، وقصَّ عليهم النبأ كله ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله ، وإنما أُوقِظُوا ليكونوا آية للناس ، وتصديقا للبعث ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ؛ ثم دخل على أثر يملِخا أريوس ، فرأى تابوتا من نحاس ، مختوما بخاتم من فضة ، فقام بباب الكهف ، ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ، ففتح التابوت عندهم ، فوجدوا فيه لوحين من رصاص ، مكتوبا فيهما كتاب ، فقرأهما ، فوجد فيهما : أن مكسلميना ، ومحسلمينا ، ويمليخا ، ومرطونس ، وكسطونس ، ويورس ، ويكرونوس ، ويطيونس ، وقالوش ، كانوا فتية هربوا من ملكهم دَقِينُوسَ الجبار ، مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ؛ فلما أُخْبِرَ بمكانهم ، أمر بالكهف ، فسدَّ عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم ، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرعوه ، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم ، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبته ، ثم دخلوا على الفتية الكهف ، فوجدوهم جلوسا بين ظهريه ، مُشْرِقَةً وجوههم ، لم تَبَلَّ ثيابهم . فخرَّ أريوس وأصحابه سجودا ، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا ، وأنبأهم الفتية عن الذي لَقُوا من ملكهم دَقِينُوسَ ، ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه . ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيدوسيس : أن عجل ، لعلك تنظر إلى آية من آيات الله ، جعلها الله على ملكك ، وجعلها آية للعالمين ، لتكون لهم نورا وضياء ، وتصديقا بالبعث ، فاعجل على فتية بعثهم الله ، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . فلما أتى الملك تيدوسيس الخبر ، قام من المسندة التي كان عليها ، ورجع إليه رأيه وعقله ، وذهب عنه همه ، ورجع إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال : أحمدك اللهم ربَّ السموات والأرض ، أعبدك ، وأحمدك ، وأسبح لك ، تطولت علىَّ ، ورحمتي برحمتك ، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي ، وللعبد الصالح قسطينوس الملك . فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه ، وساروا معه ، حتى أتوا مدينة أفسوس ، فلتقاهم أهل المدينة ، وساروا معه ، حتى صعدوا نحو الكهف ، حتى أتوه ؛ فلما رأى الفتية تيدوسيس ، فرحوا به ، وخرَّوا سجودا على وجوههم ؛ وقام تيدوسيس قدامهم ، ثم اعتنقهم وبكى ، وهم جلوس بين يديه على الأرض ، يسبحون الله ويحمدونه ، ويقول : والله ما أشبه بكم إلا الحوارين<sup>٢</sup> حين رأوا المسيح ، وقال : فرج الله عنكم ، كأنكم الذين تُدْعُونَ فتمُحْشَرُونَ من القبور ، فقال الفتية لتيدوسيس : إنا نودعك السلام ، والسلام عليك ورحمة الله ، وحفظك الله ، وحفظ لك ملكك بالسلام ، ونعيدك بالله من شرِّ الجنِّ والإنس . فأمر بعيش من

(١) في عدد هذه الأسماء ، وضبطها ، اختلاف كثير بين ناقلها . وهي في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، غير منقوطة .

(٢) في الأصل المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير : « وما أشبه بكم إلا الحراد » ، ولعله تحريف عن الحوارين .

خَلَّدَ وَنَشِيلَ إِنْ أَسُوأَ مَاسَلَكٌ فِي بَطْنِ الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا كِرَامَةً إِنْ أَكْرَمَ بِهَا، وَإِلَّا هَوَانًا إِنْ أَهَيْنَ بِهَا .  
فَبَيْنَمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ ، إِذْ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، فَنَامُوا ، وَتَوَفَّى اللَّهُ أَنْفُسَهُمْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ ،  
فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تَابُوتٌ مِنْ ذَهَبٍ ؛ فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ ، أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ ،  
فَقَالُوا : إِنَّا لَمْ نَخْلُقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَكِنَّا خَلَقْنَا مِنْ تَرَابٍ ، وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرٌ ، فَاتْرَكْنَا كَمَا كُنَّا  
فِي الْكَهْفِ عَلَى التَّرَابِ ، حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ مِنْهُ ؛ فَأَمَرَ الْمَلِكُ حَيْنَئِذٍ بِتَابُوتٍ مِنْ سِجِّاجٍ ، فَجَعَلُوهُم فِيهِ ، وَحَجَّجَهُم اللَّهُ  
حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ بِالرَّعْبِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ ، فَجَعَلَ كَهْفَهُمْ مَسْجِدًا  
يُصَلِّي فِيهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى كُلَّ سَنَةٍ . فَهَذَا حَدِيثُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال :  
بعثهم الله : يعنى الفتية أصحاب الكهف ، وقد سلط عليهم ملك مسلم ، يعنى على أهل مدينتهم ؛ وسلط الله  
على الفتية الجوع ، فقال قائل منهم ( كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ ) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) قال : فردوا علم  
ذلك إلى الله ( قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ، فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ )  
وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذى كانوا فى زمانه ( قَلِيلًا تَبْكُمُ بَرِزْقٍ مِنْهُ ) : أى بطعام ( وَلَا  
يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ) ، فخرج أحدهم ، فرأى المعلم متنكرة ، حتى انتهى إلى المدينة ، فاستقبله الناس ، لا يعرف  
منهم أحدا ، فخرج ولا يعرفونه ، حتى انتهى إلى صاحب الطعام ، فسأله بطعامه ، فقال صاحب الطعام :  
هات ورقك . فأخرج إليه الورق ، فقال : من أين لك هذا الورق ؟ قال : هذه ورقنا وورق أهل بلادنا ،  
فقال : هيات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين ، أنت أصبت كثيرا ، ولست  
بتاركك حتى أرفعك إلى الملك ، فرفعه إلى الملك ، وإذا الملك مسلم ، وأصحابه مسلمون ، ففرح واستبشر ،  
وأظهر لهم أمره ، وأخبرهم خبر أصحابه ، فبعثوا إلى اللوح فى الخزانة ، فأثروا به ، فوافق ما وصف من أمرهم ،  
فقال المشركون : نحن أحق بهم ، هؤلاء أبناء آبائنا ، وقال المسلمون : نحن أحق بهم ، هم مسلمون منا ،  
فانطلقوا معه إلى الكهف ؛ فلما أتوا باب الكهف قال : دعوني حتى أدخل على أصحابي ، حتى أبشرهم ، فإنهم  
إن رأوكم معي أرفعتموهم ، فدخل فبشّرهم ، وقبض الله أرواحهم ، قال : وعمى الله عليهم مكانهم ، فلم  
يهتدوا ، فقال المشركون : نبنى عليهم بنيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : نحن أحق  
بهم ، هم منا ، نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : إن الله تعالى بعثهم من رقدهم ليتساءلوا بينهم  
كما بيئنا قبل ، لأن الله عز ذكره ، كذلك أخبر عباده فى كتابه ، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم  
عليهم ، ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدهم ، بعد طول مدتها ، بهيئتهم يوم رقدهم ، ولم يشيخوا على  
مر الأيام والليالى عليهم ، ولم يهرموا على كثر الدهور والأزمان فيهم ، قدرته على بعث من أماته فى الدنيا من

(١) العبارة من أول قوله : فأمر بعيش من خطر ونشيل . . . إلى هنا : ساقطة من هذا الخبر فى عرائس المجالس للعللى المفسر  
ص ٢٧ . والخبر : حب يقتات به ، قيل : هو الجلبان ، والنشيل : اللبن ساعة يحلب ، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب  
الكهف .

قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة ، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا ، فقال : ( وكذلك أعترنا عليهم ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين ( بورقكم هذه ) بفتح الواو وكسر الراء والقاف . وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة ( بورقكم ) بسكون الراء ، وكسر القاف . وقرأه بعض المكيين بكسر الراء ، وإدغام القاف في الكاف ، وكلّ هذه القراءات متفقات المعاني ، وإن اختلفت الألفاظ منها ، وهن لغات معروفات من كلام العرب ، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو ، وكسر الراء والقاف ، لأنه الورد ، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف . وفيه أيضا لغة أخرى وهو الورد ، كما يقال للكبيد كبد . فإذا كان ذلك هو الأصل ، فالقراءة به إلى أعجب ، من غير أن تكون الأخریان مدفوعة صحتهما ، وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بعث معه بالورد إلى المدينة ، كان اسمه يملخا .

وقد حدثني عبيد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، عن مقاتل ( فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ) اسمه يملخ .

وأما قوله ( فليستظروا أيها أزكى طعاما ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فليظنر أى أهل المدينة أكثر طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ( أيها أزكى طعاما ) قال : أكثر .

وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن عكرمة مثله ، إلا أنه قال : ( أيه أكثر ) .

وقال آخرون : بل معناه : أيها أحل طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة : ( أيها أزكى طعاما ) قال : أحل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد ابن جبيرة ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أيها خير طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( أزكى طعاما ) قال : خير طعاما .

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أحل وأطهر ، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه ، إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما . كان خليقا أن يكون الأفضل منه

عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا، وإنما وجّه من وجّه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر، وكما قال الشاعر:

قَبَائِلُنَا سَبْعٌ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ      وَلَسَبْعٌ أَزْكَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَطْيَبُ

بمعنى: أكثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحلال الجيد وإن قل، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر. وقيل (فَلَيْتَنْظُرُ أَيُّهَا) فأضيف إلى كناية المدينة، والمراد بها أهلها، لأن تأويل الكلام: فلينظر أي أهلها أزكى طعاما، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. وقد يُحتمل أن يكونوا عَسَوْا بقولهم (أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا): أيها أحل، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم، وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم. وقوله (فَلَيْتَأْتِيَكُمْ بَرِزْقٍ مِنْهُ) يقول: فليأتكم بقوت منه تقنانونه، وطعام تأكلونه.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير (فَلَيْتَأْتِيَكُمْ بَرِزْقٍ مِنْهُ) قال: بطعام.

وقوله (وَلَيْتَلَطَّفُ) يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة (وَلَا يُشْعِرَنَّ بَيْكُمُ أَحَدًا) يقول: ولا يُعلِّمَنَّ بكم أحدا من الناس. وقوله (لَأَنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يعنون بذلك: دقنوس وأصحابه، قالوا: إن دقنوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلموا مكانكم، يرموكم شتمًا بالقول.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله (لَأَنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) قال: يشتموكم بالقول، يؤذوكم. وقوله (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) يقول: أو يردوكم في دينهم، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان (وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) يقول: ولن تدركوا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان. إذن: أي إن أنتم عدتُم في ملتهم. أبدا: أيام حياتكم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَزَّعُونَ

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا، رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ، قَالَ: الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١)

(١) البيت للقتال الكلابي، أنشده سيبويه في (الكتاب ٢: ١٨١) وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٢٣٧، ٢٩٧) قال في الموضع الثاني: «أيها أزكى طعاما؟: أي أكثر؛ قال: «قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة...» البيت، وقال في الموضع الأول: ذكر ثلاثة، ذهب به إلى بطن، ثم أنه، لأنه ذهب به إلى قبيلة. قلت والنحاة يجوزون في اسم العدد التذكير والتأنيث، إذا لم يذكر المعدود، وهذا شاهد عليه وفي (اللسان: زكا): الزكاء معدودا: الخاء والربع. زكا يزكو زكاء وزكوا.

يقول تعالى ذكره : وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا ، ليتساءلوا بينهم ، فيزدادوا بعضهم سلطان الله بصيرة ، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة ( كذلك أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ) : يقول : كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر ، الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى ، وفي مريبة من إنشاء أجسام خلقه ، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البسلى ، فيعلموا أن وعد الله حق ، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وكذلك أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ) يقول : أطلعنا عليهم ، ليعلم من كذب بهذا الحديث ، أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها . وقوله ( إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ) يعنى : الذين أَعْتَرُوا عَلَى الْفِتْيَةِ ، يقول تعالى : وكذلك أَعْتَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ ، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم ، من قوم تيدوسيس ، حين يتنازعون بينهم أمرهم ، فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده ، فأبلاه فى قبره بعد مماته ، أمنشهم هو أم غير منشهم ؟ وقوله ( فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ) يقول : فقال الذين أَعْتَرْنَاهُمْ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ : ( ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ) يقول : رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم . وقوله ( قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ) يقول جل ثناؤه : قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف ( لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ) . وقد اختلف فى قائل هذه المقالة ، أهمُّ الرهط المسلمون ، أم هم الكفار ؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ) : لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ) قال : يعنى عدوهم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبى رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : عمى الله على الذين أَعْتَرَهُمْ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ مَكَانَهُمْ ، فلم يهتدوا ، فقال المشركون : نبئنا عليهم بنيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : بل نحن أحقُّ بهم ، هم منا ، نبئنا عليهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ، قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مَرَاءَ ظَهْرًا ، وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره : سيقول بعض الخائضين فى أمر الفتية من أصحاب الكهف ، هم ثلاثة رابعهم

كلبهم ، ويقول بعضهم : هم خمسة سادسهم كلبهم ، رَجَمَا بِالْغَيْبِ : يقول : قَذَفَا بِالظَّنِّ ، غير يقين علم ، كما قال الشاعر :

« وَأَجْعَلُ مِثِّي الْحَقَّ غَيْبًا مُرَجَّمًا » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَاتِبُتُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَاتِبُتُهُمْ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ) : أى : قَذَفَا بِالْغَيْبِ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( رَجَمًا بِالْغَيْبِ ) قال : قَذَفَا بِالظَّنِّ .

وقوله ( وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَاتِبُتُهُمْ ) يقول : ويقول بعضهم : هم سبعة وثامنهم كلبهم ( قُلْ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقائلى هذه الأقوال فى عدد الفتية من أصحاب الكهف ، رجا منهم بالغيب : ( رَبِّیْ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ ) يقول : ما يعلم عددهم ( إِلَّا قَلِيلٌ ) من خلقه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) يقول : قليل من الناس .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بِالْقَلِيلِ : أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : يعنى أهل الكتاب . وكان ابن عباس يقول : أنا ممن استثناه الله ، ويقول : عدتهم سبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : عدتهم سبعة ، وثامنهم كلبهم ، وأنا ممن استثنى الله .

(١) هذا عجز بيت لم أقف على قائله . وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه : القول بالظن على غير يقين علم . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٩٨ ) : « رَجَمَا بِالْغَيْبِ » : الرجم ما لم تستيقنه . وقال : ظن مرجم : لا يدري : أحق هو أم باطل ؟ قال زهير :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا رَأَيْتُمْ وَذُقْتُمْ  
وَمَا هُوَ عَنَّا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

وفى (اللسان : رجم) : والرجم : القول بالظن والحدس .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : كان ابن عباس يقول : أنا من القليل ، هم سبعة ، وثامنهم كلبهم . وقوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تمار يا محمد : يقول : لا تجادل أهل الكتاب فيهم ، يعنى في عداة أهل الكهف ، وحذفت العداة ، اكتفاء بذكرهم فيها ، لمعرفة السامعين بالمراد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ ) قال : لا تمار فى عداتهم . وقوله ( إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر ، الذى استثناه الله ، ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : هو ما قص الله فى كتابه ، أبيع له أن يتلوه عليهم ، ولا يماريهم بغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : حسبتك ما قصصت عليك ، فلا تمار فيهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) : أى حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ ) قال : حسبتك ما قصصنا عليك من شأنهم . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : حسبتك ما قصصنا عليك . وقال آخرون : المراء الظاهر : هو أن يقول ليس كما تقولون ، ونحو هذا من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) قال : أن يقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس تعلمون عداتهم ، إن قالوا كذا وكذا ، فقل ليس كذلك ، فإنهم لا يعلمون عداتهم ، وقرأ ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَتَبْنَاهُمْ ) حتى بلغ ( رَجْمًا بِالْغَيْبِ ) . وقوله ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) يقول تعالى ذكره : ولا تستفت فى عداة الفتية من

أصحاب الكهف. منهم ، يعنى من أهل الكتاب أحداً ، لأنهم لا يعلمون عيبتهم ، وإنما يقولون فيهم رجماً بالغيب ، لا يقينا من القول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من يهود . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من يهود ، قال : ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف ، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من أهل الكتاب ، كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ كَانُوا بَنَى الرُّكْنَا . والركنا : ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، ففتردوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على أصمختهم ، فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أممهم ، وجاءت أمة مسلمة بعدهم ، وكان ملكهم مسلماً .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ ، إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ،

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)

وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه ألا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة ، إلا أن يصله بمشيئة الله ، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله .

وإنما قيل له ذلك ، فيما بلغنا ، من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى ، اللواتى إحداهن المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف ، أن يجيبهم عنهن غداً يومهم ، ولم يستثن ، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة ، حتى حزنه إبطاؤه ، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن ، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه ، وعلمه ما الذى ينبغي أن يستعمل فى عياداته وخبره عما يحدث من الأمور التى لم يأت من الله بها تنزيل ؟ فقال : ( وَلَا تَقُولَنَّ ) ( لِيَشَىءٍ ) ( إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ) ، كما قلت لهؤلاء الذين سألوكم عن أمر أصحاب الكهف ، والمسائل التى سألوكم عنها ، سأخبركم عنها غداً ( إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) . ومعنى الكلام : إلا أن تقول معه : إن شاء الله ، فترك ذكر قول ، اكتفاء بما ذكر منه ، إذ

(١) الركنا : كذا بالقصر ، ولعل أصله الركنا بالمد ، جمع ركين ، وهو من الرجال : الوقور الرزين . أو هو القوى بعشيرة وكثرتها .

كان في الكلام دلالة عليه . وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ، استثناء من القول ، لامن الفعل ، كأن معناه عنده : لا تقولن قولا إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل ، مع خلافه تأويل أهل التأويل .  
وقوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : واستثنى في يمينك ، إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليقين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن هارون الحرابي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في الرجل يخلف ، قال له : أن يستثنى ولو إلى سنة ، وكان يقول (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) في ذلك قيل للأعمش : سمعته من مجاهد ؟ فقال : نبي به ليث بن أبي سليم ، يرى ذهب كسائي هذا .  
حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَقُولْنَ لَيْسَ بِإِتي فاعيلٌ ذلكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) الاستثناء ، ثم ذكرت فاستثنى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، في قوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : بلغني أن الحسن قال : إذا ذكر أنه لم يقل : إن شاء الله ، فليقل : إن شاء الله .  
وقال آخرون : معناه : وأذكر ربك إذا عصيت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، في قول الله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : اذكر ربك إذا عصيت .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، مثله .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وأذكر ربك إذا تركت ذكره ، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك ، وقد بيننا ذلك فيما مضى قبل .

فإن قال قائل : أفجائز للرجل أن يستثنى في يمينه ، إذ كان معنى الكلام ما ذكرت ، بعد مدة من حال حلفه ؟ قيل : بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حينه في يمينه ، فيقول : إن شاء الله ، ليخرج بقبيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية ، فيسقط عنه الحرج ، بتركه ما أمره بقبيله من ذلك ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون استثناءه موصولا بيمينه .

فإن قال : فما وجه قول من قال : له ثنياه ولو بعد سنة ، ومن قال : له ذلك ولو بعد شهر ، وقول من قال : ما دام في مجلسه ؟ قيل : إن معنهم في ذلك نحو معاننا ، في أن ذلك له ولو بعد عشر سنين ، وأنه باستثنائه ، وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه ، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازما ؛ فأما

(١) قوله « يرى : ذهب كسائي هذا » هكذا جاءت هذه العبارة في الجزء الخامس عشر من النسخة المخطوطة رقم ١٠٠ الورقة ١١١ ؛ والعبارة غامضة ، ولعل فيها تحريفا .

الكفارة فله لازمة بالحزب بكل حال ، إلا أن يكون استثناءه كان موصولاً بالحلف ، وذلك أنا لانعلم قائلها قال ممن قال له التائب بعد حين ، يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث ، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، وأن معنى القول فيه . كان نحو معناها فيه .

وقوله ( وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ) يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لعل الله أن يهديني ، فيسددني لأشد مما وعدتكم ، وأخبرتكم أنه سيكون ، إن هو شاء . وقد قيل : إن ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه ، الذي هو عنده في أمر مستقبل ، مع قوله : إن شاء الله إذا ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن محمد ، رجل من أهل الكوفة ، كان يفسر القرآن ، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد ، قال ( وَلَا تَقْبُولَنَّ لِيْ سِعَةً اِتَى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ، وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ) قال فقال : وإذا نسي الإنسان أن يقول : إن شاء الله ، قال : فتوبته من ذلك ، أو كفارة ذلك أن يقول (عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ ، وَأَزْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ) فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب ، أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله ( قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) وقالوا : لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف ، لم يكن لقوله ( قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) وجه مفهوم ، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ) هذا قول أهل الكتاب ، فردّه الله عليهم . فقال : ( قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) قال في حرف ابن مسعود ( وَقَالُوا : وَلَبِثُوا ) يعني أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال ( قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) .

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطير الوراق، في قول الله: (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ) قال: إنما هو شيء قالت اليهود، فردّه الله عليهم، وقال: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا).

وقال آخرون: بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا) قال: عدد ما لبثوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه، وزاد فيه (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا) قال: وتسع سنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، بنحوه.

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثني الأجلح، عن الضحاك بن مزاحم، قال: نزلت هذه الآية (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ) فقالوا: أياما، أو أشهرا، أو سنين؟ فأنزل الله (سِنِينَ، وَأَزْدَادُوا تِسْعًا).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) قال: بين جبلين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال كما قال الله عزّ ذكره: وليث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلاث مئة سنين، وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه. وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ (وَقَالُوا: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب، وقد ردّ الله ذلك عليهم، فإن معناه في ذلك إن شاء الله كان، أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للفتية من لدن دخلوا الكهف، إلى يومنا، ثلاث مئة سنين، وتسع سنين، فردّ الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف، من لدن أووا إليه، إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم؛ ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا، بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.

فإن قال قائل: وما يدلّ على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عن

قدر لبهم في كهفهم ابتداء ، فقال ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره ، جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك قلب أعيان الحقائق ، وما لا يخيل فسادة .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) دليل على أن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك ، لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ؛ فأما وهو محتمل ما قلنا ، من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا ، إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني ، فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صحح ما قلنا ، وفسد ما خالفه .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ ) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ ) بتثوين ثلاث مئة ، بمعنى : ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مئة . وقرأته عامة قراء أهل الكوفة ( ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ ) بإضافة ثلاث مئة إلى السنين ، غير منون .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه ( ثَلَاثَ مِئَةٍ ) بالتثوين ( سِنِينَ ) ، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها ، إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد ، وذلك كقولهم ثلاث مئة درهم ، وعندى مئة دينار ، لأن المئة والألف عدد كثير ، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد ، والواحد يؤدّي عن الجنس ، وليس ذلك للقليل من العدد ، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير ، وليس ذلك بالكثير . وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع ، فإنها تنون ، فتقول : عندى ألف درهم ، وعندى مئة دينار ، على ما قد وصفت .

وقوله ( لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : لله علم غيب السموات والأرض ، لا يعزب عنه علم شيء منه ، ولا يخفى عليه شيء ، يقول : فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف ، إلى يومكم هذا ، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض ، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار . وقوله ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) يقول : أبصر بالله وأسمع ! وذلك بمعنى المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه !

وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ! كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، تبارك وتعالى !

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) ! ما لهُم من دُونِهِ مِن وِليّ قال : يرّى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا .

وقوله ( مَا لَهُم من دُونِهِ مِن وِليّ ) يقول جل ثناؤه : ما خلّقه دون ربهم الذي خلقهم وليّ يلي

أمرهم وتديبرهم ، وصرّفهم فيما هم فيه مصرفون ، ( وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ) يقول : ولا يجعل الله في قضائه ، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا ، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم ، وتديبرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ

مُلْتَحِدًا (٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تترك تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وحرامه ، فتكون من المالكين : وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة ، إلى جهنم ( لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ) يقول : لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك ، أهل معاصيه ، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحينا إليك . وقوله ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) يقول : وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتّم به ، فنالك وعيد الله الذي أوعده فيه المخالفين حدوده . لن تجد من دون الله موثلا تتل إليه ، ومعدلا تعدل عنه إليه ، لأن قدرة الله محيطه بك وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد منهم على الحرب من أمر أراد به . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) قال : موثلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ ولا موثلا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) قال : لا يجدون ملتحدا يلتحدونه ، ولا يجدون من دونه ملجأ ، ولا أحدا يمنعهم ، والملتحد : إنما هو المفتعل من اللحد ، يقال منه : لحدت إلى كذا : إذا ملت إليه ، ومنه قيل للحد : لحد ، لأنه في ناحية من القبر ، وليس بالشق الذي في وسطه ، ومنه الإلحاد في الدين ، وهو المعاندة بالعدول عنه ، والترك له .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ  
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ  
أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَأَصْبِرْ ) يا محمد ( نَفْسَكَ مَعَ ) أصحابك ( الَّذِينَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة ،  
من الصلوات المفروضة وغيرها ( يُرِيدُونَ ) يفعلهم ذلك ( وَجْهَهُ ) لا يريدون به عرضاً من عرض الدنيا .  
وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) في سورة الأنعام ،  
والصواب من القول في ذلك عندنا ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . والقراء على قراءة ذلك :  
( بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) ، وقد ذكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السلمي : أنهما كانا يقرانه بالغدوة  
والعشي ، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة ، لأن غدوة معرفة ، ولا ألف ولا لام فيها ، وإنما يعرف  
بالألف واللام ما لم يكن معرفة ، فأما المعارف فلا تعرف بهما ؛ وبعد ، فإن غدوة لانضاف إلى شيء ،  
وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها ، لأن مادخلته الألف واللام من  
الأسماء ، صلحت فيه الإضافة ؛ وإنما تقول العرب : أتيتك غدوة الجمعة ، ولا تقول : أتيتك غدوة الجمعة .  
والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القراء في الأمصار ، لانستجيز غيرها ، لإجماعها على ذلك ، وللعلة التي بيئنا  
من جهة العربية .

وقوله ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) : يقول جل ثناؤه لنبية صلى الله عليه وسلم : ولا تصرف عينك  
عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم ، إلى غيرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه ، وأصله  
من قولهم : عدوت ذلك ، فأنا أعدوه : إذا جاوزته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) قال : لانجاوزهم إلى غيرهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا  
تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) يقول : لانتعدهم إلى غيرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ) . . .  
الآية ، قال : « قال القرظم للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا ، فجانبهم



يا محمد ، وجالس أشرف العرب ، فنزل القرآن ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) ولا تحقرهم ، قال : قد أمروني بذلك ، قال : ( وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف : « أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في بعض أبياته ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) فخرج يلتمس ، فوجد قوما يدكرون الله ، منهم نائر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم ، فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ » . ورُفِعَت العيان بالفعل ، وهو لا تعد .

وقوله ( تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا تعد عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم . إلى أشرف المشركين ، تبتغي بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ، فيما ذكر ، قوم من عظماء أهل الشرك . وقال بعضهم : بل من عظماء قبائل العرب ، ممن لا بصيرة لهم بالإسلام . فأروه جالسا مع خبّاب وصهيب وبلال ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا . قالوا : فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عليه ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعودا ، فأنزل الله عليه : ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) . . . الآية ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشراف . وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل ، في سورة الأنعام .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزدي عن أبي الكنود ، عن خبّاب ، في قصة ذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر فيها هذا الكلام مُدْرَجًا في الخبر ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : تجالس الأشراف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « أخبرت أن عيينة ابن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي ، فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلسا لا يجامعهم فيه ، فنزلت الآية » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمِيرٌ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : تريد أشراف الدنيا .

حدثنا صالح بن مسمار . قال : ثنا الوليد بن عبد الملك ، قال : ثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة بن عبد الله الجهني ، عن عمه أبي مشجعة بن ربيعي ، عن سلمان الفارسي ، قال : « جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذوهم ، فقالوا : يا نبي الله ، إنك لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان ، وأباذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك ، وحادثناك ، وأخذنا عنك ، فأنزل الله : ( وَآتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ) ، حتى بلغ ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ) يهددهم بالنار ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم ، حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمَيِّتْنِي حَتَّى أَمُرَّ بِأَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، مَعَكُمْ الْمَحْيَا وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ » .

وقوله ( وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ) يقول تعالى ذكره لنبهه صلى الله عليه وسلم : ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار ، الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك . عن ذكرنا ، بالكفر وغلبة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه ، على طاعة ربه ، وهم فيما ذكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذوهم .  
حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب ( وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ) قال عيينة ، والأقرع .

وأما قوله ( وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وكان أمره ضياعا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) قال ابن عمرو في حديثه ، قال : ضائعا . وقال الحارث في حديثه : ضياعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ضياعا . وقال آخرون : بل معناه : وكان أمره ندما .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا بدل بن الحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود ( فُرُطًا ) قال : ندامة .

(١) في الأصل : عيينة بن بدر . والصواب : ابن حصن ، ولعله من سبق القلم . وقد ذكره صحيحا بعده بقليل .

وقال آخرون : بل معناه : هلاكاً .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب ( وكان أمره فرطاً ) قال : هلاكاً .  
وقال آخرون : بل معناه : خلافاً للحق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وكان أمره فرطاً ) قال : مخالفاً للحق ، ذلك الفرط .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ضياعاً وهلاكاً من قولهم : أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً : إذا أسرف فيه وتجاوز قدره ، وكذلك قوله ( وكان أمره فرطاً ) معناه : وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، في الرياء والكبر ، واحتقار أهل الإيمان ، سرافاً قد تجاوز حدّه ، فصيّع بذلك الحق ، وهلك .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : قيل له : كيف قرأ عاصم ؟ فقال ( كان أمره فرطاً ) قال أبو كريب : قال أبو بكر : كان عيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَنْغِثُوا يُنْغِثُوا بِمَاءٍ كَمَا لَمَلَّ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد هؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ، واتبعوا أهواءهم ، الحق أيها الناس من عند ربكم ، وإليه التوفيق والخذلان ، وييده الهدى والضلال ، يهدي من يشاء منكم للرشاد ، فيؤمن ، ويضل من يشاء عن الهدى ، فيكفر ، ليس إلى من ذلك شيء ، ولست بطارد لخواكم من كان للحق متبعاً ، وباللّه وبما أنزل على مؤمننا ، فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا ، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به ناراً أحاط بكم سرادقها ، وإن آمنتم به وعلمت بطاعته ، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته .

وروي عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ) . يقول : من شاء الله له الإيمان .

آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو قوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد:

وقد بين أن ذلك كذلك قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) والآيات بعدها.

كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن عمر بن حبيب، عن داود، عن مجاهد، في قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ). قال: وعيد من الله، فليس بمعجزى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ). وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال: هذا كله وعيد، ليس مصانعة ولا مراعاة ولا تفويضا. وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) يقول تعالى ذكره: إنا أعددنا، وهو من العُدَّة: للظالمين: الذين كفروا بربههم.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال: للكافرين. وقوله (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) يقول: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين بربههم، وذلك فيما قيل: حاط من نار يُطَيِّفُ بهم، كسرادق القسطاط، وهي الحجرة التي تُطَيِّفُ بالقسطاط، كما قال رؤبة:

يا حَكَمَ بْنَ الْمُشَدِّرِ بْنِ الْجَارُودِ  
سُرَادِقُ الْفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ<sup>١</sup>  
وكما قال سلامة بن جندل:

هُوَ الْمَوْلِجُ النَّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاءُوه  
صُدُورُ الْفَيْسُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقٍ<sup>٢</sup>  
يعنى: بيتا له سرادق.

(١) البيتان من أرجوزة قصيرة سبعة أبيات لرؤبة في (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ضمن الزوائد الملحقه بالديوان، وهما الأول والخامس، ص ١٧٢). والبيتان من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٩٩) إلا أن رواية البيت الثاني فيه: «أنت الجواد بن الجواد محمود» وبعده البيت الثاني. قال: «أحاط بهم سرادقها»: كسرادق القسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالقسطاط؛ قال رؤبة: «يا حكم بن المنذر بن الجارود» وفي (اللسان: سردق): السرادق: ما أحاط بالبناء، والجمع: سرادقات. قال سيبويه: جمعوه بالتاء وإن كان مذكرا، حين لم يكسر. وفي التنزيل: «أحاط بهم سرادقها». في صفة النار، أعادنا الله منها. قال الزجاج: صار عليهم سرادق من العذاب. والسرادق كل ما أحاط بالشيء، نحو الشقة في المضرب (الحيمة) أو الحائط المشتمل على الشيء. (٢) البيت في ديوان سلامة بن جندل السعدي التميمي (طبعة بيروت سنة ١٩١٠ ص ١٩) من قصيدة عدة أبياتها ثلاثون بيتا. قال أبو عمرو: كان كسرى حبس النعمان في بيت فيه ثلاثة فيول، والمسردق: ذو السرادق، أو الذي عليه سرادق. وقال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٩٩) بعد أن أورد البيت: أي له سرادق. اه. وفي (اللسان: سردق): وقد سردق البيت. قال سلامة بن جندل: (وأورد البيت). ثم قال: الجوهرى: السرادق: واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. وكل بيت من كرسف (قطن) فهو سرادق. قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد بن الجواد محمود  
سرادق المجد عليك مسدود

قال: وقيل: الرجز للكذاب الحرمازي.

ونسب الجوهرى بيت سلامة بن جندل إلى الأعشى، وقال في سببه: يذكر ابن وبر وقتله النعمان بن المنذر. (عن لسان العرب: سردق).

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) قال : هي حائط من نار .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن ابن جريج ، قال : أحاط بهم سرادقها ، قال : دخان يحيط بالكفار يوم القيامة ، وهو الذي قال الله ( ظِلٌّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ) .  
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر ، يدل على أن معنى قوله ( أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) أحاط بهم ذلك في الدنيا ، وأن ذلك السرادق هو البحر .

## ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن محمد والحسين بن نصر ، قالوا : ثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن أمية ، قال : ثنى محمد ابن حبي بن يعلى ، عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » ، قال : فقيل له : كيف ذلك ؟ فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية ( نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) ثم قال : والله لا أدخلها أبداً أو ما دُمتُ حياً ، ولا تُصيبي مني قطرة .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رشدين بن سعد قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةٌ جُدُرٌ ، كِثْفٌ كُلٌّ وَوَاحِدٌ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ ، كِثْفٌ كُلٌّ وَوَاحِدَةٌ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماء كالمُهْل ، قال كعكبر الزيت ، فإذا قرَّبته إليه سقطت فَرَوَةٌ وَجْهِي فِيهِ » .

وقوله ( وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) يقول تعالى ذكره : وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار ، من شدة ما بهم من العطش ، فيطلبون الماء ، يُغَاثُوا بِمَاءِ الْمُهْلِ .  
واختلف أهل التأويل في المهل ، فقال بعضهم : هو كل شيء أذيب وانماع .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود ، فخذ في الأرض ، ثم قذف فيه من جنزَل حطب ، ثم قذف فيه تلك السقاية ، حتى إذا أُرْبِدت وانماعت ، قال لغلامه : ادع من يحضرننا من أهل الكوفة ، فدعا رهطاً ، فلما

دخلوا عليه قال : أترون هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : مارأيتنا في الدنيا شبيها للمُهْل أدنى من هذا الذهب والفضة ، حين أزيد وانماع .  
وقال آخرون : هو القَيْح والدم الأسود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : القَيْح والدم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : القَيْح والدم الأسود ، كعكّر الزيت . قال الحارث في حديثه : يعني دُرْدِيَّة .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كَالْمُهْلِ ) قال : يقول : أسود كهيئة الزيت .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) ماء جهنم أسود ، وهي سوداء ، وشجرها أسود ، وأهلها سود .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبيد الله بن أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : هو ماء غليظ مثل دُرْدِيَّة الزيت .  
وقال آخرون : هو الشيء الذي قد انتهى حره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيّ ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : المهل : هو الذي قد انتهى حره .

وهذه الأقوال ، وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها ، فمتقاربات المعنى ، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة ، فقد انتهى حره ، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار ، حتى صار كدُرْدِيَّة الزيت ، فقد انتهى أيضا حره .

وقد حدثت عن معمر بن المثني ، أنه قال : سمعت المنتجع بن نَبَّهَان يقول : والله لفلان أبغض إلى من الطلبياء أو المهل ، قال : فقلنا له : وما هما ؟ فقال : الجرباء ، والمَلَّة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار ، كأنها سهلة حمراء مدققة ، فهي أحمره ، فالمهل إذا : هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره ، أو لم يكن مائعا ، فانماع بالوقود عليه ، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر .

وقوله ( يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ ) يقول : جل ثناؤه : يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم .

كما حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا ببيعة ، عن صفوان

(١) يريد بالطلبياء : الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الحنظل . ويريد بالمهل : الملة إذا خيت جدا ورأيتها تموج .

(٢) المهلة : بالكسر : تراب كالرمل أحمر يعني به الماء (اللسان) .

ابن عمرو ، عن عبد الله بن بسُمر ، هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّرُ عَنْهُ ) قال : يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا قرب منه ، شوى وجهه ، ووقعت قرورة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاهه ، يقول الله ( وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ ، بِئْسَ الشَّرَابُ ) !

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ويعمر بن بشر ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الله بن بسُمر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبير ، قال هارون : إذا جاع أهل النار . وقال جعفر : إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها ، فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم ، لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يُصب عليهم العطش ، فيستغيثون ، فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حره ، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم . التي قد سقطت عنها الجلود .

وقوله ( بِئْسَ الشَّرَابُ ) يقول تعالى ذكره : بئس الشراب ، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم ، الذي صفته ما وصف في هذه الآية . وقوله ( وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ) يقول تعالى ذكره : وساءت هذه النار التي أعتدناها هؤلاء الظالمين مرتفقا ، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ ، يقال منه : ارتفتت إذا اتكأت ، كما قال الشاعر :

قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَقْتِ الْآلَا فَسَيَّ يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَرَالاتِ الضَّحَى

أرادت : واتكأت على مرفقها . وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتية نوم ، وهو مرتفق ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

نَامَ الْخَلِيَّ زَبْتُ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَانَ عَيْسِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحًا

وأما من الرفق فانه يقال : قد ارتفتت بك مرتفقا ، وكان مجاهد يتأول قوله ( وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ) يعني اجتمع

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مُرْتَفَقًا ) : أي مجتمعا .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، ذكرهما اللسان في : غزل . ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف ، وهي : « دعت سليمان دعوة هل من قتي » وفي رواية أخرى : « ودعوة القوم ألا هل من قتي » وغزله الضحى وغزالاته : بعدما تنبسط الشمس وتضحى . ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين .  
(٢) البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية ، (القسم الأول من ديوان الهذليين ص ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له . وفيه « مشتجرا » في موضع « مرتفقا » . ومشتجرا أي يشجر رأسه بيده ، يريد أنه وضع رأسه على يديه ، كما يشجر الثوب بالعود . وقال الأصمعي : الصاب : شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها . ومذبوح : مشقوق . والذبيح : الشق . ومرتفقا : واضعا مرفقه تحت رأسه . والبيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤٠٠) وأوله : « إني أرقفت فبت . . . » وقال : « ساءت مرتفقا » : أي متكئا . قال أبو ذؤيب . . . البيت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَسَاءَتْ مَرْتَفَعًا ) قال : مجتمعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . ولست  
أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب ، وإنما الارتفاق : افتعال . إما من المرفق ، وإما من الرفق .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، إنا  
لأنضيع ثواب من أحسن عملا ، فأطاع الله ، واتبع أمره ونهيه ، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن ، جنات  
عدن تجري من تحتها الأنهار .

فإن قال قائل : وأين حسبر « إن » الأولى ؟ قيل : جائز أن يكون خبرها قوله ( إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا )  
أحسن عملا ) ، فيكون معنى الكلام : إنا لأنضيع أجر من عمل صالحا ، فترك الكلام الأول ، واعتمد  
على الثاني بنية التكرير ، كما قيل ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ) بمعنى : عن قتال فيه ، على  
التكرير ، وكما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ أَلَّهِ سَرِبَلَهُ سِرْبَالٌ مَلِكٌ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

ويروى : تُرْجَى ؛ وجائز أن يكون ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ) جزاء ، فيكون معنى الكلام : إن من عمل  
صالحا فإنا لأنضيع أجره ، فتضمم الفاء في قوله « إِنَّا » ؛ وجائز أن يكون خبرها : أولئك لهم جنات عدن ،  
فيكون معنى الكلام : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك لهم جنات عدن .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ،  
وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ  
وَحَسْبَتْ مَرْتَفَعًا (٣١)

(١) في ( اللسان : سربل ) : السربال : القميص والدرع . وفي حديث عثمان : « لأخلع سربالا سربلنيه الله » : كنى به عن  
الخلافة . واشتبه به المؤلف على أن التكرار في قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لأنضيع . . . الآية » له نظير  
في قول الشاعر : « إن الخليفة إن الله سربله . . . البيت . وقد بين وجهي الإعراب في المكرر . والبيت من شواهد القراء  
في ( معاني القرآن : الورقة ١٨٥ من مصورة الجامعة ) قال : خير الذين آمنوا في قوله : إنا لأنضيع ، وهو مثل قول الشاعر : إن الخليفة  
. . . البيت ، فإنه في المعنى : إنا لأنضيع ، أجر من عمل صالحا . فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني ، بنية التكرير . كما قال :  
« يسئلونك عن الشهر الحرام » ، ثم قال : « قتال فيه » يريد : عن قتال فيه ، بالتكرير . ويكون أن تجعل « إن الذين آمنوا وعملوا »  
في مذهب جزاء ، كقولك : إن من عمل صالحا فإنا لأنضيع أجره ، فتضمم الفاء في قوله « فإنا » ، وإلغاؤها جائز ، وهو أحب  
الوجوه إلى .



يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات عدن ، يعنى بساتين إقامة فى الآخرة ، ( تجترى من تحتهم الأنهار ) يقول تجرى من دونهم ومن أيديهم الأنهار . وقال جل ثناؤه : من تحتهم ، ومعناه : من دونهم وبين أيديهم ، ( يحلّون فيها من أساور ) يقول : يلبسون فيها من الحلّى أساور من ذهب ، والأساور : جمع إسوار .

وقوله ( يلبسون ثيابا خضرا من سندس ) والسندس : جمع ، واحدها : سندسة ، وهى مارق من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه وتحنن ؛ وقيل : إن الإستبرق : هو الحرير ؛ ومنه قول المرقش :

تراهن يلبسن المشاعير مرة<sup>٢</sup> وإستبرق الديباج طورا<sup>٣</sup> لابسها

يعنى : و غليظ الديباج .

وقوله ( متكئين فيها على الأرائك ) يقول : متكئين فى جنات عدن على الأرائك ، وهى السرر فى الحجال ، واحدها : أريكة ؛ ومنه قول الشاعر :

خدودا جفت فى السبر حتى كآتما<sup>٤</sup> يبشيرن بالمعزاة مس الأرائك<sup>٥</sup>

ومنه قول الأعشى :

بين الرواق وجانب من سبرها<sup>٦</sup> منها وبين أريكة الأنصا<sup>٧</sup>

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( على الأرائك ) قال : هى الحجال . قال معمر ، وقال غيره : السرر فى الحجال .

وقوله ( نعيم الثواب ) يقول : نعم الثواب جنات عدن ، وما وصف جل ثناؤه أنه جعل هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات ( وحسنت مرتفقا ) يقول : وحسنت هذه الأرائك فى هذه الجنان التى وصف تعالى ذكره فى هذه الآية متكئا . وقال جل ثناؤه ( وحسنت مرتفقا ) فأنت الفعل بمعنى :

(١) البيت للمرقش . المشاعر : جمع مشعر ، وهو الشعار الذى يلى جسد الإنسان من الثياب ، دون ما سواه . وفى الحديث ذكر الأنصار : هم الشعار دون الدثار ، يصفهم بالمودة والقرب . وقد فسر المؤلف الإستبرق والديباج . والبيت شاهد على معنى الإستبرق .

(٢) البيت لذى الرمة ( ديوانه طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٢ ) وقبله قوله :

إذا وقعوا وهنا كسوا حيث موتت<sup>٨</sup> من الجهد أنفاس الرياح الحواشيك<sup>٩</sup>

وقوله خدودا : مفعول كسوا فى البيت قبله . والمعزاة الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك ، وهى الأسرة ، الواحد سرير . أى صبروا المكان الذى ناموا فيه كسوة للخدود . وفى ( اللسان : أرك ) قال المفسرون : الأرائك : السرر فى الحجال . وقال الزجاج : الأرائك الفرش فى الحجال ، وقيل هى الأسرة ، وهى فى الحقيقة الفرش كانت فى الحجال ، أو فى غير الحجال . وقيل الأريكة : سرير منجد مزين ، فى قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

(٣) البيت لم أجده فى ديوان الأعشى ميمون ، ولا فى سائر أشعار العشى الملحقة به ، إنما وجدت بيتين اثنين من وزنه وقافيته ، ص ٢٤٥ طبعة الدكتور محمد حسين بالقاهرة . ولم أجدها غيرها . والرواق : بضم الراء المشددة وكسرها : الخيمة . والبيت شاهد كالأذى قبله ، على أن معنى الأرائك : السرر فى الحجال ، وأن واحدها : أريكة . والأنصا : جمع نصد بالتحريك ، وهو ما نصد من متاع البيت ، وجعل بعضه فوق بعض .

وحسنت هذه الأرائك مرتفقا . ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صوابا ، لأن نِعْمَ وَيُنْسُ إنما تدخلهما العرب في الكلام : لتدلا على المدح والذم ، لالفعل ، فلذلك تذكروهما مع المؤنث ، وتوحدتهما مع الاثنين والجماعة .

القول في تأويل قوله تعالى

\* **وَاضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَفَجَّرْنَا خِلْمَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب يا محمد هؤلاء المشركين بالله ، الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، مثلا مثل ( رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ) أي جعلنا له بساتين من كروم ( وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ) يقول : وأطفنا هذين البستانين بنخل . وقوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ) يقول : وجعلنا وسط هذين البستانين زرعاً . وقوله ( كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ) يقول : كلا البستانين أطعم ثمره ، وما فيه من الغروس ، من النخل والكرم وصنوف الزرع . وقال : كلتا الجننتين ، ثم قال : آتت ، فوحد الخبر ، لأن كلتا لا يفرد واحدهما ، وأصله كل ، وقد نفرد العرب كلتا أحيانا ، ويذهبون بها وهي مفردة إلى التثنية ؛ قال بعض الرُّجَاز في ذلك :

فِي كِلْتَا رَجُلَيْهَا سُلَامَى وَاحِدَةً كِلْتَاهُمَا مَقْرُونَةٌ بِيَزَائِدَةٍ<sup>١</sup>  
يريد بكلت : كلتا ، وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل ، إذا أضيفت إلى معرفة ، وجاء الفعل بعدهن . ويجمع ويوحد . وقوله ( وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ) يقول : ولم تنقص من الأكل شيئا ، بل آتت ذلك تماما كاملا ، ومنه قولهم : ظلم فلان فلانا حقه : إذا بختسه ونقصه ، كما قال الشاعر :

تَظْلَمْتَنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي لَوْ يَدِي يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ<sup>٢</sup>

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٨٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) قال : وقد نفرد العرب لإحدى « كلتي » ( كتبها بالياء للإمالة ) . وهو من شواهد النحويين على أن « كلت » أصلها « كلتا » ، حذف ألفها للضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها ( خزائن الأدب للبغدادي ١ : ٦٢ ) وقال : رأيت في حاشية الصحاح أن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجلها عائد على النعام . والسلاي ، على وزن حباري : عظم في فرس البعير ، وعظام صغار طول أصبع أو أقل ، في اليد والرجل . والجمع : سلاميات . والفرس : بمنزلة الحافر للفرس . والضمير في كلتاها للرجلين . ثم قال : استدلالهم بهذا البيت على الأفراد يردده معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني ، فتأمل . وقال أبو حيان في تذكرته : هذا البيت من اضطراب الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هو جاء بمعنى كلا ، غير أنه أسقط الألف اعتادا على الكسرة التي قبلها ، وعملا على أنها تكن من الألف المعاملة إلى الياء ؛ وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعي أن لكلا وكلتا واحدا منفردا في النطق مستعملا ، فإن ادعاء عليه مدح ، فهو تشيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم . انتهى .

(٢) البيت من أبيات تسعة لفرعان بن الأعرف في ابنه منازل ( الحماسة بشرح التبريزي ٤ : ٩ ) وأوله : « نعمد حق ظالمنا ولوى يدي » . ونعمد حق ؛ ستره . وهو في معنى : « تظلمني مالى » ( « ولوى يدي : أي فتلها وأزاحها عن حالها وهيبتها . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٢ ) قال : « ولم تظلم منه شيئا » : ولم تنقص . ويقال : ظلمني فلان حق ، أي نقصني . وقال رجل لابنه : « تظلمني مالى كذا . . . الخ » . ورواية البيت في اللسان : « تظلم مالى هكذا . . . البيت . ولم ينسبه . وقال قبله : وظلمه حقه ، وتظلمه إياه . يريد أنها بمعنى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَمْ تَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا ) : أي لم تنقص منه شيئا .

وقوله ( وَقَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا ) يقول تعالى ذكره : وَسَيَلْنَا خِلَالَ هَذَيْنِ الْبِسْتَانَيْنِ نَهْرًا ، يعني بينهما وبين أشجارهما نهرا . وقيل ( وَقَجَّرْنَا ) فنقل الجيم منه ، لأن التفجير في النهر كله ، وذلك أنه يمد ماء ، فيسيل بعضه بعضا .

وقوله ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بضم التاء والميم . واختلف قارئو ذلك كذلك ، فقال بعضهم : كان له ذهب وفضة ، وقالوا : ذلك هو التمر ، لأنها أموال مثمرة ، يعني مكثرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) قال ذهب وفضة ، وفي قول الله عز وجل ( بِشْمُرِهِ ) قال : هي أيضا ذهب وفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( تَمْرٌ ) قال : ذهب وفضة . قال : وقوله ( وَأُحِيطَ بِشْمُرِهِ ) هي أيضا . وقال آخرون : بل عني به : المال الكثير من صنوف الأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن هارون ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : قرأها ابن عباس ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بالضم ، وقال : يعني أنواع المال . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) يقول : مال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) يقول : من كل المال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأُحِيطَ بِشْمُرِهِ ) قال : التمر من المال كله ، يعني التمر وغيره من المال كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « التمر » المال كله ، قال : وكل مال إذا اجتمع فهو تَمْرٌ ، إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله . وقال آخرون : بل عني به الأصل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) التمر : الأصل . قال ( وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ) قال : بأصله ، وكان الذين وجهوا معناها إلى أنها أنواع من المال ، أرادوا أنها جمع ثمار جمع تَمْر ، كما يجمع الكتاب كتباً ، والحمار حُمراً . وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة ( تَمْرٌ ) بضم التاء ، وسكون الميم ، وهو يريد الضم فيها ، غير أنه سكنها طلب التخفيف . وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع تَمْرَة ، كما يجمع الحشبة خشباً . وقرأ ذلك بعض المدنيين ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بفتح التاء والميم ، بمعنى جمع الثمرة ، كما يجمع الحشبة خشباً ، والقصبه قصباً .

بفتح التاء وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأ ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بضم التاء والميم ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن كانت جمع ثمار ، كما الكتب جمع كتاب :

ومعنى الكلام ( وَقَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ، وَكَانَ لَهُ ) منهُمَا ( تَمْرٌ ) بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار . وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه ، قوله ( جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ) ثم قال : وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع تَمْرٌ .

وقوله ( فَقَالَ لِمَصَاحِبِيهِ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ ) يقول عز وجل : فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ، لصاحبه الذي لامال له وهو يخاطبه ( أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) يقول : وأعز عشيرة ورهطاً ، كما قال عبيدة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن سادات العرب ، وأرباب الأموال ، فنجح عنا سلمان وخبابا وصهيبا ، احتقاراً لهم ، وتكبراً عليهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَقَالَ لِمَصَاحِبِيهِ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ ) : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) وتلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال ، وعزة النفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ

قَائِمَةً ، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنْقَلَبًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ( دَخَلَ جَنَّتَهُ ) وهي بستانه ( وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) وظلمه نفسه : كفره بالبعث ، وشكك في قيام الساعة ، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى ، فأوجب لها بذلك سخط الله ، وأليم عقابه . وقوله ( قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ) يقول جل ثناؤه ، قال لما عاين جنته ، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزرور والأنهار المطردة ، شكك في المعاد إلى الله : ما أظن أن تبيد هذه الجنة أبداً ، ولا تفنى ولا تخرب ، وما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه ، فقال ( وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ) فرجعت إليه ، وهو غير مرقن أنه

راجع إليه (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول: لأجدن خيرا من جنتي هذه عند الله ، إن رددت إليه مرّجعا ومرّداً ، يقول : لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ) قال : شكّ ، ثم قال : ( وَلَيْسَ ) كان ذلك ثم ( رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ) ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خيرا من ذلك .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) قال ما أظنُّ أن تبديد هذه أبداً ، وما أظنُّ الساعة قائمة ( كفور لنعم ربه ، مكذب بلفائه ، متمن على الله .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره : قال لصاحب الجنة صاحبه الذي هو أقلّ منه مالا وولدا ، وهو يحاوره : يقول : وهو يخاطبه ويكلّمه : ( أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ؟ ) (يعني خلق أباك آدم من تراب . ثم من نُطْفَةٍ ) يقول : ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ، ( ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ) يقول : ثم عدلك بشرا سويا رجلا ، ذكر لا أنثى : يقول : أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا ، بعد ما تصير رفاتا ؟ ( لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) يقول : أما أنا فلا أكفر بربي ، ولكن أنا هو الله ربي ، معناه أنه يقول : ولكن أنا أقول : هو الله ربي ( وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ) . وفي قراءة ذلك وجهان : أحدهما لكن هو الله ربي بتشديد النون ، وحذف الألف في حال الوصل ، كما يقال : أنا قائم ، فتحذف الألف من أنا ، وذلك قراءة عامة قرأها أهل العراق . وأما في الوقف فإن القسرة كلها تثبت فيها الألف ، لأن النون إنما شددت لاندغام النون من لكن ، وهي ساكنة في النون التي من أنا ، إذ سقطت الهمزة التي في أنا ، فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا ، فقيل : لكننا ، لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا بإسقاطها . وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز : ( لَكِنَّا ) بإثبات الألف في الوصل والوقف ، وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

أنا سيفُ العشيِّرةُ فاعرفوني حميدا قد تدريبتُ السنما

(١) البيت : من شواهد النحويين ، على أن ثبوت ألف « أنا » في الوصل عند غير بني تميم لا يكون إلا في ضرورة الشعر . (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٩٠) ثم قال : قال ابن جني في شرح تصريف الممازني : أما الألف في « أنا » في الوقف فزائدة ، ليست بأصل . ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيد ، كما قال تعالى : « إني أنا ربك » تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل ، كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل وبينت الحركة بالألف كما بينت بالهاء ، لأن الهاء مجاورة للألف . اهـ . و « حميدا » بدل من البياض في اعرفوني ، يروى مصفرا ومكبرا . وفي الصحاح : « =

فأثبت الألف في أنا ، فليس ذلك بالفصيح من الكلام ، والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ، ما ذكرنا عن العراقيين ، وهو حذف الألف من « لكن » في الوصل ، وإثباتها في الوقف .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا

وَوَلَدًا (٣٩)

يقول عز ذكره : وهلا إذ دخلت بستانك ، فأعجبك ما رأيت منه ، قلت ما شاء الله كان ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه ، وهو جواب الجزاء ، وذلك : كان .

وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا ، كانت « ما » نصبا بوقوع فعل الله عليه ، وهو شاء ؛ وجرار طرح الجواب ، لأن معنى الكلام معروف ، كما قيل : فإن استطعت أن تتبغى نفعًا في الأرض ، وترك الجواب ، إذ كان مفهوما معناه . وكان بعض أهل العربية يقول « ما » من قوله ( ما شاء الله ) في موضع رفع بإضمار هو ، كأنه قيل : قلت : هو ما شاء الله ( لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) يقول : لا قُوَّةَ على ما نحاول من طاعته إلا به . وقوله ( إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ) وهو قول المؤمن الذي لا مال له ، ولا عشيرة ، مثل صاحب الجنة وعشيرته ، وهو مثل سلمان وصهيب وخباب ، يقول : قال المؤمن للكافر : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا ؛ فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل ، وبه القراءة عندنا ، لأن عليه قراءة الأمصار ، وإذا جعلته اسما رفعت أقل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ

صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد ، إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا في الدنيا ، فعسى ربى أن يرزقني خيرا من بستانك هذا . ( وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ) : يعني على جنة الكافر التي قال لها : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ( حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) يقول : عذابا من السماء ، ترمى به رميا وتقذف . والحسبان : جمع حُسْبَانَة ، وهي المرعى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

— حميدا « في موضع » حميدا . وتذريت السنام : علوته . ونسب ياقوت هذا البيت في حاشية الصحاح إلى حميد بن جندل ، شاعر . وهو حميد بن حريث بن جندل ، من بني كلب بن وبرة ، ينسب إلى قضاة . وهو شاعر إسلامي ، كانت عمته ميسون بنت جندل ، أم يزيد بن معاوية .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أو يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) : عذابا .  
حدثت عن محمد بن محمد بن يزيد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : عذابا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) . قال : عذابا ، قال : الحُسبان : قضاء من الله يقضيه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الحُسبان : العذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) قال : عذابا .  
وقوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) يقول عز ذكره : فتصبح جنتك هذه أيها الرجل ، أرضا ملساء لاشيء فيها ، قد ذهب كل ما فيها من عرس ونبت ، وعادت خرابا بلاقع . زَلَقًا ، لا يثبت في أرضها قدم لاملساسها ، ودروس ما كان نابتا فيها .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) : أي قد حُصِد ما فيها ، فلم يترك فيها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) قال : مثل الجُرُز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) : قال : صعيدا زلقا ، وصعيدا جُرُزًا واحد ، ليس فيها شيء من النبات .

وقوله ( أو يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا ) يقول : أو يصبح مأوها غائرا ، فوضع الغور وهو مصدر ، مكان الغائر ، كما قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ مَقْلَدَةٌ أَعْيَتْهَا صُفُونَا

بمعنى نائحة ، وكما قال الآخر :

هَرَيْقِي مِّنْ دُمُوعِهِمَا سَجَامًا ضِبَاعَ وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا ٢

(١) البيت لعمر بن كلثوم فارس تغلب وسيدها ، من معلقة المشهورة ، ورواية الشفط الأول منه في شرح التبريزي والزوزني وبهجة أشعار العرب طبع القاهرة : « تركنا الخيل عاكفة عليه » .

قال الزوزني : الصفون : جمع صافن . وقد صفن الفرس يصفن صفونا : إذا قام على ثلاث ، وثني سنيكه الرابع . يقول : قتلناه ، وحسنا نحيلنا عليه ، وقد قلدناها أعتبا في حال صفونها عنده . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٣ ) قال : « أو يصبح مأوها غورا » أي غائرا . والعرب قد تصف الفاعل بمصدره ، وكذلك الاثنين والجمع ، على لفظ المصدر ، قال عمرو بن كلثوم « تظل جياده نوحا عليه » . . . البيت : أي نائحات .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٤ ) قال بعد الشاهد السابق : وقال بك يبيك هشام بن المغيرة : « هريق . . . البيت » قال محققه : لعله هشام بن عتبة بن عمار بن الوليد بن المغيرة الخزومي . ه . والشاهد فيه كالشاهد في البيت الذي قبله ، يريد بقوله « نوحا » : نائحات ، وهذا في المصدر كثير . وضباع : مرخم ضباعة ، اسم امرأة .

والعرب توحد الغَور مع الجمع والاثنين ، وتذكر مع المذكر والمؤنث ، تقول : ماء غَور ، وماءان غَور ومياه غَور . ويعنى بقوله ( غَورًا ) ذاهبا قد غار في الأرض ، فذهب ، فلا تلحقه الرشاء .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَرُ يُصْبِحَ مَأْوُهَا غَورًا ) : أى ذاهبا قد غار في الأرض . وقوله ( فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ) يقول : فلن تُطبق أن تدرك الماء الذى كان فى جنتك بعد غَوره ، بطلبك إياه .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَحِيطَ بِشَمِيرِهِ ، فَأَصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره : وأحاط الملاك والجوائح بشميره ، وهى صنوف ثمار جنته ، التى كان يقول لها : ( ما أظنُّ أن تبديدَ هذه أبدًا ) فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين ، يقلب كفيه ظهرها لبطن ، تلهفها وأسفا على ذهاب نفقته التى أنفق فى جنته . ( وهى خاويةٌ على عروشها ) يقول : وهى خالية على نباتها وبيوتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ ) : أى يصفق كفيه ( عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ) متلهفًا على ما فاتته ، وهو يقول ( يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ) ويقول : يا ليتنى . يقول : يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته ، أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدًا ، يعنى بذلك : هذا الكافر إذا هلك ، وزالت عنه دنياه ، وانفرد بعمله ، ودَّ أنه لم يكن كفر بالله ، ولا أشرك به شيئًا .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فِئَةٌ ، وهم الجماعة ، كما قال العجاج :

« كَمَا يَحْوِزُ الْفِئَةُ الْكَمِيًّا » .

(١) البيت للعجاج من أرجوزة له معلولة ( أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكرى طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ١٨٤ ) وقوله :  
« يحوذهن وله حوذى . خوف الخلاط وهو أجنىسى . كما يحوذ الفئة الكمي . »

وقال فى شرحه : ويحوذ : يسوق ويطرده . وله حوذى : أى له ما يطردهن به . والكى : الشجاع . وأجنىسى : أى بجانب من ، تخوف ، لا يمكنهن من نفسه . اه . و ( فى اللسان : حوذ ) حاذ الإبل يحوذها : إذا حازها وجمعها ليسوقها . وحاذه يحوذه حوذًا : غلبه ، وحاذ الحمار أته : إذا استولى عليها وجمعها ، وكذلك حازها . والفئة : الفرقة والجماعة من الناس فى الأصل ، والطائفة التى تقيم وراء الجيش ، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجشوا إليهم .



وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا ، فإن معناهم نظير معناها فيه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( وَكَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال : عشيرته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) : أي جند ينصرونه . وقوله ( يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله : إذا عاقبه وعذبه .

وقوله ( وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ) يقول : ولم يكن ممنعا من عذاب الله إذا عذبه .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ) : أي ممنعا .  
وقوله ( هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ) يقول عز ذكره : ثم ، وذلك حين حلّ عذاب الله بصاحب الجنتين في القيامة .

واختلفت القراء في قراءة قوله الولاية ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة ( هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ ) بفتح الواو من الولاية ، يعنون بذلك هنالك الموالاتة لله ، كقول الله ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ) وكقوله ( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ) : يذهبون بها إلى الولاية في الدين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : ( هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ ) بكسر الواو : من الملئك والسلطان ، من قول القائل : وَايْتُ عمل كذا ، أو بلدة كذا ، إليه ولاية .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الواو . وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه ، وأن من أحلّ به نعمته يوم القيامة ، فلا ناصر له يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالملكة والسلطان ، أولى من الخبر عن الموالاتة ، التي لم يجر لها ذكر ولا معنى ، لقول من قال : لا يسمي سلطان الله ولاية ، وإنما يسمي ذلك سلطان البشر ، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفردا به ، دون جميع خلقه ، لأنه يكون أميرا عليهم .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( الْحَقِّ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق خفضا ، على توجيهه إلى أنه من نعت الله ، وإلى أن معنى الكلام : هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته ، لا الباطل بطول ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين ( لِلَّهِ الْحَقِّ ) برفع الحقّ توجيها منهما إلى أنه من نعت الولاية ، ومعناه : هنالك الولاية الحقّ ، لا الباطل ، لله وحده لا شريك له .

(١) لعل كلمة « بطول » هذه مقحمة من قلم الناسخ ، وأن الأصل : لا الباطل ألوهيته . . . الخ .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه خفضاً ، على أنه من نعت الله ، وأن معناه ما وصفت ، على قراءة من قرأه كذلك .

وقوله ( هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ) : يقول عزّ ذكره : خير للمنيبين في العاجل والآجل ثواباً ( وخَيْرٌ عُقْبًا ) : يقول : وخيرهم عاقبة في الآجل ، إذا صار إليه المطيع له ، العامل بما أمره الله ، والمنتهى عما نهاه الله عنه . والعُقْبُ : هو العاقبة ، يقال : عاقبة أمر كذا وعقباه وعقبته ، وذلك آخره ، وما يصير إليه منتهاه . وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة ( عَقْبًا ) بضم العين ، وتسكين القاف . والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا آتَىٰ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ،  
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٥٤)

يقول عزّ ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك : اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، إذا نحن جنناك الدنيا منهم مثلاً : يقول : شياً ( كَمَا آتَىٰ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ) يقول : كقطر أنزلناه من السماء إلى الأرض ( فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ) : يقول : فاختلط بالماء نبات الأرض ( فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ) يقول : فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً ( تَذْرُوهُ الرِّيحُ ) يقول : تطيره الرياح وتفرقه ، يقال منه : ذرته الريح تذرّوه ذرّوا ، وذرته ذرّياً ، وأذرته تذرّيه إذراء ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلَا تُجْهِدَنَّهُ فَيَذْرُكُ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَزْلُقِ ٢

يقال : أذريت الرجل عن الدابة والبعير : إذا ألقيته عنه .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ) يقول : وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ( مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ) وإهلاك أموال ذوى الأموال ، الباخلين بها عن حقوقها ، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم ، وغير ذلك مما يشاء ، قادر لا يعجزه شيء أرادته ، ولا يعييه أمر أرادته . يقول : فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله ، ولا يستكبر على غيره بها ، ولا يغترن أهل الدنيا بديناهم ، فإنما مثلها مثل هذا النبات الذى حسن استواؤه بالمطر ، فلم يكن إلا ريثاً أن انقطع

(١) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية ، وهى : عقبا ، بضم العين والقاف .

(٢) البيت لامرئ القيس بن حجر ( مختار الشعراء الجاهلي طبعه مصطفى الباقى الحلبي بشرح مصطفى السقا ص ١٢٥ ) قال في شرحه : فيذرْكُ : يضرعك ويلقك ، يقال : أذريت الشيء عن الشيء : إذا ألقيته . والقطاة : مقعد الرديف . يقول : قلت للغلام : صوب الفرس نحو القصد ، واخذ فحوه ، ولا تحمله على سرعة العدو ، فيلقيك من آخر القطاة . ويروى : من أعل القطاة .

عنه الماء ، فتناهى نهايته ، عاد يابساً تندروه الرياح ، فاسداً ، تنبو عنه أعين الناظرين ، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى ، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير .

## القول في تأويل قوله تعالى

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً (٤٦)

يقول تعالى ذكره : المال والبنون أيها الناس ، التي يفخر بها عينة والأقرع ، ويتكبران بها على سَلْمَانَ وخباب وصهيب ، مما يزين به في الحياة الدنيا ، وليس من عداد الآخرة ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً ) يقول : وما يعمل سَلْمَانُ وخَبَابٌ وصُهَيْبٌ من طاعة الله ، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا ، خيرٌ يا محمد عند ربك ثواباً . من المال والبنين ، التي يفتخر هؤلاء المشركون بها التي تفتنى ، فلا تبقى لأهلها ( وخَيْرٌ أَمْلاً ) يقول : وما يؤمل من ذلك سَلْمَانُ وصُهَيْبٌ وخَبَابٌ ، خير مما يؤمل عينة والأقرع ، من أموالهما وأولادهما . وهذه الآيات من لدن قوله ( وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ) إلى هذا الموضع ، ذُكِرَ أنها نزلت في عينة والأقرع .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العَدَنِيُّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، بن نصر ، عن السدي . عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خَبَابٍ في قوله ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام ، في قصة عينة والأقرع ، إلى قوله ( وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ) قال : عينة والأقرع ( وَأَتَّبِعَ هَوَاهُ ) قال : قال : ثم ضرب لهم مثلاً رجلين ، ومثل الحياة الدنيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالباقيات الصالحات ، اختلفت في المعنى بالدعاء الذي وصف جل ثناؤه به الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن طردهم ، وأمره بالصبر معهم . فقال بعضهم : هي الصلوات الخمس . وقال بعضهم : هي ذكر الله بالتسبيح والتكديس والتهليل . ونحو ذلك . وقال بعضهم : هي العمل بطاعة الله . وقال بعضهم : الكلام الطيب .

## ذكر من قال : هي الصلوات الخمس

حدثني محمد بن إبراهيم الأَتمَاطِيُّ ، قال : ثنا يعقوب بن كاسب ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال : سمعت عبد الله بن يزيد بن هُرْمُزَ ، يحدث عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنه قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثني زريق بن إسحاق ، قال : ثنا قبيصة . عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله ( وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق عن عمرو بن شريحيل في هذه الآية ( والباقيات الصالحات ) قال : هي الصلوات المكتوبات .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشَّورَى ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم ، قال ( الباقيات الصالحات ) : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ( والباقيات الصالحات ) قال : الصلوات الخمس .

ذكر من قال : هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك

حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة الأسدي ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حَيَّوَة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زُهْرَة بن مَعْبُدٍ القرشيّ من بني تيم ، من رهط أبي بكر الصديق ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هنّ لا إله إلا الله ، وسُبْحانَ الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زُرْعَة ، قال : ثنا حَيَّوَة ، قال : ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان بن عفان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هي لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .  
حدثني بن عبد الرحيم السُّبْرِيّ ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ورشد بن سعد ، قالوا : ثنا زُهْرَة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قالوا لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك ، عن عمارة بن عبد الله بن صيَّاد ، عن سعيد ابن المسيب ، قال ( الباقيات الصالحات ) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن نافع بن سرجس ، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن جريج ، وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن ، مولى سالم ابن عبد الله ، حدثه قال : أرسلني سالم بن محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له النَّقَسِي عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة ، قال : فالتقيا ، فسلم أحدهما على الآخر ، ثم قال سالم : ما تعدّ الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : ما زلت أجعلها ، قال : فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع ، قال : فأثبت ، قال سالم : أجل ، فأثبت ، فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَأُرِيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ ، ثُمَّ قَالَ : مَرُّ أُمَّتِكَ فَتَلْتُكْثِرُ مِنْ غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ، فَمِنْ تَرَبَّتْهَا طَيِّبَةً ، وَأَرْضُهَا وَأَسِعَةٌ ، فَقُلْتُ : وَمَا غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله ( والباقيات الصالحات خير ) قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله : هن الباقيات الصالحات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَكْبَرُوا مِنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمَلَّةُ ، قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك ، عن عمارة بن صياد ، أنه سمع سعيد

ابن المسيب يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني ابن التبرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنى ابن عجلان ، عن نوحارة بن صياد ، قال : سألت سعيد بن المسيب ، عن الباقيات الصالحات ، فقلت : الصلاة والصيام ، قال : لم تصب ، فقلت : الزكاة والحج ، فقال : لم تصب ، ولكنهن الكلمات الخمس : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ذكر من قال : هي العمل بطاعة الله عز وجل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخَيْرٌ أملاً ) قال : الأعمال الصالحة : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : هي ذكر الله قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله ، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات ، التي تبقى لأهلها في الجنة مادامت السموات والأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخَيْرٌ أملاً ) قال : الأعمال الصالحة .  
ذكر من قال : هي الكلم الطيب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : الكلام الطيب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : هن جميع أعمال الخير ، كالذي روى عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة ، وعليها يجازى ويثاب ، وإن الله عز ذكره لم يخص من قوله ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً ) بعضاً دون بعض في كتاب ، ولا يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي روينا عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هن من الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ، ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البر أيضاً باقيات صالحات .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا  
عَلَى رَبِّكَ صَفًّا : لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)  
يقول تعالى ذكره ( وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ) عن الأرض ، فُنَبِّسُهَا بَسًّا ، ونجعلها هباء منبثًا ( وتترى  
الأرض بَارِزَةً ) ظاهرة ، وظهورها لرأى أعين الناظرين ، من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر ، هو بروزها .  
وبنحو ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وتترى الأرض بَارِزَةً ) قال : لا تخمر فيها  
ولا غيبابة ، ولا بناء ولا حَجَرٍ فيها .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وتترى الأرض بَارِزَةً ) ليس عليها  
بناء ولا شجر . وقيل : معنى ذلك : وتترى الأرض بارزا أهلها ، الذين كانوا في بطنها ، فصاروا على ظهرها .  
وقوله ( وَحَشَرْنَاهُمْ ) يقول : جمعناهم إلى موقف الحساب ( فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) ،  
يقول : فلم نترك ، ولم نبق منهم تحت الأرض أحدا ، يقال منه : ما غادرت من القوم أحدا . وما أغدرت  
منهم أحدا ، ومن أغدرت قول الراجز :

هَلْ لَكَ وَالْعَارِضُ مِنْكَ عَائِضٌ فِي هَجْمَةٍ يَغْدِرُ مِنْهَا الْقَائِضُ  
وقوله ( وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ) يقول عز ذكره : وعرض الخلق على ربك يا محمد صفا ( لَقَدْ  
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) يقول عز ذكره : يقال لهم إذ عرضوا على الله : لقد جئتمونا  
أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة ، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام .  
وقوله ( بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ) وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، من ثلاثة أبيات أوردها (اللسان : عرض) والثالث قبلهما ، وهو : ياليل أسفك البريق الوامض «  
وهي لأبي محمد الفقعسي ، قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها ، ورغبها في أن تنكحه ، فقال : هل لك رغبة في مئة من الإبل  
أو أكثر من ذلك ، لأن الهجمة أو لها الأربعون ، إلى ما زادت ، يجعلها لها مهرا . قال : وفيه تقديم وتأخير ، والمعنى هل لك في مئة من  
الإبل أو أكثر ، يسر منها قابضها الذي يسوقها ، أي يبق ، لأنه لا يقدر على سوقها ، لكثرتها وقوتها ، لأنها تفرق عليه . ثم قال :  
والعارض منك عائض ، أي المعطي بدل بضمك عرضا عائض ، أي أخذ عوضا منك بالتزويج ، يكون كفاء لما عرض منك . ويقال  
عضت أعضا : إذا اعتضت عوضا ، ( بكسر العين في الماضي ) وعضت أعوض ( بضم عين الماضي ) : إذا عوضت عوضا ، أي  
دفعت . فقوله عائض من عضت ( بالكسر ) لا من عضت ( بالضم ) . ومن روى « يغدر » : أراد يترك ، من قولهم غادرت  
الشيء . قال ابن بري : والذي : في شعره : « والعائض منك عائض » : أي والعوض منك عوض ، كما تقول : الهبة منك هبة ،  
أي لها موقع . اه - قلت : في رواية اللسان لهذا الرجز « يسر » أي يبق ، في موضع « يغدر » .

به الجميع ، والمراد منه الخصوص ، وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل ، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث . ومعلوم أنه لا يُقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا ، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة . بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات ، والحشر إلى القيامة موعدا ، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

يقول عز ذكره : ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم ، فأخذ واحد بيمينه ، وأخذ واحد بشماله . ( فتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ) يقول عز ذكره : فتري المجرمين المشركين بالله . مشفقين : يقول : خائفين وجلين مما فيه مكتوب ، من أعمالهم السيئة ، التي عملوها في الدنيا ، أن يؤاخذوا بها ( وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! ) يعني أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم ، ورأوا ما قد كتبت عليهم فيه من صفائر ذنوبهم وكبائرهم ، نادوا بالويل ، حين أيقنوا بعذاب الله ، وضجروا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة ، التي قد أحصاها كتابهم ، ولم يقدرُوا أن ينكروا صحتها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! ) : اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء ، ولم يشتك أحد ظلما ، فإياكم والمحقرات من الذنوب ، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلا ، يقول : كمثل قوم انطلقوا يسرون ، حتى نزلوا بفلاة من الأرض ، وحضر صنيع القوم ، فانطلق كل رجل يحتطب ، فجعل الرجل يحجى بالعود ، ويحجى الآخر بالعود ، حتى جمعوا سوادا كثيرا ، وأحججوا نارا ، فإن الذنب الصغير ، يجتمع على صاحبه حتى يهلكه . وقيل : إنه عُسِي بالصغيرة في هذا الموضع : الضحك .

### ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الزبَّال بن عمرو ، عن عباس ( لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ) قال : الضحك .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبي ، قال : حدثتني أمي حمادة ابنة محمد ، قالت : سمعت أبي محمد ابن عبد الرحمن يقول في هذه الآية ، في قول الله عز وجل : ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ) قال : الصغيرة : الضحك .

ويعني بقوله ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ ) : ما شأن هذا الكتاب ( لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ) يقول : لا يُبْقِي صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها ( إِلَّا أَحْصَاهَا ) . يقول : إلا حفظها ( وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا )



في الدنيا من عمل ( حاضرًا ) في كتابهم ذلك مكتوبًا مُثَبَّتًا ، فجوزوا بالسيئة مثلها ، والحسنة ما الله جازيهم بها ( وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) يقول : ولا يجازي ربك أحداً يا محمد ، بغير ما هو أهله ، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان ، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة ، وذلك هو العدل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ؟ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)

يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ، ومُعَدِّمِهِمْ ما كان منه من كبره واستكباره عليه ، حين أمره بالسجود له ، وأنه من العداوة والحسد لهم ، على مثل الذي كان عليه لأبيهم : ( وَ ) اذكر يا محمد ( إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ) الذي يطيعه هؤلاء المشركون ، ويتبعون أمره ، ويخالفون أمر الله ، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله ، وحسداً لآدم ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) . واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) فقال بعضهم : إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن . وقال آخرون : بل كان من خُزْرَانَ الجنة ، فنُسب إلى الجنة . وقال آخرون : بل قيل من الجن ، لأنه من الجن الذين استنجنوا عن أعين بني آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزرازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر ، وكان من حى يسمى جناً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجن ، خلُقوا من نار السموم ، من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خُزْرَانَ الجنة . قال : وخلقّت الملائكة من نور غير هذا الحى . قال : وخلقّت الجن الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار ، الذي يكون في طرفها إذا التهب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) قال : كان إبليس من خُزْرَانَ الجنة ، وكان يديه أم سماء الدنيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض ، وكان فيما قضى الله ، أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله ، فلما كان عند السجود ، حين أمره أن يسجد لآدم ، استخرج الله كبره عند السجود ، فلغنه وأخره إلى يوم الدين . قال : قال ابن عباس : وقوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) إنما سمي بالجنان أنه كان خازنا عليها . كما يقال للرجل : مكى ، ومدنى ، وكوفى ، وبصرى ، قاله ابن جريج . وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قبيلة ، وكان اسم قبيلته الجن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة ، وشريك بن أبي نمر ، أحدهما أو كلاهما ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخط الله عليه ، فسخره شيطانا رجيا ، لعنه الله مسوخا . قال : وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه . وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه ، وكانت خطيئة آدم في معصية ، وخطيئة إبليس في كبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) قبيل من الملائكة يقال لهم الجن . وقال ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ، وكان على خزائنه السماء الدنيا . قال : وكان قتادة يقول : جن عن طاعة ربه . . وكان الحسن يقول : ألجأه الله إلى نسيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) قال : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان إبليس على السماء الدنيا ، وعلى الأرض ، وخازن الجنان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد . قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف الملائكة ، وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا ، وسلطان الأرض ، وكان مما سألته نفسه من قضاء الله ، أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله ، فاستخرج الله ذلك الكبر منه ، حين أمره بالسجود لآدم فاستكبر ، وكان من الكافرين . فذلك قوله للملائكة ( إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ) : يعنى : ما أسر إبليس في نفسه من الكبر .

وقوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) كان ابن عباس يقول : قال الله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) لأنه كان خازنا على الجنان ، كما يقال للرجل : مكى ، ومدنى ، وبصرى ، وكوفى .

وقال آخرون : كان اسم قبيلة إبليس الجن ، وهم سببط من الملائكة ، يقال لهم الجن ، فلذلك قال الله عز وجل ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) ، فنسبه إلى قبيلته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) قال : من الجنان الذين يعملون في الجنان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو سعيد اليمامى إسمايل بن إبراهيم ، قال : ثنا سوار بن الجعد اليمامى ، عن شهر بن حوشب ، قوله ( مِنَ الْجِنِّ ) قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة ، فذهب به إلى السماء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا إبليسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) قال : كان خازن الجنان ، فسمى بالجنان . حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن سفيان بن أبي المقدم ، عن سعيد ابن جبير ، قال : كان إبليس من خزنة الجنة .

وقد بينا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، وذكرنا اختلاف المتكلمين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) يقول : فخرج عن أمر ربه ، وعدل عنه ومال ، كما قال رؤبة :  
يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرًا غَائِرًا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا  
يعنى بالفواسق : الإبل المنعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد ، والميل عن الاستقامة ، ويحكى عن العرب سماعا : فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ مِنْ قَشْرِهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ ، وَفَسَقَتِ الْفَأْرَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) لأنه مراد به : فسق عن ربه أمر الله ، كما تقول العرب : آتخمت عن الطعام ، بمعنى : اتخمت لما أكلته . وقد بينا القول في ذلك ، وأن معناه : عدل وجار عن أمر الله ، وخرج عنه . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى الفِسْقُ : الاتساع . وزعم أن العرب تقول : فسق في النفقة : بمعنى اتسع فيها . قال : وإنما سمي الفاسق فاسقا ، لاتساعه في محارم الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤية ، أوردهما صاحب مجموع أشعار العرب ج ٣ في ملحق ديوان رؤبة ص ١٩٠ والبيت الثاني في (اللسان : فسق) . والشاهد في قوله : فواسقا بمعنى خوارج . وقد استشهد بهما أبو عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤٠٦) قال : فسق عن أمر ربه : جار عنه ، وكفر به . وقال رؤبة : « يهوين . . . الخ » ، وما قاله المؤلف شبيه بما قال أبو عبيدة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( فَتَمَسَّقَ عَنْهُ أُمُّ رَبِّهِ ) قال : في السجود لآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( فَتَمَسَّقَ عَنْهُ أُمُّ رَبِّهِ ) قال : عَصَى فِي السَّجُودِ لَأَدَمَ .

وقوله ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ) يقول تعالى ذكره : أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده ، وكفر نعمتي عليه ، وغره حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها ، إلى الأرض وضيق العيش فيها ، وتطيعونه وذريته من دون الله ، مع عداوته لكم قديما وحديثا ، وتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم ، بأن أعبد لوالدكم ملائكته ، وأسكنه جناته ، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده ، وذرية إبليس : الشياطين الذين يغفرون بني آدم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ) قال : ذريته : هم الشياطين ، وكان يعدّهم « زلنبيورا » : صاحب الأسواق ، ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض ، و« تسبر » : صاحب المصائب ، و« الأعور » : صاحب الزنا ، و« مسوط » : صاحب الأخبار ، يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس ، ولا يجدون لها أصلا ، و« داسم » الذي إذا دخل الرجل بيته ، ولم يسلم ولم يذكر الله ، بصره من المتاع ما لم يرفع ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : سمعت الأعمش يقول : إذا دخلت البيت ولم أسلم ، رأيت مطهرة ، فقلت : ارفعوا ارفعوا ، وخاصمتهم ، ثم أذكر فأقول : « داسم ، داسم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هم أربعة تسبر ، وداسم ، وزلنبور ، والأعور ، ومسوط : أحدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ) . . . الآية ، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وهم لكم عدو .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ) وهو أبو الجن . كما آدم أبو الإنس . وقال : قال الله لإبليس : إني لا أذرا لآدم ذرية ، إلا ذرات لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به .

وقوله ( يتنس للظالمين بدلا ) يقول عز ذكره : ينس البدل للكافرين بالله ، اتخذ إبليس وذريته أولياء من دون الله ، وهم لكم عدو ، من تركهم اتخذ الله ، وليا باتباعهم أمره ونبيه ، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم ، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا .

(١) زلنبور وما عطف عليه من أسماء أولاد إبليس : مذكورة في ( التاج : زلنبور ) ، نقلها عن الأزهري في التهذيب في الحماس ، والغزالي في الإحياء ، والصاغاني في التكملة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يئس لِبَاطِلِ الَّذِينَ بَدَلُوا ) : بئسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

عَضُدًا (٥١)

يقول عز ذكره : ما أشهدت إبليس وذريته ( خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : يقول : ما أحضرتهم ذلك ، فأستعين بهم على خلقها ( وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ) يقول : ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم ، فأستعين به على خلقه ، بل تفردت بخلق جميع ذلك ، بغير معين ولا ظهير ، يقول : فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني ، وهم خلق من خلق أمثالهم ، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم ، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني ، منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير .

وقوله ( وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ) يقول : وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق ، ولكنه يضل ، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل ، أعوانا وأنصارا ، وهو من قولهم : فلان يعضد فلانا إذا كان يقويه ويعينه .

وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ) : أي أعوانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وإنما يعنى بذلك أن إبليس وذريته يضلون بني آدم عن الحق ، ولا يهدونهم للرشد ، وقد يحتمل أن يكون عنى بالضلّين الذين هم أتباع على الضلالة ، وأصحاب على غير هدى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ

مَوْبِقًا (٥٢) وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)

يقول عز ذكره : ( وَيَوْمَ يَقُولُ ) الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد : ( نَادُوا شُرَكَائِيَ )

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ) يقول لهم : ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة ، لينصروكم ويمنعوكم مني .  
( قَدْ عَوْهُمُ فَلَسْمُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ) يقول : فاستغاثوا بهم ، فلم يغيثوهم . ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا  
يدعون من دون الله شركاء في الدنيا ، يومئذ عداوة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله  
( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : جعل بينهم عداوة يوم القيامة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن عوف ، عن الحسن ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : عداوة :

وقال آخرون : معناه : وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا  
بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : مهلكا .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَوْبِقًا )  
قال : هلاكاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : الموبق : المهلك ، الذي أهلك بعضهم بعضاً فيه ، أوبق بعضهم بعضاً . وقرأ ( وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ  
مَوْعِدًا ) .

حدثت عن محمد بن يزيد ، عن جوير ، عن الضحاك ( مَوْبِقًا ) قال : هلاكاً .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عرفة ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : مهلكاً .

وقال آخرون : هو اسم واد في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عمرو البكالي :  
( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واد عميق ، فنُصِّلَ به بين أهل الضلالة وأهل الهدى ، وأهل الجنة  
وأهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) ذكر  
لنا أن عمرو البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو واد عميق ، فُرِقَ به يوم القيامة بين أهل الهدى  
وأهل الضلالة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الحجاج بن أرطاة ، قال : مجاهد قال : ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واديا في النار .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس ابن مالك يقول في قول الله عزّ وجلّ ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واد في جهنم من قيح ودم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، ومن وافقه في تأويل الموبق : أنه المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلانا : إذا أهلكته . ومنه قول الله عزّ وجلّ ( أَوْ يُوْبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ) بمعنى : يهلكهن . ويقال للمهلك نفسه : قد وبقّ فلان ، فهو يُوْبِقُ وِبِقًا . ولغة بني عامر : يابق بغير همز . وحكى عن تميم أنها تقول : يَبِيقُ . وقد حكي وِبَقَّ وِبِيقًا وِبِيقًا ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : الموبق : الموعد ، ويستشهد لقلبه ذلك بقول الشاعر :

وحادَ شُرُورِي فَالَسْتَارَ فَلَمْ يَدَعْ تِعَارًا لَهُ وَالْوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِي

ويتأوله بموعد . وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جلّ ثناؤه بين هؤلاء المشركين ، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو . وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن .

وقوله ( ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ ) يقول : وعين المشركون النار يومئذ ( فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ) يقول : فعلموا أنهم داخلوها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ) قال : علموا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّ الْكَافِرَ يَرَى جَهَنَّمَ ، فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ ، مِنْ مَسِيرَةِ أَرْضِ بَعِينَ سَنَةٍ » .

(١) البيت في (اللسان : وبق) قال : وبق الرجل يبق وبقا ووبوقا (من باب ضرب) ووبق (من باب حسب) وبقا ، واستوبق هلك وأوبقه هو . والموبق : مفعول (بكسر العين) منه ، كالموعد مفعول من وعد يعد . ومنه قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقا » قال الغراء : يقول جعلنا توأصلهم في الدنيا موبقا : أي مهلكا لهم في الآخرة . وقال ابن الأعرابي : موبقا : أي حاجزا ، وكل حاجز بين شيئين فهو موبق . وقال أبو عبيد : الموبق : الموعد ، في قوله « وجعلنا بينهم موبقا » واحتج بقوله : « وحاد شروري . . . البيت معناه : بموعد . وحاد شروري : نأى عنها وهي جبل بين العمق والمعدن ، في طريق مكة إلى الكوفة ، بين بني أسد وبني عامر . والستار جبل بالحجاز معروف ، أسفل من النجاج . وتعار : جبل أيضا ، ببلاد قيس .

وقوله (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) يقول: ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلا يعدلون عنها إليه ، يقول: لم يجدوا من موارقتها بدءا ، لأن الله قد حم عليهم ذلك ، ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهذلي :  
أَزْهَبِي هَلْ عَن شَيْبَةِ مِّنْ مَّصْرِفٍ أَمْ لَأَخْلُودَ لِبِأَذِلِّ مُتَّكَلِّفٍ

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ  
جَدَلًا (٥٤)

يقول عز ذكره : ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، ووعظناهم فيه من كل عظة ، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ، ليتذكروا فينبوا ، ويعتبروا فيتعتوا ، وينزجروا عما هم عليه مقيمون ، من الشرك بالله وعبادة الأوثان ( وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ) يقول : وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة ، لا ينيب لحق ، ولا ينزجر لموعظة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ) قال : الجدال : الخصومة ، خصومة القوم لأنبيائهم ، وردهم عليهم ما جاءوا به . وقرأ : ( مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ) . وقرأ : ( يَرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ ) . وقرأ ( حَتَّى تَوْتِي ) . الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ) . الآية . وقرأ ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) قال : هم ليس أنت . ( لَقَالُوا : إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ  
الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)

يقول عز ذكره : وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله . إذ جاءهم الهدى : بيان الله ، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته ، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم ، إلا يجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم ، أو إتيانهم العذاب قبلا .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو يأتهم العذاب فجأة .

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، وهو في القم الثانی من ديوان الهذليين طبعة دار الكتب ص ١٠٤ مطلع قصيدة له . وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن : ١ : ٤٠٧ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ولم يجدوا عنها مصرفا » : أي معدلا . وقال أبو كبير الهذلي : أزهر . . . الخ البيت .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ) قال : فجأة حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون : معناه : أو يأتيهم العذاب عيانا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ) قال : قُبُلًا : معاينة ، ذلك القُبُل . وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة ذات عدد ( أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ) بضم القاف والباء ، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ، ووجهوا القُبُل إلى جمع قبيل ، كما يُجمع القَتيل ، القَتيل ، والجديد الجُد . وقرأ جماعة أخرى ( أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قِبَلًا ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم : كلمته قِبَلًا . وقد بينت القول في ذلك في سورة الأنعام ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦)

يقول عز ذكره : وما نرسل رسلنا إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله ، بجزيل ثوابه في الآخرة . ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب ، عظيم عقابه ، وأليم عذابه ، فينتهوا عن الشرك بالله ، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه . ( وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ) يقول : ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل ، ذلك كقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يُندَر ما شأنهم ، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ، وما أشبه ذلك ، مما كانوا يخاصمون به ، ينتغون إسقاطه ، تعنيتم له صلى الله عليه وسلم ، فقال الله لهم : إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجيدال والخصومات ، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالحق ، ومنذرين أهل الكفر بالنار ، وأنتم تجادلونهم بالباطل ، طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي ، وعسى بقوله ( لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ) : ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويندوهوا به ، يقال منه : دَحَضَ الشئُ : إذا زال وذهب ، ويقال : هذا مكان دَحَضَ : أي مُزِل مُزَلِّق ، لا يثبت فيه خوف ولا حافر ولا قدم ، ومنه قول الشاعر :

رَدَيْتُ وَنَجَى الْيَشْكُرِي حَيْدَارُهُ وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ ١

ويروى : ونجى ، وأدحضته أنا : إذا أذهبته وأبطلته .

وقوله ( وَاَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا ) يقول : واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم . وكتابه الذي أنزله إليهم ، والنذر التي أنذرهم بها سحرها يسخرون بها ، يقولون : ( إن هذا إلا آساطير الأوليين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ) و ( لَوَشِئْنَا لَنَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)

يقول عز ذكره : وأي الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعهما ، ممن ذكّره بآياته وحججه ، فدلّه بها على سبيل الرشاد ، وهداه بها إلى طريق النجاة . فأعرض عن آياته وأدلتها ، التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك ( ونسي ما قدّمت يدها ) يقول : ونسى ما أسلف من الذنوب المهلكة ، فلم يتنب ، ولم يتنب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ونسي ما قدّمت يدها ) : أي نسي ما أسلف من الذنوب .

وقوله ( إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكّروا بها ، أغشية ، لتلا يفقهوه ، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكّروا به . وقوله ( وفي آذانهم وقراً ) يقول : في آذانهم ثقلاً ، لتلا يسمعه ( وإن تدعهم إلى الهدى ) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن تدع يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها ، إلى الاستقامة على حجة الحق والإيمان بالله ، وما جئهم به من عند ربك ( فلن يهتدوا إذاً أبداً ) يقول : فلن يستقيموا إذاً أبداً على الحق ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه ، لأن الله قد طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم .

(١) البيت في (اللسان : دحض) وفي التاج وأساس البلاغة ، منسوباً إلى طرفه ، ولا يوجد في شعر الشعراء الستة ( مختار الشعر الجاهلي ) وغيره . وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين في الملحق بشعر طرفه مقطوعة صادية مطلعها :

أبا مُتَسَدِّرٍ كَانَتْ عَرُورًا صَحِيفَتِي      وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة ، وإن كان شاملاً في كتب الأدب واللغة . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ٤٠٨ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ليدحضوا به الحق » : مجازة : ليزيلوا به الحق ، ويذهبوا به . ويقال مكان دحض . . . البيت : أي مزك مزلق ، لا يثبت فيه خف ولا قدم ولا حافر . قال طرفه « رديت ونجى . . . » .  
وفي (اللسان : دحض) ، وشاهد الدحض قول طرفه : « رديت . . . » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده ، بغفوه عنهم إذا تابوا منها ، ذو الرحمة بهم ، لو يؤاخذهم بما كسبوا هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام ، ( لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ) ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم ، ( بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ ) يقول : لكن لهم موعد ، وذلك ميقات محل عذابهم ، وهو يوم بدر ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) يقول تعالى ذكره : لن يجد هؤلاء المشركون ، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ، مسلجنا يلجئون إليه ، ومنجى ينجون منه ، يعنى أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله ، يقال منه وألت من كذا : إلى كذا ، أثل وعولا ، مثل وعولا : ومنه قول الشاعر :

لَا وَاءَ لَتًا نَفْسُكَ خَلَّيْتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَكَمْ تَكَلَّمَا

يقول : لانتجت ، وقول الأعشى :

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفَلْتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي تَمَّ مَا يَنْبِئُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَوْثِقًا ) قال : محرز . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) : يقول : ملجأ .

(١) البيت : من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة : ١٨٧ ) قال : وقوله : « لن يجدوا من دونه موثقا » : الموثل : المنجى ، وهو الملجأ والمعنى واحد . والعرب تقول : إنه ليوائل إلى موضعه . يريدون : يذهب إلى موضعه وحزره . وقال الشاعر : « لا واءلت نفسك . . . » البيت . يريدون : لانتجت . وفي ( اللسان : وأل ) قال أبو الهيثم : يقال : وأل يثل وألا ووالثة ، وواول يواثل مواءة ووثالا . وقال الليث : المآل والموثل : الملجأ .

(٢) البيت من لامية الأعشى ميمون بن قيس ( ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩ ) قال : خلس الشيء سرقه وأخذته خفية . ما يثل : ما ينجو ، والماضي وأل : أي نجا . يقول : وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ، ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه من الخدر . وهو أيضا من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٨ ) كالشاهد السابق ، في تفسير قوله تعالى : « لن يجدوا من دونه موثقا » ، قال : وقال الأعشى : « وقد أخالس . . . البيت . أي لا ينجو . »

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا ) : أى لن يجدوا من دونه وليا ولا ملجأ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا ) قال : ليس من دونه ملجأ يلجئون إليه .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة ، أهلكتنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته ، ( وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا ) يعنى ميقانا وأجلا ، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به ، يقول : فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد ، الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا ، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكتناهم ، سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا ) قال : أجلا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( لِمَهْلِكِهِمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بضم الميم ، وفتح اللام ، على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكتوا إهلاكا . وقرأه عاصم ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بفتح الميم واللام ، على توجيهه إلى المصدر من هلكوا هلاكا ومهلكا .

وأولى القراءتين بالصواب عندى في ذلك : قراءة من قرأه ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بضم الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القراء عليه ، واستدلوا بقوله ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ ) فإن يكون المصدر من أهلكتنا ، إذ كان قد تقدم قبله ، أولى . وقيل : أهلكتناهم ، وقد قال قبل : ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ) ، لأن الإهلاك إنما حل بأهل القرى ، فعاد إلى المعنى ، وأجريت الكلام عليه دون اللفظ .

وقال بعض نحوي البصرة : قال ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ) يعنى أهلها ، كما قال ( وَأَسْتَلِ الْقَرْيَةَ ) ولم يجئ بلفظ القرى ، ولكن أجرى اللفظ على القوم ، وأجرى اللفظ في القرية عليها إلى قوله ( الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا ) ، وقال ( أَهْلَكْنَاهُمْ ) ولم يقل : أهلكتناها ، حملة على القوم ، كما قال : جاءت تميم ، وجعل الفعل لبنى تميم ، ولم يجعله تميم ، ولو فعل ذلك لقال : جاء تميم ، وهذا لا يحسن في نحو هذا ، لأنه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضع ، فجعله اسما ، ولم يحتمل إذا اعتل أن ي حذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بنى تميم ، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئا قبل تميم . وقال بعضهم : إنما جاز أن يقال : تلك القرى أهلكتناهم ، لأن القرية قامت مقام الأهل ، فجاز أن ترد على الأهل مرة ، وعليها مرة ، ولا يجوز ذلك في تميم ، لأن القبيلة تعرف به ، وليس تميم هو القبيلة ، وإنما عرفت القبيلة به ، ولو كانت القبيلة

قد سميت بالرجل لبحرت عليه ، كما تقول : وقعت في هود ، تريد في سورة هود ، وليس هود اسما للسورة ، وإنما عرفت السورة به ، فلو سميت السورة بهود لم يجر ، فقلت وقعت في هود يا هذا ، فلم يجر ، وكذلك لو سمي بنى تميم تميميا لقبل : هذه تميم قد أقبلت ، فتأويل الكلام : وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا ، وجعلنا لإهلاكهم موعدا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)

يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع : ( لا أبرح ) يقول : لا أزال أسير ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا أبرح ) قال : لأنتهى . وقيل : عنى بقوله ( مجمع البحرين ) اجتماع بحر فارس والروم ، والمجمع : مصدر من قولهم : جمع يجمع .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) والبحران : بحر فارس وبحر الروم ، وبحر الروم مما يلي المغرب ، وبحر فارس مما يلي المشرق .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( مجمع البحرين ) قال : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد ( مجمع البحرين ) قال : بحر الروم ، وبحر فارس ، أحدهما قبيل المشرق ، والآخر قبيل المغرب .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال ( مجمع البحرين ) ١ :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، في قوله ( لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ) قال : طنجة .

وقوله ( أو أمضي حُقُبًا ) يقول : أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد ، ويجمع كثيره وقليله : أحقاب ، وقد تقول العرب : كنت عنده حِقْبَةٌ من الدهر ، ويجمعونها حُقُبًا . وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ( لا أبرح ) : أي لأزول ، ويستشهد لقوله ذلك بيت الفرزدق :

فَمَا بَرَحُوا حَتَّىٰ تَهَادَّتْ نِسَاؤُهُمْ بَيْطُنُحَاءِ ذِي قَارِ عِيَابِ اللَّطَائِمِ ٢

يقول : ما زالوا .

(١) يفاض بالأصل ، وفي الدر عن ابن عباس « تفسير مجمع البحرين : ملتقى البحرين » .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي ص ٧٧٣ من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، عدتها تسعة أبيات =

وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحُقْبُ في لغة قيس : سنة . فأما أهل التأويل فإنهم يقولون : في ذلك ما أنا ذاكره ، وهو أنهم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو ثمانون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن هشيم ، قال : ثنا أبو بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الحُقْبُ : ثمانون سنة .

وقال آخرون : هو سبعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أو أمّضِي حَقْبًا ) قال : سبعين خريفًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون في ذلك ، بنحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أو أمّضِي حَقْبًا ) قال : دهرًا .

حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( حَقْبًا ) قال : الحَقْبُ : زمان .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ( أو أمّضِي حَقْبًا ) قال : الحُقْبُ : الزمان .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حَوْثَهُمَا ، فَاتَّخَذَ سَدِيدُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)

يعنى تعالى ذكره : فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين ، كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ) قال : بين البحرين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( نَسِيًا حَوْثَهُمَا ) يعنى بقوله : نسيًا : تركًا .

والواو في برحوا عائدة على بني تميم الذين فخر بأعمالهم في يوم ذي قار ؛ والعياب : جمع عيبة ، وهى الحقيبة والعلاتم : جمع لطيمة ، وهى الإبل يحمل عليها البز والطيب خاصة . والبيت شاهد على أن بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله « لا أبرح » أى لا أزال .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نَسِيًا حَوْتَهُمَا ) قال : أضلاه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أضلاه .  
قال بعض أهل العربية : إن الحوت كان مع بُوشَع ، وهو الذي نسيه ، فأضيف النسيان إليهما ، كما قال ( يَخْرُجُ مِنْهُمَا الدُّوْلُوُّ وَالْمَرْجَانُ ) وإنما يخرج من الملح دون العذب<sup>١</sup> .  
وإنما جاز عندي أن يقال ( نَسِيًا ) لأنهما كانا جميعا تزوداه لسفرهما ، فكان حمل أحدهما ذلك ، مضافا إلى أنه حمل منهما ، كما يقال : خرج القوم من موضع كذا ، وحملوا معهم كذا من الزاد ، وإنما حمله أحدهم ، ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم ، أضيف ذلك إلى جميعهم ، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع ، قيل نسي القوم زادهم ، فأضيف ذلك إلى الجميع ، بنسيان حامله ذلك ، فيجري الكلام على الجميع ، والفعل من واحد ، فكذلك ذلك في قوله ( نَسِيًا حَوْتَهُمَا ) لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها ، وما يتعارفونه بينهم من الكلام .

وأما قوله ( يَخْرُجُ مِنْهُمَا الدُّوْلُوُّ وَالْمَرْجَانُ ) فإن القول في ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه ، وسببنا إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه .

وأما قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سَرَبًا .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : الحوت اتخذ . ويعني بالسَرَبِ : المسلك والمذهب ، يَسْرُبُ فيه : يذهب فيه ويسلكه . ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبيله في البحر سَرَبًا ، فقال بعضهم : صار طريقه الذي يسلك فيه كالبحر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( سَرَبًا ) قال : أثره كأنه حجر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « ما انجاب ماءً مستدٌ كان الناس غيره نُتِبَتْ مَكَانُ الْحَوْتِ اللَّذِي فِيهِ<sup>٢</sup> فانجاب كالكنوة حتى رجعَ إليهِ مُوسَى ، فرأى مسلكه ، فقال ذلك ما كننا نبتغي » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ،

(١) هذا كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ الورقة ١٨٩) .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في الدر هكذا : غير بيت ماء كان الحوت دخل منه . الخ . وفي تفسير ابن كثير : غير مسير مكان

الحوت . الخ .

عن ابن عباس ، في قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء ، قال ابن عباس ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) وحلَّق بيده .  
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر ماء جامدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سرب : من الجرّ حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك ، فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا .  
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر حجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا ييس ، حتى يكون صخرة .  
وقال آخرون : بل إنما اتخذ سبيله سربا في البر إلى الماء ، حتى وصل إليه ، لاني البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : حُسِير الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله . قال ابن زيد : وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال : أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة ، وشيق آخر ليس فيه شيء .  
والصواب من القول في ذلك : أن يقال ، كما قال الله عز وجل : واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا .  
وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض ، وجائز أن يكون كان بتحوّله حجرا .  
وأصح الأقوال فيه ما روى الخبير به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي ذكرنا عن أبي ، عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُ غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)

يقول تعالى ذكره : فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين ، قال موسى لفتاه يوشع ( آتينا غداءنا ) يقول : جئنا بغدائنا وأعطيناه ، وقال : آتينا غداءنا ، كما يقال : أتى الغداء وأتيته ، مثل ذهب وأذهبته ، ( لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ) يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا . وقال ذلك موسى ، فيما ذكر ، بعد ما جاوز الصخرة ، حين ألقى عليه الجوع ، ليتذكر الحوت ، ويرجع إلى موضع مطلبه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)

(١) في ( البخاري : كتاب التفسير ، من رواية سعيد بن جبير ) : وحلق بين إبهاميه واللتين تليانها .

(٢) لعل المراد بالبحر هنا : الوهدة من الأرض ، كما في ( اللسان : جر ) .



يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لننطمع: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ) هنالك (وَمَا أُنْسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يقول: وما أنساني الخوت إلا الشيطان (أَنْ أَذْكَرُهُ) فأن: في موضع نصب، رداً على الخوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الخوت إلا الشيطان سبق الخوت إلى الفعل، وردّ عليه قوله (أَنْ أَذْكَرُهُ) وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان.

حدثني بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، حدثني العباس بن الوليد، قال: سمعت محمد بن معقل، يحدث عن أبيه، أن الصخرة التي أوى إليها موسى، هي الصخرة التي دون نهر الذئب، على الطريق (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) يعجب منه.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: موسى يعجب من أثر الخوت في البحر، ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضيراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى لما اتخذ سبيله في البحر عجباً، يعجب من سرب الخوت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: عَجِبَ اللهُ: حوت كان يؤكل منه أدهراً، أى شيء أعجب من حوت كان دهوراً من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً، حتى حشير في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الخوت لايمس شيئاً من البحر إلا يبس، حتى يكون صخرة، فجعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحسن بن عطية، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: يعني كان سرب الخوت في البحر لموسى عجباً.

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)

يقول تعالى ذكره: (فقال) موسى لفتاه (ذلك) يعني بذلك: نسيانك الخوت (ما كننا ننبغ) يقول: الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قبيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الخوت.

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ) قال موسى : فذلك حين أخبرت أنى واجد خَضِرًا حيث يفوتني الحوت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : حيث يفارقنى الحوت .

وقوله ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) يقول : فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ، ناكصين على أدبارهما ، يقصان آثارهما التي كانا سلكماهما .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( قَصَصًا ) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت ، فشقا البحر راجعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر ، وموسى وفتاه راجعان ، وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : رجعا عودهما على بدئهما ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ » ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ( أى يَقْصَانِ آثَارِهِمَا ، حتى انتهت إلى مدخل الحوت ) .  
وقوله ( فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ) يقول : وهبنا له رحمة من عندنا ( وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) يقول : وعلمناه من عندنا أيضا علما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) : أى من عندنا علما .  
وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ، ولقائه هذا العالم الذى ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر ، أن موسى سئل ، هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال : لا ، أو حدثته نفسه بذلك ، فكره ذلك له ، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه ، وأنه لم يكن له أن يحسب على ما لا علم له به ، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى علمه .

وقال آخرون : بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدلّه على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : سألت موسى ربه وقال : رب أيّ عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذي يقضى بالحق ، ولا يتبع الهوى . قال : أي رب أيّ عبادك أعلم ؟ قال : الذي يتبعني علم الناس إلى علم نفسه ، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو ترده عن ردى . قال : رب فهل في الأرض أحدا ؟ قال : نعم ؛ قال : رب ، فمن هو ؟ قال : الخضر ؛ قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت ؛ قال : فخرج موسى يطلبه ، حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى إليه موسى عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إني أريد أن تستصحبني ، قال : إنك لن تطيق صحبتي ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتي ( فلما تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا ، حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ، قال : أخرجتتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا إمرا . قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسرا . فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاما فقتله ، قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيئا نكرا ) . . . إلى قوله ( لا تتخذت عليه أجرا ) . قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ، ولطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله : ( قال هذا فراق بيدي وبيديك ، سأنبئك بيتا ويل ما لم تستطع عليه صبرا ) فأخبره بما قال : أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار ، قال : فسار به في البحر ، حتى انتهى إلى مجمع البحور ، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه . قال وبعث ربك الخطف ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقيل لموسى كم ترى هذا الخطف رزأ من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزأ ، قال : ياموسى فإن علمي وعلمك في علم الله ، كقدر ما استقي هذا الخطف من هذا الماء ؛ وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فن ثم أمر أن يأتي الخضر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « خطب موسى بنى إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره مني ، فأوحى الله إليه أن يأتي هذا الرجل » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أنه قيل له : إن آية لقبيك إياه ، أن تنسى بعض متاعك ، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون ، وترودا حوتا مملوحا ، حتى إذا كانا حيث شاء الله ، رد الله إلى الحوت روجه ، فسرب في البحر ، فالتخذ الحوت طريقه سربا في البحر ، فسرب فيه ( فلمّا جاؤا قال لفتاه آتينا غداً ، لنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ) . . . حتى

(١) أي أعلم ، فتنبه .

(٢) رزأ : أصاب أو نقص .

بلغ قوله ( وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ) فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجبًا ، فكان يعجب من سَرَبِ الحوت .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما اقتص موسى أثر الحوت ، انتهى إلى رجل راقد ، قد سُجِّيَ عليه ثوبه ، فسلم عليه موسى ، فكشف الرجل عن وجهه الثوب ، وردّ عليه السلام ، وقال : من أنت ؟ قال : موسى ، قال : صاحب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : أو ما كان لك في بني إسرائيل شغل ؟ قال : بلى ، ولكني أمرت أن آتيك وأصحبك ، قال : إنك لن تستطيع معي صبرا ، كما قصّ الله ، ( حتى ) بلغ فلما ( ركبنا في السفينة خرقها ) صاحب موسى ( قال آخر قمتها ليثغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا إمرا ) : يقول : نكرا ( قال لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسرا . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ، قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نؤفا يزعم أن الخضير ليس بصاحب موسى ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن موسى قام في بني إسرائيل خطيبا ، فقيل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : بلى عبد لي عند مجمع البحرين . فقال : يارب كيف به ؟ فقيل : تأخذ حوتا ، فتجعله في ميكثل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى أتيا صحرة ، فرقد موسى ، فاضطرب الحوت في الميكثل ، فخرج ، فوقع في البحر ، فأمسك الله عنه جريبة الماء ، فصار مثل الطافي ، فصارت للحوت سربا ، وكان كلما عجبًا ، ثم انطلقا ، فلما كان حين الغد ، قال موسى لفتاه : آتينا غداً ، فلقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : ولم يجده موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله ، قال : فقال : أرايت إذ أويتنا إلى الصحرة ، فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجبًا ، قال : فقال : ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا ، قال : يقصان آثارهما ، قال : فأتيا الصحرة ، فإذا رجل نام مسجيا بيثوبه ، فسلم عليه موسى ، فقال : وأني بأرضنا السلام ، فقال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيبه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علمه علمك لا أعلمه . قال : فإني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ، قال : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فعرف الخضير ، فحمّل بغير نول ، فجاء عصفورا ، فوقع على حر فيها فنقر ، أو فنقد في الماء ، فقال الخضير لموسى : ما نقص

عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مَقْدَارَ مَا نَقَرْنَا أَوْ نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ ،  
 أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ يَشْكُ ، وَهُوَ فِي كِتَابِهِ نَقَرَ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ إِذْ لَمْ يَتَفَجَّأَ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ  
 يَتَدُّ وَتِدًا ، أَوْ يَنْزِعُ نُخْتًا مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : حَمِلْنَا بَعْضَ نَوَلٍ ، وَتَخَرَّقْهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا ؟  
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ :  
 لَا تَوَاخِذْ فِي بِمَا نَسِيتُ ، قَالَ : وَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ، قَالَ : ثُمَّ زَخَرَجَا فَانْطَلَقَا  
 يَمْشِيَانِ ، فَأَبْصَرَ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ ، فَأَخَذَهُ بِرَأْسِهِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى :  
 أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بَعْضِ نَفْسٍ ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ  
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ  
 مِنْ لَدُنِّي عُدْرًا . قَالَ : فَانْطَلَقَا ، حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يَجِدْ  
 أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيهِمْ ، فَوَجَدَ فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ ، فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ ، قَالَ :  
 مَسَحَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : لَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُنْزِلُونَا ، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا .  
 قَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا  
 حَتَّى يَقْصُ عَلَيْنَا قِصَصَهُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ،  
 عن سعيد بن جبير ، قال : جلست ، فأسند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس ،  
 إن نوحا ابن امرأة كعب ، يزعم عن كعب ، أن موسى النبي الذي طلب العالم ، إنما هو موسى بن ميثا ، قال  
 سعيد ، قال ابن عباس : أنوف يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له نعم ، أنا سمعت نوحا يقول ذلك ، قال :  
 أنت سمعته ياسعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نوح ، ثم قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب أن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مُوسَى ، هُوَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ : أَيُّ  
 رَبِّ ، إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَأَدُلُّنِي عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ فِي عِبَادِي  
 مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، ثُمَّ نَعَتَ لَهُ مَكَانَهُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي لُقْيِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتَاهُ  
 وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : إِذَا حَيِيَّ هَذِهِ الْحُوتُ فِي مَكَانٍ ، فَصَاحِبُكَ هُنَاكَ ، وَقَدْ  
 أَدْرَكْتَ حَاجَتَكَ ، فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ ، وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحُوتُ يَحْمِلَانَهُ ، فَسَارَ حَتَّى  
 جَهَدَهُ السَّيْرُ ، وَانْتَهَى إِلَى الصَّخْرَةِ ، وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ : مَاءَ الْحَيَاةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ ،  
 وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا حَيِيَّ ، فَلَمَّا نَزَلَا ، وَمَسَّ الْحُوتُ الْمَاءَ حَيِيَّ ، فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي  
 الْبَحْرِ سَرَبًا ، فَانْطَلَقَا ، فَلَمَّا جَاوَزَا مُنْقَلَبَهُ قَالَ مُوسَى : آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ  
 سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ الْفَتَى وَذَكَرَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَلِإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا  
 أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ ، وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَظَهَرَ مُوسَى  
 عَلَى الصَّخْرَةِ ، حِينَ انْتَهَى إِلَيْهَا ، فَإِذَا رَجُلٌ مَتَلَفٌ فِي كِسَاءٍ لَهُ ، فَسَلَّمَ مُوسَى ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْعَالَمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

وما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلمني مما علمت رشداً، (قال إنك لن تستطيع معي صبراً)، وكان رجلاً يعلم علم الغيب قد علم ذلك، فقال موسى: بلى (قال) وكيئفَ تصبر على ما لم تحيط به خبراً): أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم (قال ستجدني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً) وإن رأيت ما يخالفني، (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدثك منك ذلك كثيراً)، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرضان الناس، يلتزمان من يحملهما، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة، لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجهل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولحجت بهما مع أهلها، أخرج منقاراه ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها، فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها. قال له موسى، ورأى أمراً فيضج به (أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إن شاء الله صابراً)، قال (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت): أي ما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسراً). ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية، فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أترى ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجراً، قال: فضرب به رأسه، حتى دمهغه فقتله، قال: فرأى موسى أمراً فظيعاً لاصبر عليه: صبي صغير لا ذنب له (قال: أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس؟) أي صغيرة بغير نفس (لقد جئت شيئاً نكراً)، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال إن سألتك عن شيء بعد فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً): أي قد أعذرت في شأني. (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض) فهدمه، ثم قعد بينه، فضجير موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال (لو شئت لأتخذت عليه أجراً): أي قد استطعناهم فلم يطعمونا، وضيفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً في عمله (قال هذا؟ فراق بيتي وبيتك، سأنبئك بتنا ويل ما لم تستطع عليه صبراً. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا). وفي قراءة أبي بن كعب: كل سفينة سالحة، وإنما عيبها لأردة عنها، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها. (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، فخشنا أن يرهبهما طغيانا وكفراً، فأردنا أن يبدلناهما ربتهما خبيراً منه زكاة وأقرب رحماً. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحاً، فأراد ربك أن يبليهما أشد هما، ويستخرج لهما كنزهما، رحمة من ربك، وما فعلته عن نفسي) (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علماً.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن محمارة ، عن أبيه ، عن  
عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث ، وقد كان معه ١ ، فقال ابن عباس  
فيما يذكر من حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من الماء فخلد ، فأخذه العالم ، فطابق به سفينة ، ثم أرسله  
في البحر ، فإنها لتتوج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ) قال : لما ظهر  
موسى وقومه على مصر ، أنزل قومه مصر ؛ فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عليه أن ( ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ  
اللَّهِ ) ، فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكرهم  
هلاك عدوهم ، وما استخلفهم الله في الأرض ، وقال : كلم الله نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل علي محبة  
منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرعون التوراة ، فلم يترك نعمة  
أنعمها الله عليهم إلا ذكرها ، وعرفها إياهم . فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي الله ، قد  
عرفنا الذي تقول : فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا . فبعث الله جبرئيل إلى موسى  
عليهما السلام ، فقال : إن الله يقول : وما يدريك أين أضع علمي ، بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم  
منك ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فسأل موسى ربه أن يريه إياه ، فأوحى الله إليه أن اتت البحر ،  
فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً ، فخذ فادفعه إلى فتاك ، ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت ، وهلك  
منك ، فم تجد العبد الصالح الذي تطلب ؛ فلما طال سفر موسى نبي الله ، ونصب فيه ، سأل فتاه عن  
الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه ( أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَأَتَى نَسِيَتُ الْحَوْتِ ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا  
الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ) قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرباً ، فأعجب ذلك موسى .  
فرجع حتى أتى الصخرة ، فوجد الحوت يضرب في البحر ، ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه ،  
يفرّج بها عن الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس ، حتى يكون بحجرة ، فجعل  
نبي الله يعجب من ذلك ، حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها ، فسلم عليه ،  
فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ، ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال  
له الخضر : أصاحب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك على أن تعلمني مما  
علمت رُشداً ( قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) قال : لا تطيق ذلك قال : موسى ( سَتَجِدُنِي  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) . قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألني عن شيء أصنع حتى  
أبين لك شأنه ، فذلك قوله ( حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) فركبا في السفينة ، يريدان البر ، فقام الخضر  
فحرق السفينة ، فقال له موسى ( أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) .

(١) الذي في الدر بدل هذا : لم نسمع : يعنى موسى يذكر من حديث فتاه ، وقد كان . الخ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله ( فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ) : ذُكِرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَطَعَ الْبَحْرَ ، وَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، جَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَعْلَمُهُ ، قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّكُمْ . وَأَقْطَعَكُمْ الْبَحْرَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ التَّوْرَةَ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : إِنْ هَاهُنَا رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ : فَاَنْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ يَطْلُبَانِهِ ، وَتَزَوَّدَا سَمَكَةً مَمْلُوحَةً فِي مِكَتَلٍ لهُمَا ، وَقِيلَ لهُمَا : إِذَا نَسِيْتُمَا مَا مَعَكُمْمَا ، لَقِيْتُمَا رَجُلًا عَالِمًا ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ ، فَلَمَّا أَتَيَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، رَدَّ اللَّهُ إِلَى الْحَوْتِ رُوحَهُ ، فَسَرَبَ لَهُ مِنَ الْجَسْرِ ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ سَلَكَ فَجَعَلَ لَا يَسْلُكُ فِيهِ طَرِيقًا إِلَّا صَارَ مَاءً جَامِدًا . قَالَ : وَمَضَى مُوسَى وَفَتَاهُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ( فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءًا نَأْتِيَنَّكَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسَبًا ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَآتَى نَسَبُتِ الْحَوْتِ ) . . . ثُمَّ تَلَا إِلَى قَوْلِهِ ( وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) فَلَقِيَا رَجُلًا عَالِمًا ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ ، فَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا ، لِأَنَّهُ قَعَدَ عَلَى فِرْوَةَ بَيْضَاءَ ، فَاهْتَبَزَتْ بِهِ خَضِرًا » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حيصن الفزاري ، في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضير ، فمر بهما أبي بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى ، الذي سأل السبيل إلى لقيته ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : تَعَلَّمْتُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحَوْتِ آيَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا فَقَدْتَ الْحَوْتِ ، فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَلِئِنْ نَسَبْتَ الْحَوْتِ ، قَالَ مُوسَى : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ، فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ خَضِرًا ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا عبد الله بن عمر النخعي ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهري يحدث ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حيصن الفزاري ، في صاحب موسى ، ثم ذكر نحو حديث العباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) في (عرائس المجالس للعلبي المفسر ص ٢٢٠ طبعه الحاسبى) : فإذا هي تهبز تحته خضراء .



## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَهُ مُوسَى: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق، ودليل على هدى؟ (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) يقول تعالى ذكره قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك أني أعلم بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بالظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل، من أنه كان رجلاً يعمل على الغيب، قد علم ذلك.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي

لَكَ أَمْرًا (٦٩)

يقول عز ذكره مخبراً عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى من الأفعال التي لا علم لك بوجوده صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب، وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها، لأنها تبدأ لأسباب تحدث آجلة، غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خبراً، يقول علما (قال ستجدني إن شاء الله صابراً) على ما أرى منك، وإن كان خلافا لما هو عندي صواب. (ولا أعصي لك أمراً): يقول: وأنهى إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقا هوأى.

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)

يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعني الآن، فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإنني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما (حتى أحدث لك منه ذكراً) يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أعملها، التي تستنكرها، أذكرها لك، وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها.

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) يعني عن شيء أصنعه، حتى أبين لك شأنه.

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْظِلْنَا حَتَّىٰ آذَا رَكِيبًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ : أَخْرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

إِمْرًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : فانطلق موسى والعالم يسيران ، يطلبان سفينة يركبانهما ، حتى إذا أصابها ركبا في السفينة ، فلما ركباها ، خرق العالم السفينة ، قال له موسى : أخرقها بعد ما بلجنا في البحر ( لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) يقول : لقد جئت شيئا عظيما ، وفعلت فعلا منكرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) : أي عجبا ، إن قوما بلجوا سفينتهم فخرقها ، كأحوج ما تكون إليها ، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى ، ذلك من علم الله الذي آتاه ، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام : ( فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) يقول : نكرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) قال : منكرا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والإمر : في كلام العرب : الداهية ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الْأَقْرَانُ مَنِيَّ نَكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : أصله : كل شيء شديد كثير ، ويقول منه : قيل للقوم : قد أمروا ؛ إذا كثروا ، واشتد أمرهم . قال : والمصدر منه : الأمر ، والاسم : الإمر . واختلقت القرآء في قراءة قوله ( لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ، ( لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ) بالتاء في لغز ، ونصب الأهل ، بمعنى : لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة ، بالخرق الذي خرقت فيها . وقرأه عامة قرآء الكوفة ( لِتُغْرِقَ ) بالياء أهلها بالرفع ، على أن الأهل هم الذين يغرقون .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن) ١ : ٥٠٩ ؛ (قال في تفسير قوله تعالى : «جئت شيئا إمرًا» : أي داهية نكرا عظيمة . وفي آية أخرى شيئا إذا . قال : «قد لقي الأقران . . . البيت . . . وفي (اللسان : إمرًا) : الأخصش : يقال : أمر أمره يأمر إمرًا (الفعل كفتح يفرح) أي اشتد . والاسم : الإمر بكسر الهمزة . قال الراجز : «قد لقي . . . البيت» ويقال : عجبنا وأمر إمرًا : منكر ، وفي التزويل العزيز : «لقد جئت شيئا إمرًا» قال أبو إسحاق : أي جئت شيئا عظيما من المنكر . وقيل : الإمر بالكسر ، الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجيب . قال : ونكرا : أقل من قوله : إمرًا ؛ لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة . قال ابن سيده : وذهب الكسائي إلى أن معنى إمرًا : شيئا داهيا منكرا عجبنا ، واشتقه من قوهم : أمر القوم : إذا أكثروا . اهـ .

﴿٧٢﴾ والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى ، وإن اختلفت ألفاظهما ، فبأي ذلك قرأ القارى فصيب .

وإنما قلنا : هما متفقتا المعنى ، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالم خرق السفينة ، إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها ، إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها ، فلا خفاء على أحد معنى ذلك ، قرئ بالتاء ونصب الأهل ، أو بالياء ورفع الأهل .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ: لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ، وَلَا

تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)

﴿٧٢﴾ يقول عز ذكره : قال العالم لموسى إذ قال له ما قال ( أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) على ما ترى من أفعالي ، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرًا ، قال له موسى ( لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ ) . فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة ، لأنه كان نسي عهده ، وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله ( فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن زياد ، قال : ثنا يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي ابن كعب الأنصاري في قوله ( لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ ) قال : لم ينس ، ولكنها من معارضة الكلام . وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تأخذني بترك عهده ، ووجه أن معنى النسيان : الترك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن الحكيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( قَالَ لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ ) : أي بما تركت من عهده . ﴿٧٢﴾ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه ، لا بما سأله عنه ، وهو لعهد ذاك للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن ذلك معناه من الخبر . وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ ) قال : كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا . وقوله ( لَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ) يقول : لا تُغْشِيْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ، يقول : لا تضيق على أمرى معك ، وصحبتى إياك .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا  
ثُكْرًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : فانطلقا حتى إذا لقيَا غلاما فقتله العالم ، فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ( أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ) وقالوا  
معنى ذلك : المظهرة التي لا ذنب لها ، ولم تذب قط لصغرها . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( نَفْسًا  
زَكِيَّةً ) بمعنى : النائبة المغفور لها ذنوبها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
( أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ) والزكية : النائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ) قال :  
الزكية : النائبة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ( أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً )  
قال : قال الحسن : نائبة ، هكذا في حديث الحسن وشهر زاكية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( نَفْسًا زَكِيَّةً ) قال : نائبة .

ذكر من قال : معناها المسلمة التي لا ذنب لها

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ،  
أنه سمع سعيد بن جبيرة يقول : وجد خصير غلاما يلبعون ، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ، ثم ذبحه بالسكين .  
قال : وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجببي قال : اسم الغلام الذي قتله الخضر : جيسور ( قَالَ  
أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ) قال : مسلمة . قال : وقرأها ابن عباس ( زَكِيَّةً ) كقولك : زكيا .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول : معنى الزكية والزاكية واحد ، كالقاسية والقسية ،  
ويقول : هي التي لم تكن شيئا ، وذلك هو الصواب عندي ، لأنني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب .  
فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب ، لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة  
الأمصار بمعنى واحد .

وقوله ( بِغَيْرِ نَفْسٍ ) يقول : بغير قصاص بنفس قتلت ، فلزمها القتل قودا بها . وقوله ( لَّقَدْ  
جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ) يقول : لقد جئت بشيء منكر ، وفعلت فعلا غير معروف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ) والنُّكْرُ أشد من الإمر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ : إِنْ سَأَلْتِكُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)

يقول تعالى ذكره : قال العالم لموسى ( أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) على ما ترى من أفعالي التي لم تُحط بها خبرا ، قال موسى له : ( إِنْ سَأَلْتِكُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ) يقول : بعد هذه المرة ( فَلَا تُصَحِّبْنِي ) يقول : ففارقتني ، فلا تكن لي مصاحبا ( قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) يقول : قد بلغت العذر في شأنني .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ( مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) بفتح اللام ، وضم الدال ، وتخفيف النون . وقراء عامة قراء الكوفة والبصرة ، بفتح اللام ، وضم الدال ، وتشديد النون . وقراء بعض قراء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون ، وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة ، إذ كانت في الأصل ساكنة ، ولو لم تشدّد لتحركت ، فشددوها كراهة منهم تحريكها ، كما فعلوا في « مِنْ ، وَعَنْ » إذ أضافوهما إلى مكئى الخبر عن نفسه ، فشددوهما ، فقالوا مئى وعئى . وأما الذين خففوها ، فإنهم وجدوا مكئى الخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها ، لانون معها ، فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك ، مع سائر الأشياء غيرها .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما لغتان فصيحتان ، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء بالقرآن ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى في ذلك ، قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدّد النون ، لعلتين : إحداهما أنها أشهر اللغتين : والأخرى أن محمد بن نافع البصرى حدثنا ، قال : ثنا أمية بن خالد ، قال : ثنا أبو الجارية العبدى ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ( قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) مثقلة .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال « اسْتَحْيَا فِي اللَّهِ مُوسَى » .

حدثنا محمد بن المنثرى ، قال : ثنا بدل بن الحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : ثنا داود ، في قول

الله عز وجل ( إن سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَحْبَابًا فِي اللَّهِ مُوسَى عِنْدَهَا » .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن  
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا  
فدعا له بدأ بنفسه ، فقال ذات يوم : « رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى ، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِيهِ لَأَبْصَرَ  
العَجَبَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : إن سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي  
عُذْرًا » مُثَقَّلًا .

### القرن في تأويل فرد تعالى

فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا  
يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ : لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)

يقول تعالى : فانطلق موسى والعالم حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها من الطعام فلم يطعموهما ،  
واستضافهما ( فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ) يقول : وجدنا في القرية  
حائطا يريد أن يسقط ويقع ، يقال منه : انقضت الدار : إذا تهدمت وسقطت ؛ ومنه انقراض الكوكب ،  
وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ؛ ومنه قول ذي الرمة :

فانقضت كالكوكب الدررى منصلتنا

وقد روى عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك ( يريد أن ينقض ) .

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرئ ذلك كذلك في معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم :  
مجاز ينقض : أى ينقلع من أصله ، ويتصدع بمنزله قولهم : قد انقضت السن : أى ؛ تصدعت ،  
وتصدعت من أصلها ، يقال : فراق كقيض السن : أى لا يجتمع أهله . وقال بعض أهل الكوفة منهم :  
الانقضاء : الشق في طول الحائط في طي البئر وفي سن الرجل ، يقال : قد انقضت سنه : إذا انشقت  
طولا . وقيل : إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه ، فأبوا أن يضيفوهما : الأيلة :

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرايمسى ، قال : ثنا حماد  
أبو صالح ، عن محمد بن سيرين ، قال : انتابوا الأيلة ، فإنه قل من يأتيها ، فيرجع منها خائبا ، وهي الأرض  
التي أبوا أن يضيفوهما ، وهي أبعد أرض الله من السماء .

(١) هذا صدر بيت لذي الرمة . وفي (اللسان : قض) : انقض الجدار : تصدع من غير أن يسقط . وقيل : انقض : سقط .  
وفي التنزيل العزيز : « فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض » هكذا عده أبو عبيد وغيره ثانيا ، وجعله أبو علي ثلثيا من نقض ، فهو  
عنده « افعل » بتشديد اللام . وفي التهذيب : ينقض : أى ينكسر ، يقال : قضضت الشيء : إذا دققته . والمنصلت : المرع من  
كل شيء .

(٢) هو القراء ( انظر معاني القرآن له ، مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ١٩٠ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قَرْيَةٍ ) ، وتلا إلى قوله ( لا تَحَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ) شر القري التي لا تُضَيِّف الضيف ، ولا تعرف لابن السبيل حقه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب ، في معنى قول الله عز وجل ( يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ) فقال بعض أهل البصرة : ليس للحائظ إرادة ولا للموات ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته ، وهذا كقول العرب في غيره :

يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْعَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ<sup>١</sup>

وقال آخر منهم : إنما كلم القوم بما يعقلون ، قال : وذلك لما دنا من الانقضاء ، جاز أن يقول : يريد أن ينقض ، قال : ومثله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ) وقولهم : إني لأكاد أطير من الفرح ، وأنت لم تقرب من ذلك ، ولم تهّم به ، ولكن لعظيم الأمر عندك . وقال بعض الكوفيين منهم : من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط ؛ قال : ومثله من قول العرب قول الشاعر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمِيلِي بِجُمْلٍ لَرَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ<sup>٢</sup>

وقول الآخر :

يَشْكُو إِلَى جَمَلِي طُولَ السَّرَى صَبْرًا جَمِيلًا فَكِلَانَا مُبْتَلَى<sup>٣</sup>

قال : والجمل لم يشك ، إنما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك ؛ قال : وكذلك قول عنتره :  
وَأَزُورُ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِأَبَانِهِ وَشَكَا إِلَى بَعْبِرَةَ وَتَحْمَحُمُ<sup>٤</sup>  
قال : ومنه قول الله عز وجل ( وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ) والغضب لا يسكت ، وإنما يسكت

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٤١٠ ) قال في تفسير قوله تعالى : « يريد أن ينقض » ليس للحائظ إرادة ولا للموات ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة ، فهو إرادته . وهذا قول العرب في غيره ، قال الخارثي : « يريد الرمح . . . البيت » . وفي اللسان : رود : « وقوله عز وجل « فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » أي أقامه الخضر ، وقال : يريد ، والإرادة إنما تكون من الحيوان ، والجدار لا يريد إرادة حقيقية ؛ لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر ، كما تظهر أفعال المريدين ، فوصف الجدار بالإرادة ، إذا كانت الصورتان واحدة ، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر ، قال الراعي :

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الغنوس إذا أردن نصولا

وقال الآخر : « يريد الرمح صدر أبي براء » . . . البيت .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٩٠ من مصورة الجامعة ) قال : « يريد أن ينقض » : يقال : كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قول الله : « ولما سكت عن موسى الغضب » والغضب لا يسكت ، إنما يسكت صاحبه ، ومعناه : سكن . وقوله : فإذا عزم الأمرم : إنما يعزم الأمر أهله . وقال الشاعر : « إن دهرا . . . البيت . وقال الآخر « شكنا إلى جمل . . . البيت . ( وسيجي بعد هذا ) . والجمل لم يشك ، إنما تكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك ، وكذلك قول عنتره : « وأزور من وقع القنا . . . » ؛ « البيت ( سيجي ، بعد هذا ) . . . وقال أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٤١١ ) : « مجاز » أن ينقض « مجاز : يقع . يقال : انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ، وقرأ قوم « أن ينقاض » ، ومجازه : أن ينقلع من أصله ويتصدع ؛ بمنزلة قولهم : قد انقضت السن : أي انصدعت ، وتقلعت من أصلها .

(٣) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق عليه . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن .

(٤) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق على الذي قبله . وليأنه : صدره . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح . وهو من شواهد الفراء .

صاحبه ، وإنما معناه : سكن . وقوله (فَلِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) إنما يعزم أهله . وقال آخر منهم : هذا من أفصح كلام العرب ، وقال : إنما إرادة الجدار : ميله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَرَأَى نَارَاهُمَا » ، وإنما هو أن تكون نار ان كل واحدة من صاحبها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القرب ؛ قال : وهو كقول الله عز وجل في الأصنام ( وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ) قال : والعرب تقول : دارى تنظر إلى دار فلان ، تعنى : قرب ما بينهما ؛ واستشهد بقول ذى الرمة في وصفه حوضاً أو منزلاً دارساً :

قَدَّ كَادَ أَوْ قَدَّ هَمَّ بِالْبَيْوَدِ

قال : فجعله بهم ، وإنما معناه : أنه قد تغير للبلبلى ، والذي نقول به في ذلك ، أن الله عز ذكره ، بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم ، مما لا تحسه أبصارهم ، وقد عقت العرب معنى القائل :

فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتِهَا قَلَقَ الْقُشُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نَصُولًا

وفهمت أن القشوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور ، مع وصفها إياها بأنها تريد ، وعلمت ما يريد القائل بقوله :

كَيْثَلِ هَيْلِ النَّقَا طَافَ الْمَشَاةُ بِهِ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ السَّرَى حِينًا

وإنما لم يرد أن الثرى نطق ، ولكنه أراد به أنه تلبّد بالندى ، فمنعه من الانهيال ، فكان منعه إياه من ذلك ، كالتهمى من ذوى المنطق فلا ينهال . وكذلك قوله ( جِدَارًا يَرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ) قد علمت أن معناه : قد قارب من أن يقع أو يسقط ، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه ، وقد عقلوا ما عنى به ، وإن استعجم عن فهمه ذوى البلادة والعمى ، وضل فيه ذوى الجهالة والغبا .

وقوله ( فَأَقَامَهُ ) ذكر عن ابن عباس أنه قال : هدمه ثم قعد بينيه .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ( فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض ) قال : رفع الجدار بيده فاستقام .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدوا جداراً يريد أن ينقض ، فأقامه صاحب موسى ، بمعنى : عدل ميسله ، حتى عاد مستويا . وجائر أن يكون كان

(١) هذا بيت من الرجز . لذى الرمة . والبيود : مصدر باد بييد : إذا هلك . والشاهد فيه مثل الشواهد السابقة عليه .

(٢) هذا البيت للرعى ، وقد سبق الكلام عليه قبل في أكثر من موضع .

(٣) حال التراب والرمل هيلاً وأهاله فانها ، وهيله قهليل : أى دفعه فانها . والنقا : الكتيب من الرمل النقى . والبيت كالشواهد السابقة عليه ، في أن قوله ينهال الثرى : أى يمسه الثرى عن التهيل ، جعل ذلك بمنزلة نبيه عن السقوط ، مع أن الثرى لا ينهى ولا يأمر ، ولكنه جاء كذلك على لسان العرب ، كما جاء قوله تعالى في القرآن « يريد أن ينقض » . وقد اتضح معناه بما لا مزيد عليه في الشواهد السابقة قريباً .



ذلك بإصلاح بعد هدم . وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده ، فاستوى بقدره الله ، وزال عنه ميبأه بلطفه ، ولا دلالة من كتاب الله ، ولا خبر للعذر قاطع ، بأي ذلك كان من أي .

وقوله ( قال لَوُ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ) يقول : قال موسى لصاحبه : لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم ، حتى يعطوك على إقامتك أجرا ، فقال بعضهم : إنما عتني موسى بالأجر الذي قال له ( لَوُ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ) القري : أي حتى يتقرونا ، فإنهم قد أبوا أن يضيئفونا . وقال آخرون : بل عني بذلك العيوض والجزاء على إقامته الخاطئ المائل .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكرفة ( لَوُ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ) على التوجيه منهم له ، إلى أنه لا فتعلت من الأخذ . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة ( لَوُ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ ) بتخفيف التاء ، وكسر الخاء ، وأصله : لا فتعلت ، غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة ، ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل ، من ذلك : تخذ فلان كذا يتخذهُ تخذا ، وهي لغة فيها ذكر لندليل ، وقال بعض الشعراء : وَقَدْ تَخَذْتُ رَجُلِي لَدَيْ جَنْبِ غَرَزِهَا نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ الْقَطَاةِ الْمُطَّرَّقِ ١ والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أني أختار قراءته بتشديد التاء على لا فتعلت ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما ، وأكثرهما على ألسن العرب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، سَأُنبئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ( ٧٨ )

يقول تعالى ذكره : قال صاحب موسى لموسى : هذا الذي قلته وهو قوله ( لَوُ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ) ( فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ) ، يقول : فرقة ما بيني وبينك : أي مفترق بيني وبينك . ( سَأُنبئُكَ ) يقول : سأخبرك ( بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) يقول : بما يثول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها ، فلم تستطع على ترك المسئلة عنها ، وعن التكبير على فيها صبرا ، والله أعلم .

(١) البيت للممزيق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، شاعر جاهل فقيم . وهو من شواهد أفي عبادة في مجاز القرآن ( ١ : ٤١١ ) قال : « لو شئت لتخذت عليه أجرا » : الخاء مكسورة ، ومعناها معنى أخذت ، فكان يخرجها فخرج فعلت تفعل ( من باب فرح يفرح ) قال الممزيق العبدى ( من عبد القيس ) : « وقد تخذت رجلى . . . البيت » . وفي اللسان : والغرز للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يضع الركاب فيه قدمه عند الركوب . والأفحوص : بجم القطاة ، لأنها تفحص الموضع ، ثم تبيض فيه ، وكذلك هو للدجاجة ، قال الممزيق العبدى : « وقد تخذت رجلى . . . البيت » والنسيف : أثر عض الغرز في جنب الناقة ، من عضه أو انحصاص وير . والمطررق من وصف القطاة . يقال : طرقت المرأة وكل حامل تطرق : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب ، فيقال : طرقت ثم خلصت . وقيل التطريق للقطاة : إذا فحصت للبيض ، كأنها تجعل له طريقا .

تم الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،  
 ويليه : الجزء السادس عشر  
 وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( أمّا السّفينةُ )

تم الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،  
 ويليه : الجزء السادس عشر  
 وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( أمّا السّفينةُ )

تم الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،  
 ويليه : الجزء السادس عشر  
 وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( أمّا السّفينةُ )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء السادس عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٩	فهارس الجزء السادس عشر	١٤٩	فهارس الجزء السادس عشر
١٥٠	من	١٥٠	من
١٥١	جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن	١٥١	جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن
١٥٢	لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى	١٥٢	لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى
١٥٣	الفهرس الأول : للآيات المفسرة .	١٥٣	الفهرس الأول : للآيات المفسرة .
١٥٤	الفهرس الثانى : للموضوعات .	١٥٤	الفهرس الثانى : للموضوعات .
١٥٥	الفهرس الثالث : للقوافى .	١٥٥	الفهرس الثالث : للقوافى .
١٥٦		١٥٦	
١٥٧		١٥٧	
١٥٨		١٥٨	
١٥٩		١٥٩	
١٦٠		١٦٠	
١٦١		١٦١	
١٦٢		١٦٢	
١٦٣		١٦٣	
١٦٤		١٦٤	
١٦٥		١٦٥	
١٦٦		١٦٦	
١٦٧		١٦٧	
١٦٨		١٦٨	
١٦٩		١٦٩	
١٧٠		١٧٠	

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين . . .	١	١٠٢	أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا . . .	٣١
٨٠	وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين . . .	٢	١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . . .	٣٢
٨١	فأردنا أن يبدلها ربهما . . .	٢	١٠٤	الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا . . .	٣٢
٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين . . .	٥	١٠٥	أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . .	٣٥
٨٣	ويسألونك عن ذى القرنين . . .	٨	١٠٦	ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا . . .	٣٥
٨٤	إنا مكنا له في الأرض . . .	٨	١٠٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٣٦
٨٥	فأتبع سببا . . .	٨	١٠٨	خالدين فيها لا يغيغون عنها حولا . . .	٣٦
٨٦	حتى إذا بلغ مغرب الشمس . . .	١٠	١٠٩	قل لو كان البحر مبدداً للكلمات . . .	٣٩
٨٧	قال أما من ظلم فسوف نعذبه . . .	١٢	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى . . .	٣٩
٨٨	وأما من آمن وعمل صالحا . . .	١٣	<u>تفسير سورة مريم عليها السلام</u>		
٨٩	ثم أتبع سببا . . .	١٣	١	كهيعص . . .	٤١
٩٠	حتى إذا بلغ مطلع الشمس . . .	١٣	٢	ذكر رحمة ربك عبده زكريا . . .	٤٥
٩١	كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا . . .	١٣	٣	إذ نادى ربه نداء خفيا . . .	٤٥
٩٢	ثم أتبع سببا . . .	١٥	٤	قال رب إني وهن العظم مني . . .	٤٥
٩٣	حتى إذا بلغ بين السدين . . .	١٥	٥	وإني خفت الموالى من ورأى . . .	٤٦
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج . . .	١٥	٦	برثى ويرث من آل يعقوب . . .	٤٦
٩٥	قال ما مكنتي فيه ربي خيرا . . .	٢٣	٧	يا زكريا إنا نبشرك بغلام . . .	٤٩
٩٦	أتوفى زبیر الحديد . . .	٢٤	٨	قال رب آتى يكون لى غلام . . .	٥٠
٩٧	فما اسطاعوا أن يظهروه . . .	٢٤	٩	قال كذلك قال ربك . . .	٥١
٩٨	قال هذا رحمة من ربي . . .	٢٧	١٠	قال رب اجعل لى آية . . .	٥١
٩٩	وتركنا بعضهم يومئذ يموج . . .	٢٨	١١	فخرج على قومه من المحراب . . .	٥٣
١٠٠	وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين . . .	٢٨	١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوة . . .	٥٤
١٠١	الذين كانت أعينهم فى غطاء . . .	٣١			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	وحنانا من لدنا وزكاة . . .	٥٤	٤١	واذكر في الكتاب إبراهيم . . .	٨٩
١٤	وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . . .	٥٨	٤٢	إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد . . .	٨٩
١٥	وسلام عليه يوم ولد . . .	٥٨	٤٣	يا أبت إني قد جاءني من العلم . . .	٩٠
١٦	واذكر في الكتاب مريم . . .	٥٩	٤٤	يا أبت لاتعبد الشيطان . . .	٩٠
١٧	فاتخذت من دونهم حجابا . . .	٥٩	٤٥	يا أبت إني أخاف أن يمسك . . .	٩٠
١٨	قالت إني أعوذ بالرحمن منك . . .	٦١	٤٦	قال أرأغب أنت عن آلهي . . .	٩٠
١٩	قال إنما أنا رسول ربك . . .	٦١	٤٧	قال سلام عليك سأستغفر لك . . .	٩٢
٢٠	قالت أنى يكون لى غلام . . .	٦١	٤٨	وأعترلكم وما تدعون من دون الله . . .	٩٢
٢١	قال كذلك قال ربك . . .	٦١	٤٩	فلما اعترظم وما يعبدون . . .	٩٣
٢٢	فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . . .	٦٢	٥٠	ووهبنا له من رحمتنا . . .	٩٣
٢٣	فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة . . .	٦٢	٥١	واذكر في الكتاب موسى . . .	٩٤
٢٤	فناداها من تحها ألا تحزنى . . .	٦٧	٥٢	وناديناه من جانب الطور الأيمن . . .	٩٤
٢٥	وهزى إليك يجذع النخلة . . .	٦٧	٥٣	ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون . . .	٩٤
٢٦	فكلى واشربى وقربى عينا . . .	٧٣	٥٤	واذكر في الكتاب إسماعيل . . .	٩٥
٢٧	فأتت به قومها تحمله . . .	٧٦	٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة . . .	٩٦
٢٨	يا أخت هارون ما كان أبوك . . .	٧٧	٥٦	واذكر في الكتاب إدريس . . .	٩٦
٢٩	فأشارت إليه . . .	٧٨	٥٧	ورفعناه مكانا عليا . . .	٩٦
٣٠	قال إني عبد الله أتانى الكتاب . . .	٧٩	٥٨	أولئك الذين أنعم الله عليهم . . .	٩٧
٣١	وجعلنى مباركا أينما كنت . . .	٧٩	٥٩	فخلف من بعدهم خلف . . .	٩٨
٣٢	وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا . . .	٨١	٦٠	إلا من تاب وآمن وعمل صالحا . . .	١١١
٣٣	والسلام على يوم ولدت . . .	٨١	٦١	جنات عدن التى وعد الرحمن . . .	١٠١
٣٤	ذلك عيسى ابن مريم . . .	٨٢	٦٢	لا يسمعون فيها لغوا . . .	١٠٢
٣٥	ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . . .	٨٤	٦٣	تلك الجنة التى نُورث من عبادنا . . .	١٠٣
٣٦	وإن الله ربى وربكم فاعبدوه . . .	٨٤	٦٤	وما ننزّل إلا بأمر ربك . . .	١٠٣
٣٧	فاختلف الأحزاب من بينهم . . .	٨٥	٦٥	رب السموات والأرض . . .	١٠٥
٣٨	أبصر بهم وأبصر يوم يأتوننا . . .	٨٦	٦٦	ويقول الإنسان إذا مامت . . .	١٠٦
٣٩	وأندرهم يوم الحسرة . . .	٨٧	٦٧	أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه . . .	١٠٦
٤٠	إنا نحن نرث الأرض . . .	٨٩	٦٨	فوربك لنحشرنهم والشياطين . . .	١٠٧

الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة
١٣٢	٩٧	فانما يسرناه بلسانك . . .	١٠٧	٦٩	ثم لنزِعَنَّ من كل شِيعَةٍ . . .
١٣٤	٩٨	وكم أهلكنا قبلهم من قرن . . .	١٠٨	٧٠	ثم لنحن أعلم بالذين هم . . .
		<u>تفسير سورة طه</u>	١٠٨	٧١	وإن منكم إلا واردها . . .
١٣٥	١	طه . . .	١١٤	٧٢	ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا . . .
١٣٥	٢	ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . . .	١١٥	٧٣	وإذا تُتلى عليهم آياتنا . . .
١٣٥	٣	إلا تذكرة لمن يخشى . . .	١١٧	٧٤	وكم أهلكنا قبلهم من قرن . . .
١٣٨	٤	تنزيلاً ممن خلق الأرض . . .	١١٩	٧٥	قل من كان في الضلالة . . .
١٣٨	٥	الرحمن على العرش استوى . . .	١١٩	٧٦	ويزيد الله الذين اهتدوا هُدًى . . .
١٣٨	٦	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٢٠	٧٧	أفرايت الذي كفر بآياتنا . . .
١٣٩	٧	وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر . . .	١٢٠	٧٨	أطَّلَعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن . . .
١٣٩	٨	الله لا إله إلا هو . . .	١٢٢	٧٩	كلا سنكتب ما يقول ونُمَدِّ له . . .
١٤١	٩	وهل أتاك حديث موسى . . .	١٢٢	٨٠	ونرثه ما يقول ويأتينا فردا . . .
١٤١	١٠	إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا . . .	١٢٣	٨١	واتخذوا من دون الله آلهة . . .
١٤٣	١١	فلما أتاها نودى يا موسى . . .	١٢٣	٨٢	كلا سيكفرون بعبادتهم . . .
١٤٣	١٢	إني أنا ربك فاخلع نعليك . . .	١٢٥	٨٣	ألم تر أننا أرسلنا الشياطين . . .
١٤٧	١٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى . . .	١٢٥	٨٤	فلا تعجل عليهم إنما نعدُّ . . .
١٤٧	١٤	لئنى أنا الله لا إله إلا أنا . . .	١٢٦	٨٥	يوم نحشر المتقين إلى الرحمن . . .
١٤٨	١٥	إن الساعة آتية . . .	١٢٦	٨٦	ونسوق الحجرين إلى جهنم وردا . . .
١٤٨	١٦	فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها . . .	١٢٨	٨٧	لا يملكون الشفاعة . . .
١٥٣	١٧	وما تلك بيمينك يا موسى . . .	١٢٩	٨٨	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . . .
١٥٤	١٨	قال هي عصاى أتوكأ عليها . . .	١٢٩	٨٩	لقد جئتم شيئاً إدّاء . . .
١٥٦	١٩	قال ألقها يا موسى . . .	١٢٩	٩٠	تكاد السموات يتفطرن منه . . .
١٥٦	٢٠	فألقاها فإذا هي حية تسعى . . .	١٣١	٩١	أن دعوا للرحمن ولدا . . .
١٥٦	٢١	قال خذها ولا تخف . . .	١٣١	٩٢	وما ينبغي للرحمن . . .
١٥٧	٢٢	واضمم يدك إلى جناحك . . .	١٣١	٩٣	إن كل من في السموات . . .
١٥٧	٢٣	لنُريكَ من آياتنا الكبرى . . .	١٣٢	٩٤	لقد أحصاهم وعدَّهم عدداً . . .
١٥٨	٢٤	اذهب إلى فرعون إنه طغى . . .	١٣٢	٩٥	وكلهم آتية يوم القيامة فردا . . .
			١٣٢	٩٦	إن الذين آمنوا وسمِعُوا الصَّالِحَاتِ . . .



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	قال ربّ اشرح لي صدري . . .	١٥٨	٥٣	الذي جعل لكم الأرض مهتدا . . .	١٧٤
٢٦	ويسرّ لي أمري . . .	١٥٨	٥٤	كلوا وارعوا أنعامكم . . .	١٧٤
٢٧	واحلّل عقدة من لساني . . .	١٥٨	٥٥	منها خلقناكم . . .	١٧٥
٢٨	يفقهوا قولي . . .	١٥٨	٥٦	ولقد أريناه آياتنا كلّها . . .	١٧٥
٢٩	واجعل لي وزيرا من أهلي . . .	١٥٨	٥٧	قال أجبنا لتخرجنا . . .	١٧٥
٣٠	هارون أخى . . .	١٥٨	٥٨	فلنأتينك بسحر مثله . . .	١٧٥
٣١	أشدّد به أزرى . . .	١٦٠	٥٩	قال موعدكم يوم الزينة . . .	١٧٧
٣٢	وأشركه في أمري . . .	١٦٠	٦٠	فتولى فرعون فجمع كيده . . .	١٧٧
٣٣	كى نسبحك كثيرا . . .	١٦٠	٦١	قال لهم موسى ويلكم . . .	١٧٨
٣٤	ونذكرك كثيرا . . .	١٦٠	٦٢	فتنازعوا أمرهم بينهم . . .	١٧٩
٣٥	إنك كنت بنا بصيرا . . .	١٦٠	٦٣	قالوا إن هذان لساحران . . .	١٧٩
٣٦	قال قد أوتيت سؤالك يا موسى . . .	١٦٠	٦٤	فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا . . .	١٨٣
٣٧	ولقد مننا عليك مرّة أخرى . . .	١٦٠	٦٥	قالوا يا موسى إنا أن تلقى . . .	١٨٤
٣٨	إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي . . .	١٦٠	٦٦	قال بل ألقوا فإذا جبالهم . . .	١٨٤
٣٩	أن اقدفيه في التابوت . . .	١٦١	٦٧	فأوجس في نفسه خيفة . . .	١٨٦
٤٠	إذ تمشى أختك فتقول . . .	١٦٢	٦٨	قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . . .	١٨٦
٤١	واصطعتك لنفسى . . .	١٦٨	٦٩	وألقى ما في يمينك . . .	١٨٦
٤٢	اذهب أنت وأخوك بآياتى . . .	١٦٨	٧٠	فألقي السحرة سجدا . . .	١٨٧
٤٣	اذهبوا إلى فرعون إنه طغى . . .	١٦٨	٧١	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	١٨٧
٤٤	فقولا له قولنا لنا . . .	١٦٩	٧٢	قالوا لن نؤثر على ما جاءنا . . .	١٨٩
٤٥	قالا ربنا إننا نخاف . . .	١٦٩	٧٣	إنا آمننا بربنا ليغفر لنا . . .	١٨٩
٤٦	قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى . . .	١٧٠	٧٤	إنه من يأت ربه مجرما . . .	١٩٠
٤٧	فأتياه فقولا إنا رسولا ربك . . .	١٧٠	٧٥	ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات . . .	١٩٠
٤٨	إنا قد أوحى إلينا أن العذاب . . .	١٧١	٧٦	جنات عدن تجري من تحتها الأنهار . . .	١٩٠
٤٩	قال فن ربكما يا موسى . . .	١٧١	٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى . . .	١٩١
٥٠	قال ربنا الذى أعطى . . .	١٧١	٧٨	فأتبعهم فرعون بجنوده . . .	١٩٢
٥١	قال فما بال القرون الأولى . . .	١٧٣	٧٩	وأضلّ فرعون قومه وما هدى . . .	١٩٢
٥٢	قال علمها عند ربى في كتاب . . .	١٧٣	٨٠	يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم . . .	١٩٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨١	كلوا من طيبات ما رزقناكم . . .	١٩٢	١٠٩	يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن . . .	٢١٥
٨٢	وإني لغفار لمن تاب وآمن . . .	١٩٤	١١٠	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	٢١٥
٨٣	وما أعجلك عن قومك يا موسى . . .	١٩٥	١١١	وعنت الوجوه للحى القيوم . . .	٢١٥
٨٤	قال هم أولاء على أثرى . . .	١٩٥	١١٢	ومن يعمل من الصالحات . . .	٢١٧
٨٥	قال فإننا قد فتننا قومك . . .	١٩٦	١١٣	وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا . . .	٢١٩
٨٦	فرجع موسى إلى قومه . . .	١٩٦	١١٤	فتعالى الله الملك الحق . . .	٢١٩
٨٧	قالوا ما أخلفنا موعدك . . .	١٩٧	١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل . . .	٢٢٠
٨٨	فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار . . .	١٩٧	١١٦	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	٢٢٢
٨٩	أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا . . .	٢٠٢	١١٧	فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك . . .	٢٢٢
٩٠	ولقد قال لهم هارون . . .	٢٠٢	١١٨	إن لك ألا تجوع فيها ولا تعمرى . . .	٢٢٢
٩١	قالوا لن نبرح عليه عاكفين . . .	٢٠٢	١١٩	وأنك لاتنظما فيها ولا تضحي . . .	٢٢٢
٩٢	قال يا هارون ما منعك . . .	٢٠٢	١٢٠	فوسوس إليه الشيطان . . .	٢٢٢
٩٣	ألا تبعن؟ أفعصيت أمرى . . .	٢٠٢	١٢١	فأكلا منها فبدت لهما سوءا تهما . . .	٢٢٤
٩٤	قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى . . .	٢٠٣	١٢٢	ثم اجتباه ربه فتاب عليه . . .	٢٢٤
٩٥	قال فما خطبك ياسامرى؟ . . .	٢٠٤	١٢٣	قال اهبطا منها جميعا . . .	٢٢٤
٩٦	قال بصرت بما لم يبصروا به . . .	٢٠٤	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى . . .	٢٢٥
٩٧	قال اذهب فإن لك في الحياة . . .	٢٠٦	١٢٥	قال رب لم حشرتني أعمى . . .	٢٢٥
٩٨	إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو . . .	٢٠٦	١٢٦	قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها . . .	٢٢٥
٩٩	كذلك نقص عليك من أنباء . . .	٢٠٩	١٢٧	وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن . . .	٢٣٠
١٠٠	من أعرض عنه فإنه يحمل . . .	٢٠٩	١٢٨	أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم . . .	٢٣٠
١٠١	خالدين فيه وساء لهم . . .	٢١٠	١٢٩	ولولا كلمة سبقت من ربك . . .	٢٣٢
١٠٢	يوم يُنفخ فى الصور ونحشر . . .	٢١٠	١٣٠	فاصبر على ما يقولون . . .	٢٣٢
١٠٣	يتخافتون بينهم إن لبثتم . . .	٢١٠	١٣١	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به . . .	٢٣٥
١٠٤	نحن أعلم بما يقولون . . .	٢١١	١٣٢	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر . . .	٢٣٦
١٠٥	ويستلونك عن الجبال . . .	٢١١	١٣٣	وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه . . .	٢٣٧
١٠٦	فيذرهما قاعا صمصمفا . . .	٢١١	١٣٤	ولو أنا أهلكناهم بعذاب . . .	٢٣٧
١٠٧	لاترى فيها عوجا ولا أمثا . . .	٢١١	١٣٥	قل كل متربص فتربصوا . . .	٢٣٨
١٠٨	يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له . . .	٢١٣			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٤	١
ما جرى بين مريم ويوسف النجار .	تأويل قوله تعالى « أما السفينة » ، وبيان أن
٦٧	كلمة « وراء » من حروف الأضداد ،
ذكر الذي نادى مريم من تحتها ، وبعض	والشاهد عليه .
فوائد للتمر والعجوة .	٦
٧٣	المراد بالكنز الذي كان تحت جدار اليتيمين ،
تأويل قوله تعالى « فكلوا واشربوا ... الآية	وأن الكنز كان في شريعتهم حلالا .
٧٦	٨
ما دار بينها وبين قومها من المحاورة .	خبر ذى القرنين ، ومسيره ، وما لقي من
٧٧	العجائب ، والخلاف فيه هل هو ملك ،
وجه كون مريم أخت هارون .	أو آدمي ؟
٨٢	١٧
اختلاف الناس في أمر عيسى عليه السلام .	بناء السدّ وإيراد الأخبار عن يأجوج ومأجوج .
٨٧	٢٨
تأويل قوله تعالى « وأنذرهم يوم الحسرة »	تأويل قوله تعالى « وتركتنا بعضهم » ... الآية .
... الآية ، وبيان ما يراه أهل الموقف من	٣٠
صورة الموت .	حقيقة الصور وما في القيامة من الأحوال .
٨٩	٣٢
ذكر إبراهيم عليه السلام ، ومحاورته لأبيه .	من همُّ الأخسرون أعمالا ؟
٩٤	٣٦
ذكر موسى عليه السلام ، وبيان المراد	تأويل قوله « إن الذين آمنوا » ... الآية ،
بتفريبه .	والخلاف في معنى الفردوس .
٩٦	٤٠
ذكر إدريس عليه السلام ، وما قيل	الرياء من جملة الإشراف بالله .
في رفعه .	٤١
٩٨	تفسير سورة مريم
ما قيل في معنى إضاعة الصلاة .	٤٥
١٠٣	خبر زكريا ودعائه .
تأويل قوله تعالى « وما ننزّل إلا بأمر	٤٦
ربك » ... الآية ، وما جرى بين رسول	سبب سؤاله ربه الولد .
الله صلى الله عليه وسلم وجبريل .	٥٤
١٠٨	تأويل قوله تعالى « يا يحيى خذ الكتاب » ،
ما ورد في ورود الناس جهنم .	وما أوتيتهُ يحيى عليه السلام من معاني
١٢٠	الأحوال والشواهد على معنى الخنان .
تأويل قوله تعالى « أفرايت الذي كفر بآياتنا »	٥٩
... الآية ، وأسباب نزولها .	قصة مريم عليها السلام ، والمكان الذي اتخذته ،
١٢٦	وإرسال الملك إليها ، والسبب الذي من أجله
ما ورد في ركوب بعض أهل الموقف النوق .	اتخذ النصراني المشرق قبلة .

الصفحة	الصفحة
١٨٤ ما حصل بين موسى والسحرة .	١٣٢ تأويل قوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا
١٨٧ ما حصل بين السحرة وفرعون .	الصالحات » . . . الآية ، وبيان أنه ما يُقبِل
١٩٧ فتنة السامريّ لبني إسرائيل .	أحد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب
٢٠٣ ما فعله موسى بأخيه هارون ، واعتذار	الناس إليه :
هارون له .	١٣٥ تفسير سورة طه
٢٠٤ ما رآه السامريّ من أثر جبريل .	١٣٩ بيان ما هو أخفى من السرّ .
٢٠٦ ما فعله موسى بالسامريّ وعيجه .	١٤١ خروج موسى بأهله ، وما لاقاه من الشدة .
٢١١ ما يفعل بالجبال عند قيام الساعة .	١٤٣ السبب في كون موسى أمر بخلع نعليه .
٢٢٠ العهد الذي عهد إلى آدم عليه السلام .	١٤٧ تأويل قوله تعالى « وأنا اخترتك » ، وبيان
٢٢٨ معيشة الضنك التي تكون للكافر .	أن الصلاة ذكر لله .
٢٣٢ تأويل قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت » ...	١٥٤ فوائد عصا موسى .
الآية ، ومعنى الأجل والزام .	١٥٧ لون موسى ، وذكر بعض حيلاه .
٢٣٥ ما أمر به صلى الله عليه وسلم من إعراضه	١٦٣ امتناع موسى عليه السلام من المراضع ،
عن الدنيا وزهرتها .	وما تمّ لأمه معه .
	١٧١ ما حصل بين موسى وفرعون من المحاورة .
	١٧٧ يوم الزينة .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٥٢	أَضْمَرَا				
١٤٩	غَمِيرَا		د		ا
	س	١٥٠	لَا نَقْعُدُ	٦٤	والرجاءُ
٢٠٧	شُوسُ	١٤١	بِأَوْحَدٍ		ب
١٥١	يَتَنَفَّسُ	١٤٥	المَسْرُودِ	١٨١	لَتَغْرِيبُ
١٢٦	جِيسَاسِ	١٣٠	إِدَا	١٥٢	أَقَارِبُهُ
٢١٤	لَمَيْسَا	١٢٢	وَوُلْدَا	١٨١	الْأَعْضَبِ
	ض	١٢٢	وُلْدَا	١١٧	المُكْعَبِ
٥٦	بَعَضُ	١٣١	الْقَرْدَا	٩٠	نَاصِبِ
٥٧	وَحْضَا		ر	١٥٢	والخُطْبَا
١٥١	مَامَضَى			١٨١	شَهْرَبَهُ
	ع	١٦٨	غَسْبَرُ		ت
١٨٣	مُجْمَعُ	٩٣	سَخَرُ		وَبَيَّتُ
١٤٨	النَّقِيعُ	٩٣	والْحَدْرُ	٥٧	أَمْتُ
١٦	تُبَعَا	٢٢٣	فَيَخْضَرُ	٢١٣	المُنْعَتِ
١٨٨	يَأْجِدَعَا	١١٥	خُزْرِ	٢٦	تَبَلَّتِ
	ف	١٣١	الصَّدْرِ	٦٦	ج
١٧٨	مُجَلَّفُ	١٧٦	والْفِزْرِ		الْأَرْتَدَجِ
	ق	١٦٨	قَدَرِ	٧٩	تَعَوَّجَا
١٨٥	وَصَدِيقُ	١٢١	جَمَارِ	٤	ح
١٥٣	طَلِيقُ	١٤١	أَطْهَارِ		يَبْرَحُ
	ل	٤٧	مُخْضَرِ	١٥١	والجَنَاحِ
١٣١ ، ٨٤	جَبَلُ	١٤٧	نَارَا	١٥٧	
		١٢٩	إِمْرَا		

الجزء السادس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٣٧	المَلَاعِينِ	١٣٥	سَقَامُهَا	٣٦	والبَصَلُ
٣٠	مُصَلِّتِينَا	٧١	قُلَامُهَا	٢٣٣	يَتَتَعَلُّ
٢٠٨	بِحَرْقُونَا	٢٣	تَوَهَّمِ	٢٢٥	أَنْزِلِ
	هـ	١٥٤	والبِشَامِ	٢٣٦	وَجَنَدَلِ
		١٨٠	لَصَمَّمَا	١٤٦	الْأَبْطَالِ
٧٣	فِيهِ	١٠١	لَاثِمَا	٢١٦	اِخْتِيَا لَهَا
	ي	٦٦	حَرَامَا	٥٧	مَقَالَا
			ن	١٣٧	مُؤَاثِلَا
٦٣	المَقْلَبِي	٢٤	الرُّكْنَيْنِ	٢١٦	اسْتَقَالَا
٧٦	الْقَرِيَّأِ	٥٧	الْحَنَانِ		م
١	وَرَائِيَا	٧٢	وَالشَّيْبَانِ	٩٠	يَتَوَسَّمُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ  
مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا (٧٩)

يقول : أما فعلى ما فعلت بالسفينة ، فلأنها كانت لقوم مساكين ( يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ  
أَعِيبَهَا ) بالخرق الذي خرقتها .

كما حدثني ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول  
الله عز وجل ( فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ) قال : أخرقتها .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا ) وكان أمامهم وقُدَّ أمهم ملك .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

مَلِكٌ ) قال قتادة : أمامهم ، ألا ترى أنه يقول ( مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ) وهي بين أيديهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان في القراءة : وكان أمامهم ملك

يأخذ كل سفينة صحيحة غضبا . وقد ذكر عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

أنه قرأ ذلك : وكان أمامهم ملك .

قال أبو جعفر : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب « وراء » من حروف الأضداد ، وزعم أنه

يكون لما هو أمامه ولما خلفه ، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أَيْرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمِيعِي وَطَاعِيِي وَقَوْمِي تَمِيمِي وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

(١) البيت لسوار بن المضرب (اللسان : وري) . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤١٣) قال : في تفسير قوله تعالى : « وكان وراءهم ملك » : أي بين أيديهم وأمامهم . قال : « أترجو بنو مروان . . . البيت » : أي أمامي . أ . وفي (اللسان : وري) : وقوله عز وجل : « وكان وراءهم ملك » : أي أمامهم . قال ابن بري : ومثله قول سوار بن المضرب : « أيرجو بنو مروان . . . البيت » .

بمعنى أمامي ، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائي ، لأنك من ورائه ، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك ، فصار إذ كان ملاقيك ، كأنه من ورائك وأنت أمامه . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائي ، ولا إذا كان وراءك أن يقال : هو أمامي ، ويقول : إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة ، كقول القائل : وراءك برد شديد ، وبين يديك حر شديد ، لأنك أنت وراءه ، فجاز لأنه شيء يأتي ، فكأنه إذا لحقتك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغت صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

وقوله ( يَا خُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ) فيقول القائل : فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، معييبها وغير معييبها ، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها ، لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ؟ قيل : إن معنى ذلك : أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، ويدع منها كل معيبة ، لأنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها . فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله ( فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ) فأبان بذلك أنه إنما عابها ، لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكفني بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : هي في حرف ابن مسعود : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى الحسن بن دينار ، عن الحكم بن عيينة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : في قراءة أبي : ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ) : وإنما عتبها لأردده عنها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ) فإذا خلفوه أصلحوها بزفت ، فاستمتعوا بها . قال ابن جريج : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الحبشي ، أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا : هُدْدُ بْنُ بُدْدٍ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)

يقول تعالى ذكره : وأما الغلام ، فإنه كان كافرا ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما : يقول بغشيهما طغيانا ، وهو الاستكبار على الله ، وكفرا به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكر ذلك في بعض الحروف . (وأما الغلام فكان كافرا) :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : (وأما الغلام فكان



كافراً) في حرف أُتِي ، وكان أبواه مؤمنين ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ) وكان كافراً في بعض القراءة ، قوله ( فَخَشِينَا ) وهي في مصحف عبد الله ( فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الجبار بن عباس الميموني ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبِيعَ يَوْمٍ طَبِيعَ كَيْفَرًا » . والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن ، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يُدرك من غير جهة الحس والعيان . وقد بيّنا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى قوله ( خَشِينَا ) في هذا الموضع : كرهنا ، لأن الله لا يخشى . وقال في بعض القراءات : فخاف ربك ، قال : وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا ، وهو لا ينف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما .

وقوله ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا ) : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا ) . وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدداً في عامة القرآن ، كقول الله عز وجل ( فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) ، وقوله ( وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ) ، فألحق قوله ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا بِهِ ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا ) بتخفيف الدال . وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول : أبدل يُبَدِّلُ بالتخفيف وبَدَّلَ يُبَدِّلُ بالتشديد : بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وقيل : إن الله عز وجل أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا المبارك بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن قيس في قوله ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) قال : بلغني أنها جارية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، أخبرني سليمان بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول : أبدل مكان الغلام جارية .

قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أنه سمع سعيد بن جبير يقول : أبدل مكان الغلام جارية .

وقال آخرون : أبدهما ربهما بسلام مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّ لَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) قال : كانت أمه حبلى يومئذ بسلام مسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضير ، فقال : قد فرح به أبواه حين ولد ، وحزننا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره ، خير له من قضائه فيما يحب .  
وقوله ( خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ) يقول : خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّ لَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ) قال : الإسلام .  
وقوله ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقرب رحمة بالديه ، وأبرَّ بهما من المقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أبرَّ بالديه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أى أقرب خيرا .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أرحم به منهما بالذى قتل الخضير . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : وأقرب أن يرحما . والرحم : مصدر رحمت ، يقال : رحمته رحمة ورحما . وكان بعض البصريين يقول : من الرحيم والقراية . وقد يقال : رُحْمٌ ورُحْمٌ مثل عُسْرٍ وعُسْرٍ ، وهُلُكٌ وهُلُكٌ ، واستشهد لقوله ذلك بيت العجاج :

وَلَمْ تُعَوِّجْ رُحْمٌ مَن تَعَوَّجَا

ولا وجه للرحيم في هذا الموضع ، لأن المقتول كان الذى أبدل الله منه والديه ولدا لأبوى المقتول ، فقربتهما من والديه ، وقربهما منه في الرحيم سواء . وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرحم والديه ، فيبرهما كما

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٠) وهو من شواهد أبي عبيدة في (بجاز القرآن ٤١٣) قال في تفسير قوله تعالى : «وأقرب رحما» : معناها : معنى رحما ، مثل عسر ويسر ، وهلك وهلك . قال العجاج : «ولم تعوج . . . البيت . . . وفي (اللسان : رحم) : بالضم ، بالضم : الرحمة . وفي التنزيل : «وأقرب رحما» ، وقرئت رحما (بضمين) . وقال أبو إسحاق : أى أقرب عطفًا ، وأمس بالقراية . والرحم والرحم (بضم الراء المشددة فيها ، مع سكون الحاء أو ضمها) في اللغة : العطف والرحمة .

قال قتادة . وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه : وأقرب أن يرحماه ، غير أنه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك ، فإذا لم يكن فيه قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بيننا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ، وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى : وأما الحائط الذي أقمته ، فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز ، فقال بعضهم : كان مضمنا فيها علم مدفونة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وكان تحته كنز لهما ) قال : كان تحته كنز علم .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبیر ( و كان تحته كنز لهما ) قال : كان كنز علم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( و كان تحته كنز لهما ) قال : علم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( و كان تحته كنز لهما ) قال : علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( و كان تحته كنز لهما ) قال : صحف لغلامين فيها علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : صحف علم . حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : ثنا هشادة بن مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحب حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل ( و كان تحته كنز لهما ) قال : سطران ونصف ، لم يتم الثالث : «عجبت للموقن بالرزق ، كيف يتعب ؟ وعجبت للموقن بالحساب ، كيف يغفل ، وعجبت للموقن بالموت ، كيف يفرح ؟ » وقد قال ( وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا

بها وكفمتي بينا حاسبين) قالت : وذكر أنهما حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حُفِظَا بِهِ سبعة آباء ، كان نساجا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا الحسن بن حبيب بن ندبة ، قال : ثنا سلمة بن محمد ، عن نعيم العنبري ، وكان من جلساء الحسن ، قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم : عجب لمن يؤمن كيف يحزن ؟ وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها ، كيف يطمئن إليها ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما كان الكنز إلا عِلْمًا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : مُصْحَفٌ مِنْ عِلْمٍ :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، عن عمر مولى غنفر ، قال : إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : كان لوحا من ذهب مصمت ، مكتوبا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . عَجَبٌ مِمَّنْ عَرَفَ الْمَوْتَ ثُمَّ ضَحِكَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ تَنَصَّبَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ أَمِنَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

وقال آخرون : بل كان مالا مكنوزا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : كنز مال :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، مثله . حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو داود ، عن شعبة ، قال : أخبرني أبو حصين ، عن عكرمة ، مثله ، قال شعبة : ولم نسمعه منه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : مال لهما ، قال قتادة : أُحِيلَ الْكَنْزُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَحُرِّمَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِيلُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ ، وَيُحَرِّمُ ، وَهِيَ السَّنُّ وَالْفَرَائِضُ ، وَيُحِيلُ الْأَمَةَ ، وَيُحَرِّمُ عَلَى أُخْرَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مَضَى إِلَّا الْإِخْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ لَهُ .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله عكرمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما يكنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك ، لعل قد بيناها في غير موضع .

(١) عمر بن عبد الله المدني ، مولى غفرة ، بضم المعجمة ، قيل : هي أخت بلال بن رباح . توفي سنة ١٤٥ هـ (الخرزجى) .

وقوله (أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ) يقول : فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته ، رحمة من ربك بهما ، يقول : فعلت فعل هذا بالجدار ، رحمة من ربك لليتيمين .

وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ) قال : حَفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، وما ذكر منهما صلاح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بمثله .

وقوله ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) يقول : وما فعلت بأموسى جميع الذى رأيتنى فعلته عن رأيي ، ومن تلقاء نفسى ، وإنما فعلته عن أمر الله إياى به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) كان عبدا مأمورا ، فضى لأمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسى .

وقوله ( ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) يقول : هذا الذى ذكرت لك من الأسباب التى من أجلها فعلت الأفعال التى استنكرتها منى ، تأويل . يقول : ما تقول إليه وترجع الأفعال التى لم تسطع على ترك مسئلتك إياى عنها ، وإنكارك لها صبورا .

وهذه القصص التى أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقديم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجرى مثله أحيانا لأولياته ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها ، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى ، إذ لم يكن عالما بعواقبها ، وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآثلة إلى الصواب فى العاقبة ، ينبى عن صحة ذلك قوله : ( وَبِئْسَ الْتَغْمُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاَ ) . ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين ، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يحسب من لاعلم له بما الله مدبر فيهم ، نظرا منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخيزى الدائم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ ، سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكْنَأُ لَهُ

فِي الْأَرْضِ ، وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين : ما كان شأنه؟ وما كانت قصته؟ فقل لهم : سأتلو عليكم من خبره ذكرا : يقول : سأقصّ عليكم منه خبرا . وقد قيل : إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين ، كانوا قوما من أهل الكتاب . فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل .

وأما الخبر بأن الذين سألوه ، كانوا قوما من أهل الكتاب ، فحدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن ابن لهيعة ، قال : ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب ، قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث ، قال : فأتياه فقالا : جئنا لتحدثنا ، فقال : « كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت من عنده ، فلقيني قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه ، فأخبرته ، فقال مالى ومالم؟ مالى علم إلا ما علمنى الله . ثم قال : اسكب لى ماء ، فتوضأ ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ، ثم قال : أدخلهم على ، ومن رأيت من أصحابى ، فدخلوا فقاموا بين يديه ، فقال : إن شئتم سألتكم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا ، وإن شئتم أخبرتكم ، قالوا : بلى أخبرنا ، قال : جئتم تسألونى عن ذى القرنين ، وما تجدونه فى كتابكم : كان شابا من الروم ، فجاء فبنى مدينة مصر الاسكندرية ؛ فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء ، فقال له ما ترى؟ فقال : أرى مدينتى ومدائن ، ثم علا به ، فقال : ما ترى؟ فقال : أرى مدينتى ، ثم علا به فقال : ما ترى؟ قال : أرى الأرض ، قال : فهذا اليمّ محيط بالدينا ، إن الله بعثنى إليك تعلم الجاهل ، وتنبئت العالم ، فأتى به السدّ ، وهو جبلان لينان يرزلقى عنهما كل شىء ، ثم مضى به حتى جاوز بأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى ، وجوههم وجوه الكلاب ، يقاتلون بأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى ، يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد ساهم . »

واختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله قيل لذى القرنين : ذو القرنين ، فقال بعضهم : قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قبره فهلك ، ثم أحسبى ، فضرّب على القرن الآخر فهلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبيد المكتيب ، عن أبى الطّفّيل ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا عن ذى القرنين ، فقال : هو عبد أحبّ الله فأحبه ، وناصح الله فنصحه ، فأمرهم بتقوى الله ، فضرّبوه على قبره فقتلوه ، ثم بعثه الله ، فضرّبوه على قبره فمات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، قال :  
سئل على رضوان الله عليه عن ذى القرنين ، فقال : كان عبدا ناصح الله فنصحته ، فدعا قومه إلى الله ، فضر به  
على قرنه فمات ، فأحياه الله ، فدعا قومه إلى الله ، فضر به على قرنه فمات ، فسمى ذا القرنين .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن  
أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا وسأله عن ذى القرنين أنبيا كان؟ قال : كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه ،  
وناصح الله فنصحته ، فبعثه الله إلى قومه ، فضر به ضربتين في رأسه ، فسمى ذا القرنين ، وفيكم اليوم مثله .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال :  
ثني عبد الصمد بن معقل ، قال : قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين ملكا ، فقيل له : فلم سمي ذا القرنين؟  
قال : اختلف فيه أهل الكتاب ، فقال بعضهم : ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين .  
وقال آخرون : إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، قال : ثني من لآتهم عن وهب بن منبه  
اليماني ، قال : إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .  
وقوله ( إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : إنا وطأنا له في الأرض .  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : وآتيناه من كل شيء : يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : علما .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) :  
أى علما .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
سَبَبًا ) قال : من كل شيء علما . .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، بقوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ سَبَبًا ) قال : علم كل شيء .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) علما .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : علما .

وقوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة ، فاتَّبَعَ بوصول الألف ، وتشديد التاء ، بمعنى : سلك وسار ، من قول القائل : اتَّبَعْتُ أثر فلان : إذا قفوتَه ؛ وسرت وراءه . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( فَاتَّبَعَ ) بهمز الألف ، وتخفيف التاء ، بمعنى لحق . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه ( فَاتَّبَعَ ) بوصول الألف ، وتشديد التاء ، لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين في الأرض التي يمكن له فيها ، لاعن لحاقه السبب ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) يعني بالسبب : المنزل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( سَبَبًا ) قال : منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه : حدثني محمد بن ثمر الجاهلي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : طريقا في الأرض . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) : اتبع منازل الأرض ومعالمها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ( يا هامانُ ابنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ) قال : طَرَّقَ السَّمَوَاتِ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : منازل الأرض . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : المنازل .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ، قُلْنَا يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ ، إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)

(١) عبارة الدر : هذه الآن الطرق ، ثم قال : والشئ يكون اسمه واحدا ، وهو متفرق في المعنى .



يقول تعالى ذكره : ( حَتَّى إِذَا بَلَغَ ) ذو القرنين ( مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ، فاختلقت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) بمعنى : أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة ، وقرأه جماعة من قراء المدينة ، وعمامة قراء الكوفة ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) يعني أنها تغرب في عين ماء حارة .

واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته :

ذكر من قال ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ )

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : في طين أسود .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ذات حمأة .

حدثنا الحسين بن الجعيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن علقمة ، عن عثمان بن حاضر ، قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : قرأ معاوية هذه الآية ، فقال : ( عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، قال : فيجعلها كعبا بينهما ، قال : فأرسلا إلى كعب الأخبار ، فسألاه ، فقال كعب : أما الشمس فلإنها تغيب في ثأط ، فكانت على ما قال ابن عباس ، والثأط : الطين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أني نافع بن أبي نعيم ، قال : سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول : كان ابن عباس يقول ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ثم فسرها : ذات حمأة ، قال نافع : وسئل عنها كعب ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : هي الحمأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ثأط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله عز ذكره ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ثأطة .

قال : وأخبرني عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : قرأت ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) وقرأ عمرو بن العاص ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) فأرسلنا إلى كعب ، فقال : إنها تغرب في حمأة طينة سوداء . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) والحمئة : الحمأة السوداء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .

وقال آخرون : بل هي تغيب في عين حارة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) يقول : في عين حارة .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجم ، قال : سمعت الحسن يقول ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) قال : حارة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) قال : حارة ، وكذلك قرأها الحسن .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم ، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تعرب في عين حارة ذات حمأة وطين ، فيكون القارى في عين حامية بصفها التي هي لها ، وهي الحرارة ، ويكون القارى في عين حمئة واصفها بصفها التي هي بها ، وهي أنها ذات حمأة وطين . وقد روى بكلا صيغتيها اللتين قلت لهما من صفتيها أخبار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوام ، قال : ثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله ، قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت ، فقال : « فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ ، فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ ، لَوْلَا مَا يَزَعُهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَحْرَقَتْ مَا عَلَى الْأَرْضِ » .

حدثني الفضل بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه ( حَمِيَّة ) .

وقوله ( وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ) ذكر أن أولئك القوم يقال لهم : ناسك . وقوله ( قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّا إِذًا أَنْتَ نَبِيُّ رَبِّنَا حَقًّا ) يقول : إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله ، ويؤذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ( وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ) يقول : وإما أن نأسرهم فتعلمهم الهدى ، وتبصرهم الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًّا (٨٧)

يقول جل ثناؤه ( قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ) يقول : أما من كفر فسوف نقتله .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ) قال : هو القتل . وقوله ( ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًّا ) يقول : ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله ، فيعذب به عذاباً عظيماً ، وهو النكر ، وذلك عذاب جهنم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)

يقول : وأما من صدق الله منهم ووحده ، وعمل بطاعته ، فله عند الله الحسنى ، وهى الجنة ، جزاء : يعنى ثوابا على إيمانه ، وطاعته ربه .

وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقراؤه عامّة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة ( فقله جزاء الحسنى ) برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى .

وإذا قرئ ذلك كذلك ، فله وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يجعل الحسنى مرادا بها إيمانه وأعماله الصالحة ، فيكون معنى الكلام إذا أريد بهاذلك : وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها ، يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة .

والوجه الثانى : أن يكون معنيا بالحسنى : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها ، كما قيل ( ولتدار الآخرة خبير ) والدار : هى الآخرة ، وكما قال ( وذلك دين القبيمة ) والدين : هو القيم .

وقرأ آخرون : ( فقله جزاء الحسنى ) بمعنى : فله الجنة جزاء ، فيكون الجزاء منصوبا على المصدر ، بمعنى : يجازيهم جزاء الجنة :

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى : قراءة من قرأه ( فقله جزاء الحسنى ) بنصب الجزاء وتنوينه ، على المعنى الذى وصفت ، من أن لهم الجنة جزاء ، فيكون الجزاء نصبا على التفسير .

وقوله ( وسنقول له من أمرنا يسرا ) يقول : وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه ، مما يقربه إلى الله ويبلين له من القول . وكان مجاهد يقول نحو ما قلنا فى ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( من أمرنا يسرا ) قال معروف . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

## القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ

دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)

يقول تعالى ذكره : ثم سار وسلك ذوالقرنين طرقا ومنازل :

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله ( ثم أتبع سببا ) يعنى منزلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثم أتبع سببا ) منازل الأرض ومعالمها

( حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) : يقول تعالى ذكره : ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ، ولا تحتل بناء ، فيسكنوا البيوت ، وإنما يغفرون في المياه ، أو يسربون في الأسراب . كما حدثني إبراهيم بن المستمر ، قال : ثنا سليمان بن داود وأبو داود ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت السراج ، عن الحسن ( تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) قال : كانت أرضاً لا تحتل البناء ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغفروا في الماء ، فإذا غربت خرجوا يتراعون ، كما ترعى البهائم ، قال : ثم قال الحسن : هذا حديث سمرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) ذكِّر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء ، وإنما يكونون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت عنهم ، الشمس خرجوا إلى معاشهم وحروثهم ، قال : كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( وجدها تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) قال : لم يبنوا فيها بناء قط ، ولم يسبن عليهم فيها بناء قط ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل ، وجاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلُّعنَّ عليكم الشمس وأنتم بها ، فقالوا : لا نبرح حتى تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيِّف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فأتوا ، قال : فذهبوا هارين في الأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) قال : بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء ، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس ، حتى تزول عنهم ، ثم يخرجون إلى معاشهم . وقال آخرون : هم الزنج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( تطلُّعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً ) قال : يقال : هم الزنج .  
وأما قوله ( كذلك ) فإن معناه : ثم أتبع سبباً كذلك ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس ؛ وكذلك : من صلة أتبع . وإنما معنى الكلام : ثم أتبع سبباً . حتى بلغ مطلع الشمس ، كما أتبع سبباً حتى بلغ مغربها . وقوله ( وقد أحطنا بما لديه خبراً ) يقول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علماً ، لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ، ولا من غيرهم ، شيء .

وبالذی قلنا فی معنی الخبر ، قال أهل التأویل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( خُسْبِرًا ) قال : علما .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُسْبِرًا ) قال : علما .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ  
قَوْلًا (٩٣) قَالُوا: يَا قَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُكَ خَرَجًا  
عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ثم سار طرُقًا ومنازل ، وسلك سبلا ( حَسَبِي إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين ( حتى إذا بلغ بين السدَّين ) ،  
بضم السين ، وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك ، بضم السين . وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله .  
وكان أبو عمرو وابن العلاء يفتح السين في هذه السورة ، ويضم السين في يس ، ويقول : السد بالفتح : هو  
الحاجز بينك وبين الشيء ؛ والسد بالضم : ما كان من غشاوة في العين . وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في  
جميع القرآن بفتح السين غير قوله ( حتى إذا بلغ بين السدَّين ) فإنهم ضموا السين في ذلك خاصة .  
وروى عن عكرمة في ذلك ، ما حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن  
هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما كان من صنعة بني آدم فهو السد ، يعني بالفتح ، وما كان  
من صنع الله فهو السد . وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، ولغتان  
متفقتا المعنى غير مختلفة ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء ،  
وعكرمة بين السد والسد ، لأننا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك ، على ما حكى عنهما . ومما يبين  
ذلك أن جميع أهل التأويل الذي روى لنا عنهم في ذلك قول ، لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك  
وضمه ، ولو كانا مختلفي المعنى ، لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله ، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير  
مفترق ، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك . وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك ، فإن الذي نقل  
ذلك عن أيوب هارون ، وفي نقله نظر ، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه . والسد والسد  
جميعا : الحاجز بين الشيئين ، وهما ههنا فيما ذكر جبلان ، سد ما بينهما ، قرءم ذوالقرنين حاجزا بين يأجوج  
ومأجوج ومن وراءهم ، ليقطع مادة غوائلهم وعييتهم عنهم :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( حتى إذا بلغ بين السدَّينِ ) قال : الجبلين ، الرَّدْمُ الذي بين يأجوج ومأجوج ، أمتين من وراء رَدْمِ ذى القرنين ، قال : الجبلان : أرمنية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا بلغ بين السدَّينِ ) وهما جبلان : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( بين السدَّينِ ) يعنى بين جبلين :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بين السدَّينِ ) قال : هما جبلان .

وقوله ( وجدَّ منْ دُونِهِمَا قَوْمًا لايكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) يقول عزَّ ذكره : وجد من دون السدَّينِ قوما لايكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم :

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( يَفْقَهُونَ ) فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) بفتح القاف والياء ، من فقه الرجل يفقهه ففها . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) بضم الياء وكسر القاف : من أفقحت فلانا كذا أفقحه إفقاها : إذا فهمته ذلك . والصواب عندي من القول في ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، غير دافعة إحداهما الأخرى ، وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر ، جائز أن يكونوا لايكادون يفقهون قولا غيرهم عنهم ، فيكون صوابا القراءة بذلك ؛ وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لايكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل : إما بالسنتهم ، وإما بمنطقهم ، فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا .

وقوله ( إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ( إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ( إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) بغير همز على فاعول ، من يمجج ومججت ، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين ، غير عاصم بن أبي النجود والأعرج ، فإنه ذكر أنهما قرأا ذلك بالهمز فيهما جميعا ، وجعلوا الهمز فيهما من أصل الكلام ، وكانهما جعلتا يأجوج : يفعل من أججت ، ومأجوج : مفعول :

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا : أن ( يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) بألف بغير همز ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :

لَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مَعًا وَعَادَ عَادُوا وَاسْتَجَاشُوا تَبَعًا

وهم أمتان من وراء السدِّ :

(١) البيت لرؤبة بن العجاج (ديوانه طبعه ليبسج سنة ١٩٠٣ من ٩٢) قال : « يأجوج ومأجوج : لا ينصرفان . وبضم يهمز ألفيهما ، =

وقوله ( مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأممين ، فقال بعضهم : كانوا يأكلون الناس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني ، قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) قال : كانوا يأكلون الناس :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض ، لأنهم كانوا يومئذ يفسدون .

ذكر من قال ذلك ، وذكر صفة اتباع ذى القرنين الأسباب التي ذكرها الله

في هذه الآية ، وذكر سبب بنائه للردم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ، ممن قد أسلم ، مما توارثوا من علم ذى القرنين ، أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني ، من ولد يونس بن يافث بن نوح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، وكان خالد رجلا قد أدرك الناس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين ، فقال : « مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ » قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول : يا ذا القرنين ، فقال : اللهم غمِّعْرا ، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء ، حتى تسموا بأسماء الملائكة ؟ فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فالحق ما قال ، والباطل ما خالفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من لا أتهم عن وهب ابن منبه اليماني ، وكان له علم بالأحاديث الأول ، أنه كان يقول : ذو القرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ؛ فلما بلغ - وكان عبدا صالحا ، قال الله عز وجل له : يا ذا القرنين إني باعتك إلى أم الأرض ، وهي أم مختلفة ألسنتهم ، وهم جميع أهل الأرض ؛ ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ؛ ومنهم أمتان

= وبعضهم لا يهملها ؛ قال رؤبة : « لو أن يأجوج ومأجوج معا » فلم يصر فهما . وفي ( اللسان : أجيح ) : ويأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله ، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز . قال : وجاء في الحديث « إن الخلق عشرة أجزاء ، تسعة منها يأجوج ومأجوج . وهما اسمان أعجميان ، واشتقاق مثلهما من كلام العرب : يخرج من أجت النار ، ومن الماء الأجاج ، وهو الشديد الملوحة ، المحرق من ملوحته . قال : ويكون التقدير في يأجوج : « يفعل » . وكذلك مأجوج . قال : وهذا لو كان الاثنان عربيان ، لكان هذا اشتقاقهما ؛ فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية . ومن لا يهمل ، وجعل الألفين زائدتين ، يقول : يأجوج : من يججت ، ومأجوج : من مججت وهما غير مصروفين ؛ قال رؤبة : لو أن يأجوج ومأجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تبعها .

بينهما عرض الأرض كله ، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس وأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض : فأمة عند مغرب الشمس ، يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها ، يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض ، فأمة في قطر الأرض الأيمن ، يقال لها : هاويل . وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها : تاويل ؛ فلما قال الله له ذلك ، قال له ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم ، لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها ، بأى قوة أكابره ، وبأى جمع أكابره ، وبأى حيلة أكابدهم ، وبأى صبر أقاسيمهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أعي قولهم ، وبأى بصر أنفؤدهم ، وبأى حجة أحاصمهم ، وبأى قلب أعقل عنهم ، وبأى حكمة أدبر أمرهم ، وبأى قسط أعدل بينهم ، وبأى حلم أصابهم ، وبأى معرفة أفضل بينهم ، وبأى علم أتقن أمورهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطوهم ، وبأى طاقة أخصمهم ، وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أستألفهم ، فإنه ليس عندى يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ، ولا يقوى عليهم ، ولا يطيقهم ، وأنت الرب الرحيم ، الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يحملها إلا طاقتها ، ولا يُعْزَبُها ، ولا يتفدحها ، بل أنت ترأفها وترحمها ؟ قال الله عز وجل : إني سأطوئك ما حملتك ، أشرح لك صدرك ، فيسبح كل شيء ، وأشرح لك فهمك ، فتفقه كل شيء ، وأبسط لك لسانك ، فتنتطق بكل شيء ، وأفتح لك سمعك ، فتعي كل شيء ، وأمد لك بصرك ، فتتفؤد كل شيء ، وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء ، وأحصي لك فلا يفوتك شيء ، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء ، وأشد لك ظهرك ، فلا يهدك شيء ، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء ، وأشد لك قلبك فلا يرؤعك شيء ، وأخبر لك النور والظلمة ، فأجعلهما جندا من جنودك ، يهديك النور أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك ، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء ، وأبسط لك من بين يديك ، فتسطو فوق كل شيء ، وأشد لك وطأتك ، فتهد كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء .

ولما قيل له ذلك ، انطلق يوم الأمة التي عند مغرب الشمس ، فلما بلغهم ، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله ، وألسنة مختلفة ، وأهواء متشعبة ، وقلوبا متفرقة ؛ فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها ، فأحاطتهم من كل مكان ، وحاشتهم حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور ، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته ، فمنهم من آمن له ، ومنهم من صد ، فعمد إلى الذين تولوا عنه ، فأدخل عليهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم ودورهم ، وغشيتهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، ومن كل جانب منهم ، فاجوا فيها وتحيروا ؛ فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ، عجزوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم ، وأخذهم عنوة ، فدخلوا في دعوته ، فجنده من أهل المغرب أمما عظيمة ، فجعلهم جنندا واحدا ، ثم انطلق بهم يقودهم ، والظلمة تسوقهم من خلفهم ، وتحرسهم من حولهم ، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم ، وهو يسير في ناحية الأرض التي ، وهو يريد الأمة

(١) يقال : رأف به يرأف : إذا رحمه ، وهو بوزن فتح وكرم وفرح . ويعدى بالباء ، كما في اللسان ، ولعل هنا مضمن معنى رؤه ، فعدى بنفسه ، أو محرف عن ترأفها .



التي في قطر الأرض الأيمن ، التي يقال لها هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره واثماره ، فلا يخطئ إذا ائتمر ، وإذا عمل عملاً أتقنه . فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه ، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال ، فنظمها في ساعة ، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود ، فإذا قطع الأنهار والبحار فتتقها ، ثم دفع إلى كل إنسان لوحاً ، فلا يكفره حمله ، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ، فعمل فيها كعمله في ناسك . فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى ، حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها ، وجند منها جنوداً ، كفعله في الأيمن اللتين قبلها ، ثم كرم مقبلاً في ناحية الأرض اليسرى ، وهو يريد تأويل ، وهي الأمة التي بحيال هاويل ، وهما متقابلتان ، بينهما عرض الأرض كله ، فلما بلغها عمل فيها ، وجند منها كفعله فيما قبلها ؛ فلما فرغ منها ، عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض ، من الجن وسائر الناس ، وبأجوج ومأجوج ؛ فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق ، قالت له أمة من الإنس صالحة : ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للإنس ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع ، يأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب ، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمو نمامهم في العام الواحد ، ولا يزداد كزيادتهم ، ولا يكثر ككثرتهم ، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمامهم وزيادتهم ، فلا شك أنهم سيمثلون الأرض ، ويحلون أهلها عنها ، ويظهرون عليها ، فيفسدون فيها ، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم ، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ( فبهل تجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال : ما مكنتي فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ) : أعيدوا إلى الصخور والحديد والنحاس حتى ارتاد بلادهم ، وأعلم علمهم ، وأقيس ما بين جبلهم . ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم ، وتوسط بلادهم ، فوجدهم على مقدار واحد ، ذكرهم وأنثاهم ، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا ، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا ، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحنك كأحنك الإبل قوة ، تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل ، أو كقضم الفحل المسن ، أو الفرس القوى ، وهم هلئب ، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريههم ، وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم ؛ ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان : إحداهما وبيرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما ، يلتحف إحداهما ، ويفترش الأخرى ، ويصيف في إحداهما ، ويشتي في الأخرى ، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ، ومنقطع عمره ، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم ، حتى يخرج من صلبه ألف ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت ، وهم يرزقون الثنين أيام الربيع ، ويستمطرونه إذا تحينوه ، كما نستمطر الغيث حينه ، فيقذفون منه كل سنة بواحد ، فيأكلونه عامهم كله ، إلى مثله من العام القابل ، فيغنيهم على كثرتهم ونمامهم ، فإذا مَطَرُوا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا ، ورؤي أثره عليهم ، فدرت عليهم الإناث ، وشيقت منهم الرجال

(١) في (عرائس المجالس للعلبي المفسر ، طبعة : الحلبي ص ٣٦٥) ليس فيهم مشابهة من الإنس . وهو أليق بالمقام .

الذكور ، وإذا أخطأهم هزّلوا وأجدبوا ، وجفرت الذكور ، وحالت الإناث ، وتبين أثر ذلك عليهم ، وهم يتداعون تداعى الحمام ، ويعوون عواء الكلاب ، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم .

فلما عاين ذلك منهم ذوالقرنين انصرف إلى ما بين الصّدّقين ، ففاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس ، فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ ، فلما أنشأ في عمله ، حفر له أساسا حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ، وجعل حشوه الصخور ، وطينه النحاس ، يذاب ثم يُصبّ عليه ، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض ، ثم علاه وشرّفه بزبر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر ، فصار كأنه بُردٌ مُجبر من صفرة النحاس وحرته وسواد الحديد ؛ فلما فرغ منه وأحكمه ، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجنّ ، فبينما هو يسير ، دفع إلى أمة سالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، فوجد أمة مَقْسِطَة مقتصدة ، يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ، ويتأسون ويتراحمون ، حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة ، وأخلاقهم مشتبهة ، وطريقهم مستقيمة ، وقلوبهم متألّفة ، وسيرتهم حسنة ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ، وليس على بيوتهم أبواب ، وليس عليهم أمراء ، وليس بينهم قضاة ، وليس بينهم أغنياء ، ولا ملوك ، ولا أشراف ، ولا يتفاوتون ، ولا يتفاضلون ، ولا يختلفون ، ولا يتنازعون ، ولا يستبشون ، ولا يقتلون ، ولا يتقحطون ، ولا يتحرّدون ، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ، ولا فقير ، ولا فظّ ، ولا غليظ . فلما رأى ذلك ذوالقرنين من أمرهم ، عجب منه ! وقال : أخبروني أيها القوم خيركم ، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرّها ، وشرقها وغربها ، ونورها وظلمتها ، فلم أجد مثلكم ، فأخبروني خيركم ؛ قالوا : نعم ، فسلنا عما تريد ، قال : أخبروني ، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك ، لئلا ننسى الموت ، ولا يخرج ذِكْرُه من قلوبنا ؛ قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا : ليس فينا متهم ، وليس منا إلا أمين مؤتمن ؛ قال : فما لكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لانتظام ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم حكام ؟ قالوا : لانخصم ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لانتكاثر ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لانتكابر ؛ قال : فما بالكم لانتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قبيل ألفة قلوبنا ، وصلاح ذات بيننا ؛ قال : فما بالكم لانتستبشون ولا تقتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعا بالعزم ، وسسنا أنفسنا بالأحلام ؛ قال : فما بالكم كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة مستوية ؟ قالوا : من قبل أنا لانتكاذب ، ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا ؛ قال : فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سيرتكم ؟ قالوا : صحّت صدورنا ، فنزع بذلك الغيل والحسد من قلوبنا ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أنا نقسم بالسوية ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذلّ والتواضع ؛ قال : فما جعلكم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أنا نتعاطى الحقّ ، ونحكم بالعدل . قال : فما بالكم لانتقحطون ؟ قالوا : لانغفل عن الاستغفار ؛ قال : فما بالكم لا تتحرّدون ؟ قالوا : من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا ، وأحببناه وحرصنا عليه ، فعربنا منه ؛ قال : فما بالكم لاتصيبكم الآفات كما تصيب الناس ؟ قالوا : لانتوكل على غير الله ، ولا نعمل

بالأنواء والنجوم ؛ قال : حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويؤاسون فقراءهم ، ويتعفون عن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلمون عن جهل عليهم ، ويستغفرون لمن سبهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدون أماناتهم ، ويحفظون وقتهم لصلاتهم ، ويؤفون بعهودهم ، ويصدقون في مواعيدهم ، ولا يرغبون عن أكفأهم ، ولا يستنكفون عن أقاربهم ، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم ، وحفظهم ما كانوا أحياء ، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفَرُونَ السِّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدًا ، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرْكُوهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، فَيَسْتَشْفُونَ الْمِيَاهَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَرْجِعُ فِيهَا كَهَيْئَةِ الدَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ دَوَّابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنَّ وَتَشْكُرَ مِنْ لِحُومِهِمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري ، عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَفْتَحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ ، حَتَّى يَسْرُكُوهُ يَابِيسًا ، حَتَّى إِنْ مَنَّ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا انْحَازَ إِلَى حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ ، قَالَ قَائِلُهُمْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَعْنَا مِنْهُمْ ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يَهْرُ أَحَدُهُمْ حَرَبَتَهُ ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْضَبَةً دَمَا لِلْبِلَاءِ وَالْفِتْنَةِ ، فَيَبْدِيَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَالنَّعْفِ ، فَتَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيَصْبِحُونَ مَوْتَى ، لَا يَسْمَعُ هُمْ حِسًّا ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ الْعَدُوُّ ، قَالَ : فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُخْتَسِبًا لِنَفْسِهِ ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلَا أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيُسْرَحُونَ مَوَاشِيَهُمْ ، فَتَأْكُلُونَ لَهَا رَعِيًّا إِلَّا لِحُومِهِمْ ، فَتَشْكُرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْ قَطُّ » .

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني معاوية ، عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد : أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف : صنف طولهم كطول الأرز ، وصنف طولهم وعرضه سواء ، وصنف يفتش أحدهم أذنه ، ويلتحف بالأخرى ، فتغطي سائر جسده :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( قَالُوا يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوقِينَ ) قال : كان أبو سعيد الخدري يقول : « إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُوَلَّدَ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ » . قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه .

فالحبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج ، يدل على أن الذين قالوا لذي القرنين ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوقِينَ ) إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد في الأرض ، لأنهم شكوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم . والأخبار عن رسول صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض ، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم ، إفساد .

فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيننا ، فالصحيح من تأويل قوله ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوقِينَ ) أن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض :

وقوله ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) كأنهم نحووا به نحو المصدر من خرج الرأس ، وذلك جعله . وقراءته عامة قراء الكوفيين ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) بالألف ، وكأنهم نحووا به نحو الاسم ، وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم .

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب : قراءة من قرأه ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) بالألف ، لأن القوم فيما ذكر عنهم ، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد ، وقد بين ذلك بقوله ( فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ) ولم يعرضوا عليه جزية رءوسهم ، والخراج عند العرب : هو الغلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) قال : أجرا ( عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) قال : أجرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خِرَاجًا ) قال : أجرا .

وقوله ( عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ) يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن نجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ، ويمنعهم من الخروج إلينا ، وهو السد .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره : قال ذوالقرنين : الذى مكنتنى فى عمل ما سألتونى من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربى ، ووطأه لى ، وقواتى عليه ، خير من جعلكم ، والأجرة التى تعرضونها على لبناء ذلك ، وأكثر وأطيب ، ولكن أعينونى منكم بقوة ، أعينونى بفعله وصناع يحسنون البناء والعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ما مكنتى فيه ربى خيرا ، فأعينونى بقوة ) قال : رجال ( أجعل بينكم وبينهم ردا ) وقال ما مكنتى ، فأدغم إحدى النونين فى الأخرى ، وإنما هو ما مكنتى فيه . وقوله : أجعل بينكم وبينهم ردا ، يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردا . والردم : حاجز الحائط والسد ، إلا أنه أمتع منه وأشد ، يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردا وردا . ويقال أيضا : ردم ثوبه يردمه ، وهو ثوب مردم : إذا كان كثير الرقاق ؛ ومنه قول عنتره :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُسْرَدَمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ ۚ  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ) قال : هو كأشد الحجاب .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : انعمته لى ، قال : كأنه السبرد الحبر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : قد رأيتته . »

(١) الردام : مصدر ردم يردم (بالضم فى المضارع) رداما : ضرب . (عن اللسان) .

(٢) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته المشهورة (انظره فى شرح الزوزنى للمعلقات السبع ، وشرح : التبريزى للقضايا العشر ، ومنتار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا طبعة الحلبي ص ٣٦٩) قال شارحه : مردم : موضع يسترقع ويستصلح لونه ووهيه ، من قولهم : ردمت الثوب إذا أصلحته ، وقويت ما وهى منه . ويرى : مترم ، من الترم ، وهو ترجيع الصوت مع تعزين . يقول : هل ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد أصلحو ، أو هل تركت الشعراء شيئا إلا رجعوا نعماته بإنشاء الشعر فى وصفه ؟ والمعنى : لم يترك الأول للآخر شيئا . ثم أصرب عن ذلك ، وسأل نفسه : هل عرفت دار عشيقتك ، بعد شكك فيها ؟ وفى (اللسان) : ردم) : والمتردم : الموضع الذى يرقع . ويقال : ترم الرجل ثوبه : أى رقهه يتعدى ، ولا يتعدى . ابن سيده : ثوب مردم ، ومتردم ، ومتردم وملوم . خلق مرقع ؛ قال عنتره : « هل غادر الشعراء من متردم . . . البيت » . معناه : أى مستصلح . قال ابن سيده : أى من كلام يلقى بعضه ببعض ويلقى : أى قد سبقونا إلى القول ، فلم يدعوا مقالا لقائل .

## القول في تأويل قول تعالى

«آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ، حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا، حَتَّىٰ إِذَا جَمَلَهُ نَارًا قَالَ  
«آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا» (٩٦) فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ، وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ تَقْبًا (٩٧)

يقول عز ذكره : قال ذوالقرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً (آتوني) أي جيئوني بزُبَرَ الحديد ، وهي جمع زُبْرَة ، والزُبْرَة : القطعة من الحديد .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) يقول : قطع الحديد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عليّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آتوني زُبَرَ الحديدِ) : أي فليق الحديد : حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

وقوله (حتى إذا ساوى بين الصدفين) يقول عز ذكره : فأتوه زُبَرَ الحديد ، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبَرَ الحديد ، ويقال : سوى . والصدفان : ما بين ناحيتي الجبلين ورؤسهما ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ أَحَدَّتْ مَا بَيْنَ عَرْضِ الصَّدْفَيْنِ نَاحِيَتَيْهَا وَأَعَالَى الرَّكْنَيْنِ

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٤) قال : « بين الصدفين » : بعضهم يضمها ، وبعضهم يفتحها (الصاد المشددة) ويحرك الدال . ومجازهما : ما بين الناحيتين من الجبلين . وقال : « قد أخذت . . . البيتين » . ولم ينسهما . وفي (اللسان : صدف) : والصدفان (بالتحريك) والصدفان بضمهما : جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج . وفي التنزيل العزيز : « حتى إذا ساوى بين الصدفين » : قرئ (الصدفان) بالتحريك) والصدفان بضمهما ، والصدفان (بضم الأول وفتح الثاني) . وفي هامش اللسان : « وبقيت رابعة : الصدفان كعضدين كما في القاموس » . ثم قال في اللسان : وفي الحديث « أن النبي صل الله عليه وسلم كان إذا مر بصدف أو هدف ما مثل أسرع المثلث » . ابن الأثير : هو بفتحيتين وضميتين . قال أبو عبيدة : الصدف والهدف : واحد ، وهو كل بناء مرتفع عظيم . قال الأزهرى : وهو مثل صدف الجبل ، شبه به ، وهو ما قابلك من جانبه . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بين الصّدَقَتَيْنِ ) يقول : بين الجبلين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( حتى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) قال : هو سدّ كان بين صدّقين ، والصدفان : الجبلان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الصّدَقَتَيْنِ ) رءوس الجبلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن مثله . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول

في قوله ( بين الصّدَقَتَيْنِ ) يعني الجبلين ، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا ساوى بين الصّدَقَتَيْنِ ) وهما الجبلان .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قرأها ( بين الصّدَقَتَيْنِ ) منصوبة الصاد والبدال ، وقال : بين الجبلين ، وللعرب في الصدفين : لغات ثلاث ، وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القراء الفتح في الصاد والبدال ، وذلك قراءة عامة قرأها أهل المدينة والكوفة ؛ والضمّ فيهما ، وهي قراءة أهل البصرة ؛ والضمّ في الصاد وتسكين البديل ، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة . والفتح في الصاد والبدال أشهر هذه اللغات ، والقراءة بها أعجب إلىّ ، وإن كنت مستجيزا القراءة بجميعها ، لاتفاق معانيها . وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة .

وقوله ( قال انْفُخُوا ) يقول عزّ ذكره ، قال للفعلة : انفخوا النار على هذه الزُّبُر من الحديد .

وقوله ( حتى إذا جَعَلَهُ نَارًا ) وفي الكلام متروك ، وهو : فنفخوا ، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا ( قال آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْه قِطْرًا ) فاختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( قال آتُونِي ) بمدّ الألف من ( آتُونِي ) بمعنى : أعطوني قطرا أفرغ عليه . وقرأه بعض قراء الكوفة ، قال ( آتُونِي ) بوصل الألف ، بمعنى : جيئوني قِطْرًا أفرغ عليه ، كما يقال : أخذت الحطام ، وأخذت بالخطام ، وجئتك زيدا ، وجئتك يزيد . وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرئ كذلك إلى معنى أعطوني ، فيكون كأنّ قارئه أراد مدّ الألف من آتوني ، فترك الهمزة الأولى من آتوني ، وإذا سقطت الأولى همز الثانية .

وقوله ( أُفْرِغْ عَلَيْه قِطْرًا ) يقول : أصبّ عليه قِطْرًا ، والقِطْرُ : النُّحَاس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) قال : القِطْرُ : النحاس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) : يعني النحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) أي النحاس ليلزمه به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) قال : نحاس .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : القِطْرُ : الحديد المذاب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

حُسَامًا كَلْتَوْنَ الْمِلْحَ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَازًا مِّنْ أَقْطَارِ الْحَدِيدِ الْمُنْعَتِ ١  
وقوله ( فَهَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) يقول عز ذكره : فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم ، وبين من دونهم من الناس ، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس ، يقال منه : ظهر فلان فوق البيت : إذا علاه ؛ ومنه قول الناس : ظهر فلان على فلان : إذا قهره وعلاه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) يقول : ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَهَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) من فوقه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) : أي من أسفله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَهَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : ما استطاعوا أن ينزِعوه .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (عجاز القرآن ١ : ٤١٥) عند تفسير قوله تعالى : (أفرغ عليه قطرا) قال : أي أصب عليه حديدا ذاتيا ، قال : «حساما . . . البيت» : جمع قطر ، وجعله بعضهم الرصاص النقرة . اه . وفي (اللسان : قطر) والقطر بالكسر : النحاس الذائب ، وقيل ضرب منه اه . وفي (اللسان : جرز) : وسيف جراز : قاطع . قال : ويقال : سيف جراز : إذا كان مستاصلا . والحراز من السيوف : الماضي النافذ . اه .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : أن يرتقوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : أن يرتقوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : يعلوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) : أي ينقبوه من أسفله .  
واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله ( فَمَا اسْتَطَاعُوا ) فقال بعض نحويي البصرة : فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول : استطاع يستطيع ، يريدون بها : استطاع يستطيع ، ولكن حذفوا التاء إذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد . قال : وقال بعضهم : استاع ، فحذف الطاء لذلك . وقال بعضهم : استطاع يُسْتَطِيع ، فجعلها من القطع ، كأنها أطاع يطيع ، فجعل السين عوضاً من إسكان الواو . وقال بعض نحويي الكوفة : هذا حرف استعمل فكثُر حتى حذف .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

يقول عزّ ذكره : فلما رأى ذوالقرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهرُوا ما بنى من الردم ، ولا يقدرُون على نقبه ، قال : هذا الذي بنيته وسويته حاجزاً بين هذه الأمة ، ومن دون الردم رحمة من ربي ، رحم بها من دون الردم من الناس ، فأعانتني برحمته لم حتى بنيته وسويته ، ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم . وقوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ) يقول : فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتاً لظهور هذه الأمة وخروجهما من وراء هذا الردم لم ، جعله دَكَّاءَ ، يقول : سواه بالأرض ، فألزقه بها من قولهم : ناقة دَكَّاءَ : : مستوية الظهر لاسنام لها . وإنما معنى الكلام : جعله مدكوكا ، فقيل : دكاء .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ) قال : لأدرى : الجبلين يعني به ، أو ما بينهما .  
وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال .

## ذكر الخبر بذلك

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقِيَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، فَتَدَاكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، وَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَاعِلِمَ لِي بِهَا ، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : لَاعِلِمَ لِي بِهَا ، »

(١) أي عوضاً من ذهاب حركة الواو ، كما في اللسان .

فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ عِيسَىٰ ؛ قَالَ عِيسَىٰ : أَمَّا قِيَامُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنَّ رَبِّي قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ دُونَ وَقْتِهَا ؛ عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ ، وَأَنَّهُ مُنْهَبِطِي إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ ، فِإِذَا رَأَىٰ أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، قَالَ : فَيَدُوبُ كَمَا يَدُوبُ الرَّصَاصُ ، حَتَّىٰ إِنْ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمٌ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَأْتُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَمْرُونَ عَلَىٰ مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىٰ ، فَيَشْكُوهُمْ ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَيُمِيتُهُمْ حَتَّىٰ تَجُوزِيَ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِهِمْ ، فَيَسْزِلُ الْمَطَرُ ، فَيَجْرُ أَجْسَادُهُمْ ، فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَنْسِفُ الْجِبَالَ حَتَّىٰ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالْأَدِيمِ ، فَعَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كَالْحَامِلِ الْمُسْتَمِ السَّيِّ لَا يَنْدَرِي أَهْلُهَا مَتَىٰ تَفْجُوهُمْ بِوِلَادِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا .

حدثني عبيد بن إسماعيل ، قال : ثنا المحاربي ، عن أصبغ بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة ابن صميم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : «لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم التي هو إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فتذاكروا أمر الساعة» فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقي عن هشيم ، وزاد فيه : قال العوام بن حوشب : فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ، قال الله عز وجل (حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتُمَا بِأُجُوجٍ وَمَا جُوجٍ وَهَمُّ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) يقول : وكان وعد ربى الذى وعد خلقه فى ذلك هذا الردم ، وخروج هؤلاء القوم على الناس ، وعيهم فيه ، وغير ذلك من وعده حقا ، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن :

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : وتركنا عبادنا يوم يأتهم وعدنا الذى وعدناهم ، بأنا نذك الجبال وننسفها عن الأرض نسفا ، فنذرنا قاعا صقاصقا ، بعضهم يموج فى بعض ، يقول : يختلط جهنم بإنسهم . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن هارون بن عثرة ، عن شيخ من بنى فزارة ، فى قوله (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) قال : إذا ماج الجن والإنس ، قال إبليس : فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر ، فيظعن إلى المشرق ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة قطعوا الأرض ، فيقول : ما من محيص ، فبينما هو كذلك ، إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذريته ، فبينما هم

عليه ، إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنا من خزان النار ، قال : يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ، ألم تكن في الجنان ؟ فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض على فريضة لعبده فيها عبادة لم يعده مثلها أحد من خلقه ، فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة ، فيقول : ماهي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار ، فيتلكأ عليه ، فيقول له وبذريته بجناحيه ، فيقذفهم في النار ، فتبترفر النار زفرة فلا يبقى مَلَكٌ مقرب ، ولا نبي مرسل ، إلا جثا لركبتيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ) قال : هذا أول القيامة ، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ، ( وَتَنفِخُ فِي الصُّورِ ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور ، وما هو ، وما عني به . واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع ، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن أعرايبا سأله عن الصور ، قال : قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن العجلي ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن الحارث القنطري ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن ميعول ، فحدثنا عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ وَحَتَّى الْجِبْهَتَةَ ، وَأَصْعَى بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ مِثِّي مَا أَقَالُوا ذَلِكَ الْقَرْنَ » كذا قال ، وإنما هو ما أقلوا .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى ظَهْرَهُ ، وَجَحَظَ بَعَيْنَيْهِ ، قَالُوا : مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى جِبْهَتَهُ ، يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ فِيهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ نَقُولُ ؟ قَالَ : تَقُولُونَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا أسباط ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا شعيب بن حرب ، قال : ثنا خالد أبو العلاء ، قال : ثنا عطية العوفى ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَسَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى الْجَبْهَةَ ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ ، مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ مِثْنِي اجْتَمَعُوا عَلَى الْقَرْنِ عَلَى أَنْ يُقْلِتُوهُ مِنَ الْأَرْضِ ، مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : فَأَبْلَسَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المخاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن فلان ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَضَعَهُ عَلَى فِيهِ شَاحِصٌ بِصَرِّهِ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الصُّورُ ؟ قَالَ : قَرْنٌ ، قَالَ : وَكَيْفَ هُوَ ؟ قَالَ : قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ : الْأُولَى : نَفْخَةُ الْفَرْعِ ، وَالثَّانِيَّةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وقوله ( فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ) يقول : فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا . وقوله ( وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ) يقول : وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ، ولو جعل الفعل لها قيل : أعرضت إذا استبانت ، كما قال عمرو بن كلثوم :

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْتَمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّتَيْنَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : « يَقُومُ الْخَلْقُ لِلَّهِ إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ ، قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ اللَّهُ

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي في (جمهرة أشعار العرب ٧٤ - ٨٤ ، وفي شرحي الزوزني والتبريزي للمعلقات) . وأعرضت ظهرت ، وعرضت الشيء : أظهرته ، ومنه قوله عز وجل (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وهذا من النوادر عرضت الشيء . فأعرض ، ومثله كعبته فأكب ، واشمخرت : طالت وارتفعت . والمعنى يدت مستطيلة . والكاف في قوله كأسياف : في موضع نصب ، على أنها نعت لمصدر محذوف . والمصلت الشاهري سيفه ، يقال : أصلت السيف : إذا سلته . والمعنى : ظهرت لنا قري اليمامة ، وارتفعت في أعيننا ، كأسياف بأيدي رجال سألين سيوفهم ، فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذي نصير إليه . والشاهد في قوله : أعرضت بمعنى ظهرت .

عز وجل للخلق، فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال :  
 فيلقى اليهود، فيقول : من تعبدون ؟ قال : فيقولون : نعبد عزيرا ، قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟  
 فيقولون نعم ، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ ( وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا )  
 ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ،  
 قال : فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله ( وَقِفُوهُمْ  
 إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)

يقول تعالى : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله ، فيتفكرون فيها ولا  
 يتأمنون حُججه ، فيعتبرون بها ، فيتذكرون وينيبون إلى توحيد الله ، وينقادون لأمره ونهيه ، وكانوا  
 لا يستطيعون سماعا ، يقول : وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكروهم به ، وبيانه الذي بينه لهم  
 في آي كتابه ، بخذلان الله إياهم ، وغلبة الشقاء عليهم ، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان ، فيتعطلون  
 به ، ويتدبرونه ، فيعرفون الهدى من الضلالة ، والكفر من الإيمان .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني  
 الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا يستطيعون  
 سَمْعًا ) قال : لا يعقلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وكانوا  
 لا يستطيعون سَمْعًا ) قال : لا يعلمون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ  
 فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ) . . . الآية ، قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ  
 لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)

يقول عز ذكره : أفضن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح ، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم  
 من دون الله أولياء ، يقول : كلا بل هم لهم أعداء .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ ) قال : يعنى من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة ، وهم عباد الله ، ولم يكونوا للكفار أولياء . وبهذه القراءة ، أعنى بكسر السين من ( أَفَحَسِبَ ) بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قرآء الأمصار . وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد ، أنهم قرءوا ذلك ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) بتسكين السين ، ورفع الحرف بعدها ، بمعنى : أفحسبهم ذلك : أى أفكفاهم أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء من عبادانى وموالاتى .

كما حدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) قال : أفحسبهم ذلك ، والقراءة التى نقرؤها هى القراءة التى عليها قرآء الأمصار ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ ) بكسر السين ، بمعنى أظن ، لإجماع الحجة من القرآء عليها : وقوله ( إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزُلًا ) يقول : أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ ) يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل ، ويحاورونك بالمسائل ، من أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ) أيها القوم ( بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) يعنى بالذين أتبعوا أنفسهم فى عمل يبغون به ربحاً وفضلاً ، فنالوا به عَطَبًا وهلاكاً ، ولم يدركوا طلباً ، كالمشترى سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً ، فخاب رجاؤه ، وخسر بيعه ، ووكس فى الذى رجا فضله .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بذلك ، فقال بعضهم : عُنَى به الرهبان والقسوس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا المقبرى ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : أخبرنى السكن بن أبى كريمة ، أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصه عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول فى هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت حيوة يقول : ثنى السكن بن أبى كريمة ، عن أمه ، أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول ، فذكر نحوه :

حدثنا ابن بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ،

عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبي ( وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) أهم الحرورية ؟  
قال : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا فضالة بن الفضل ، قال : قال بزيع : سألت رجل الضحاك عن هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ  
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : هم القيسيسون والرهبان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن هلال  
ابن يساف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : هم أصحاب الصوامع :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن سعد ، قال : قلت لسعد : يا أبت ( هَلْ  
نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) أهم الحرورية ، فقال : لا ، ولكنهم أصحاب الصوامع ، ولكن  
الحرورية قوم زاغوا ، فأزاغ الله قلوبهم .

وقال آخرون : بل هم جميع أهل الكتابين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن  
سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) ، الذين ضلَّ سَعْيُهُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) أهم الحرورية ؟ قال : لا ، هم أهل الكتاب ، اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا  
بمحمد . وأما النصارى فكفروا بالحنه ، وقالوا : ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الحرورية ( الذين  
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَفْسِدُونَ  
فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن إبراهيم بن أبي حبرة  
عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، في قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا )  
قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي حرب بن أبي الأسود ،  
عن زاذان ، عن علي بن أبي طالب ، أنه سئل عن قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال :  
هم كفرة أهل الكتاب ، كأن أوائلهم على حق ، فأشركوا بربهم ، وابتدعوا في دينهم ، الذين يجتهدون  
في الباطل ، ويحسبون أنهم على حق ، ويجتهدون في الضلالة ، ويحسبون أنهم على هدى ، فضل سعيهم  
في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ثم رفع صوته ، فقال : وما أهل النهار منهم ببعيد .  
وقال آخرون : بل هم الخوارج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان بن سلمة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ،

قال : سأل عبد الله بن الكوّاء علياً عن قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : أنتم يا أهل حرّوراء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجليّ ، عن أبي الصهباء البكريّ ، عن عليّ بن أبي طالب ، أن ابن الكوّاء سأله ، عن قول الله عزّ وجلّ ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) فقال عليّ : أنت وأصحابك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطّفيل ، قال : قام ابن الكوّاء إلى عليّ ، فقال : مَنْ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال : ويَسِّلك ! أهلُ حرّوراء منهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله ، قال : ثنا أبو الحويرث ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال ابن الكوّاء لعليّ بن أبي طالب : ما الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ قال : أنت وأصحابك .  
\* والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله عزّ وجلّ عنى بقوله ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) كلَّ عاملٍ عملاً يحسبه فيه مصيباً ، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض ، وهو بفعله ذلك لله مسخط ، وعن طريق أهل الإيمان به جائر ، كالرهبانة والشامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم ، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفر ، من أهل أيّ دين كانوا .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله ( أَعْمَالًا ) ، فكان بعض نحوييّ البصرة يقول : نصب ذلك ، لأنه لما أدخل الألف واللام والنون في الأَخْسَرِينَ ، لم يوصل إلى الإضافة ، وكانت الأعمال من الأَخْسَرِينَ ، فلذلك نصب ، وقال غيره : هذا باب الأفعال والفعلية ، مثل الأَفْضَلِ والفُضَّلِيّ ، والأَخْسَرِ والخُسْرَى ، ولا تدخل فيه الواو ، ولا يكون فيه مفسر ، لأنه قد انفصل بمن هو ، كقوله الأَفْضَلِ والفُضَّلِيّ ، وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخِر ، وقال : ألا ترى أنك تقول : مررت برجل حَسَنٍ وجهها ، فيكون الحسن للرجل والوجه ، وكذلك كبير عقلا ، وما أشبهه ؛ قال : وإنما جاز في الأَخْسَرِينَ ، لأنه رُدّه إلى الأَفْعَلِ والأَفْعَلَةُ . قال : وسمعت العرب تقول : الأوّلات دخولا ، والآخريات خروجا ، فصار للأوّل والثاني كسائر الباب قال : وعلى هذا يقاس .

وقوله ( الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به ، بل على كفر منهم به ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ يقول : وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون ؛ وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم

(١) هي أم محمد ، وخاله أبو ، فيلزم إثبات الألف اهـ .



في هذه الآية ، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضاللا ، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك ، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم ، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم ، أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ، كانوا مثابين مأجورين عليها ، ولكن القول بخلاف ما قالوا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة ، وأن أعمالهم حابطة . وعنى بقوله ( أَلَيْسَ لِيُحْسِنُونَ صُنْعًا ) عملا ، والصنع ، والصنعة والصنيع واحد ، يقال : فرس صنيع : بمعنى مصنوع .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ، فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، الأחסرون أعمالا ، الذين كفروا بحجج ربهم وأدلتهم ، وأنكروا لقاءه ( فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ) يقول : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة ، بل لهم منها عذاب وخيزى طويل . ( فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ) يقول تعالى ذكره : فلا نجعل لهم ثقلا ، وإنما عنى بذلك : أنهم لا تثقل بهم موازينهم ، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة ، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن أبي يحيى ، عن كعب ، قال : يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا ( فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ) .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن الصلت ، قال : ثنا ابن الزناد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرْبِ الطَّوِيلِ ، فَيُوزَنُ ، فَلَا يَزَنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، ثُمَّ قَرَأَ ( فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله ، واتخاذهم آيات كتابه ، وحجج رسله هُزُؤًا . واستهزاءهم برسله .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَلِيدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأقروا بتوحيد الله ، وما أنزل من كتبه ، وعملوا بطاعته ، كانت لهم بساتين الفردوس ، والفردوس : معظم الجنة ، كما قال أمية :

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً فِيهَا الْقَرَادِيسُ وَالْقَوْمَانُ وَالْبَصَلُ

واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس ؛ فقال بعضهم : عني به أفضل الجنة وأوسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة :

قال : الفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي ، قال : ثنا الهيثم أبو بشر ، قال : أخبرنا الفرّج بن فضالة ، عن لقمان ،

عن عامر ، قال : سئل أبو أسامة عن الفردوس ، فقال : هي سرّة الجنة .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا حماد بن عمرو النصيبي ، عن أبي عليّ ، عن كعب ، قال : ليس

في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، وفيها الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر .

وقال آخرون : هو البستان بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سهل الرمليّ ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ،

قال : الفردوس : بستان بالرومية .

حدثنا العباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : هو البستان الذي فيه الأعناب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله

ابن الحارث ، عن كعب ، قال : جنات الفردوس التي فيها الأعناب .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (اللسان : فوم) . قال : وقال أمية في جمع الفوم ، « كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة » . . . البيت . قال : ويروي الفرّاريس . قال أبو الإصيح الفرّاريس : البصل . وقال : الزجاج : الفوم الحنطة . ويقال الحبوب ، لا اختلاف بين أهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التي تختبئ يلحقها اسم الفوم ، قال : ومن قال : الفوم ههنا الفوم ، فإن هذا لا يعرف . وقال أبو منصور : فإن قرأها ابن مسعود بالثاء ، فعناه الفوم وهو الحنطة . وفي « (اللسان : فردوس) الفردوس : البستان . قال الفرّاء : هو عربي . وقال ابن سيده : الفردوس : الوادي الخصيب عند العرب ، كالبستان وهو بلسان الروم : البستان . والفردوس : الروضة عن السيرافي . والفردوس : خضرة الأعناب . قال الزجاج : وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين ، وكذلك هو عند أهل كل لغة . والفردوس : حديقة في الجنة . والفردوس : أصله روم عربي ، وهو البستان .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ : مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَرِيحٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ :  
ثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
« الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ عَامٍ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ ، وَمِنْهَا  
الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا ، فِإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ  
عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ  
مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ ، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ ، وَمِنْهَا تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ  
الْأَرْبَعَةُ ، فِإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو يَحْيَى بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَامَةَ ، عَنْ  
عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَوْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :  
« إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَامِرٍ ، قَالَ : ثَنَا فُلَيْحٌ ، عَنْ هَلَالٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ ،  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « وَسَطُ الْجَنَّةِ » وَقَالَ أَيْضًا : « وَمِنْهُ  
تَفْجَرُ أَوْ تَتَفَجَّرُ » .

حَدَّثَنِي عَمَارُ بْنُ بَكَارٍ الْكَلَاعِيُّ ، قَالَ : ثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثَنَا  
زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ  
فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ  
وَأَوْسَطُهَا ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهَا تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فِإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .  
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، قَالَ : ثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرٍ ، عَنْ  
أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعَةٌ ، اثْنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ ،  
حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ ، وَاثْنَتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا  
فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ » .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَرِيحٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو قَدَامَةَ ، عَنْ أَبِي عَمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ  
ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا ، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا  
وَمَا فِيهِمَا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : خلق الله جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها في كل يوم خميس ، فيقول : ازدادى طيبا لأولياي ، ازدادى حسنا لأولياي .  
 حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردي ، قالا : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ للجنة مِثَّةَ دَرَجَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِثْنَاهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَى دَرَجَةٍ مِثْنَاهَا الْفِرْدَوْسُ » .  
 حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا أحمد بن الفرج الطائي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد ابن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الْجَنَّةِ ، هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أنبأنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ الْفِرْدَوْسَ هِيَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَحْسَنُهَا وَأَرْفَعُهَا » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال للربيع ابنة النضر : « يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى » . والفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

وقوله ( نَزَّلًا ) يقول : منازل ومساكن ، والمنزل : من النزول ، وهو من نزول بعض الناس على بعض . وأما النَّزْلُ : فهو الرَّبِيعُ ، يقال : ما لطعامكم هذا نَزْلٌ ، يراد به الرَّبِيعُ ، وما وجدنا عندكم نزلا : أي نزولا .

وقوله ( خَالِدِينَ ) يقول : لا يثين فيها أبدا ( لَا يَبْسُغُونَ عَنْهَا حِوَالًا ) يقول : لا يريدون عنها تحولا ، وهو مصدر تحولت ، أخرج إلى أصله ، كما يقال : صَغُرَ يَصْغُرُ صِغْرًا ، وعاج يعوج عِوَجًا ، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَا يَبْسُغُونَ عَنْهَا حِوَالًا ) قال : متحولا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : وسئل عنها ، قال : سمعت بعض أصحاب أنس يقول : قال : يقول : « أَوْلَّكُمْ دَخُولًا إِنَّمَا أَدْخَلَنِي اللَّهُ أَوْلَّكُمْ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنِّي ، وَيَقُولُ آخَرُهُمْ دَخُولًا : إِنَّمَا أَخْرَفَنِي اللَّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَانِي » .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)

يقول عزّ ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِي) لِقلم الذي يُكْتَبُ بِهِ (كَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفِدَ) ماء (الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا): يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا، من قول القائل: جئتكم مددا لك، وذلك من معنى الزيادة. وقد ذُكِرَ عن بعضهم: ولو جئنا بمثله مددا، كأن قارئ ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) للقلم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) يقول: إذا نفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه.

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ، فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠).

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم، لا أعلم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحى إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن أبي راشد، عن سعيد بن جبير (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) قال: ثواب ربه.

وقوله ( وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) يقول : ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه ، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته ، إذا رأى بعمله الذى ظاهره أنه لله وهو يريد به غيره .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( ولا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) ١ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ( وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) قال : لا يرأى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الخزرى ، عن طاوس ، قال : « جاء رجل ، فقال : يا نبي الله إني أحب الجهاد فى سبيل الله ، وأحب أن يرى موطنى ويرى مكاني ، فأنزله الله عز وجل » ( فَمنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي ، عن صدقة بن يسار ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وزاد فيه : وإني أعمل العمل وأتصدق وأحب أن يراه الناس ، وسائر الحديث نحوه » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، قال : ثنا حمزة أبو عمارة مولى بنى هاشم ، عن شهر بن حوشب ، قال : جاء رجل إلى عبادة بن الصامت ، فسأله فقال : أنبئني عما أسألك عنه ، أرأيت رجلا يصلى ويتغى وجه الله ويحب أن يُحْمَدَ ، ويصوم ويتغى وجه الله ويحب أن يُحْمَدَ ؟ فقال عبادة : ليس له شيء ، إن الله عز وجل يقول : « أنا خير شريك ، فمن كان له معى شريك ، فهو له كله ، لا حاجة لى فيه » .

حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا عمرو بن قيس الكندي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية ( فَمنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) وقال : إنها آخر آية أنزلت من القرآن .

آخر تفسير سورة الكهف

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، بدار الكتب المصرية ، وفى الدر عن سعيد : لا يشرك : لا يرأى بعبادة ربه أحدا .

## تفسير سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

انقول في تأويل قوله تعالى

كَهَيْعَصَ (١)

﴿﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره : كَافٍ مِنْ (كَهَيْعَصَ) فقال بعضهم : تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير ، دلّ به عليه ، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل ابن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (كَهَيْعَصَ) قال : كبير ، يعني بالكبير : الكاف من (كَهَيْعَصَ) .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله : حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كبير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

وقال آخرون : بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كَافٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، في قوله (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم في قوله (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن الكلبي ، مثله .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كريم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ( كهيعص ) قال :  
كاف من كريم .

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص : حرف من حروف اسمه الذي هو هاد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن  
عباس ، قال : كان يقول في الهاء من ( كهيعص ) هاد .

حدثنا أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن  
جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : ها : هاد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاک بن مزاحم ، في قوله  
( كهيعص ) قال : ها : هاد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلابي ، مثله .

واختلفوا في تأويل الياء من ذلك ، فقال بعضهم : هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين .

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير  
عن ابن عباس ، قال : « يا » من ( كهيعص ) ياء يمين .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ، قال : « يا » من ( كهيعص ) ياء يمين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد  
ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير

ياء : يمين .



وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو حكيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ( كهيعص ) قال :  
يا : من حكيم .

وقال آخرون : بل هي حرف من قول القائل : يا من يجير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا إبراهيم بن الضريس ، قال : سمعت الربيع بن  
أنس في قوله ( كهيعص ) قال : يامن يجير ولا يجار عليه .  
واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين ، فقال بعضهم : هي حرف من حروف اسمه الذى هو  
عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( كهيعص ) قال : عين من عالم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبة ، عن الكلبي ، مثله .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد  
ابن جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبيه ، في قوله  
( كهيعص ) قال : عين : من عالم .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عزيز .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر ،  
عن ابن عباس ( كهيعص ) عين : عزيز .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن  
جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر ،  
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر ،  
حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله  
( كهيعص ) قال : عين عزيز .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عدل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( كهيعص ) قال : عين : عدل .  
وقال الذين تأولوا ذلك هذا التأويل : الصاد من قوله ( كهيعص ) : حرف من حروف اسمه الذي هو صادق :

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول في ( كهيعص ) صاد : صادق .  
حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : صاد : صادق :

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : صادق ، يعنى الصاد من ( كهيعص ) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( كهيعص ) قال : صاد صادق .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن الكلبي ، قال : صادق .  
وقال آخرون : بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عاتكة ، عن فاطمة ابنة عليّ قالت : كان عليّ يقول : يا ( كهيعص ) : اغفر لي .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( كهيعص ) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .  
وقال آخرون : كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجلّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد العزيز بن مسلم القسملی ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال ( كهيعص ) ليس منها حرف إلا وهو اسم . وقال آخرون : هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( كهيعص ) قال : اسم من أسماء القرآن . قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا نظير القول في ( الم ) وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)

اختلف أهل العربية في الرفع للذكر ، والناصب للعبد ، فقال بعض نحوي البصرة في معنى ذلك كأنه قال : مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده ، وانتصب العبد بالرحمة كما تقول : ذكر ضرب زيد عمرا . وقال بعض نحوي الكوفة : رفعت الذكر بكهيعص ، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك ، قال : والمعنى ذكر ربك عبده . برحمته تقديم وتأخير .

قال أبو جعفر : والقول الذي هو الصواب عندى في ذلك أن يقال : الذكر مرفوع بمضمر محذوف ، وهو هذا ، كما فعل ذلك في غيرها من السور ، وذلك كقول الله ( بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) وكفوله : ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) ونحو ذلك . والعبد منصوب بالرحمة ، وزكريا في موضع نصب ، لأنه بيان عن العبد ، فتأويل الكلام : هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا .

وقوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) يقول حين دعا ربه ، وسأله بنداء خفي ، يعني : وهو مستسر بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) أى سرا ، وأن الله يعلم القلب النقي ، ويسمع الصوت الخفي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) قال : لا يريد رياء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : رغب زكريا

في الولد ، فقام فصلي ، ثم دعا ربه سرًا ، فقال ( رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) . . . إلى ( وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ) . . . وقوله ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) يقول تعالى ذكره ، فكان نداؤه الخفي الذي نادى به ربه أن قال : ( رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) يعني بقوله ( وَهَنَ ) ضعف ورق من الكبر : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) أي ضعف العظم مني .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) قال : نَحَلَ العظم ، قال عبد الرزاق ، قال الثوري : وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة .

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشَّيْب ، فقال بعض نحوِّي البصرة : نصب على المصدر من معنى الكلام ، كأنه حين قال : اشتعل ، قال : شاب ، فقال : شَيْبًا على المصدر . قال : وليس هو في معنى : تَفَقَّأت شحما وامتألت ماء ، لأن ذلك ليس بمصدر . وقال غيره : نصب الشيب على التفسير ، لأنه يقال : اشتعل شيبُ رأسى ، واشتعل رأسى شيبا ، كما يقال : تَفَقَّأت شحما ، وَتَفَقَّأْتُ شحمي . وقوله ( وَكَمْ أَكُنُّ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ) يقول : ولم أشق يا رب بدعائك ، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك ، بل كنت تجيب وتقضى حاجتي قبلك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قوله ( وَكَمْ أَكُنُّ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ) يقول : قد كنت تعرفني الإجابة فيما مضى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا، فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرْثُنِي  
وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)

يقول : وإني خفت بني عمي وعصبي من ورأى : يقول : من بعدى أن يرثوني ، وقيل : عنى بقوله ( مِنْ وَرَائِي ) من قد آتى ومن بين يدي ؛ وقد بيّنت جواز ذلك فيما مضى قبل : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ) يعني بالموالى : الكلالاة الأولياء أن يرثوه ، فوهب الله له يحيى : حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ) قال : العصبه :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : خاف موالى الكلاله .  
 حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح بنحوه .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : يعنى الكلاله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : العصبه .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( إِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : العصبه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) والموالى : هن العصبه ، والموالى : جمع مولى ، والمولى والولى في كلام العرب واحد . وقرأت قراء الأمصار ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ ) بمعنى : الخوف الذى هو خلاف الأمن . وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه : ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ ) بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة ، كأنه وجه تأويل الكلام : وإني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بنى أعمامى : وإذا قرئ ذلك كذلك كانت الباء من الموالى مسكنة غير متحركة ، لأنها تكون في موضع رفع بخيفت .

وقوله ( وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ) يقول : وكانت زوجتي لاتلد ، يقال منه : رجل عاقر ، وامرأة عاقر بلفظ واحد ، كما قال الشاعر :

لَيْبِئْسَ الْفَتَىٰ أَنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا      جَبَانًا فَمَا عُسْذُرِي لَدَىٰ كُلِّ مَحْضَرٍ ١

وقوله ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ) يقول : فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا .

وقوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) يقول : يرثني من بعد وفاتي مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوة ، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب .  
 وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) يقول : يرث مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل ، طبعة ليدن سنة ١٩١٣ . والرواية فيه « فبئس » في مكان « لبئس » . وفي اللسان : العاقر التى لاتحمل ، ورجل عاقر ، ونساء عقر ، ورجال عقر ، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة . وقد استشهد به المؤلف على معنى العاقر ، في سورة آل عمران ( ٣ : ٢٥٧ ) وأعادته في هذا الموضع ، وبحال الاستشهاد في الموضعين واحد .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرث مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرثني مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : وكان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : كان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : نبوته وعلمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي زَكْرِيَّا ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ مَالِيهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : كان الحسن يقول : يرث نبوته وعلمه . قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، وأتى على ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَرِثُ اللَّهُ زَكْرِيَّا وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ ، وَيَرِثُ اللَّهُ لُوطًا إِنْ كَانَ لِيًّا وَيُؤْتِي لِي رُكْنًا شَدِيدًا » .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ ) برفع الحرفين كليهما ، بمعنى : فهب لي الذي يرثني ويرث من آل يعقوب ، على أن يرثني ويرث من آل يعقوب ، من صلة الولي : وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة والبصرة ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ ) بحزم الحرفين على الجزاء والشرط ، بمعنى : فهب لي من لذك ولذا ، فإنه

یرثنی إذا وهبته لی . وقال الذین قرعوا ذلك كذلك : إنما حسن ذلك فی هذا الموضع ، لأن یرثنی من آیه غیر التي قبلها . قالوا ، وإنما یحسن أن یكون مثل هذا صلة ، إذا كان غیر منقطع عما هو له صلة ، كقوله ( رَدُّهُ أَيْ صَدُقْتَنِي ) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندي فی ذلك بالصواب : قراءة من قرأه برفع الحرفین علی الصلة للولی ، لأنّ الولی نكرة ، وأن زكريا إنما سأل ربه أن یهب له ولیا یكون بهذه الصفة ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه سأله ولیا ، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك ، كانت هذه صفته ، لأن ذلك لو كان كذلك ، كان ذلك من زكريا دخولا فی علم الغیب ، الذي قد حجبه الله عن خلقه .  
وقوله ( وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ) يقول : واجعل یاربّ الولی الذي تهیبه لی مرّضیًّا ، ترضاه أنت ، ویرضاه عبادك ، دینا وخلقنا وخلقنا . والرضی : فعیل صرف من مفعول إليه .

#### القول فی تأویل قوله تعالى

يَزْكُرِيَا إِنَّا نَبُشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ، لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧)

يقول تعالى ذكره : فاستجاب له ربه ، فقال له : يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى . كان قتادة يقول : إنما سماه الله يحيى ، لإحيائه إياه بالإيمان .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا زكريا إِنَّا نَبُشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ) : عبد أحياه الله للإيمان .  
وقوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه لم تلد مثله عاقر قط .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ليحيى ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) يقول : لم تلد العواقر مثله ولدا قط .  
وقال آخرون : بل معناه : لم نجعل له من قبله مثلا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو الربيع ، قال : ثنا سالم بن قتبية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : شديها .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : مثلا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يسم باسمه أحد قبله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) لم يسم به أحد قبله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : لم يسم يحيى أحد قبله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قول الله ( لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) : لم يسم أحد قبله يحيى .

قال أبو جعفر : وهذا القول أعني قول من قال : لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمى باسمه أشبه بتأويل ذلك ، وإنما معنى الكلام : لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى ، من قبله أحدا مسمى باسمه . والسَّمِيَّ : فعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي عَاقِرٌ أَمْ قَدِ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ! (٨)

يقول تعالى ذكره : قال زكريا لما بشره الله بيحيى : ( رب أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ) ، ومن أُنَىٰ وجه يكون في ذلك ، وامرأتى عاقرة لا تحبل ، وقد ضعفت من الكبر عن مباوضة النساء ؛ أبأن تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتي ولودا ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقرة ، يستثبت ربّه الخبر ، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد ، الذي بشره الله به ، لإنكاره منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكارا ، لأن يرزقه الولد الذي بشره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك ، بقوله ( فَهَسْبُ لِي مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ ) بعد قوله ( إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ، وَأَسْتَعْلَىٰ الرَّأْسُ شَيْبًا ) .

وقال السدي في ذلك ، ما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ،

قال : نادى جبرائيل زكريا : ( إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) . فلما سمع النداء ، جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله ، إنما هو من الشيطان ، يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك ، كما يوحى إليك غيره من الأمر ، فشك وقال : ( أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ) يقول : من أين يكون ( وَقَدِ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ) .

وقوله ( وَقَدِ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) يقول : وقد عتوت من الكبر فترت تحيل العظام



يابسها ، يقال منه للعود اليابس : عود عاتٍ وعاسٍ ، وقد عتا يعتي عتياً وعتواً ، وعسى يعسو عسيًا وعتسواً ، وكل متناه إلى غايته في كبر أو فساد ، أو كفر ، فهو عات وعاس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قد علمت السنة كلها ، غير أني لأدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ، ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف ( وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) أو ( عِسيًّا ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : يعني بالعتي : الكبر . .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عِتِيًّا ) قال : نُحُولُ الْعِظْمِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : سنًا ، وكان ابن بضعٍ وسبعين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : العتي : الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : هو الكبر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هَيْنَ، وَقَدْ خَلَقْتِكُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ

لِي آيَةً ، قَالَ آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لِيَالٍ سَوِيًّا (١٠)

يقول تعالى ذكره : قال الله لذكرك يا محبوباً له : ( قَالَ كَذَلِكَ ) يقول : هكذا الأمر كما تقول من أن امرأتك عاقرة ، وأنت قد بلغت من الكبر العتي ، ولكن ربك يقول : خَلَقْتُ مَا بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ أَنْ اسْمُهُ يَحْيَى عَلِيٌّ هَيْنَ ، فهو إذن من قوله ( قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هَيْنَ ) كناية عن الخلق : وقوله ( وَقَدْ خَلَقْتِكُمْ مِنْ قَبْلُ ) وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ) يقول : تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره ، منك مع كبر سنك ، وعقمت زوجتك ، بأعجب من خلقك ، فإني قد خلقتك ، فأنشأتك بشراً سَوِيًّا من قبل خلقي ما بَشَّرْتُكَ بِأَنِّي وَاهِبُهُ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ، ولم تكن شيئاً ،

فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر ، مع عتيك ووهن عظامك ، واشتعال شيب رأسك .  
وقوله ( قال رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ) يقول تعالى ذكره : قال زكريا : يا رب اجعل لي علما ودليلا  
على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام ، عن أمرك ورسالتك ، ليطمئن إلى ذلك قلبي .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قال رَبِّ اجْعَلْ لِي  
آيَةً ) قال : قال رب اجعل لي آية أن هذا منك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : قال رب فإن كان هذا الصوت منك ، فاجعل  
لي آية ، قال الله ( آيَتِكَ ) لذلك ( أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ) يقول جل ثناؤه : علامتك لذلك ،  
ودليلك عليه : أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوى صحيح ، لاعلة بك من خرس ، ولا مرض يمنعك من الكلام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ( ثلاث ليالٍ  
سوياً ) قال : اعتقل لسانه من غير مرض .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثلاث  
ليالٍ سوياً ) يقول : من غير خرس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا  
ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : لا يمنعك من الكلام مرض .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ألا تكلم  
الناس ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال آيَتِكَ ألا تكلم الناس ثلاث  
ليالٍ سوياً ) من غير بأس ولا خرس ، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة ،  
أخذ بلسانه ، حتى ما كان يفيض الكلام إلا أوماً إيماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، في قوله  
( ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : سوياً من غير خرس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قال آيَتِكَ ألا تكلم  
الناس ثلاث ليالٍ سوياً ) وأنت صحيح ، قال : فحبس لسانه ، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا ، وهو  
في ذلك يسبح ، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل ، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال :  
أخذ الله بلسانه من غير سوء ، فجعل لا يطيق الكلام ، وإنما كلامه لقومه بالإشارة ، حتى مضت الثلاثة  
الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ ) يقول : من غير خرس إلا رمزا ، فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ .  
وقال آخرون : السوي من صفة الأيام ، قالوا : ومعنى الكلام : قال : آتتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ متتابعات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ متتابعات ) : قال : ثلاث ليالٍ متتابعات .

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

يقول تعالى ذكره : فخرج زكريا على قومه من مُصَلَّاه حين حبس لسانه عن كلام الناس ، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد .

فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) قال : أشرف على قومه من المحراب .  
قال أبو جعفر : وقد بيننا معنى المحراب فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) قال : المِحْرَابُ : مُصَلَّاه ، وقرأ ( فَتَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ) :  
وقوله ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ) يقول : أشار إليهم ، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك ، مما يفهم به عنه ما يريد . وللعرب في ذلك لغتان : وَحَى ، وَأَوْحَى ؛ فمن قال : وَحَى ، قال في يفعل : يَوحِي ؛ ومن قال : أَوْحَى ، قال : يُوحِي ، وكذلك أَوْمَى وَوَمَى ، فمن قال : وَمَى ، قال في يفعل : يَمِي ؛ ومن قال : أَوْمَى ، قال : يُومِي .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه ، فقال بعضهم : أوحى إليهم إشارة باليد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَأَوْحَى ) : فأشار زكريا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لابنهم ، عن وهب بن منبه ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) قال : الوحي : الإشارة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ) قال : أوحى إليهم .

وقال آخرون : معنى أوحى : كتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمود بن خدّاش ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : كتب لهم في الأرض .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ) قال : كتب لهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) فكتب لهم في كتاب ( أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) ، وذلك قوله ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : ما أدري كتابا كتبه لهم ، أو إشارة أشارها ، والله أعلم ، قال : أمرهم أن سَبِّحُوا بكرة وعشيا ، وهو لا يكلمهم .

وقوله ( أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح ، وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عَسَىٰ به التسبيح الذي هو ذكر الله ، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة ، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : أَوْحَىٰ إليهم أن صلوا بكرة وعشيا .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٣) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ، وَكَانَ

تَقِيًّا (١٣)

يقول تعالى ذكره : فولد لذكرك يا يحيى ، فلما ولد ، قال الله له : يا يحيى ، خذ هذا الكتاب بقوة ، يعنى كتاب الله الذى أنزله على موسى ، وهو التوراة . بقوة ، يقول : بجدة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) قال : بجدة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) قال : يجد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) قال : القوة : أن يعمل ما أمره الله به ، ويجانب فيه ما نهاه الله .  
قال أبو جعفر : وقد بينت معنى ذلك بشواهد في ماضي من كتابنا هذا ، في سورة آل عمران ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال .

وقد حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني معمر ، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) قال : باغى أن الصبيان قالوا ليحيى : اذهب بنا نلعب ، فقال : ما للعب خُلِقْتُ ، فأنزل الله ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) .

وقوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول تعالى ذكره : ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا .  
وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان ، فقال بعضهم : معناه : الرحمة ، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : ورحمة من عندنا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، في هذه الآية ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة من عندنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، قوله : ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : رحمة من عندنا ، لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ورحمة من عندنا لذكربيا ، آتيناه الحكم صبيا ، وفضلنا به الذي فعلنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول :  
رحمة من عندنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : وتعطفنا من عندنا عليه ، فعلنا ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : تعطفنا من  
ربه عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى الحنان : المحبة . ووجهوا معنى الكلام إلى : ومحبة من عندنا فعلنا ذلك :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا )  
قال : محبة عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَحَنَانًا ) قال : أما الحنان  
فالمحبة .

وقال آخرون معناه تعظيها من له :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء بن  
أبي رباح ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : تعظيها من لدنا . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :  
لأدرى ما الحنان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار  
أنه سمع عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله ما أدرى ما حنانا . وللعرب في حَنَانِكَ لَعْنَان :  
ياربنا ، وحنانتيك ؛ كما قال طرفة بن العبد في حنانيك :

أَبَا مُشْدِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا  
حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِّنْ بَعْضِ

وقال امرؤ القيس في اللغة الأخرى :

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري (اللسان : حنن) . والشاهد في قوله حنانيك ، أي نحننا على بعد نحنن . وحكى الأزهرى عن  
البيت : حنانيك يافلن افعل كذا ، ولا تفعل كذا ، يذكره الرحمة والبر ، وأنشد بيت طرفة . قال ابن سيده : وقد قالوا حنانا ،  
فصلوه من الإضافة في حد الأفراد ، وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل .

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرَمٍ مَعِيَزَهُمْ حَنَانَكَ ذَا الْحَنَانِ ١  
وقد اختلف أهل العربية في «حنانك» فقال بعضهم : هو تثنية «حنان» . وقال آخرون : بل هي لغة ليست بتثنية ؛ قالوا : وذلك كقولهم : حَوَالِيكَ ؛ وكما قال الشاعر :

ضَرْبًا هَذَا ذِيكَ وَطَعْنَا وَخَصًّا ٢

وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانك تثنية ، في أن كل ذلك تثنية . وأصل ذلك أعني الحنان ، من قول القائل : حن فلان إلى كذا ، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق ، ثم يقال : تحنن فلان على فلان ، إذا وصف بالتعطف عليه والرقه به ، والرحمة له ، كما قال الشاعر :

تَحَنَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ٣

بمعنى : تعطف علي . فالحنان : مصدر من قول القائل : حن فلان على فلان ، يقال منه : حننت عليه ، فأنا أحن عليه حيننا وحنانا ، ومن ذلك قبيل لزوجة الرجل : حننته ، لحننته عليها وتعطفه ، كما قال الراجز :

وَلَيْلَةَ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ وَكَمْ تَصْرِفِي حَنَّةً وَبَيْتُ ٤  
وقوله ( وَزَكَاةً ) يقول تعالى ذكره : وآتيناهم الحنك صيبا ، وزكاة : وهو الطهارة من الذنوب ، واستعمال بدنه في طاعة ربه ، فالزكاة عطف على الحكم من قوله ( وآتيناهم الحنك ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَزَكَاةً ) قال : الزكاة : العمل الصالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَزَكَاةً ) قال : العمل

الصالح الزكي .

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (اللسان : حنن) و ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا طبعة الحلبي من ١١٠ ) قال شارحه ويمنحها : هذه رواية الأصمعي ، أي يعطيها . ويروي : ويمنحها ، وهي أشبه بمعنى البيت . وقوله حنانك ذا الحنان : فسر ابن الأعرابي : رحمتك يا رحمن ، فأغنى عنهم . وعلى أية حال . فالشاعر يرم بمجاورة بني شمجى بن جرهم ، متسخط فعلهم ، زار عليهم ، إذ منعوه المعزى . فأما إذا منحوه إياها ( على رواية الأصمعي ) فإنه يكون ساخطا ، لا ضطراره إلى أن يقبل منح أمثالهم ، مع ماله من الشرف والعراقة في الملك ؛ كأنه يقول في نفسه : أبعد ما كان لنا من العز الشامخ ، تذل نفسى وتضطر إلى قبول المنح والصلوات من الناس . وفي اللسان : فرواية ابن الأعرابي تسخط وضم ، وكذلك تفسيره ؛ ورواية الأصمعي : تشكر وحمد ودعاء لهم ، وكذلك تفسيره .

(٢) البيت في (اللسان : هذذ) غير منسوب . قال : الهذ والهذذ : سرعة القطع ، وسرعة القراءة . قال : ضربا هذا ذيك : أي هذا بعد هذا ، يعنى قطعاً بعد قطع . وعلى هذا استشهد به المؤلف . . والوخض : قال الأصمعي : إذا خالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ ، فذلك الوخض ، والوخض . هـ . يقال : وخضه بالرمح وخضاً .

(٣) البيت للحطيفة (لسان العرب : حنن) . قال : وحنن عليه : أرحم ، وأنشد ابن بري للحطيفة : تحنن على . . . البيت .

(٤) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبي محمد الفقعسي ، وبينهما بيت ثالث ، وهو قوله « ولم يلتنى عن سراها ليت » (اللسان : حنن) . وقد استشهد بالبيتين الأولين منهما صاحب اللسان في (ليت) . واستشهد بهما المؤلف في أول الجزء الخامس عشر عند تفسير قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده » وموضع الشاهد هنا في البيت الثالث وهو قوله : « حنة » . قال : وحنة الرجل : امرأته ، قال أبو محمد الفقعسي : « وليلة » . . . الخ الأبيات الثلاثة . قال : وهي ملته وكنيته ونهضته وحاصنته وحاضنته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَزَكَاتٍ ) يعني العمل الصالح الزاكي .

وقوله ( وَكَانَ تَقِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وكان لله خائفا مؤذيا فرائضه ، مجتنباً محارمه مسارعا في طاعته . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَزَكَاتٍ وَكَانَ تَقِيًّا ) قال : طهر فلم يعمل بذنوب .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَزَكَاتٍ وَكَانَ تَقِيًّا ) قال : أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

يقول تعالى ذكره : وكان برًّا بوالديه ، مسارعا في طاعتها ومحبتهما ، غير عاق بهما ( وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ) يقول جل ثناؤه : ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا ، يأتمر لما أمر به ، وينتهي عما نهى عنه ، لا يعصيه ربه ، ولا والديه

وقوله ( عَصِيًّا ) فعيل بمعنى أنه ذوعصيان ، من قول القائل : عصى فلان ربه ، فهو يعصيه عصيا :

وقوله ( سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من سوء ، بما ينال به بني آدم ، وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا » .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( جَبَّارًا عَصِيًّا )

قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا » .

قال : وقال قتادة : ما أذنب ، ولا هم بإمرأة .

وقوله ( وَيَوْمَ يَمُوتُ ) يقول : وأمان من الله تعالى ذكره له من فتنة القبر ، ومن هول المطلع ( وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) يقول : وأمان له من عذاب الله يوم القيامة ، يوم الفرع الأكبر ، من أن يروعه شيء ، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق .

وقد ذكر عن ابن عيينة في ذلك ما حدثني أحمد بن منصور الفيروزي ، قال : أخبرني صدقة بن الفضل



قال : سمعت ابن عطية يقول : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم ، قال : فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال ( وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن قال : إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى : استغفر لى ، أنت خير منى ، فقال له عيسى : أنت خير منى ، سألتم على نفسى ، وسألتم الله عليكم ، فعرف والله فضاهما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) ، فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَمَثَلَلَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذ كرى محمد في كتاب الله الذى أنزله عليك بالحق مريم بنت عمران ، حين اعزلت من أهلها ، وانفردت عنهم ، وهو افتعل من التنبذ ، والتبذ : الطرح ، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله ( وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ ) أى انفردت من أهلها .

حدثني سليمان بن عبد الحيار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ) قال : خرجت مكانا شرقيا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : خرجت مريم إلى جانب الخراب لحيض أصابها ، وهو قوله : ١ فانبتت من أهلها مكانا شرقيا : فى شرقى الخراب .

وقوله ( مَكَانًا شَرْقِيًّا ) يقول : فتنحت واعزلت من أهلها فى موضع قبيل مشرق الشمس دون مغربها كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( مَكَانًا شَرْقِيًّا ) قال : من قبيل المشرق .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : إني لأعلم خلق الله لأى شىء اتخذت النصرى المشرق قبلة ؟ لقول الله : فانبتت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة .

(١) كذا هنا ، وفى موضعين بعد : فانبتت ، والقراءة : إذ انتبتت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله .  
 حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : أخبرنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كندينة ، عن قابوس ، عن  
 أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت ، والحج لله ، وما صرفهم  
 عنهما إلا قيل ربك ( فانتبذت من أهلها مكانا شرقياً ) فصلوا قبل مطلع الشمس .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً )  
 قال : شاسعا متنحيا ، وقيل : إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس ، لأن ما يلي المشرق عندهم كان  
 خيرا مما يلي المغرب ، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب .

وقوله ( فانتبذت من ذويهم حجبا ) يقول : فانتخذت من دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن  
 الناس . وذكر عن ابن عباس ، أنها صارت بمكان يلي المشرق ، لأن الله أظلمها بالشمس ، وجعل لها  
 منها حجبا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( انتبذت من أهلها مكانا شرقياً ) قال : مكانا أظلمها الشمس أن يراها أحد منهم .  
 وقال غيره في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فانتبذت  
 من ذويهم حجبا ) من الجدران .  
 وقوله ( فأرسلنا إليها رُوحنا ) يقول تعالى ذكره : فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ،  
 واتخذت من ذويهم حجبا : جبريل .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأرسلنا إليها رُوحنا ) قال :  
 أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايمهم ، عن وهب بن منبه ، قال : وجدت  
 عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فأرسلنا إليها  
 رُوحنا ) قال : جبريل .

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل بن أخي  
 وهب ، قال : سمعت وهب بن منبه ، قال : أرسل الله جبريل إلى مريم ، فتمثل لها بشرا سويا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فلما طهرت ، يعني مريم من  
 حيضها ، إذا هي برجل معها ، وهو قوله ( فأرسلنا إليها رُوحنا فتمثل لنا بشرا سويا ) يقول  
 تعالى ذكره : فتشبه لها في صورة آدمى سوى الخلق منهم ، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ

لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)

يقول تعالى ذكره : فخافت مریم رسولنا ، إذ تمثّل لها بشرا سويا ، وظنته رجلا يريد لها على نفسها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) قال : خشيت أن يكون إنما يريد لها على نفسها . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ) فلما رآته فرعت منه وقالت : ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) فقالت : إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك ، تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له ، تتقى محارمه ، وتجتنب معاصيه ، لأن من كان لله تقيا ، فإنه يجتنب ذلك . ولو وجه ذلك إلى أنها عنّت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقى الله في استجارتي واستعاذتي به منك ، كان وجهها .

كما حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ( قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم : حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : قال ابن زيد : وذكر قصص مریم فقال : قد علمت أن التقى ذو نهيبة حين قالت ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) ، قال إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ( يقول تعالى ذكره : فقال لها روحنا : إنما أنا رسول ربك يا مریم ، أرسلني إليك ، ) ( لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو ( لِأَهَبَ لَكَ ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك : يقول : أرسلني إليك لأهب لك ( غُلَامًا زَكِيًّا ) على الحكاية . وقرأ ذلك أبو عمرو و بن العلاء ( لِیَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك ، أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قراء الأمصار ، وهو ( لِأَهَبَ لَكَ ) بالألف دون الياء ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين ، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم ، غير أبي عمرو ، وغير جائر خلافهم فيما أجمعوا عليه ، ولا سائق لأحد خلاف مصاحفهم ، والغلام الزكى : هو الطاهر من الذنوب ، وكذلك تقول العرب : غلام زاك وزكى ، وعال وعلى .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا؟ (٣٠) قَالَ ، كَذَلِكَ ، قَالَ رَبُّكِ

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٣١)

يقول تعالى ذكره : قالت مريم لجبريل ( أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ) من أى وجه يكون لى غلام ؟ أمن قبيل زوج أترج ، فأرزقه منه ، أم يبتدىء الله فى خلقه ابتداء ( وَاَمْ يَمْسَسُنِي بِشَرٍّ ) من ولد آدم بنكاح حلال ( وَاَمْ أَلُ ) إذ لم يمسنى منهم أحد على وجه الحلال ( بَغِيًّا ) بغيت ، ففعلت ذلك من الوجه الحرام ، فحملته من زنا .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَاَمْ أَلُ بَغِيًّا ) يقول : زانية ( قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَسْبٍ ) يقول تعالى ذكره : قال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسك بشر ، ولم تكونى بغيا ، ولكن ربك قال : هو على هين : أى خلقت الغلام الذى قلت أن أهبه لك على هين ، لا يتعذر على خلقه ، وهبته لك من غير فحل يفتحك .

وقوله ( وَابْتَجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ) يقول : وكى نجعل الغلام الذى نهبه لك علامة وحجة على خلقى ، أهبه لك . ( وَرَحْمَةً مِنَّا ) يقول : ورحمة منا لك ، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك ( وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ) يقول : وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ، ومضى فى حكمه وسابق علمه أنه كائن منك :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى من لآتهم ، عن وهب بن منبه ( وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ) أى إن الله قد عزم على ذلك ، فليس منه بد .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

\* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، قَالَتْ يَلِيَّتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٣)

وفى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه ( فَتَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) بغلام ، ( فَحَمَلَتْهُ ، فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) . وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل بن أخى وهب بن منبه ، قال : سمعت وهبا قال : لما أرسل الله جبريل إلى مريم ، تمثل لها بشراسويا ، فقالت له ( إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ) ، ثم نفخ فى جيب درعها ، حتى وصلت النفخة إلى الرحم ، فاشتملت . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لآتهم ، عن وهب بن منبه النخلى ، قال : لما قال ذلك ، يعنى لما قال جبريل ( قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَسْبٍ ) . . . الآية ، استسلمت لأمر الله ، فنفخ فى جيبها ، ثم انصرف عنها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : طرحت عليها جلبابها ، لما قال جبريل ذلك لها ، فأخذ جبريل بكفيها ، فنفخ فى جيب درعها ، وكان مشقوقا من قدامها ، فدخلت النفخة صدرها ، فحملت ، فأثبها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمها ، فقالت امرأة

زکریا : یا مریم أشعرت أنى حبلى ، قالت مریم : أشعرت أيضا أنى حبلى ، قالت : امرأة زکریا : إنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله ( مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جریج : يقولون : إنه إنما نَفَخَ فى جيب درعها وكها .

وقوله ( فانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) يقول : فاعتزلت بالذى حملته ، وهو عيسى ، وتنحَّت به عن الناس مكانا قصيا : يقول : مكانا نائيا قاصيا عن الناس ، يقال : هو بمكان قاص ، وقصى : بمعنى واحد ، كما قال الراجز :

لَتَقْعُدِينَ مَقْعَدَ الْقَصِيِّ مِثْنِي ذِي الْقَاذُورَةِ الْمُقْلِيًّا

يقال منه : قضا المكان يقصو قصوا : إذا تباعد ، وأقصيت الشيء : إذا أبعدته وأخرته .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) قال : مكانا نائيا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( مَكَانًا قَصِيًّا ) قال : قاصيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما بلغ أن تضع مریم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقى منه ، فأنت أقصاه .

وقوله ( فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ) يقول تعالى ذكره : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة . ثم قيل : لما أسقطت الباء منه أجاها ، كما يقال : أتيتك بزيد ، فإذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا ، كما قال جل ثناؤه ( آتَوْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ ) والمعنى : اتونى بزُبْر الحديد ، ولكن الألف مُدَّت لما حذفت الباء ، وكما قالوا : خرجت به وأخرجته ، وذهبت به وأذهبته ، وإنما هو « أَفْعَلٌ » من الحىء ، كما يقال : جاء هو ، وأجأته أنا : أى جئت به ، ومثل من أمثال العرب : « شرّ ما أجاأنى إلى نُجْحَةِ عرقوب » ، وأشاء ويقال : شرّ ما يُجْحِيْتُك ويُسَيِّئُك إلى ذلك ؛ ومنه قول زهير :

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج الراجز ( انظر فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد للعيني ص ١١٥ - ١١٦ ) وبعدهما بيتان

آخران وهما : أو تحلق بربك العسل أنى أبو ذياك الصبى

ومقعد القصى : إما مفعول مطلق ، على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه ، أى فى مقعد القصى ، أى البعيد ، من قضا المكان يقصو : إذا بعد . ويقال رجل قاذورة : أى لا يخالط الناس ، لسوء خلقه . والمقل المبغض من قلاه يقلبه قل بالكسر . وهما صفتان للقصى . وفى ( لسان العرب : قضا ) قضاة قضا ، وقصوا وقصا وقصاء ، وقصى ( بكسر الصاد ) : بعد . وقضا المكان يقصو قصوا ( على فعول ) : بعد . والقصى والقاصى : البعيد ، والجمع : أقصاء فنيها ، كشاهد وأشهاد ، ونصير وأنصار .

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ<sup>١</sup>  
 يعنى : جاء به ، وأجاءه إلينا وأشاءك : من لغة تميم ، وأجاءك من لغة أهل العالية ، وإنما تأول من تأول ذلك  
 بمعنى : أبلأها ، لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة ، كان قد أبلأها إليه .  
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فأجاءها المخاض ) قال : المخاض أبلأها .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أبلأها  
 المخاض . قال ابن جريج : وقال ابن عباس : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فأجاءها المخاض ) إلى جذع  
 النَّخْلَةِ ) يقول : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأجاءها المخاض ) إلى جذع  
 النَّخْلَةِ ) قال : اضطرها إلى جذع النخلة .

واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت مريم بعيسى لوضعه ، وأجاءها إليه المخاض ، فقال بعضهم : كان  
 ذلك فى أدنى أرض مصر ، وآخر أرض الشام ، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت ، فتوجهت نحو  
 مصر هاربة منهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع  
 وهب بن منبه يقول : لما اشتملت مريم على الحمل ، كان معها قرابة لها ، يقال له يوسف النجار ، وكانا  
 منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون ، وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم ، فكانت  
 مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد ، فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا  
 يلبان معالجته بأنفسهما ، تحبيرة وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، وكان لا يعمل من أهل زمانها أحد  
 أشد اجتهادا وعبادة منهما ، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ؛ فلما رأى الذى بها استفظعه ،  
 وعظم عليه ، وفطّيع به ، فلم يدر على ماذا يضع أمرها ، فإذا أراد يوسف أن يتهمها ، ذكر صلاحها وبراءتها ،  
 وأنها لم تغب عنه ساعة قط ؛ وإذا أراد أن يبرئها ، رأى الذى ظهر عليها ؛ فلما اشتد عليه ذلك كلمها ،

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (اللسان : جيا) . قال : وأجاءه إلى شيء : جاء به ، وأجاءه ، واضطره إليه . قال زهير بن  
 أبي سلمى : « وجار . . . » البيت . قال الفراء : أصله من جئت ، وقد جعلته العرب إلقاء . وفى المثل : « شر ما أجاءك إلى نخة  
 العرقوب ، وشر ما يجيئك إلى نخة عرقوب » قال الأصمعي : وذلك أن العرقوب لا يخ فيه ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء .  
 ومنهم من يقول : شر ما أبلأك : والمعنى واحد . وتميم تقول : شر ما أشاءك .

فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته ، وقد حرّصت على أن أميته وأكتمه في نفسي ، فغلبني ذلك ، فرأيت الكلام فيه أشنى لصدري . قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول لك إلا ذلك ، فحدثيني ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم . قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكّر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ؟ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده ، أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟ قال يوسف لها : لأقول هذا ، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كمن فيكون ، قالت مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك ، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى ، وأنه لا يسهه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ، ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفها كل عمل كانت تعمل فيه ، وذلك لما رأى من رقة جسمها ، واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، وبتوت بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيروك ، وقتلوا ولدك ، فأفضت ذلك إلى أخيها ، وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى ، فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خيراً لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى ، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء ، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاحماً لأرض مصر في متقطع بلاد قومها ، أدرك مريم النفاس ، ألجأها إلى أرى حمار ، يعنى مذود الحمار ، وأصل نخلة ، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً « الشك من أبي جعفر » ، فاشتدّ على مريم المخاض ، فلما وجدت منه شدة ، التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدين بها .

وقد روى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا ، وذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما حضر ولادها ، يعنى مريم ، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق ، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء ، حتى تدرکہا الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم ، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة ، إليها مذود بقرة ، تحبها ربيع من الماء ، فوضعت عندها . وقال آخرون : بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب الحراب الشرقي منه ، فأنت أقصاه ، فألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، وذلك قول السدي ، وقد ذكرت الرواية به قبل .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ما هي إلا أن حملت فوضعت .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول : ليس إلا أن حملت فولدت .

وقوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ) ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) تقول : يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بععل ، وكنت نسيًا منسيا : شيئًا نسي فترك طلبه ، كحرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسي . ونسي بفتح النون وكسرها هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد ، مثل الوتر والوتر ، والجسر والجسر ، وبأبهما قرأ القاري فصيبي عندنا ؛ وبالكسر قرأت عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ؛ وبالفتح قرأه أهل الكوفة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًا تَقْصُصُهُ إِذَا مَا غَدَّتْ وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ

ويعنى بقوله : تقصصه : تطلبه ، لأنها كانت نسيته حتى ضاع ، ثم ذكرته فطلبته ، ويعنى بقوله : تبلت : تحسن وتصدق ، ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صوابا ، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول : نسيته نسيانا ونسيا ، كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصبي الشيطان ، يعنى وعصيان ، وكما تقول أتيته إتيانا وأتيا ، كما قال الشاعر :

أَتَى الْفَوَاحِشَ فِيهِمْ مَعْرُوفَةٌ وَيَرَوْنَ فِعْلَ الْمَكْرُمَاتِ حَرَامًا

وقوله ( مَنَسِيًّا ) مفعول من نسيت الشيء ، كأنها قالت : ليتني كنت الشيء الذي ألقى ، فترك ونسي . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) لم أخلق ، ولم أك شيئا . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) يقول : نسيًا : نسي ذكرى ، ومنسيا : تقول : نسي أثرى ، فلا يرى لى أثر ولا عين . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) : أى شيئا لا يعرف ولا يذكر .

(١) البيت للشنفرى (اللسان : نسي) قال : والنسي : الشيء المنسى الذى لا يذكر . وقال الأخفش : النسي : ما أغفل من شيء حقير ونسي . وقال الزجاج النسي في كلام العرب الشيء المطروح ، لا يؤبه له . وقال الشنفرى : « كأن لها . . . البيت . قال ابن برى : بلى ، بالفتح : إذا قطع ، وبلى بالكسر : إذا سكن . وقال الفراء : النسي والنسي ( بكسر النون المشددة وفتحها ) لغتان فيما تلقىه المرأة من حرق اعتلاها (حيضها) مثل وتر ووتر . قال ولو أراد بالنسي (بالفتح) مصدر النسيان ، كان صوابا .

(٢) في (اللسان : أتي) : الإتيان : المحي . أتيته أتيا وإتيانا وإتيانة ومأناة : جنته . واستشهد المؤلف بالبيت على أن العرب تقول نسيته نسيانا ونسيا ، كما تقول أتيته إتيانا وأتيا . وقوله معروف : أنت الخبر بالتاء مع أن المبتدأ وهو الأتى مذكر ، لكنهما أضيف إلى الفواحش ، وهي جمع فاحشة . اكتسب منها التانيث . فلذلك أنت الخبر بالتاء .



حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ) قال : لا أعرف ولا يدري من أنا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ( نَسِيًّا مَنَسِيًّا ) قال : هو السقط .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ) لم أكن في الأرض شيئاً قط .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ  
 تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) بمعنى : فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله ؛ فمن متأول منهم إذا قرأه ( مِن تَحْتِهَا ) كذلك ؛ ومن متأول منهم ، أنه عيسى ، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته . وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) بفتح التاء من تحت ، بمعنى : فناداها الذي تحتها ، على أن الذي تحتها عيسى ، وأنه الذي نادى أمه .

ذكر من قال : الذي ناداها من تحتها الملك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت ابن عباس قرأ ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) يعني : جبرائيل .

حدثني أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس ، قال : أخبرنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : الذي ناداها الملك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا الرفاعي ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأها كذلك .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) قال : جبرائيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) : أى من تحت النخلة .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَنَادَاهَا ) جبرائيل ( مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : الملك .

حدثت عن الحسين ، قال سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) يعنى : جبرائيل ، كان أسفل منها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها .

ذكر من قال : ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : عيسى بن مريم .

حدثنا ابن بشر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) ابنها .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هو ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( فَنَادَاهَا )

عيسى ( مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي ) .

حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن

ثابت بن عجلان ، عن سعيد بن جبیر ، قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال عيسى : أما تسمع الله يقول :

( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال عيسى :

ناداها ( أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) .

حدثت عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي

ابن كعب قال : الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ، ودخل من فيها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال : الذي ناداها ابنها عيسى ، وذلك أنه من

كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل ، فردّه على الذي هو أقرب إليه ، أولى من ردّه على الذي هو أبعد

منه . ألا ترى في سياق قوله ( فَحَمَلْتَهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) يعنى به : فحملت عيسى ، فانبتدت

به ، ثم قيل : فنأداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه . ولعله أخرى ، وهي قوله ( فَأَشَارَتْ إِلَىهِ ) ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك ، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها ( أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه ، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل ، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر ، مبيناً أن عيسى سينطق ، ويحتج عنها للقوم ، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله .

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بيننا ، فبين أن كلتا القراءتين ، أعني ( مِنْ تَحْتِهَا ) بالكسر ، و ( مَنْ تَحْتِهَا ) بالفتح صواب . وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله ( فنأداها ) ذكر من عيسى . وإذا قرئ ( مَنْ تَحْتِهَا ) بالفتح ، كان الفعل لمن وهو عيسى . فتأويل الكلام إذن : فنأداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا )

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فنأداها مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي ) قالت : وكيف لا أحزن وأنت معي ، لآذات زوج فأقول من زوج ، ولا مملوكة فأقول من سيدي ، أي شيء عذري عند الناس ( يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ) ، فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالسري في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني به : النهر الصغير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : الجدول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية : ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : الجدول .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) وهو نهر عيسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : السري : النهر الذي كان تحت مریم حين ولده ، كان يجري يسمى سرياً .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال في هذه الآية ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : السري : نهر يشرب منه .

حدثنا يعقوب وأبو كريب ، قالوا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، في قوله ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : هو الجدول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سرياً) قال : نهر بالسريانية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : نهر إلى جنبها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : كان سريا ، فقال حميد بن عبد الرحمن : إن السرى : الجدول ، فقال : غلبتنا عليك الأمراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : هو الجدول ، النهر الصغير ، وهو بالنبطية : السرى .  
حدثني أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان قال : سألت سعيد بن جبير ، عن السرى ، قال : نهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : النهر الصغير .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : هو النهر الصغير : يعني الجدول ، يعني قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : جدول صغير بالسريانية .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَحْتَكِ سَرِيًّا) : الجدول الصغير من الأنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والبرى : هو الجدول ، تسميه أهل الحجاز .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله (سرياً) قال : هو جدول .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني ربيع الماء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) وهو النهر .  
وقال آخرون : عنى به عيسى .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : عيسى نفسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ

تَحْتَكِ سَرِيًّا) یعنی نفسه ، قال : وأى شيء أسرى منه ، قال : والذين يقولون : السرى : هو النهر ليس كذلك النهر ، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها ، ولا يكون النهر تحتها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قيل من قال : عنى به الجدول ، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها ، وقال لها ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي ) من هذا الرطب ( وَأَشْرَبِي ) من هذا الماء ( وَقَرِّي عَيْنًا ) بولدك ، والسرى معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطَا عَرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا

ويُروى مبدأ مسجورة ، ويُروى أيضا : فغادرا .

وقوله ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ ) ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا ، وأمرها أن تهزه ، وذلك في أيام الشتاء ، وهزه إياه كان تحريكه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ ) قال : حركها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ ) قال : كان جذعا يابسا ، فقال لها : هزيه ( تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقول : كانت نخلة يابسة .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول في قوله ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ ) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهَزَيْ لَيْكِ بِيَذْعِ النَّخْلَةَ ) وكان جذعا منها مقطوعا فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في الخراب نهر ، فتساقطت النخلة رطبا جنيا ( فَكُلِي ) كَلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ) .

(۱) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، من معلقته المشهورة ( انظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع ، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر ، وفي جهرة أشعار العرب ص ۶۳ - ۷۴ ) . قال صاحب الجمهرة : توسطاً ؛ أي دخلا وسطه . وعرض السرى : أي ناحية النهر ، وأهل الحجاز يسمون النهر سريا . وصدعا : أي فرقا . ومسجورة : أي عينا مملوءة ؛ قال الله تعالى : « والبحر المسجور » . وأقلامها ، ويروى قلامها ، وهو ضرب من شجر الحمض ، والأقلام : قصب اليراع . وقال الزوزني : يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير ، وشقا عينا مملوءة ماء ، قد تجاوز قلامها ، أي قد كثر هذا الضرب من النبات عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عينا مملئة ماء ، فدخلا فيها من عرض نهرها ، وقد تجاوز نبتها . والشاهد في قوله « السرى » ، وهو اسم للنهر الصغير . (۲) كذا في المخطوطة بغير نقط ، ولم نقف على هذه الرواية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهزى إليك بالنخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال مجاهد ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ) قال : النخلة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ) قال : العجوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، أنه تلا هذه الآية ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ) قال : فقال عمرو : ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ، وأدخلت الباء في قوله ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ) كما يقال : وزوجتك فلانة ، وزوجتك بفلانة ، وكما قال : تثبت بالدهن ، بمعنى : تثبت الدهن . وإنما تفعل العرب ذلك ، لأن الأفعال تكنى عنها بالباء ، فيقال إذا كنت عن ضربت عمرا : فعلت به ، وكذلك كل فعل ، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى : بمعنى الكلام : وهزى إليك جدع النخلة ، وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك : وهزى إليك رطبا يجذع النخلة ، بمعنى : على جدع النخلة وجها صحيحا ، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك . ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر :

بِوَادِ يَمَانَ يُنْتَبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وَأُسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّيْبَانَ ١

واختلف القراء في قراءة قوله ( تَسَاقِطُ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة ( تَسَاقِطُ ) بالتاء من تساقط وتشديد السين ، بمعنى : تساقط عليك النخلة رطبا جنيا ، ثم تُدغم إحدى التاءين في الأخرى فتشدد ٢ ، وكان الذين قرءوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام : إلى وهزى إليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة ( تَسَاقِطُ ) بالتاء وتخفيف السين ، ووجه معنى

(١) في (اللسان : سدر) السدر : شجر النبق ، وأحدتها سدره . والمرخ : شجر كثير الوري سريعه . وفي (اللسان : شبه) الشهبان : نبت يشبه الخمام ، ويقال له الشهبان . قال ابن سيده : والشهبان (بالتحريك) والشهبان (بضمين) : ضرب من العضاء ؛ وقيل : هو الخمام ، يمانية . حكاه ابن دريد . قال رجل من عبد القيس : « بواد يمان ينبت الشث صدره » . . . البيت . قال ابن بري قال أبو عبيدة : البيت للأحول اليشكري . واسمه يعل . قال : وتقديره : وينبت أسفل المرخ . على أن تكون الباء زائدة . وإن شئت قدرته : وينبت أسفل المرخ ، فتكون الباء للتعدية ، لما قدرت الفعل ثلاثيا . وفي الصحاح : وقيل : الشهبان : هو الخمام من الرياحين . و (في اللسان : شث) الشث : ضرب من الشجر عن ابن دريد ، وأنتشد البيت : « بواد يمان ينبت الشث فرعه » الخ . وقيل : الشث شجر طيب الريح . من الطعام ، يدبغ به . قال أبو الدقيش : وينبت في جبال الغور وتهامة ونجد . والبيت شاهد على أن الباء في قوله « بالمرخ » زائدة ، دخولها كخروجها ، وهي مثل الباء في قوله تعالى : وهزى إليك بجذع النخلة . قال في (اللسان : هز) الهز : تحريك الشيء ، كما تهز القشاة ، فنضطرب وتهز . وهزه يهزه هزا ، وهز به . وفي التنزيل العزيز « وهزى إليك بجذع النخلة » أي حرك . والعرب تقول : هزه وهز به إذا حركه . ومثله : غخ الحطام ، وغخ بالخطام ، وتعلق زيدا وتعلق يزيد . قال ابن سيده : وإنما عدها بالياء ، لأن في هز معنى جرى ، (أمر من الجر) .

(٢) عبارة الجلالين : بتامين قلب الثانية سينا وأدغمت في السين .

الكلام ، إلى مثل ما رجه إليه مشددوها ، غير أنهم خالفوه في القراءة . ورؤى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك ( يتساقط ) بالياء .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام : إلى وهزى إليك يجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا .

ورؤى عن أبي نهبك أنه كان يقرؤه ( تُسْقِطُ ) بضم التاء وإسقاط الألف .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام إلى : تسقط النخلة عليك رطبا جنيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن هذه القراءات الثلاث ، أعني ( تَسَاقَطُ ) بالتاء وتشديد السين ، وبالتاء وتخفيف السين ، وبالياء وتشديد السين ، قراءات متقاربات المعاني ، قد قرأ بكل واحدة منهن قرأه أهل معرفة القرآن ، فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه ، وذلك أن الجذع إذا تساقط رطبا ، وهو ثابت غير مقطوع ، فقد تساقطت النخلة رطبا ، وإذا تساقطت النخلة رطبا ، فقد تساقطت النخلة بأجمعها ، جذعها وغير جذعها ، وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها ، فانما هي جذع وجريد وسعف ، فإذا قطعت صارت جذعا ، فالجذع الذي أمرت مریم بهزه ، لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدى ، وقد زعم أنه عاد بهزها إياه نخلة ، فقد صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا نخلة : واحدا ، فتبين بذلك صحة ما قلنا .

وقوله ( جنيا ) يعنى مجنيا ، وإنما كان أصله مفعولا ، فصرف إلى فعيل ، والمجنى المأخوذ طريا ، وكل ما أخذ من ثمرة ، أو نقل من موضعه بطراوته ، فقد اجتنى ، ولذلك قيل : فلان يجتنى الكأمة ؛ ومنه قول ابن أخت جذيمة :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُنْتُ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ، فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فكلى من الرطب الذى يتساقط عليك ، واشربى من ماء السرى الذى جعله ربك

(١) البيت في (اللسان : جنى) قال : قال أبو عبيد : يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده . قال أبو عبيد : وذكر ابن الكلبي أن المثل لعمر بن عبد الحمى ابن أخت جذيمة ، وهو أول من قاله ، وإن جذيمة نزل منزلا ، وأمر الناس أن يجتنوا له الكأمة ، فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد ، ويأكل طيبها ، وعمرو يأتيه بخير ما يجد ، ولا يأكل منها شيئا ، فلما أتى خاله جذيمة قال : هذا : . . . البيت ، والجنى : ما يجنى من الشجر . ويروى : « هذا جنائى وهجانه فيه » أى خياره . اه . وقال : وجنيت الثمرة أجنيتها واجتنيتها : بمعنى . ابن سيده : جنى الثمرة ونحوها وتجنها ، كل ذلك : تناولها من شجرتها . ועל هذا استشهد المؤلف بالبيت .

تحنك ، ولا تحشى جوعا ولا عطشا ( وَقَرَىٰ عَيْنًا ) يقول : وطبى نفسا وأفرحى بولادتك إياي ، ولا تحزنى . ونصبت العين لأنها هي الموصوفة بالقرار . وإنما معنى الكلام : ولتقرر عينك بولدك ، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين ، فنصبت العين ، إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير ، نظير ما فعل بقوله ( فَإِنَّ طَيْبًا لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ) وإنما هو : فإن طابت أنفسهن لكم . وقوله ( وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ) ومنه قوله ( يُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ) إنما هو يساقط عليك رطب الجذع ، فحوّل الفعل إلى الجذع ، في قراءة من قرأه بالياء . وفي قراءة من قرأه ( تُسَاقِطُ ) بالتاء ، معناه : يساقط عليك رطب النخلة ، ثم حوّل الفعل إلى النخلة .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَقَرَىٰ ) فأمّا أهل المدينة فقرأوه ( وَقَرَىٰ ) بفتح القاف ، على لغة من قال : قرّرت بالمكان أقرّ به ، وقرّرت عينا ، أقرّ به قرورا ، وهي لغة قريش فيما ذكر لي ، وعليها القراءة . وأمّا أهل نجد فلينها تقول : قرّرت به عينا ، أقرّ به قرارا ، وقرّرت بالمكان أقرّ به ، فالقراءة على لغتهم ( وَقَرَىٰ عَيْنًا ) بكسر القاف ، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف .

وقوله ( فَإِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ) يقول : فإن رأيت من بني آدم أحدا يكلمك ، أو يسألك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك ( فَاقُولِي لِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) يقول : إني أوجبت على نفسي لله صمتا ألا أكلم أحدا من بني آدم اليوم : ( فَكَلِمَةَ الْيَوْمِ لَإِنْسِيًّا ) .  
وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) صمتا .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : صمتا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : يعني بالصوم : الصمت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمي ، قال : سمعت أنسا قرأ ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا وَصَمْتًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) أما قوله ( صَوْمًا ) فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله ، فقال ذلك لها لذلك ، فقالت : إني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله ؛



فلما كلموها أشارت إليه ، فقالوا ( كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) فأجابهم فقال : ( إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ) حتى بلغ ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ) قول الحق الذي فيه يمترون .  
واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر ، فقال بعضهم : أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة ، وذلك أنها جاءت وهي أيم بولد ، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان ، فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ فقال أصحابه : حلف ألا يكلم الناس اليوم ، فقال عبد الله : كلم الناس وسلم عليهم ، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعني بذلك مریم عليها السلام .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم ( لَا تَحْزَنِي ) قالت : وكيف لأحزن وأنت معي ، لا ذات زوج ولا مملوكة ، أي شيء عذري عند الناس ؟ ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ) فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام ( فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) قال : هذا كله كلام عيسى لأمه .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) فإني سأكفيك الكلام .  
وقال آخرون : إنما كان ذلك آية لمريم وابنها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال في بعض الحروف : صمتا ، وذلك أنك لا تلتقي امرأة جاهلة تقول : نذرت كما نذرت مريم ، ألا تكلمت يوما إلى الليل ، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولا بنها ، ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فقرا ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) وكانت تقرأ في الحرف الأول : صمتا ، وإنما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها .  
وقال آخرون : بل كانت صائمة في ذلك اليوم ، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس ، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا )

يكلمك ( فَمَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقيل لها : لا تزيدى على هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)

يقول تعالى ذكره : فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمانت نفسها ، وسلمت لأمر الله ، وحملة حتى أتت به قومها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ، قال : أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذا كلمها ، يعنى عيسى ، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها .

وقال السدى في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ولدته ذهب الشيطان ، فأخبر بنى إسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشددون ، فدعوها ( فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ) .

وقوله ( قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ) يقول تعالى ذكره : فلما رأوا مريم ، ورأوا معها الولد الذى ولدته ، قالوا لها : يا مريم لقد جئت بأمر عجيب ، وأحدثت حدثا عظيما ، وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه ، كما قال الراجز :

قَدْ أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَجْرِيًّا قَدْ كُنْتِ تَقْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( فَرِيًّا ) قال : عظيما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) في (اللسان : دقل) : الدقل من القرم : معروف ، قيل : هو أردأ أنواعه . وفي (اللسان : فرى) : التهذيب : ويقال للرجل إذا كان جادا في الأمر قويا : تركته يفرى القرا ويقده . والعرب تقول : تركته يفرى القري : إذا عمل العمل أو السق فأجاد... وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية :

قَدْ أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَوْلِيًّا مُسَوِّسًا مُدَوِّدًا حَجْرِيًّا

قَدْ كُنْتِ تَقْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا

أى كنت تكثرين فيه القول وتعلمينه . يقال : فلان يفرى القري : إذا كان يأتي بالمعجب في عمله . ثم قال : وفي التنزيل العزيز في قصة مريم : « لقد جئت شيئا فريا » . قال الفراء : القري الأمر العظيم ، أى جئت شيئا عظيما . وقيل : جئت شيئا فريا : أى مصنوعا مخلوقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا )  
 قال : عظيما .  
 حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا )  
 قال : عظيما .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رآوها  
 ورأوه معها ، قالوا : يا مریم ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ) : أى الفاحشة غير المقاربة .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (۲۸)

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها : يا أخت هارون ، ومن كان هارون هذا الذي  
 ذكره الله ، وأخبر أنهم نسبوا مریم إلى أنها أخته ، فقال بعضهم : قيل لها ( يا أخت هارون ) نسبة منهم لها إلى  
 الصلاح ، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وليس بهارون أخى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يا أخت  
 هارون ) قال : كان رجلا صالحا في بني إسرائيل يسمى هارون ، فشبّهوها به ، فقالوا : يا شبيهة هارون  
 في الصلاح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أخت هارون ما كان أبوك  
 امرا سؤء وما كانت أمك بغيا ) قال : كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح ، ولا يُعرفون بالفساد  
 ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به ، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به ، وكان هارون  
 مصلحا محببا في عشيرته ، وليس بهارون أخى موسى ، ولكنه هارون آخر . قال : وذكر لنا أنه شيع جنازته  
 يوم مات أربعون ألفا ، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي صدقة . عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن  
 كعبا قال : إن قوله ( يا أخت هارون ) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ،  
 قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإني أجد بينهما ست مئة  
 سنة ، قال : فسكتت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يا أخت هارون ) قال :  
 اسم واطأ اسما ، كم بين هارون وبينهما من الأمم أم كثيرة .

حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس الأودي ،  
 قال : سمعت أبي يذكر ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبه ، قال :

« بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ، فقالوا لي : ألسم تفرعون ( يا أُخْتِ هَارُونَ ) ؟ قلت : بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : « أَلَا أُخْبِرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَاءِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : « أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه إلى أهل نجران ، فقالوا : أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى ؟ فلم أدر ما أردت عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فقال : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ » . وقال بعضهم : عني به هارون أخو موسى ، ونُسبت مريم إلى أمها أخته ، لأنها من ولده ، يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللمضري : يا أخا مضر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يا أُخْتِ هَارُونَ ) قال : كانت من بني هارون أخى موسى ، وهو كما تقول : يا أخا بني فلان .

وقال آخرون : بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معان الفسق ، فنسبوا إليه .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه ، وأنها نسبت إلى رجل من قومها .

وقوله ( ما كان أبوك امرأة سوء ) يقول : ما كان أبوك رجلاً سوء يأتي الفواحش ( وما كانت أمك بغيًا ) يقول : وما كانت أمك زانية .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وما كانت أمك بغيًا ) قال : زانية . وقال ( وما كانت أمك بغيًا ) ولم يقل : بغيّة ، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال ، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق ، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم : ملحفة جديدة وامرأة قتيل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : فلما قال قومها ذلك لها ، قالت لهم ما أمرها عيسى بقبله لهم ، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلموه .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قالوا لها ( ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغيًا ) قالت لهم : ما أمرها الله به ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه : إلى عيسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ) قال : أمرهم بكلامه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ) يقول : أشارت إليه أن كَلَّمُوهُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ) أن كَلَّمُوهُ .

وقوله ( قَالُوا كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) يقول تعالى ذكره ، قال قومها لها : كيف نكلم من وُجد في المهد ؟ ، وكان في قوله ( مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) معناها التمام ، لا التي تقتضي الخبر ، وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله ( هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) وإنما معنى ذلك : هل أنا إلا بشر رسول ؟ وهل وُجدت أو بعثت ؛ وكما قال زهير بن أبي سلمى :

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ<sup>١</sup>

بمعنى : وقد صار أو وُجد . وقيل : إنه عنى بالمهد في هذا الموضع : حجر أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) والمهد : الحجر . قال أبو جعفر : وقد بينا معنى المهد فيما مضى بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)

يقول تعالى ذكره : فلما قال قوم مریم لها ( كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم ، قال عيسى لهم متكلماً عن أمه ( إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ) وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا ، وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشدّ علينا من زناها ( قَالُوا كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) .

(١) البيت في (ديوان زهير بن أبي سلمى طبعة دار الكتب المصرية بشرح أبي العباس ثعلب ، ص ٣٢٣) ورواية الأصل : أجرت تحريف . وقوله عليه : على ذلك الطريق . وحررة : كريمة . وأرحبية : منسوبة إلى أرحب ، وأرحب بطن من همدان ، تنسب إليهم النجائب الأرحبية ، وقيل : هو موضع . وقال الأزهرى : يحتمل أن يكون أرحب فعلاً تنسب إليه النجائب لأنها من نسله . والأرندج والبرندج : السواد يسود به الخف ، أو هو الجلد الأسود . أي زجرت على هذا الطريق هذه الناقة ، والليل أسود مثل الأرندج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لاتيهم ، عن وهب بن منبه ( قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً ) فأجابهم عيسى عنها ، فقال لهم ( إني عبد الله آتاني الكتاب ، وجعلني نبياً ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً ) قال لهم : ( إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ) فقرأ حتى بلغ ( وكم يجعلني جباراً شقيماً ) فقالوا : إن هذا لأمر عظيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ( كيف نكلم من كان في المهدي صبياً قال إني عبد الله ) لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين ( قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً ) وقوله ( آتاني الكتاب ) يقول القائل : أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظن ، وإنما معناه : وقضى يوم قضى أمور خلقه إلى أن يؤتيني الكتاب .

كما حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك ، يعني ابن مخلد ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ( قال آتاني الكتاب ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله ( إني عبد الله آتاني الكتاب ) قال : القضاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قول الله ( إني عبد الله آتاني الكتاب ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب .

وقوله ( وجعلني نبياً ) وقد بينت معنى النبي واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وكان مجاهد يقول في معنى النبي وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال النبي وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل .

وقوله ( وجعلني مباركاً ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلني نفاعاً . ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي ، قال : ثنا العلاء ، عن عائشة امرأة لث ، عن لث ، عن مجاهد ( وجعلني مباركاً ) قال : نفاعاً .

وقال آخرون : كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخزومي ، قال : سمعت وهيب

ابن الورد مولى بنى مخزوم ، قال : لقی عالم عالماً لما هو فوفقه فی العلم ، فقال له : یرحمک الله ، ما الذى أعلن من علمى ؟ قال : الأمر بالمعروف والنہی عن المنکر ، فإنه دین الله الذى بعث به أنبیاءه إلى عباده ، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله ( وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْتِمًا كُنْتُ ) وقيل : ما برکتہ ؟ قال : الأمر بالمعروف ، والنہی عن المنکر أينما كان .

وقال آخرون : معنى ذلك : جعلنى معلّم الخیر .

ذکر من قال ذلك .

حدثنى یونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفیان فی قوله ( وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْتِمًا كُنْتُ ) قال : معلماً للخیر .

حدثنا ابن حمید ، قال : ثنا جریر ، عن لیث ، عن مجاهد ، قوله ( وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْتِمًا كُنْتُ ) قال : معلماً للخیر حیثما كنت .

وقوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) يقول : وقضى أن یوصینى بالصلاة والزكاة ، یعنی المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها على . وفى الزكاة معنیان : أحدهما : زكاة الأموال أن یؤدیها . والآخر : تطهير الجسد من دنس الذنوب ، فىكون معناه : وأوصانى بترك الذنوب ، واجتناب المعاصی . وقوله ( مَا دُمْتُ حَيًّا ) يقول : ما كنت حیا فى الدنيا موجوداً ، وهذا یبین عن أن معنى الزكاة فى هذا الموضع : تطهير البدن من الذنوب ، لأن الذى یوصف به عیسی صلوات الله وسلامه علیه أنه كان لا یدخر شیئاً لغد ، فتجب علیه زكاة المال ، إلا أن تكون الزكاة التى كانت فرضت علیه الصدقة بكل ما فضل عن قوته ، فىكون ذلك وجهها صحیحاً .

القول فى تأویل قوله تعالى

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (۳۲) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (۳۳)

يقول تعالى ذكره : مخبراً عن قبيل عيسى للقوم : وجعلنى مباركاً وبراً : أى جعلنى برّاً بوالدى . والبرّ هو البارّ ، يقال : هو برّ بوالده ، وبارّ به ، وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قرأه الأمصار . ورؤى عن أبى نهبك ما حدثنا ابن حمید ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبى نهبك أنه قرأ ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ) من قول عيسى عليه السلام ، قال أبو نهبك : أوصانى بالصلاة والزكاة والبرّ بالوالدين ، كما أوصانى بذلك ، فكان أبى نهبك وجهه تأویل الكلام إلى قوله ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ) هو من خبر عيسى عن وصية الله إياه به ، كما أن قوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) من خبره عن وصية الله إياه بذلك ، فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرّ ، بمعنى عمل الوصية فيه ، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين فى اللفظ ، فإنهما بمعنى النصب ، من أجل أنه مفعول بهما .

وقوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) يقول : ولم يجعلني مستكبرا على الله فيما أمرني به ، ونهاني عنه ، شقيا ، ولكن ذللي لطاعته ، وجعلني متواضعا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه يعني عيسى ، كان يقول : سلوني ، فإن قلبي لئين ، وإنني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع .

وحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذي حملك ، والثدى الذي أرضعت به ، فقال نبي الله ابن مريم يحييها ، طوبى لمن تلا كتاب الله ، واتبع ما فيه (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا شَقِيًّا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء ، عن بعض أهل العلم ، قال : لا نجد عاقباً إلا وجدته جباراً شقياً . ثم قرأ (وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) قال : ولا نجد سيئ المذمومة إلا وجدته مختلاً فخوراً ، ثم قرأ (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا) .

وقوله (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقول : والأمانة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة ، من الطعن فيه ، ويوم أموت ، من هول المطلاع ، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفرع الذي ينال الناس بمعابنتهم أهوال ذلك اليوم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايئهم ، عن وهب بن منبه (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) قال : يخبرهم في قصة خبره عن نفسه ، أنه لأب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا ، يقول الله تبارك وتعالى (ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

#### ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بينت لكم صفته ، وأخبرتكم خبره ، من أمر الغلام الذي حملته مريم ، هو عيسى ابن مريم ، وهذه الصفة صفته ، وهذا الخبر خبره ، وهو (قَوْلُ الْحَقِّ) يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره ، لا خبر غيره ، الذي يقع فيه الوهم والشك ، والزيادة والنقصان ، على ما كان يقول الله تعالى ذكره : فقولوا في عيسى أيها الناس ، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه ، لا ما قالته اليهود ، الذين زعموا أنه غير رشدة ، وأنه كان ساحرا كذا أبا ، ولا ما قالته النصارى ، من أنه كان لله ولدا ، وإن الله لم يتخذ ولدا ، ولا ينبغي ذلك له .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله ( ذَلِكْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ) قال : الله الحق .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله ، قال : ( الَّذِي فِيهِ يَمْسَرُونَ ) ، قال : كلمة الله . ولو وُجِّهَ تأويل ذلك إلى : ذلك عيسى بن مريم القول الحق ، بمعنى ذلك القول الحق ، ثم حذفت الألف واللام من القول ، وأضيف إلى الحق ، كما قيل : ( إِنَّ هَذَا كَلِمَةُ الْحَقِّ الْيَقِينِ ) . وكما قيل : ( وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ) ، كان تأويلا صحيحا .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( قَوْلَ الْحَقِّ ) ، برفع القول ، على ما وصفت من المعنى ، وجعلوه في إعرابه تابعا لعيسى ، كالنعت له ، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى ، إلا أن يكون معنى القول الكلمة ، على ما ذكرنا عن إبراهيم ، من تأويله ذلك كذلك ، فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى ، وإلا فرعه عندي بضمير ، وهو هذا قول الحق على الابتداء ، وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ( ذَلِكْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ) ثم ابتداء الخبر بأن الحق فيما فيه تسمى الأمم من أمر عيسى ، هو هذا القول ، الذي أخبر الله به عنه عباده ، دون غيره . وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي السجود وعبد الله بن عامر بالنصب ، وكأنتهما أرادا بذلك المصدر : ذلك عيسى ابن مريم قولاً حقاً ، ثم أدخلت فيه الألف واللام . وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته ( ذَلِكْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ) ، فإنه بمعنى قول الحق ، مثل العاب والعيب ، والذام والذيم .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وأما قوله تعالى ذكره ( الَّذِي فِيهِ يَمْسَرُونَ ) فإنه يعني : الذي فيه يختصمون ويختلفون ، من قولهم : ماريت فلانا : إذا جادلته وخاصمته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ذَلِكْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْسَرُونَ ) امتزجت فيه اليهود والنصارى ، فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب ؛ وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وإله ، وكذبوا كلهم ، ولكنه عبد الله ورسوله ، وكلمته وروحه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( الَّذِي فِيهِ يَمْسَرُونَ ) قال : اختلفوا ، فقالت فرقة : هو عبد الله ونبيه ، فأمنوا به . وقالت فرقة : بل هو الله . وقالت فرقة : هو ابن الله . تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . قال : فذلك قوله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ )

والتي في الزخرف ، قال دَقْيُوس ونسطور ومار يعقوب ، قال أحدهم حين رفع الله عيسى : هو الله ، وقال الآخر : ابن الله ، وقال الآخر : كلمة الله وعبده . فقال المفتریان : إن قولي هو أشبه بقولك ، وقولي بقولي من قول هذا ، فهلم فلنقاتلهم ، فقاتلوهم وأوطئوهم إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رُفِعَ ؛ فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض ، وأحيا من أحياء ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية . فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال اثنان منهم للثالث ، قل أنت فيه ، قال : هو ابن الله ، وهم النسطورية ، فقال الاثنان : كذبت ، ثم قال أحد الاثنان للآخر : قل فيه ، قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى ؛ قال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ، وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال ، فاقتلوا ، فظهر على المسلمين ، وذلك قول الله ( وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ) . قال قتادة : هم الذين قال الله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ) اختلفوا فيه ، فصاروا أحزابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥)

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : لقد كفرت الذين قالوا : إن عيسى ابن الله ، وأعظموا الفرية عليه ، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا ، ولا يصلح ذلك له ، ولا يكون ، بل كل شيء دونه فخلقته ، وذلك نظير قول عمرو بن أمية : في رأس خلتك من عنقك مشرفة لا يبتغي دوتها سهل ولا جبيل<sup>١</sup> وأن من قوله ( أَنْ يَتَّخِذَ ) في موضع رفع بكان . وقوله ( سُبْحَانَهُ ) يقول : تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون : عيسى ابن الله . وقوله ( إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ) يقول جل ثناؤه : إنما ابتداء الله خلق عيسى ابتداء ، وأنشأه إنشاء ، من غير فحل افتحل أمه ، ولكنه قال له ( كُن فَيَكُونُ ) لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها ، إنما يقول : إذا قضى خلق شيء أو إنشأه : كن فيكون موجودا حادثا ، لا يعظم عليه خلقه ، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ، ولا ينشئه بمعالجة وشدّة .

وقوله ( وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ) واختلف أهل العربية في وجه فتح « أن » إذا فتحت ، فقال

(١) البيت لعمرو بن أمية . (اللسان : عنق) قال : وأما قول ابن أمية :

فِي رَأْسِ خَلْتِكَ مِنْ عُنُقِكَ مَشْرُفَةٌ لَا يُبْتَغَىٰ دُوتَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبِيلٌ

فإنه يصف جبلا ، يقول : لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحسن منها . اه . قلت : والخلقاء : الصخرة المساء . والعنقاء : البعوضة في السماء . والمشرفة : العالية . ورواية الشطر الثاني في الأصل « ما ينبغي دوتها سهل ولا جبل »

بعض نحوِّي الكوفة : فُتحت ردّا على عيسى وعطفا عليه ، بمعنى : ذلك عيسى ابن مریم ، وذلك أن الله ربي وربكم . وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا ، وتكون بتأويل خفض ، كما قال ( ذَلِكَ أَنْ كَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مَهْلِك الْقُرَى بِظُلْمٍ ) قال : ولو فتحت على قوله ( وَأَوْصَانِي ) بأن الله ، كان وجها ، وكان بعض البصريين يقول : وذكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل ( وَقَضَى ) أن الله ربي وربكم . وكانت عامة قراء الكوفيين يقرءونه ( وَإِنَّ اللَّهَ ) بكسر إن بمعنى النسق على قوله ( فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ) وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه ( فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) ، إنَّ الله رَبِّي وَرَبُّكُمْ ) بغير واو .

قال أبو جعفر : والقراءة التي نختار في ذلك : الكسر على الابتداء . وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع ، وقد يجوز أن يكون عطفا على « إن » التي مع قوله ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ - وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ) ولو قال قائل ، ممن قرأ ذلك نصبا : نصب على العطف على الكتاب ، بمعنى : آتاني الكتاب ، وآتاني أن الله ربي وربكم ، كان وجها حسنا . ومعنى الكلام : وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عسدا ، فإياه فاعبدوا دون غيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ، قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ( أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعبدوه ) ، هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) أي إني وإياكم عبيد الله ، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره .  
وقوله ( هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) يقول : هذا الذي أوصيتكم به ، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم ، الذي من سلكه نجا ، ومن ركبته اهتدى ، لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : فاختلف المختلفون في عيسى ، فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فاختلف الأحزاب من بينهم ) قال : أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاختلف الأحزاب من بينهم ) ذكر لنا أنه لما رفع ابن مریم ، انتخب بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم ، فقالوا للأول : ماتقول

في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت يعقوبية من النصارى؛ وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى؛ وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه، فاختم القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فخصمهم المسلم؛ قال: فاقتتل القوم. قال: فذكر لنا أن يعقوبية ظهرت يومئذ، وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن (إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقيسط من الناس، فبشرهم بوعذاب أليم).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فاختلَفَ الأحزابُ منَ بيئِهِمْ) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا. وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول: فوادى جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه، وذلك يوم القيامة.

وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) شهدوا هولاء إذا عظيما.

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا نَاسِكِينَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به، الجاعلين له أندادا، والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عميا عن إبصار الحق، والنظر إلى حجج الله التي تدل على وحدانيته، صما عن سماع آي كتابه، وما دعيتهم إليه رسل الله فيها، من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدمهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ) قال : أَسْمِعْ قَوْمٍ وَأَبْصِرْهُمْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا ) يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال ( أَسْمِعْ ) بحديثهم اليوم ( وَأَبْصِرْ ) كيف يصنع بهم ( يَوْمَ يَأْتُوتُنَا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا ) قال : هذا يوم القيامة ، فأما الدنيا فلا ، كانت على أبصارهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر في الدنيا ؛ فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا ، وقرأ ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ) .

وقوله ( لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يقول تعالى ذكره : لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته ، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا ، في ضلال مبين : يقول : في ذهاب عن سبيل الحق ، وأخذ على غير استقامة ، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى ، لمن تأمله وفكر فيه ، فهدي لرشده .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۳۹)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم ، على ما فرطوا في جنب الله ، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له ، وادخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار ، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم ، والحياة التي لاموت بعدها ، فيالها حسرة وندامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها ، قال : ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة ، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة ، فتأخذهم الحسرة ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، فيقال : " لولا أن منّ الله عليكم . "

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَتَبَتْ »

أَمْلَحُ ، قال : فَيَقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرِيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، فَيَقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرِيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ ، قال : فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) وأشار بيده في الدنيا .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : « يُنَادَى يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرِيْبُونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرِيْبُونَ فَيَنْظُرُونَ ، فَيَقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ ؟ قال : فَيَقُولُونَ : لا . قال : فَيَسْجَأُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيَقَالُ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيَذْبَحُ ، قال : ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : يصور الله الموت في صورة كبش أملح ، فيذبح ، قال : فيبأس أهل النار من الموت ، فلا يرجونه ، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار ، وفيها أيضا الفرع الأكبر ، ويأمن أهل الجنة الموت ، فلا يخشونه ، وأمنوا الموت ، وهو الفرع الأكبر ، لأنهم يخلدون في الجنة . قال ابن جريج : يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون ، فذلك قوله ( إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) قال : ذبح الموت ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول : يؤتى بالموت كأنه دابة ، فيذبح والناس ينظرون .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : يوم القيامة ، وقرأ ( أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) من أسماء يوم القيامة . عظّمه الله ، وحذّره عباده . وقوله ( إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) يقول : إذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ، ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها ، بذبح الموت . وقوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ) يقول : وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم ، من تخليده إياهم في جهنم ، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ( وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ، ومجازاة الله إياهم على سبب أعمالهم ، بما أخبر أنه مجازيهم به .

القول فی تأویل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يجزئك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق ، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم ، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس ، بفنائهم منها ، وبقائها لامالك لها غيرنا ، ثم علينا جزء كل عامل منهم بعمله ، عند مرجعه إلينا ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبىه : ( وَأَذْكُرْ ) يا محمد فى كتاب الله ( إِبْرَاهِيمَ ) خليل الرحمن ، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه ، ( إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ) يقول : كان من أهل الصدق فى حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب ، والصديق هو الفعيل من الصدق .

وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ( نَبِيًّا ) يقول : كان الله قد نبأه وأوحى إليه . وقوله ( إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ) يقول : اذكره حين قال لأبيه ( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ) يقول : ما تصنع بعبادة الوثن الذى لا يسمع ( وَلَا يُبْصِرُ ) شيئاً ( وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ) يقول : ولا يدفع عنك ضرر شيء ، إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع . يقول : ما تصنع بعبادة ما هذه صفتها ؟ اعبد الذى إذا دعوته سمع دعائك ، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك ، وإذا نزل بك ضرر دفع عنك .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول الهاء فى قوله ( يَا أَبَتِ ) فكان بعض نحوى أهل البصرة يقول : إذا وقفت عليها قلت : يا أبة ، وهى هاء زيدت نحو قولك : يا أمه ، ثم يقال : يا أم إذا وصل ، ولكنه لما كان الأب على حرفين ، كان كأنه قد أُخِيلَ به ، فصارت الهاء لازمة ، وصارت الياء كأنها بعدها ، فلذلك قالوا : يا أبة أقبل ، وجعل التاء للتأنيث ، ويجوز الترخيم من يا أب أقبل ، لأنه يجوز أن تدعو ماتضيفه إلى نفسك فى المعنى مضموما ، نحو قول العرب : يا رب اغفر لى ، وتقف فى القرآن : يا أبة فى الكتاب . وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء . وقال بعض نحوى الكوفة : الهاء مع أبة وأمة هاء وقف ، كثرت فى كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث ، وأدخلوا عليها الإضافة ، فمن طلب الإضافة ، فهى بالتاء لاغير ، لأنك تطلب بعدها الياء ، ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء . كقولك : يا أبت لاغير ، ومن قال : يا أبة ، فهو الذى يقف بالهاء ، لأنه لا يطلب بعدها ياء ، ومن قال : يا أبنا ، فإنه يقف عليها بالتاء ، ويجوز بالهاء ، فأما

بالتاء ، فلطلب ألف الندبة ، فصارت الهاء تاء لذلك ، والوقف بالهاء بعيد ، إلا فيمن قال : « يا أميمة ناصب » فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم ، وكان هذا طرف الاسم ، قال : وهذا بعيد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسَاءَ بَاتٍ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه : يا أبت إنني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتكَ فاتبعني : يقول : فاقبل مني نصيحتي (أهدك صراطاً سويّاً) يقول : أبصرك هدى الطريق المستوى الذي لا تضل فيه إن لزمته ، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسَاءَ بَاتٍ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصياً ، والعصى هو ذو العصيان ، كما العليم ذو العلم . وقد قال قوم من أهل العربية : العصى : هو العاصي ، والعليم هو العالم ، والعريف هو العارف ، واستشهدوا لقولهم ذلك ، بقول طريف بن تميم العنبري .

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ<sup>٢</sup>

وقالوا : قال عريفهم وهو يريد : عارفهم ، والله أعلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسَاءَ بَاتٍ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)

يقول : يا أبت إنني أعلم أنك إن مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله (فتكون للشيطان ولياً) يقول : تكون له ولياً دون الله ، ويتبرأ الله منك ، فتهلك ، والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم ، كما الخشية بمعنى العلم . في قوله (فخشينا أن يرهبهنا طغيانا وكفراً) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ إِلَهِي يَسَاءَ بُرْهِيمٌ ، لَئِن لَّمْ تَدْنِهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم لإبراهيم ، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان ، والبراءة من الأوثان والأصنام : (أرأغب أنت) يا إبراهيم عن عبادة آلهي ؟ (لئن لم تَدْنِهِ) أنت (لم تَدْنِهِ) عن ذكرها بسوء (لأرجمَنَّكَ) يقول : لأرجمك بالكلام ، وذلك السب ، والقول القبيح .

(١) هذا جزء من بيت للنايفة (سبق الاستشهاد به في ١٤ : ٢١) وهو :

كَلِيلِي لِي يَسَاءَ بَاتٍ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ

(٢) البيت في (اللسان : عرف) ونسبه إلى طريف بن مالك العنبري ، وقيل طريف بن عمرو . قال : والعريف والعارف بمعنى ، مثل عليم وعالم . قال سيبويه : هو فعيل بمعنى فاعل ، كقولهم ضرب قدام . والجمع عرفاء .



وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال : أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك ) بالشيمة والقول .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله ( لئن لم تنته لأرجمنك ) قال : بالقول : لأشتمك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لأرجمنك ) يعني : رجم القول .

وأما قوله ( وأهجرني ملكياً ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأهجرني حيناً طويلاً ودهراً . ووجهها معنى الملى إلى الملاءة من الزمان ، وهو الطويل منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله ( وأهجرني ملكياً ) قال : دهرًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ملكياً ) قال : حيناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( وأهجرني ملكياً ) قال طويلاً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله :

( وأهجرني ملكياً ) قال : زماناً طويلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وأهجرني ملكياً ) يقول : دهرًا ، والدهر : الملى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر

( وأهجرني ملكياً ) قال دهرًا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وأهجرني ملكياً ) قال : أبداً .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأهجرني سويًا سالماً من عقوبتي إياك ، ووجهها معنى الملى إلى قول

الناس : فلان ملى بهذا الأمر : إذا كان مضطرباً به غنياً فيه . وكأن معنى الكلام كان عندهم : وأهجرني

وعرضك وافر من عقوبتي ، وجسمك معافي من أذى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن

أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وأهجرني سويًا ) يقول : اجتنبتني سويًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ) قال : اجتنبني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ) قال : سالما .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، عن عطية الجذلي ( وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ) قال : سالما .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ) : اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرفة .  
قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال : معنى ذلك : واهجرني سويا ، سلبا من عقوبتي ، لأنه عقيب قوله ( لَسِنٌ كَمْ تَنَمَّتْهُ لِأَرْجُمَنَّكَ ) وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آفته بالسوء أن يبرجه بالقول السيئ ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَادْعُوا رَبِّي، عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة : سلام عليك يا أبت ، يقول : أمنة مني لك أن أعودك فيها كرهت ، ولدعائك إلى ما توعدتني عليه بالعقوبة ، ولكني ( سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ) يقول : ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) يقول : إن ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته ، يقال منه : تحنى بي فلان . وقد بينت ذلك بشواهد فيها مضي ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) يقول : لطيفا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) قال : إنه كان بي لطيفا ، فإن الحفي : اللطيف .  
وقوله ( وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : وأجتنبكم وما تدعون من دون الله

من الأوثان والأصنام ( وأدْعُو رَبِّي ) يقول : وأدعو ربي ، بإخلاص العبادة له ، وإفراده بالربوبية ( عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا ) يقول : عسى أن لأشقى بدعاء ربي ، ولكن يجيب دعائي ، ويعطيني ما أسأله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، وَكَلَّلْنَا بِنِيبَا (٤٩)  
وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آتسنا وحشته من فراقهم ، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم ، فوهبنا له ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ( وكَلَّلْنَا بِنِيبَا ) يقول : وجعلناهم كلهم ، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء ، وقال تعالى ذكره ( وكَلَّلْنَا بِنِيبَا ) فوحده ، ولم يقل أنبياء ، لتوحيد لفظ كل ( وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ) يقول جل ثناؤه : ورزقنا جميعهم ، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا ، وكان الذي وهب لهم من رحمة ، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه ، وأغناهم بفضله .

وقوله ( وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ) يقول تعالى ذكره : ورزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل من الناس .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ) يقول : الثناء الحسن ، وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم ، والعرب تقول : قد جاءني لسان فلان ، تعني ثناءه أو ذمه ، ومنه قول عامر بن الحارث .

إِنِّي أَتَيْتَنِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَدُوٍّ لِعَجَبٍ مِنْهَا وَلَا سَخْرًا  
ويروى : لا كذب فيها ولا سخر .

جاءت مُرْجَمَةً قَدْ كُنْتُ أَحَدَرُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي الْإِشْفَاقُ وَالْحَدَرُ  
مرجمة : يظن بها .

(١) البيت لأعشى باهله واسمه عامر ابن الحارث (جوهرة أشعار العرب ص ١٣٥) وهي إحدى المراثي الجياد . وفي (اللسان: لسن) اللسان : جارية الكلام ، وقد يكتفى بها عن الكلمة ، فيؤنث حينئذ . قال أعشى باهله : «إني أتيت لسان . . . البيت » . قال ابن بري اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام . ثم قال : قال النحوي : اللسان في الكلام يذكر ويؤنث ، يقال إن لسان الناس عليك حسنة وحسن ، أي ثناؤهم . اهـ . واللسان : الثناء ، وقوله عز وجل : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين » : معناه : اجعل لي ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر . اهـ . وفي (تاج العروس : علا) : وأما قول أعشى باهله «من علو » فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها ، أي أتاني خبر من أعلى نجد . اهـ . وفي جوهرة أشعار العرب : السخر : الاستبزاء . اهـ . وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يعي بمعنى الثناء ، مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة .

(٢) هذا البيت لأعشى باهله أيضا ، وهو بعد البيت السابق عليه في القصيدة نفسها ، كافي (جوهرة أشعار العرب ص ١٣٦) . ومعنى =

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرُ فِي السُّكُتِ مُوسَىٰ ، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ، وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى ابن عمران ، واقصص على قومك أنه كان مخلصا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إنه كان مخلصا) بكسر اللام من المخلص ، بمعنى : إنه كان يخلص لله العبادة ، ويفرده بالألوهة ، من غير أن يجعل له فيها شريكا ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم (إنه كان مخلصا) بفتح اللام من مخلص ، بمعنى : إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته ، وجعله نبيا مرسلا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا لعبادة الله ، مخلصا للرسالة والنبوة ، فبأيهما قرأ القارى فمصيب الصواب .

(وكان رسولا) يقول : وكان لله رسولا إلى قومه بني إسرائيل ، ومن أرسله إليه نبيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ

نَبِيًّا (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وناديناه من ناحية الجبل ، ويعنى بالأيمن : يمين موسى ، لأن الجبل ليمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ) قال : جانب الجبل الأيمن . وقد بيننا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ، ودلنا على الصواب من القول فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وأدنيه منا نجيا ، كما يقال : فلان نديم فلان ومنادمه ، وجليس فلان ومجالسه ، وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه ، حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : أَدْنَيْ حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ .

= مرحة : أى منظونة ، لأبوقف على حقيقتها . ويقال : كلام مرجم : عن غير يقين . ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذه الفاجعة التي نزلت بهم ، فهم بين مصدق ومكذب .

حدثنا محمد بن منصور الطُّوسِيّ ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجیح ، قال : أراه عن مجاهد ، في قوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : بين السماء الرابعة ، أو قال : السابعة ، وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمة ؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، وسمع اَصْرِيْفَ الْقَلَمِ ( قال رَبِّ ارِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ) .  
حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : قرّبه منه حتى سمع صريف القلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : أَدُنِّي حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ فِي اللُّوْحِ ، وقال شعبة : أردفه جبرائيل عليه السلام .  
وقال قتادة في ذلك ، ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : نجا بصدقه .  
وقوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ ) يقول : ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ( نَبِيًّا ) يقول : أَيْدَنَاهُ بِنُبُوَّتِهِ ، وَأَعْتَاهُ بِهَا .  
كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب له نبوته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في هذا الكتاب إسماعيل بن إبراهيم ، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده ، ولا يخلف ، ولكنه كان إذا وعد ربه ، أو عبدا من عباده وعدا وفي به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ) قال لم يعِدْ ربه عِدَّةً إِلَّا أَنْجَزَهَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل ، حدثته أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظل به إسماعيل ، وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا ؟ قال : لا ، قال : إني نسيت ، قال : لم أكن لأبرح حتى تأتي ، فبذلك كان صادقا .

(١) عبارة الدر المنثور للسيوطي : حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع . . . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)

يقول تعالى ذكره ( وكان يأمر أهله بـ ) إقامة ( الصلاة ) و إيتاء ( الزكاة ) وكان عند ربه مَرْضِيًّا ( عمله ، محمودا فيما كلفه ربه ، غير مقصر في طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس ( إنه كان صديقا ) لا يقول الكذب ، ( نبيا ) نوحى إليه من أمرنا ما نشاء ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) ذكر أن الله رفعه وهو حى إلى السماء الرابعة ، فذلك معنى قوله ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) يعنى به إلى مكان ذى علو وارتفاع . وقال بعضهم : رُفِعَ إلى السماء السادسة . وقال آخرون : الرابعة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر ، فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال كعب : أما إدريس ، فإن الله أوحى إليه : إنى رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم ، فأحب أن تزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إن الله أوحى إلى كذا وكذا ، فكلمنى ملك الموت ، فليؤخرنى حتى أزداد عملا ، فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ؛ فلما كان فى السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا ، فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هوذا على ظهري ، قال ملك الموت ، فالعجب بعثت أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : إدريس رُفِعَ فلم يمِت ، كما رُفِعَ عيسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ولم يمِت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : رفع إلى السماء السادسة ، فمات فيها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) إدريس ، أدركه الموت في السماء السادسة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : السماء الرابعة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : في السماء الرابعة .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحى ، عن أبي هريرة أو غيره ، « شك أبو جعفر الرازى » قال : « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل إلى السماء الرابعة ، فاستفتح فقبل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قالوا : ومن معه ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المحييء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال : هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : حدثنا أنس بن مالك « أن نبي الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على إدريس في السماء الرابعة » .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ، وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ،  
وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ، وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ  
خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبىه صلى الله عليه وسلم : هؤلاء الذين اقتضت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد ، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه ، فهداهم لطريق الرشده من الأنبياء من ذرية آدم ، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك ، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن ، ومن ذرية إسرائيل ، ومن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته . واجتبتنا : يقول : ومن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا ، فالذى عنى به من ذرية آدم إدريس ، والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم ، والذى عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسمايل ، والذى عنى به من ذرية إسرائيل : موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مریم ، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم ، وإن كان يجمع جميعهم آدم ، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، وإدريس جد نوح .

وقوله تعالى ذكره ( إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ ) يقول : إذا تلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه ، ( خَرُّوا ) لله ( سُجَّدًا ) ، استكانة له وتذللا وخضوعا

لأمره وانتقاداً (وَبُكِيًّا) : يقول : خَرَوْا سَجْدًا وَهُمْ بَاكُونَ ، وَالْبُكِيَّةُ : جمع باك ، كما العَيْتِيُّ جمع عات ، وَالجُئِيُّ : جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فعول ، كما يجمع القاعد قعودا ، والجالس جلوسا ، وكان القياس أن يكون : وَبُكْرًا وَعُتْوًا ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة ، فقلبت ياء ، كما قيل في جمع دلو أدل . وفي جمع البهو أبه ، وأصل ذلك أَفْعُلُ : أدلُّو وأبهُّو ، فقلبت الواو ياء لحيثها بعد الضمة استثقالا ، وفي ذلك لنتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحد علماء من القراء بالقرآن بُكِيًا وَعُتْوًا بِالضَّمِّ ، وَبُكِيًا وَعُتْيًا بِالكَسْرِ . وقد يجوز أن يكون البُكِيَّةُ هو البكاء بعينه .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم ، فسجد وقال : هذا السجود ، فأين البُكِيَّةُ ، يريد : فأين البكاء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

يقول تعالى ذكره : فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم ، ووصفت صفتهم في هذه السورة ، خَلَفَ سَوْءٌ خَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، أَضَاعُوا الصَّلَاةَ . ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة ، فقال بعضهم : كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها ، وتضييعهم أوقاتها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعد الكندي ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ) قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركها كان كفرا .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي ، قال : ثنا الفريابي ، عن الأوزاعي ، عن القاسم بن مخيمرة ، نحوه . حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : أضاعوا المواقيت ، ولو تركوها لصاروا بتركها كفرا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن القاسم ، نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن الأوزاعي ، عن إبراهيم بن يزيد ، أن عمر ابن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين ، فخرج إلى حرسه ، وقد كان تقدم إليهم أن لا ية وموا إذا رأوه ، قال : فأوسعوا له ، فجلس بينهم فقال : أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا : كلنا نعرفه ، قال : فليقم أحدكم سنا ، فليدعه ، فأناه الرسول فقال : لاتعجلني أشد علي ثيابي ، فأناه فقال : إن اليرم الجمعة ، فلا تبرحن حتى تصلي ، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين ، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك مصليها لا محالة ، ثم قرأ ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ



أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَرَفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) ثم قال : لم يكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، والحسن بن مسعود ، عن ابن مسعود ، أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - وَعَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُزْنَ - وَعَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) فقال ابن مسعود رضي الله عنه على موابيها ، قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذلك الكفر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عمر أبو حفص الأبار ، عن منصور بن المعتمر ، قال : قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس ، فيكتب من الغافلين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن .

وقال آخرون : بل كانت إضاعتهموها : تركها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القُرطبي ، أنه قال في هذه الآية ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ) يقول : تركوا الصلاة .  
قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك عندى بتأويل الآية ، قول من قال : إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك ، وذلك قوله جل ثناؤه ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ) فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن ، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ، ولا يؤدّون له فريضة ، فسقوا قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، وقد قيل : إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة ، قال محمد بن عمرو : زنا . وقال الحارث : زناة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، وقال : زنا كما قال ابن عمرو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ) . . . الآية ، قال : هم أمة محمد .  
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا شريك ، عن أبي تميم بن مهاجر في قول الله : ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ) قال : هم في هذه الأمة يترابون تراكب الأنعام والحمر في الطرق ، لا يخافون الله في السماء ، ولا يستحيون الناس في الأرض .

وأما قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) فإنه يعنى أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا ، وهو اسم واد من أودية جهنم ، أو اسم بر من آبارها .  
 كما حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد بن رزان ، قال : ثنا شرفي بن قطامي ، عن لقمان بن عامر الخزاعي ، قال : جئت أبا أمامة صدق بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ زَنْةَ عَشْرِ أَوْاقٍ قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيفًا ، ثُمَّ تَنْتَهِي إِلَى غَيٍّ وَأَنَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ وَمَا غَيٌّ وَمَا أَنَامٌ ؟ قَالَ : بَيْتْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ ، يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وَهُمَا اللَّتَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) ، وقوله في الفرقان ( وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) »  
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : واديا في جهنم .  
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : واديا في النار .  
 حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : نهر في جهنم ، خبيث الطعم ، بعيد القعر .  
 حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغي : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغي : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : نهر في النار ، يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات .

وقال آخرون : بل عنى بالغي في هذا الموضع : الخسران .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) يقول : خسرانا .

(١) ذكر صاحب تاج العروس : الحافظ أبا بكر : محمد بن علي بن عاصم بن رازان ، مسند أصهبان المعروف بابن المقرئ ، بألف بعد الراء ، فلعل « رزان » هنا محرف عن « رازان » .

وقال آخرون : بل عنى به الشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغي : الشر ؛ ومنه قول الشاعر :  
 فَنَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَمَّا  
 قال أبو جعفر : وكلُّ هذه الأقوال متقاربات المعاني ، وذلك أن من ورد البئرین اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم ، فدخل ذلك ، فقد لاقى خسراناً وشرّاً ، حسبه به شرّاً .

القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا ، (إلا) الذين تابوا فراجعوا أمر الله ، والإيمان به وبرسوله (وعمل صالحاً) يقول : وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه ، وأدى فرائضه ، واجتنب محارمه ( فأولئك يدخلون الجنة ) يقول : فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة ، دون من هلك منهم على كفره ، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات . وقوله ( ولا يُظلمون شيئاً ) يقول : ولا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئاً ، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالتهم ، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم ، ولكنهم يُدخَلون مُدْخَلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١)

يقول تعالى ذكره : فأولئك يدخلون الجنة ( جنات عدن ) . وقوله ( جنات عدن ) نصب ترجمة عن الجنة . ويعنى بقوله ( جنات عدن ) : بساتين إقامة . وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله ( التي وعد الرحمن عبادَهُ بِالْغَيْبِ ) يقول : هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب ، لأنهم لم يبرروها ولم يعاينوها ، فهي غيب لهم . وقوله ( إنه كان وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ) يقول تعالى ذكره : إن الله كان وعده ، ووعدته في هذا الموضع موعوده ، وهو الجنة مأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله . وقال بعض نحوِّي الكوفة : خرج الخبر على أن الوعد هو المأتى ، ومعناه : أنه هو الذي يأتي ، ولم يقل : وكان وعده آتياً ، لأن كل ما أتاك فأنت تأتية ،

(١) البيت للمرقش الأصغر : ربعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو ابن أخي المرقش الأكبر ، وعم طرفة بن العبد ( المفضليات طبع القاهرة ص ١١٨ ) . وفي (اللسان : غوى) قال : الغى : الضلال والخبية . غوى ( بالفتح ) غيا ، وغوى ( بالكسر ) غواية . الأنخيرة عن أبي عبيد : ضل . ورجل غاو ، وغو ، وغوى ، وغيان : ضال . وأغواه هو . وأشد للمرقش : « فن يلقى . . . البيت . . . » .

وقال : ألا ترى أنك تقول : أتيتُ على خمسين سنة ، وأنتُ على خمسون سنة ، وكل ذلك صواب . وقد بينت القول فيه ، والهاء في قوله ( إنَّهُ ) من ذكر الرحمن .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ، وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)

يقول تعالى ذكره : لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا ، وهو الهمز والباطل من القول والكلام ، إلا سلاما ، وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومعناه : ولكن يسمعون سلاما ، وهو تحية الملائكة لإياهم . وقوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) يقول : ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب ، في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا ، وإنما يعنى أن الذى بين غداهم وعشايمهم في الجنة ، قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه ، وكذلك ما بين العشاء والغداء ، وذلك لأنه لايل في الجنة ولا نهار ، وذلك كقوله ( خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ - وَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) يعنى به : من أيام الدنيا .

كما حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت زهير بن محمد ، عن قول الله : ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبدا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب ، وفتح الأبواب .

حدثنا علي ، قال : ثنا الوليد ، عن خليل ، عن الحسن ، وذكر أبواب الجنة ، فقال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، فَتَنَكَّرْتُمْ وَتُكِّنَّاكُمْ ، فهمهم : انفتحتى انغلتى ، فتفعل . حدثني ابن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا عامر بن يساف ، عن يحيى ، قال : كانت العرب في زمانهم : من وجد منهم عشاء وغداء ، فذلك الناعم في أنفسهم ، فأنزل الله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) : قدر ما بين غداكم في الدنيا إلى عشائكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عَجِبَ له ، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا ، قدر ذلك الغداء والعشاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ليس بكرة ولا عشي ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) فيها ساعتان بكرة وعشي ، فإن ذلك لهم ، ليس ثم ليل ، إنما هو ضوء ونور .

القول فی تأویل قول تعالیٰ

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)

يقول تعالیٰ ذكره : هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها ، هي الجنة التي نورثها ، يقول : نورث مساكن أهل النار ( فيها من عبادنا من كان تقيًّا ) يقول : من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

القول فی تأویل قول تعالیٰ

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ

نَسِيًّا (٦٤)

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي ، وقد ذكرت بعض الرواية ، ونذكر إن شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا عبد الله بن أبان العجلي ، وقبيصة ووكيع ، وحدثنا سفیان بن وكيع قال : ثنا أبي جميعا ، عن عمر بن ذر ، قال : سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن محمدا قال لجبرائيل : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا » فنزلت هذه الآية ( وما ننزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيًّا ) قال : هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن ذر ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) . . . إلى ( وما كان ربك نسيًّا ) قال : احتبس جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن ، فاتاه جبرائيل فقال : يا محمد ( وما ننزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ) ، وما كان ربك نسيًّا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : « لبث جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكأن النبي استبطأه ، فلما أتاه قال له جبرائيل ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) . . . الآية » .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ) قال : « هذا قول جبرائيل . احتبس جبرائيل في بعض الوحي ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « مَا جِئْتُ حَتَّى اسْتَقَمْتُ إِلَيْكَ ، فقال له جبرائيل : ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ) » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) قال : قول الملائكة حين استراهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كالتي في الضحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : « لبث جبرائيل عن محمد اثني عشرة ليلة ، ويقولون : قُبِلِي ، فلما جاءه قال : أَمَى جِبْرَائِيلُ ، لَقَدْ رِثْتُ عَلَيَّ حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنٍّ . فنزلت ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ) » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) « احتبس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تكلم المشركون في ذلك ، واشتد ذلك على نبي الله ، فأتاه جبرائيل ، فقال : اشتد عليك احتباسنا عنك ، وتكلم في ذلك المشركون ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، إذا أمرني بأمر أطيعه ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) يقول : بقول ربك » .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) فقال بعضهم : يعني بقوله ( مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) من الدنيا ، وبقوله ( وَمَا خَلْفَنَا ) الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) النفتين .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) يعني الدنيا ( وَمَا خَلْفَنَا ) الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) النفتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال ( مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) من الدنيا ( وَمَا خَلْفَنَا ) من أمر الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين النفتين . وقال آخرون : ( مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) الدنيا ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين الدنيا والآخرة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( بَيْنَ أَيْدِينَا ) الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) من أمر الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) من أمر الدنيا ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين الدنيا والآخرة ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ) .

حدثنا الحسن بن یحیی ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( له ما بین  
 أيدينا ) من الآخرة ( وما خلقتنا ) من الدنيا ( وما بین ذلك ) ما بین النفتين .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
 ( ما بین أيدينا ) من الآخرة ( وما خلقتنا ) من الدنيا .  
 وقال آخرون في ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( ما بین  
 أيدينا ) قال : ما مضى أمامنا من الدنيا ( وما خلقتنا ) ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة ( وما بین ذلك )  
 قال : ما بین ما مضى أمامهم ، وبين ما يكون بعدهم .  
 وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك ( له ما بین أيدينا ) قبل أن نخلق ( وما خلقتنا )  
 بعد الفناء ( وما بین ذلك ) حين كنا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : له ما بین أيدينا من أمر  
 الآخرة ، لأن ذلك لم يجيء وهو جاء ، فهو بين أيديهم ، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا هذا الأمر  
 بين يديك ، أنهم يعنون به ما لم يجيء وأنه جاء ، فلذلك قلنا : ذلك أولى بالصواب : وما خلقتنا من أمر  
 الدنيا ، وذلك ما قد خلفوه فمضى ، فصار خلفهم بتخليفهم إياه ، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء  
 وخلفه هو خلفه ، ووراءه وما بين ذلك : ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ، لأن ذلك هو الذي  
 بين ذينك الوقتين .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على  
 الأغلب من معانيه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له . فتأويل الكلام إذن : فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا  
 عنك ، فإننا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها ، لله ما هو حادث من أمور الآخرة  
 التي لم تأت وهي آتية ، وما قد مضى فخلقناه من أمر الدنيا ، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة ، بيده ذلك  
 كله ، وهو مالكة ومصرفه ، لا يملك ذلك غيره ، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به .  
 ( وما كان ربك نسيًّا ) يقول : ولم يكن ربك ذا نسيان ، فيتأخر نزول إليك بنسيانه إليك ، بل هو الذي  
 لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض ، تبارك وتعالى ، ولكنه أعلم بما يدبر ويقضى في خلقه جل ثناؤه .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وما كان ربك  
 نسيًّا ) قال : ما نسيك ربك .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا؟ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : لم يكن ربك يا محمد ربّ السموات والأرض وما بينهما نسيا ، لأنه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ، ولهلك لولا حفظه إياه ، فالربّ مرفوع ردّاً على قوله ( رَبُّكَ ) . وقوله ( فاعْبُدْهُ ) يقول : فالزم طاعته ، وذلّ لأمره ونهيه . ( وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ) يقول : واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده ، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه ؟ كلاً ، ما ذلك بوجوده .  
وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) يقول : هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهاً .  
حدثني سعيد بن عثمان التميمي ، قال : ثنا إبراهيم بن مهديّ ، عن عباد بن عوام ، عن شعبة ، عن الحسن بن عمار ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : شبيهاً .  
حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مجاهد في هذه الآية ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : هل تعلم له شبيهاً ، هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) لاسمى لله ولا عدل له ، كلّ خلقه يقرّ له ويعترف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية ( وَلَسِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : يقول : لا شريك له ولا مثل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ

مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : ( وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ) الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حياً ، فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء ، إنكاراً منه ذلك . يقول الله تعالى ذكره ( أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ ) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه ، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه ، أن الله خلقه من قبل مماته ، فأنشأه بشراً سويّاً من غير شيء ، ( وَلَمْ يَكُ ) من قبل إنشائه إياه ( شَيْئًا ) ، فيعتبر بذلك ، ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته ، وإيجاده بعد فنائه .



وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله (أولاً يذكُرُ الإنسانُ) فقرأه بعض قرّاء المدينة والكوفة : (أولاً يذكُرُ) بتخفيف الذال ، وقد قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة والحجاز (أولاً يذكُرُ) بتشديد الذال والكاف ، بمعنى : أولاً يتذكر ، والتشديد أعجب إلى ، وإن كانت الأخرى جائزة ، لأن معنى ذلك : أو لا يتفكر فيعتبر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَوَرَبِّكَ) يا محمد لنحشرنّ هؤلاء القائلين : أنذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم ، مُقَرَّبِينَ بأولياهم من الشياطين (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) والجيثي : جمع الجاثي .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) يعني : القعود ، وهو مثل قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثيةٍ)

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْبًا (٦٩)

يقول تعالى ذكره ، ثم لناخذنّ من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوا وتمردا ، فلنبدأنّ بهم . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن الأقرم ، عن أبي الأحوص (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْبًا) قال : نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْبًا) يقول : أيهم أشدّ للرحمن معصية ، وهي معصيته في الشرك .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْبًا) يقول : عيصيا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) قال : أمة . وقوله (عِتْبًا) قال : كفرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه ابن جريج : فلنبدأ بهم .

قال أبو جعفر : والشيعه هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور ، يقال من ذلك : تشايح القوم : إذا تعاونوا ؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع : إنه لمشيح : أى معان ؛ فغنى الكلام : ثم لنزيع عن كل جماعة تشايحت على الكفر بالله ، أشدهم على الله عتوا ، فلنبدأ بإصلاته جهنم ، والتشايح فى غير هذا الموضع : التفرق ؛ ومنه قول الله عز ذكره ( وكانوا شيعا ) يعنى : فرقا ؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد : إني أكره أن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : شيعت بين أمتي ، بمعنى : فرقت .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)

يقول تعالى ذكره ( ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ ) من هؤلاء الذين نزرعهم من كل شيعه أولاهم بشدة العذاب ، وأحقهم بعظيم العقوبة .

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ) قال : أولى بالخلود فى جهنم . قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، قول لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الذين ينزيعهم من كل شيعه من الكفرة ، أشدهم كفرا ، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا محلّد فى النار ، فلا وجه ، وجميعهم محلدون فى جهنم ، لأن يقال : ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المحلّدين ، ولكن المعنى فى ذلك ما ذكرنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صلييا . والصلي : مصدر صليت تصلى صلييا ، والصلي : فُعول ، ولكن واوها انقلبت ياء ، فأدغمت فى الياء التى بعدها ، التى هى لام الفعل ، فصارت ياء مشددة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)

يقول تعالى ذكره : ( وَإِنْ مِنْكُمْ ) أيها الناس ( إِلَّا وَارِدُهَا ) جهنم ( كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ) يا محمد لإيرادهموها قضاء ( مَقْضِيًّا ) ، قد قضى ذلك وأوجبه فى أم الكتاب .

واختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الدخول : ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ، قال : أخبرني من سبغ ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول ، وقال نافع لا ، فقرأ

ابن عباس ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) أو ررد هو أم لا ؟ وقال ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَيُبَيِّنُ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ ) أو ررد هو أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك ، قال : فضحك نافع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : قال أبو راشد الخروزي : ذكروا هذا فقال : الخروزي لا يسمعون حسيها ، قال ابن عباس : ويملك أمجنون أنت ؟ أين قوله تعالى ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَيُبَيِّنُ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ ) . ( وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) ، وقوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنة غانماً .

قال ابن جريج : يقول : الورود الذي ذكره الله في القرآن : الدخول ، ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد ( فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَحَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ؛ وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) ، وقوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) يعرف البر والفاجر ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَيُبَيِّنُ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ ) ، وقال ( وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) فسمى الورود في النار دخولا ، وليس بصادر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن بكار بن أبي مروان ، عن خالد بن معدان ، قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة . قال ابن عرفة ، قال مروان بن معاوية ، قال بكار بن أبي مروان ، أو قال : جامدة .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا مرحوم بن عبد العزيز ، قال : ثنى أبو عمران الجرجاني ، عن أبي خالد قال : تكون الأرض يوماً ناراً ، فإذا أعددت لها ؟ قال : فذلك قول الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي السليل ، عن غنيم بن قيس ، قال : ذكروا ورود النار ، فقال كعب : ' تَمْسِكُ النَّارُ لِلنَّاسِ كَأَنَّهَا مِثْنُ إِهَالَةٍ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَيْهَا أَقْدَامُ الْخَلَائِقِ بِرَّهْمٍ وَفَاجِرِهِمْ ، ثُمَّ يَنَادِيهَا مَنَادٌ : أَنْ أَمْسِكِي أَصْحَابَكَ ، وَدَعِي أَصْحَابِي ، قَالَ : فَيُخَسَّفُ بِكُلِّ وَلِيٍّ لَهَا ، وَلِهِيَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنَ الرَّجُلِ بَوْلَدِهِ ، وَيُخْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ نَدِيَّةَ أَبْدَانِهِمْ . قَالَ : وَقَالَ كَعْبٌ : مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْحَازِنِ مِنْ خَزْنِهَا مَسِيرَةَ سَنَةٍ ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَمُودٌ لَهُ شَعْبَتَانِ ، يَدْفَعُ بِهِ الدَّفْعَةَ ، فَيَصْرَعُ بِهِ فِي النَّارِ سَبْعَ مِئَةِ أَلْفٍ :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق ، قال : كان أبو ميسرة إذا أرى إلى فراشه ، قال : يا ليت أُمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل : وما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ قال : أخبرنا أنا واردةها ، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : بكى عبد الله بن رواحة في مرضه ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ، قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : ابن رواحة : إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبيرقان ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الحمداني ، عن ابن مسعود ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : داخلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : يدخلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ابن أبي حازم ، قال : كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته ، فبكي ، فبكت امرأته ، قال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) فلا أدري أنجو منها ، أم لا ؟ .  
وقال آخرون : بل هو المرء عليها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعني جهنم مرّ الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : هو المرء عليها .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : الصراط على جهنم مثل حدّ السيف فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم . ثم يمرّون والملائكة يقولون : اللهمّ سلم سلم .

وقال آخرون : بل الورود : هو الدخول ، ولكنه عن الكفار دون المؤمنين :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عبد الله بن السائب ، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعني الكفار ، قال : لا يردها مؤمن .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن الوليد الشَّيْبِيُّ ، قال : سمعت عكرمة يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعنى الكفار .  
وقال آخرون : بل الورود عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المؤمن المرور ، وورود الكافر الدخول :

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَحاطَ الْجِسْرُ بِمَاطَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، دَعَوْاهُمْ يَوْمَئِذٍ يَا اللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ » .  
وقال آخرون : ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : الحمى حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) .  
حدثني عمران بن بكار الكلاعى ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه ، ثم قال : إن الله يقول : هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن ، لتكون حظه من النار فى الآخرة .

وقال آخرون : يردُّها الجميع ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : يردُّونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم .  
حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا شعبة ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثني محمد بن عبيد الخاربي ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس أرايت قول الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ، كان على ربك حتما مقضيا ) قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسندها ، فانظر هل تصدر عنها أم لا ؟ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير « أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : نحن يوم القيامة على كوى أو كرى ، فوق الناس ، فتدعى الأمم

بأوثانها ، وما كانت تعبد الأول فالأول ، فينطلق بهم ويتبعونه ، قال : ويعطى كل إنسان منافق ومؤمن نورا ، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله ، فيبطنها نور المنافق ، وينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر ، وسبعون ألفا لاحساب عليهم ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك ثم ، تحل الشفاعة فيشفعون ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير ، ثم يلقون تلقاء الجنة ، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون نبات الشيء في السيل ، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن المبارك ، عن الحسن ، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك بأنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال : فقيم الضحك ؟ قال : فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر ابن سعيد : إن فلانا يقول : إن ورود النار القيام عليها . قال بسر : أما أبو هريرة فسمعتة يقول : « إذا كان يوم القيامة ، يجتمع الناس نادى مناد : ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون ، فيقوم هذا إلى الحجر ، وهذا إلى الفرس ، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله ، فيأتيهم الله ، فإذا رأوه قاموا إليه ، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط ، وفيه عليق ، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة ، فيمر الناس ، والنبيون يقولون : اللهم سلم سلم . قال بكير : فكان ابن عميرة يقول : فجاج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش ، ثم تاج » .  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوى فيها الكفار وورودهموها هو ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فجاج مسلم ومكسد فيها .

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة : « لا يدخُل النار أحدٌ شهيداً بدرّاً والحُدَيْبِيَّةَ ، قالت : فقالت حفصة : يا رسول الله ، أليس الله يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ لَآلَاءٌ وَآرِدُهَا ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَمَّ ( ثُمَّ نَسَجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ) » .

حدثنا الحسن بن مدرك ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن حفصة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ شَهِيداً بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، قالت : فقلت يا رسول الله ، أليس الله يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ لَآلَاءٌ وَآرِدُهَا ) ؟ قال : فَكَلِمٌ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ ( ثُمَّ نَسَجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) ؟ »

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبيد الله بن المغيرة ابن معيقب ، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتورى ، أحد بني ليث ، وكان في حجر أبي سعيد ، قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ إِيسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجِ مُسْلِمٌ وَمَجْرُوحٌ بِهِ ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبِسٌ وَمُكَدَّسٌ فِيهَا ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ تَفَقَّدَ الْمُؤْمِنُونَ رَجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَى رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا ، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا ، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا ، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا ، لَا تَرَاهُمْ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْشِ الْوُجُوهُ ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا ، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ ؛ قِيلَ : وَمَاءُ الْحَيَاةِ يَأْرَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ غَسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ ، ثُمَّ تَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا ، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا ، فَمَا يَسْتَرْكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث بن خالد ، عن يزيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤْتَى بِالْجَسْرِ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، قَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟ قَالَ : مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاظِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ كَمَا شَوْكَةُ عَقِيْقَاءُ تَكُونُ يَنْجِدُ ، يُقَالُ كَمَا السَّعْدَانُ ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَالْبَرْقِ وَالرَّبِيعِ ، وَكَأَجَادِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ، فَنَاجِ مُسْلِمٌ ، وَمُخْدُوشٌ مُسْلِمٌ ، وَمُكَدَّوسٌ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِي فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَّيْنُ لَكُمْ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِذَا رَأَوْهُمْ قَدْ تَجَمَّوْا وَبَقِيَ لِأَخْوَانِهِمْ » .

حدثني أحمد بن عيسى ، قال : ثنا سعيد بن كثير بن عفَيْر ، قال : ثنا ابن كَلَيْعَةَ ، عن أبي الزبير ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هُوَ الدُّخُولُ ، يَرُدُّونَ النَّارَ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ، فَأَخْرَجُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَزْحَفُ ، فَيَرْفَعُ اللَّهُ

لَهُ شَجَرَةٌ ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدُنْتِي مِنْهَا ، قَالَ : فَيَبْدُوْنِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : سَلْ ، قَالَ : فَيَسْأَلُ ، قَالَ : فَيَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أُضْعَفِيهِ أَوْ تَخَوُّهَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ تَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قَالَ : فَيَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُوَ كَهَوَاتِهِ وَأَضْرَأْسُهُ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب « ح » ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن زيد ، عن رشدين جميعا ، عن زياد بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعًا ، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ بِحَرَسٍ ، لَمْ يَرِ النَّارَ بَعَيْنِهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) . »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ تَمْسَسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » يعني : الورد .

وأما قوله ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم معناه : كان على ربك قضاء مقضيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حَتْمًا ) قال : قضاء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( حَتْمًا مَقْضِيًّا ) قال : قضاء . وقال آخرون : بل معناه : كان على ربك قسما واجبا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبير قان ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الحمداني ، عن ابن مسعود ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) قال : قسما واجبا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) يقول : قسما واجبا .

قال أبو جعفر : وقد بينت القول في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)



يقول تعالى ذكره: ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم إليها، الذين اتقوا فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه (وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) يقول جل ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربه، وخالفوا أمره ونهيه في النار. جثيا، يقول: بروكا على ركبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) قال: الجثي: شر الجلوس لا يجلس، الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغُ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا : أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا  
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا؟ (۷۳)

يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على الناس آياتنا التي أنزلناها على رسولنا محمد بينات، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده، قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته، وهم قريش، للذين آمنوا فصدقوا به، وهم أصحاب محمد (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا؟) يعنى بالمقام: موضع إقامتهم، وهي مساكنهم ومنازلهم (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم نَدَوْا: إذا جمعهم في مجلس، ويقال: هو في ندى قومه وفي ناديهم: بمعنى واحد، ومن الندى قول حاتم:

وَدُعِيتُ فِي أَوْلَى النَّسَدِيِّ وَكَمْ يُسْتَظَرُّ إِلَىٰ بَاعْسِينَ خَزْرًا

(۱) البيت لحاتم الطائي، من شعره في كتاب (شعراء التصانية: القسم الأول ص ۱۱۵) وفي (اللسان: ندى): والندي: الجالسة وناديته: جالسته، وتنادوا: تجالسوا في النادي، والندي: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندي. وقيل: الندي: مجلس القوم نهارا عن كراع. والنادي: كالندي. التهذيب: النادي المجلس، يندو إليه من حواله، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن ناديا، وهو الندي، والجمع الأندية. اهـ. والخزر: جمع خزر، وهو كما في (اللسان خزر): كسر العين بصرها خلقة. وقيل: هو ضيق العين وصغرها. وقيل هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين، ثم استشهد بيت حاتم، وقد استشهد المؤلف به، على أن معنى الندي: مجلس القوم.

وتأويل الكلام : وإذا تُلِّيَ عليهم آياتنا بيِّنات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا ، وأنعم بالا ، وأفضل مسكنا ، وأحسن مجلسا ، وأجمع عددا وغاشية في المجلس ، نحن أم أنتم ؟ وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قوله ( خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ) قال : المقام : المنزل ، والندى : المجلس .

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ( وَإِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ؟ ) قال : المقام : المسكن ، والندى : المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها ، وهو كما قال الله لقوم فرعون ، حين أهلكهم وقص شأنهم فى القرآن فقال ( كَمْ تَرَ كُؤُومًا مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِينَ ) فالمقام : المسكن والنعيم ، والندى : المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه ، وقال الله فيما قص على رسوله فى أمر لوط إذ قال ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) ، والعرب تسمى المجلس : النادى .

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قام : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ) يقول : مجلسا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( أَى الْفَرِيقَيْنِ ) قال : قريش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ( وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ) قال : مجالسهم ، يقولونه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ؟ ) رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة ، وفيهم قسافة ، فعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله ( وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ) يقول : مجلسا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ) قال : الندى : المجلس ، وقرأ قول الله تعالى ( فَلْيَسْتَدْعُ نَادِيَهُ ) قال : مجلسه .

انقول فی تأویل قوله تعالى

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكتنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين ، إذا تئلى عليهم آيات الرحمن ، أى الفريقين خير مقاما ، وأحسن نديا ؟ مجالس ، من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء ، وأحسن منهم منظرا ، وأجمل صورا ، فأهلكنا أموالهم ، وغيرنا صورهم ؛ ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

كُمَيْتٌ كَلَوْنَ الْأَرْجُونَ نَشْرَتُهُ لِيَبَّيْعَ الرَّئِيَّ فِي الصَّوَانِ الْمُكْعَبِ

يعنى بالصَّوَانِ : التخت الذى تصان فيه الثياب .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا ) قال : الرَّئِيَّ : المنظر ، والأثاث : المتاع .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الرَّئِيَّ المنظر .

حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا ) يقول : منظرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا ) الأثاث : المال ، والرئى : المنظر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله ( أَثْمًا وَرِيًّا ) قال : الأثاث : أحسن المتاع ، والرئى : قال : المال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، يقول الله تبارك وتعالى ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا ) : أى أكثر متاعا ، وأحسن منزلة ومستقرا ، فأهلك الله أموالهم ، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِيًّا ) قال : أحسن صورا ، وأكثر أموالا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعلقمة بن عبدة ، وهو الثانى والعشرون من قصيدته التى مطلعها : « ذهب من الهجران فى غير مذهب » مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي بشرح مصطلق السقا ص ٤٣٦ ) وفيه « الرداء » فى موضع الرئى قال شارحه الكيت : الفرس الذى لونه بين السواد والحمره . والأرجوان : صبغ أحمر مشبع . والمراد هنا : ثوب آخر . والصوان : ثوب تصان فيه الثياب ، ويقال له التخت . والمكعب هنا : الموشى من الثياب ، وهو من صفة الرداء . ويقال : المكعب : المطوى المشدود ، وكل ما ريعته فقد كعبته ، ومنه الفتاة الكاعب : التى تكعب ثديها وبرز . وفى (اللسان : رأى) : الرئى (عل فعيل) والرئى (عل فعل ، بكسر أوله) : الثوب ينشر للبيع . عن أبي على . التهنيد : الرئى ، بهززة مسكنة : الثوب الفاخر الذى ينشر ليرى حسنه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أثاثا ) قال : المتاع ( وريثيا ) قال : فيما يرى الناس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ ، قالوا : ثنا جرير بن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأثاث :  
المال ، والرثي : المنظر الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وريثيا ) :  
منظرا في اللون والحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وريثيا ) : منظرا  
في اللون والحسن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أحسن أثاثا وريثيا ) قال :  
الرثي : المنظر ، والأثاث : المتاع ، أحسن متاعا ، وأحسن منظرا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله ( أحسن أثاثا ) : يعني المال ( وريثيا ) يعني :  
المنظر الحسن .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ( وريثيا ) غير مهموز ، وذلك إذا قرئ كذلك  
يتوجه لوجهين : أحدهما : أن يكون قارئه أراد الهمزة ، فأبدل منها ياء ، فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز ،  
والياء التي هي لام الفعل ، فأدغمنا ، فجعلنا ياء واحدة مشددة ، ليسألحوا ذلك ، إذ كان رأس آية ، بنظائره  
من سائر رءوس الآيات قبله وبعده . والآخر : أن يكون من رويت أروى روية وريثيا ، وإذا أريد به ذلك  
كان معنى الكلام : وكم أهلكتنا قبلهم من قرن ، هم أحسن متاعا ، وأحسن نظرا لماله ، ومعرفة لتدبيره ،  
وذلك أن العرب تقول : ما أحسن رؤية فلان في هذا الأمر ، إذا كان حسن النظر فيه ، والمعرفة به . وقرأ ذلك  
عامة قراء العراق والكوفة والبصرة ( وريثيا ) بهمزها ، بمعنى : رؤية العين ، كأنه أراد : أحسن متاعا ومراة .  
وحكى عن بعضهم أنه قرأ : أحسن أثاثا وزيا ، بالزاي ، كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا ، وذلك أن  
الزى هو الهيئة والمنظر ، من قولهم : زيبت الجارية ، بمعنى : زينتها وهيأتها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه ( أثاثا وريثيا ) بالراء والهمز ، لإجماع  
الحجة من أهل التأويل على أن معناه : المنظر ، وذلك هو من رؤية العين ، لامن الرؤية ، فلذلك كان  
المهموز أولى به ، فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز ، وهو يريد هذا المعنى ، فغير مخطئ في قراءته . وأما قراءته  
بالزاي ، فقراءة خارجة عن قراءة القراء ، فلا أستجيز القراءة ، بها لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم في التأويل  
وجه صحيح .

واختلف أهل العربية في الأثاث : أجمع هو أم واحد ؟ فكان الأحمر فيها ذكر لى عنه يقول : هو جمع ،  
واحدتها : أثاثة ، كما ألحمام جمع واحدتها : حمامة ، والسحاب جمع ، واحدتها : سحابة . وأما الفراء فإنه كان يقول :

لاواحد له ، كما أن المتاع لاواحد له . قال : والعرب تجمع المتاع : أمتعة ، وأمتيع ، ومُتْع . قال : ولو جمعت الأثاث لقلت : ثلاثة آثثة وأُثُث . وأما الرُّثِي فإن جمعه : آراء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ، فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهبهم ، القائلين : إذا تتلى عليهم آياتنا ، أي الفريقين منا ومنكم خير مقاماً وأحسن ندياً ؟ من كان منا ومنكم في الضلالة جائزاً عن طريق الحق ، سالكا غير سبيل الهدى ، فليمدد له الرحمن مدّاً : يقول : فليطوّل له الله في ضلّالته ، وتبليغ فيه إيماء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ) فليدعه الله في طغيانه .

وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ) يقول تعالى ذكره : قل لهم : من كان منا ومنكم في الضلالة ، فليمدد له الرحمن في ضلّالته ، إلى أن يأتيهم أمر الله ، إما عذاب عاجل ، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها ، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين ، ( فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ) ومسكنا منكم ومنهم ( وَأَضْعَفُ جُنْدًا ) أهم أم أنتم ؟ ويتبينون حينئذ أي الفريقين خير مقاماً ، وأحسن ندياً .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ، وَالْبَلْقِيَةُ الصَّلْحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦)

يقول تعالى ذكره : ويزيد الله من سلك قصد المحجّة ، واهتدى لسبيل الرشده ، فأمن بربه ، وصدق بآياته ، فعمل بما أمره به ، وانتهى عما نهاه عنه . هُدًى ، بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه ، ويقرّ بلزوم فرضها إياه ، ويعمل بها ، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته ، هدى على هداة ؛ وذلك نظير قوله ( وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ فَفِيهِمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا ؟ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ) . وقد كان بعضهم يتأول ذلك : ويزيد الله الذين اهتدوا هُدًى

بناسخ القرآن ومنسوخه ، فيؤمن بالناسخ ، كما آمن من قبل بالمنسوخ ، فذلك زيادة هُدًى من الله له على هُداه من قبل (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) يقول تعالى ذكره : والأعمال التي أمر الله بها عباده ، ورضيها منهم ، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات (خيرٌ عند ربك) جزاء لأهلها (وخَيْرٌ مَرَدًّا) عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله ، وأنديهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا . وقد بيننا معنى الباقيات الصالحات ، وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ، ودلنا على الصواب من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمر بن راشد ، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فأخذ عودا يابسا ، فحط ورقه ، ثم قال : إِنَّ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، تَحُطُّ الْخَطَايَا ، كَمَا تَحُطُّ وَرَقٌ هَدَاهِ الشَّجَرَةُ الرِّيحُ ، خُذْهُنَّ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُجَالَبَنَّ بِبَيْتِكَ وَبَيْنَهُنَّ ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ، وَهُنَّ مِّنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ . قال أبو سلمة : فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأهلن الله ، ولأكبرن الله ، ولأسبحن الله ، حتى إذا رأى الجاهل حسب أتى مجنون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ

الرَّحْمَنِ عَهْدًا؟ (٧٨)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (أفرايت) يا محمد (الذي كفر بآياتنا) : حججنا ، فلم يصدق بها ، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر (وقال) وهو بالله كافر وبرسوله (لأوتين) في الآخرة (مالاً وولداً) . وذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي ، أبي عمرو بن العاص . ذكر الرواية بذلك .

حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن حبيب ، قال : كنت رجلا قينا ، وكان لى على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ، ثم تبعث ، قال : فقال : فإذا أنا مت ثم تبعث كما تقول ، جئني ولى مال وولد ، قال : فأنزل الله تعالى (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ، أطلع الغيب ، أم اتخذ عند الرحمن عهداً؟) . . . إلى قوله : (ويأتينا قرءاً) .

حدثني به أبو السائب ، وقرأ في الحديث : وولدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،

أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاصم بن وائل السهمي بدین، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألسم تزعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتين مالا وولداً، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً) . . . إلى قوله (وَيَأْتِينَا فَرْدًا). حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَأُوتِينَ مَالاً وَوَلَدًا) قال: العاصم ابن وائل يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَوَلَدًا) فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه ديناً، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريراً وذهباً؟ قالوا: بلى، قال: فميعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأوتين مالا وولداً، يقول الله (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال حبيب بن الأرت: كنت قينا بمكة، فكنت أعمل للعاصم بن وائل، فاجتمعت لي عليه دراهم، فجئت لأتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَوَلَدًا؟) . . . إلى (وَيَأْتِينَا فَرْدًا).

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَوَلَدًا) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَوَلَدًا) بفتح الواو من الولد في كل القرآن، غير أن أبو عمرو بن العلاء خصص التي في سورة نوح بالضم، فقرأها (مَالُهُ وَوَلَدُهُ). وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم، فلم يقرأوا من هذه السورة من قوله (مَالاً وَوَلَدًا) إلى آخر السورة، واللذين في الزخرف، والتي في نوح، بالضم وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العُدْم والعَدَم، والخُزْن والخِزْن. واستشهدوا لقبيلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ      وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ حَارِبِ

(۱) البيت في (اللسان: ولد) ولم ينسبه. قال: الولد والولد: واحد، مثل العرب والعرب، والمعجم والمعجم، ونحو ذلك. وأنشد الفراء: «فليت فلاناً . . . البيت. فهذا واحد. قال: وقيس يجعل الولد جمعا، والولد (بالتحريك) واحداً. ابن السكيت يقال في الولد: الولد (بكسر أوله) والولد (بضم أوله). قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحداً وجمعا، قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد. (وهذا قريب مما نقله المؤلف عن القراء في معاني القرآن).

ويقول الحارث بن حلزة :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ تَمَرُّوا مَالًا وَوُلْدًا

وقول رؤبة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ فَرْدًا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدٍ شَيْءٍ وَوُلْدًا

وتقول العرب في مثلها: **وُلْدُكَ مِنْ دَمِي عَقَبِيَّتِكَ** ، قال: وهذا كله واحد، بمعنى الولد. وقد ذُكر لي أن قيسا يجعل **الوُلْد** جمعا ، والوَلَد واحدًا . ولعل الذين قرءوا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم ، إنما قرءوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد .

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي: أن الفتح في الواو من **الوَلَد**، والضم فيها: بمعنى واحد، وهما لغتان، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها، فالقراءة به أعجب إلى لذلك .

وقوله ( **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ** ) يقول عزّ ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه ( **أُمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ) يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهد أن يؤتیه مايقول من المال والولد .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ، أُمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ) ؟ بعمل صالح قدمه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله « **كلا** »: ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا، بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر، ثم قال تعالى ذكره ( **سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ** ) : أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل ( **لَأُوتِينَ** ) في الآخرة ( **مَالًا وَوُلْدًا** ) ، ونمدُّ له من العذاب مدًّا ) يقول: ونزيده من العذاب في جهنم، ببقيله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله .

وقوله ( **وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ** ) يقول عزّ ذكره: ونسلب هذا القائل - لأوتين في الآخرة مالا وولدا -

ماله وولده، ويصير لنا ماله وولده دونه، ويأتينا هو يوم القيامة فردا، وحده لا مال معه ولا ولد .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري، وهو من شواهد (لسان العرب: ولد) مثل الشاهد الذي قبله. واستشهد به القراء أيضا في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٩٥) ثم قال: والولد والولد: لغتان مثل ما قالوا: العدم والعدم .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج، وهما من مشطور الرجز، والفرد: المنفرد بالربوبية، وبالأمير دون خلقه، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ثنى. والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه. شواهد على أن الولد، بضم الواو وسكون اللام، بمعنى الولد، بالتحريك. وأنه مفرد، وقد يحى بمعنى الجمع .



وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) : ماله وولده ، وذلك الذى قال العاصم بن وائل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ) :  
لامال له ولا ولد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) قال : ما عنده ، وهو قوله ( لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ) وفى حرف ابن مسعود : وثرته ما عنده .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) قال :  
ما جمع من الدنيا وما عمل فيها . قال ( وَيَأْتِينَا فَرْدًا ) قال : فردا من ذلك ، لا يتبعه قليل ولا كثير .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) : نثرته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْدًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره : واتخذوا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله ، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًا ، يمنعونهم من عذاب الله ، ويتخذون عبادتهمها عند الله زلفى . وقوله ( كَلَّا ) يقول عزّ ذكره : ليس الأمر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله ، فى أنها تنقذهم من عذاب الله ، وتنجيهم منه ، ومن سوء إن أرادهم ربهم . وقوله ( سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ) يقول عزّ ذكره : ولكن سيكفر الآلهة فى الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها ، وكفرهم بها قبلهم لربهم : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمرؤهم بذلك ، وتبرءوا منهم ، وذلك كفرهم بعبادتهم . وأما قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْدًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وتكون آلهتهم عليهم عونًا ، وقالوا : الصدد : العون .

(١) كذا فى ابن كثير أيضا ، والذى فى الدر عن ابن عباس : وثرته ما يقول : ماله وولده .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول : أعوانا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : عوناء عليهم ، تخصمهم وتكذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : أوثانهم يوم القيامة في النار .  
وقال آخرون : بل عسّى بالصدّ في هذا الموضع : القرناء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول : يكونون عليهم قرناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) : قرناء في النار ، يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( ضِدًّا ) قال : قرناء في النار .

وقال آخرون : معنى الصدّ هاهنا : العدو .

## ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : أعداء .

وقال آخرون : معنى الصدّ في هذا الموضع : البلاء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : يكونون عليهم بلاء : الصدّ ، البلاء ، والصدّ في كلام العرب : هو الخلاف ، يقال : فلان يضادّ فلانا في كذا ، إذا كان يخالفه في صنيعه ، فيفسد ما أصلحه ، ويصلح ما أفسده ، وإذا كان ذلك معناه ، وكانت آفة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم ، وينتفون يومئذ ، صاروا لهم أضدادا ، فوصفوا بذلك .

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الصدّ ، وهو صفة لجماعة . فكان بعض نحوّي البصرة يقول :

وحد ، لأنه يكون جماعة وواحدا ، مثل الرصد والأرصاد . قال : ويكون الرصد أيضا لجماعة . وقال بعض نحوئي الكوفة : وَحَد ، لأن معناه عوننا ، وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك .  
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ ( كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ) يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوۡزُؤُهُمۡ أَزۡا (۸۳) فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَیۡهِمۡ ، إِنَّمَا نَعۡدُهُمۡ عَدۡا (۸۴)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ، ( تَوَزُّؤُهُمْ ) يقول : تحركهم بالإغواء والإضلال ، فترعجهم إلى معاصي الله ، وتغريهم بها حتى يواقعوها ، ( أَزَا ) إزعاجا وإغواء .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَزَا ) يقول : تغريهم لإغراء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : تَوَزُّؤُ الكافرين : إغراء في الشرك ، امض امض في هذا الأمر ، حتى توقعهم في النار ، امضوا في الغي امضوا .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ) قال : تغريهم لإغراء .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ) قال : ترعجهم إزعاجا في معصية الله .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة في قول الله ( تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ) قال : ترعجهم إلى معاصي الله إزعاجا .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ) قال : ترعجهم إزعاجا في معاصي الله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ) فقرأ ( وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ) قال : تَوَزُّؤُهُمْ أَزَا ، قال : تُشَلِّبُهُمْ إِشْلَاءَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَتَغْرِيبُهُمْ عَلَيْهَا .

كما يغرى الإنسان الآخر على الشيء ، يقال منه : أزرّت فلانا بكذا ، إذا أغريته به ، أوزّه أزا وأزيرا ، وسمعت أزيز القدر : وهو صوت غليانها على النار ؛ ومنه حديث مطرف عن أبيه ، أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

وقوله ( فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ) يقول عزّ ذكره : فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك ، يا محمد إنما نعدّ لهم عدّا ، يقول : فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما ، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونخصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أزدناه بهم . وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ) يقول : أنفاسهم التى يتنفسون فى الدنيا ، فهى معدودة كسنتهم وآجالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا (٨٦)

يقول تعالى ذكره : يوم نجمع الذين اتقوا فى الدنيا فخافوا عقابه ، فاجتنبوا لذلك معاصيه ، وأدّوا فرائضه إلى ربهم ( وَفْدًا ) يعنى بالوفد : الركبان ، يقال : وفدت على فلان : إذا قدمت عليه ، وأوفد القوم وفدا على أميرهم ، إذا بعثوا من قبلهم بعثا . والوفد فى هذا الموضع بمعنى الجمع ، ولكنه وحده ، لأنه مصدر ، واحدهم : وافد ، وقد يجمع الوفد : الوفود ، كما قال بعض بنى حنيفة :

إِنِّي لَكُمُتَسَدِّحٌ فَمَا هُوَ صَانِعٌ رَأْسُ الْوُفُودِ مُزَاحِمٌ بَنَ جِسَاسٍ ١

وقد يكون الوفود فى هذا الموضع جمع وافد ، كما الجلوس جمع جالس .  
وينحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعد ، عن على ، فى قوله ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا يساقون سوفا ، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمّتها الزبرجد ، فيركبون عليها ، حتى يضربوا أبواب الجنة .

(١) البيت لبعض بنى حنيفة ، كما قال المؤلف . وفى ( تاج العروس : جيس ) جيساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمى ، ابن عمرو بن عبد الله بن لؤى بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مائة بن أد : أبو قبيلة ، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج بن الحارث بن عامر بن جيساس عن شعبة ، وعنه أبو الربيع الزهرانى ، وأخوه عثمان بن ظفر ، حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره . وفى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للبخارى : مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفى ، عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه شعبة وسفيان ، وثقه ابن معين . وفى ( اللسان : وفد ) : قال الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » : قيل الوفد : الركبان المكرمون . . . وهم الوفد والوفود . فأما الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافد . . . . . وجمع الوفد : أوفاد ووفود .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : علي الإبل .  
حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) يقول : ركبانا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة ، وأطيبها ريحا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبته في الدنيا ، فأركبني أنت اليوم ، وتلا ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إلى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : وفدا إلى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : على النجائب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : على الإبل النوق .

وقوله ( وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) يقول تعالى ذكره : ونسوق الكافرين بالله الذين أجمعوا إلى جهنم عطاشا ، والورد : مصدر من قول القائل : وردت كذا أريده وردا ، ولذلك لم يجمع ، وقد وصف به الجمع .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) يقول : عطاشا .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة ( وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) قال : عطاشا .

حدثني يعقوب والفضل بن صباح ، قالوا : ثنا إسماعيل بن عليّة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله ( وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) قال : عطاشا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إلى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) قال : ظمء إلى النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا )  
سوقوا إليها وهم ظمء عطاش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : سمعت سفيان يقول في قوله ( وَتَسْؤُقُ  
الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) قال : عطاشا .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)

يقول تعالى ذكره : لا يملك هؤلاء الكافرون ببرهم يا محمد ، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة ،  
حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ، فيشفع بعضهم لبعض ( إِلَّا مَنْ أَخَذَ ) منهم ( عِنْدَ  
الرَّحْمَنِ ) في الدنيا ( عَهْدًا ) بالإيمان به ، وتصديق رسوله ، والإقرار بما جاء به ، والعمل بما أمر به .  
كما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا  
مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ،  
ولا يرجو إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ  
إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعا ( إِلَّا مَنْ أَخَذَ  
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : عملا صالحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ  
أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) : أى بطاعته ، وقال في آية أخرى ( لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ  
لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ) ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، ذكر لنا أن  
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنْ فِي أُمَّتِي رَجُلًا لَيُدْخِلُنَّ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ  
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » ، وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن عوف بن مالك ،  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا »  
و « من » في قوله ( إِلَّا مَنْ ) في موضع نصب على الاستثناء ، ولا يكون خفضا بضمير اللام ، ولكن قد  
يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل : أردت المرور اليوم إلا العدو ، فإني لا أمر  
به ، فيستثنى العدو من المعنى ، وليس ذلك كذلك في قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ  
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) لأن معنى الكلام : لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله ، فالؤمنون ليسوا من أعداد  
الكافرين ، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة  
للمتقين ، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، لا يملكون الشفاعة ، إلا من اتخذ

عند الرحمن عهدا . فيكون معناه عند ذلك : إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا . فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المخبرين ، فإن « مَنْ » تكون حينئذ نصبا ، على أنه استثناء منقطع ، فيكون معنى الكلام : لا يملكون الشفاعة ، لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ،  
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠)

❦ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ) يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه : لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( شَيْئًا إِذَا ) يقول : قولا عظيما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ) يقول : لقد جئتم شيئا عظيما ، وهو المنكر من القول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( شَيْئًا إِذَا ) قال : عظيما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( شَيْئًا إِذَا ) قال : عظيما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ) قال : جئتم شيئا كبيرا من الأمر ، حين دعوا للرحمن ولدا . وفي الإدّ لغات ثلاث ، يقال : لقد جئت شيئا إدا ، بكسر الألف ، وأدا بفتح الألف ، وأدا بفتح الألف ومدّها ، على مثال مادّ ( فاعيل ) . وقرأه قرآء الأمصار ، وبها نقرأ ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف ، ولا أرى قرآءته كذلك ، لخلافها قراءة قرآء الأمصار . والعرب تقول لكل أمر عظيم : إدا ، وإمر ، نكّر ، ومنه قول الراجز :  
قَدْ لَقِيَّ الْأَعْدَاءُ مِثِّي نَكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا

(١) هذان بيتان من مشطور الراجز . وقد سبق استشهاد المؤلف بهما عند قوله تعالى في سورة الكهف ( ١٥ : ١٨٤ ) « لقد جئت شيئا إمرًا » . وقد شرحناهما .

ومنه قول الآخر: فِي لَهْتٍ مِنْهُ وَحَثْلٍ إِذَا  
 وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ) يقول تعالى ذكره: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ  
 قِيلَهُمْ (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَطَرَ نَابُهُ : إِذَا انشَقَّ .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ  
 يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا . أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا) قال : إن الشرك فرغت  
 منه السموات والأرض والجبال ، وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينفع مع  
 الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لَقِنْتُمْ مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، قَالُوا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ قَالَهَا فِي صِحَّتِهِ ؟ قَالَ : تِلْكَ أَوْجِبُ وَأَوْجِبُ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُ  
 جِيءَ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ ، فَوُضِعْنَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ ،  
 وَوُضِعَتْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (تَكَادُ السَّمَوَاتُ  
 يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا) ذكر لنا أن كعبا كان يقول : غضبت  
 الملائكة ، واستعرت جهنم ، حين قالوا ما قالوا .

وقوله (وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ) يقول : وتكاد الأرض تنشق ، فنصدع من ذلك (وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ  
 هَدًّا) يقول : وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا ، والهد : السقوط ، وهو مصدر هددت ،  
 فأنا أهدت هداً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخْرِجُ  
 الْجِبَالَ هَدًّا) يقول : هدماً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
 (وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا) قال : الهد : الانقضاء .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله . والله واللاهات : حر العطش في الجوف . وفي (اللسان : هت) ابن سيده :  
 هت الكلب بالفتح ، وهت يلهت فهما هتا : دلع لسانه من شدة العطش والحر ، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش . وهت  
 الرجل ولهت (بفتح الهاء في الأول وكسرها في الثاني) يلهت (بالفتح) في اللتين جميعاً ، هتا فهو هتان : أعبأ . وأما الختل فلم أجد  
 في مادة (حتل) في المعاجم معنى يناسب البيت ، ولعله محرف عن الخبل ، وهو فساد الأعضاء . أو عن الختل ، وهو التخاذع عن غفلة ،  
 ولعل الواجب يصف كلب صيد أو فرسا . وأما الإد فهو العجب ، والأمر القطيع ، وهو محل الشاهد في كلام المؤلف ، كاليبتين قبله .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَخَيَّرَ الْجِبَالَ هَدَاءً ) قال : غضبا لله ، قال : ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا الله هذا الذي غضبت السموات والأرض والجبال من قولهم : لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة ، فقال ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ) قالوا : هو وصاحبه وابنه ، جعلوهما إلهين معه ( وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ) . . . إلى قوله ( وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، ( ٩١ ) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ( ٩٢ ) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ( ٩٣ )

يقول تعالى ذكره : وتكاد الجبال أن تحرّ انقضاضا ، لأنّ دعوا للرحمن ولدا ، فد « أن » في موضع نصب في قول بعض أهل العربية ، لاتصالها بالفعل ، وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الخافض - وقد بيّنا الصواب من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا - بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقال ( أن دعوا للرحمن ولدًا ) يعني بقوله ( أن دعوا ) : أن جعلوا له ولدا ، كما قال الشاعر :

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحًا وَإِنْ تَغَيْبُ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ

وقال ابن أحر :

أَهْوَى لَهَا مِشْقَصًا حَشْرًا فَشَبْرَقَهَا وَكُنْتُ أَدْعُو قَدَاهَا الْإِثْمِدَ الْقَرْدَا

وقوله ( وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ) يقول : وما يصلح لله أن يتخذ ولدا ، لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات ، وتضطرهم اللذات إلى جماع الإناث ، ولا ولد يحدث إلا من أنثى ، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه ، وذلك كقول ابن أحر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنُقَاءَ مُشْرِقَةٍ مَا يَنْبَغِي دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ

يعني : لا يصلح ولا يكون .

( ١ ) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح تاليه .

( ٢ ) البيت في ( اللسان : دعا ) . ونسبه إلى ابن أحر الباهل . قال : ودعوته يزيد ، ودعوته إياه : نسيته به ، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف ؛ قال ابن أحر الباهل : « أهوى لها . . . البيت . أي اسميه ، وأراد : أهوى لها بمشقص ، فحذف الحرف وأوصل . وقوله عز وجل « أن دعوا للرحمن ولدا » : أي جعلوا ، وأنشد بيت ابن أحر أيضا وقال : أي كنت أجعل وأسمى ؛ ومثله قول الشاعر : « ألا رب من تدعو نصيحا . . . البيت » . والمشقص من النصال : ما كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضا فهو المعبلة ( اللسان : شقص ) . وسهم محشور وحشر : مستوى قذ الريش ، وكل لطيف دقيق حشر . وشبرقها : مزقها ، يقال : ثوب مشبرق : مقطوع مزق . وفي كتاب ( المعاني الكبير لابن قتيبة طبع حيدر آباد ص ٩٨٨ ) : يقول : كنت من إشفاق عليها أسمى ما يصلحها قذى ، فكيف ما يؤذيها . وقوله « أدعو » أي أسمى ؛ تقول : ما تدعون هذا فيكم ؟ أي ما تسمونه ؟ والحشر : السهم الخفيف الريش الذي قد شد قصبه ورصافه . والإثمد الكحل الأسود . والقرد : هو الذي يتقطع في العين ؛ وقيل القرد : الذي لصق بعضه ببعض . والمعنى : كنت أسمى الإثمد قذى ، من حذرى عليها .

( ٣ ) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريبا في هذا الجزء ص ٨٤ . وشرحناه ثمة .

(إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا) يقول : ما جميع من في السموات من الملائكة ، وفي الأرض من البشر والإنس والجن (إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا) يقول : إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدا له ، ذليلا خاضعا ، مقرا له بالعبودية ، لانسب بينه وبينه . وقوله (آتَى الرَّحْمَنَ) إنما هو فاعل من أتيته ، فأنا أتيته .

## القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره : لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم ، وعدّهم عدّا ، فلا يخفى عليه مبلّغ جميعهم ، وعرف عددهم ، فلا يعزب عنه منهم أحد (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) يقول : وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا ، لاناصر له من الله ، ولا دافع عنه ، فيقضى الله فيه ما هو قاض ، ويصنع به ما هو صانع .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ، لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم ، فعملوا به ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) في الدنيا ، في صدور عباده المؤمنين . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مسلم الملائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في الناس في الدنيا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : حبا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : الودّ من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن ، واللسان الصادق . حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن عبيد المُكْتَبِ ، عن مجاهد ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في المسلمين في الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : يحبهم ويحبّهم إلى خلقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : يحبهم ويحبهم إلى المؤمنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يحبهم ويحبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ، وزاده من عنده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) : إى والله في قلوب أهل الإيمان . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَرِيمَ بْنَ حِيَانَ كَانَ يَقُولُ : مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عثمان بن عفان كان يقول : ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا شرا ، إلا كساه الله رداء عمله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : محبة . وذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ .

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي ، قال : أخبرنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن أمه أم إبراهيم ابنة أبي عبيدة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيها ، عن عبد الرحمن بن عرف ، أنه لما هاجر إلى المدينة ، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة ، منهم شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميمة بن خلف ، فأنزل الله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) .

وقوله ( فَلِئِمَّا يَسْرِئَاهُ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ) يقول تعالى ذكره : فلئما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تفرؤه ، لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، بالحنّة . ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) يقول : ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش ، فإنهم أهل لُدٍّ وجدل بالباطل ، لا يقبلون الحق ، واللُدُّ : شدة الحصومة .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لُدًّا ) قال : لا يستقيمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) يقول : لتنذر به قوما ظلمة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) : أي جدالا بالباطل ،  
ذوي لُدِّ وخصومة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله  
( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال : فُجَّارًا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( قَوْمًا لُدًّا )  
قال : جدالا بالباطل .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا )  
قال : الألد : الظلوم ، وقرأ قول الله ( وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ) .  
حدثنا أبو صالح الضراري ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن الحسن  
في قول الله عز وجل ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال : صما عن الحق .  
حدثني ابن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن هارون ، عن الحسن ، مثله .  
وقد بينا معنى الألد فيما مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ، هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)

يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكتنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش . من قرن ، يعني من جماعة من  
الناس ، إذ سلخوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم ، هل تحسب منهم من أحد : يقول : فهل تحسب  
أنت منهم أحدا يا محمد ، فتراه وتعينه ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يقول : أو تسمع لهم صوتا ، بل بادوا  
وهلكوا ، وختلت منهم دورهم ، وأوحشت منهم منازلهم ، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من  
عمل قدموه ، فكذلك قومك هؤلاء ، صاثرون إلى ماصار إليه أولئك ، إن لم يُعاجِلوا التوبة قبل الهلاك .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ تَسْمَعُ  
لَهُمْ رِكْزًا ) قال : صوتا .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ  
تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) قال : هل ترى عينا ، أو تسمع صوتا .  
(١) أبو صالح الضراري ، بالضاد المعجمة ، كافي ( ناس العروس : فرر ) . وفي الأصل : بالصاد المهملة . تحريف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) يقول : هل تسمع من صوت ، أو ترى من عين ؟ .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يعني : صوتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : رِكْزُ النَّاسِ : أصواتهم . قال أبو كريب : قال سفيان : ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ )  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) قال : أو تسمع لهم حيسا . قال : والركز : الحس .

قال أبو جعفر : والركز في كلام العرب : الصوت الخفي ، كما قال الشاعر :  
فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الْأَنِيسِ فَرَاعَهَا      عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنِيسُ سَقَامُهَا  
آخر تفسير سورة مريم ، والحمد لله رب العالمين

### تفسير سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣)

قال أبو جعفر محمد بن جرير : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( طه ) فقال بعضهم : معناه يارجل . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : طه : بالنبَطِيَّةِ : يارجل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) فإن قومه قالوا : لقد شقى هذا الرجل بربه ، فأنزل الله تعالى ذكره ( طه ) يعني : يارجل ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) .

(١) البيت من معلقة لبديع بن ربيعة العامري ( جبهة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤ وشرح الزوزني للمعلقات السبع . وشرح التبريزي للقوائد العشر ) . والرواية في الجمهرة : « وتسمعت رجز الأنيس » . قال : والرجز الصوت الخفي . قال الله تعالى : « أو تسمع لهم رِكْزًا » . ويروي ( رزا بالثديدي . والأنيس : الإنس . عن ظهر غيب : أي مكان خفي . والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم . وفي التبريزي : وتسمعت رز الأنيس . قال : ويروي : توجست رجز الأنيس . أي تسمعت البقرة صوت الناس . فأفزعها ، ولم تر الناس . والرز والرجز الصوت الخفي . وقوله « عن ظهر غيب » معناه : من وراء حجاب ، أي تطلع من حيث لا ترى . « الأنيس سقامها » : معناه : والأنيس هلاكها ، أي يصيدها . وراعها أي أفزعها . وفاعل تسمعت : ضمير البقرة . وفاعل راعها : ضمير الرز ، وفي الزوزني وتوجست رز الأنيس ، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزي له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن مسلم ، أو يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير أنه قال : طه : يا رجل بالسريانية .

قال ابن جريج : وأخبرني زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بذلك أيضا . قال ابن جريج ، وقال مجاهد ، ذلك أيضا .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله : ( طه ) قال : يا رجل ، كلمه بالنبطية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله ، عن عكرمة ، في قوله ( طه ) قال : بالنبطية : يا إنسان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن قرّة بن خالد ، عن الضحاك ، في قوله ( طه ) قال : يا رجل بالنبطية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حُصَيْن ، عن عكرمة في قوله ( طه ) قال : يا رجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( طه ) قال : يا رجل ، وهي بالسريانية :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله ( طه ) قال : يا رجل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، يعني ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( طه ) قال : يا رجل .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء الله ، وقسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( طه ) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : هو حروف مقطعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى ، واختلفوا في ذلك اختلافهم في الميم ، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه ، وبيّنا ذلك بشواهد .

والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه : قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل ، أنشدت لمتمم بن نويرة :

هَتَفْتُ بَطْنَهُ فِي الْقَيْتَالِ فَلَمْ يُجِيبْ فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكُونَ مُؤَاثِلًا

وقال آخر :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلَائِقِكُمْ<sup>١</sup> لَابَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينَ<sup>٢</sup>

فإذا كان ذلك معروفًا فيهم على ما ذكرنا ، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين .

فتأويل الكلام إذن : يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، ما أنزلناه عليك ، فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل ، وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يأتي من النَّصَبِ والعناء والسهر في قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتتشقى ) قال : هي مثل قوله ( فاقْرَأْهُ وَمَا تَنبَسَّرَ مِنْهُ ) فكانوا يعلقون الجبال في صدورهم في الصلاة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتتشقى ) قال في الصلاة ، كقوله ( فاقْرَأْهُ وَمَا تَنبَسَّرَ مِنْهُ ) فكانوا يعلقون الجبال بصدورهم في الصلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ما أنزلنا عليك القرآن لتتشقى ) لا والله ما جعله الله شقيا ، ولكن جعله رحمة ونورا ، ودليلا إلى الجنة .

وقوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) يقول تعالى ذكره : ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه ، بأداء فرائض ربه ، واجتناب محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) وإن الله أنزل كتبه ، وبعث رسله ، رحمة رحم الله بها العباد ، ليتذكر ذاكر ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذِكْرٌ له ، أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، فقال ( تَسْتَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) قال : الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى .

(١) البيت لم يتم بنويرة كما قال المؤلف . وفي (اللسان : طهه) : الليث في تفسير (طه) مجزومة ، أنها بالحشية : يارجل ، قال : ومن قرأ (طه) فحرفان . وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف ، حتى قام على أصابع قدميه خوفا ، فقال الله عز وجل : (طه) أي اطمنئن . الفراء : (طه) حرف هجاء . قال : وجاء في التفسير (طه) يارجل : يا إنسان . قال : وحدث قيس عن عاصم عن زر ، قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله : (طه) بكسرتين ، فقال الرجل : أليس إنما أمر أن يقرأ الله ، فقال له عبد الله : هكذا أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الفراء وكان بعض القراء يقطعها (طه) وروى الأزهرى عن أبي حاتم قال : (طه) : افتتاح سورة ، ثم استقبل الكلام فخطب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما أنزلنا عليك القرآن لتتشقى » . وقال قتادة : (طه) بالسريانية : يارجل . وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هي بالنبطية : يارجل ، وروى ذلك عن ابن عباس . هـ . (اللسان) .

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن معنى (طه) في كلام العرب . يارجل ، ولم أقف على قائل البيت .

فمعنى الكلام إذن : يارجل ، ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى .  
وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة ، فكان بعض نحوِّي البصرة يقول : قال : إلا تذكرة  
بدلا من قوله لتشقى ، فجعله : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة . وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : نصبت  
على قوله : ما أنزلناه إلا تذكرة . وكان بعضهم ينكر قول القائل : نصبت بدلا من قوله ( لِيَتَشَقَّى ) ،  
ويقول : ذلك غير جائز ، لأن ( لِيَتَشَقَّى ) في الجحد ، و ( إِلاَّ تَذْكِرَةٌ ) في التحقيق ، ولكنه تكرير .  
وكان بعضهم يقول : معنى الكلام : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، لا لتشقى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

تَنْزِيلًا مِّنْ مَّعْنَى خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الأرض  
والسموات العلى . والعلى جمع عُلْيَا .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله ( تَنْزِيلًا ) فقال بعض نحوِّي البصرة : نصب ذلك بمعنى :  
نزل الله ذلك تنزيلا . وقال بعض من أنكر ذلك من قبله : هذا من كلامين ، ولكن المعنى : هو تنزيل ، ثم أسقط  
هو ، واتصل بالكلام الذى قبله ، فخرج منه ، ولم يكن من لفظه .  
قال أبو جعفر : والقولان جميعا عندى غير خطأ .

وقوله ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا . وقد  
بيننا معنى الاستواء بشواهد فيما مضى ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا  
الموضع . وللرفع في الرحمن وجهان : أحدهما بمعنى قوله : تنزيلا ، فيكون معنى الكلام : نزل من خلق  
الأرض والسموات ، نزله الرحمن الذى على العرش استوى . والآخر بقوله ( عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) لأن  
في قوله استوى ، ذكرا من الرحمن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)

يقول تعالى ذكره : لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى ، ملكا له ، وهو  
مدبّر ذلك كله . ومصرف جميعه . ويعنى بالثرى : الندى ، يقال للتراب الرطب المبتل : ثَرَى ، منقوص ،  
يقال منه : ثَرَيْتِ الْأَرْضَ ثَرَى ، ثَرَى ، منقوص ، والثَرَى : مصدر .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) والسَّرَى : كل شيء مبتل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) ما حفر من التراب مبتلا ، وإنما عنى بذلك : وما تحت الأرضين السبع . كالذي حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران<sup>(١)</sup> ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) قال : السَّرَى : سبع أرضين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالتَّوِيلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تجهر يا محمد بالقول ، أو تخف به ، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ( فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ) يقول : فإنه لا يخفى عليه ما استسررت به في نفسك ، فلم تبده بجوارحك ، ولم تتكلم بلسانك ، ولم تنطق به ، وأخفى .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَأَخْفَى ) فقال بعضهم : معناه : وأخفى من السر ، قال : والذي هو أخفى من السر : ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما عملته أنت ، وأخفى : ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) يعنى بأخفى : ما لم يعمله ، وهو عامله ؛ وأما السر : فيعنى ما أسر في نفسه . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما أسر ابن آدم في نفسه . وأخفى : قال : ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله ، فالله يعلم ذلك ، فعلمه فيما مضى من ذلك ، وما بقى علم واحد ، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفوس واحدة ، وهو قوله ( مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُقُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : السر : ما أسر الإنسان في نفسه ؛ وأخفى : ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو ، قالوا : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى : الوسوسة . زاد بن عمرو والحارث في حديثيهما : والسر : العمل الذي يسرون من الناس .

(١) في الخلاصة للخزرجي : محمد بن إبراهيم بن صدران ، بضم المهمله الأولى ، الأزدي ، السليمي ، بتحانية بعد اللام المكسورة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وأخفى ) قال : الوسوسة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى حديث نفسك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما يكون في نفسك اليوم . وأخفى ما يكون في غد وبعد غد ، لا يعلمه إلا الله .

وقال آخرون : بل معناه : وأخفى من السر ما لم تحدث به نفسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما أسررت في نفسك ؛ وأخفى من ذلك : ما لم تحدث به نفسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) كنا نحدث أن السر ما حدثت به نفسك ، وأن أخفى من السر : ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا أبو قتادة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : يعلم ما أسررت في نفسك ، وأخفى : ما لم يكن وهو كائن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى من السر : ما حدثت به نفسك ، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن . حدثت عن الحسين بن القراج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) أما السر : فما أسررت في نفسك . وأما أخفى من السر : فما لم تعمله وأنت عامله ، يعلم الله ذلك كله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه يعلم سر العباد ، وأخفى سر نفسه ، فلم يطلع عليه أحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : يعلم أسرار العباد ، وأخفى سره فلا يعلم .

قال أبو جعفر : وكان الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أن السر : هو ما حدثت به الإنسان غيره سرا . وأن أخفى : معناه : ما حدثت به نفسه ، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفى . وقال بعضهم : قد توضع أفعال موضع الفاعل ، واستشهدوا لقليلهم ذلك بقول الشاعر :

تَمَسَّنِي رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتَ فَتَلَكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَرْحَدٍ ۝  
 والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : معناه : يعلم السر وأخفى من السر ، لأن ذلك هو الظاهر  
 من الكلام ؛ ولو كان معنى ذلك ماتوا له ابن زيد ، لكان الكلام : وأخفى الله سره ، لأن أخفى : فعل  
 واقع متعد ، إذ كان بمعنى فعل على ماتوا له ابن زيد ، وفي انفراد أخفى من مفعوله ، والذي يعمل فيه لو  
 كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعال . وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه ، فإذا  
 كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول في معنى أخفى من السر أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ،  
 ولم يعلموه ، مما هو كائن ولما يكن ، لأن ما ظهر وكان فغير سر ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء ،  
 وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السر ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، ثم من أعلمه ذلك من عباده .  
 وأما قوله تعالى ذكره ( اللهُ لا إلهَ إلاَّ هوَ ) فإنه يعنى به : المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، يقول  
 فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ماسواه من الآلهة والأوثان ( لهُ الأسماءُ الحُسنى ) يقول جل ثناؤه :  
 لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى ، فقال : الحسنى ، فوحده ، وهونعت للأسماء ، ولم يقل الأحاسن ،  
 لأن الأسماء تقع عليها هذه ، فيقال : هذه أسماء ، وهذه في لفظه واحدة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَسَوْفَ يُعَقِّبُنِيهِ إِنْ ظَنَّفِرْتُ بِهِ رَبِّ غَفُورٌ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارٍ ۲

فوحده ذات ، وهونعت للبيض ، لأنه يقع عليها هذه ، كما قال : حدائق ذات بهجة ، ومنه قوله جل ثناؤه  
 ( مَارِبٌ أُخْرَى ) فوحده أخرى ، وهى نعت للمارب ، والمارب : جمع ، واحدها : ماربة ، ولم يقل  
 أخر ، لما وصفنا ، ولوقيل : أخر ، لكان صوابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۙ (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، أَعْلَى

إَتَيْكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقي من الشدة من مشركى قومه ، ومعرفة  
 ما إليه صائر أمره وأمرهم ، وأنه معلية عليهم ، وموهن كيد الكافرين ، ويحثه على الجحد في أمره ، والصبر

(١) ورد هذا البيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمنى موته ، لماله  
 من العهد بعده ، فعاتبه الوليد في كتاب وفيه هذه الأبيات ، وأولها : « تمنى رجال . . . الخ » . ذكرها المسعودى في ( مروج الذهب  
 طبعة دار الرجاء ٣ : ١٠٣ ) . والشاهد في قوله بأوحد ، فإنه بمعنى : بواحد .

(٢) في ( اللسان : عقب ) يقال : أعقبه الله بإحسانه خيرا ؛ والاسم العقبى ، وهو شبه العوض . واستعقب منه خيرا أو شرا ؛  
 اعتاضه ، فأعقبه خيرا ، أى عوضه وأبدله . والشاهد في البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء ، بكلمة ( ذات ) وهى واحدة ،  
 ولم يطابق بين النعت والمنعوت في العدد . وتأويل ذلك عند المؤلف أن كلمة البيض وإن كانت جمعا ، فإنها يشار إليها بكلمة هذه ، وهذه  
 فى الأصل إشارة للواحدة ، فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع ، جاز أن ينعت البيض بذات التى هى للواحدة ، وذلك نظير قول القرآن :  
 « له الأسماء الحسنى » ، والأشياء جمع ، والحسنى صفتها ، وهى واحدة .

على عبادته ، وأن يتذكر فيها ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم ، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ، ثم من قومه ، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة ، طفلاً صغيراً ، ثم يافعا مترعرا ، ثم رجلاً كاملاً ( وَهَلْ أَتَاكَ ) يا محمد ( حَدِيثُ مُوسَى ) ابن عمران ( إِذْ رَأَى نَارًا ) ذُكِرَ أَنْ ذَلِكَ كَانَ فِي الشَّتَاءِ لَيْلًا ، وَأَنَّ مُوسَى كَانَ أَضَلَّ الطَّرِيقِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ضَوْءَ النَّارِ ( قَالَ لِأَهْلِيهِ ) مَا قَالَ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قضى موسى الأجل ، سار بأهله ، فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورُفِعَتْ لَهُمْ نَارٌ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهَا ظَنُّوا أَنَّهَا نَارٌ ، وَكَانَتْ مِنْ نُورِ اللَّهِ ( قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه النخعي ، قال : لما قضى موسى الأجل ، خرج ومعه غنم له ، ومعه زنته له ، وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاراً ، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غداً بأهله وغنمه ، فتوكأ على عصاه ؛ فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته ، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه ، أخطأ فيها الطريق ، حتى لا يدري أين يتوجه ، فأخرج زنده ليقتمدح نار الأهل ، ليبيتوا عليها حتى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد زنده ، فلا يورى له ناراً ، فتدح حتى أعياه ، لاحت النار فرآها ، فقال لأهله ( امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ، أَوْ أَجِيدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ) . وعنى بقوله ( آنَسْتُ نَارًا ) وجدت ، ومن أمثال العرب بعد اطلاع إيناس ، ويقال أيضاً : بعد طلوع إيناس ، وهو مأخوذ من الأنس .

وقوله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) يقول : لعل آجيئكم من النار التي آنست بشعلة . والقَبَسُ : هو النار في طرف العود أو القصب ، يقول القائل لصاحبه : أقبسي ناراً ، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصب . وإنما أراد موسى بقوله لأهله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) لعل آتيكم بذلك لتصطلوا به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) قال : بقبس تصطاون .

وقوله ( أَوْ أَجِيدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ) دلالة تدل على الطريق الذي أضلناه ، إما من خبر هاد يهديننا إليه ، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ أَجِيدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ) يقول : من يدل على الطريق .

(١) المقام يقتضى أن يقول : حتى إذا أعياه ، لاحت ... الخ أو : فلاحت ، ثم لاحت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : هاديا يهديه الطريق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) : أي هداة يهدونه الطريق .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن صاحب له ، عن حديث ابن عباس ، أنه زعم أنها أيلة ( أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) وقال أبي ، وزعم قتادة أنه هدى الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : من يهديني إلى الطريق .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : هدى عن علم الطريق الذي أضلنا بنعت من خبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ( نَعَلَيْ آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : كانوا أضلوا عن الطريق ، فقال : لعل أجِد من يدلني على الطريق ، أو آتِيكُمْ بقبس لعلكم تصطلون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْؤَسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : فلما أتى النار موسى ، ناداه ربه ( يا موسى إني أنا ربك ، فاخلع نعليك ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : خرج موسى نحوها ، يعني نحو النار ، فإذا هي في شجر من العَلْيَق ، وبعض أهل الكتاب يقول في عَوْسَجَة ؛ فلما دنا استأخرت عنه ؛ فلما رأى استخارها رجع عنها ، وأوجس في نفسه منها خيفة ؛ فلما أراد الرجعة ، دنت منه ، ثم كلّم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله تبارك وتعالى ( يا موسى اخلع نعليك ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) فخلعها فألفاها .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه ، فقال بعضهم : أمره بذلك ، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فكره أن يبطأ بهما الوادي المقدّس ، وأراد أن يمسه من بركة الوادي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي قلابة ، عن

كعب ، أنه رأهم يخلعون نعالم ( اخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) فقال : كانت من جلد حمار ميت ، فأراد الله أن يمسه القدس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد ، عن قتادة ، قال : حدثنا ، أن نعليه كانتا من جلد حمار ، فخلعهما ثم أتاه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقيل له اخلعهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبوسفيان ، عن معمر ، عن جابر الجعفي ، عن علي بن أبي طالب ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقيل له اخلعهما . قال : وقال قتادة مثل ذلك .

وقال آخرون : كانتا من جلد بقر ، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه ، ليصل إليه بركتها .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال الحسن : كانتا ، يعنى نعلي موسى من بقر ، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض ، وكان قد قدس مرتين . قال ابن جريج : وقيل لمجاهد : زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة ، قال : لا ، ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعنى ابن علبية ، سمعت بن أبي نجيح ، يقول في قوله ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : يقول : أفض بقدميك إلى بركة الوادي .  
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ، ليباشر بقدميه بركة الوادي ، إذ كان واديا مقدسا .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما ، من أجل أنهما من جلد حمار ، ولا لنجاستهما ، ولا خبر بذلك عن يازم بقوله الحجة ، وإن في قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) بعقبه ، دليلا واضحا ، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا .

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن حميد بن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ، كَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ ، وَكِسَاءٌ صُوفٍ ، وَسَرَائِيلُ صُوفٍ ، وَتَعْلَانِ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ مُدَكِّيٍّ » صحيحا ، لم تعده إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ) فقرأ ذلك بعض قرءاء المدينة والبصرة ( تُودِي يَامُوسَى )

أُتِيَ ( بفتح الألف من « أُتِيَ » ، فأنَّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله : نودى ، فإن معناه كان عندهم : نودى هذا القول . وقرأه بعض عامة قراء المدينة والكووفة بالكسر : نودى ياموسى إنى ، على الابتداء ، وأن معنى ذلك : قيل يا موسى إنى .

حدثنا أبو جعفر : والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب ، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أنَّ قوله « يا موسى » ، وحظ قوله « نودى » أن يعمل في أنَّ لو كانت قبل قوله « ياموسى » ، وذلك أن يقال : نودى أن يا موسى إنى أنا ربك ، ولا حظ لها في « إن » التي بعد موسى .

وأما قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) فإنه يقول : إنك بالوادي المطهر المبارك . كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) يقول : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : قدس بورك مرتين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : بالوادي المبارك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( طُوًى ) فقال بعضهم : معناه : إنك بالوادي المقدس طُوًى ، فعلى هذا القول من قولهم ، طُوًى : مصدر خرج من غير لفظه ، كأنه قال : طُوًيت الوادي المقدس طُوًى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) يعني الأرض المقدسة ، وذلك أنه مرَّ بواديه ليلا فطواه ، يقال : طويتُ وادى كذا وكذا طُوًى من الليل ، وارتفع إلى أعلى الوادي ، وذلك نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم وقال آخرون : بل معنى ذلك : مرتين ، وقال : ناداه ربه مرتين ؛ فعلى قول هؤلاء طُوًى مصدر أيضا من غير لفظه ، وذلك أن معناه عندهم : نودى يا موسى مرتين ، نداءين . وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طُوًى ، أنه بمعنى مرتين ، قول عدى بن زيد العبادي :

أعاذلَ إنَّ اللّومَ في غَسِيرِ كُنْهيهِ عَلى طُوًى مِن غَيْبِكَ المُسَرِّدِ

وروى ذلك آخرون : « على ثننى » : أى مرّة بعد أخرى ، وقالوا : طُوًى وثُننى بمعنى واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) كنا نحدِّث أنه واد قدس مرتين ، وأن اسمه طُوًى .

(١) البيت لعدي بن زيد (اللسان : طوى) . قال : وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمتها) وهو الثنى المطوى مرتين ، فهو صفة بمنزلة ثنى وثنى (بكسر التاء وضمتها) ، وليس يعلم لثنى ، وهو مصروف لا غير ، كما قال عدى بن زيد : « أعاذل إن اللوم ... البيت » . ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذى في شعر عدى : « على ثنى من غيبك . أراد اللوم المكرر » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه قدس طُوَّى مرتين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، قال الحسن : كان قدس مرتين .

وقال آخرون : بل طُوَّى : اسم الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله طُوَّى : اسم للوادى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : طُوَّى : قال : اسم الوادى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَّى ) قال : ذلك الوادى هو طوى ، حيث كان موسى ، وحيث كان إليه من الله ما كان . قال : وهو نحو الطور . وقال آخرون : بل هو أمر من الله لموسى أن يطاء الوادى بقدميه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا صالح بن إسحاق ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تبارك وتعالى ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَّى ) قال : طأ الوادى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( طُوَّى ) قال : طأ الوادى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله ( طُوَّى ) قال : طأ الأرض حافيا ، كما تدخل الكعبة حافيا ، يقول : من بركة الوادى .

حدثنا القاسم ، ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد ، ( طُوَّى ) طأ الأرض حافيا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة ( طُوَّى ) بضم الطاء وترك التنوين ، كأنهم جعلوه اسم الأرض التى بها الوادى ، كما قال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهِمْ رَشَدُوا أَرْزَهُ  
بِحُنَيْنٍ حِينَ تَوَّأَكُلِ الْأَبْطَالِ

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان: حنين). والشاهد فيه أن حنين غير مصروف، لأنه جعله اسما للبهدة، كما قال المؤلف، وأولبقعة.



فلم يجر حنين ، لأنه جعله اسماً للبلدة لاللوادي : ولو كان جعله اسماً للوادي لأجراه كما قرأت القرآء ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ) ، وكما قال الآخر :

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحَلًا وَأَعْظَمَهُمْ بَيْطُنَ حِرَاءَ نَارًا

فلم يجر حراء ، وهو جبل ، لأنه جعله اسماً للبلدة ، فكذلك ( طَوَّى ) في قراءة من لم يجره ، جعله اسماً للأرض . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة ( طَوَّى ) بضم الطاء والتنوين ، وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه ، على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل ؛ فأما من أراد به المصدر من طويت ، فلا مؤنة في تنوينه ؛ وأما من أراد أن يجعله اسماً للوادي ، فإنه إنما ينونه لأنه اسم ذكر لا مؤنث ، وإن لام الفعل منه ياء ، فزاده ذلك خفة ، فأجراه كما قال الله ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ) إذ كان حنين اسم واد ، والوادي مذكر .

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندي بالصواب : قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين ، لأنه إن يكن اسماً للوادي فحظه التنوين ، لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك ، وإن كان مصدرًا أو مفسراً ، فكذلك أيضا حكمه التنوين ، وهو عندي اسم الوادي . وإذا كان ذلك كذلك ، فهو في موضع خفض ، ردًا على الوادي .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ، وَأَقِمِ

#### الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)

اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القرآء الذين قرءوا ( وَأَنَا ) بتشديد النون ، و ( أَنَا ) بفتح الألف من « أَنَا » ردًا على : نودي يا موسى ، كأن معنى الكلام عندهم : نودي ياموسى إلى أنا ربك ، وأنا اخترتك ، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرآء الكوفة . وأما عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرءوه ( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ) بتخفيف النون ، على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قرآءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما قرآء أهل العلم بالقرآن ، مع اتفاق معنيهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيبت الصواب فيه . وتأويل الكلام : نودي أَنَا اخْتَرْتُكَ ، فاجتبتك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ( فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ) يقول : فاستمع لوحي الذي نوحيه إليك وعيه ، واعمل به ( إِنِّي أَنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره : إِنِّي أَنَا المعبود الذى لا تصلح العبادة إلا له ( لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ) فلا تعبد غيرى ، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواى ( فَاعْبُدْنِي ) يقول : فأخلص العبادة لى دون كل ما عبده من دونى ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أقم الصلاة لى ، فإنك إذا أقمتها ذكرتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :

(١) البيت في (اللسان : حرى) قال الجوهري : لم يصرف حراء لأنه ذهب به إلى البلدة التي هو بها . وفي الحديث « كان يتحنث بحراء » مصروفًا ، وهو جبل من جبال مكة . وفي رواية اللسان : طرا ، في موضع : رحلا .

ثنا ورفاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدكرى ) قال : إذا صلى ذكر ربه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وأقيم الصلاة ليدكرى ) قال : إذا ذكر عبده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقم الصلاة حين تذكرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ( وأقيم الصلاة ليدكرى ) قال : يصلها حين يذكرها .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثني عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثني يونس ومالك بن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ، قال الله ( أقيم الصلاة ليدكرى ) » . وكان الزهري يقرأها : ( أقيم الصلاة ليدكرى ) بمنزلة فعلى .

يقول أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : أقم الصلاة لتذكرني فيها ، لأن ذلك أظهر معنييه ؛ ولو كان معناه : حين تذكرها ، لكان التنزيل : أقم الصلاة لتذكرها . وفي قوله ( ليدكرى ) دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ؛ ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار ، كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى : أقم الصلاة حين تذكرها ، وذلك أن الزهري وجهه بقراءته ( أقيم الصلاة ليدكرى ) بالألف لا بالإضافة إلى أقم لتذكرها ، لأن الهاء والألف حذفتا ، وهما مرادتان في الكلام ، ليوفق بينها وبين سائر رموس الآيات ، إذ كانت بالألف والفتح ، ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه ، إنما قصد الزهري بفتحها تصديره بالإضافة ألفا ، للتوفيق بينه وبين رموس الآيات قبله وبعده ، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة ، وقال : إنما ذلك كقول الشاعر :

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ مِمَّ آوَى إِلَى أُمَّا وَيُرْوِيهِ النَّقِيْعُ<sup>٢</sup>

وهو يريد : إلى أمي ، وكقول العرب : يا أبا وأما ، وهي تريد : يا أبي وأمي ، كان له بذلك مقال .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ  
لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦)

(١) في الأصل : إذ ، ولعله تحريف عن « إلى » .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٦) قال : والعرب تقول : بيتا وأما ، يريدون : بأبي وأمي ومثله ياولنا أعجزت ، وإن شئت جعلتها يا إضافة ، وإن شئت ياندة . اهـ . والنقيع والنقيعة : الحوض من اللبن يبرد ، قال ابن بري شاهده قول الشاعر : « . . . . . ويكفي النقيع » .

يقول تعالى ذكره : إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ( أكادُ أخفياً ) فعلى ضمّ الألف من أخفياً قراءة جميع قرآء أمصار الإسلام ، بمعنى : أكاد أخفياً من نفسى ، لئلا يطلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أكادُ أخفياً ) يقول : لا أظهر عليها أحدا غيرى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ) قال : لا تأتاكم إلا بغتة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ) قال : من نفسى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أكادُ أخفياً ) قال : من نفسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( أكادُ أخفياً ) قال : من نفسى .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد الطنافسى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( أكادُ أخفياً ) قال : يخفياً من نفسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أكادُ أخفياً ) وهى فى بعض القراءة : أخفياً من نفسى . ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء المرسلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف ( إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي ) .

وقال آخرون : إنما هو ( أكادُ أخفياً ) بفتح الألف من أخفياً ، بمعنى : أظهرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن سهل ، قال : سألتى رجل فى المسجد عن هذا البيت .

دَابَّ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيكًا بِأَرِيكَيْنِ بِخَفِيَانِ غَمِيرًا

(١) البيت لكعب (اللسان : والتاج : دمك) قالوا : يقال أقمت عنده شهرا دميكا ، أى شهرا تاما ، قال كعب : « داب شهرين ثم شهرا دميكا » . اهـ . ولم يذكر الشطر الثانى من البيت . وفى (معجم ما استعجم لليكرى ص ١٤٤) : قال أبو عبيدة : أريك فى بلاد ذبيان . قال : وهما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . ويخفيان : بفتح الياء يخرجان . والغمير : له معان كثيرة ، منها فى تاج العروس : الغمير : كأمير : حب الهمى الساقط من سنبله حين يبس ، أو نبات أخضر قد غمره اليبس . . . الخ .

فقلت : يظهران ، فقال ورقاء بن إياس وهو خالفي : أقرأنيها سعيد بن جبير (أكادُ أَخْفِيها) بنصب الألف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا : معناه : أكاد أخفيها من نفسى .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن مجاهد ، قال (إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيها) قالوا : من نفسى .

حدثني عميد بن إسماعيل الهبَّارى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (أكادُ أَخْفِيها) قال : من نفسى .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية من القول : قول من قال : معناه : أكاد أخفيها من نفسى ، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء ، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف : قراءة لأستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا .

فإن قال قائل : ولم وجهت تأويل قوله (أكادُ أَخْفِيها) بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفيها من نفسى ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين : أحدهما الإظهار ، والآخر الكتمان ؛ وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه ، إذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيئا هو به عالم ، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية ؟ قيل : الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت ، وإنما وجهنا معنى (أَخْفِيها) بضم الألف إلى معنى : أسترها من نفسى ، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر . يقال : قد أخفيت الشيء : إذا سترته . وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار ، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندى .

حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : أنشدني أبو الخطاب ، عن أهله في بلده :

فإن تُدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِيهِ وَإِنْ تَبَعْتُمُوهَا الْحَرْبَ لَا تَنْقُصُهُ

بضم النون من لا تخفه ، ومعناه : لا نظهره ، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار ، على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت ، على ما وصفت من ضم النون من تخفه . وقد أنشدني الثقة عن الفراء :

فإن تُدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِيهِ

بفتح النون من تخفه ، من خفَّيته أخفيه ، وهو أولى بالصواب ، لأنه المعروف من كلام العرب . فإذا كان ذلك

(١) البيت لامرئ القيس بن عابس الكندى . استشهد به صاحب (اللسان : خفا) على أن قوله لا تخفه ، بفتح النون أى لا نظهره . وكذا قرئ قوله تعالى : « أكاد أخفيها » أى أظهرها . حكاه الليثي ، عن الكسائي ، عن محمد بن سهل ، عن سعيد بن جبير . اهـ . قال في اللسان : يقال خفيت الشيء مخفيا : أظهرته واستخرجته ، يقال خفي المطر الفئار : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، أى من جحرتهن . قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب .

وخفيت الشيء أخفيه : كتمته ، وهو من الأضداد . وأخفيت الشيء : سترته وكتمته . ورواية المؤلف البيت كما في معاني القرآن للفراء . وفي (اللسان : خفا) : « فإن تكتموا السر لا تخفه » .

كذلك ، وكان الفتح فى الألف من أخفيها غير جائز عندنا ، لما ذكرنا ، ثبت وصح الوجه الآخر ، وهو أن معنى ذلك : أكاد أسترها من نفسى .

وأما وجه صحة القول فى ذلك ، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم ، وجرى به خطابهم بينهم ؛ فلما كان معروفا فى كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة فى الخير عن إخفائه شيئا هو له مسرّ : قد كدت أن أخفى هذا الأمر عن نفسى ، من شدة استسراى به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته ، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم ، وما قد عرفوه فى منطقتهم ، وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا . وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال ، لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، إذ كنا لانستجيز الخلاف عليهم ، فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر . فأما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانزعاج من كلام العرب ، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين ، وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف ، فإنهم اختلفوا فى معناه بينهم ، فقال بعضهم : يحتمل معناه : أريد أخفيها ؛ قال : وذلك معروف فى اللغة . وذكر أنه حكى عن العرب أنهم يقولون : أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم ، وقال : معناه : لأنزل إلا عليهم ، قال : وحكى : أكاد أبرح منزلى : أى ما أبرح منزلى ، واحتجّ ببيت أنشده لبعض الشعراء :

كادت وكدت وتلك خير إرادة      لو عاد من عهد الصباية ما مضى<sup>١</sup>

وقال : يريد بكادت : أرادت ؛ قال : فيكون المعنى : أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال :  
ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل :

سريع إلى الهياج شاك سلاحه      فما إن يكاد قرنه يتنفس<sup>٢</sup>

وقال : كأنه قال : فما يتنفس قرنه ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وقال ذو الرمة :

إذا غيّر النأى المحبين لم يكد      رسيس الهوى من حب مية يسبح<sup>٣</sup>

(١) البيت فى (اللسان : كيد) . قال : ويقال : فلان يكيد أمرا ما أدري ما هو ؟ إذا كان يريد به ، ويحتمل له ، ويسعى له . وقال : « بلغوا الأمر الذى كادوا » : يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأنشد أبو بكر فى كاد بمعنى أراد ، للأفوه :  
فإن نجيع أوتاد وأعمدة      وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا  
أراد : الذى أرادوا . وأنشد :

كادت وكدت وتلك خير إرادة      لو ( كان ) من أمر الصباية ما مضى

قال : معناه : ما أرادت . قال : ويحتمل قوله تعالى : « لم يكدرها » لأن الذى عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليد ، والإبصار إليها . والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد ، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « أكاد أخفيها » .

(٢) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف . واستشهد به صاحب (اللسان : كاد) على أن كاد قد تجيء صلة فى الكلام . قال : وتكون كاد صلة للكلام ( زائدة ) ، أجاز ذلك . الأخفش وقطرب وأبو حاتم . واحتج قطرب بقول الشاعر : « سريع . . . الخ » . معناه : ما يتنفس قرنه . ولكن أبا جعفر الطبرى جعله شبيها بالشاهد السابق عليه ، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن . وإن التى قبل يكاد : زائدة ، أو نافية مؤكدة لما النافية قبلها .

(٣) هذا البيت من حائية ذى الرمة المشهورة ( ديوانه طبعة كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٧٨ ) قال شارحه : النأى البعد . رسيس الهوى : مسه ، وما غنى منه ، أو أوله ، ويقال : لم يجد رسيس الحمى . واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه : لم يبرح ، =

قال : وليس المعنى : لم يكذب يبرح : أى بعد يُسر ، ويبرح بعد عُسر ؛ وإنما المعنى : لم يبرح ، أو لم يرد يبرح ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وكذلك قول أبي النجم :

وَإِنْ أَنْتَ نَعِيٌّ فَانْدُبْنَ أَبَا قَدَّ كَادَ يَضْطَلِعُ الْأَعْدَاءَ وَالْحَطْبَاءَ

وقال : يكون المعنى : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد ، لأن معناه :

أكاد أن آتى بها ؛ قال : ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : وذلك نظير قول ابن ضائب :

هَمَمْتُ وَكَمْ أَفْعَلُ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي أَقَارِبُهُ ٢

فقال : كدت ، ومعناه : كدت أفعل .

وقال آخرون : معنى (أخفيها) : أظهرها ، وقالوا : الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى

الإظهار ، واستشهد بعضهم لقبيله ذلك بيت الفرزدق :

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجَ جَرَدًا سَيْفَهُ أُسْرَ الْخَرَوْرِيِّ الَّذِي كَانَ أَضْمَرَ ٣

= أو لم يرد يبرح ؛ وعلى هذا يكون الفعل (يكاد) زائدا في الكلام ، وقد جاء في (اللسان : رسن) رواية أخرى للبيت ، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف ، من أن المعنى على زيادة (يكاد) ، وهى :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيصَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَسْبِرُحُ

وهذه الرواية هى التى عدل إليها الشاعر ، حين خطأه ابن شبرمة قاضى البصرة ، لما سمعه ينشد القصيدة فى المريد . ولكن المحققين قالوا إن بديهة ذى الرمة فى الرواية الأولى ، كانت أجود من رويته ، (فى الرواية الثانية) . وقد بين العلامة المحقق رضى الله الدين الأستراباذى : محمد بن الحسن ، صواب الرواية الأولى ، بأن معنى لم يكذب : لم يقرب وأن نون مقاربة الشيء أبلغ من نفي الشيء ، فيكون معنى البيت : إذا غير البعاد قلوب المحبين ، فبعاد مية عنى لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ، ولا يقارب أن يذهب به . (وانظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، طبعة الأستانة ٢ : ٣٠٦ أفعال المقاربة) . وقد أبطل الرضى زعم من زعم من النحاة « أن نون كاد إثبات ، وأن إثباته نون » ؛ وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه .

(١) البيت لأبى النجم كما قال المؤلف . والشاهد فى قوله « كاد يضطلع » فقد ذهب المؤلف أن معناه : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل . وعلى هذا التخريج للبيت يكون الفعل (كاد) صلة (زائدة) ، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده . ويضطلع الأعداء : أى يضطلع بهم وبالخطب ، أسقط الباء ، فعدى الفعل بنفسه إلى المفعول الذى كان مجرورا بالباء ، قبل إسقاطها . يقال اضطلع بحمله ، أى قوى عليه ونهض به . وهو من الضلعة أى القوة . وفى (اللسان : ضلع) : واضطلع الحمل أى احتمله أضلاعه . وقال ابن السكيت : يقال : هو مضطلع بحمله ، أى قوى على حمله ، وهو مقتعل من الضلعة . والنعى : الناعى الذى يخبر بموت من مات .

(٢) البيت لضائب بن الحارث البرجمي ، حبسه الخليفة عثمان ، لأنه كان فحاشا ، هجا قوما فأراد عثمان تأديبه ، فلما دعى ليؤدب ، شد سكيناً فى ساقه ، ليقتل بها عثمان ، فمثر عليه ، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه . والبيت من مقطوعة لامية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر (رغبة الأمل ، بشرح الكامل للمرصنى ٤ : ٩١) .

فلا تتبعنى إن هلكت ملامة فليس بعار قتل من لا أقاتله

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلالة

والشاهد فى قوله : كدت ، أى كدت أفعل ما همت به من قتل عثمان . وهو نظير ما فى القرآن : « إن الساعة آتية أكاد » . ذهب قوم إلى أن معناه : أكاد أن آتى بها . ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . والبيت لضائب لا لابنه كما قال المؤلف .

(٣) لم أجدها هذا البيت فى ديوان الفرزدق ، وهو من شواهد أبى عبيدة (اللسان : سرر) قال : أسررت الشيء : أخفيته ، وأسررته : أعلته ، ومن الإظهار قوله تعالى : وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، أى أظهروها . وأنشد للفرزدق :

وقال : عَسَى بقوله : أسرّ : أظهر . قال : وقد يجوز أن يكون معنى قوله ( وأسروا الندامة ) وأظهروها . قال : وذلك أنهم قالوا : ( ياليتنا نردُّ ولا نكذبُ بآياتِ ربِّنا ) . وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم : جائز أن يكون قول من قال : معنى ذلك : أكاد أخفيها من نفسى ، أن يكون : أراد أخفيها من قبلى ومن عندى . وكلّ هذه الأقوال التى ذكرنا عن ذكرنا ، توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف ، وغير جائز توجيه معانى كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ، فى ذلك ، مع خلافهم تأويل أهل العلم ، فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه .

وقوله ( لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ) يقول تعالى ذكره : إن الساعة آتية لتجزى كل نفس : يقول : لثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة فى الدنيا بما تسعى : يقول : بما تعمل من خير وشر ، وطاعة ومعصية . وقوله ( فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ) يقول تعالى ذكره : فلا يردّك يا موسى عن التأهب للساعة ، من لا يؤمن بها ، يعنى : من لا يقرّ بقيام الساعة ، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات ، ولا يرجو ثوابا ، ولا يخاف عقابا . وقوله ( وَاتَّبِعْ هَوَاهُ ) يقول : اتبع هوى نفسه ، وخالف أمر الله ونهيه ( فتردى ) يقول : فهلك إن أنت انصدت عن التأهب للساعة ، وعن الإيمان بها ، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فناهم ، بصدّ من كفر بها . وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله ( فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ) كناية عن ذكر الإيمان ، قال : وإنما قيل عنها ، وهى كناية عن الإيمان ، كما قيل ( إن ربك من بعدّها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) يذهب إلى الفعلة ، ولم يجز للإيمان ذكر فى هذا الموضع ، فيجعل ذلك من ذكره ، وإنما جرى ذكر الساعة ، فهو بأن يكون من ذكرها أولى .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

#### وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧)

يقول تعالى ذكره : وما هذه التى فى يمينك يا موسى ؟ فالجاء فى قوله ( يَمِينِكَ ) من صلة تلك ، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذى ؛ ومنه قول يزيد بن مفرغ :

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمْنِيَّتٍ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ

كأنه قال : والذى تحملين طليق .

« فلما رأى الحجاج جرد سيفه » البيت . قال شمر : لم أجد هذا البيت للفرزدق ، وما قال غير أبي عبيدة فى قوله « وأسروا الندامة » : أى أظهروها . قال : ولم أسمع ذلك لغيره . قال الأزهري : وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار . وقيل : أسروا الندامة : يعنى : الرؤساء من المشركين أسروا الندامة فى سفلتهم الذين أضلّوهم ، وأسروها : أخفوها ، وكذلك قال الزجاج ، وهو قول المفسرين . والحورى : الخارجى نسبة إلى حوراء ، وهى أول مجتمعاتهم لما نابوا أمير المؤمنين عليا ، وأظهروا التحكيم « لاحكم إلا الله » . قسموا المحكمة ، والحوروية ، والخوارج .

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى ، يخاطب بقلته حين هرب من عبيد الله بن زياد وأخيه عباد ، وكان ابن مفرغ يهجوها إذا تأخر عليه العطاء ، وله قصة مشهورة . وعدس : زجر للبعل ، أو اسم له . ويروى نجوت فى مكان : أمنت ( اللسان : عدس ) . وهذا : اسم إشارة ، وقد وصل بحملة تحملين ، فصار من الأسماء الموصولة فى قول بعض النحويين . هذا : مبتدأ . وجملة تحملين : صلة . طليق : خبر لمبتدأ . أى والذى تحمله طليق ، ليس لأحد عليه سلطان .

ولعلَّ قائلًا أن يقول : وما وجه استخبار الله موسى عما في يده ؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا ؟ قيل له : إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه ، وإنما قال ذلك عزَّ ذكره له إذا أراد أن يحولها حية تسعى ، وهي خشبة ، فنبه عليها ، وقرَّره بأنها خشبة يتوكأ عليها ، ويهشُّ بها على غنمه ، ليعرفه قُدْرته على ما يشاء ، وعظم سلطانه ، ونفاذ أمره فيما أحبَّ ، بتحويله إياها حية تسعى ، إذا أراد ذلك به ، ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه .

### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ، وَلِي فِيهَا مَثَرَبٌ أُخْرَى (١٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى : قال موسى مجيبا لربه ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) يقول : أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي ؛ يقال منه : هَشَّ فلان الشجر يهشُّ هشا ؛ إذا اختبط ورق أغصانها ، فسقط ورقها ؛ كما قال الراجز :

أهشُّ بالعصا على أغنمى  
من ناعيم الأراك والبشام

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) قال : أخبط بها الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) قال : أخبط ؛ حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) قال : كان نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم يهشُّ على غنمه ورق الشجر .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) يقول : أضرب بها الشجر للغم ، فيقع الورق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) قال : يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم ، ويهشُّ بها ، يحرك الشجر حتى يسقط الورق : الحيلة وغيرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن عكرمة ( وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي ) قال : أضرب بها الشجر ، فيسقط من ورقها على .

(١) في (اللسان : هش) : الهش ، أن تنثر ورق الشجر بعضا . هَشَّ الغنم يشه هشا : خبطه ؛ فأق ورقه لغمه ، ومنه قوله عز وجل : « وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي » ، قال الفراء : أى أضرب بها الشجر اليابس ، ليسقط ورقها ، وترعاه غنمه . والأراك والبشام : نوعان من الشجر ترعاهما المشاة ، وفي أغصانها لين ، وقد تأكلها المشاة إذا كانت خفرا .



حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة يقول ( وأهشُّ بها على غنمى ) قال : أضرب بها الشجر ، فيساقط الورق على غنمى .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وأهشُّ بها على غنمى ) يقول : أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمى .  
 وقوله ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) يقول : ولى فى عصاى هذه حوائج أخرى ، وهى جمع مأربة ، وفيها للعرب لغات ثلاث : مأربة بضم الراء ، ومأربة بفتحها ، ومأربة بكسرها ، وهى متفعلة من قولهم : لأرب لى فى هذا الأمر : أى لاحتاجة لى فيه . وقيل أخرى وهن مآرب جمع ، ولم يقل أُخرى ، كما قيل ( له الأسماءُ الحُسنى ) وقد بينت العلة فى توجيه ذلك هنالك .  
 وبنحو الذى قلنا فى معنى المآرب قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سهاك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حوائج أخرى قد علمتها .  
 حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) يقول : حاجة أخرى .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حاجات .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حاجات ومنافع .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حاجات .  
 حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) يقول : حوائج أخرى : أحمل عليها الميزود والسقاء .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حوائج أخرى .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) قال : حاجات ، منافع أخرى .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( ولى فيها مآربٌ أُخرى ) : أى منافع أخرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَآلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ) قال : حوائج أخرى سوى ذلك .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مَارِبٌ أُخْرَى ) قال : حاجات أخرى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَلْقِيهَا يَمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا ، فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : ألق عصاك التي بيمينك يا موسى ، يقول الله جل جلاله : فألقاها موسى ، فجعلها الله حية تسعى ، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة ، وعصا يتوكأ عليها ، ويهش بها على غنمه ، فصارت حية بأمر الله .

كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سهاك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قيل لموسى : ألقها يا موسى ، ألقاها ( فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ) ولم تكن قبل ذلك حية ؛ قال : ففرت بشجرة فأكلتها ، ومرت بصخرة فابتلعها ؛ قال : فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها ؛ قال : فوالى مُدْبِرًا ، فنودي : أن يا موسى خذها ، فلم يأخذها ؛ ثم نودي الثانية : أن ( خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ) فلم يأخذها ؛ فقيل له في الثالثة : ( إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ) ، فأخذها .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال له ، يعني لموسى ربه ( أَلْقِيهَا يَا مُوسَى ) يعني ( فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ) - فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ) فنودي ( يَا مُوسَى لَا تَخَفْ ، إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، ( قَالَ أَلْقِيهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ) تهتز ، لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون ، فرأى أمرا فظيحا ( فَوَالَىٰ مُدْبِرًا ، وَلَمْ يُعَقِّبْ ) فناداه ربه ( يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) .

وقوله ( قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ) يقول تعالى ذكره ، قال الله لموسى : خذ الحية ، والهاء والألف من ذكر الحية ( وَلَا تَخَفْ ) يقول : ولا تخف من هذه الحية ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) يقول : فإننا سنعيد لها طبيعتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية ، ونردّها عصا كما كانت . يقال لكل من كان على أمر فتركه ، وتحوّل عنه ثم راجعه : عاد فلان سيرته الأولى ، وعاد لسيرته الأولى ، وعاد إلى سيرته الأولى .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( سيرتها الأولى ) يقول : حالتها الأولى .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سيرتها الأولى ) قال : هيئتها .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( سننعيدها سيرتها الأولى ) أي سردّها عصا كما كانت .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( سننعيدها سيرتها الأولى ) قال : إلى هيئتها الأولى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى (٢٢) لِئُرِيكَ مِنْ

آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)

يقول تعالى ذكره : واضمم يا موسى يدك ، فضعها تحت عضدك ، والجناحان هما اليدان ، كذلك روى الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحبار . وأما أهل العربية ، فإنهم يقولون : هما الجنبان . وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز :

أَضْمُهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إلى جناحك ) قال : كفه تحت عضده .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وقوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء ، من غير برص ، مثل الثلج ، ثم ردّها ، فخرجت كما كانت على لونه .

(١) في (اللسان : جنح) : وجناحا الطائر : يده . وجناح الإنسان يده . ويدها الإنسان : جناحاه . وقال الزجاج : الجناح : العضد ، ويقال : اليد كلها جناح . هـ . وجناحا العسكر جناباه ، وجناحا الوادي : مجريان عن يمينه وشماله . هـ . ولم أقف على قائل الرجز .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه .  
حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، في قوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( مِِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قُرَّة ، عن الحسن في قول الله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : أخرجها الله من غير سوء ، من غير برص ، فعلم موسى أنه لقي ربه .  
وقوله ( آيَةٌ أُخْرَى ) يقول : وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى ، على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه ، ونصب آية على اتصالها بالفعل ، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي . وقوله ( لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ) يقول تعالى ذكره : واضمم يدك ياموسى إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء ، كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدْرَتنا ، وقال الكبرى فوحّد ، وقد قال ( مِِنْ آيَاتِنَا ) كما قال ( لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) وقد بينّا ذلك هنالك . وكان بعض أهل البصرة يقول : إنما قيل الكبرى ، لأنه أريد بها التقديم ، كأن معناها : عنده لريك الكبرى من آياتنا .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)  
وَأَحْمِلْ عُقْدَةَ مِنْ لَسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠)  
يقول تعالى ذكره لنبية موسى صلوات الله عليه : ( اذْهَبْ ) يا موسى ( إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) يقول : إنه تجاوز قدره ، وتمرد على ربه . وقد بينّا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، في هذا

الموضع ، وفي الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه ، وهو قوله ( اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) فادعه إلى توحيد الله وطاعته ، وإرسال بنى إسرائيل معك ( قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) يقول ربِّ اشرح لي صدري ، لأعني عنك ماتودعه من وحيك ، وأجترئ به على خطاب فرعون . ( وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ) يقول : وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة ، وتحملني من الطاعة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) قال : جرأة لي .

وقوله ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ) يقول : وأطلق لساني بالمنطق ، وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام ، للذي كان من إلقائه الجمره إلى فيه ، يوم هم فرعون يقتله .  
ذكر الرواية بذلك عن قاله

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبير ، ( في قوله عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ) قال : عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن امرأه فرعون ، تردّ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدوّ لي ، فقالت له : إنه لا يعقل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ) لجمرة نار أدخلها في فيه عن امرأه فرعون ، تدرأ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدوّ لي ، فقالت له : إنه لا يعقل ، هذا قول سعيد بن جبير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ) قال : عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه ، عن امرأه فرعون ، تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما تحرك الغلام ، يعني موسى أورته أمه آسية صبيبا ، فبينما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه ؛ فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته ، فنتفها ، فقال فرعون : عليّ الذباحين ، قالت آسية : ( لَاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني ، أنا أضع له حليا من الياقوت ، وأضع له جمر ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل ، فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ، ووضعته له طسنتا من جمر ، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فطرح في يده جمره ، فطرحها موسى في فيه ، فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَتَفَقَّهُوا قَوْلِي ) ، فزالت عن موسى من أجل ذلك .

وقوله ( يَتَفَقَّهُوا قَوْلِي ) يقول : يفقهوا عنى ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام ( وَأَجْعَلْ لِي

(١) في النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية : فترالت ، ولعله : فزالت ، أي العقدة .

وَزَيْرًا مِّنْ أَهْلِى ( يقول : واجعلنى لى عوناً من أهل بيتى ( هَارُونَ أَخِي ) وفى نصب هارون وجهان : أحدهما أن يكون هارون منصوباً على الترجمة عن الوزير .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس : كان هارون أكبر من موسى .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)

يقول تعالى ذكره : محبباً عن موسى إنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون . وإنما يعنى بقوله ( أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ) قَوْظَهْرِي ، وأعنى به ، يقال منه : قد أزر فلان فلاناً : إذا أعانه وشدّ ظهره .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ) يقول : أشدد به ظهرى .  
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ) يقول : أشدد به أمرى ، وقوتى به ، فإن لى به قوّة .  
وقوله ( وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ) يقول : واجعله نبياً مثل ما جعلتنى نبياً ، وأرسله معى إلى فرعون ( كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ) يقول : كى نعظمك بالتسبيح لك كثيراً ( وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ) فنحمدك ( إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ) يقول : إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شئاً .  
وذكر عن عبد الله بن أبى إسحاق أنه كان يقرأ ( أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ) بفتح الألف من أشدد ( وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ) بضم الألف من أشركه ، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه ، أنه يفعل ذلك ، لاعلى وجه الدعاء ، وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء ، أو جواب الدعاء ، وذلك قراءة لأرى القراءة بها ، وإن كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التى لا يجوز خلافها .

## القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ  
أَمْرِكَ مَا يُؤْتِي (٣٨)

(١) لم يبين المؤلف الوجه الثانى فى نصب هارون ، وقد بينه الشركانى فى تفسيره فى «فتح القدير» طبعة الحلبي (٣ : ٣٥١) قال : وانتصاب «وزيراً» و«هارون» : على أنهما مفعولاً اجعل . وقيل مفعولاً : «لى وزيراً» ، ويكون هارون عطف بيان للوزير . قلت : وعنى المؤلف بالترجمة : البدل ، وهو أخو عطف البيان .

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم : قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك ، من شرحه صدرك ، وتيسيره لك أمرك ، وحل عقدة لسانك ، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك ، وشد أزرك به ، وإشراكه في الرسالة معك . ( وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مِرَّةً أُخْرَى ) يقول تعالى ذكره : ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى ، وذلك حين أوحينا إلى أمك ، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ، ما أوحينا إليها ؛ ثم فسّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه ، فقال : هو : أن اقدفيه في التابوت . فأن في موضع نصب ، ردّاً على « ما » التي في قوله ( ما يُوحَى ) ، وترجمة عنها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ، فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ، فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ، يَا خُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوِّي لَهُ ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي .

يقول تعالى ذكره : ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا إلى أمك . أن اقدفي ابنك موسى ، حين ولدتك ، في التابوت ( فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ) يعني باليم : النيل ( فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ) يقول : فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ، يلقه اليم بالساحل ، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر ، كأن اليم هو المأمور ، كما قال جل ثناؤه : ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلِنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ) يعني : اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم . ففعلت ذلك أمه به ، فألقاه اليم بمشرفة آل فرعون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ولدت موسى أمه أرضعته ، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك ، عمدت إليه ، فصنعت به ما أمرها الله تعالى ، جعلته في تابوت صغير ، ومهدت له فيه ، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه ، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة ، فبينما هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت ، فقذف به ، وآسية ابنة مزارح امرأته جالسة إلى جنبه ، فقال : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به ، ففتح التابوت ، فإذا فيه صبي في مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه . وعنى جل ثناؤه بقوله ( يَا خُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوِّي لَهُ ) فرعون هو العدو ( كان ) لله ولموسى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ) وهو البحر ، وهو النيل .

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ) ، فقال بعضهم : عني بذلك أنه حبه إلى عباده .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عليّ الصدّاق والعباس بن محمد الدورى ، قالا : ثنا حسين الجعفي عن موسى بن

قيس الحضرمي ، عن سلمة بن كهيل ، في قول الله ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) قال عباس : حبيبتك إلى عبادي ، وقال الصدائي : حبيبتك إلى خلقي .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أي حسنت خلقتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني إبراهيم بن مهدي ، عن رجل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) قال : حسنا وملاحة .  
قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى ، كما قال جل ثناؤه ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) فحبيه إلى آسية امرأة فرعون ، حتى تبذته وغذته وربته ، وإلى فرعون ، حتى كف عنه عاديته وشره . وقد قيل : إنما قيل : وألقيت عليك محبة مني : لأنه حبيه إلى كل من رآه . ومعنى ( الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) : حبيبتك إليهم ، يقول الرجل لآخر إذا أحبه : ألقىت عليك رحمتي : أي محبتي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ، فَلَمَّ بَتَّ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي (٤٠)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) فقال بعضهم : معناه : ولتغذى وتربني على محبتي وإرادتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : هو غذاؤه ، ولتغذي على عيني .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : جعله في بيت الملك ، يُسْعَمُ وَيُسْتَرَفُ ، غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت بعيني في أحوالك كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : أنت بعيني إذ جعلتلك أمك في التابوت ، ثم في البحر ( وَإِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ) ، وقرأ ابن نهيك ( وَلِتُصْنَعَ ) بفتح التاء . وتأوله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) فسألته عن ذلك ، فقال : ولتعمل على عيني .



قال أبو جعفر: والقراءة التي لأستجير القراءة بغيرها (وَلِتُصْنَعَ) بضم التاء، لإجماع الحجة من القراءة عليها. وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قتادة، وهو (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) ولتغذي على عيني، ألقى عليك المحبة مني. وعنى بقوله (عَلَى عَيْنِي) بمراي مني ومحبة وإرادة.

وقوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ؟) يقول تعالى ذكره: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ): استغناء بدلالة الكلام عليه. وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما ألقته أمه في اليم (قَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ) فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المراضعات فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟) فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدُلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قالت: يعني أم موسى لأخته: قُصْبِيهِ، فانظري ماذا يفعلون به، فخرجت في ذلك (فَبَيَّصَرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وقد احتاج إلى الرضاع، والتمس الثدي، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه. فلا يؤتى بامرأة، فيقبل ثديها، فيؤم مريضهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع. فلا يقبل شيئا منهم، فقالت لهم أخته، حين رأت من وجد هيم به، وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ): أي لمنزلة عندكم وحرصكم على مسرة الملك. وعنى بقوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ): هل أدلكم على من يضمه إليه، فيحفظه ويرضعه ويربيه. وقيل: معنى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها.

وقوله (فَرَجَعْنَاهَا إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) يقول تعالى ذكره: فرددناك إلى أمك، بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والفرق في اليم، وكيفا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأنت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسرروا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقر عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله، أن ردّها عليها ولدّها، وعطف عليها. نفع فرعون وأهل بيته، مع الأمانة من القتل الذي يستخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره.

وقوله (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) يعني جل ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكره موسى. وقوله (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك، بقتلك النفس التي

قتلت ، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم ، حتى هربت إلى أهل مدين ، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك . وكان قتله إياه فيما ذكر خطأ ، كما حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَاً ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا ، فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا » .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ) قال : من قتل النفس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ) النفس التي قتل . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) فقال بعضهم : ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) يقول : اختبرناك اختبارا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) قال : ابتليت بلاء .

حدثني العباس بن الوليد الآملي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني ، قال أخبرنا القاسم بن أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبیر ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن قول الله لموسى ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لى : استأنف النهار يا بن جبیر ، فإن لها حديثا طويلا ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس ، لأنتجز منه ما وعدنى ، قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بنى إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ؛ فلما هلك قالوا : أليس هكذا كان الله وعد إبراهيم ، فقال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فآتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الشفار ، يطوفون في بنى إسرائيل ، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ؛ فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بأجلهم وأن الصغار يذبحون ؛ قالوا : يوشيك أن تفسنوا بنى إسرائيل ، فتصبرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، فيقتل أبناؤهم ، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا ، فتشبه الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم ، فتخافون مكائرتهم إياكم ، ولن يقلوا بمن تقتلون ؛ فأجمعوا أمرهم على ذلك ، فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا بن جبیر ، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله

إليها (ألا تخافى ولا تحزنى، إننا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين). وأمرها إذا ولدته أن تجعله فى تابوت، ثم تلقيه فى اليم؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها، أتاها إبليس، فقالت فى نفسها: ما صنعت بابنى؟ لو ذبح عندى، فواريته وكفتته، كان أحب إلى من أن ألقى بيدي إلى حيطان البحر ودوابه، فانطلق به الماء، حتى أوفى به عند فرضة مستمتى جوارى آل فرعون، فرأيته فأخذنه، فهمن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن فى هذا مالا، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملته كهيئته، لم يحر كن منه شيئا، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألستى عليه منها محبة لم يُلُق مثلها منها على أحد من الناس (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) من كل شيء إلا من ذكر موسى؛ فلما سمع الذبائحون بأمره، أقبلوا إلى امرأة فرعون بشيفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا بن جبير؛ فقالت للذبائحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل، فأتى فرعون فأستوبه إياه، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجلمتم، وإن أمر بذبجه لم أملككم؛ فلما أتت به فرعون (قالت قرّة عين لى ولك) قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لى فيه. فقال: والذى يخلف به، لو أقر فرعون أن يكون له قرّة عين، كما أقرت به، لهداه الله به، كما هدى به امرأته، ولكن الله حرّمه ذلك، فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن، لتختار له ظمرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به، فأخرج إلى السوق، يجمع الناس، ترجو أن تصيب له ظمرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد، وأصبحت أم موسى، فقالت لأختها: قصيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا، أحنى ابنى، أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه ونسيت الذى كان الله وعدّها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له، هل يعرفونه؟ حتى شككوا فى ذلك، وذلك من الفتون يا بن جبير؛ فقالت: نصحهم له، وشفقتهم عليه، رغبتهم فى ظؤورة الملك، ورجاء منفعتهم، فتركوها؛ فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت؛ فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها، حتى امتلأ جنباه، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون، يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظمرا، فأرسلت إليها، فأثبتت بها وبه؛ فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثى عندى حتى ترضعى ابنى هذا، فإنى لم أحب حبه شيئا قط؛ قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتى، فيكون معى، لا آلوه خيرا، فعلت، وإلا فإنى غير تاركة بيتى وولدى، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدّها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منسجيز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرّة التى كانت فيهم؛ فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيرينى ابنى، فوعدها يوما تزيروها إياه فيه، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى بهدية وكرامة، ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصى كل ما يصنع كل إنسان منكم؛

فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه ، إلى أن دخل على امرأة فرعون ؛ فلما دخل عليها تحلته وأكرمه ، وفرحت به ، وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت : انطلقن به إلى فرعون ، فلينحله ، وليكرمه ، فلما دخلوا به عليه ، جعلته في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال عدو من أعداء الله : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه ، وذلك من الفتون يا بن جبير ، بعد كل بلاء ابتلى به ، وأريد به ، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي ؟ قال : ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ، فقالت : اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقرّهنّ إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين ، واجتنب الجمرتين ، علمت أنه يعقل ؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرّب ذلك إليه ، فتناول الجمرتين ، فزعهما منه ، مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه ، بعد ما قد همّ به ، وكان الله بالغا فيه أمره .

فلما بلغ أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يتخلّص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا تخشع ، حتى امتنعوا كل امتناع ؛ فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة ، إذ هو يرجلين يقتتلان ، أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى ، واشتد غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبيل الرضاة ، غير أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ؛ فوكر موسى الفرعوني فقتله ، وليس يراها أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) ثم قال (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) الأخبار ، فأتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك ، فقال : ابغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بيّنة ولا ثبّت ، فطلبوا له ذلك ؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبّتا ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعّل بالأمس واليوم (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ) فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال . فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ) أن يكون إياه أراد ، ولم يكن إياه ، وإنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي ، فحاجز الفرعوني ، فقال (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتاركا ؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر ، حين يقول : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسي بالأمس ؟ فأرسل فرعون الذباحين ، فسلك

موسى الطريق الأعظم ، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم . وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر ، وذلك من الفتون يا بن جبير .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فُتُونَا ) قال : بلاء : إلقاءه في التابوت ، ثم في البحر ، ثم التقاط آل فرعون إياه ، ثم خروجه خائفا .  
 قال محمد بن عمرو ، وقال أبو عاصم : خائفا ، أو جائعا « شك أبو عاصم » ، وقال الحارث : خائفا يترقب ، ولم يشك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله وقال : ( خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) ولم يشك .

حدثنا بيشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) يقول : ابتليناك بلاء . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) هو البلاء على إثر البلاء .  
 وقال آخرون : معنى ذلك : أخلصناك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) أخلصناك إخلاصا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، قال : سمعت سعيد ابن جبير ، يفسر هذا الحرف ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) قال : أخلصناك إخلاصا .

قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة ، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الإعادة في هذا الموضع .

وقوله ( فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه ، اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف . ومعنى الكلام : وفتناك فتونا ، فخرجت خائفا إلى أهل مدين ، فلبثت سنين فيهم .

وقوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) يقول جل ثناؤه : ثم جئت للوقت الذى أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولقذاره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) يقول : لقد جئت لميقات ياموسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي عمير ، عن مجاهد ، قال ( على قدر يا موسى ) قال : موعده .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : على ذي موعده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( على قدر يا موسى ) قال : قدر الرسالة والنبوة . والعرب تقول : جاء فلان على قدر : إذا جاء لميقات الحاجة إليه ؛ ومنه قول الشاعر :

نالَ الخِلافةَ أو كانتَ له قَدْرًا      كما أتى رَبَّهُ مُوسَى على قَدْرًا

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْطَنَعْتُمْكَ لِنَفْسِي (٤١) إِذْ هَبَّ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِثَأبِي ، وَلَا تَنبِيأ فِي ذِكْرِي (٤٢) أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ ظَنَى (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ( وَأَصْطَنَعْتُمْكَ لِنَفْسِي ) أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ، ومننت عليك هذه المنن ، اجتباء مني لك ، واختيارا لرسالتي والبلاغ عنى ، والقيام بأمرى ونهيي ( اذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ) هارون ( بِثَأبِي ) يقول : بأدلتى وحججى ، اذها إلى فرعون بها ، إنه تمرد في ضلاله وغيه ، فأبلغاه رسالتي ، ( وَلَا تَنبِيأ فِي ذِكْرِي ) يقول : ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما ، فإن ذكركما إيناي يقوى عزائمكما ، ويثبت أقدامكما ، لأنكما إذا ذكرتماني ، ذكرتما مني عليكما نعمًا جمّة ، ومننا لا تحصى كثرة . يقال منه : وثى فلان في هذا الأمر ، وعن هذا الأمر : إذا ضعف ، وهو يثى وثى ، كما قال العجاج :

فَمَا وَثَى مُحَمَّدٌ مَذُّهُ أَنْ غَفَسَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَنبِيأ ) يقول : لا تبطلنا .

(١) هذا البيت لجرير ، من قصيدة عدة أبياتها تسعة وعشرون بيتا في ديوانه ( طبعة الصاوي بالقاهرة ٢٧٤ - ٢٧٦ ) والرواية فيه : « نال الخِلافة » كرواية المؤلف . وفي بعض كتب الشواهد : « جاء الخِلافة » . وفي هامش الديوان : ويروي : « عز الخِلافة » البيت . ومحل الشاهد في البيت ، قوله : « عل قدر » فإن معناه : القضاء الموافق . قال في ( اللسان : قدر ) : يقال : قدر الإله كذا تقديرا ؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت جاء قدره . وقال ابن سيده : القدر والقدر ( بسكون الدال وتحريكها ) : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز ( ١٤ ، ١٥ ) من أرجوزة للعجاج ( ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥ ) والوني ، كما في ( اللسان : وثى ) الفترة في الأعمال والأمور ، وقد وثى يثى وثيا ووثيا ( عل فعول ) . أى ضعف . وتوثى في حاجته قصر . وفي حديث عائشة تصف أباهما ، رضي الله عنهما : « سبق إذ وثينم » : أى قصرتم وقترتتم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : ولا تضعفا في ذكرى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : لا تضعفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( تَنبِيَا ) تضعفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : لا تضعفا في ذكرى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : لا تضعفا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : لا تضعفا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : الواني : هو الغافل المفرط ذلك الواني .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ

أَنْ يَطْغَى (٤٥)

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون : فقولا لفرعون قولا لينا ، ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له ، هو أن يكسنياه .

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفي ، قال : ثنا علي بن صالح ، عن السدي ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ) قال : كسنياه .

وقوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) اختلف في معنى قوله ( لَعَلَّهُ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم معناها هاهنا الاستفهام ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : فقولا له قولا لينا ، فانظرا هل يتذكر ويراجع ، أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ؟

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) يقول : هل يتذكر أو يخشى ؟

وقال آخرون : معنى لعل ههنا كى . ووجهها معنى الكلام إلى ( اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) فادعوا وعيظه ليتذكر أو يخشى ، كما يقول القائل : اعمل عملك ، لعلك تأخذ أجرك ، بمعنى : لتأخذ أجرك ،

وأفرغ من عملك لعلنا نتعدى ، بمعنى : لتتعدى ، أو حتى نتعدى . ولكلا هذين القولين وجه حسن ، ومذهب صحيح .

وقوله (قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهارون : ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه ، أن يعجل علينا بالعقوبة ، وهو من قولهم : فرط مني إلى فلان أمر : إذا سبق منه ذلك إليه ، ومنه : فرط القوم ، وهو المتعجل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل ، كما قال الراجز :

قَدْ فَرَطَ الْعِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجِلْ<sup>١</sup>

وأما الإفراط : فهو الإسراف والإشطاط والتعدى . يقال منه : أفرطت في قولك : إذا أسرف فيه وتعدت . وأما التفريط : فإنه التواني . يقال منه : فرطت في هذا الأمر حتى فات : إذا تواني فيه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أن يَفْرُطَ عَلَيْنَا ) قال : عقوبة منه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ، أَوْ أَنْ يَطْغَى ) قال : نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك ، يَفْرُطُ ويعجل . وقرأ ( لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ، فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧)

يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون ( لا تخافا ) فرعون ( إنني معكما ) أعينكما عليه ، وأبصركما ( أسمع ) ما يجري بينكما وبينه ، فأفهمكما ما تتحاورانه به ( وأرى ) ما تفعلان ويفعل ، لا يخفى على من ذلك شيء ( فأتياه فقولوا ) له ( إننا رسولا ربك ) . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ( قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ) ما يحاوركما ، فأوحى إليكما فتجاوبانه .

(١) في (اللسان) فرط ( عليه يفرط : عجل عليه وعدا وآذاه . وقال الفراء في قوله تعالى : « إننا نخاف أن يفرط علينا » قال : يعجل إلى عقوبتنا . والعلاج : الرجل القوي الضخم . ولم أعرف قائل الراجز .



وقوله ( فَأْتِيَاهُ فَتَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ) أرسنا إليك بأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل ، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ ) معجزة ( مِنْ رَبِّكَ ) على أنه أرسلنا إليك بذلك ، إن أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أربناكها ( وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبِعَ الْهُدَى ) يقول : والسلامة لمن اتبع هدى الله ، وهو بيانه ، يقال : السلام على من اتبع الهدى ، ولمن اتبع ، بمعنى واحد .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذِبٍ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى؟ (٤٩)

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون : قولوا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لانفاد له ، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته ، وإجابة رسله ( وَتَوَلَّى ) يقول : وأدبر معرضا عما جئناه به من الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذِبٍ وَتَوَلَّى ) كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله ( قَالَ قَمِينَ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ) في هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو قوله ( فَأْتِيَاهُ ) فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته ، فقال فرعون لهما ( قَمِينَ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ) فخطب موسى وحده بقوله : يا موسى ، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الجاوبة إنما تكون من الواحد ، وإن كان الخطاب بالجماعة لامن الجميع ، وذلك نظير قوله ( نَسِيًا حُوتَهُمَا ) وكان الذي يحمل الحوت واحد ، وهو قتي موسى ، يدل على ذلك قوله ( إِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ) .

وقوله ( قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) يقول تعالى ذكره : قال موسى له مجيبا : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ، يعني : نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم ، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا ، وكذلك الذكور من البهائم ، أعطاهم نظير خلقها ، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا ، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه ، فيزوجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هداهم للمأقن الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه ، ولسائر منافعهم من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ) يقول: خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحيه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) يقول : أعطى كل دابة خلقها زوجا ، ثم هدى للنكاح .  
وقال آخرون : معنى قوله ( ثُمَّ هَدَى ) أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) يعني : هدى بعضهم إلى بعض ، أَلَّفَ بين قلوبهم ، وهداهم للتزويج ، أن يزوج بعضهم بعضا .  
وقال آخرون : معنى ذلك : أعطى كل شيء صورته ، وهي خلقه الذي خلقه به ، ثم هداه لما يصلحه من الاحتياج للغذاء والمعاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) قال : أعطى كل شيء صورته ، ثم هدى كل شيء إلى معيشته .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) قال : سوى خلق كل دابة ، ثم هداها لما يصلحها ، فعلمها إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) قال : سوى خلق كل دابة ، ثم هداها لما يصلحها ، وعلمها إياه ، ولم يجعل الناس في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الناس ، ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديرا .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) قال : هداه إلى حيلته ومعيشته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعطى كل شيء ما يصلحه ، ثم هداه له :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) قال : أعطى كل شيء ما يصلحه ، ثم هداه له .  
قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شيء خلقه ، ولا يعطى المعطى نفسه ، بل إنما يعطى ما هو غيره ، لأن العطية تقتضي المعطى والمُعطى والعطية ، ولا تكون العطية هي المعطى ، وإذا لم تكن هي هو ، وكانت غيره ، وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه ، كان معلوما أنه إذا قيل : أعطى الإنسان صورته ، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع

غيره دعى إنسانا ، فكأن قائله قال : أعطى كل خلق نفسه ، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معالي العظيمة ، وإن كان قد يحتمله الكلام . فإذا كان ذلك كذلك ، فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كل شيء أعطاه ربه مثل خلقه ، فزوجه به ، ثم هداه لما بيننا ، ثم ترك ذكر مثل ، وقيل ( أعطى كل شيء خلقه ) كما يقال : عبد الله مثل الأسد ، ثم يحذف مثل ، فيقول : عبد الله الأسد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى؟ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لموسى ، إذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان ، وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال ، فما شأن الأمم الخالية من قبلنا ، لم تقر بما تقول ، ولم تصدق بما تدعو إليه ، ولم تخلص له العبادة ، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه ، وأنها في نعيمه تتقلب ، وفي مدينه تتصرف . فأجابه موسى فقال : علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك ، عند ربى في كتاب : يعنى فى أم الكتاب ، لا علم لى بأمرها ، وما كان سبب ضلال من ضل منهم ، فذهب عن دين الله ( لا يضل ربى ) يقول : لا يخطئ ربى فى تديره وأفعاله ، فإن كان عذب تلك القرون فى عاجل ، وعجل هلاكها ، فالصواب ما فعل ، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة ، فالحق ما فعل ، هو أعلم بما يفعل ، لا يخطئ ربى ( ولا ينسى ) فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ) يقول : لا يخطئ ربى ولا ينسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ) يقول فما أعمى القرون الأولى ، فوكلها نبى الله موكيلا فقال : ( عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ) . . . الآية يقول : أى أعمارها وآجالها .

وقال آخرون : معنى قوله ( لا يضل ربى ولا ينسى ) واحد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا يضل ربى ولا ينسى ) قال : هما شيء واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والعرب تقول : ضل فلان منزله : إذا أخطأه ، يضل به بغير ألف ، وكذلك ذلك فى كل ما كان من

شيء ثابت لا يبرح ، فأخطأه مريده ، فإنها تقول : أضله ، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب ، فإنها تقول : أضل فلان بعيره أو شاته أو ناقته ، يُضله بالألف . وقد بيننا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ، وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله ( مَهْدًا ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مِهَادًا ) بكسر الميم من الميهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء ، وكذلك عملهم ذلك في كل القرآن . وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك ، أنه إنما اختاره من أجل أن الميهاد : اسم الموضع ، وأن المهد الفعل ؛ قال : وهو مثل الفرش والفراش . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( مَهْدًا ) بمعنى : الذي مهد لكم الأرض مهداً .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مشهورتان ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فيها .

وقوله ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) يقول : وأنبج لكم في الأرض طرقاً ، والهاء في قوله فيها : من ذكر الأرض .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) : أي طرقاً .

وقوله ( وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يقول : وأنزل من السماء مطراً ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه ، بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه ، وثنائه على ربه بما هو أهله ، يقول جل ثناؤه : فأخرجنا نحن أيها الناس بما نزل من السماء من ماء أزواجاً ، يعني ألواناً من نبات شتى ، يعني مختلفة الطعوم ، والأرابيع والمنظر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ) يقول : مختلف .

القول في تأويل قوله تعالى

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه ، وما هو من أقواتكم وغذائكم ، وارعوا فيما هو أرزاق بها تمكم منه وأقواتها أنعامكم (إن في ذلك آيات) يقول : إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم ، وعظيم سلطانه آيات : يعني لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم ، وأن لا إله لكم غيره (أولى النهى) يعني : أهل الحجى والعقول . والنهى : جمع نهي ، كما الكشي : جمع كشيته .

قال أبو جعفر : والكشي : شحمة تكون في جوف الضب ، شبيهة بالسرّة ، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولى النهى ، لأنهم أهل التفكير والاعتبار ، وأهل التدبير والاعتاظ :

#### القول في تأويل قوله تعالى

\* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)

يقول تعالى ذكره : من الأرض خلقناكم أيها الناس ، فأنشأناكم أجساما ناطقة (وفيها نُعِيدُكُمْ) يقول : وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم ، فنصيركم ترابا ، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا (ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) يقول : ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء ، فننشئكم منها ، كما أنشأناكم أول مرة . . وقوله (تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرة أخرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرة أخرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَارَةً أُخْرَى) قال : مرة أخرى الخلق الآخر .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا ، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى ، كما أخرجناكم منها أول مرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرينا فرعون آياتنا ، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولنا ، موسى وهارون إليه كلها (فَكَذَّبَ وَأَبَى) أن يقبل من موسى وهارون ما جاء به من عند ربهما من الحق ، استكبارا وعتوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ؟ فَلَمَّا تَيَسَّنَا بِسِحْرِ مِثْلِهِ ، فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)

﴿ يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى ، أجنثنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به ( فَلَسْنَا تَيْبَنَّاكَ بِيَحْتِرٍ مِثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ) لا نتعداه ، لنجىء بسحر مثل الذي جئت به ، فننظر أينما يغلب صاحبه ، لا تخلف ذلك الموعد ( نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ) يقول : بمكان عدل بيننا وبينك ونصف .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( مَكَانًا سَوِيًّا ) بكسر السين ، وقرأته عامة قراء الكوفة ( مَكَانًا سَوِيًّا ) بضمها .

﴿ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما لغتان ، أعني الكسر والضم في السين من « سوى » مشهورتان في العرب . وقد قرأت بكل واحد منهما علماء من القراء ، مع اتفاق معنيهما ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح ، كما قال جل ثناؤه ( تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ) وإذا فتح السين منه مد ، وإذا كسرت أو ضمت قصير ، كما قال الشاعر :

فإن أبانا كان حلالاً ببلدة سوي بين قيس قيس عيلان والفزرا

ونظير ذلك من الأسماء : طوي ، وطوي ، وثني وثني ؛ وعدي ، وعدي .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مَكَانًا سَوِيًّا ) قال : منصفاً بينهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَكَانًا سَوِيًّا ) : أي عادلاً بيننا وبينك . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( مَكَانًا سَوِيًّا ) قال : نصفاً بيننا وبينك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ) قال : يقول : عدلاً .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( مَكَانًا سَوِيًّا ) قال : مكاناً مستويًا يمين للناس مافيه ، لا يكون صوب ولا شيء ، فيغيب بعض ذلك عن بعض ، مستوي حين يرى .

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفي (اللسان : سوى) قال : قال الأخفش : « سوى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضمنت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعاً ، وإن فتحت : مدت . تقول مكان سوى وسوى وسواء : أي عدل ووسط بين القرينين ، قال موسى بن جابر : « وجدنا أبانا . . . البيت » . والفزرا : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ

آتَىٰ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون ، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع : موعدا لكم للاجتماع ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) يعني يوم عيد كان لهم ، أو سوق كانوا يتزينون فيه ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ) يقول وأن يساق الناس من كل فج وناحية ( ضُحًى ) فذلك موعدا ما بيني وبينك للاجتماع .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ، وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم زينة لهم ، ويوم عيد لهم ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) إلى عيد لهم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم السوق .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) موعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قال : موسى « مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى » وذلك يوم عيد لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) يوم عيد كان لهم . وقوله ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم العيد ، يوم يتفرغ الناس من الأعمال ، ويشهدون ويحضرون ويرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) يوم عيد كان فرعون يخرج له ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) حتى يحضروا أمرى وأمرى ، وأن من قوله ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) رفع بالعطف على قوله ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) .

وذكر عن أبي نهبك في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقول : ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) يعني فرعون يحشر قومه .

وقوله ( فَتَوَّأَى فِرْعَوْنُ ) يقول تعالى ذكره : فأدبر فرعون معرضاً عما أتاه به من الحق ( فجمع كَيْدُهُ ) يقول : فجمع مكره ، وذلك جمعه سموتته بعد أخذه إياهم بتعلمه ، ( ثُمَّ أَتَى ) يقول ، ثم جاء للموعد الذي وعده موسى ، وجاء بسحرته .

### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ : وَيَلْسَكُمُ الْإِلَهَ تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ  
أَفْتَرَىٰ (٦١)

يقول تعالى ذكره : ( قَالَ مُوسَىٰ ) للسحرة لما جاء بهم فرعون ( وَيَلْسَكُمُ ) لانفسرتوا على الله كذباً ) يقول : لانخلقوا على الله كذباً ، ولا تتقولوه ( فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ) فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم . وللعرب فيه لغتان : سَحَّتْ ، وأَسَحَّتْ ، وسَحَّتْ ، أكثر من أسحت ، يقال منه : سحت الدهر ، وأسحت مال فلان : إذا أهلكه فهو يسحته سحناً ، وأسحته يسحته إسحاناً . ومن الإسحات قول الفرزدق :  
وَعَضُّ زَمَانَ يَا بَنَ مَرَّوَانَ لَمْ يَدَعْ  
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا  
ويروى : إلا مسحت أو مجلف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ) يقول : فيهلككم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ) يقول : يستأصلكم بعذاب .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ) قال : يستأصلكم بعذاب فيهلككم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ) قال : يهلككم هلاكاً ليس فيه بقية ، قال : والذي يسحت ليس فيه بقية .

(١) هذا البيت للفرزدق من نقيضته التي مطلعها « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف » وقيل بيت الشاهد قوله ( انظر ديوانه طبعه الصاوي ص ٥٦٥ ) :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَيْنَا هُمُومُ الْمُسَىٰ وَالهُوَجَلُّ الْمُتَعَسِّفُ

ورواية الشاهد عند المؤلف موافقة لرواية ( اللسان : جلف ) . قال : قال أبو الفوت : المسحت : الملك . والمجلف : الذي بقيت منه بقية ، أو هو الذي أخذ من جوانبه . والمجلف أيضاً : الرجل الذي جلفته السنون ، أي أذهبت أمواله . وفي ( اللسان : سحت ) قوله عز وجل « فيسحتم بعذاب » : قرئ : فيسحتم بعذاب ، ويسحتم . بفتح الياء والحاء ، ويسحت ( بضم الياء ) أكثر . فيسحتم ( بفتح الياء والحاء ) : يقشركم . ويسحتم ( بضم الياء ) يستأصلكم ، وأسحت ماله : استأصله وأفسده ، قال الفرزدق :  
« وعض زمان . . . أو مجلف » . أما رفع مجلف ، فهو على تقدير ضمير مبتدأ ، كأنه قال : أو هو مجلف . والبيت شاهد عند الطبري ، على أن معنى قوله لاني : فيسحتم : يستأصلكم .



حدثنا موسى قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) يقول يهلككم بعذاب .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (فَيَسْحِتْكُمْ) .  
بفتح الياء من سحت يسحت . وقرأته عامة قراء الكوفة (فَيُسْحِتْكُمْ) بضم الياء من أسحت يسحيت .  
قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ  
القارئ فصيب ، غير أن الفتح فيها أعجب إلى لأنها لغة أهل العالية . وهي أفصح ، والأخرى وهي الضم في نجد .  
وقوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) يقول : ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله ، بكذبه ذلك ، بحاجته  
التي طلبها به ، ورجا إدراكها به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ، وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا : إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ  
يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (٦٣)  
يقول تعالى ذكره : فتنازع السحرة أمرهم بينهم .

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال :  
ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) قال : السحرة بينهم : إن  
كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه ، وإن كان من السماء فله أمر .  
وقال آخرون : بل هو أن بعضهم قال لبعض : ما هذا القول بقول ساحر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع  
كل ساحر جباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكى على عصاه ، حتى أتى المجمع ، وفرعون في مجلسه ،  
معه أشراف أهل مملكته ، قد استكف له الناس ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم ( وَيَلْسِكُمْ لِاتْفَتَرُوا  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) فتراد السحرة بينهم ، وقال بعضهم  
لبعض : ما هذا بقول ساحر .

وقوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) يقول تعالى ذكره : وأسروا السحرة المناجاة بينهم .

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه ، فقال بعضهم : هو قول بعضهم لبعض : إن كان هذا ساحرا  
فإننا سنغلبه ، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب  
ابن منبه ، قال : أشار بعضهم إلى بعض بتناج ( إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ  
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا

النَّجْوَى) من دون موسى وهارون ، قالوا في نجواهم : (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قالوا : إن هذان لساحران ، يَعْسُون بقولهم : إن هذان موسى وهارون ، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) موسى وهارون صلى الله عليهما .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنَّ هَذَانِ) بتشديد إن وبالألف في هذان ، وقالوا : قرأنا ذلك كذلك . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : «إن» خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . وقال بعض نحوي الكوفة : ذلك على وجهين : أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، يجعلون الاثني في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف . وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث ابن كعب :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغَا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

قال : وحكى عنه أيضا : هذا خط يدا أخي أعرفه ، قال : وذلك وإن كان قليلا أقيس . لأن العرب قالوا : مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ، لأنها لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ؛ قالوا : فلما رأوا الياء من الاثني لا يمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحا ، تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان في كل حال . قال : وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين ، في الرفع والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلا بني كنانة ، فإنهم يقولون : رأيت كَيْسِي الرجلين ، ومررت بكلي الرجلين ، وهي قبيحة قليلة مَضَوَا على القياس . قال : والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من هذا دعامة ، وليست بلام «فعلى» ؛ فلما بنيت زدت عليها نونا ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لاترول بكل حال ، كما قالت العرب الذي ، ثم زادوا نونا تدل على الجمع ، فقالوا : الذين في رفعهم ونصبهم

(١) البيت للمتلص : جرير بن عبد العزى ، وقيل جرير بن عبد المسيح ، من كلمة له رواها ابن السجري (انظر كتاب الأسموني في النحو بشرح الأستاذ محيي الدين عبد الحميد طبعة الحلبي ١ : ٤٧) . قال : أطرق : سكت فلم يتكلم وأرغى عينيه ينظر إلى الأرض . والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها . أو هو الحية العظيمة تشب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها ، وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون في الصحارى . ومسافا : اسم مكان من ساف يسوغ ؛ إذا دخل ونفذ . وصمم عض ونيب . والبيت جار على لغة بني الحارث بن كعب ومن لف لفهم ، والشاهد فيه أن قوله لناباه مثنى مجرور باللام ، وقد جاء بالألف ، وهي لغة بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم ويطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزيد وششم وهمدان وعذرة . ويخرج بعض النحويين على هذه اللغة قوله تعالى : «إن هذان لساحران» وقوله صلى الله عليه وسلم «لا وتران في ليلة» . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٩٨ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ) فقراءتنا بتشديد إن ، وبالألف على جهتين : إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثني في رفعهما وخفضهما بالألف ، أنشدني رجل من الأسد عنهم « فأطرق إطراق الشجاع » . . . البيت . وحكى هذا الرجل عنهم : هذا شط يدا أخي ، أعرفه بعينه . وذلك وإن كان قليلا أقيس . ( وساق المؤلف كلام الفراء إلى آخره ) .

وخفضهم ، كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه . قال : وكان القياس أن يقولوا : الَّدُون . وقال آخر منهم : ذلك من الجزم المرسل ، ولونصب لخرج إلى الانبساط .

وحُدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس : إن هذين لساحران في اللفظ ، وكتب « هذان » كما يريدون الكتاب ، واللفظ صواب . قال : وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم ، يرفعون الاثنيْن في موضع الجرِّ والنصب . قال : وقال بشر بن هلال : إن بمعنى الابتداء والإيجاب . ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها ، فترفع الخبر ولا تنصبه ، كما نصبت الاسم . فكان مجاز « إن هذان لساحران » ، مجاز كلامين ، تخرجه : إنه : إى نَعَم ، ثم قلت : هذان ساحران . ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابي :

فَمَنْ يَلِكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَاتِي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبًا

وقوله :

إِنَّ السُّيُوفَ غَدُوها وَرَوَّاحِها تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْصَبِ ٢

قال : ويقرل بعضهم : إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يرفعون على شركة الابتداء ، ولا يعملون فيه إن . قال : وقد سمعت الفصحاء من أُمِّ حُرَيمٍ يقولون : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . قال : وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها . قال : ويجوز : لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل ، قال :

أُمُّ الحُلَيْسِ لِعَجُوزٍ شَهْرَبَةَ ٣

(١) البيت لضابي بن الحارث البرجمي ، وهو أول أبيات قالها وهو محبوبس بالمدينة ، في زمن عثمان بن عفان . وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد في الكامل ( خزنة الأدب للبغدادي ٤ : ٣٢٣ - ٣٢٨ ) واستشهد به النحاة على أن قوله ( قيار ) مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، والتقدير : فإني ، وقيار كذلك لغريب . وإنما لم يجعل الخبر لقيار ، ويكون خبر إن محذوفاً ؛ لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم ، نحو لقائم زيد . وهذا تخريج له خلاف مذهب سيبويه ، فإن الجملة عنده في نية التأخير ، وهي معطوفة لا معترضة . وزعم الكسائي والفراء أن نصب إن ضميت لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن إن قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل ، إلا فيما لم يسم فاعله . وكيف يكون نصب إن ضعيفاً وهي تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها ، نحو « إن فيها قوما جبارين » ، ونصب إن من أقوى المنصوبات . هـ .

(٢) البيت للأخطال ( خزنة الأدب للبغدادي ٢ : ٣٧٢ ) من قصيدة له ستة عشر بيتاً مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثاني ، أي يعتبر المبدل منه في اللفظ ، دون البديل ، فإن قوله « غدوها » بدل من السيوف ، قال المبرد في الكامل : هو بدل اشتغال ، وقد روعي المبدل منه في اللفظ ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يراع البديل ولو روعي لقبيل « تركا » بالثنائية . وهو آزن : أبو قبيلة ، وهو هو آزن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . والأعضب : الذي أنكر أحد قرنيه . وأورد المؤلف البيت شاهداً على أنهم قد يرفعون المشترك ، أي المعطوف على اسم إن ، وليس في البيت عطف على اسم إن ، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبو علي الفارسي في إيضاح الشعر .

(٣) هذا بيت من مشطور الرجز نسبة الصاغاني في العباب إلى عنترة بن عروش بالشين في آخره ، وقيل بالسين ، مولى ثقيف . ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادي ٤ : ٣٢٨ - ٣٣٠ ) . وهو شاهد على أنه شذ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر ، مجرداً من إن . وقد ر بعضهم : طى عجوز ، لتكون في التقدير داخلية على المبتدأ . قال ابن السراج في الأصول : قال أبو عتبان : وقرأ سعيد بن جبير ( إلا أنهم ليأكلون الطعام ) : فتح أن ، وجعل اللام زائدة كما زيدت في قوله :

أم الحليس لعجوز شهر به ترضى من اللحم بعظم الرقبة =

قال : وزعم قوم أنه لا يجوز ، لأنه إذا خفف نون « إن » فلا بد له من أن يدخل « إلا » فيقول : إن هذا إلا ساحران .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ( إنَّ ) بتشديد نونها ، وهذان بالألف ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه كذلك هو في خطِّ المصحف . ووجهه إذا قرئ كذلك : مشابهته الذين ، إذ زادوا على الذى النون ، وأقرّ في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة ، فكذلك ( إنَّ هَذَا ) زيدت على « هذا » نون ، وأقرّ في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة ، وهى لغة بَلْحَرِث بن كَعْب ، وخِثْعَم ، وزُيَيْد ، ومن وليهم من قبائل اليمن .

وقوله ( وَيَدَّ هَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : ويغلبا على ساداتكم وأشرفكم ، يقال : هو طريقة قومه ، ونظيرة قومه : ونظيرتهم : إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه ، يقال ذلك للواحد والجمع ، وربما جمعوا ، فقالوا : هؤلاء طرائق قومهم ؛ ومنه قول الله تبارك وتعالى ( كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا ) وهؤلاء نظائر قومهم . وأما قوله ( الْمُثَلَّى ) فإنها تأنيث الأمثل ، يقال للمؤنث : خذ المثلَّى منهما . وفي المذكر : خذ الأمثلَ منهما ، ووَحَّدَت المثلَّى ، وهى صفة ونعت للجماعة ، كما قيل ( لهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) ، وقد يحتمل أن يكون المثلَّى أنثى لتأنيث الطريقة .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَدَّ هَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : أمثلكم وهم بنو إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَدَّ هَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : أولى العقل والشرف والأنساب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَيَدَّ هَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : أولى العقول والأشرف والأنساب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَدَّ هَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) وطريقتهم المثلَّى يومئذ كانت بنو إسرائيل . وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا . قال عدو الله : إنما يريد أن يذهب بهم لأنفسهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : ببني إسرائيل .

انتهى . وعند ابن جنى غير زائدة ، لكنها فى البيت ضرورة . قال فى سر العنتاة : وأما الضرورة التى تدخل لها اللام فى غير خبر إن فى ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها ؛ والوجه أن يقال : لأم الخليس عجوز شهيرة ، كما يقال لزيد قائم . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أن اللام فى « وقبارها لغريب » هى لام ابتداء آخرت إلى الخبر ، كما فى قول الراجز : أم الخليس لعجوز ، وأصله : لأم الخليس عجوز .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَيَذْهَبَا بِطَرَيْقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : يذهبا بأشرف قومكم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وبغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه ؛ من قولهم : فلان حسن الطريقة .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرَيْقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : يذهبا بالذي أنتم عليه ، بغير ما أنتم عليه . وقرأ ( ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ) قال : هذا قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرَيْقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) وقال : يقول طريقتم اليوم طريقة حسنة ، فإذا غيّرت ذهبت هذه الطريقة .

وروي عن عليّ في معنى قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرَيْقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : بصرفان وجوه الناس إليهما .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرَيْقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام ، فإن تأويل أهل التأويل خلافه ، فلا أستجيز لذلك القول به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ أَيُّهَذَا صَفَا ، وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى (٦٤)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) بهمز الألف من ( فَأَجْمِعُوا ) ، ووجهها معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه ؛ من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ؛ ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَسْنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَعْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي يُجْمَعُ

يعني بقوله : « جمع » : قد أحكم وعزم عليه ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ لَمْ يُجْمَعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَا صَوْمَ لَهُ » .

(١) البيت في (اللسان : جمع) ولم ينسب . قال : وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له ، والأمر بجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا . . . وقال آخر : « ياليت شعري . . . البيت » . وقوله تعالى : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » ، أي : وادعوا شركاءكم . قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله ؛ لأنه لا يقال : أجمعت « شركائي » ، إنما يقال : جمعت . وقال القراء : الإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصب شركاءكم بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم . قال أبو إسحاق : الذي قاله القراء غلط في إضماره : « وادعوا شركاءكم » ، لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم ؛ وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه . قالوا : والواو : بمعنى مع ، كقولك : « لوتركت الناقة وفصيلها لرضعها » . المعنى : لوتركت الناقة مع فصيلها . قال ومن قرأ : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال : ويجوز : فأجمعوا أمركم مع شركائكم .

وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة ( فاجتمعوا كيئدكم ) بوصل الألف ، وترك همزها ، من جمعت الشيء ، كأنه وجهه إلى معنى : فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به . وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتلّ فيها ذكر لى لقراءته ذلك كذلك بقوله ( فتته لى فيرعون فجمع كيئده ) .

قال أبو جعفر : والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع ، لإجماع الحجة من القرآء عليه ، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين ، فلا وجه لأن يقال لهم : اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون ، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده ، ولم يكن ذلك يوم تزيد فى علمهم بما كانوا يعملونه من السحر ، بل كان يوم إظهاره ، أو كان متفرقاً مما هو عنده ، بعضه إلى بعض ، ولم يكن السحر متفرقاً عندهم فيجمعونه . وأما قوله ( فجمع كيئده ) فغير شبيه المعنى بقوله ( فاجمعوا كيئدكم ) وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً ، فقيل : فتولى فرعون فجمع كيئده .

وقوله ( ثم اثتوا صفواً ) يقول : احضروا وجيئوا صفاً ؛ والصف ههنا مصدر ، ولذلك وحده ، ومعناه : ثم اثتوا صفوفاً ، وللصف فى كلام العرب موضع آخر ، وهو قول العرب : أتيت الصف اليوم يعنى به المصلى الذى يصلى فيه .

وقوله ( وقد أفلح اليوم من استعلت ) يقول : قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع فرعون الناس لذلك الجمع ، ثم أمر السحرة فقال : ( اثتوا صفواً وقد أفلح اليوم من استعلت ) أى قد أفلح من أفلح اليوم على صاحبه .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)

يقول تعالى ذكره : فأجمعت السحرة كيئدهم ، ثم أتوا صفاً فقالوا لموسى : ( يا موسى إمّا أن تلقى وإمّا أن نكون أول من ألقى ) وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاءً بدلالة الكلام عليه . واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفاً ، فقال بعضهم : كانوا سبعين ألف ساحر . مع كل ساحر منهم حبل وعصا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم . قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بزرة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ؛ فألقى موسى عصاه ، فإذا هى ثعبان ميين فاغر به فاه ، فابتلع حبالهم وعصيتهم . ( فألقى السحرة سجداً ) عند ذلك .

فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها ، فعند ذلك ( قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ ) .

وقال آخرون : بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ( قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَكُونٌ نَحْنُ الْمُلْتَقِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى ) : ألقوا ، فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا .  
وقال آخرون : بل كانوا خمسة عشر ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه .  
وقال آخرون : كانوا تسع مئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان السحرة ثلاث مئة من العريش ، وثلاث مئة من فيوم ، ويشكون في ثلاث مئة من الاسكندرية ؛ فقالوا لموسى : إما أن تلقى مامعك قبلنا ، وإما أن تلقى مامعنا قبلك ، وذلك قوله ( وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ) وأن في قوله ( إِمَّا أَنْ ) في موضع نصب ، وذلك أن معنى الكلام : اختر يا موسى أحد هذين الأمرين : إما أن تلقى قبلنا ، وإما أن نكون أول من ألقى . ولو قال قائل : هو رفع كان مذهبا ، كأنه وجهه إلى أنه خبر كقول القائل : فَسَيَرَا فِيمَا حَاجَةً تَقْضِيَانِيهَا وَإِمَّا مَقِيلٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ<sup>١</sup> وقوله ( قَالَ بَلْ أَلْقُوا ) يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة : بل ألقوا أنتم ما معكم قبلى . وقوله ( فَلِذَا حَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ لِتَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَهَا تَسْعَى ) . وفي هذا الكلام متروك ، وهو : فألقوا ما معهم من الحبال والعصى ، فإذا حبالهم ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه . وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس ، قبل أن يلقوا حبالهم وعصيتهم ، فخيّل حينئذ إلى موسى أنها تسعى .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ، الورقة ١٩٨ ) قال : وقوله « إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى » : أن وأن : في موضع نصب ، والمعنى : اختر إحدى هاتين ؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل ، كان صوابا ، كأنه خبر . كقول الشاعر : « فسيرا . . . البيت . . . » . ولو رفع « فيما منا بعد وإما فداء » كان أيضا صوابا . ومذهبه كذهب قوله : « فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان » والنصب في قوله « إما أن تلقى » وفي قوله « فيما منا بعد وإما فداء » : أجود من الرفع ، لأنه شئ ليس بعام ، مثل ما ترى من معنى قوله « فإمسك » و « فصيام ثلاثة أيام » لما كان المعنى يعم الناس في الإمساك بالمعروف وفي صيام الثلاثة الأيام في كفارة اليمين ، كان كالجزاء ، فرفع لذلك . والاختيار إنما هي فعلة واحدة .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : ( قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا ) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد . ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادي ، يركب بعضها بعضا . واختلفت القراءة في قراءة قوله ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بالياء بمعنى : يخيل إليهم سعيها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع رفع . ورؤى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه ( يُخَيَّلُ ) بالتاء ، بمعنى : تخيل حبالهم وعصيمهم بأنها تسعى . ومن قرأ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع نصب لتعلق تخيل بها . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بمعنى : تتخيل إليه . وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا فـ « أن » في موضع نصب بمعنى : تتخيل بالسعي لهم . والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها ( يُخَيَّلُ ) بالياء ، لإجماع الحجة من القراءة عليه .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله : ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ ) خوفا موسى فوجدته . وقوله ( قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ) يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة لا تخف إنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة ، وعلى فرعون وجنده ، والقاهر لهم ( وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ) يقول : وألق عصاك لتبتلع حبالهم وعصيمهم التي سحروها ، حتى خيل إليك أنها تسعى . وقوله ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ ) اختلفت القراءة في قراءة قوله ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض قرآء الكوفة ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ ) برفع كيد وبالالف في ساحر بمعنى : إن الذى صنعه هؤلاء السحرة كيدٌ من ساحر . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ ) برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذى صنعه كيد سحر .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة ، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر ، ومكر السحر وخدعته : تخيله إلى المسحور ، على خلاف ما هو به في حقيقته ، فالساحر كائد بالسحر ، والسحر كائد بالتخييل ، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ ( كَيْدٌ سِحْرٍ ) بنصب كيد . ومن قرأ ذلك كذلك ، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرآء على خلافها .

وقوله ( وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ) يقول : ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان .



وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول : معنى ذلك : أن الساحر يُقتل حيث وُجد ، وذكر بعض نحوِّي البصرة ، أن ذلك في حرف ابن مسعود ( وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيَّنَ آتَى ) وقال : العرب تقول : جئتك من حيث لاتعلم ، ومن أين لاتعلم . وقال غيره من أهل العربية الأول : جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال : وأما قول العرب : جئتك من حيث لاتعلم ، ومن أين لاتعلم ، فإنما هو جواب لم يفهم ، فاستفهم كما قالوا : أين الماء والعشب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا : فَأُلْوَا : ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ ءَأَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ ، فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ، وَلَا صَلْبَتَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)

وفي هذا الكلام مبروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو : فألقى موسى عصاه ، فتلقفت ما صنعوا ( فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا ، فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصى .

#### ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر ، ( خيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، فقلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا ) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان ميين . قال : فتحت فمها مثل الدحل ، ثم وضعت مشفرها على الأرض ، ورفعت الآخر ، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر ، ثم جاء إليها فقبض عليها ، فإذا هي عصا ، فخر السحرة سجدا ( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ) قال : فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ( وَلَا صَلْبَتَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) قال : فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون . حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فأوجس في نفسه خيفة موسى ) فأوحى الله إليه ( لا تخف وألقى ما في يمينك تلقف ما يأفكون ، فألقى عصاه ) فأكلت كل حية لهم ؛ فلما رأوا ذلك سجدوا ( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ( فأوجس في نفسه خيفة موسى ) لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصى خيل إليه أنها تسعى ، وقال : والله إن كانت لعصيا في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاي هذه ، أو كما حدثت نفسه ، فأوحى الله

إليه أن ( أَلْتَقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، لِأَنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ) وفرح موسى فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حيات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصا فى يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا ، قالوا : آمنا برب هارون وموسى ، لو كان هذا سحر ما غلبنا .

وقوله ( قال آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) يقول جل ثناؤه : وقال فرعون للسحرة : أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلب ذلك لكم ( إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ ) يقول : إن موسى لعظيمكم ( الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : لما قالت السحرة : ( آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) قال لهم فرعون ، وأسف ورأى الغلبة البينة : ( آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ : أى لعظيم السحار الذى علمكم . وقوله ( فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) يقول : فلا قطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك ، وذلك أن يقطع يميني اليدين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليدين ويميني الرجلين ، فيكون ذلك قطعاً من خلاف ، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون ، وقد ذكرنا الرواية بذلك . وقوله ( وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) يقول : ولأصلبتكم على جذوع النخل ، كما قال الشاعر :  
هُمْ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِدْعِ نَخْلَةٍ      فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا  
يعنى على جذع نخلة ، وإنما قيل : فى جذوع ، لأن المصلوب على الخشبة يرفع فى طولها ، ثم يصير عليها ، فيقال : صلب عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا ، وآمنوا عند ذلك ، قال عدو الله : ( فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) . . . الآية .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال فرعون : ( لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) فقتلهم وقطعهم . كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : ( رَبَّنَا أفرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ) وقال كانوا فى أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

(١) البيت لسويد بن أبى كاهل اليشكري ( اللسان : عبد ) قال : قال سيبويه : النسبة إلى عبد القيس عدي ، وهو من القسم الذى أضيف فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسى ، لا لتيس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه ، قال سويد بن أبى كاهل : « وهم صلبوا . . . البيت » . قال ابن بري : قوله بأجدعا ، أى بأنت أجدع ، فحذفت الموصوف ، وأقام صفة مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العبدى فى جذع نخلة أى على جذع نخلة ، كقول القرآن : « ولأصلبتكم فى جذوع النخل » . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية فى الحرف ( فى ) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، بجامع الممكن فى كل منهما .

وقوله (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) يقول : ولتعلمن أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا آكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به (لَنْ نُؤْتِرَكَ) فنتبعك ونكذب من أجلك موسى (عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) يعني من الحجج والأدلة على حقيقة مادعاهم إليه موسى . (وَالَّذِي فَطَرَنَا) يقول : قالوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى الَّذِي جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، وَعَلَى الَّذِي فَطَرَنَا ، ويعني بقوله (فَطَرَنَا) خلقنا ، فالذي من قوله (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خفض على قوله (مَا جَاءَنَا) ، وقد يحتمل أن يكون قوله (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خفضا على القسم ، فيكون معنى الكلام : لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَاللَّهُ . وقوله (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) يقول : فاصنع ما أنت صانع ، واعمل بنا ما بدا لك (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول : إنما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفتني ، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه (لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا) أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) : أي اصنع ما بدا لك (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لاسلطان لك بعده .

وقوله (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَا) يقول تعالى ذكره : إنا أقررنا بتوحيد ربنا ، وصدقنا بوعده ووعيده . وأن ما جاء به موسى حق (لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَا) يقول : ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا (وَمَا آكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) يقول : ليغفر لنا ذنوبنا ، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر ، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به . وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعيد ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِنَ السَّحْرِ ) قال : غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة ، تعلمهم السحر بالفرما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِنَ السَّحْرِ ) قال : أمرهم بتعلم السحر ، قال : تركوا كتاب الله ، وأمروا قومهم بتعليم السحر . ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِنَ السَّحْرِ ) قال : أمرتنا أن نتعلمه .

وقوله ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) يقول : والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه ، وأبى عذابا لمن عصاه وخالف أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) : خير منك ثوابا ، وأبى عذابا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، ومحمد بن قيس في قول الله ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) قالوا : خيرا منك أن أطيع ، وأبى منك عذابا إن عصى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ، فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥)

يقول تعالى ذكره مجبرا عن قيل السحرة لفرعون : ( إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ ) من خلقه ( مُجْرِمًا ) يقول مكتسبا الكفر به ( فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ) يقول : فإن له جهنم مأوى ومسكنا ، جزاء له على كفره ( لَا يَمُوتُ فِيهَا ) فتخرج نفسه ( وَلَا يَحْيَىٰ ) فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ( وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ) موحدا لا يشرك به ( قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ) يقول : قد عمل ما أمره به ربه ، وانتهى عما نهاه عنه ( فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) يقول : فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : ( وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) . ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي ، فقال : هن ( جَنَّاتُ عَدْنٍ ) يعنى : جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاذ لها ولا فناء ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجري من تحت أشجارها الأنهار ( خَالِدِينَ فِيهَا ) يقول : ما كثرين فيها إلى غير غاية محدودة ، فالجنات من قوله ( جَنَّاتُ عَدْنٍ ) مرفوعة بالرد على الدرجات .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ، فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) قال : عدن .

وقوله (وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) يقول : وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله : ثواب من تزكى ، يعني : من تطهر من الذنوب ، فأطاع الله فيما أمره ، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْدَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ، فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ، لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧)

يقول تعالى ذكره ( وَأَقْدَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ ) نهيينا ( مُوسَىٰ ) إذ تابعنا له الحجيج على فرعون ، فأبى أن يستجيب لأمر ربه ، وطفئ وتمادى في طغيانه ( أَنْ أَسْرِ ) ليلا ( بِعِبَادِي ) يعني بعبادى من بنى إسرائيل ( فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ) يقول : فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا . واليَبَسُ واليَبَسُ : يجمع أيباس ، تقول : وقفوا في أيباس من الأرض . واليَبَسُ المخفف : يجمع ييوس . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَبَسًا ) قال : يابسا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله : وأما قوله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ) فإنه يعني : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا . وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ) يقول : لا تخاف من آل فرعون دَرَكًا ( وَلَا تَخْشَىٰ مِنَ الْبَحْرِ ) غرقا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ) يقول : لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج : قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر قد غشينا ، فأنزل الله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا ) أصحاب فرعون ( وَلَا تَخْشَىٰ ) من البحر وحلا .

حدثني أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، في قوله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ) قال : الوَحْلُ .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا ) فقرأته عامة قراء الأمصار غير الأعمش وحمة : ( لَا تَخَافُ دَرَكًا ) على الاستئناف بلا كما قال ( وَأَصْطَبِرُ عَلَيْهَا لِنَسَأَلُكَ رِزْقًا ) ورفع ، وأكثر ما جاء في هذا الأمر الجواب مع « لا » . وقرأ ذلك الأعمش وحمة ( لَا تَخَافُ دَرَكًا ) فجزما لا تخاف على الجزاء ، ورفعاً ( وَلَا تَخَشَى ) على الاستئناف ، كما قال جل ثناؤه ( يُولُّوكُمْ الْأَدْبَارَ . ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ) فاستأنف بهم ولو نوى بقوله ( وَلَا تَخَشَى ) الجزم ، وفيه الباء كان جائزاً ، كما قال الراجز :

هَزَى إِلَيْكَ الْجِدْعَ يَجْنِيكَ الْجَنَى

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها ( لا تخاف ) على وجه الرفع ، لأن ذلك أفصح اللغتين ، وإن كانت الأخرى جائزة . وكان بعض نحوي البصرة يقول : معنى قوله ( لَا تَخَافُ دَرَكًا ) اضرب لهم طريقاً لا تخاف فيه دركا ، قال : وحذف فيه كما تقول : زيد أكرمت وأنت تريد أكرمته ، وكما تقول ( وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ) أي لا تجزى فيه . وأما نحويو الكوفة فلهم ينكرون حذف فيه إلا في المواقيت ، لأنه يصلح فيها أن يقال : قمت اليوم وفي اليوم ، ولا يجيزون ذلك في الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ، فَغَشَّيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا

هَدَى (٧٩)

يقول تعالى ذكره : فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسرهم ، فاتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر ، فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشاهم ، فغرقوا جميعاً ( وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ) يقول جل ثناؤه : وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل ، وأخذ بهم على غير استقامة ، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار ، بأمرهم بالكفر بالله ، وتكذيب رسله ( وَمَا هَدَى ) يقول : وما سلك بهم الطريق المستقيم ، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى ، والتصديق به ، فأطاعوه ، فلم يهدم بأمره إياهم بذلك ، ولم يهتدوا باتباعهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَبَدِّنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي

يقول تعالى ذكره : فلما نجا موسى بقومه من البحر ، وغشي فرعون وقومه من اليم ما غشيهم ، قلنا لقوم موسى ( يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ) فرعون ( وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن . وقد بيننا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما ، وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك . فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ ) فكانت عامة قراءة المدينة والبصرة يقرءونه ( قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ ) بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك ، وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة ( قَدْ أَنجَيْتُكُمْ ) بالتاء ، وكذلك سائر الحروف للأخر ، إلا قوله ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) ، فإنهم وافقوا الآخرين في ذلك ، وقرءوه بالنون والألف .

والقول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى ، فأبتهما قرأ القارئ ذلك فصيب . وقوله ( كُلُّوا مِمَّنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره لهم : كلوا يا بني إسرائيل من شهييات رزقنا الذي رزقناكم ، وحلاله الذي طيبناه لكم ( وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ) يقول : ولا تعتدوا فيه ، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ) يقول : ولا تظلموا .

وقوله ( فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) يقول : فينزل عليكم عقوبتي . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) يقول : فينزل عليكم غضبي .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة ( فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ ) بكسر الحاء ( وَمَنْ يَحْلِلْ ) بكسر اللام . ووجهوا معناه إلى : فيجب عليكم غضبي . وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ ) بضم الحاء ، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه ، فيقع وينزل عليكم غضبي .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان ، مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وقد حذر الله الذين قبل لهم هذا القول من بني إسرائيل ، وقوع بأسه بهم ونزوله ، بمعصيتهم إياه إن هم عصوه ، وخوفهم وجوبه لهم . فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب ، لأنهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ  
أَهْتَدَىٰ (٨٢)

❦ يقول تعالى ذكره : ومن يجب عليه غضبي ، فينزل به . فقد هوى ، يقول فقد تردى فشقى .  
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله  
( فَقَدْ هَوَىٰ ) يقول : فقد شقي .

وقوله ( وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) يقول : وإني لذو غفر لمن تاب من شركه ، فرجع منه إلى الإيمان إلى  
وآمن ، يقول : وأخلص إلى الألوهة ، ولم يشرك في عبادته إياي غيري . ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : وأدى  
فرائضي التي افترضتها عليه ، واجتنب معاصي . ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) يقول : ثم لزم ذلك ، فاستقام ولم يضيع  
شيئا منه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) قال  
أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنِّي  
لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وَءَامَنَ ) يقول : وحّد الله ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : أدى فرائضي .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من  
ذنبه ( وَءَامَنَ ) به ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) فيما بينه وبين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ( وَإِنِّي  
لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وَءَامَنَ ) يقول : وأخلص لله ، وعمل في إخلاصه .  
واختلفوا في معنى قوله ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) فقال بعضهم : معناه : لم يشكك في إيمانه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ )  
يقول : لم يشكك .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم لزم الإيمان والعمل الصالح .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) يقول : ثم لزم الإسلام  
حتى يموت عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم استقام .



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ( **مَّمَّ اهْتَدَى** ) قال : أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .  
وقال آخرون : بل معناه : أصاب العمل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( **وَعَمِلَ صَالِحًا مَّمَّ اهْتَدَى** ) قال : أصاب العمل .  
وقال آخرون : معنى ذلك : عرف أمر مُمَّيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبي ( **وَلَاتِي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ** ) من الذنب ( **وَأَمَّنَ** ) من الشرك ( **وَعَمِلَ صَالِحًا** ) أدى ما افترضت عليه ( **مَّمَّ اهْتَدَى** ) عرف مثيبه إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرًا .

وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاکر ، قال : سمعت ثابتا البُنَّانِي يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ( **وَلَاتِي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَأَمَّنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مَّمَّ اهْتَدَى** ) قال : إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة ، فمن فعل ذلك وثبت عليه ، فلا شك في اهتدائه .

القول في تأويل قوله تعالى

\* **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ؟ (٨٣) قَالَ هُمُ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرَىٰ ، وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ**

**لِتَرْضَىٰ (٨٤)**

يقول تعالى ذكره : وما أعجلك ؟ وأي شيء أعجلك عن قومك يا موسى ، فتقدمهم وخلقهم وراءك ، ولم تكن معهم ؟ ( قال : هم أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرَى ) يقول : قومي على أثري يَلْتَحِقُونَ بِي . ( **وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِيَرْضَى** ) يقول : وعجلت أنا فسبقهم رب ، كما ترضى عني .

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى : ما أعجلك عن قومك ؟ لأنه جل ثناؤه فيما بلغنا ، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه ، وقطع بهم البحر ، وعدهم جانب الطور الأيمن ، فتعجل موسى إلى ربه ، وأقام هارون في بني إسرائيل ، يسير بهم على أثر موسى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وعد الله موسى حين أهلك فرعون

وقومه ونجاه وقومه ، ثلاثين ليلة ، ثم أممها بعشر ، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ، تلقاه فيها بما شاء ، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل ، ومعه السامري ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به ، فلما كلم الله موسى ، قال له ( ما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثرى ، وعجلت إليك رب لترضى ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وعجلت إليك رب لترضى ) قال : لأرضيك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا . قَالَ : يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ؟ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ؟ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ؟ (٨٦)

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى : فإننا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل ، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى . ويعنى بقوله ( من بعدك ) : من بعد فراقك إياهم ، يقول الله تبارك وتعالى ( وأضلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ) وكان إضلال السامري إياهم ، دعاهم إياهم إلى عبادة العجل .

وقوله ( فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ ) يقول : فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) متغيظا على قومه ، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) يقول : حزينا . وقال في الزخرف ( فَلَمَّا آسَفُونَا ) يقول : أغضبونا ، والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) يقول : حزينا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله ( وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ) : أى حزينا على ما صنع قومه من بعده .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَسِفًا ) قال : حزينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ؟ ) يقول : ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ ويعدكم جانب الطور الأيمن ؟ وينزل عليكم المن والسلوى ؟ فذلك وعد الله الحسن بنى إسرائيل ، الذى قال لهم موسى : ألم يعدكم ربكم . وقوله ( أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ) . أم أَرَدْتُمْ

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ؟) يقول: أفضال عليكم العهدي، وبجميل نعم الله عندكم، وأباده لديكم؟ أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم؟ يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم، فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدى، وكان إخلافهم موعداه، فكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى، للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى (لَنْ نَنْبِرَاحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى).

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا، وَلَا كِنَانَا حُمَلْنَا أَوْ زَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفُنَاهَا، فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ، (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، فَانْسَى (٨٨)

❦ يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك يعنون بموعده عهده الذي كان عهده إليهم.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح»: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (مَوْعِدِي) قال: عهدي، وذلك العهد والموعد هو ما بينناه قبل.

وقوله (بِمَلَكِنَا) يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق بحمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة (بِمَلَكِنَا) بفتح الميم. وقرأته عامة قراء الكوفة (بِمَلَكِنَا) بضم الميم. وقرأه بعض أهل البصرة (بِمَلَكِنَا) بالكسر. فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر، والآخر اسم. وأما الكسر فهو بمعنى مِلْك الشيء وكونه للمالك.

واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله (ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا) يقول: بأمرنا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (بِمَلَكِنَا) قال: بأمرنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون : معناه : بطاقتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ) :  
أى بطاقتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ  
بِمَلِكِنَا ) يقول : بطاقتنا .

وقال آخرون : معناه : ما أخلفنا موعدك بهوانا ، ولكننا لم نملك أنفسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ما أخلفنا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا )  
قال : يقول بهوانا ، قال : ولكنه جاءت ثلاثة ، قال : ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون ، وثياب .

قال أبو جعفر : وكل هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى ، لأن من لم يملك نفسه ، لغلبة هواه  
على ما أمر ، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول : فعل فلان هذا الأمر ، وهو لا يملك نفسه ، وفعله وهو لا يضبطها ،  
وفعله وهو لا يطيق تركه . فإذا كان ذلك كذلك ، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ، وذلك أن  
من كسر الميم من الملك ، وإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك ، ونحن نملك الوفاء به ، لغلبة أنفسنا إيانا  
على خلافه ، وجعله من قول القائل : هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات ، وأن من فتحها ، فإنه يوجه  
معنى الكلام إلى نحو ذلك ، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل : ملكت الشيء أملكه ملكا وملككة ،  
كما يقال : غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة ، وأن من ضمها فإنه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا  
وقدرتنا ، أى ونحن نقدر أن نمتنع منه ، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه . وقد أنكر بعض  
الناس قراءة من قرأه بالضم ، فقال : أى مَلِكٌ كان يومئذ لبني إسرائيل ، وإنما كانوا بمصر مستضعفين ،  
فأغفل معنى القوم ، وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا ، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا  
المنكر عليهم ذلك ، وإنما قصدوا إلى أن معناه : ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا ، نقدر أن نردّها  
عما أتت ، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد .

وقوله ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) يقول : ولكننا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم ،  
يعنون من حلي آل فرعون ، وذلك أن بنى إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر ، بأمر الله إياه  
بذلك ، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم ، وقال إن الله مَغْنَمُكُمْ ذلك ، ففعلوا ، واستعاروا  
من حلي نسائهم وأمتعتهم ، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ( أَقْطَالٌ عَلَيْكُمْ الْعِهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ  
يَحِيلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ؟ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ،  
وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) فهو ما كان مع بني إسرائيل من حلّي آل فرعون ، يقول : خطبونا بما أصبنا من حلّي عدوتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أُوزَارًا ) قال : أثقالا وقوله ( مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : هي الحلّي التي استعاروا من آل فرعون ، فهي الأثقال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا ) قال : أثقالا ( مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : حلّيم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) يقول : من حلّي القبيط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : الحلّي الذي استعاروه والنياب ، ليست من الذنوب في شيء ، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها ، فليست من الذنوب في شيء .

واختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة وبعض المكيين ( حَمَلْنَا ) بضم الحاء وتشديد الميم ، بمعنى أن موسى يُحْمَلُهُمْ ذلك . وقرأته عامة قرآء الكوفة والبصرة وبعض المكيين ( حَمَلْنَا ) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما ، بمعنى أنهم حملوا ذلك ، من غير أن يكلفهم حمله أحد .

قال أبو جعفر : والقول عندي في تأويل ذلك : أنهما قرآءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأن القوم حملوا ، وأن موسى قد أمرهم بحمله ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب .

وقوله ( فَفَقَدْنَاهَا ) يقول : فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) يقول : فكما قدفنا نحن تلك الأثقال ، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَفَقَدْنَاهَا ) قال : فألقيناها ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) : كذلك صنع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَفَقَدْنَاهَا ) قال : فألقيناها ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) فكذلك صنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَفَقَدْنَاهَا ) : أي فبندها .

وقوله ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ) يقول : فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه ، عجلا جسدا له خوار ، ويعني بالخوار : الصوت ، وهو صوت البقر .  
ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامري العجل ، فقال بعضهم : صاغه صياغة ، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فيه فخار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) قال : كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ، ثم أتمها بعشر ، فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري : إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالخلي الذي كان معكم ، فهلموا ، وكانت حليا تعيروها ! من آل فرعون ، فساروا وهي معهم ، فقذفوها إليه ، فصورها صورة بقرة ، وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه ، قبضة من أثر فرس جبرئيل ، فقذفها مع الخلي والصورة ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ) فجعل ينخور خوار البقر ، فقال ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري : إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الخلي ، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون ، فجمعوه ، فأعطوه السامري ، فصاغ منه عجلا ، ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك ، فنبذها في جوفه ، فإذا هو عجل جسدا له خوار ، قالوا : هذا إلهكم وإله موسى ، ولكن موسى نسي ربه عندكم . وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخذ السامري من تربة الحافر ، حافر فرس جبرئيل ، فانطلق موسى ، واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، فأتمها الله بعشر ، قال لهم هارون : يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعا ، فاحفروا لها حفرة فادفنوها ، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها ، وإلا كان شيئا لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الخلي في تلك الحفرة ، فجاء السامري بتلك القبضة ، فقذفها ، فأخرج الله من الخلي عجلا جسدا له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوما ، واليوم يوما : فلما كان لعشرين خرج لهم العجل ؛ فلما رأوه قال لهم السامري ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ، فَتَسْبِي ) فحكفوا عليه يعبدونه ، وكان ينخور ويمشي ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) ذلك حين قال لهم هارون : احفروا لهذا الخلي حفرة واطرحوه فيها ، فطرحوه ، فقذف السامري تربته . وقوله ( فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) يقول : فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل : هذا معبودكم ومعبود موسى . وقوله ( فَتَسْبِي ) يقول : فضل وترك . ثم اختلف أهل التأويل في قوله ( فَتَسْبِي ) من قائله ومن الذي وصف به وما معناه ، فقال بعضهم : هذا من الله خبر عن السامري ، والسامري هو الموصوف به ، وقالوا : معناه : أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام .

(١) لعله : تموروها ، أي استماروها ، كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقول الله ( فَنَسِيَ ) : أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، يعنى السامرى . وقال آخرون : بل هذا خبر من الله عن السامرى ، أنه قال لبنى إسرائيل ، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه ، فأضل موضعه ، وهو هذا العجل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَتَمَدَّ فَنَاهَا ) يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى ، لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام ، فألقى القبضة على حليم ، فصارع عجلا جسدا له خوار ( فَمَأَلُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) الذى انطلق يطلبه . ( فَنَسِيَ ) يعنى : نسى موسى ، ضل عنه ، فلم يهتد له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَنَسِيَ ) يقول : طلب هذا موسى ، فخالقه الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَنَسِيَ ) يقول : قال السامرى : موسى نسى ربه عندكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَنَسِيَ ) موسى ، قال : هم يقولونه : أخطأ الرب العجل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَنَسِيَ ) قال : نسى موسى ، أخطأ الرب العجل ، قوم موسى يقولونه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَنَسِيَ ) يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ) قال : يقول : فنسى حيث وعده ربه هاهنا ، ولكنه نسى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ) : يقول : نسى موسى ربه فأخطأه ، وهذا العجل إله موسى .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل ذلك : القول الذى ذكرناه عن هؤلاء ، وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامرى ، أنه وصف موسى بأنه نسى ربه ، وأن ربه الذى ذهب يريده : هو العجل الذى أخرجه السامرى ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه ، وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك ، أشبه من غيره .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَا يَرْوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ  
مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّكُمْ تَقْتُلُونَ بِهٖ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ  
نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١)

يقول تعالى ذكره موبخاً عبدة العجل، والقائلين له ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَتَّبِعِ ) ، وعابهم  
بذلك ، وسفّه أحوالهم بما فعلوا ونالوا منه : أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى  
لا يكلمهم ، وإن كلموه لم يردّ عليهم جواباً ، ولا يقدر على ضرر ولا نفع ، فكيف يكون ما كانت هذه  
صفته إلهاً ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال :  
ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) العجل .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أفلا يَرْوْنَ  
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) قال : العجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله ( أفلا يَرْوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ  
إِلَيْهِمْ ) ذلك العجل الذي اتخذوه ( قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ) .  
وقوله ( وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ) يقول : لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون ،  
من قبل رجوع موسى إليهم ، وقيله لهم ما قال ، مما أخبر الله عنه ( إِنَّمَا فَتَنَّتُمْ بِهِ ) يقول : إنما اختبر الله  
إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل ، الذي أحدث فيهم الخوار ، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المر يض  
القلب ، الشاك في دينه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لهم هارون ( إِنَّمَا  
فَتَنَّتُمْ بِهِ ) يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل .

وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) : يقول : وإن ربكم الرحمن الذي يعم  
جميع الخلق نعمه ، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ، وترك عبادة العجل ، وأطيعوا أمرى فيما أمركم به من  
طاعة الله ، وإخلاص العبادة له . وقوله ( قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ) يقول : قال عبدة العجل  
من قوم موسى : لن نزال على العجل مقيمين نعبده ، حتى يرجع إلينا موسى .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَهُودُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَا تَتَّبِعُنَّ؟ أَفَمَصَّيْتِ أَمْرِي؟ (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمْ



لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لأخيه هارون ، لما فرغ من خطاب قومه ، ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم : يا هارون ، أى شئ منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم ، فكفروا بالله ، وعبدوا العجل ألا تتبعني . واختلف أهل التأويل في المعنى الذى عدل موسى عليه أخاه ، من تركه اتباعه ، فقال بعضهم : عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره ، على ما كان عهد إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ، لما قال القوم ( لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْه عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ، ممن لم يفتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين ، أن يقول له موسى : ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) ، وكان له هائبا مطيعا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعْتَنِي ) قال : تدعهم .

وقال آخرون : بل عدله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعْتَنِي ) قال : أمر موسى هارون أن يصلح ، ولا يتبع سبيل المفسدين ، فذلك قوله ( أَنْ لَا تَتَّبِعْتَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ) بذلك ، وقوله ( قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) ، وفي هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه ، وهو : ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه ، فقال هارون ( يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) .

وقوله ( إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم ، الذى خشيه هارون ، فقال بعضهم : كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه . وأقام على دينه في أثر موسى ، ويخلف عبدة العجل ، وقد قالوا ( له ) ( لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْه عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) فيقول له موسى ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) بسيرك بطائفة ، وتركك منهم طائفة وراءك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى ( مَا مَنَعَكَ إِذْ

رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) ، قال (خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي) قال : خشيت أن يتبعني بعضهم ، ويتخلف بعضهم وقال آخرون : بل معنى ذلك : خشيت أن تقتل ، فيقتل بعضنا بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي) قال : كنا نكون فرقتين ، فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى .  
 قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله ابن عباس : من أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره ، بمن اتبعه من أهل الإيمان ، فقال له هارون : إني خشيت أن تقول ، فرقت بين جماعتهم ، فتركت بعضهم وراءك ، وجئت ببعضهم ، وذلك بين في قول هارون للقوم ( يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ . فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) ، وفي جواب القوم له ، وقبلهم (لَنْ نَسْبِرَاحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) .  
 وقوله ( وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) يقول : ولم تنظر قولي وتحفظه ، من مراقبة الرجل الشيء ، وهي مناظرته بحفظه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) قال : لم تحفظ قولي .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ ) قال موسى للسامري : فما شأنك يا سامري ، وما الذى دعاك إلى ما فعلته .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ ) قال : ما أمرك ؟ ما شأنك ؟ ما هذا الذى أدخلك فيما دخلت فيه ؟

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) قال : مالك يا سامري ؟

وقوله ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) يقول : قال السامري : علمت ما لم يعلموه ، وهو فعلت من البصيرة : أى صرت بما عملت بصيرا عالما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما قتل فرعون الولدان

قالت أمّ السامريّ : لو نحيته عنى حتى لا أراه ، ولا أدرى قتله ، فجعلته في غار ، فأتى جبرئيل ، فجعل كفّ نفسه في فيه ، فجعل يرضعه العسل واللبن ، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه ، فمن ثم معرفته إياه حين قال : ( فَكَبَبَضْتُ قَبْبَضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) .  
وقال آخرون : هي بمعنى : أبصرت ما لم يبصروه ، وقالوا : يقال : بصّرت بالشيء وأبصرته ، كما يقال : أسرعت وسرّعت ما شئت .

ذكر من قال : هو بمعنى أبصرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال بصّرت بما لم يبصروا به ) : يعنى فرس جبرئيل عليه السلام .  
وقوله ( فَكَبَبَضْتُ قَبْبَضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) يقول : قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون فى النار ، وتكسرت ، ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام ، فأخذ ترابا من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار ، فقذفه فيها ، وقال : كن عجلا جسدا له خوار ، فكان للبلاء والفتنة .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قبض قبضة منه . من أثر جبرئيل ، فألقى القبضة على حلبيهم ، فصار عجلا جسدا له خوار ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( فَكَبَبَضْتُ قَبْبَضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَّذْنَاهَا ) قال : من تحت حافر فرس جبرئيل ، نبذه السامريّ على حلية بنى إسرائيل ، فانسبك عجلا جسدا . له خوار : حفيف الريح فيه ، فهو خواره . والعجل : ولد البقرة .

واختلف القراء فى قراءة هذين الحرفين ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( بصّرت بما لم يبصروا به ) بالياء ، بمعنى : قال السامريّ : بصّرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( بصّرت بما لم تبصروا به ) بالتاء ، على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بمعنى : قال السامريّ لموسى : بصّرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك .

والقول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، مع صحة معنى كل واحدة منهما ، وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل ، فكان عنده ما كان ، بأن حدثته نفسه بذلك ، أو بغير ذلك من الأسباب ، أن تراب حافر فرسه الذى كان عليه ، يصلح لما حدث عنه حين نبذه

في جوف العجل ، ولم يكن علم ذلك عند موسى ، ولا عند أصحابه من بني إسرائيل ، فلذلك قال لموسى : ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ ) : أى علمت بما لم تعلموا به . وأما إذا قرئ ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) بالياء ، فلا مؤنة فيه ، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذى يصلح له ذلك التراب .  
وأما قوله ( فَتَقَبَّضْتُمْ قَبْضَةَ مِينٍ أَثَرِ الرَّسُولِ ) فإن قرآء الأمصار على قراءته بالصاد ، بمعنى : فأخذت بكفى ترابا من تراب أثر فرس الرسول .

وروي عن الحسن البصرى وقتادة ما حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن عوف ، عن الحسن أنه قرأها ( فَتَقَبَّضْتُمْ قَبْضَةَ ) بالصاد .  
وحدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد ، عن قتادة مثل ذلك بالصاد ، بمعنى : أخذت بأصابعى من تراب أثر فرس الرسول ، والقبضة عند العرب : الأخذ بالكف كلها ، والقبضة : الأخذ بأطراف الأصابع .

وقوله ( فَتَنَبَّذْتُمُوهَا ) يقول : فألقيتها . ( وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ) : يقول : وكما فعلت من إلقاءى القبضة التى قبضت من أثر الفرس ، على الحلية التى أوقد عليها حتى انسبكت ، فصارت عجلا جسدا له خوار ، ( سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ) يقول : زينت لى نفسى أنه يكون ذلك كذلك .  
كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ) قال : كذلك حدثنى نفسى .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَأَنْظُرْ إِلَىٰ  
إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرَقَنَّهُ ثُمَّ لِنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى للسامرى : فاذهب فإن لك فى أيام حياتك أن تقول : لا ميساس : أى لا أمس ، ولا أمس . وذكر أن موسى أمر بنى إسرائيل أن لا يؤاكلوه ، ولا يخالطوه ، ولا يبايعوه ، فلذلك قال له : إن لك فى الحياة أن تقول لا ميساس ، فبئى ذلك فيما ذكر فى قبيلته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان والله السامرى عظيما من عظماء بنى إسرائيل ، من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بنى إسرائيل .  
قوله ( فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ) فبقاياهم اليوم يقولون لا ميساس .

وقوله ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ) اختلفت القراء فى قراءته ، فقرأه عامة قرآء أهل المدينة والكوفة ( لَنْ تُخْلَفَهُ ) بضم التاء ، وفتح اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من

إضلالك قومي ، حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن يخلفك الله ، ولكن يذيقك . وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نهيك ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ ) بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لن تخلفه أنت ياسامري ، وتأولوه بمعنى : لن تغيب عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ ( لَنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ ) يقول : لن تغيب عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ ) يقول : لن تغيب عنه .

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأنه لاشك أن الله مؤوف وعده لخلقه ، بحشرهم لموقف الحساب ، وأن الخلق موافون ذلك اليوم ، فلا الله مخلفهم ذلك ، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه ، فبأيتهما قرأ القاري فصيب الصواب في ذلك :

وقوله ( وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول : وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقما تعبده .

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : ( ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) : الذي أقمت عليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال له موسى ( انظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول : الذي أقمت عليه : وللعرب في ظلت : لغتان : الفتح في الظاء ، وبها قرأ قرآء الأمصار والكسر فيها ، وكان الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظلت إليها ، ومن فتحها أقرت حركتها التي كانت لها قبل أن يقذف منها شيء ، والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذلك ، فيقولون في مَسَيْتَ : مَسَيْتَ وَمَسَيْتَ ، وفي هَمَمْتَ بذلك : هَمَمْتَ بِهِ ، وهل أَحَسَّتْ فلانا وأَحَسَّسْتَهُ ، كما قال الشاعر :

خَلَا أَنْ الْعِتَاقَ مِنْ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنْ إِلَى شُوسٍ<sup>١</sup>

(١) البيت لأبي زيد الطائي (اللسان : حسن) . ورواية الشطر الثاني فيه : « حسين به فهن إليه شوس » . قال : حسن بالثي . يحس (كيقتل حسا) بالفتح (وحسا) بالكسر (وحسبا ، وأحسن به ، وأحسه) : شعر به . وأما قوطم « أحست بالثي » فعل الحذف ، كراهية التقاء المثلين . قال سيبويه : وكذلك يفعل في كل بناء يبنى اللام من الفعل منه على السكون ، ولا تصل إليه الحركة ، شبهوها بأقمت . الأزهرى : ويقال : هل أحست : بمعنى أحسبت . ويقال : حست بالثي . إذا علمته وعرفته . قال : ويقال : أحست الخبر وأحسته وحسيت وحست : إذا عرفت منه طرفا ، وتقول ما أحسست بالخبر وما أحست وما حسيت وما حست : أي لم أعرف منه شيئا . . . وربما قالوا : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يبدلون من السين ياء ، قال أبو زيد : « خلا أن . . . البيت » . قال الجوهري وأبو عبيدة يروى بيت أبي زيد : « أحسن به فهن إليه شوس » . وأصله أحسن . اهـ . ويقال في ظل وما أشبهه من كل مضعف مكسور العين في الماضي : ظلت أفعل كذا ، بلامين ، وظلت أفعل كذا بحدف اللام الأولى ، ويفتح الفاء . وظلت أفعل كذا ، بحدف اللام ونقل حركتها إلى الظاء .

وقوله (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والعراق (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) بضم النون وتشديد الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار قطعة قطعة . وروى عن الحسن البصرى ، أنه كان يقرأ ذلك (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) بضم النون ، وتخفيف الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار إحراقا واحدة ، وقرأه أبو جعفر القارى (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) بفتح النون وضم الراء ، بمعنى : لنبردنه بالمبارد ، من حرقة أحرقه وأحرقه ، كما قال الشاعر :

بِذِي فِرْقَتَيْنِ يَوْمَ بَشُو حُبَيْبٍ نِيُوبَهُمْ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا

والصواب في ذلك عندنا من القراءة (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) بضم النون وتشديد الراء ، من الإحراق بالنار . كما حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) يقول : بالنار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ) ، فحرقه ثم ذراه في اليم ، وإنما اخترت هذه القراءة ، لإجماع الحجة من القراء عليها . وأما أبو جعفر ، فاني أحسبه ذهب إلى ما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدى (وَأَنْظُرُ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ، لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ ثُمَّ لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ، ثم أخذه فذبجه ، ثم حرقة بالمبرد ، ثم ذراه في اليم ، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْظُرُ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ ، ثُمَّ لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) قال : وفي بعض القراءة لنذبجنه ثم لنحرقنه ، ثم لنسفته في اليم نسفا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود (وَأَنْظُرُ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ، لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ ثُمَّ لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) . وقوله (ثُمَّ لَسُحِرَّ قَنَّتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) يقول : ثم لنذريته في البحر تدرية ، يقال منه : نسف فلان الطعام بالمينسف : إذا ذرّاه ، فطير عنه قشوره وترابه ، باليد أو الريح . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت أنشده المفضل الضبي ونسبه لعامر بن شقيق (اللسان : حرق ، ومعجم ما استمعتم لبيكري ٢١٠) وذو فرقين أو ذات فرقين ، كما في معجم ما استمعتم : هضبة ببلاد بني تميم ، بين طريق البصرة والكوفة ، وهي إلى البصرة أقرب . اهـ . وفي شرح الحماسة للبريزي (٦٧ : ٢) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك . وقيل البيت :

فإنك لو رأيت ولئن تربه أكف القوم تحرق بالقنينا

قال : وذو فرقين : هضبة في بلاد بني أسد ، من ناحية الفرات . وقوله « بذى فرقين » : يجوز أن يتعلق بقوله : « لو رأيت » ، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا . وكذلك قوله « يوم بني حبيب » : ويجوز أن يكون ظرفا لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان : أحدهما للزمان والآخر للمكان ، وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده ، لأن الأزمته تضاف إلى الجمل ، من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، تبيننا لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض تهديدا ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أي يصرف بآنيابه تعيظا . ويقال : حرقة بالمبرد : إذا برده . وحكى أبو حاتم : فلان يحرق نابه على ، برفع الباء ، لأنه هو الذي يحرق . وقال أبو العلاء قوله لبني فرقين : أراد : ذات فرقين ، فذكر على معنى الموضع أو الجبل ، وهي التي ذكرها عبيد في قوله « فذات فرقين فالقليب » قيل : هي ثنية كسنام الفالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **مّمّ** لَنَنْدَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) يقول : لنذريته في البحر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : ذراه في اليمّ ، واليمّ : البحر .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ذراه في اليمّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في اليمّ ، قال : في البحر .

وقوله ( **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَيْلَهُ إِلَهٌ هُوَ** ) يقول : ما لكم أيها القوم معبود ، إلا الذي له عبادة جميع الخلق ، لا تصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغي أن تكون إلا له ( **وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ) يقول : أحاط بكل شيء علما فعلمه ، فلا يخفى عليه منه شيء ، ولا يضيق عليه علم جميع ذلك ، يقال منه : فلان يسع لهذا الأمر : إذا أطاقه وقوى عليه ، ولا يسع له : إذا عجز عنه : فلم يطقه ولم يقوَ عليه .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ) يقول : ملأ كل شيء علما ، تبارك وتعالى .

## القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه ، وأخبار بني إسرائيل مع موسى ، ( **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ** ) يقول : كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك ، فلم تشاهدها ولم تعانها . وقوله ( **وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا** ) يقول تعالى ذكره لحمد صلى الله عليه وسلم : وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ، ويتعظ به أهل العقل والفهم ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ، فجعله ذكرا للعالمين . وقوله ( **مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ** ) يقول تعالى ذكره : من وليّ عنه فأدبر ، فلم يصدق به ولم يقمّر ، فإنه ( **يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا** ) يقول : فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلًا ، وذلك الإثم العظيم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا** ) قال : إثمًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلِدِينَ فِيهِ ، وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ  
يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : خالدون في أوزارهم ، والمعنى : أنهم خالدون في النار بأوزارهم ، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام ، اكتفى بما ذكر عمالم يذكر .

وقوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول تعالى ذكره : وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا ، وحق لهم أن يسوءهم ذلك ، وقد أوردتهم مهلكة لا منجى منها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول : بثما حملوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يعني بذلك : ذنوبهم .

وقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) يقول تعالى ذكره : وساء لهم يوم القيامة ، يوم ينفخ في الصور ، فقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) ردّ على يوم القيامة . وقد بيننا معنى النفخ في الصور ، وذكرنا اختلاف

المختلفين في معنى الصور ، والصحيح في ذلك من القول عندى بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالياء وضمها على

ما لم يسمّ فاعله ، بمعنى : يوم يأمر الله إسرائيل فينفخ في الصور ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك ( يَوْمَ تَنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالنون ، بمعنى : يوم ننفخ نحن في الصور ، وكان الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك ، طلبه

التوفيق بيده وبين قوله ( وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ ) إذ كان لاختلاف بين القراء في نحشُر أنها بالنون .

قال أبو جعفر : والذي أختار في ذلك من القراءة : يوم يُنْفَخُ بالياء ، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد .

وقوله ( وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ) يقول تعالى ذكره : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زُرْقًا ، فقيل : عني بالزرق في هذا الموضع : ما يظهر في أعينهم من شدة العطش ، الذي يكون

بهم عند الحشر لرأى العين ، من الزرَق . وقيل : أريد بذلك أنهم يحشرون عميا ، كالذي قال الله ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ ) . وقوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ) : يقول



تعالى ذكره : يتهاسون بينهم ، ويسر بعضهم إلى بعض : إن لبثتم في الدنيا ، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض : ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( - يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ) يقول : يتسارون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ) : أي يتسارون ( بَيْنَهُمْ ) : إن لبثتم إلا عشرا .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ( إن لبثتم إلا عشرا ) بما يقولون ، لا يخفى علينا مما يتسارونه بينهم شيء ( إذ يقول أمثلهم طريقه إن لبثتم إلا يوما ) يقول تعالى ذكره حين يقول أو فاهم عقلا ، وأعلمهم فيهم : إن لبثتم في الدنيا إلا يوما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، في قوله ( إذ يقول أمثلهم طريقه ) أو فاهم عقلا . وإنما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القوم يومئذ ، لإعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة ، وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ، ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات ، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان ، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم ، وأذكرهم وأفهمهم ، أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَاتَرَى

فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : ويسألك يا محمد قومك عن الجبال ، فقل لهم : يُذَرُّهَا رَبِّي تَذْرِيَةً وَيَطْبِئُهَا ، بقلعها واستئصالها من أصولها ، وذلك بعضها على بعض ، وتصبيره إياها هباء منبثا ( فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ) يقول تعالى ذكره : فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا ، قاعا : يعني : أرضا ملساء ، صفصفا : يعني مستويا لآبات فيه ، ولا تشنر ، ولا ارتفاع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قاعا صَفْصَفًا ) يقول : مستويا لانبات فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيَسْدَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ) قال : مستويا ، الصفصف : المستوي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا عبد الله بن لميعة ، قال : ثنا أبو الأسود ، عن عروة ، قال : كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب : إن الصخرة موضِع قدم الرحمن يوم القيامة ، فقال : كذب كعب ، إنما الصخرة جبل من الجبال ، إن الله يقول ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ) ، فسكت عبد الملك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( صَفْصَفًا ) قال : مستويا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال أبو جعفر : وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول : القاع : مستنقع الماء ، والصفصف : الذي لانبات فيه .

وقوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول : لاترى في الأرض عِوَجًا ولا أمتا .

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت ، فقال بعضهم : عنى بالعوج في هذا الموضع : الأودية ، وبالأمت : الروابي والنشوز .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول : رابية .

حدثني محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان ، قال : سمعت عكرمة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : هي الأرض البيضاء ، أو قال : المساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : ارتفاعا ، ولا انخفاضًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : لاتعادي ؛ الأمت : التعادي .

وقال آخرون : بل عنى بالعوج في هذا الموضع : الصدوع ، وبالأمّت : الارتفاع من الآكام وأشباهاها .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله :  
( لا تترى فيها عوجا ) قال : صدعا ( ولا أمّتا ) يقول : ولا أكمة .  
وقال آخرون : عنى بالعوج : الميل ، وبالأمّت : الأثر .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( لا تترى فيها عوجا ولا أمّتا ) يقول : لا ترى فيها ميلا ، والأمّت : الأثر مثل الشراك .  
وقال آخرون : الأمّت : الخاني والأحداب .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأمّت : الحدب .  
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بالعوج : الميل ، وذلك أن ذلك هو  
المعروف في كلام العرب .

فإن قال قائل : وهل في الأرض اليوم من عوج ، فيقال : لا ترى فيها يومئذ عوجا . قيل : إن معنى  
ذلك : ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة ، كما يحتاج اليوم من أخذ  
في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا ، وأحيانا شمالا ، لما فيها من الجبال والأودية والبحار . وأما الأمّت  
فإنه عند العرب : الانثناء والضعف ، مسموع منهم ، مدّ جبله حتى ماترك فيه أمّتا : أى انثناء ، وملأ سقاه  
حتى ماترك فيه أمّتا ؛ ومنه قول الراجز :

ما في أنجداب سسيّره من أمّت

يعنى : من وهن وضعف ، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمّت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله  
ولا ارتفاع ولا انخفاض ، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام :  
لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ، ولا ارتفاعا ، ولا انخفاضا ، ولكنها مستوية ملساء ، كما قال جل ثناؤه  
( قاعا صَفَصَفًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجٍ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما في (اللسان : أمّت) والرواية فيه : « ما في انطلاق ركبته من أمّت » قال وفي  
حديث أبي سعيد الخدري : « أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم الخمر ، فلا أمّت فيها ، وأنا أنهي عن السكر والمسكر » . قال أبو  
منصور : معنى قول أبي سعيد عن النبي : أراد أنه حرمها تحريما لا هوادة فيه ولا لين ، لكنه شدد في تحريمها ؛ وهو من قولك : سرت  
سيرا لا أمّت فيه ؛ أى لا وهن فيه ولا ضعف . وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريما لا شك فيه . وأصله من الأمّت بمعنى الخزر  
والتقدير ، لأن الشك يدخلها . قال العجاج : ما في انطلاق ركبته من أمّت « أى من فتور واسترخاء . اهـ .

يقول تعالى ذكره : يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة ، فيحشرهم إليه : ( لا عِوَجَ لَهُ ) يقول : لا عوج لهم عنه ولا انحراف ، ولكنهم سراعاً إليه ينحشرون . وقيل : لا عوج له ، والمعنى : لا عوج لهم عنه . لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ، ولكنهم يؤمونه ويأتونه ، كما يقال في الكلام : دعاني فلان دعوة لا عِوَجَ لي عنها : أي لا أعِوَجَ عنها . وقوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول تعالى ذكره : وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع ، والمعنى لأهلها أنهم خضع جميعهم لربهم ، فلا تسمع لناطق منهم منطلقاً إلا من أذن له الرحمن .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول : سكنت .

وقوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : إنه وطء الأقدام إلى الحشر ، وأصله : الصوت الخفي ، يقال همس فلان إلى فلان بجديته : إذا أسرّه إليه وأخفاه ؛ ومنه قول الراجز :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا      إِنَّ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَبِيْكَ تَمِيْسًا

يعني بالهمس : صوت أخفاف الإبل في سيرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عليّ بن عباس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : وطء الأقدام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يعني : همس الأقدام ، وهو الوطء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : الصوت الخفيّ .

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن عكرمة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : وطء الأقدام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : همس الأقدام .

(١) البيت ما أنشده ابن عباس ، وقد نقله عنه السيوطي في الإتقان ، وكثير من المفسرين ، ومنهم المؤلف ، ونقل صاحب (اللسان همس) شطره الأول . وهو « وهن يمشين بنا هميسا » قال : وهو صوت نقل أخفاف الإبل . اه . وقال في أول المادة : همس : الخفي من الصوت والوطء والأكل . وفي التنزيل : « فلا تسمع إلا همسا » . في التهذيب : يعني به والله أعلم : خفق الأقدام على الأرض . وقال الفراء : يقال إنه نقل الأقدام إلى الحشر . ويقال : الصوت الخفي . وروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشد :

« وهن يمشين بنا هميسا »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال قتادة : كان الحسن يقول : وقع أقدام القوم .  
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : تهافتا ، وقال : تخافت الكلام .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَمْسًا ) قال : خفض الصوت .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : خفض الصوت . قال : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كلام الإنسان لا تسمع تحرك شفثيه ولسانه .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : لا تسمع إلا مشيا ، قال : المشي الممس : وطء الأقدام .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا ) شفاعة ( مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ) أن يشفع ( وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ) وأدخل في الكلام له دليل على إضافة القول إلى كناية « مَنْ » وذلك كقول القائل الآخر : رضيت لك عملك ، ورضيته منك ، وموضع مَنْ من قوله ( إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ) نصب لأنه خلاف الشفاعة . وقوله ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة ، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ( وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول : ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا .  
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ) من أمر الساعة ( وَمَا خَلْفَهُمْ ) من أمر الدنيا .

وقوله ( وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ) يقول تعالى ذكره : ولا يحيط خلقه به علما . ومعنى الكلام : أنه يحيط بعباده علما ، ولا يحيط بعباده به علما . وقد زعم بعضهم : أن معنى ذلك : أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم ، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم ، وقال : إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة ، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها موبخهم بذلك ، ومقرعهم بأن من كان كذلك ، فكيف يعبد ؟ وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)

يقول تعالى ذكره : استسمرت وجوه الخلق ، واستسلمت للحى الذي لا يموت ، القيوم على خلقه

بتدبيره إياهم ، وتصريفهم لما شاءوا . وأصل العنوة الذل يقال منه : عنا وجهه لربه يعنو عَنَوْا ، يعنى خضع له وذل ، وكذلك قيل للأسير ، عانٍ . لذلة الأسر . فأما قولهم : أخذت الشيء عَنَوَةً ، فإنه يكون وإن كان معناه يتول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة . ويكون أخذه عن تسليم وطاعة ، كما قال الشاعر :

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّهَا الْقَلْبُ عَنَوَةً      وَكَمْ تَلَحُّ نَفْسٌ لَمْ تَلَمْ فِي اخْتِيَابِهَا

وقال آخر :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنَوَةً عَنَ مَوَدَّةٍ      وَلَكِنَّ بِحَدِّ الْمَشْرِفِي اسْتَقَالَهَا ٢

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يقول : ذلت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يعنى بعنت : استسلموا لى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ ) قال : خشعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) أى ذلّت الوجوه للحى القيوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : ذلّت الوجوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال طلق : إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه ، أو قال : عنا .

(١) لم أقف على قائل البيت . وعنوة : قال فى (اللسان : عنو) فى حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة : أى قهرا وغلبة . قال ابن الأثير : هو من عنا يعنو : إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويدل . وأخذت البلاد عنوة : بالقهر والإذلال . ابن الأعرابي : عنا يعنو : إذا أخذ الشيء قهرا . وعنا يعنو عنوة : إذا أخذ الشيء صلحا ، بإكرام ورقق . والعنوة أيضا المودة . قال الأزهرى : أخذت الشيء عنوة : يكون غلبة ، ويكون عن تسلیم وطاعة من يؤخذ منه الشيء . وأنشد الفراء لكثير :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنَوَةً عَنَ مَوَدَّةٍ      وَلَكِنَّ ضَرْبَ الْمَشْرِفِي اسْتَقَالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « وعنت الوجوه » : استأسرت . قال : والعانى : الأسير . وقال أبو الهيثم : العانى : الخاضع .

(٢) البيت لكثير عزة ، كما فى (اللسان : عنا) وقد تقدم القول فى معناه فى الشاهد السابق عليه . والمشرقى : السيف ، منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو باليمن . واستقالها : أخذها وانتراعها .

حدثني أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمد ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب ، في هذه الآية ( وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتك وأطراف قدميك في السجود .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : وضع الجبهة والأنف على الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب ، في قوله ( وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : استأسرت الوجوه للحَيِّ الْقَيُّومِ ، صاروا أسارى كلهم له . قال : والعاني : الأسير . وقد بينا معنى الحَيِّ الْقَيُّومِ فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وقوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) يقول تعالى ذكره : ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيامة شركا بالله ، وكفرا به ، وعملا بمعصيته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال : من حمل شركا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال : من حمل شركا ، الظلم ها هنا : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه : ومن يعمل من صالحات الأعمال ، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ( وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) يقول : وهو مصدق بالله ، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ) يقول : فلا يخاف من الله أن يظلمه ، فيحمل عليه سيئات غيره ، فيعاقبه عليها ( وَلَا هَضْمًا ) يقول : لا يخاف أن يهضمه حسناته ، فينقصه ثوابها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) قال : زعموا أنها الفرائض .

ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا )

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار ، قالوا : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : هضمًا : غصبا .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال : ( لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم ، فيزاد عليه في سيئاته ، ولا يظلم فيهم في حسناته : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) يقول : أنا قاهر لكم اليوم ، آخذكم بقوتي وشدتي ، وأنا قادر على قهركم وهضمكم ، فلما بيني وبينكم العدل ، وذلك يوم القيامة .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) أما هضمًا فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته ، يقول الله يوم القيامة : لا آخذكم بقوتي وشدتي ، ولكن العدل بيني وبينكم ، ولا ظلم عليكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَضْمًا ) قال : انتقاص شيء من حق عمله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال : سمعت جيب بن أبي ثابت يقول في قوله ( وَلَا هَضْمًا ) قال : الهضم : الانتقاص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : ظلما أن يزداد في سيئاته ، ولا يُهضم من حسناته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا يخاف أن يظلم ، فلا يجزى بعمله ، ولا يخاف أن ينتقص من حقه ، فلا يوفى عمله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن ميمون بن سيابة ، عن الحسن ، في قول الله تعالى ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا ينتقص الله من حسناته شيئا ، ولا يحمل عليه ذنب مسمى . وأصل الهضم : النقص ، يقال : هضمي فلان حتى ، ومنه امرأة هضمي : أي ضامرة البطن ، ومنه قولهم : قد هضم الطعام : إذا ذهب ، وهضممت لك من حقتك : أي حططتلك .



القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ

ذِكْرًا (١١٣)

يقول تعالى ذكره : كما رغبتنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال ، بوعدناهم ما وعدناهم ، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا ، وكفرهم بآياتنا ، فأنزلنا هذا القرآن عربيا ، إذ كانوا عربا ( وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ) فبيناه : يقول : وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) يقول : كي يتقونا ، بتصريفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) يقول : أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة ، فيعتبرون وبتعضون بفعلنا بالأهم التي كذّبت الرسل قبلها ، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) ما حذروا به من أمر الله وعقابه ، ووقائعه بالأهم قبلهم ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ) القرآن ( ذِكْرًا ) : أي جيدا وورعا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) قال : جيدا وورعا . وقد قال بعضهم في ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) أن معناه : أو يحدث لهم شرفا ، بإيمانهم به .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ

زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)

يقول تعالى ذكره : فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه ، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار ، الحقّ عما يصفه به المشركون من خلقه ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجل يا محمد بالقرآن ، فتقرئه أصحابك ، أو تقرأه عليهم ، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه ، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك ، من قبل أن يبين له معانيه ، وقيل : لا تتله على أحد ، ولا تملّه عليه ، حتى أنبئته ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال : لانتله على أحد حتى نبيته لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : يقول : لانتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم : حتى نتمه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) يعني : لاتعجل حتى نبيته لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) : أي بيانه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال : تبيانه .

حدثنا ابن المثنى وابن بشار ، قالوا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) من قبل أن يبين لك بيانه .

وقوله ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد : رب زدني علما إلى ما علمتني ، أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)

يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي ، ويخالفوا أمري ، ويتركوا طاعتي ، ويتبعوا أمر عدوّهم إبليس ، وبطيعوه في خلاف أمري ، فقد بما مآ فعل ذلك أبوهم آدم ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَيْهِ ) يقول : ولقد وصينا آدم وقلنا له : ( إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ) فوسوس إليه الشيطان فأطاعه ، وخالف أمري ، فحلّ به من عقوبتي ما حلّ .

وعنى جلّ ثناؤه بقوله ( مِنْ قَبْلِ ) هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد في هذا القرآن ، وقوله ( فَنَسِيَ ) يقول : فترك عهدي .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ ) يقول : فترك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( فَنَسِيَ ) قال : ترك أمر ربه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ )

مِنْ قَبْلُ فَتَسْبِيَّ ، وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال : قال له ( يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) فقرأ حتى بلغ ( لَا تَنْظَمَا فِيهَا وَلَا تَضْحَيَا ) ، وقرأ حتى بلغ ( وَمَلِكٍ لَا يَسْبِي ) قال : ففسى ما عهد إليه في ذلك ، قال : وهذا عهد الله إليه ، قال : ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذى حسده ، وأبى أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبليس ، وعصى الله الذى كرمه وشرّفه ، وأمر ملائكته فسجدوا له .

حدثنا ابن المنى وابن بشار قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ، ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه ففسى .

وقوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) اختلف أهل التأويل في معنى العزم هاهنا ، فقال بعضهم : معناه الصبر : ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) أى صبرا . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) ، قال : صبرا .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، مثله . وقال آخرون : بل معناه : الحفظ ، قالوا : ومعناه : ولم تجد له حفظا لما عهدنا إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال : حفظا لما أمرته .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، في قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال : حفظا .

حدثنا عباد بن محمد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، في قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال : حفظا لما أمرته به .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) . يقول : لم تجد له حفظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال : العزم : المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه ، والتمسك به .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) يقول : لم نجعل له عزما .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة

قال : لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة ، ووضعت في كفة ميزان ، ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى ، لرجح حلمه بأحلامهم ، وقد قال الله تعالى (وَأَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا) . قال أبو جعفر : وأصل العزم : اعتقاد القلب على الشيء ، يقال منه : عزم فلان على كذا : إذا اعتقد عليه ونواه ؛ ومن اعتقاد القلب : حفظ الشيء ، ومنه الصبر على الشيء ، لأنه لا يجرع جازع إلا من خور قلبه وضعفه . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى ، وهو قوله (وَأَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا) فيكون تأويله : ولم نجد له عزم قلب ، على الوفاء لله بعهده ، ولا على حفظ ما عهد إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا سَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)

يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ما كان من تضييع آدم عهده ، ومعرفة بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على مناجه ، إلا من عصمه الله منهم ، واذكر يا محمد (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى) أن يسجد له (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ) ولذلك من شأنه لم يسجد لك ، وخالف أمرى في ذلك وعصاني ، فلا تطيعاه فيما يأمر كما به ، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما ، وطاعتكما له (مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) يقول : فيكون عيشك من كد يدك ، فذلك شقاؤه الذي حذرته ربه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق من جبينه ، فهو الذي قال الله تعالى ذكره (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) فكان ذلك شقاؤه ، وقال تعالى ذكره (فَتَشْقَى) ولم يقل : فتشقى ، وقد قال : (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا) لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام ، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه ، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة ، الكفاية من ذكر المرأة ، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه ، كما قال (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) اجترى بمعرفة السامعين معناه ، من ذكر فعل صاحبه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) قَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، قَالَ يَا سَادِمُ هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى (١٢٠)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قبله لآدم حين أسكنه الجنة : (إِنَّ لَكَ) يا آدم (أَنَّ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى) . و «أن» في قوله (أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا) في موضع نصب بإن التي في قوله (إِنَّ لَكَ) .

وقوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا ) اختلفت القراء في قراءتها ، فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر ، وإنك على العطف على قوله ( إِنَّكَ ) . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة : وأنت بفتح ألفها ، عطفها على « أن » التي في قوله ( أَلَا تَجُوعَ فِيهَا ) . ووجهها تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا . فهذه القراءة أعجب القراءتين إلى ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره ، وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة ، فكون ذلك بأن يكون عطفها على ألا تجوع : أولى من أن يكون خبر مبتدأ وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب . وعنى بقوله ( لَا تَنْظُمًا فِيهَا ) لاتعطش في الجنة ما دمت فيها ( وَلَا تَضْحَى ) ، يقول : لاتظهر للشمس ، فيؤذيك حرها ، كما قال ابن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَبِضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَبِخَصْرًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) يقول : لا يصيبك فيها عطش ولا حر .

حدثني محمد بن سعد ، قال ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) يقول : لا يصيبك حر ولا أذى .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : ثنى أبي ، عن خصيف عن سعيد بن جبير ( لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) قال : لاتصيبك الشمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَضْحَى ) قال : لاتصيبك الشمس ، وقوله ( فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ) يقول : فألقى إلى آدم الشيطان وحده ( فَقَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ) يقول : قال له : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت ، وملكت ملكا لا يتقضى فيبلى :

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّيَبْلَى ) إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله ( أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ) فلا تموتان أبدا .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة القرشي الخزومي . وقد أورده صاحب اللسان في (ضحو) ولم ينسبه . قال : وضحا الرجل ضحوا (على فعل) وضحوا (على فعول) وضحيا : برز للشمس . وضحي بكسر الحاء يضحى في اللغتين معه ضحوا وضحيا : أصابته الشمس ، قال الله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى » قال : لا يؤذيك حر الشمس . وقال الفراء : لاتضحى : لاتصيبك شمس مؤذية . قال : وفي بعض التفسير : ولا تضحى : لاتعرق . قال الأزهرى : والأول ، أشبه بالصواب ، وأنشد : « رأت رجلا . . . البيت » . اهـ . وقوله « يخصر » : هو من الخصر بالتحريك ، وهو البرد يجده الإنسان في أطرافه .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءٌ لَهُمَا، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها ، وأطاعا أمر إبليس ، وخالفا أمر ربهما ( فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءٌ لَهُمَا ) يقول : فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورة عن أعينهما .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إنما أراد ، يعني إبليس بقوله ( هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ) ليبدى لهما ما توارى عنهما من سواتهما ، بهتك لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء ، فأكلت ثم قالت : يا آدم كل ، فإني قد أكلت ، فلم يضرني ، فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما .

وقوله ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة : كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : أقبلا يغطيان عليهما بورق التين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : يوصلان عليهما من ورق الجنة .

وقوله ( وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ) يقول : وخالف أمر ربه ، فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه ، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها . وقوله ( ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ) يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فزرقه الرجوع إلى ما يرضى عنه ، والعمل بطاعته ، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه . وقوله ( وَهَدَىٰ ) يقول : وهده للتوبة ، فوقته لها .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره : قال الله تعالى لآدم وحواء ( اهْبِطَا جَمِيعًا ) إلى الأرض ( بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) يقول : أنما عدو إبليس وذريته ، وإبليس عدو كما وعدو ذريته كما .

وقوله ( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ) يقول : فإن يأتيكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى : يقول : بيان لسببى ، وما أختاره لخلقى من دين ( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ) يقول : فمن اتبع بياني ذلك وعمل به ، ولم

يزرغ عنه ( فَلَا يَضِلُّ ) يقول: فلا يزول عن حجة الحق ، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدى ( وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة بعقاب الله ، لأن الله يدخله الجنة ، وينجيه من عذابه .  
وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « تضمن الله لمن قرأ القرآن ، واتبع ما فيه ، ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم تلا هذه الآية ( فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ) » .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب بن موسى ، عن عمرو الملائي عن ابن عباس ، أنه قال : إن الله قد ضمن . . . فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن يسار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا أحمد بن محمد النسائي ، عن أبي سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : « من قرأ القرآن ، واتبع ما فيه ، عصمه الله من الضلالة ، ووقاه ، أظنه أنا قال : من هول يوم القيامة ، وذلك أنه قال ( فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا؟ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦)

يقول تعالى ذكره ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ) الذى أذكره به ، فتولى عنه ، ولم يقبله ، ولم يستجب له ، ولم يتعظ به ، فيزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : فإن له معيشة ضيقة . والضنك من المنازل والأماكن والمعاش : الشديد . يقال : هذا منزل ضنك : إذا كان ضيقا ، وعيش ضنك : الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع : بلفظ واحد ، ومنه قول عنزة :  
وإن نزلوا بطنك أنزل

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

(١) هذا جزء من عجز بيت اعترت بن عمرو بن شداد العيسى ( مختار الشعر الجاهل طيبة الحلبي شرح مصطفي السقا ص ٢٨٨ ) .  
البيت بتمامه هو :

إن يُلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُّدٌ وَإِنْ يُلْتَمُوا بِضْنِكَ أَنْزَلِ

وفي (اللسان: ضنك) : الضيق من كل شيء ، الذكر والأنثى فيه سواء . ومعيشة ضنك : ضيقة . وفي التزويل « فإن له معيشة ضنكا » أى غير حلال .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : الشقاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ضَنْكًا ) قال : ضيقة .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : الضنك : الضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : ضيقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله هؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك ، والحال التي جعلهم فيها ، فقال بعضهم : جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم ، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ بن مقدم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله : ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : في جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) فقرأ حتى بلغ ( وَكَمْ يَوْمٍ مِنْ بآيَاتِ رَبِّهِ ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، قال : ومعيشة ضنكا في النار : شوك من نار ، وزقوم وغسلين . والضريع : شوك من نار ، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل ( يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ) قال : لمعيشتي ؛ قال : والغسلين والزقوم : شيء لا يعرفه أهل الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : في النار .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك : فإن له معيشة في الدنيا حراما ، قال : ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالذنك ، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام .

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجليّ ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم في قول الله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : رزقا في معصيته .



حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا أبو بسطام ، عن الضحاك ( فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : الكسب الخبيث .

حدثني محمد بن إسماعيل الصرارى ، قال : ثنا محمد بن سَوَّار ، قال : ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد ، عن هارون بن محمد التيمى ، عن الضحاك ، فى قوله ( فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : العمل الخبيث ، والرزق السيئ .

وقال آخرون من قال : عَسَى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك فى الدنيا ، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة ، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخالف من الله ، وإياس من فضل الله ، وسوء ظنَّ منهم بربهم ، فتشددَ لذلك عليهم معيشتهم وتضييق .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : كلَّ مالٍ أعطيته عبدا من عبادى ، قلَّ أو كثر ، لا يتقبنى فيه ، لا خير فيه ، وهو الضنك فى المعيشة . ويقال : إن قوما ضلَّلا أعرضوا عن الحق ، وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين ، فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزَّ وجل ليس بمخلف لهم معايشهم ، من سوء ظنهم بالله ، والتكذيب به ، فإذا كان العبد يكذب بالله ، ويسئ الظنَّ به ، اشتدَّت عليه معيسته ، فذلك الضنك .

وقال آخرون : بل عَسَى بذلك : أن ذلك لهم فى البرزخ ، وهو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يزيد بن مخلد الواسطى ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال فى قول الله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : عذاب القبر .  
حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : إن المعيشة الضنك ، التى قال الله : عذاب القبر .

حدثني حَوَثرَة بن محمد المنقرى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدرى ( فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : يضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو شعيب ابن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن أبي سعيد « أنه كان يقول : المعيشة الضنك : عذاب القبر ، إنه يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تَنِينًا تنهشه ، وتخدش لحمه ، حتى يبعث . وكان يقال : لو أن تيننا منها نفخ الأرض ، لم تنبت زرعًا » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ،

قال: «يطبق على الكافر قبره، حتى تختلف فيه أضلعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله (مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)» .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح والسدي، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثني عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا أبو عميس، عن عبد الله بن غمارق عن أبيه، عن عبد الله، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثني عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم، قالوا: ثنا أبو حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: هو عذاب القبر، الذي حدثنا به أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن

دراج، عن ابن حَجَّيرَة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «أَتَدْرُونَ فِيمَ أَنْزَلْتُ هَذِهِ آيَةَ (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أَتَدْرُونَ

مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ تَنِينًا، أَتَدْرُونَ مَا التَّنِينُ؟ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ

حَبَّةً، لِكُلِّ حَبَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ، وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) فكان معلوماً بذلك

أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم: قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة،

حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)؛ فإذا كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم، من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم

قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة، لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع

معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القابلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين، صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ .

وقوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى): اختلف أهل التأويل في صفة العمى، الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لاعمى البصر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال : ليس له حجة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال : عن الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقيل : يحشر أعمى البصر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره ، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء ، كما أخبر جل ثناؤه ، فعم ولم يخص .

وقوله ( قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم في ذلك : ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ؟ ) لاحجة لي .

وقوله ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وقد كنت بصيرا بحجتي .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) قال : عالما بحجتي .

وقال آخرون : بل معناه : وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ ) قال : كان بعيد البصر ، قصير النظر ، أعمى عن الحق .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله عز شأنه ، وجل ثناؤه ، عم بالخبر عنه : بوصفه نفسه بالبصر ، ولم يخص منه معنى دون معنى . فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية ، قال : رب لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء ، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله .

فإن قال قائل : وكيف قال هذا لربه ( لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ؟ ) مع معابنته عظيم سلطانه ؟ أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء ، أم ما وجه ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه مسئلة لربه ، يعرفه الحرم الذي

استحقَّ به ذلك ، إذ كان قد جهله ، وظنَّ أن لاجرِّم له ، استحق ذلك به منه ، فقال : ربِّ لأىِّ ذنبٍ ولأىِّ جرمٍ حشرتنى أعمى ، وقد كنت من قبل فى الدنيا بصيراً ؟ وأنت لاتعاقب أحداً إلاّ بدون ما يستحق منك من العقاب .

وقوله ( قالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ) : يقول تعالى ذكره ، قال الله حينئذ للقاتل له : ( لمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ ) : فعلت ذلك بك ، فحشرتك أعمى ، كما أتتك آياتى ، وهى حججه وأدلته وبيانه الذى بيّنه فى كتابه ، فنسيها : يقول : فتركها ، وأعرضت عنها ، ولم تؤمن بها ، ولم تعمل . وعنى بقوله ( كَذَلِكَ أَتَتْكَ ) هكذا أتتك . وقوله ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) يقول : فكما نسيت آياتنا فى الدنيا ، فتركها وأعرضت عنها ، فكذلك اليوم ننساك ، فتركك فى النار . وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فى ذلك . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، فى قوله ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) قال : فى النار . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ) قال : فتركها ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) وكذلك اليوم ترك فى النار .

وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) قال : نسى من الخير ، ولم ينس من الشر . وهذا القول الذى قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد ، لأن تركه إياهم فى النار أعظم الشرِّ لهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : وهكذا نجزي : أى نثيب من أسرف ، فعصى ربه ، ولم يؤمن برسله وكتبه ، فنجعل له معيشة ضنكا فى البرزخ ، كما قد بينا قبل ( وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ) يقول جل ثناؤه : ولعذاب فى الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم فى القبر من المعيشة الضنك . وأبقى : يقول : وأدوم منها ، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (١٢٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أفلم يهد لقومك المشركين بالله؟ ومعنى يهد : يبين . يقول : أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلهم ، التي يمشون في مساكنهم ودورهم ، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم ، سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا ، ويتعظوا بهم ، ويعتبروا ، وينيبوا إلى الإذعان ، ويؤمنوا بالله ورسوله ، خوفاً أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كَسَمَ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ ) مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ . لأن قريشا كانت تتجر إلى الشام ، فتمر بمساكن عاد و ثمود ومن أشبههم ، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم ، فلذلك قال لهم : أفلم يحدّثهم ما يرون من فعلنا بهم ، بكفرهم بنا ، نزول مثله بهم ، وهم على مثل فعلهم مقيمون . وكان الفراء يقول : لا يجوز في كم في هذا الموضع أن يكون إلا نصباً بأهلكنا ؛ وكان يقول : وهو وإن لم يكن إلا نصباً ، فإن جملة الكلام رفع بقوله ( يَهْدِي لَهُمْ ) ويقول : ذلك مثل قول القائل : قد تبين لي أقام عمرو أم زيد ، في الاستفهام ، وكقوله ( سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ) ويزعم أن فيه شيئاً يرفع سواء ، لا يظهر مع الاستفهام ، قال : ولو قلت : سواء عليكم ، صمتكم ودعواؤكم تبين ذلك الرفع الذي في الجملة . وليس الذي قال الفراء من ذلك ، كما قال : لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام ، بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة . ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو : أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم ، القرون التي يمشون في مساكنهم ، أو أفلم تهدم القرون الهالكة . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنَ أَهْلَكُنَا ) فكم واقعة موقع « مَن » في قراءة عبد الله ، هي في موضع رفع بقوله ( يَهْدِي لَهُمْ ) وهو أظهر وجوهه ، وأصح معانيه ، وإن كان للذي قاله وجه ومذهب على بعد .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ) يقول تعالى ذكره : إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذبة رسلها قبلهم ، وحلول مشلاتنا بهم لكفرهم بالله ( لآيات ) يقول : لدلالات وعبراً وعظات ( لِّأُولِي النُّهَى ) يعني : لأهل الحجة والعقول . ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن واقعة ما يضره . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لِأُولِي النُّهَى ) يقول : التقي . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ) أهل الورع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ،  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ  
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)

يقول تعالى ذكره ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد، أن كل من قضى له أجل فإنه لا يجترمه قبل بلوغه أجله ، (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) : يقول : ووقت مسمى عند ربك ، سماه لهم في أم الكتاب ، وخطه فيه ، هم بالغوه ومستوفوه (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : للازمهم الهلاك عاجلا ، وهو مصدر من قول القائل : لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما : إذا لم يفارقه ، وقدّم قوله (لَكَانَ لِزَامًا) قبل قوله (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ، لكان لزاما ، فاصبر على ما يقولون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) الأجل المسمى : الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) وهذه من مقادير الكلام ، يقول : لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى ، لكان لزاما ، والأجل المسمى : الساعة ، لأن الله تعالى يقول (بَلِّ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) قال : هذا مقدّم ومؤخر ، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ، لكان لزاما .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (لَكَانَ لِزَامًا) ، فقال بعضهم : معناه : لكان موتا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : موتا .  
وقال آخرون : معناه لكان قتلا .

(١) لعله يريد : لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى . ويجوز أن تكون «إلى» وضعت في موضع واو العطف ، سهوا من الناسخ .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( لَكَانَ لِيْزَامَا ) ، والليزام : القتل . وقوله ( فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ) يقول جل ثناؤه لنبيه : فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذَّبون بآيات الله من قومك لك : إنك ساحر ، وإنك مجنون وشاعر ، ونحو ذلك من القول . ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ) يقول : وصل بثنائك على ربك ، وقال : بحمد ربك . والمعنى : بحمد ربك ، كما تقول : أعجبني ضرب زيد ، والمعنى : ضربني زيدا . وقوله ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) وذلك صلاة الصبح ، وقبل غروبها ، وهى العصر ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) وهى ساعات الليل ، واحدها : لَيْلِي ، على تقدير حمل ؛ ومنه قول المنخل السعدى :

حَلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ فِي كُلِّ إِثْنِي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ<sup>١</sup>

ويعنى بقوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ) صلاة العشاء الآخرة ، لأنها تصلَّى بعد مضي آتاء من الليل . وقوله ( وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) يعنى : صلاة الظهر والمغرب ؛ وقيل : أطراف النهار ؛ والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا ، لأن صلاة الظهر فى آخر طرف النهار الأول ، وفى أول طرف النهار الآخر ، فهى فى طرفين منه ، والطرف الثالث : غروب الشمس ، وعند ذلك تصلى المغرب ، فلذلك قيل أطراف . وقد يحتمل أن يقال : أريد به طرفا النهار . وقيل : أطراف ، كما قيل ( صَعَتَ قُلُوبُكُمَا ) فجمع ، والمراد : قلبان ، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر ، وآخر طرفه الأول<sup>٢</sup> .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبي زيد ، عن ابن عباس ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال : الصلاة المكتوبة . حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر ليلة البدر فقال : إِنَّكُمْ رَأَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لِأَنْضَاهُمْ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا ، فَافْعَلُوا ، ثُمَّ تَلَا ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) » .

(١) فى ( اللسان : أئى ) الأئى : واحد آتاء الليل ، وهى ساعاته . وفى التنزيل العزيز : « ومن آتاء الليل » . قال أهل اللغة ، منهم الزجاج : آتاء الليل : ساعاته ، واحدها : لَيْلِي وإئى ( فى قول : لَيْلِي ، فهو مثل نحى وأنحاء ؛ ومن قال : لَيْلِي ، فهو مثل مى وأمماء ؛ قال الهذلى المنخل :

السَّالِكُ الثَّغْرَ مَحْشِيًّا مَوَارِدُهُ بِكُلِّ إِثْنِي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ<sup>١</sup>

قال الأزهرى : كذا رواه ابن الأبارى . وأنشد الجوهري : « حلو ومر . . . البيت » . ونسبه أيضا للمنخل ؛ فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

(٢) فى الأصل : الآخر ؟ وهو سهو من الكاتب ، كما تبين من عبارة المؤلف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ( فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال ابن جريج : العصر ، وأطراف النهار قال : المكتوبة .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله ( فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) قال : هي صلاة الفجر ( وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال : صلاة العصر . ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ) قال : صلاة المغرب والعشاء . ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) قال : صلاة الظهر .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) : قال : من آناء الليل : العتمة . وأطراف النهار : المغرب والصبح . ونصب قوله ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) عطفا على قوله ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) ، لأن معنى ذلك : فسبح بحمد ربك آخر الليل ، وأطراف النهار .

وبنحو الذي قلنا في معنى ( آنَاءِ اللَّيْلِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ) قال : المصلى من الليل كله .  
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن قرأ ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ) قال : من أوله ، وأوسطه ، وآخره .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ ) قال : آناء الليل : جوف الليل .  
 وقوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) يقول : كي ترضى .  
 وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) بفتح التاء . وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) بضم التاء ، ورؤى ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي ، وكان الذين قرءوا ذلك بالفتح ، ذهبوا إلى معنى : إن الله يعطيك ، حتى ترضى عطيته وثوابه إياك ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) قال : الثواب ، ترضى بما يثيبك الله على ذلك .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) قال : بما تُعْطَى ، وكان الذين قرءوا ذلك بالضم ، وجهوا معنى الكلام إلى لعل الله يرضيك من عبادتك إياه ، وطاعتك له .  
 والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ؛ وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه ،



فلا شك أنه يرضى ، وأنه إذا رضى فقد أَرْضاه الله ، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ، وَرَزَقُ

رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم ، مُتَّعَةً في حياتهم الدنيا ، يتمتعون بها ، من زهرة عاجل الدنيا ونصرتها ( لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ) يقول : لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ، ونبتليهم ، فلن ذلك فان زائل ، وغرور وخداع تضمحل ( وَرَزَقُ رَبِّكَ ) الذى وعدك أن يرزقك في الآخرة حتى ترضى ، وهو ثوابه إياه ( خَيْرٌ ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا . ( وَأَبْقَى ) يقول : وأدوم ، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى يهودى يستسلف منه طعاما ، فأبى أن يستسلفه إلا برهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبى رافع ، قال : « أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى يستسلفه ، فأبى أن يعطيه إلا برهن ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن أبى رافع ، قال : « نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فأرسلنى إلى يهودى بالمدينة يستسلفه ، فأبى ، فقال : لأسلفه إلا برهن ، فأخبرته بذلك ، فقال : لآئى لآمين فى أهل السماء وفى أهل الأرض ، فأحمِلْ دِرْعِي إِلَيْهِ - فنزلت ( وَكَانَ آتِينَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ ) . وقوله ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) إلى قوله ( وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ) » ويعنى بقوله ( أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) رجالا منهم أشكالا ، وبزهرة الحياة الدنيا : زينة الحياة الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) : أى زينة الحياة الدنيا ، ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الماء التى فى قوله به من ( مَتَّعْنَا بِهِ ) كما يقال : مررت به الشريف الكريم ، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت ، وكذلك قوله ( إلى

ما مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تنصب على الفعل بمعنى : متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا ، وزينة لهم فيها . وذكر الفراء أن بعض بني فقمس أنشده .

أَبْعَدَ الَّذِي بِالسَّفْحِ سَفْحٍ كَوَاكِبٍ رَهِيْنَةً رَمْسٍ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ ١

فنصب رهينة على الفعل من قوله : « أبعد الذي بالسفح » ، وهذا لاشك أنه أضعف في العمل نصباً من قوله ( مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) لأن العامل في الاسم وهو رهينة ، حرف خافض لاناصب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِنَقْتَبِنَهُمْ فِيهِ ) قال : لتبليهم فيه ( وَرَزَقُ رَبِّكَ حَسِيرٌ وَأَبْقَى ) مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ( وَأْمُرْ ) يا محمد ( أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) يقول : واصطبر على القيام بها ، وأدائها بحدودها أنت ( لِنَسْأَلُكَ رِزْقًا ) يقول : لانستلك مالا ، بل نكلفك عملاً ببدنك ، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ( نَحْنُ نَرِزُقُكَ ) يقول : نحن نعطيك المال ونكسبك ، ولا نسألكه . وقوله ( وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ) يقول : والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً ، ولا يرجو له ثواباً .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، قال : كان عروة إذا رأى

(١) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقمس ، كما قال المؤلف . وكواكب ، بضم الكاف : جبل بعينه . ورهينة الرمس الذي نزل واستقر به لا يبرحه . والرمس : القبر . أو التراب والصخور يوارى بها الميت في لحده . والجندل : الصخر . والشاهد في البيت : نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف ، كما نصبت « زهرة الحياة الدنيا » . قال صاحب تاج العروس : والخروج عند أئمة النحو : هو التصب على المفعولية ، وهو عبارة البصريين ، لأنهم يقولون في المفعول : هو منصوب على الخروج : أى خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته ، وهو كقولهم له ( فضلة ) . اه . أراد المؤلف أن رهينة منصوب على البذل من محل الخروج ، وهو قوله ( بالسفح ) ، لأنه محله التصب على المفعولية . وقد بين أبو البقاء العكبري في « إعراب القرآن » وجوه نصب « زهرة الحياة » قال ( ٢ : ٦٨ ) في نصبه أوجه : ( أحدها ) أن يكون منصوباً بفعل محذوف ، دل عليه « متعنا » . أى جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا . ( والثاني ) : أن يكون بدلاً من موضع ( به ) . ( والثالث ) أن يكون بدلاً من أزواج . والتقدير : ذوى زهرة ؛ فحذف المضاف . ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة . ولا يجوز أن يكون صفة ، لأنه معرفة ، وأزواجاً نكرة . ( والرابع ) : أن يكون على الذم ، أى أذم أو أعتى . ( والخامس ) : أن يكون بدلاً من ( ما ) . اختاره بعضهم . وقال آخرون : لا يجوز ؛ لأن قوله تعالى « لنفتنهم » من صلة « متعنا » ، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجناس . ( والسادس ) : أن يكون حالاً من الهاء ، أو من ( ما ) ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البذل . ومن اختاره مكى ( لعله أبو الحرم مكى بن ريان الماكسني القريري ) ، وفيه نظر . ( السابع ) : أنه تمييز لما ، أو لها في ( به ) ، حكى عن الفراء ، وهو غلط ، لأنه معرفة . اه .

ما عند السلاطين دخل داره ، فقال ( لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، لِنَنْفِتْنَهُمْ فِيهِ ، وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ، وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ، وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ، لَنْسَأَلَكَ رِزْقًا ، نَحْنُ نَرْزُقُكَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ) ثم ينادى : الصلاة الصلاة ، يرحمكم الله .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا عثام عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان إذا رأى شيئا من الدنيا جاء إلى أهله ، فقال الصلاة ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ، وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ، لَنْسَأَلَكَ رِزْقًا ) .

حدثنا العباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : كان بيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا و يرفا ، وكانت له من الليل ساعة يصلها ، فإذا قلنا : لا يقوم من الليل ، كان قياما ؛ وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ ، قرأ هذه الآية ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ، وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، مثله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ؟ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل : هلا يأتينا محمد بآية من ربه ، كما أتى قومه صالح بالناقة ، وعيسى بإحياء الموتى ، وإبراهيم بالآية والأبرص ؟ يقول الله جل ثناؤه : أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم ، التي أهلكتناهم لما سألوا الآيات ، فكفروا بها لما أتتهم ، كيف عجلنا لهم العذاب ، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها ، يقول : فإذا يؤمنهم إن أتتهم الآية ، أن يكون حالهم حال أولئك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى؟ ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى؟ ) : الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُحْزَىٰ (١٣٤)

(١) لعله يريد : كان يقوم قياما ، أى قياما طويلا . والضمير في كان راجع إلى « عمر » رضى الله عنه .

يقول تعالى ذكره : ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه ، بعذاب ننزله بهم ، بكفرهم بالله ، لقاله ا يوم القيامة إذ وردوا علينا ، فأردنا عقابهم : ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعوننا إلى طاعتك ؟ فنتبع آياتك : يقول : فنتبع حجتك وأدلتك ، وما ننزله عليه من أمرك ونهيك ، من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ، ونخزي به .

كما حدثني الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ ، وَالْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ ، وَالصَّيْبِيُّ الصَّغِيرُ ، فَيَقُولُ الْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ : لَمْ يَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَنْتَفِيعُ بِهِ ؛ وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ : لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ ، وَلَوْ أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطُوعَ خَلْقِكَ لَكَ ؛ وَقَرَأَ (لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) ؟ وَيَقُولُ الصَّيْبِيُّ الصَّغِيرُ : كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ ؛ قَالَ : فَسُتْرَفِعَ لَهُمْ نَارٌ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : رُدُّوْهَا . قَالَ : فَيَرُدُّهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ ، فَيَقُولُ : إِيَّايَ عَصَيْتُمْ ، فَكَيْفَ بَرُسُلِي لَوْ أَتَيْتُكُمْ ؟ »

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ كُلٌّ مَّتْرَبِصٌ فَتَرَبَّصُوا ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص : يقول : منتظر لمن يكون الفلاح ، وإلى ما يؤول أمرى وأمركم ؟ متوقف ينتظر دوائر الزمان . فتربصوا : يقول : فترقبوا وانتظروا . فتعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل ، الذى لا اعوجاج فيه ، إذا جاء أمر الله ، وقامت القيامة ، أنحن أم أنتم ؟ ومن اهتدى : يقول : وستعلمون حينئذ من المهتدى ، الذى هو على سبيل الطريق القاصد غير الخائر عن قصده ، منا ومنكم . وفى « من » من قوله ( فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ) ، والثانية من قوله ( وَمَنِ اهْتَدَى ) وجهان : الرفع ، وترك إعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه ( لَنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ) ، والنصب على إعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه : ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ) .

تم الجزء السادس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى ،

ويليه الجزء السابع عشر ، وأوله : سورة الأنبياء

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## ثَاوِيلَ ابْنِ الْقُرَظَةِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جزير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء السابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة



فهارس الجزء السابع عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر : محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثاني : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافي .

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				تفسير سورة الأنبياء	
١	اقرب للناس حسابهم . . .	١	٢٣	لا يستل عما يفعل وهم يسئلون . . .	١٤
٢	ما يأتيهم من ذكر من ربهم . . .	٢	٢٤	أم اتخذوا من دونه آلهة . . .	١٤
٣	لا هية قلوبهم وأسروا النجوى . . .	٢	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٥
٤	قال ربي يعلم القول في السماء . . .	٣	٢٦	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه . . .	١٥
٥	بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه . . .	٣	٢٧	لا يسبقونه بالقول . . .	١٥
٦	ما آمنت قلوبهم من قرية أهلكتها . . .	٤	٢٨	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	١٦
٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجلا . . .	٤	٢٩	ومن يقل منهم إني إله من دونه . . .	١٧
٨	وما جعلناهم جسدا لا يأكلون . . .	٥	٣٠	أو لم ير الذين كفروا . . .	١٧
٩	ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم . . .	٥	٣١	وجعلنا في الأرض رواسي . . .	٢١
١٠	لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم . . .	٦	٣٢	وجعلنا السماء سقفا محفوظا . . .	٢١
١١	وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة . . .	٦	٣٣	وهو الذي خلق الليل والنهار . . .	٢١
١٢	فلما أحسوا بأسنا . . .	٧	٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . . .	٢٤
١٣	لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه . . .	٧	٣٥	كل نفس ذائقة الموت . . .	٢٤
١٤	قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين .	٨	٣٦	وإذا رآك الذين كفروا . . .	٢٥
١٥	فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم . . .	٩	٣٧	خلق الإنسان من عجل . . .	٢٥
١٦	وما خلقنا السماء والأرض . . .	٩	٣٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٢٥
١٧	لو أردنا أن نتخذ لهم واتخذناه . . .	٩	٣٩	لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون . . .	٢٨
١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه . . .	١٠	٤٠	بل تأتيهم بغتة فتبهتهم . . .	٢٩
١٩	وله من في السموات والأرض . . .	١٠	٤١	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	٢٩
٢٠	يسبحون الليل والنهار . . .	١١	٤٢	قل من يكلؤكم بالليل والنهار . . .	٢٩
٢١	أم اتخذوا آلهة من الأرض . . .	١٢	٤٣	أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا . . .	٣٠
٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا . . .	١٢	٤٤	بل متعنا هؤلاء وآباءهم . . .	٣١
		١٣	٤٥	قل إنما أنذركم بالوحي . . .	٣٢



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك . . .	٣٢	٧٤	ولوطا آتيناها حكما وعلما . . .	٤٩
٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . . .	٣٣	٧٥	وأدخلناها في رحمتنا . . .	٤٩
٤٨	ولقد آتينا موسى وهارون . . .	٣٤	٧٦	ونوحا إذ نادى من قبل . . .	٥٠
٤٩	الذين يخشون ربهم بالغيب . . .	٣٥	٧٧	ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا . . .	٥٠
٥٠	وهذا ذكر مبارك أنزلناه . . .	٣٥	٧٨	وداود وسلیمان إذ يحكمان في الحرث . . .	٥٠
٥١	ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل . . .	٣٥	٧٩	ففهمناها سليمان . . .	٥٠
٥٢	إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . .	٣٥	٨٠	وعلمناه صنعة لبوس لكم . . .	٥٤
٥٣	قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . . .	٣٦	٨١	ولسليمان الريح عاصفة . . .	٥٥
٥٤	قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم . . .	٣٦	٨٢	ومن الشياطين من يغوصون له . . .	٥٦
٥٥	قالوا أجنثنا بالحق . . .	٣٦	٨٣	وأيوب إذ نادى ربه . . .	٥٦
٥٦	قال بل ربكم رب السموات والأرض . . .	٣٧	٨٤	فاستجبنا له فكشفنا ما به . . .	٥٦
٥٧	وتالله لأكيدن أصنامكم . . .	٣٧	٨٥	وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . . .	٧٣
٥٨	فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم . . .	٣٧	٨٦	وأدخلناهم في رحمتنا . . .	٧٣
٥٩	قالوا من فعل هذا بالهتنا . . .	٣٩	٨٧	وذا النون إذ ذهب مغاضبا . . .	٧٦
٦٠	قالوا سمعنا فتى يذكرهم . . .	٣٩	٨٨	فاستجبنا له ونجيناها من الغم . . .	٨١
٦١	قالوا فأتوا به على أعين الناس . . .	٣٩	٨٩	وزكريا إذ نادى ربه . . .	٨٢
٦٢	قالوا أنت فعلت هذا . . .	٤٠	٩٠	فاستجبنا له ووهبنا له . . .	٨٣
٦٣	قال بل فعله كبيرهم هذا . . .	٤٠	٩١	والتي أحصنت فرجها . . .	٨٤
٦٤	فرجعوا إلى أنفسهم . . .	٤١	٩٢	إن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٨٥
٦٥	ثم نكسوا على رؤوسهم . . .	٤١	٩٣	وتقطعوا أمرهم بينهم . . .	٨٥
٦٦	قال أفتعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٤	فمن يعمل من الصالحات . . .	٨٥
٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٥	وحرام على قرية أهلكتها . . .	٨٦
٦٨	قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم . . .	٤٣	٩٦	حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج . . .	٨٧
٦٩	قلنا يا نار كوني بردا وسلاما . . .	٤٣	٩٧	واقترب الوعد الحق . . .	٩٢
٧٠	وأرادوا به كيدا . . .	٤٣	٩٨	إنكم وما تعبدون من دون الله . . .	٩٣
٧١	ونجيناها ووطا إلى الأرض . . .	٤٥	٩٩	لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها . . .	٩٥
٧٢	وهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	٤٨	١٠٠	لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . . .	٩٥
٧٣	وجعلناها أمة يهدون بأمرنا . . .	٤٨			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠١	إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی . . .	٩٥	١٦	وكذلك أنزلناه آيات . . .	١٢٥
١٠٢	لا يسمعون حسیسها . . .	٩٨	١٧	إن الذين آمنوا والذين هادوا . . .	١٢٩
١٠٣	لا یحزُّنهم الفزع الأكبر . . .	٩٨	١٨	ألم تر أن الله یسجد له . . .	١٣٠
١٠٤	یوم نظوى السماء كطی السجل . . .	٩٩	١٩	هذان خصمان اختصموا فی ربهم . . .	١٣١
١٠٥	ولقد كتبنا فی الزبور . . .	١٠٢	٢٠	یُصهَر به ما فی بطونهم والجلود . . .	١٣١
١٠٦	إن فی هذا لبلاغاً لقوم عابدين . . .	١٠٥	٢١	ولهم مقامع من حديد . . .	١٣١
١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمین . . .	١٠٥	٢٢	كلما أرادوا أن ینخرجوا منها . . .	١٣١
١٠٨	قل إنما یوحى إلىّ أنا إلهکم . . .	١٠٧	٢٣	إن الله یدخل الذين آمنوا وعملوا . . .	١٣٥
١٠٩	فإن تولوا فقل آذنتکم على سواء . . .	١٠٧	٢٤	وهدوا إلى الطیب من القول . . .	١٣٥
١١٠	إنه یعلم الجهر من القول . . .	١٠٧	٢٥	إن الذين كفروا ویصدون . . .	١٣٦
١١١	وإن أدرى لعله فتنة . . .	١٠٧	٢٦	وإذ بوأنا لإبراهیم مكان البیت . . .	١٤٢
١١٢	قال رب احکم بالحق . . .	١٠٨	٢٧	وأذن فی الناس بالحق یأتوك . . .	١٤٣
			٢٨	لیشهدوا منافع لهم . . .	١٤٣
			٢٩	ثم لیقضوا تفتنهم ولیوفوا نذورهم . . .	١٤٣
١	یا أيها الناس اتقوا ربکم . . .	١٠٩	٣٠	ذلك ومن یعظم حرمان الله . . .	١٥٣
٢	یوم ترونها تذهل کل مرضعة . . .	١٠٩	٣١	حنفاء لله غیر مشرکین به . . .	١٥٥
٣	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١١٥	٣٢	ذلك ومن یعظم شعائر الله . . .	١٥٦
٤	كتب علیه أنه من تولاه . . .	١١٦	٣٣	لکم فیها منافع إلى أجل مسمى . . .	١٥٧
٥	یا أيها الناس إن کنتم فی ریب . . .	١١٦	٣٤	ولکل أمة جعلنا منسكاً . . .	١٦٠
٦	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٢٠	٣٥	الذين إذا ذکر الله . . .	١٦١
٧	وأن الساعة آتية لا ریب فیها . . .	١٢٠	٣٦	والبُدن جعلناها لکم من شعائر الله . . .	١٦٢
٨	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١٢٠	٣٧	لن ینال الله لحوماً ولا دماًؤها . . .	١٧٠
٩	ثانی عطفه لیضلّ عن سبیل الله . . .	١٢٠	٣٨	إن الله یدافع عن الذين آمنوا . . .	١٧١
١٠	ذلك بما قدّمت یداک . . .	١٢٠	٣٩	أُذِن للذين یقاتلون بأنهم ظلموا . . .	١٧١
١١	ومن الناس من یعبد الله . . .	١٢٢	٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم . . .	١٧٣
١٢	یدعو من دون الله ما لا یضره . . .	١٢٤	٤١	الذين إن مکنناهم فی الأرض . . .	١٧٨
١٣	یدعو لمن ضره أقرب من نفعه . . .	١٢٤	٤٢	وإن یکذبوک فقد کذّبت . . .	١٧٩
١٤	إن الله یدخل الذين آمنوا . . .	١٢٥	٤٣	وقوم إبراهیم وقوم لوط . . .	١٧٩
١٥	من کان یظنّ أن لن ینصره الله . . .	١٢٥			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	وأصحاب مدين وكذب موسى . . .	١٧٩	٦٢	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٩٦
٤٥	فكأين من قرية أهلكناها . . .	١٧٩	٦٣	ألم تر أن الله أنزل . . .	١٩٦
٤٦	أفلم يسيرا في الأرض . . .	١٨٢	٦٤	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٩٧
٤٧	ويستعجلونك بالعذاب . . .	١٨٣	٦٥	ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض . . .	١٩٧
٤٨	وكأين من قرية أمليت . . .	١٨٤	٦٦	وهو الذي أحياكم . . .	١٩٧
٤٩	قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير . . .	١٨٥	٦٧	لكل أمة جعلنا منسكا . . .	١٩٨
٥٠	فالذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٨٥	٦٨	وإن جادلوك فقل الله أعلم . . .	١٩٩
٥١	والذين سعوا في آياتنا . . .	١٨٥	٦٩	الله يحكم بينكم يوم القيامة . . .	١٩٩
٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٨٦	٧٠	ألم تعلم أن الله يعلم . . .	٢٠٠
٥٣	ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة . . .	١٩٠	٧١	ويعبدون من دون الله . . .	٢٠١
٥٤	وليعلم الذين أوتوا العلم . . .	١٩١	٧٢	وإذا تلى عليهم آياتنا . . .	٢٠١
٥٥	ولا يزال الذين كفروا في مريبة . . .	١٩٢	٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل . . .	٢٠٢
٥٦	المملك يومئذ الله يحكم بينهم . . .	١٩٤	٧٤	ما قدروا الله حق قدره . . .	٢٠٢
٥٧	والذين كفروا بآياتنا . . .	١٩٤	٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا . . .	٢٠٤
٥٨	والذين هاجروا في سبيل الله . . .	١٩٤	٧٦	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	٢٠٤
٥٩	ليبدل خلتهم مدخلا يرصونه . . .	١٩٥	٧٧	يا أيها الذين آمنوا اركعوا . . .	٢٠٤
٦٠	ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به . . .	١٩٥	٧٨	وجاهدوا في الله حق جهاده . . .	٢٠٥
٦١	ذلك بأن الله يولج الليل في النهار . . .	١٩٥			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٣	١ تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
الله به .	٣ تأويل قوله « بل قالوا أضغاث أحلام » . . .
٤٥ نزول إبراهيم بالشام ، وذكر طرف من فضائلها .	الآية ، وما تقوله المشركون عليه .
٥٠ ما حكم به داود وسليمان في الحرث .	٦ القرآن فيه شرف لمن اتبعه .
٥٤ ما علمه داود من صنعة الدروع .	١٠ اللهو يطلق على الزوجة .
٥٥ ما أعطيه سليمان من تسخير الرياح .	١١ وجه استحالة أن يتخذ الله لهوا .
٥٦ قصة أيوب .	١٢ تأويل قوله « أم اتخذوا من دونه آهة » . . .
٧٣ تأويل قوله « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل » ، وبيان من هو ذو الكفل ، وذكر طرف من تاريخه .	الآية ، وعجز المشركين عن الإتيان بالحجة .
٧٦ مغاضبة يونس عليه السلام ، وسوق طرف من حكايته مع قومه .	١٧ بيان كون السموات والأرض كانتا خيلوا من المطر والنبات ، فسخرهما الله لما هما عليه من المنافع ، وأن ذلك هو المراد بالرتق والفتق .
٨٢ طرف من أخبار زكريا عليه السلام .	٢١ تأويل قوله « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » . ومعنى الفلك .
٨٧ طرف من أخبار يأجوج ومأجوج ، وما يكون قبل قيام الساعة .	٢٥ ما في طبع الإنسان من عجل ، وأنه يودر بخلقه على عجل .
٩٥ تأويل قوله « لهم فيها زفير » ، وما قالته قريش للنبي ، ونزلت الآية بعده جوابا لهم .	٣٣ تأويل قوله « ونضع الموازين القسط » . . . الآية ، وبيان أن خفة الميزان وثقله بما ذا يكونان
٩٩ طرف من أخبار يوم القيامة من طي السماء ونحوه ، والخلاف في السجل .	٣٤ الخلاف في الفرقان الذي آتاه الله موسى .
١٠٣ كتب الله في أم الكتاب والكتب التي أنزلها أن أرض الجنة يرثها الصالحون .	٣٧ ما فعله إبراهيم عليه السلام بالآهة ، والسبب في ذلك .
١٠٩ تفسير سورة الحج	٤١ بيان أن القوم لما عارضوا إبراهيم عليه السلام أتوا بما هو حجة له عليهم ، وهو معنى نكسهم على رؤوسهم .
١١١ مقدار من يدخل النار من الخليفة .	
١١٧ ما يحصل للانطفة عند وقوعها في الرحم .	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	بيان أن التكبر مما يمنع عن معرفة الله .	١٥٧	تأويل قوله « لكم فيها منافع » وبيان ما في البُدن من المنافع .
١٣١	ذكر الذين بارزوا يوم بدر من المؤمنين والكافرين .	١٦٢	ما يفعل بالبدن عند ذبحها من عقْلها . وذكر الله عليها ، والتصدق بها .
١٣٦	تأويل قوله « إن الذين كفروا ويصدّون » . والقول في ملك بيوت مكة ، وما كان يصنع في البيوت زمن السلف ، ومعنى الإلحاد في الحرم .	١٧١	أول آية نزلت في القتال .
١٤٢	ما كان عليه آدم من عظم الخالقة ، وإنزال البيت إليه .	١٨٦	ما قيل في الغرائيق .
١٤٤	ما فعله الخليل من التأذين بالحجّ .	١٩٨	تأويل قوله « وهو الذي أحياكم ثم يميتكم » ومعنى المنسك .
		٢٠٥	ما عليه مدين من السعة .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١١٤	وطارِقَهْ	٩١	تَمُورُ		ا
	ل	١٢٦	نَاصِرُهُ	٣٠	بِرَزْوُهَا
		٢٧	الْحُمُرِ		ب
٩١	فَتَسَلْ	١٣٩	بَيَقْرَا		أَرْغَبُ
١١٣	يَنْدَهْلُ	١٦٢	الْأُمُورَا	١٤٢	فَصَلِيبُ
١١٣	وَالزَّلْزَالُ	١٦٢	تُدُورَا	١٢	أَبِي كَعْبِ
١١٤	مُحْوِلِ	١٦٢	مَضْفُورَا	٩٢	الْوَأَجِبِ
٥٤	مُجْفِلِ	١٦٢	مَوْفُورَا	١٦٦	الْأَجْرَبِ
١٨٢	يَجْتَدِلِ	٢٣	الدَّوَارَا	٢٥	
٩٢	عَقَنْقَلِ	٢٣	الْأَقْتَارَا		د
	م		س	١٨١	وَالشَّيْدِ
٨٦	نَايِمِ	٩٣	رَأْسِ	١٣٩	الْأَجْرَدِ
١٣٩	سِيمِ		ع	١٤٠	زِيَادِ
١٢٩	الْحَوَاتِمِ	١٦٨	القُنُوعِ	٢٠	سَوَادِي
١٥٥	قُدَمَا	١٧٠	وَقُنُوعِي	١١٩	هُمْدَا
	ن	٢٠	انْقِطَاعَا		ر
١٣٨	وَالشَّبَّهَانِ		ق	١٣٤	يَنْصَهَرِ
٢٧	المُعَدَّيْنَا	١٩٧	سَمَلَقِ	١٣٤	المُصْطَهَرِ
				١٨٢	وَكُورِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ذكره

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١)

يقول تعالى ذكره : دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ، ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم ، وأجسامهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم ، وملابسهم ، وغير ذلك من نعمه عندهم ، ومسلته إياهم ماذا عملوا فيها ؟ وهل أطاعوه فيها ، فانتهاوا إلى أمره ونهيه في جميعها ، أم عصوه فخالفوا أمره فيها ؟ ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) يقول : وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة ، وعن دنو محاسبته إياهم منهم ، واقترابه لهم ، في سهو وغفلة ، وقد أعرضوا عن ذلك ، فتركوا الفكر فيه ، والاستعداد له ، والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء ، وشديد الأهوال .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثني أبو معاوية ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال : في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمَعُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه ، وهم يلعبون لاهية قلوبهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ) . . . الآية يقول : ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون .

القول في تأويل قوله تعالى

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
السَّحَرَ وَأَنتُمْ تَبْصِرُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) غافلة : يقول : ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم ، لا يتدبرون حكمه ، ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم . كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) يقول : غافلة قلوبهم .

وقوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول : وأسرى هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون ، لاهية قلوبهم ، النجوى بينهم ، يقول : وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا : هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم ، إلا بشر مثلكم : يقولون : هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم ، يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات أنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله ، والتكذيب برسوله . وللذين من قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) في الإعراب وجهان : الخفض على أنه تابع للناس في قوله ( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ) والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى ) من ذكر الناس كما قيل : ( ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ، ويكون معناه وأسروا النجوى ، ثم قال : هم الذين ظلموا .

وقوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنتُمْ تَبْصِرُونَ ) يقول : وأظهروا هذا القول بينهم ، وهي النجوى

(١) لعله على الاسم الذي الخ .



التي أسروها بينهم ، فقال بعضهم لبعض : أتقبلون السحر ، وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر ؟ يعنون بذلك القرآن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ؟ ) قال : قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله ، زعموا أنه ساحر ، وأن ما جاء به سحر ، قالوا : أتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( قُلْ رَبِّي ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ( قُلْ رَبِّي ) على وجه الأمر ، وقرأه بعض قراء مكة ، وعامة قراء الكوفة : ( قَالَ رَبِّي ) على وجه الخبر . وكان الذين قرعوه على وجه الأمر ، أرادوا من تأويله : قل يا محمد للقائلين ( أَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ) : ربِّي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو السميع لذلك كله ، ولما يقولون من الكذب ، العليم بصدقي ، وحقيقة ما أدعوكم إليه ، وباطل ما تقولون ، وغير ذلك من الأشياء كلها . وكان الذين قرعوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا : قال محمد : ربِّي يعلم القول ، خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم .

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وجاءت بهما مصاحف المسلمين ، متفقتا المعنى . وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله ، وإذا قاله فعن أمر الله قاله ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب في قراءته .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ ، بَلِ اقْتَرَبَهُ ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ، ولا أنه من عند الله ، ولا أقرؤا بأنه وحى أو وحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل قال بعضهم : هو أهاويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فيرية واختلاق ، افتراه واختلقه من قبيل نفسه . وقال بعضهم : بل محمد شاعر ، وهذا الذي جاءكم به شعر . ( فَلْيَأْتِنَا بِهِ ) يقول : قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله إن الله بعثه رسولا إلينا ، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحى من الله أوحاه إلينا ( بآية ) يقول : بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعى ( كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ) يقول : كما جاءت به الرسل الأولون من قبله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وكفاة صالح ، وما أشبه ذلك من المعجزات ، التي لا يقدر عليها إلا الله ، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) أى فعل حلم ، إنما هي رؤيا رآها ( بَلَّ افْتِرَاهُ ، بَلَّ هُوَ شَاعِرٌ ) كل هذا قد كان منهم . وقوله ( فَلَيْسَ تِينًا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ) يقول : كما جاء عيسى بالبينات ، وموسى بالبينات ، والرسل .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) قال : مشتبهة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) قال : أهاوليها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال تعالى ذكره : بل قالوا : ولا جحد في الكلام ظاهر ، فيحقق بيل ، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب ، فاجتزى بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله بل ، من ذكر الخبر عنهم ، على ما قد بينا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : ما آمن من قبل هؤلاء المكذبين محمد من مشركي قومه ، الذين قالوا : فليأتنا محمد بآية ، كما جاءت به الرسل قبله ، من أهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا ، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة . ( أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ؟ ) يقول : أفهؤلاء المكذّبون محمد السائلوه الآية ، يؤمنون به إن جاءتهم آية ، ولم يؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكتناها ، برسالتها مع مجيئها .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) يصدقون بذلك .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) أى الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا ، لم يناظروا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ، فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمك ، إلا

رجالا مثلهم نوحى إليهم ، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهيها ، لاملأئكة ، فإذا أنكروا من إرسلنا لك إليهم ، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم ؟ وقوله ( فاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول للقائلين لحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم : هل هذا إلا بشر مثلكم ، فإن أنكروتم وجهتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد ، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم ، إنسا كانوا أم ملائكة ، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا ، يخبروكم عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : فاسألوا أهل التوراة والإنجيل . قال أبو جعفر : أراه أنا قال : - يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق .  
وقيل : أهل الذكر : أهل القرآن .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا موسى بن عثمان ، عن جابر الجعفي ، قال : لما نزلت ( فاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : علي : نحن أهل الذكر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : أهل القرآن ، والذكر : القرآن ، وقرأ ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد ، إلى الأمم الماضية قبل أمتك . (جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) يقول : لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك ، يأكلون الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام .

قال أبو جعفر : وقال : وما جعلناهم جسدا ، فوحد الجسد ، وجعله موحدا ، وهو من صفة الجماعة ، وإنما جاز ذلك ، لأن الجسد بمعنى المصدر ، كما يقال في الكلام : وما جعلناهم خلقا لا يأكلون .

وقوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) يقول : ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فأتوا ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قد أخبر الله عنهم ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ) . . . إلى قوله ( أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ) قال الله تبارك وتعالى لهم : ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم ، فنفعل بكم ، وإنما كنا نرسل إليهم رجلا نوحى إليهم ، كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) : أى لا بد لهم من الموت أن يموتوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ، وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم ، وسألهم الآيات ، فأتيناهم مأسألوهم من ذلك ، ثم أقموا على تكذيبهم إياها ، وأصرروا على جحودهم نبوتها ، بعد الذى أتتهم به من آيات ربها ، وعدنا الذى وعدناهم ، من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم ، بعد مجيء الآية التى سألوها ، وذلك كقوله جل ثناؤه ( فَكُنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فِئَةٌ أَوْ كَفَرُوا كُفْرًا كَبِيرًا أَوْ كَفَرُوا كُفْرًا كَبِيرًا ) . . . وقوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ) ، ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الأمم مع مجيء الآيات . وقوله ( فَأَنْجَيْنَاهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات . ( وَمَنْ نَشَاءُ ) وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها . وقوله ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم ، بكفرهم بربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) والمسرفون : هم المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (١٠)

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه ، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ، فيه حديثكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) قال في قد أفلح ( بَلْ آتَيْنَاهُمُ بِالذِّكْرِهِم ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، نزل القرآن بمكارم الأخلاق ، ألم تسمعه يقول : ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ ) .

وقال آخرون : بل عنى بالذكر في هذا الموضع : الشرف ، وقالوا : معنى الكلام : لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم .

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة ، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه ، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرُكُضُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكثيرا قصمنا من قرية ، والقَصَمُ : أصله الكسر ، يقال منه : قصمت ظهر فلان : إذا كسرت ، وانقصمت سنه : إذا انكسرت ، وهو هاهنا معنى به : أهلكتنا ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا ) قال : أهلكتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : أهلكتنا ، قال ابن جريج : قصمنا من قرية ، قال : بالين قصمنا ، بالسيف أهلكوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : قصمها أهلكتها .

وقوله ( مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ) أجرى الكلام على القرية ، والمراد بها أهلها ، لمعرفة السامعين بمعناه ، وكان ظلمها : كفرها بالله ، وتكذيبها رسله . وقوله ( وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأحدثنا بعد ما أهلكتنا هؤلاء الظلمة ، من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها ، قوما آخرين سواهم .

وقوله ( فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا ) يقول : فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ، ورأوه قد وجدوا مسه ، يقال منه : قد أحسست من فلان ضعفا ، وأحسته منه ( إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرُكُضُونَ ) يقول : إذا هم مما

أحسوا بأسنا النازل بهم ، يهربون سراعا عَجَلَى ، يَعْدُونَ منهزمين ، يقال منه : ركض فلان فرسه : إذا كدّه بسياقته .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه : يقول : إلى ما أنعمت فيه من عيشتكم ومساكنكم . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ، وَمَسَاكِينِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) يعني من نزل به العذاب في الدنيا ، ممن كان يعصى الله من الأمم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَرْكُضُوا) : لا تفرّوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) : يقول : ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) قال : إلى ما أترفتم فيه من دنياكم .  
واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعلكم تفقهون ، وتفهمون بالمسئلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) قال : تفقهون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) قال : تفقهون .

وقال آخرون : بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيئا ، على وجه السخرية والاستهزاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) : استهزاء بهم .  
حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) من دنياكم شيئا ، استهزاء بهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا  
خَمِيدِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم، لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا، إنا كنا ظالمين، بكفرنا بربنا، فما زالت تلك دعواهم: يقول فلم نزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف، كما يُحْصَدُ الزرع، ويستأصل قطعاً بالمناجل. وقوله (خامدين) يقول: هالكين، قد انطفأت شرارتهم، وسكنت حركتهم، فصاروا هموداً كما تخمد النار فتطفأ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ) . . . الآية: فلما رأوا العذاب وعابنوه، لم يكن لهم هججيرى إلا قولهم (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قالوا (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ). فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) يقول: حتى هلكوا. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال ابن عباس (حَصِيدًا): الحصاد، خامدين خمود النار إذا طفئت.

حدثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إنهم كانوا أهل حصون، وإن الله بعث عليهم بختنصر، فبعث إليهم جيشاً، فقتلهم بالسيف، وقتلوا نبياً لهم، فحصدوا بالسيف، وذلك قوله (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) بالسيف.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهة إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يخلق ذلك عبثاً ولعباً.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) يقول: ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً.

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا ، لاتخذنا ذلك من عندنا ، ولكننا لانفعل ذلك ، ولا يصلح لنا فعله ، ولا ينبغي ، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله التغيلاني ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، قال : ثنا عقبه بن أبي حمزة ، قال : شهدت الحسن بمكة ، قال : وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد ، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَّخِذَنَاهُ ) قال الحسن : اللهو : المرأة .  
حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا ببيعة بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن محمد ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ) قال : زوجة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ) . . . الآية ، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي ، واللهو بلغة أهل اليمن : المرأة .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ) قال : اللهو في بعض لغة أهل اليمن : المرأة ( لاتخذناه من لدنا ) .  
وقوله ( إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ) يقول : ما كنا فاعلين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قالوا مريم صاحبتة ، وعيسى ولده ، فقال تبارك وتعالى : ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ) نساء وولدا ( لاتخذناه من لدنا ، إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) قال : من عندنا ، ولا خلقنا الجنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَاتَّخِذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا ، وما خلقنا الجنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَآسِكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : ولكن نزل الحق من عندنا ، وهو كتاب الله ، وتنزله على الكفر به وأهله ، فيدمغه : يقول : فيهلكه ، كما يدمغ الرجل الرجل ، بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج ، لم يكن له بعدها حياة .



وقوله (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) يقول : فإذا هو هالك مضمحل .  
كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)  
قال : هالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) قال : ذاهب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَسِدُّ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) والحق كتاب الله القرآن ، والباطل : إبليس ، فيدمغه فإذا هو زاهق :  
أى ذاهب .

وقوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) يقول : ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته ، وقيلكم :  
إنه اتخذ زوجة وولدا ، وفيريتكم عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، إلا أن بعضهم قال : معنى تصفون : تكذبون .  
وقال آخرون : معنى ذلك : تشركون ، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فتنفقه معانيه ، لأن من وصف  
الله بأن له صاحبة ، فقد كذب في وصفه إياه بذلك ، وأشرك به ، ووصفه بغير صفته ، غير أن أولى العبارات  
أن يُعَبَّرَ بها عن معاني القرآن ، أقربها إلى فهم سامعيه .

#### ذكر من قال ما قلنا في ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) :  
أى تكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)  
قال : تشركون ، وقوله (عَمَّا يَصِفُونَ) قال : يشركون ، قال : وقال مجاهد (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ)  
قال : قولهم الكذب في ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وكيف يجوز أن يتخذ الله لهما ، وله ملك جميع من في السموات والأرض ، والذين  
عنده من خلقه ، لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ، ولا يعيرون من طول خدمتهم له ، وقد علمتم أنه لا يستعبد  
والد ولده ولا صاحبه ، وكل من في السموات والأرض عبيده ، فأنى يكون له صاحبة وولد ؟ يقول :  
أولا تتفكرون فيما تفرون من الكذب على ربكم ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) : لا يرجعون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) : لا يحسرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يُعْيُونَ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله : ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يُعْيُونَ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ) : لا يستحسرون ، لا يملئون ذلك الاستحسار ، قال : ولا يفترون ، ولا يسأمون : هذا كله معناه واحد ، والكلام مختلف ، وهو من قولهم : يعير حسير : إذا أعيا وقام ؛ ومنه قول علقمة بن عبدة :

بِهَا جَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار ، لا يفترون من تسبيحهم إياه . كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسبة ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله : ( يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ) - ويسبحون الليل والنهار لا يسأمون<sup>٢</sup> فقال : هل يتؤدك طرفك ، هل يتؤدك نفسك ؟ قال : لا ، قال : فإنهم ألهموا التسبيح ، كما ألهمهم الطرّف والنفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو معاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن حسان

(١) البيت لعلقمة بن عبدة النخعي ، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني . (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة مصطفي الباي الحلبي ص ٤٢١ ، وهو البيت العثرون في القصيدة) - والحسرى : جمع حسير من الدواب ، وهو الذي كل من السير ، فات إعياء . وصليب : يابس لم يدبغ . والضمير في ( بها ) راجع إلى المغازة التي ساكها ، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل ، من عظام وجلود .

(٢) التلاوة « يسبحون له بالليل والنهار وهم » الخ .

ابن مخارق، عن عبد الله بن الحارث، قال: قلت: لكعب الأحبار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْسُرُونَ) أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي، إنهم جعل لهم التسبيح، كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب، وتقوم وتقع، وتجيء وتذهب، وأنت تسفّس؟ قلت: بلى، قال: فكذلك جعل لهم التسبيح. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن وأبو داود، قالوا: ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البيكالي، عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءاً سائر الخلق، وجزء الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترّون، وجزءاً لرسالته، وجزءاً الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءاً سائر بني آدم، وجزءاً بني آدم عشرة أجزاء، فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء، وجزءاً سائر بني آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْسُرُونَ) يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسأمون فيها. وذكر لنا «أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله، قال: إني لأسمع أطيّط السماء، وما تلام أن تَطِطَ وَلَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ رَاحَةٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ».

وقوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله «هم»: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنى عيسى «ح»: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً. عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُنْشِرُونَ) يقول: يحيون. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول: أفي آلهتهم أحد يحيي؟ ذلك ينشرون، وقرأ قول الله (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) . . . إلى قوله (مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التي لاتصلح إلا له (لَفَسَدَتَا) يقول: لفسد أهل السماوات والأرض. (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول جل ثناؤه: فتزويه لله وتبرئة له مما يقفّري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ) يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : لاسائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه ، من تصريفهم فيما شاء ، من حياة وموت ، وإعزاز وإذلال ، وغير ذلك من حكمه فيهم ، لأنهم خلقه وعبيده ، وجميعهم في ملكه وسلطانه ، والحكم حكمه ، والقضاء قضاؤه ، لاشيء فوقه يسأله عما يفعل ، فيقول له : لم فعلت ؟ ولم لم تفعل ؟ ( وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) يقول جل ثناؤه : وجميع من في السموات والأرض من عباده مسئولون عن أعمالهم ، ومحاسبون على أعمالهم ، وهم الذي يسألهم عن ذلك ، ويحاسبهم عليه ، لأنه فوقهم ومالكهم ، وهم في سلطانه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) يقول : لا يسأل عما يفعل بعباده ، وهم يسألون عن أعمالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) قال : لا يسأل الخالق عن قضائه في خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) قال : لا يسأل الخالق عما يقضى في خلقه ، والخلق مسئولون عن أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ، فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : اتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر ، وتخلق وتحي وتُميت ؟ قل يا محمد لهم : هاتوا برهانكم ، يعني حججتكم ، يقول : هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك ، حجة ودليلا على صدقكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) يقول : هاتوا بيئتكم على ما تقولون .

وقوله ( هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) يقول : هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتزويل ( ذِكْرٌ

مَنْ مَعِيَ ) يقول : خبر من معي ، مما لم من ثواب الله على إيمانهم به ، وطاعتهم إياه ، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه ، وكفرهم به ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : وخسبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي ، وما فعل الله بهم في الدنيا ، وهو فاعل بهم في الآخرة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) يقول : هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم ، وإلام صاروا ؟  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) قال : حديث من معي ، وحديث من قبلي .

وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ، ولا فيما يأتون ويبدرون ، فهم معرضون عن الحق ، جهلا منهم به ، وقلة فهم .  
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ، فَهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن كتاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض ، تصلح العبادة له سوى . فاعبدون : يقول : فأخلصوا إلى العبادة ، وأفردوا إلى الألوهة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) قال : أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لا يقبل منهم . قال أبو جعفر - أظنه أنا قال - عمل ، حتى يقولوه ويقرؤا به ، والشرائع مختلفة ، في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة ، حلال وحرام ، وهذا كله في الإخلاص لله ، والتوحيد له .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بربههم : اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته ، فقال جل ثناؤه ، استعظاما مما قالوا ، وتبريا مما وصفوه به سبحانه ، يقول تنزيها له عن ذلك : ما ذلك من صفته ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) يقول : ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم ، ولكنهم عباد مكرمون ، يقول : أكرمهم الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) قال : قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن ، فكانت منهم الملائكة ، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم ، وردا عليهم : ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) وإن الملائكة ليس كما قالوا ، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ؛ وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) قالت اليهود وطوائف من الناس : إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجن والملائكة من الجن ، قال الله تبارك وتعالى ( سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) ، وقوله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يقول جل ثناؤه : لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم ، ولا يعملون عملا إلا به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يثنى عليهم ( وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْْمَلُونَ )

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ تَضَى، وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ، ما هو ، وما هم فيه قائلون وعاملون ، وما خلفهم : يقول : وما مضى من قبل اليوم ، مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ، ما عملوا فيه ، قالوا ذلك كله مُحْصَى لهم وعليهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول : يعلم ما قدموا ، وما أضاعوا من أعمالهم ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ تَضَى ) يقول : ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ تَضَى ) يقول : الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا لِمَن ارْتَضَى) قال : لمن رضى عنه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى ) يوم القيامة ( وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة يقول : ولا يشفعون يوم القيامة . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله ، وقوله ( وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ) يقول : وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يخل بهم مشفقون : يقول : حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ومن يقل من الملائكة : إني إله من دون الله ( فذالك ) الذي يقول ذلك منهم ( نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ) : يقول : نثيبه على قبله ذلك جهنم ( كذالك نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) يقول : كما نجزي من قال من الملائكة : إني إله من دون الله : جهنم ، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه ، فكفر بالله وعبد غيره . وقيل : عنى بهذه الآية إبليس . وقال قائلو ذلك : إنما قلنا ذلك ، لأنه لأحد من الملائكة قال : إني إله من دون الله سواه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ) قال : قال ابن جريج : من يقل من الملائكة إني إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه في إبليس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ) إني إله من دونه فذالك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كذلك نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيا ، فقال ( فذالك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كذلك نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ) إني إله من دونه فذالك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ) قال : هي خاصة لإبليس .

## القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم ، فبروا بها ، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقا : يقول : ليس فيهما ثقب ، بل كانتا ملتصقتين ؛ يقال منه : رتق فلان الفتق : إذا شدّه ، فهو يرتقه رتقا ورتوقا . ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم : رتقاء ، ووحد الرتق . وهو من صفة السماء والأرض ، وقد جاء بعد قوله ( كانتا ) لأنه مصدر ، مثل قول الزور والصوم والفطر . وقوله ( فَفَتَقْنَاهُمَا ) يقول : فصدعناهما وفرجناهما .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق ، وكيف كان الرتق ، وبأى معنى فتق ، فقال بعضهم : عنى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ، ففصل الله بينهما بالهواء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ) يقول : ملتصقتين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) . . . الآية . يقول : كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) كان ابن عباس يقول : كانتا ملتصقتين ، ففتقهما الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) قال : كان الحسن وقاتة يقولان : كانتا جميعا ، ففصل الله بينهما بهذا الهواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتقة طبقة ، ففتقها الله ، فجعلها سبع سموات ، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتقة ، ففتقها ، فجعلها سبع أرضين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( رتقا ففتقناهما ) من الأرض ست أرضين معها ، فتلك سبع أرضين معها ، ومن السماء ست سموات معها ، فتلك سبع سموات معها ، قال : ولم تكن الأرض والسماء متماستين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( رتقا ففتقناهما ) قال : فتقهن سبع سموات ، بعضهن فوق بعض ، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم .



حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله ( كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت الأرض رتقا ، والسموات رتقا ، ففتق من السماء سبع سموات ، ومن الأرض سبع أرضين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانت سماء واحدة ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة ، لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ، فذلك حين يقول : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، يقول ( كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) . وقال آخرون : بل عني بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر ، والأرض كذلك رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء ، ففتق السماء بالمطر ، وفتق الأرض بالنبات ، قال : وهو قوله ( وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن عطية ، في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت السماء رتقا لا تمطر ، والأرض رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، وفتق الأرض بالنبات ، وجعل من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت السموات رتقا ، لا ينزل منها مطر ، وكانت الأرض رتقا ، لا يخرج منها نبات ، ففتقها الله ، فأنزل مطر السماء ، وشق الأرض ، فأخرج نباتها ، وقرأ ( فَفَتَقْتَنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ) ؟ وقال آخرون : إنما قيل ( فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) لأن الليل كان قبل النهار ، ففتق النهار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خلق الليل قبل النهار ، ثم قال : كانتا رتقا ففتقناهما .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لدلالة قوله ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) على ذلك ، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة ، إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه .

فإن قال قائل : فإن كان ذلك كذلك ، فكيف قيل : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا

رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنه إنما ينزل من السماء السابعة. وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت، من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله (أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السموات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

فإن قال قائل: وكيف قيل إن السموات والأرض كانتا، فالسموات جمع، وحكم جمع الإناث أن يقال في قلبه كنّ، وفي كثيره كانت؟ قيل: إنما قيل ذلك كذلك، لأنهما صنفان؛ فالسموات نوع، والأرض آخر؛ وذلك نظير قول الأسود بن يعفر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا تُوْفِي الْمَخَارِمَ يَرْقَبَانِ سَوَادِي<sup>١</sup>

فقال كلاهما، وقد ذكر المنية والحتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين، وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر ابن المنثري، قال: أنشدني غالب النخعي للقطامي:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا<sup>٢</sup>

فجعل حبال قيس وهي جمع، وحبال تغلب وهي جمع: اثنين.

وقوله (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) قال: كل شيء حي خلق من الماء.

فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لآحياء له، ولا يقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح، في أنه لأرواح فيهن، وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا).

وقوله (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) يقول: أفلا يصدقون بذلك، ويقرون بألوهة من فعل ذلك، ويفردونه

بالعبادة؟

(١) البيت للأسود بن يعفر النهشلي التميمي (المفضليات ١٠١) والمنية: الموت، والحتوف جمع حطف، يريد به أنواع الأخطار التي تؤدي إلى الموت. والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ (عن السكري). وقيل: الطرق في الجبال وأقواء الفجاج. وسواد الإنسان شخصه. والشاهد في البيت أن الشاعر ذكر المنية والحتوف ثم قال يرقبان بالثنية، لأنه جعل المنية والحتوف نوعين للهلاك، ثم قال: يرقبان. ولو جرى على ما يقتضيه اللفظ لقال: ترقب سوادى، لأن المنية والحتوف عدة أشياء.

(٢) البيت للقطامي، وهو الرابع من عينيته المشهورة التي مطلعها «قن قبل التفرق يا ضياعا» (انظر ديوانه طبعه ليدن سنة ١٩٠٢ ص ٣٧). قال: تباينت تفرقت. والحبال: العلائق والعهود. والشاهد في البيت أن الشاعر قال: تباينت بلفظ التثنية، مع أن حبال قيس جمع، وحبال تغلب جمع، فكان ظاهر اللفظ يقتضى أن يقول: (تباينت انقطاعا) مراعاة لعنى الجمعية في حبال قيس وتغلب.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا ، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية ، والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة . كما حدثنا بيشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا ) أي جبالا .

وقوله ( أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ) يقول : أن لا تتكفأ بهم ، يقول جل ثناؤه : فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال ، فثبتناها ، لئلا تتكفأ بالناس ، وليقدروا بالثبات على ظهرها . كما حدثنا بيشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانوا على الأرض تمور بهم ، لا تستقر ، فأصبحوا ، وقد جعل الله الجبال ، وهي الرواسي أوتادا للأرض ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا : يعني مسالك ، واحدها : فجج .

كما حدثنا بيشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) : أي أعلاما . وقوله ( سُبُلًا ) أي طرقا ، وهي جمع السبيل .

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول : إنما عني بقوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) وجعلنا في الرواسي ، فالهاء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا ) من ذكر الرواسي .

حدثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) : سبلا ، قال : بين الجبال .

وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك ، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض ، لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل ، وذلك أن ذلك كله من الأرض ، وقد جعل الله لخلقها في ذلك كله فجاجا سبلا ، ولا دلالة تدل على أنه عني بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلا ، دون بعض ، فالعموم بها أولى . وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : جعلنا هذه الفجاج في الأرض ، ليهتدوا إلى السير فيها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَاقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا السماء سقفا للأرض مسموكا ، وقوله ( مَحْفُوظًا ) يقول : حفظناها من كل شيطان رجيم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( سَقَفًا مَحْفُوظًا ) قال : مرفوعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقَفًا مَحْفُوظًا ) . . . الآية : سقفا مرفوعا ، وموجا مكفرفا .

وقوله ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) يقول : وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ، ويعني بآياتها : شمسها وقمرها ونجومها ( معرضون ) : يقول : يعرضون عن التفكير فيها ، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ، ودلالاتها على وحدانية خالقها ، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسراها ، ولا تصلح إلا له .  
وبنحر الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) قال : الشمس والقمر والنجوم آيات السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( وَهُمْ الَّذِينَ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )  
يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار ، نعمة منه عليكم وحجة ، ودلالة على عظيم سلطانه ، وأن الألوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم ، وخلق الشمس والقمر أيضا ، كل في فللك يسبحون ، يقول : كل ذلك في فللك يسبحون .  
واختلف أهل التأويل في معنى الفللك الذي ذكره الله في هذه الآية ، فقال بعضهم : هو كهيئة حديدة الرحي .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فللك كهيئة حديدة الرحي .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ ) قال : فللك كهيئة حديدة الرحي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فللك السماء .

وقال آخرون : بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جرى الشمس والقمر والنجوم وغيرها .

## ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) الفلك : البحرى والسرعة .

وقال آخرون : الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه .

وقال آخرون : بل هو القطب الذى تدور به النجوم ، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز :

باتت تُناجى الفلكَ الدَّوَّارَا حَتَّى الصَّبَاحِ تَعْمَلُ الأَقْتَارَا

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كُلُّ

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) : أى في فلك السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )

قال : يجرى في فلك السماء كما رأيت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )

قال : الفلك الذى بين السماء والأرض من مجارى النجوم والشمس والقمر ، وقرأ ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ) وقال : تلك البروج بين السماء والأرض وليست

فِي الأَرْضِ ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فيما بين السماء والأرض : النجوم والشمس والقمر .

وذُكر عن الحسن أنه كان يقول : الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل .

والمصواب من القول في ذلك أن يقال : كما قال الله عز وجل ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) وجائز

أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي ، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحي ، وجائز أن

يكون موجا مكفوفاً ، وأن يكون قطب السماء ، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر ،

فجمعه أفلاك ، وقد ذكرت قول الراجز :

باتت تُناجى الفلكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها ، ولم يكن في كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولا عن يقطع بقوله العذر ، دليل يدل على أى ذلك هو من أى كان الواجب أن نقول فيه ما قال ،

ونسكت عما لا علم لنا به .

فإذ كان المصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا ، فتأويل الكلام : والشمس والقمر ، كل ذلك

في دائر يسبحون .

(١) البيت شاهد على أن الفلك هو القطب الذى تدور به النجوم . وقال في (اللسان : فلك) : الفلك : مدار النجوم ، والجمع :

أفلاك . وفي حديث ابن مسعود : أن رجلا أتى رجلا وهو جالس عنده فقال : « إني تركت فرسك كأنه يدور في فلك » . قال أبو عبيد :

قوله « في فلك » : فيه قولان : فأما الذى تعرفه العامة ، فإنه شبهه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم ، وهو الذى يقال له القطب ،

شبهه بقطب الرحي . قال : وقال بعض العرب : الفلك هو الموج إذا ماج في البحر فاضطرب ، وجاء وذهب ، فشبّه الفرس في اضطرابه

بذلك .

وأما قرله (يَسْبَحُونَ) فإن معناه: يَجْرُونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قرله (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال : يَجْرُونَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَسْبَحُونَ) قال : يَجْرُونَ ، وقيل (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون ، ولم يقل : يسبحن أو تسبح ، كما قيل (والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) لأن السجود من أفعال بني آدم ، فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم ، أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ، أَلَّا يَمُتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ  
وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَإِنَّا نُرْجِعُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا ، فنخلدك فيها ، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا (أَفَانٌ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) يقول : فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك؟ لا ما ذلك كذلك ، بل هم ميتون بكل حال ، عشت أو مت ، فأدخلت الفاء في «إن» وهي جزء ، وفي جوابه ، لأن الجزء متصل بكلام قبله ، ودخلت أيضا في قوله فهم ، لأنه جراب للجزاء ، ولو لم يكن في قوله : فهم ، الفاء ، جاز على وجهين : أحدهما : أن تكون محذوفة ، وهي مرادة ، والآخر أن يكون مرادا تقديهما إلى الجزء ، فكأنه قال : أفهم الخالدون إن مت .

وقرله (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره : كل نفس منفوسة من خلقه ، معالجة غصص الموت ، ومتجرعة كأسها .

وقوله (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) يقول تعالى ذكره : ونختبركم أيها الناس بالشر ، وهو الشدة نبتليكم بها ، وبالخير ، وهو الرخاء والسعة العافية ، فنفتنكم به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) قال : بالرخاء والشدة ، وكلاهما بلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) يقول : نبلوكم بالشرّ بلاء ، والخير فتنة ، وإلينا ترجعون .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) ، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) قال : نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون ، نختبرهم بذلك ، لننظر كيف شكرهم فيما يحبون ، وكيف صبرهم فيما يكرهون .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ) يقول : نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام والطاعة والمعصية ، والهدى والضلالة . وقوله ( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) يقول : وإلينا يردون فيجازون بأعمالهم ، حسنها وسيئها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ  
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَإِذْ أَرَأَيْتَ ) يا محمد ( الَّذِينَ كَفَرُوا ) بالله ( إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ) يقول : ما يتخذونك إلا سخريا ، يقول بعضهم لبعض : ( أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ) يعني بقوله : يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها ، تعجبا منهم من ذلك ، يقول الله تعالى ذكره : فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ( وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ ) الذي خلقهم وأنعم عليهم ، ومنه نفعهم ، ويبيده ضرهم ، وإليه مرجعهم ، بما هو أهله منهم أن يذكره به ، كافرون ، والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم ، فيقولون : سمعنا فلانا يذكر فلانا ، وهم يريدون سماعه يذكره بقبيح ويعيبه ، ومن ذلك قول عنزة :

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

يعني بذلك : لا تعيبي مهري ، وسمعناه يذكر بخير .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ، فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ (٣٨)

(١) البيت لعنزة بن عمرو بن شداد العبسي ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة الخليلي ص ٣٩٦ ) يقول : لا تلوميني بذكر مهري وطعامه ، وإلا نفرت منك ، كما ينفر الصحيح من الأجر . يعني لا تعيبي مهري ، ولا تلوميني من أجل اهتمامي به ، فهو وسيلتي للدفاع عنك وعن قومي .

يقول تعالى ذكره : ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ ) يعني آدم ( مِنْ عَجَلٍ ) .  
واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : من عَجَلٍ في بنيته وخلقته ، كان من العجلة ،  
وعلى العجلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد في قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال : لما نفخ فيه الروح في ركبته ذهب لينهض ، فقال الله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما نُفِخَ فِيهِ ، يعني في آدم الروح ، فدخل في رأسه ، عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رحمك ربك ؛ فلما دخل الروح في عينيه ، نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) يقول : خلق الإنسان عجولا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ )  
قال : خلق عجولا .

وقال آخرون : معناه : خلق الإنسان من عجل : أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل ، وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها ،  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ )  
قال : قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خَلِقَ الخلق : فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ، ولم تبلغ أسفله ، قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال آدم حين خلق بعد كل شيء ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال في حديثه :  
استعجل بخلقى ، فقد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ )  
قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين ، يريد يوم الجمعة ، وخلقته على عجل ، وجعله عجولا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ، ممن قال نحو هذه المقالة : إنما قال : خلق الإنسان من عجل ،

(١) هذا السند تكرر الذي قبله من غير فرق .



وهو يعنى أنه خلقه من تعجيل من الأمر ، لأنه قال ( إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) قال : فهذا العجل . وقوله ( فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) أتى ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ) وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكون كل خلق الله خلق على عجل ، لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذا بذكر أنه خلق من عجل دون الأشياء كلها ، وكلها مخلوق من عجل ، وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح ، على أن القول في ذلك غير الذى قاله صاحب هذه المقالة .

وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العجّل من الإنسان ، وخلقّت العجلة من الإنسان ، وقالوا ذلك مثل قوله ( مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُرَّةِ ) إنما هو لتنوء العصبه بها مثاقلة ، وقالوا : هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور . قالوا : وإنما كلم القوم بما يعقلون ، قالوا : وذلك مثل قولهم : عرّضت الناقة ، وكقولهم إذا طلعت الشعري ، واستوت العود على الحرياء : أى استوت الحرياء على العود ، كقول الشاعر :

وَتَرَكَبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْتِهَا      وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرَا

وكقول ابن مقبل :

حَسَرْتُ كَفَى عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ      فَرَدًّا يُجْعِرُ عَلَى أَيْدِي الْمُفْسِدِينَ<sup>٢</sup>

يريد : حسرت السربال عن كفى ، ونحو ذلك من المقلوب . وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

وقال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا : الذى ذكرناه عن قول معناه : خلق الإنسان من عجل في خلقه : أى على عجل وسرعة في ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه بؤدر بخلق مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفي ذلك الرقت نفخ فيه الروح .

وإنما قلنا أولى الأقوال التى ذكرناها في ذلك بالصواب ، لدلالة قوله تعالى ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ، فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) على ذلك .

وأن أبا كريب ، حدثنا قال : ثنا ابن إدريس ، قال أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة

(١) البيت لخداش بن زهير (السان : ضطر) . الجوهري : الضيطر : الرجل الضخم الذى لاغناه عنده ؛ وكذلك الضوطر والضوطفى . وفي حديث على : من يعذرفى من هؤلاء الضياطر : هم الضخام الذين لاغناه عندهم ، الواحد ضيطار . وقول خداش : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ، أى أنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على « القلب » أى تشق الضياطر الحمر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والموادعة : المصالحة والموادعة . والبيت شاهد على القلب .

(٢) البيت لثميم بن أبي بن مقبل ، كما قال المؤلف . وحسرت كفى عن السربال : يريد حسرت السربال عنها . والسربال : القميص والدرع . والمقدون : الذى يقولون لى قديناك من المكاره ، تعظيما لى ، وإكبارا لبلائى فى الحرب ؛ وهو كالشاهد قبله على أن الكلام فيه مقلوب ، لأنه يريد حسرت السربال عن كفى ، لشجاعته .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجمعة لساعة يقرؤها ، قال لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه الله إياه » فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أى ساعة هي ، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله : ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا البخاري وعبد بن سليمان وأسير بن عمرو ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة . عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه . فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا ، بما به استشهدنا ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ( سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) أيها المستعجلون ربهم بالآيات ، القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي ، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكتها ، بتكذيبها الرسل . إذا أتتها الآيات . فلا تستعجلون ، يقول : فلا تستعجلوا ربكم ، فإننا سنأتكم بها ونريكموها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) بضم الخاء ، على مذهب ما لم يسم فاعله . وقراه حميد الأعرج ( خَلِقَ ) بفتحها ، بمعنى : خلق الله الإنسان ؛ والقراءة التي عليها قراء الأمصار ، هي القراءة التي لأستجيز خلافها .

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ ) يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب ، لحمد صلى الله عليه وسلم : متى هذا الوعد ؟ يقول : متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب ، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك . وقيل : هذا الوعد والمعنى الموعود ، لمعرفة السامعين معناه : وقيل ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، ومتى في موضع نصب ، لأن معناه : متى وقت هذا الوعد ، وأي يوم هو ، فهو نصب على الظرف ، لأنه وقت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ، وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ، ماذا لهم من البلاء حين تفتح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون ، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تفتحها ، ولا عن ظهورهم ، فيدفعونها عنها بأنفسهم ( وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ) يقول : ولا لهم ناصر ينصرهم ، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله ، كما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، ولتسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله ، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء .

(١) في ابن كثير ، رواية ابن أبي حاتم : « وقبض أصابعه يقلها » .

## القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا . وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تطفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة، حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة، لا يشعرون بمجيئها، فتبتهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتطفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالخيران منه، (فلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبتهتهم، دفعها عن أنفسهم، (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها، لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون، لأنها ليست حين عمل، وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفأتأتون السحرو أنتم تبصرون، إذ رأوك، هزؤا، ويقولون: هذا الذي يذكر آهتكم، كفرا منهم بالله، واجترأ عليه، فلقد استهزى برسول من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم. يقول: فوجب ونزل بالذين استهزؤا بهم، وسخروا منهم من أممهم، ما كانوا به يستهزئون: يقول جل ثناؤه: حل بهم الذي كانوا به يستهزئون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم، (يستهزئون): يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزئون بك من هؤلاء الكفرة، أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه، باستهزأهم بك، نظير الذي نزل بهم.

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ؟ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء المستعجلينك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين: من يكلوكم أيها القوم؟ يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نتم، وبالنهار إذا تصرفتم. من الرحمن: يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حل بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن، اجترأ بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله

(قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) قال: يحرسكم.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) : قل من يَحْفَظُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ . يقال منه : كَلَأَتِ الْقَوْمَ : إذا حَرَسَتْهُمْ أَكْلَوْهُمْ ؛ كما قال ابن هرمة :

إِنَّ سُلَيْمَى ( وَاللَّهُ يَكْلُوْهَا ) ضَنْتَ بِشَىءٍ مَا كَانَ يَرَزُوْهَا

قوله ( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ) وقوله بل : تحقيق لحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام ، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا . ومعنى الكلام : وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالي لهم من أمر الله إذا هو حل بهم ليلا أو نهارا ، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتج بها عليهم معرضون ، لا يتدبرون ذلك ، فلا يعتبرون به ، جهلا منهم وسفها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْتَهُهُمْ مِنْ دُونِنَا ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المستعجلى ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم ، إن نحن أحلنا بهم عذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا ، من دوننا ؟ ومعناه : أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا ؟ ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة ، وما هي به من صفها ، فقال : وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا ، وهي لا تستطيع نصر أنفسها ؟ وقوله ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، وفي معنى يُصْحَبُونَ ، فقال بعضهم : عنى بذلك الآلهة ، وأنها لا تصحب من الله بخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْتَهُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ) يعنى الآلهة ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) يقول : لا يصحبون من الله بخير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا هم منا ينصرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) قال : لا ينصرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله

(١) البيت لإبراهيم بن هرمة ، كما قال المؤلف . وقد جاء في (اللسان : كلاً) غير منسوب . وفيه « بزد » في موضع « بشىء » . قال : يقال : كلاًك الله كلمة ( بالكسر ) حفظك وحرسك . وأنشد : « إن سليمان . . . البيت . . . وجملة ( والله يكلوها ) اعتراضية للدعاء . ويرزوها : ينقص منها ويضيرها . يريد : ضنت بشىء هين عليها لو بذلته لنا . واستشهد المؤلف به على أن معنى يكلوا يحفظ ، كما قال أهل اللغة .

( أَمْ لَكُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا؟ ) إلى قوله ( يُصْحَبُونَ ) قال : يُنصرون ؟ قال : قال مجاهد : ولا هم يُحفظون .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا هُمْ مِنْكُمْ يُصْحَبُونَ ) يُجَارُونَ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا هُمْ مِنْكُمْ يُصْحَبُونَ ) يقول : ولا هم منا يجارون ، وهو قوله ( وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ) يعنى الصاحب ، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف ، فهو قوله يصحبون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس وأن ( هُمْ ) من قوله ( وَلَا هُمْ ) من ذكر الكفار ، وأن قوله ( يُصْحَبُونَ ) بمعنى : يجارون ، يصحبون بالجار ، لأن العرب محكى عنها أنا لك جار من فلان وصاحب ، بمعنى : أجيرك وأمنعك ، وهم إذا لم يصحبوا بالجار ، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله ، مع سخط الله عليهم ، فلم يصحبوا بخير ، ولم ينصروا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؟ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ، ولا جار يجيرهم من عذابنا ، إذا نحن أردنا عذابهم ، فاتكلوا على ذلك ، وعصوا ورسلنا ، اتكالا منهم على ذلك ، ولكننا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم ، حتى طال عليهم العمر ، وهم على كفرهم مقيمون ، لا تأتيتهم منا واعظة من عذاب ، ولا زاجرة من عقاب ، على كفرهم وخلافهم أمرنا ، وعبادتهم الأوثان والأصنام ، فسؤوا عهدنا ، وجعلوا موقع نعمتنا عليهم ، ولم يعرفوا موضع الشك . وقوله ( أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) يقول تعالى ذكره : أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله ، السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات ، المستعجلوه بالعذاب ، أنا نأتى الأرض نخربها من نواحيها ، بقهرنا أهلها ، وغلبتناهم ، وإجلالهم عنها ، وقتلهم بالسيف ، فيعتبروا بذلك ، ويتعظوا به ، ويخذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم ، نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف . وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه ، بالروايات عنهم ، في سورة الرعد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول تبارك وتعالى : أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب

(١) لم يقدم قبل هذا القول الأخير تخلصه ، كما دلت على سار عاها ، قبل ذكر القائلين له . كان يقول : وقال بعضهم : بل معناه : يجارون .

الغالبونا ، وقد رأوا قهرنا من أحللتنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين ؟ ليس ذلك كذلك ، بل نحن الغالبون . وإنما هذا تفرغ من الله تعالى هؤلاء المشركين به بجهلهم ؛ يقول : أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه ، وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَقَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول ليسوا بغالبين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ، وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون : إنما أُنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذى يوحىه إلى من عنده ، وأخوفكم به بأسه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ) أى بهذا القرآن .

وقوله ( وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ ) : اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراءة الأمصار ، ولا يسمع بفتح الياء من ( يَسْمَعُ ) بمعنى أنه فعل للصم ، والصم حينئذ مرفوعون . ورؤى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ( وَلَا تُسْمَعُ ) بالتاء وضما ، فالصم على هذه القراءة مرفوعة ، لأن قوله ( وَلَا تُسْمَعُ ) لم يسم فاعله ، ومعناه على هذه القراءة : ولا يسمع الله الصم الدعاء . قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ما عليه قراءة الأمصار لإجماع الحجة من القراءة عليه . ومعنى ذلك : ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه ، إلى تذكر ما فى وحى الله من المواعظ والذكر ، فيتذكر به ويعتبر ، فيزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله ، إذا تلى عليه ، وأريد ، به ، ولكنه يعرض عن الاعتبار به ، والتفكر فيه ، فعل الأصم الذى لا يسمع ما يقال له ، فيعمل به . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ) يقول : إن الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ، ولا ينتفع به ولا يعقله ، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْنَ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك ، يعنى بالنفحة النصيب والحظ ، من قولهم : نفح فلان لفلان من عطائه : إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ) . . . الآية ، يقول : لئن أصابهم عقوبة .

وقوله ( لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول : لئن أصابهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد ، بتكذيبهم بك وكفرهم ، ليعلمنَّ حينئذٍ غيب تكذيبهم بك ، وليعترفنَّ على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم ، وكفرانهم أياديه عندهم ، وليقولنَّ يا ويلنا إنا كنا ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد ، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا ، ووضعنا العبادة غير موضعها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكُنَّا بِبِنَاءِ حُسْبَيْنٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ) العدل وهو ( الْقِسْطُ ) وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين ، وهو جمع ، لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر . وقوله ( لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) يقول : لأهل يوم القيامة ، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه . وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى « في » ، كأن معناه عنده : ونضع الموازين القسط في يوم القيامة . وقوله ( فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ) يقول : فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا ، بأن يعاقبه بذنوب لم يعملها ، أو يبخسه ثواب عمل عمله ، وطاعة أطاعه بها ، ولكن يجازي المحسن بإحسانه ، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) . . . إلى آخر الآية ، وهو كقوله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) يعني بالوزن : القسط بينهم بالحق في الأعمال : الحسنات والسيئات ، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه ، يقول : أذهبت حسناته سيئاته ، ومن أحاطت سيئاته بحسناته ، فقد خفَّت موازينه ، وأمه هاوية ، يقول : أذهبت سيئاته حسناته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) قال : إنما هو مثل ، كما يجوز الوزن ، كذلك يجوز الحق ، قال الثوري : قال ليث عن مجاهد ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ) قال : العدل . وقوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) يقول : وإن كان الذي له من عمل الحسنات ، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل ، أتينا بها : يقول : جئنا بها ، فأحضرناها إياه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : كتبناها ، وأحصيناها له وعليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : يؤتى بها لك وعليك ، ثم يعفو إن شاء أو يأخذ ، ويجزى بما عمل له من طاعة . وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها ، وقال : أتينا بها ، فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث ، وإن كان الذي تقدم ذلك قوله مثقال حبة ، لأنه عنى بقوله بها الحبة دون المثقال ، ولو عنى به المثقال لقليل به . وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأول قوله ( أَتَيْنَا بِهَا ) على ما ذكرنا عنه ، لأنه كان يقرأ ذلك ( أَتَيْنَا بِهَا ) بمد الألف . وقوله ( وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ) يقول : وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين ، لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم ، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء ، منا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان ، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل ، وذلك هو التوراة في قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( الْفُرْقَانَ ) قال : الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) الفرقان : التوراة : حلالها وحرامها ، وما فرق الله بين الحق والباطل .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) قال : الفرقان : الحق ، آتاه الله موسى وهارون ، فرق بينهما وبين فرعون ، قضى بينهم بالحق ، وقرأ ( وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ) قال : يوم بدر .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ، وذلك لدخول الواو في الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة ، كما قال من قال ذلك ، لكان التنزيل : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة ، التي أضاعت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم ،



فبصرهم الحلال والحرام ، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الأبصار ، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء .

فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان ، وإن كانت فيه واو ، فيكون معناه : وضياء آتيناه ذلك ، كما قال ( ( بَيِّنَاتٍ الْكُتُبِ وَالْحَفِظَاتِ ) ) ؟ قيل له : إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا ، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل .  
وقوله ( وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ) يقول : وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ذكرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ، وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : آتيناه موسى وهارون الفرقان : الذكر الذي آتيناهما . للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب ، يعنى في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه ، فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه ، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون ، حذرون أن تقوم عليهم ، فسيردوا على ربهم ، قد فرطوا في الواجب عليهم لله ، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبيل لهم به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ، أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ؟ (٥٠)

يقول جل ثناؤه : ( وهذا ) القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ( ذكرا ) لمن تذكروا به ، وموعظة لمن اتعظ به ( مبارك ) أنزلناه ( كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ) أفأنتم له منكرون ؟ يقول تعالى ذكره : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون ؟ وتقولون : ( هو أضغاث أحلام ، بلى فسترأه بلى هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) ، وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين ، كالذي آتيناه موسى وهارون ذكرا للمتقين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ) . . . إلى قوله ( أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ) : أي هذا القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَيْهِ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَكِفُونَ؟ (٥٢)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) : موسى وهارون ، ووفّقناه للحقّ ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته ، من عبادة الأوثان ، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى إبراهيم ، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان ، وهديناه إلى سبيل الرشاد ، توفيقاً منا له .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هديناه صغيراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) يقول : آتيناه هداً .

وقوله (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) يقول : وكنا عالمين به أنه ذوقين وإيمان بالله ، وتوحيد له ، لا يشرك به شيئاً . (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) يعني في وقت قبله ، وحين قبله لهم : (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ كَفُّوا عَنْهَا كَيْفَ فَرَّغْتُمْ) يقول : قال لهم : أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون ، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ كَفُّوا عَنْهَا كَيْفَ فَرَّغْتُمْ) قال : الأصنام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقد بيننا فيما مضى من كتابنا هذا ، أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك ، وذكرنا الرواية عن أهل التأويل .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّامِعِينَ ؟ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم : وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين ، فنحن على ملة آبائنا نعبدها ، كما كانوا يعبدون . (قَالَ) إبراهيم (لَقَدْ كُنْتُمْ) أيها القوم (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتكم

إياها (في ضلالٍ مبين) يقول: في ذهاب عن سبيل الحق، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، أنكم كذلك في جور عن الحق (قالوا أحيثننا بالحق؟) يقول: قال أبوه وقومه له: أحيثننا بالحق فيما تقول (أم أنت) هازل لاعب (من اللاعبين)؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتمكم بالحق لا للعب، ربكم رب السموات والأرض الذي خلقهن، وأنا على ذلكم، من أن ربكم هو رب السموات والأرض الذي فطرهن، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كل أحد سواه، شاهد من الشاهدين، يقول: فيباه فاعبدوا، لاهذه التماثيل التي هي خلقته، التي لاتضر ولا تنفع.

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَأَصْنَامِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذُأً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ، لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه، حين قالوا: من فعل هذا بالهتنا، إنه لمن الظالمين، فقال: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (وتالله لا كيد لأصنامكم) قال: قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم، فأبى وقال: إني سقيم، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر، وهو الذي يقول (سمعنا فتى يدكرهم يقال له إبراهيم). حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وتالله لا كيد لأصنامكم): قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعه، بعد أن تولوا مدبرين.

وقوله (فجعلهم جذأ إلا كبيرا لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي (فجعلهم جذأ) بمعنى جمع جذيد، كأنهم أرادوا به جمع جذيد؛ وجذاذ، كما يجمع الخفيف خفاف، والكريم كيرام.

(١) في العبارة هنا قصور، ولعل بها سقطا، وسيوضحها المؤلف في كلامه الآتي بعدها. والحاصل أن قراءة عامة القراء «جذاذ» بضم الجيم، قيل هو مفرد كحطام، وقيل من الجمع العزيز. وقرأ ابن وثاب وجماعة بالكسر، وهو جذيد، ونظيره كريم وكرام.

ببني وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصراب: قراءة من قرأه (جند آذا) بضم الجيم، لإجماع قراء الأمصار عليه، وأن ما أجمعت عليه فهو الصراب، وهو إذا قرئ كذلك مصدر مثل الرفات، والفتات، والدقاق، لا واحد، وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيد، والجذيد: هو فاعيل، صُرف من مجذوذ إليه، مثل كسير، وهشم، والمجذوذ: المكسورة قطعاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُذُودًا) يقول: حطّاماً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (جُذُودًا) كالصَّرم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُذُودًا): أي قطعاً. وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بأهله قومه ذلك، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي: أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً، لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبتك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكى رجلي، فتواطوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفتي الناس (تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَكِّثُوا مُدْبِرِينَ) فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه، بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا، فأكلنا؛ فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام (قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)؟ فلما لم تجبه، قال (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟ قَرَأَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ): فأخذ فأس حديد، فنقر كل صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج؛ فلما جاء القوم إلى طعامهم، نظروا إلى آلهتهم (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ).

وقوله (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) يقول: إلا عظيماً للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذُكِرَ علّق الفأس في عنقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) قال:

قال ابن عباس : إلا عظيمًا لهم ، عظيم آلتهم . قال ابن جرير ، وقال مجاهد : وجعل إبراهيم الفأس التي أهلكت بها أصنامهم ، مُسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : جعل إبراهيم الفأس التي أهلكت بها أصنامهم ، مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أقبل عليهن ، كما قال الله تبارك وتعالى ( ضَرَبًا بِالْيَمِينِ ) ، ثم جعل يكسرنه بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ، ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ؛ فلما رجع قومه ، رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك وأعظموه ، وقالوا : من فعل هذا بأهتنا ؟ إنه لمن الظالمين . وقوله ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) يقول : فعل ذلك إبراهيم بأهنتهم ، ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم ، فهي من أن تدفع عن غيرها من أراده بسوء أبعد ، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها ، إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله ، والبراءة من الأوثان .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) قال : كادهم بذلك ، لعلهم يتذكرون أو يبصرون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ؟ إِنَّهُ بِنَ الْأُظْلَمِينَ (٥٩) قَالُوا : سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ  
إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا : فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما رأوا آلتهم قد جُذِّت ، إلا الذي ربط به الفأس إبراهيم : من فعل هذا بأهتنا ؟ إن الذي فعل هذا بأهتنا لمن الظالمين ، أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله . ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) يقول : قال الذين سمعوه يقول ( تَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَنَا أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ) : سمعنا فتى يدكرهم بعب ، يقال له إبراهيم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ ) قال ابن جرير : يدكرهم : يعيهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ( سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ ) ، يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره ، وهو الذي نظن صنع هذا بها . وقوله ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم

بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا، الذي ستمتموه يذكرها بعيد ، ويسبها ويذمها على أعين الناس ، فقيل : معنى ذلك : على رموس الناس . وقال بعضهم : معناه : بأعين الناس ومرأى منهم ، وقالوا : إنما أريد بذلك : أظهروا الذي فعل ذلك للناس ، كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر ، كان ذلك على أعين الناس ، يراد به كان بأيدي الناس .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعل الناس يشهدون عليه ، أنه الذي فعل ذلك ، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه ، وقالوا : إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بيعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) عليه أنه فعل ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) قال : كرهوا أن يأخذوه بغير بيعة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به ، فيعاقبونه ويرونه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بلغ ما فعل إبراهيم بآلهة قومه نمرود ، وأشرف قومه ، فقالوا ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) : أي ما يُصْنَعُ بِهِ ، وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا : فأتوا به على أعين الناس ، لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه ؛ لأنه لو أريد بذلك : ليشهدوا عليه بفعله ، كان يقال : انظروا من شهده يفعل ذلك ، ولم يقل : أحضروه بمجمع من الناس .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا لَكَ مِنْ آلِهَةٍ هَذَا بَدَلِ آلهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ

إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فأتوا بإبراهيم ، فلما أتوا به قالوا له : أنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم ؟ فأجابهم إبراهيم : بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم ، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها، إن كانت تنطق ، أو تعبر عن نفسها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أتى به ، واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ،

(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْتَأْذَنُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ) غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرهن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ... الآية ، وهي هذه الحصلة التي كادهم بها .

وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام ، أن معنى قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) إنما هو : بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاستأذوهم ، أي إن كانت الآلة المكسورة تنطق ، فإن كبيرهم هو الذي كسره . وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات ، كلها في الله : قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله (إِنِّي سَقِيمٌ) ، وقوله لسارة : هي أختي ؛ وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ، ليقرّع قومه به ، ويحتج به عليهم ، ويعرفهم موضع خطيئهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، كما قال مؤذن يوسف لإخوته (أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لِتَسَارِقُونَ) ولم يكونوا سرقوا شيئاً .

القول في تأويل قوله تعالى

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ : لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظِقُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْتَأْذَنُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ) في أنفسهم ، ورجعوا إلى عقولهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه ، وقيلكم له : من فعل هذا بالهتنا يا إبراهيم ؟ وهذه أختكم التي فعل بها ما فعل حاضرتمكم فاستأذوها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) قال : ارعوا وارجعوا عنه ، يعني عن إبراهيم ، فيما ادعوا عليه من كسرهن ، إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه ، وما نراه إلا كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ) قال : نظر بعضهم إلى بعض (فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) .

وقوله (ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ) يقول جل ثناؤه : ثم غلبوا في الحجّة ، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجّة لإبراهيم عليهم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم قالوا : يعني قوم إبراهيم ، وعرفوا

أنها ، يعني آفتهم لا تضر ولا تنفع ولا تبطش ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) : أى لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) في الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجّة عليهم بقولهم ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) أدركت الناس حيرة سوء .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم نكسوا في الفتنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) قال نكسوا في الفتنة على رؤوسهم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .  
وقال بعض أهل العربية : معنى ذلك : ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك ، لأن نكس الشيء على رأسه : قلبه على رأسه ، وتصيير أعلاه أسفله ، ومعلوم أن القوم لم يُقبلوا على رؤوس أنفسهم ، وأنهم إنما نكس حججهم ، فأقيم الخبر عنهم ، مقام الخبر عن حججهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فنكس الحجّة لاشك ، إنما هو احتجاج المحتج على خصمه ، بما هو حجة لخصمه . وأما قول السدى : ثم نكسوا في الفتنة ، فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك ، فنكسوا فيها . وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه ، فقول بعيد من الفهوم ، لأنهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، ما احتجوا عليه بما هو حجة له ، بل كانوا يقولون له : لا تسألم ، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها ، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ، ولكن صدقوا القول ( فَقَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا ، بل هو إقرار به .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ (٦٦) أَفَلَا تَكُفِّرُونَ وَلَا تَتَّقُونَ ؟

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها من أرادها بسوء ، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عن يأتيها بسوء ، فتخبر به ، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ



شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟) . . . الآية ، يقول يرحمه الله : ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم ، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم ، فكيف ينفعونكم أو يضرّون .  
وقوله (أَفْ لَكُمْ) يقول : قُبْحًا لَكُمْ وللآلة التي تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع ؟ فتركوا عبادته ، وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض ، والذي بيده النفع والضر .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قال بعض قوم إبراهيم لبعض : حرّقوا إبراهيم بالنار ( وَاَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) يقول : إن كنتم ناصريها ، ولم تريدوا ترك عبادتها .  
وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل من أكراد فارس .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ) قال : قالوا رجل من أعراب فارس ، يعني الأكراد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجبَّيْتِي ، قال : إن الذي قال حَرِّقُوهُ « هيزن » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أجمع نمرود وقومه في إبراهيم ، فقالوا : ( حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) : أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار ، إن كنتم ناصريها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوَت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار ؟ قال : قلت لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قلت : يا أبا عبد الرحمن ، أو هل للفارس أعراب ؟ قال : نعم الكرذ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

وقوله ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) في الكلام متروك اجتزأ بدلالة ما ذكر عليه منه ، وهو : فأوقدوا له نارا ليحرقوه ، ثم ألقوه فيها ، فقلنا للنار : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ، وذكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا ، كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ( قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ) قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطبًا ، حتى

إن كانت المرأة تمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم؛ فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب، حتى إن الطير نمر بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه، فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبني الله ونعم الوكيل، فقفوه في النار، فنادها فقال: (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فكان جبريل عليه السلام هو الذي نادها، وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تُعسني؛ فلما طفئت النار، نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو ورجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل، وأنزل الله نارا، فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

حدثني إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: ثنا قتادة، عن أبي سليمان، عن كعب، قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: وسلاما، قال: لا تضربه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا إسماعيل، عن المهال بن عمرو، قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لما ألقى إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم في النار، قال الملك خازن المطر: رب خليلك إبراهيم، رجاء أن يؤذن له، فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك، فقال: (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فلم يبق في الأرض نار إلا لاطفئت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الحارث، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجدته يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

(١) سقطت من هذا الخبر عبارة ذكر نحوها الثعلبي المفسر في عرائس المجالس، وهي: أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب، فاشتعلت النار، حتى إن كان الطير يمر بها فيحترق... الخ.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الحبشي ، قال : ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين ، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بطنيت يومين ، وماتت اليوم الثالث . قال ابن جريج : قال كعب الأحبار : ما أحرقت النار من إبراهيم شيئا غير وثاقه الذي أوثقوه به .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان التيمي ، عن بعض أصحابه ، قال : جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام ، وهو يوثق أو يقمط ليلتي في النار ، قال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

قال : ثنا معتمر ، قال : ثنا ابن كعب ، عن أرقم : أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ) قال : السلام لا يؤذيه بردها ، ولولا أنه قال : وسلاماً ، لكان البرد أشد عليه من الحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ( برءاً ) قال : بردت عليه ، وسلاماً لا تؤذيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قلنا يا نار كوني برءاً وسلاماً على إبراهيم ) قال : قال كعب : ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ، ولا أحرقت النار يومئذ شيئاً إلا وثاق إبراهيم .

وقال قتادة : لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ .

وقال الزهري : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسماه قويسقا .

وقوله ( وأرادوا به كيداً ) يقول تعالى ذكره : وأرادوا بإبراهيم كيداً ( فجعلناهم الأخسرين ) : يعني الهالكين .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ) قال : ألقوا شيخاً منهم في النار ، لأن يصيبوا نجاته ، كما نجى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فاحترق .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ونجينا إبراهيم ووطاً من أعدائهما : نمرود وقومه ، من أرض العراق ( إلى الأرض

التي باركنا فيها للعالمين) وهي أرض الشام ، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم ، وهاجر إلى الشام . وهذه القصة التي قص الله من نبي إبراهيم وقومه ، تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش ، أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان ، وأذاهم محمدا على نبيه عن عبادتها ، ودعاهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين ، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم ، ومخالفتهم دينه ، وأن محمدا في براءته من عبادتها ، وإخلاصه العبادة لله ، وفي دعاهم إلى البراءة من الأصنام ، وفي الصبر على ما يلقي منهم في ذلك ، سالك منهاج أبيه إبراهيم ، وأنه مُخرج من بين أظهرهم ، كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه ، حين تمادوا في غيهم ، إلى مهاجره من أرض الشام ، ومسلٌ بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يلقي من قومه من المكروه والأذى ، ومعلمه أنه منجيه منهم ، كما نجى أباه إبراهيم من كفره قومه .

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجى إبراهيم ولوطا إليها ، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين . فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث المروري أبو عمار ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالبي ، عن أبي بن كعب ( وَنَجَّيْنَاهُ وَكُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن فترات القزاز ، عن الحسن ، في قوله ( إلى الأرض التي باركنا فيها ) قال : الشام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَكُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) كانا بأرض العراق ، فأُنجيا إلى أرض الشام ، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها مجمع الناس ، وبها ينزل عيسى بن مريم ، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال .

وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ فيما يرى النَّائمُ كأنَّ الملائكةَ حملتْ عمودَ الكتابِ ، فَوَضَعَتْهُ بِالشَّامِ ، فَأَوْلَتْهُ أَنْ الْفَيْتِنَ إِذَا وَقَعَتْ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالشَّامِ » وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه : « إِنَّهُ كَائِنٌ بِالشَّامِ جُنْدٌ ، وبالعِراقِ جُنْدٌ ، وباليَمَنِ جُنْدٌ ، فقال رجل : يا رسول الله خيرٌ لي ، فقال : عَلَيْكَ بِالشَّامِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَسْلِحْ بِأَمْنِهِ ، وَلْيَسْتَقِ بِقَدْرِهِ . »

وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا كعب ، ألا تحول إلى المدينة ، فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، إني أجد في كتاب الله المنزل ، أن الشام كنز الله من أرضه ، وبها كنزه من عباده .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : هاجرا جميعا من كوثي إلى الشام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي بنت ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فنزّجها على أن لا يغيرها<sup>١</sup>

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه ، وخرج معه لوط مهاجرا ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه ، حتى نزل حرّان ، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ، ثم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، ونزل لوط بالموثفة ، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة ، أو أقرب من ذلك ، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية ( بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي بييت المقدس ، قال : ثم يتفرق في الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : إلى الشام .

وقال آخرون : بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى ( التي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) يعني مكة ، ونزول إسماعيل البيت . ألا ترى أنه يقول ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ) .

وقال أبو جعفر : وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك ، لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم ، أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام ، وبها كان مقامه أيام حياته ، وإن كان قد كان قدم مكة ، وبني بها البيت ، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر ، غير أنه لم يُقيم بها ، ولم يتخذها وطنا لنفسه ، ولا لوط ، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط ، أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين .

(١) في ابن كثير : على أن يفر بها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ، وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ  
بِأَمْرِنَا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ، ويعقوب ولد ولده ، نافلة لك .  
واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( نافلة ) فقال بعضهم : عنى به يعقوب خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) يقول : ووهبنا له إسحاق ولدا ، ويعقوب ابن ابن نافلة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
نَافِلَةً ) والنافلة : ابن ابنه يعقوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : سأله واحدا فقال : رب هب لي من الصالحين ، فأعطاه واحدا ، وزاده  
يعقوب ، ويعقوب ولد ولده .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب ، قالوا : وإنما معنى النافلة : العطية ، وهما جميعا من  
عطاء الله أعطاهما إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله  
( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطية .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطاء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى قبل ، أن النافلة : الفضل من الشيء ، يصير إلى الرجل ، من أى شيء  
كان ذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له . وجائز أن  
يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا ، نافلة منه له ، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب ، ولا برهان يدل على  
أى ذلك المراد من الكلام ، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ، ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب  
نافلة :

وقوله ( وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ) يعنى عاملين بطاعة الله ، مجتنبين محارمه ، وعنى بقوله ( كُلًّا ) :

إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب . وقوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أمة يؤتم بهم في الخير ، في طاعة الله ، في اتباع أمره ونهيه ، ويقتدى بهم ، ويتبعون عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) جعلهم الله أمة يقتدى بهم في أمر الله ، وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول : يهدون الناس بأمر الله إبراهيم بذلك ، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته . وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : وأوحينا فيما أوحينا : أن افعلوا الخيرات ، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك . ( وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) : يقول : كانوا لنا خاشعين ، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا

قَوْمَ سَوَاءٍ فَسِيقِينَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : وآتيناه لوطا حكما ، وهو فصل القضاء بين الخصوم . وعلما : يقول : وآتيناه أيضا علما بأمر دينه ، وما يجب عليه الله من فرائضه .

وفي نصب لوط وجهان : أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا : وآتيناه لوطا ؛ والآخر بمضمر بمعنى : واذكر لوطا .

وقوله ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ) يقول : ونجينا من عذابنا الذي أحلناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث ، وهي قرية سدوم التي كان لوط بُعِثَ إلى أهلها ، وكانت الخبائث التي كانوا يعملونها : إتيان الذكران في أدبارهم ، وخذفهم الناس ، وتضارطهم في أُنْدِيَتِهِمْ ، مع أشياء أُخْرَجُوا بِهَا مِنْ الْمُنْكَرِ ، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخرجهم الله ، يعني لوطا وابنتيه زينا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسِيقِينَ ) مخالفين أمر الله ، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ، إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه مما أحلنا بقومه من العذاب والبلاء ، وإنقاذنا منه ، إنه من الصالحين : يقول : إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا ، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ، ولا يعصوننا

وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) قال : في الإسلام .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ السُّكْرَبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا؛ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك ، ومن قبل إبراهيم ولوط ، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده ، وكذبوا نوحا فيما آتاهم به من الحق من عند ربه ، ( وَقَالَ رَبِّ لَاتَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) فاستجبنا له دعاءه ، ونجيناه وأهله ، يعني بأهله : أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ( مِنَ السُّكْرَبِ الْعَظِيمِ ) يعني بالكرب العظيم : العذاب الذي أحل بالملكذيين ، من الطوفان والغرق . والكرب : شدة الغم ، يقال منه : قد كرتبني هذا الأمر ، فهو يكرتبي كرتبا . وقوله ( وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ) يقول : ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأدلتنا ، فأنجيناهم منهم ، فأغرقناهم أجمعين ، إنهم كانوا قوم سوء ، يقول تعالى ذكره : إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء ، يسيئون الأعمال ، فيعصون الله ويخالفون أمره .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ، وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ، وَكَلَّلَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر داود وسليمان يا محمد ، إذ يحكما في الحرث . واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان ؟ فقال بعضهم : كان نبتا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال سفيان : عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كان الحرث نبتا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قال : ذُكِرْنَا أَنَّ غَنَمَ الْقَوْمِ وَقَعَتْ فِي زُرْعٍ لَيْلًا .

وقال آخرون : بل كان ذلك الحرث كرمًا .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المخاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كَرَّمْ قد أنبت عناقيده .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ، قال : كان الحرث كَرَمًا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : ما قال الله تبارك وتعالى ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) والحرث : إنما هو حرث الأرض . وجائز أن يكون ذلك كان زرعًا ، وجائز أن يكون غَرَسًا ، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان .

وقوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) يقول : حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين ، من غير أهل الحرث ، ليلا ، فرعته أو أفسدته ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول : وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم ، فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث . شاهدين : لا ينجي علينا منه شيء ، ولا يغيب عنا علمه . وقوله ( فَفَهَّمْنَاهَا ) يقول : ففهمنا القضية في ذلك ( سُلَيْمَانَ ) دون داود ، ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) يقول : وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة ، آتينا حكما ، وهو النبوة ، وعلمًا : يعني وعلمًا بأحكام الله .

ربنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا : ثنا المخاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كرم قد أنبت عناقيده ، فأفسدته ، قال : فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذلك ؟ قال : يدفع الكرم إلى صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم ، فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها ، فذلك قوله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) . يقول : كنا لما حكما شاهدين . وذلك أن رجلين دخلا على داود ، أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي ، فلم يبق من حرثي شيئا ، فقال له داود : اذهب ، فإن الغنم كلها لك ، فقضى بذلك داود . ومرة صاحب الغنم بسليمان ، فأخبره بالذي قضى به داود ، فدخل سليمان على داود ، فقال : يا نبي الله ، إن القضاء سوى الذي قضيت . فقال : كيف ؟ قال

(١) نفست الماشية في الزرع : تفرقت فيه ليلا ترعاه وليس معها راع . والفعل : من باب نصر وضرب وفرح .

سليمان : إن الحرث لا ينجى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام ، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث ، فإن الغنم لها نسل في كل عام ، فقال داود : قد أصبت ، القضاء كما قضيت ، ففهمها الله سليمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن علي بن زيد ، قال : ثنى خليفة ، عن ابن عباس ، قال : قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فخرج الرعاة معهم الكلاب ، فقال سليمان : كيف قضى بينكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا ، فأخبر بذلك داود ، فدعاه فقال : كيف تقضى بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث ، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم ، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه ، أخذ أصحاب الحرث الحرث ، وردوا الغنم إلى أصحابها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث ، وحكم سليمان بجزية الغنم وألبانها لأهل الحرث ، وعليهم رعايتها على أهل الحرث ، ويحرق لهم أهل الغنم ، حتى يكون الحرث كهبيته يوم أكل ، ثم يدفعونه إلى أهله ، ويأخذون غنمهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج بنحوه ، إلا أنه قال : وعليهم رعايتها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان الحرث نباتا ، فنفست فيه ليلا ، فاختصموا فيه إلى داود ، فقضى بالغنم لأصحاب الحرث ، فرأوا على سليمان ، فذكروا ذلك له ، فقال : لا ؛ تدفع الغنم ، فيصيبون منها ، يعني أصحاب الحرث ، ويقوم هؤلاء على حرثهم ، فإذا كان كما كان ردوا عليهم ، فنزلت ( فَفَهَّمْنَا هَاسِلِيْمَانَ ) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا ، وكان الحرث كرما ، قال : فجعل داود الغنم لصاحب الكرم ، قال : فقال سليمان : إن صاحب الكرم قد بقى له أصل أرضه ، وأصل كرمه ، فاجعل له أصوافها وألبانها ، قال : فهو قول الله ( فَفَهَّمْنَا هَاسِلِيْمَانَ ) .

حدثنا ابن أبي زياد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن عامر ، قال : جاء رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إن شياه هذا قطعت غزلا لي ، فقال شريح : نهارا أم ليلا ؟ قال : إن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه ، وإن كان ليلا فقد ضمن ، ثم قرأ ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن شريح بنحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . الآية ، النفس بالليل ، والهمل بالنهار . وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا ، فرفع ذلك إلى داود ، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع . فقال سليمان : ليس كذلك ، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزأها ، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أُكِيل ، دُفِعت الغنم إلى ربها ، وقبض صاحب الزرع زرعه ، فقال الله ( فَفَتَّهْمَنَاهَا سُلَيْمَانٌ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهرى ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : نفست غنم في حرث قوم ، قال الزهرى : والنفس لا يكون إلا ليلا ، فقضى داود أن يأخذ الغنم ، ففهمها الله سليمان ؛ قال : فلما أُخبر بقضاء داود ، قال : لا ، ولكن خذوا الغنم ، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : في حرث قوم . قال معمر : قال الزهرى : النفس لا يكون إلا بالليل ، والهمل بالنهار . قال قتادة : فقضى أن يأخذوا الغنم ، ففهمها الله سليمان ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث ابن عبد الأعلى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) . . . الآيتين ، قال : انفلت غنم رجل على حرث رجل ، فأكلته ، فجاء إلى داود ، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت ، وكأنه رأى أنه وجه ذلك . فرؤا سليمان ، فقال : ما قضى بينكم نبي الله ؟ فأخبروه ، فقال : ألا أفضى بينكما ، عسى أن ترضيا به ؟ فقالا : نعم . فقال : أما أنت يا صاحب الحرث ، فخذ غنم هذا الرجل ، فكن فيها كما كان صاحبها ، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب ، واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل ، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفست فيه غنمك ، فأعطه حرثه ، وخذ غنمك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) وقرأ حتى بلغ قوله ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : رعت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : النفس : الرعية تحت الليل .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن حرام بن محيصة بن مسعود ، قال : دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) ففضى على البراء بما أفسدت الناقة ، وقال على أصحاب المشايبة حِفْظُ الْمَشَايِبَةِ بِاللَّيْلِ ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحَوَائِطِ حِفْظُ حَيْطَاتِهِمْ بِالنَّهَارِ » .

قال الزهرى : وكان قضاء داود وسليمان في ذلك : أن رجلا دخلت ماشيته زرعاً لرجل ، فأفسدته ، ولا

يكون النفوس إلا بالليل ، فارتفعا إلى داود ، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع ، فانصرفا ، فمرّا بسليمان ، فقال : بماذا قضى بينكما نبي الله ؟ فقالا : قضى بالغنم لصاحب الزرع ، فقال : إن الحكم لعلى غير هذا ، انصرفا معي ، فأتى أباه داود ، فقال : يا نبي الله ، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع ، قال نعم ، قال : يا نبي الله ، إن الحكم لعلى غير هذا ، قال : وكيف يا نبي ؟ قال : تدفع الغنم إلى صاحب الزرع ، فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها ، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه ، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها ، رُدَّت الغنم على صاحب الغنم ، وردَّ الزرع إلى صاحب الزرع ، فقال داود : لا يقطع الله قمتك ، فقضى بما قضى سليمان ، قال الزهري : فذلك قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( حُكْمًا وَعِلْمًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من سمع الحسن يقول : كان الحكم بما قضى به سليمان ، ولم يعنف الله داود في حكمه .  
وقوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا مع داود الجبال والطير ، يسبحن معه إذا سبح .

وكان قتادة يقول في معنى قوله ( يُسَبِّحْنَ ) في هذا الموضع ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) : أى يصلين مع داود إذا صلى .

وقوله ( وَكُنَّا فَاعِلِينَ ) يقول : وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك ، ومسخر الجبال والطير في أم الكتاب ، مع داود عليه الصلاة والسلام .

#### القول في تأويل قول تعالى

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ، فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ؟ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وعلمنا داود صنعة لبوس لكم ، واللبوس عند العرب : السلاح كله ، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا ، يدل على ذلك قول الهذلي :

وَمَعِيَ لَبُوسٌ لِلْبَيْسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ يَجِبُهُ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلٍ

وإنما يصف بذلك رمحا . وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا : عنى الدروع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

(١) البيت في (اللسان : لبس) . واللبوس : ما يلبس ، واللبوس : الثياب والسلاح ، مذكر ، فإن ذهب به إلى الدرع أنثى . وقال الله تعالى : « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ » : قالوا : هي الدرع تلبس في الحروب .

واستشهد المؤلف بالبيت على أن اللبوس عام في السلاح كله : الدرع والرمح والجوشن . والتشبيه في البيت يعطى ماقاله المؤلف ، لأن الشاعر يشبه رمحا بروق الثور المجفل ، يدافع عن نعاجه ، وهي بقر الوحش .

لَكُمْ\* ) . . . الآية ، قال : كانت قبل داود صفائح ، قال : وكان أول من صنع هذا الخلق وسرد داود . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ\* ) قال : كانت صفائح ، فأول من سردها وحلّقها داود عليه السلام .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالياء ، بمعنى : ليحصنكم اللبوس من بأسكم ، ذكره لئذ كبر اللبوس . وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع : ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالتاء ، بمعنى : لتحصنكم الصنعة ، فأنت لتأنيث الصنعة . وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم ابن أبي النجود ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالنون ، بمعنى : لنحصنكم نحن من بأسكم .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي : قراءة من قرأه بالياء ، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار ، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني ، وذلك أن الصنعة هي اللبوس ، واللّبوس هي الصنعة ، والله هو المحصن به من البأس ، وهو المحصن بتصوير الله إياه كذلك ، ومعنى قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) ليحرزكم ، وهو من قوله : قد أحصن فلان جاريته . وقد بينا معنى ذلك بشواهد فيما مضى قبل . والبأس : القتال ، وعلّمنا داود صنعة سلاح لكم ، ليحرزكم إذا لبستموه ، ولقيتم فيه أعداءكم من القتل .

وقوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟ ) يقول : فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم ، بما علّمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب ، وغير ذلك من نعمه عليكم ، يقول : فاشكروني على ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْلَيْمَنْ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَكُنَّا بِكُلِّ

شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره ( وَ ) سخرنا ( لِسَلِيمَانَ ) بن داود ( الرِّيحَ عَاصِفَةً ) وعصوفها : شدة هبوبها . ( تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) يقول : تجرى الريح بأمر سليمان ، إلى الأرض التي باركنا فيها . يعني : إلى الشام ، وذلك أنها كانت تجرى بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ، ثم تعود به إلى منزله بالشام ، فلذلك قيل ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) .

كما حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سائمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس ، حتى يجلس إلى سريره . وكان أمراً غزواً ، فلما يقعد عن الغزو ، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله ، وكان فيها يزعمون إذا أراد الغزو ، أمر بعسكره ، فضرب له بحشب ، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح ، فدخلت تحت ذلك

الخشب فاحتملته ، حتى إذا استقلت أمر الرُخاء ، فمدته شهرا في روحته ، وشهرا في غدوته ، إلى حيث أراد .  
يقول الله عز وجل ( فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ) . قال ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ  
الرِّيحُ غَدُوٌّ وَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ) قال : فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة ، مكتوب فيه كتاب ، كتبه بعض  
صحابه سليمان ، إما من الجن وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنيناه ، ومبنيها وجدناه ، غدونا من إصطخر  
فقلناه ، ونحن راحلون منه إن شاء الله ، قائلون الشام » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ ) . . .  
إلى قوله ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) قال : ورث الله سليمان داود ، فورثه نبوته وملكه ، وزاده على ذلك  
أن سخر له الريح والشياطين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ  
تَجْرِي بِأَمْرِهِ ) قال : عاصفة شديدة . تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ، قال : الشام .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ الرِّيحُ ) فقرأته عامة قراء الأمصار بالنصب على المعنى  
الذي ذكرناه ، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج ( الرِّيحُ ) رفعا بالكلام في سليمان ، على ابتداء الخبر عن أن  
لسليمان الريح .

❦ قال أبو جعفر : والقراءة التي لأستجيز القراءة بغيرها في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من  
القراء عليه :

وقوله ( وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ) يقول : وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان ، من تسخيرنا له ،  
وإعطائنا ما أعطيناه من الملك ، وصلاح الخلق ، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك ففعلنا ، ونحن عالمون  
بكل شيء ، لا يخفى علينا منه شيء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُونَ لَهُ ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ، وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)

❦ يقول تعالى ذكره : وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر ، ويعملون عملا دون  
ذلك ، من البنيان والتماثيل والحاريب ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) يقول : وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين ،  
لا يؤدنا حفظ ذلك كله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ : أُنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ (٨٣) فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ ،

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مِّمَّهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا ، وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء، ( رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ : فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ) يقول تعالى ذكره : فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا ، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهه ، وكان الضرّ الذي أصابه ، والبلاء الذي نزل به ، امتحانا من الله له واختبارا .

وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه ، أنه كان صابرا نعم العبد . قال وهب : إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله ، والفضيلة عنده ، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام ، فإذا ذكر الله عبدا بخير ، تلقاه جبرائيل منه ، ثم تلقاه ميكائيل ، وحوّله الملائكة المقربون حافين من حول العرش ، وشاع ذلك في الملائكة المقربين ، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات ، فإذا صلت عليه ملائكة السموات ، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض ، وكان إبليس لا يُحجّب بشيء من السموات ، وكان يقف فيهنّ حيث شاء ما أرادوا ، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة ، فلم يزل على ذلك يصعد في السموات ، حتى رفع الله عيسى بن مريم ، فحجّب من أربع ، وكان يصعد في ثلاث ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، حجّب من الثلاث الباقية ، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ) ، ولذلك أنكرت الجنّ ما كانت تعرف حين قالت : ( وَأَنْتَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُحَلَّيَةً حَرَّسًا شَدِيدًا ) . . . إلى قوله ( شِهَابًا رَصَدًا ) .

قال وهب : فلم يرعُ إبليس إلا تجاوبُ ملائكتها بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله ، وأثنى عليه ، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة ، أدركه البغي والحسد ، وصعد سريعا ، حتى وقف من الله مكانا كان يقفه ، فقال : يا إلهي ، نظرت في أمر عبدك أيوب ، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك ، وعافيته فحمدك ، ثم لم تجرّه بشدة ، ولم تجرّه ببلاء ، وأنا لك زعيم : لئن ضربته بالبلاء ليكفرنّ بك ولينسينك ، وليعبدنّ غيرك . قال الله تبارك وتعالى له : انطلق ، فقد سلطتك على ماله ، فإنه الأمر الذي ترعّم أنه من أجله يشكرني ، ليس لك سلطان على جسده ، ولا على عقله ، فانقضّ عدوّ الله ، حتى وقع على الأرض ، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البشنيّة من الشام كلها ، بما فيها من شرقها وغربها ، وكان له بها ألف شاة برعاتها ، وخمس مئة فدان ، يتبعها خمس مئة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، وحمل آلة كل فدان أتان ، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك ؛ فلما جمع إبليس الشياطين ، قال لهم : ماذا عندكم من القوّة والمعرفة ، فإنني قد سلطت على مال أيوب ، فهي المصيبة الفادحة ، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال ؛ قال عفريت من الشياطين : أعطيت من القوّة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار ، فأحرقت كل شيء أتى عليه ، فقال له

(١) عبد الصمد بن معقل ، بكسر القاف التيماني ؛ يروى عن عمه وهب بن منبه وعنه ابن أخيه إسماعيل بن عبد الكريم . وثقه أحمد . مات سنة ثلاث وثمانين ومئة . ( عن الخلاصة ) . وهذا الحديث من أحاديث أهل الكتاب ، رواه وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ، كما قال الثعلبي في عرائس المجالس (ص ١٥٣-١٦٣) طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة . وأصله في الكتاب المقدس سفر أيوب (٧٩٣ - ٨٣٣) .

إبليس : فأت الإبل ورعاتها ، فانطلق يوم الإبل ، وذلك حين وضعت رءوسها ، وثبتت في مراعيها ، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ، تنفخ منها أرواح السموم ، لا يدنو منها أحد إلا احترق ، فلم يزل يُحترقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ؛ فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها ، ثم انطلق يوم أيوب ، حتى وجده قائما يصلي ، فقال : يا أيوب ، قال : لبيك ، قال : هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت ، وعبدت ووحدت ، بإبلك ورعاتها ؟ قال أيوب : إنها ماله أعارنيه ، وهو أولى به إذا شاء نزعها ، وقديما ما وطننت نفسي ومالي على الفناء . قال إبليس : وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها ، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها ، فتركت الناس مبهوتين ، وهم وقوف عليها يتعجبون ، منهم من يقول : ما كان أيوب يعبد شيئا ، وما كان إلا في غرور ؛ ومنهم من يقول : لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه ؛ ومنهم من يقول : بل هو فعَل الذي فعل ، ليثبت به عدوه ، وليفجع به صديقه . قال أيوب : الحمد لله حين أعطاني ، وحين نزع مني ، وعريانا خرجت من بطن أمي ، وعريانا أعود في التراب ، وعريانا أحشر إلى الله ، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله ، وتجزع حين قبض عاريته ، الله أولى بك ، وبما أعطاك ، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا ، لنقل روحك مع ملك الأرواح ، فأجرني فيك ، وصرت شهيدا ، ولكنه علم منك شرًا ، فأحرك من أجله ، فعراك الله من المصيبة ، وخلصك من البلاء ، كما يخلص الزوان من القمح الخلاص .

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا ، فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ؟ فإني لم آكليم قلبه . قال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة ما إذا شئت صيحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه ، قال له إبليس : فأت الغنم ورعاتها ، فانطلق يوم الغنم ورعاتها ، حتى إذا وسطها صاح صوتا جشمت أمواتا من عند آخرها ورعاءها . ثم خرج إبليس متمثلا بقهْرمان الرعاء<sup>١</sup> ، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي ، فقال له القول الأول ، ورد عليه أيوب الرد الأول . ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه ، فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ، فإني لم آكليم قلب أيوب ، فقال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه ، حتى لأبقي شيئا ؛ قال له إبليس : فأت الفدادين والحرث ، فانطلق يومهم ، وذلك حين قترَبوا الفدادين ، وأنشئوا في الحرث ، والأتن وأولادها رُتوع ، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف ، تنسف كل شيء من ذلك ، حتى كأنه لم يكن . ثم خرج إبليس متمثلا بقهْرمان الحرث ، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي ، فقال له مثل قوله الأول ، ورد عليه أيوب مثل رده الأول .

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ، ولم ينجح منه<sup>٢</sup> ، صعد سريعا ، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه ، فقال : يا إلهي ، إن أيوب يرى أنك مامتعه بنفسه وولده<sup>٣</sup> ، فأنت معطيه المال ، فهل أنت مسلطي على ولده ؟ فإنها الفتنة المضلة ، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ، ولا يقوى عليها صبرهم ، فقال الله تعالى له : انطلق ، فقد سلطتك على ولده ، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ، ولا على عقله ؛ فانقض

(١) المراد بقهْرمان الرعاء : وكيل صاحب المال ، المختص بتدبير أمر الرعاة .

(٢) (٣، ٢) انظر عبارة التلبيس المفسر في هذا المقام في عرائس المجالس ص ١٥٥ فإنها أوضح وأدق .



عدو الله جوادا ، حتى جاء بنى أيوب وهم في قصرهم ، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ، ثم جعل يناطح الجُدُر بعضها ببعض ، ويرميهم بالحشب والجنادل ، حتى إذا مثَّل بهم كل مُثْلَةٌ ، رفع بهم القصر ، حتى إذا أقلَّه بهم ، فصاروا فيه منكسِّين ، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعالم الذي كان يعلمهم الحكمة ، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ، ودماغه متغير لا يكاد يعرف من شدة التغير ، والمُثْلَةُ التي جاء متمثلا فيها ؛ فلما نظر إليه أيوب هاله ، وحزن ودمعت عيناه ، وقال له : يا أيوب ، لو رأيت كيف أقلت من حيث أقلت ، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا ، ولو رأيت بئيك كيف عدتوا ، وكيف مُثِّل بهم ، وكيف قلبوا فكانوا منكسِّين على رؤسهم ، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم ، وتقطر من أشفارهم ، ولو رأيت كيف شُقَّتْ بطونهم ، فتناثرت أعضاؤهم ، ولو رأيت كيف قُدِّفوا بالحشب والجنادل ، يشدخ دماغهم ، وكيف دقَّ الحشب عظامهم ، وخرق جلودهم ، وقطع عصبهم ، ولو رأيت العصب عرياناً ، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف ، ولو رأيت الوجوه مشدوخة ، ولو رأيت الجُدُر تتناطح عليهم ، ولو رأيت ما رأيت ، قطع قلبك ، فلم يزل يقول هذا ونحوه ، ولم يزل يرققه حتى رقى أيوب فبكى ، وقبض قبضة من تراب ، فوضعها على رأسه ، فاغتم إبليس [الفرصة منه] <sup>١</sup> عند ذلك ، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب ، مسرورا به ، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر ، فاستغفر ، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه ، فبدروا إبليس إلى الله . فوجدوه قد علم بالذي رُفِعَ إليه من توبة أيوب ، فوقف إبليس خازيا ذليلا ، فقال : يا إلهي ، إنما هوّن على أيوب خطّر المال والولد ، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه ، فأنت تعيد له المال والولد ، فهل أنت مسلّطي على جسده ؟ فأنا لك زعيم لأن ابتليته في جسده لينسينك ، وليكفرن بك ، وليجحدنك نعمتك ، قال الله : انطلق فقد سلطتك على جسده ، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ، ولا على قلبه ، ولا على عقله .

فانقضَّ عدو الله جوادا ، فوجد أيوب ساجدا ، فعجّل قبل أن يرفع رأسه ، فأناه من قبيل الأرض في موضع وجهه ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فترهّل ، ونبتت [به] <sup>١</sup> نائليل مثل آليات الغم ، ووقعت فيه حكمة لا يملكها ، فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكّ بالعظام ، وحكّ بالحجارة الحشنة ، وبقطع المسوح الحشنة ، فلم يزل يحكّه حتى نَفِدَ لحمه وتقطع ، ولما نَغِلَ جلد أيوب ، وتغير وأنين ، أخرجته أهل القرية ، فجعلوه على تلّ ، وجعلوا له عريشا ، ورفضه خلق الله غير امرأته ، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه ، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه ؛ فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه ، من غير أن يتركوا دينه وأهموه ، يُقال لأحدهم بلدد ، وأليفز ، وصافر <sup>٢</sup> ، قال : فانطلق إليه الثلاثة ، وهو في بلائه ، فبكتوه ؛ فلما سمع منهم أقبل على ربه ، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم : ربّ لأى شىء خلقتنى ؟ لو كنت إذْ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني ، يا ليتني كنت حيضة ألقنتى أمي ، ويا ليتني ميت في بطنها ، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني ، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري ؟ وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني ، لو كنت أمتنى فألحقتني بآبائي ، فالموت كان أجمل لي ، فأسوة لي بالسلطين الذين صُفّت من دونهم الجيوش ، يضربون عنهم بالسيوف ، بخلا بهم عن الموت ، وحرصا على بقائهم ، أصبحوا في القبور جاثمين ،

(١) انظر عرائس المجالس للشمس المفسر ص ١٥٥ .

(٢) وردت أسماء أصحاب أيوب الثلاثة في الكتاب المقدس ص ٧٩٥ وهم : أليغاز التيماني ، وبلدد الشوحى ، وصوفر التيماني .

حتى ظنوا أنهم سيخلدون ، وأُسوة لى بالملوك الذين كنزوا الكنوز ، وطمعوا المطامير ، وجمعوا الجموع ، وظنوا أنهم سيخلدون ، وأُسوة لى بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون ، وعاشوا فيها المئين من السنين ، ثم أصبحت خرابا ، مأوى للوحوش ، ومثى للشياطين .

قال أليغز التيماني : قد أعيانا أمرُك يا أيوب ، إن كلَّمتناك فانرجو للحديث منك موضعا ، وإن نسكت عنك مع الذى نرى فيك من البلاء ، فذلك علينا ، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا ، فانما يحصد امرؤ ما زرع ، ويجزى بما عمل ، أشهد على الله الذى لا يقدر قدر عظمته ، ولا يحصى عدد نعمه ، الذى ينزل الماء من السماء ، فيحيى به الميت ، ويرفع به الخافض ، ويقوى به الضعيف ، الذى تضلَّ حكمة الحكماء عند حكمته ، وعلم العلماء عند علمه ، حتى تراهم من العى فى ظلمة يمججون ، أن من رجا معونة الله هو القوى ، وإن من توكل عليه هو المكفى ، هو الذى يكسر ويجبر ، ويجرح ويداوى .

قال أيوب : لذلك سكتَ فعَضِضْتُ على لساني ، ووضعت لسوء الخدمة رأسى ، لأنى علمت أن عقوبته غيرت نور وجهى ، وإن قوته نزعَت قوةَ جسدى ، فأنا عبده ، ما قضى على أصابنى ، ولا قوة لى إلا ما حمل على ، لو كانت عظامى من حديد ، وجسدى من نحاس ، وقلبي من حجارة ، لم أطق هذا الأمر ، ولكن هو ابتلانى ، وهو يحمله عنى ، أتيتموني غضايا ، رهبتم قبل أن تسترهبوا ، وبكيتم من قبل أن تُضربوا ، كيف بى لو قلت لكم : تصدقوا عنى بأموالكم ، لعلَّ الله أن يخلصنى ، أو قربوا عنى قربانا ، لعلَّ الله أن يتقبله منى ، ويرضى عنى ؟ إذا استيقظت تمنيت النوم ، رجاء أن أستريح ، فإذا نمت كادت تجود نفسى ، تقطعت أصابعى ، فإنى لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا ، فما تبلغان فى إلا على الجهد منى ، تساقطت كسواتى ، ونخر رأسى ، فما بين أذنى من سداد ، حتى إن إحداهما لُترى من الأخرى ، وإن دماغى ليسيل من فى ، تساقط شعرى عنى ، فكأنما حُرِّق بالنار وجهى ، وحدقتاى هما متدلّيتان على خدى ، ورم لساني حتى ملأ فى ، فما أدخل فيه طعاما إلا غصنى ، وورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى ، والسفلى ذقنى ، تقطعت أمعائى فى بطنى ، فإنى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ، ما أحسه ولا ينفعنى ، ذهب قوة رجلى ، فكأنهما قربتا ماء ملئتا ، لأطبق حملهما ، أحمل لحافى بيدي وأسنانى ، فما أطبق حمله ، حتى يحمله معى غيرى ، ذهب المال فصرت أسأل بكفى ، فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة ، فيمئنها على ويعبئنى ، هلك بنى وبناتى ، ولو بقى منهم أحد أعانى على بلائى ونفعى ، وليس العذاب بعذاب الدنيا ، إنه يزول عن أهلها ، ويموتون عنه ، ولكن طوبى لمن كانت له راحة فى الدار التى لا يموت أهلها ، ولا يتحولون عن منازلهم ، السعيد من سعد هنالك ، والشقى من شقى فيها .

قال بلدد : كيف يقوم لسانك بهذا القول ، وكيف نفضح به ، أتقول إن العدل يجور ، أم تقول إن القوى يضعف ؟ ابك على خطيئتك ، وتضرع إلى ربك عسى أن يرحمك ، ويتجاوز عن ذنبك ، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا فى آخرتك ، وإن كان قلبك قد قسا ، فإن قولنا لن ينفعك ، ولن يأخذ

فيك : هيات أن تنبت الآجام في المفاوز ، و هيات أن ينبت الدبردى في الفلاة ، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ، ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفى حقه ؟

قال أيوب : إني لأعلم أن هذا هو الحق ، لن يتفلسج العبد على ربه ، ولا يطبق أن يخاصمه ، فأى كلام لي معه وإن كان إلى القرة ؟ هو الذي سماك السماء فأقامها وحده ، وهو الذي يكشطها إذا شاء ، فتنطوى له ، وهو الذي سطح الأرض ، فدحاها وحده ، ونصب فيها الجبال الراسيات ، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها ، حتى تعود أسافلها أعاليها ، وإن كان في الكلام ، فأى كلام لي معه ؟ من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة ، فحشاها السموات والأرض وما فيهما من الخلق ، فوسعه وهو في سعة واسعة ، وهو الذي كلم البحار ففهمته قوله ، وأمرها فلم تعد أمره ، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة ، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله ، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ، ويأمرها فتطيعه .

قال أليفرز : عظيم ما تقول يا أيوب ، إن الجلود لتتشعر من ذكر ما تقول ، إن ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته ، مثل هذه الحدة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة ، عظمت خطيئتك ، وكثر طلابك ، وغصبت أهل الأموال على أموالهم ، فلبست وهم عراة ، وأكلت وهم جياع ، وحبست عن الضعيف بابك ، وعن الجائع طعامك ، وعن المحتاج معروفك ، وأسررت ذلك وأخفيت في بيتك ، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها ، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك ، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك ، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون ، وما تحت الظلمات والهواء ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن تكلمت لم ينفعني الكلام ، وإن سكت لم تعذروني ، قد وقع على كيدي ، وأسخطت ربي بخطيئتي ، وأشمت أعدائي ، وأمكنتهم من عني ، وجعلتني للبلاء غرضا ، وجعلتني للفتنة نصبا ، لم تنفسني مع ذلك ، ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء ، ألم أكن للغريب دارا ؟ وللمسكين قرارا ، ولليتيم وليا ، وللأرملة قيسما ؛ ما رأيت غربيا إلا كنت له دارا مكان داره ، وقرارا مكان قراره ؛ ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله ، وأهلا مكان أهله ؛ وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه ، وما رأيت أيما إلا كنت لها قيسما ترضى قيامه ، وأنا عبد ذليل ، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان ، لأن المن لربي وليس لي ، وإن أسأت فبيده عقوبتي ، وقد وقع على بلاء لوسلظته على جبل ضعف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفي ؟

قال أليفرز : أحتاج الله يا أيوب في أمره ، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطي ، أو تبرئها وأنت غير بريء ؟ خلق السموات والأرض بالحق ، وأحصى ما فيهما من الخلق ، فكيف لا يعلم ما أسررت ، وكيف لا يعلم ما عملت ، فيجزيك به ؟ وضع الله ملائكة صفوفًا حول عرشه ، وعلى أرجاء سمواته ، ثم احتجب بالنور ، فأبصارهم عنه كليلية ، وقوتهم عنه ضعيفة ، وعزيزهم عنه ذليل ، وأنت تزعم أن لو خاصمك ، وأدلى إلى الحكم معك ، وهل تراه فتناصفه ؟ أم هل تسمعه فتحاوره ؟ قد عرفنا فيك قضاءه ، إنه من أراد أن يرتفع وضعه ، ومن اتضع له رفعه .

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ؟ ويسأله عن أمره ، لا يرد غضبه شيء إلا رحمة ، ولا ينفع عبده إلا التضرع له ؛ قال : رب أقبل عليّ برحمتك ، وأعلمني ما ذنبني الذي أذنبت ؟ أو لأي شيء صرفت وجهك الكريم عني ، وجعلتني لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمني ؟ ليس يغيب عنك شيء ، تُحصي قطر الأمطار ، وورق الأشجار ، وذرة التراب ، أصبح جلدي كالثوب العفن ، بأيه أمسكت سقط في يدي ، فهب لي قبرانا من عندك ، وفرجا من بلائي ، بالقدرة التي تبعث موتى العباد ، وتشر بها ميت البلاد ، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبني ، ولا تُفسد عمل يديك ، وإن كنت غنيا عني ، ليس ينبغي في حكمك ظلم ، ولا في نعمتك عجز ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وإنما يجعل من يخاف القوت ، ولا تذكرني خطيئتي وذنوبي ، اذكر كيف خلقتني من طين ، فجعلت مضغعة ، ثم خلقت المضغعة عظاما ، وكسوت العظام لحما وجلدا ، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة ، وربيتني صغيرا ، ورزقتني كبيرا ، ثم حفظت عهدك ، وفعلت أمرك ، فإن أخطأت فبين لي ، ولا تهلكني غمًا ، وأعلمني ذنبي ، فإن لم أرضك ، فأنا أهل أن تعذبني ، وإن كنت من بين خلقك تحصي عليّ عملي ، وأستغفرك فلا تغفر لي ، إن أحسنت لم أرفع رأسي ، وإن أسأت لم تبلغني ربي ، ولم تُقلبي عثرتي ، وقد ترى ضعفي تحتك ، وتضرعي لك ، فلم خلقتني ؟ أو لم أخرجتني من بطن أمي ؟ لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي ، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك ، وليس جسدي يقوم بعذابك ، فارحمي وأذقني طعم العافية ، من قبل أن أصير إلى ضيق القبر ، وظلمة الأرض ، وغم الموت .

قال صافر : قد تكلمت يا أيوب ، وما يطيق أحد أن يحبس فك ، تزعم أنك بريء ، فهل ينفك أن كنت بريئا ، وعليك من يحصى عملك ؟ وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك ، هل تعلم سمك السماء كم عبده ؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم عبده ؟ أم هل تعلم أي الأرض أعرضها ؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به ؟ أم هل تعلم أي البحر أعمقه ؟ أم هل تعلم بأي شيء تحبسه ؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه ، فإن الله خلقه وهو يحصيه ، لو تركت كثرة الحديد ، وطلبت إلى ربك ، رجوت أن يرحمك ، فبذلك تستخرج رحمته ، وإن كنت تقيم على خطيئتك ، وترفع إلى الله يديك عند الحاجة ، وأنت مُصرّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صبب لا يستطاع إحباسه ، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوه الأشرار ، وتظلم عيونهم ، عند ذلك يسر بنجاح حوائجهم ، الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم ، وتقدموا في التضرع ، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها ، وهم الذين كابدوا الليل ، واعتزلوا القرش ، وانتظروا الأسفار .

قال أيوب : أنتم قوم قد أعجبتمكم أنفسكم ، وقد كنت فيما خلا والرجال يُوقرونني ، وأنا معروف حتى ، منتصف من خصمي ، قاهر لمن هو اليوم يقهرني ، يسألني عن علم غيب الله لأعلمه ، ويسألني ، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك ، ولكنه ييكي معه ، وإن كنت جادا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه ، فسل طير السماء هل تخبرك ؟ وسل وحوش الأرض هل ترجع إليك ؟ وسل سباع البرية هل تجيبك ؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عدت ؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته ، وهياه بلطفه :

أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه ، وما طعم بفيه ، وما شمّ بأنفه ، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه ، له الحكمة والجبروت ، وله العظمة واللطف ، وله الجلال والقدرة ، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح ؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفصِّح ؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه ، وإن أذن لها ابتلعت الأرض ، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تهبت الملوك عند ملكه ، وتطيش العلماء عند علمه ، وتعي الحكماء عند حكمته ، ويخسأ المبطلون عند سلطانه ، هو الذي يذكر المنسى ، وينسى المذكور ، ويجري الظلمات والنور ، هذا علمي ، وخلقته أعظم من أن يحصيه عقلي ، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي .

قال بلدد : إن المنافق يُجَزَى بما أسرّ من نفاقه ، وتضلّ عنه العلانية التي خادع بها ، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها ، ويهلك ذكره من الدنيا ، ويظلم نوره في الآخرة ، ويوحش سبيله ، وتوقعه في الأحبولة سريرته ، وينقطع اسمه من الأرض ، فلا ذكر فيها ولا عمران ، لا يرثه ولد مصلحون من بعده ، ولا يبقى له أصل يعرف به ، ويبعث من يراه ، وتقف الأشعار عند ذكره .

قال أيوب : إن أكن غويا فعلى غواي ، وإن أكن برياً فأى منعة عندي ؟ إن صرخت فمن ذا الذي يُصّرّخني . وإن سكت فمن ذا الذي يتعدّرني ، ذهب رجائي وانقضت أحلامي ، وتكرت لي معارفي ، دعوت غلامي ، فلم يجبني ، وتضرّعت لأمتي فلم ترجمني ، وقع على البلاء فرفضوني ، أنتم كنتم أشدّ على من مصيبتني ، انظروا وابتهتوا من العجائب التي في جسدي ، أما سمعتم بما أصابني ، وما شغلكم عني ما رأيتم بي ؟ لو كان عبد يخاصم ربه ، رجوت أن تغلب عند الحكم ، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سمواته ، وألقاني ها هنا ، وهنّنت عليه ، لا هو عدلني بعدري ، ولا هو أدناني ، فأخاصم عن نفسي . يسمعي ولا أسمع ، ويراني ولا أراه ، وهو محيط بي ، ولو تجلّ لي لذابت كليتي ، وصعق روحي ، ولو نفسني فأتكلم بملّ في ، ونزع الهيبة مني ، علمت بأى ذنب عدتّ بي . نودي فقيل : يا أيوب ، قال : لبيك ، قال : أنا هذا قد دنوت منك ، فقم فاشدد أزارك ، وقم مقام جبار ، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد ، والسبخال في فم العنقاء ، واللحم في فم الثنين ، ويكيل مكبلا من النور ، ويزن مثقالا من الريح ، ويصّر صرّة من الشمس ، ويرد أمس لغد ، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه ، تذكرت أي مرّام رامت بك ، أردت أن تخاصمني بغيك ؟ ، أم أردت أن تحاجّني بخطئك ، أم أردت أن تكاثرني بضعفك ، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها ، هل علمت بأى مقدار قدرتها ؟ أم كنت معي تمرّ بأطرافها ؟ أم تعلم ما بُعد زواياها ؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها ؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض ؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء ؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لبعلائق ثبتت من فوقها ، ولا يحملها دعائم من تحها ؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها ، أو تسير نجومها ، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها ، أين كنت مني يوم سبّرت البحار وأنبتت الأنهار ؟ أفدرت حبست أمواج البحار على حدودها ، أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها ؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ، ونصبت شوامخ الجبال ، هل لك من ذراع تطيق حملها ؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها ؟ أم أين الماء الذي أنزل من السماء ؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده ؟ أحكمتك

أحصت القطر ، وقسمت الأرزاق ، أم قدرتك تثير السحاب ، وتعشيه الماء ؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أى شيء لب البروق ؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء ؟ أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزنة الثلج ، أو أين خزائن البرد ؟ أم أين جبال البرد ؟ أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار ، وأين خزنة النهار بالليل؟ وأين طريق النور ؟ وبأى لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزنة الريح ، وكيف تحبسه الأغلاق ؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال ؟ ومن شقّ الأسماع والأبصار ؟ ومن ذلّت الملائكة ملكه ؟ وقهر الجبارين بجبروته ؟ وقسم أرزاق الدواب بحكمته ؟ ومن قسم للأسد أرزاقها؟ وعرف الطير معاشها، وعطفها على أفرانها ؟ من أعتق الوحش من الخدمة ؟ وجعل مساكنها البرية؟ لا تستأنس بالأصوات ، ولا تهاب المسلطين ؟ أمن حكمتك تفرغت أفراخ الطير وأولاد الدواب لأمهاها ؟ أم من حكمتك عطفت أمهاها عليها ، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها ، وآثرتها بالعيش على نفوسها ؟ أم من حكمتك يبصر العقاب ، فأصبح في أماكن القتلى ؟ أين أنت منى يوم خلقت بهموت<sup>١</sup> ، مكانه في منقطع التراب ، والوتينان<sup>٢</sup> يحملان الجبال والقرى وال عمران ، آذانها كأنها شجر الصنوبر الطوال ، رعوسهما كأنها آكام الجبال ، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد ، وكان جلودهما فلق الصخور ، وعظامهما كأنها عمدة النحاس ، هما رأسا خلقى الذين خلقت للقتال ، أنت ملأت جلودهما لحما ؟ أم أنت ملأت رعوسهما دماغا ؟ أم هل لك في خلقهما من شريك ؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تحطم على أنوفهما ، أو تضع يدك على رعوسهما ، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما ، أو تصدّهما عن قوتهما ؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ، ومسكنه في السحاب ، عيناه توقدان نارا ، ومنخراره يثوران دخانا ، أذناه مثل قوس السحاب ، يثور منهما لب كأنه إعصار العجاج ، جوفه يحترق ، ونفسه يلتهب ، وزبده كأمثال الصخور ، وكان صريف أسنانه صوت الصواعق ، وكان نظر عينيه لب البرق ، أسراره لا تدخله الهموم ، تمرّ به الحيوش وهو متكئ ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التبن ، والنحاس عنده مثل الخيوط ، لا يفزع من النشأب ، ولا يحسّ وقع الصخور على جسده ، ويضحك من النيازك ، ويسير في الهواء كأنه عصفور ، ويهلك كل شيء يمرّ به ملك الوحوش ، وإياه آثرت بالقوة على خلقى ، هل أنت آخذ بأجولتك فرابطه بلسانه ؟ أو واضع اللجام في شدقه ؟ أتظنه يوفى بعهدك ؟ أو يسبح من خوفك ؟ هل تحصي عمره ؟ أم هل تدري أجله ؟ أو تفوت رزقه ؟ أم هل تدري ماذا حرب من الأرض ؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره ؟ أتطبق غضبه حين يغضب ؟ أم تأمره فيعطيك ؟ تبارك الله وتعالى ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : قَصُرْتُ عن هذا الأمر الذي تعرض لى ، ليت الأرض انشقت بى ، فذهبت فى بلائى ، ولم أتكلم بشيء يسخط ربي ، اجتمع علىّ البلاء ، إلهى جعلتنى لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمنى ، وتعرف نصحى ، وقد علمت أن الذى ذكرت صنع يديك ، وتدير حكمتك ، وأعظم من هذا ما شئت عملت ، لا يعجزك شيء ، ولا يخفى عليك خافية ، ولا تغيب عنك غائبة ، منّ هذا الذى يظنّ أن يسير عنك سرا ، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب ، وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم ، وخفت

(٢) فى الكتاب المقدس ص ٣٨١ : « لويانا » .

(١) فى الكتاب المقدس ص ٨٣١ : « بهموت » .

حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف ، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا ، فأما الآن فهو بصر العين ، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني ، وسكت حين سكت لترحمي ، كلمة زلت فلن أعود ، قد وضعت يدي على فمي ، وعضضت على لساني ، وألصقت بالتراب خدتي ، ودست وجهي لصغاري ، وسكت كما أسكتني خطيئتي ، فاغفر لي ماقلت ، فلن أعود لشيء تكرهه مني .

قال الله تبارك وتعالى : يا أيوب نفذ فيك علمي ، وبجلمي صرفت عنك غضبي ، إذ خطت فقد غفرت لك ، ورددت عليك أهلك ومالك ، ومثلهم معهم ، فاغتسل بهذا الماء ، فإن فيه شفاءك ، وقرب عن صحابتك قربانا ، واستغفر لهم ، فإنهم قد عصوني فيك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن لائيم ، عن وهب بن منبه النخعي ، وغيره من أهل الكتب الأول ، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم ، وكان الله قد اصطفاه ونباه ، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال ، وبسط عليه من الدنيا ، فوسّع عليه في الرزق ، وكانت له البشائية من أرض الشام ، أعلاها وأسفلها ، وسهلها وجبلها ، وكان له فيها من أصناف المال كله ، من الإبل والبقرة والغنم والحليل والحميمير ، ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة ، وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء ، وكان براء تقيا رحيما بالمساكين ، يطعم المساكين ، ويحمل الأرامل ، ويكفّل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكرا لأنعم الله عليه ، مؤديا لحق الله في الغنى ، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة ، والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا ، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه ، وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه ، منهم رجل من أهل اليمن يقال له : أليفز ، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما : صوفر ، وللآخر : بيلدد ، وكانوا من بلاده كهولا ، وكان لإبليس عدو الله منزل من السماء السابعة ، يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه ؛ فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه ، فقال الله له : أو قيل له عن الله : هل قدرت من أيوب عبي على شيء ؟ قال : أي رب ، وكيف أقدر منه على شيء ؟ وإنما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية ، وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله ، فإله لا يشركك ويعبدك ويطيعك ، وقد صنعت ذلك به ، لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شركك ، ولترك عبادتك ، ونخرج من طاعتك إلى غيرها ، أو كما قال عدو الله ؛ فقال : قد سلطتك على أهله وماله ، وكان الله هو أعلم به ، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ، ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء ، وليجعله عبرة للصابرين ، وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ، ليتأسوا به ، وليرجوا من عاقبة الصبر في عرض الدنيا ثواب الآخرة ، وما صنع الله بأيوب ، فانحط عدو الله سريعا ، فجمع عفاريت الجن ، ومردة الشياطين من جنوده ، فقال : إني قد سلطت على أهل أيوب وماله ، فإذا عليكم ؟ فقال قائل منهم : أكون إعصارا فيه نار ، فلا أمر بشيء من ماله إلا أهلكته ؛ قال : أنت وذاك ، فخرج حتى أتى إبله ، فأحرقها ورعاتها جميعا ؛ ثم جاء عدو الله إلى أيوب في صورة قيّمه عليها وهو في مصلى ، فقال : يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك ،

فأحرقها ومن فيها غيرى ، فجتتك أخبرك بذلك ، فعرفه أيوب ، فقال : الحمد لله الذى هو أعطاها ، وهو أخذها ، الذى أخرجك منها كما يخرج الزؤان من الحب النقى ، ثم انصرف عنه ، فجعل يصيب ماله مالا مالا ، حتى مرّ على آخره ، كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ، ورضى بالقضاء ، ووطن نفسه بالصبر على البلاء ، حتى إذا لم يبق له مال ، أتى أهله وولده ، وهم فى قصر لهم ، معهم حظياتهم وخدامهم ، فتمثّل ربحا عاصفا ، فاحتمل القصر من نواحيه ، فألقاه على أهله وولده ، فشدهم تحته ، ثم أتاه فى صورة قهّرماته عليهم ، قد شدخ وجهه ، فقال : يا أيوب ، قد أتت ربيع عاصف ، فاحتملت القصر من نواحيه ، ثم ألقته على أهلك وولدك فشدهم غيرى ، فجتتك أخبرك ذلك ، فلم يجزع على شىء أصابه ، جزعه على أهله وولده ، وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ، ثم قال : ليت أى لم تلدنى ، ولم أك شيئا ، وسرّ بها عدوّ الله منه ؛ فأصعد إلى السماء جندلا ، وراجع أيوب التوبة مما قال ، فحمد الله ، فسبقت توبته عدوّ الله إلى الله ؛ فلما جاء وذكر ما صنع ، قيل له : قد سبقتك توبته إلى الله ومراجعتة . قال : أى ربّ فسلطنى على جسده ، قال : قد سلطتك على جسده ، إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره ؛ فأقبل إليه عدوّ الله وهو ساجد ، فنفخ فى جسده نفخة أشعل ما بين قرنيه إلى قدمه ، كحريق النار ، ثم خرج فى جسده نأيل كآليات الغنم ، فحكّ بأظفاره حتى ذهبت ، ثم بالمحار والحجارة حتى تساقط لحمه ، فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام ، عيناه تجولان فى رأسه للنظر ، وقلبه للعقل ، ولم يخلص إلى شىء من حشو البطن ، لأنه لا بقاء للنفس إلا بها ، فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته ، فكث كذلك ماشاء الله أن يمكث .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن ابن دينار ، عن الحسن أنه كان يقول : مكث أيوب فى ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة فى جانب القرية . قال وهب بن منبه : ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة ، تقوم عليه وتكسب له ، ولا يقدر عدوّ الله منه على قليل ولا كثير مما يريد . فلما طال البلاء عليه وعليها ، وسئمتها الناس ، وكانت تكسب عليه ماتطعمه وتسقيه . قال وهب بن منبه : فحدثت أنها التمت له يوما من الأيام ماتطعمه ، فما وجدت شيئا حتى جزّت قرنا من رأسها ، فباعته برغيف ، فأنته به ، فعشته إياه ، فلبث فى ذلك البلاء تلك السنين ، حتى إن كان المارّ ليمرّ فيقول : لو كان لهذا عند الله خير ، لأراحه مما هو فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وكان وهب بن منبه يقول : لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا ؛ فلما غلبه أيوب ، فلم يستطع منه شيئا ، اعترض لامرأته فى هيئة ليست كههيئة بنى آدم فى العظم والجسم والطول ، على مركب ليس من مراكب الناس ، له عظم وبهاء وجمال ليس لها ، فقال لها : أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبلى ؟ قالت نعم ، قال : هل تعرفينى ؟ قالت لا ، قال : فأنا إله الأرض ، وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت ، وذلك أنه عبد إله السماء وتركنى ، فأغضبني ، ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعايك كل ما كان لكما من مال وولد ، فإنه عندي ، ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادى الذى لقيها فيه . قال : وقد سمعت أنه إنما قال : لو أن صاحبك أكل



طعاما ولم يسم عليه ، لعوفي مما به من البلاء ، والله أعلم . وأراد عدو الله أن يأتيه من قبيلها ، فرجعت إلى أيوب ، فأخبرته بما قال لها وما أراها ؛ قال : أو قد أتاك عدو الله ، ليفتنك عن دينك ؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربها مئة ضربة ؛ فلما طال عليه البلاء ، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه ، معهم فتى حديث السن ، قد كان آمن به وصدقته ، فجلسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء ، فأعظموا ذلك وقطعوا به ، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه بمجوده ، وذلك حين أراد الله أن يفرج عنه ما به ؛ فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه ، قال : أي رب لأى شئ خلقته ؟ ولو كنت إذ قضيت على البلاء تركتني فلم تخلقني ، ليتني كنت دما ألقنتني أمي ، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر ، عن إسماعيل بن عبد الكريم ، إلى : وكابدوا الليل ، واعتزلوا الفراش ، وانتظروا الأبحار ، ثم زاد فيه : أولئك الآمنون الذي لا يخافون ، ولا يهتمون ولا يحزنون ، فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم ؟ .

قال فتى حضرهم ، وسمع قولهم ، ولم يفظنوا له ، ولم يأبهوا مجلسه ، وإنما قبضه الله لهم ، لما كان من جورهم في المنطق وشططهم ، فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم ، وأن يسفّه بصغره لهم أحلامهم ؛ فلما تكلم تبادى في الكلام ، فلم يزد إلا حكما ، وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وُعظوا أو ذُكروا ، فقال : إنكم تكلمتم قبل أيها الكهول ، وكنتم أحق بالكلام وأولى به مني ، لحق أسنانكم ، ولأنكم جربتم قبلي ، ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم ، وعرفتم ما لم أعرف ، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ، ومن الأمر أجهل من الذي أتيتم ، ومن الموعدة أحكم من الذي وصفتم ، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمّام أفضل من الذي وصفتم ، هل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم ؟ وحرمة من انتهكتم ؟ ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ؟ ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا ، اختاره الله لوحيه ، واصطفاه لنفسه ، وأتمنه على نبوته ، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره منذ آتاه ما آتاه إلى يومكم هذا ، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها منذ آتاه ما آتاه إلى يومكم هذا ، ولا أن أيوب غيّر الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا ، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ، ووضع في أنفسكم ، فقد علمتم أن الله ينتلي النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ، ولا لخوانه لهم ، ولكنها كرامة وخيرة لهم ، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ، ولا في النبوة ، ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة ، إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة ، لكان لا يجمل بالحكيم أن يعدل أخاه عند البلاء ، ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين ، ولكن يرحمه ويبكي معه ، ويستغفر له ، ويحزن لحزنه ، ويدله على مرآشد أمره ، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا ، فالله الله أيها الكهول في أنفسكم .

قال : ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال : وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ، ما يقطع لسانك ، ويكسر قلبك ، وينسيك حججك ، ألم تعلم يا أيوب أن لله عبادا أسكتهم خشيته من غير عى ولا بكم ؟ وإلهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء ، العالمون بالله وبآياته ، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله

انقطعت ألسنتهم ، واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم ، إعظاما لله ، وإعزازا وإجلالا ، فإذا استفاقوا من ذلك استبَقُوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، يَعُدُّونَ أَنفُسَهُمْ مع الظالمين والخطائين ، وإنهم لأنزاه برآء ، ومع المقصرين والمفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ، ولا يرضون لله بالقليل ، ولا يُدِلُّونَ عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفرعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب .

قال أيوب : إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير ، فتى نبتت في القلب ، يظهرها الله على اللسان ، وليست تكون الحكمة من قبل السن ، ولا الشيبية ، ولا طول التجربة ، وإذا جعل الله العبد حكيما في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء ، وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ، ولكنكم قد أعجبتم أنفسكم ، وظننتم أنكم عوفيتم بإحسانكم ، فهناك بغيتم وتعزتم ، ولونظرتم فيما بينكم وبين ربكم ، ثم صدقتم أنفسكم ، لو جدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية التي ألبسكم ، ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم ، قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي ، معروفا حتى ، منتصفا من خصمي ، قاهر لمن هو اليوم يقهرني ، مهيبا مكاني ، والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقروني ، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ، ورفع حذري ، وملتي أهلي ، وعقتي أرحامي ، وتنكرت لي معارفي ، ورغب عني صديقي ، وقطعتني أصحابي ، وكفرتني أهل بيتي ، وجحدت حقوقي ، ونسيت صنائعي ، أصرخ فلا يبصُرُ خونتي ، وأعتذر فلا يعذرونني ، وإن قضاءه هو الذي أذلني ، وأقماني ، وأخسأني ، وإن سلطاناه هو الذي أسقمني ، وأثقل جسمي ، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري ، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه ، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ، ولكنه ألقاني ، وتعالى عني ، فهو يراني ، ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمع ، لا ينظر إلي فرحمي ، ولا دنا مني ولا أدناني ، فأدلى بعذري ، وأتكلم ببراءتي ، وأخاصم عن نفسي . لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده ، أظله نمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ، ثم نودي منه ، ثم قيل له : يا أيوب ، إن الله يقول : ها أنا ذا قد دنوت منك ، ولم أزل منك قريبا ، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت ، وتكلم ببراءتك ، وخاصم عن نفسك ، واشدد إزارك ، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر ، عن إسماعيل ، إلى آخره ، وزاد فيه : ورحمتي سبقت غضبي ، فأركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، فيه شفاؤك ، وقد وهبت لك أهلك ، ومثلهم معهم ، ومالك ومثله معه : وزعموا : ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ، ولتكون عبرة لأهل البلاء ، وعزاء للصابرين ، فركض برجله ، فانفجرت له عين ، فدخل فيها فاغتسل ، فأذهب الله عنه ، كل ما كان به من البلاء ، ثم خرج فجلس ، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه ، فلم تجده ، فقامت كالوالهة متلذذة ، ثم قالت : يا عبد الله ، هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال : لا ، ثم تبسم ، فعفته بمضحكه ، فاعتنقته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ،

قال : فحدثت عبد الله بن عباس حديثه ، واعتناقها إياه ، فقال عبد الله : فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرت بها كل مال لهما وولد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه ، أنه دعاها حين سألت عنه ، فقال لها : وهل تعرفينه إذ رأيتك ؟ قالت : نعم ، ومالي لأعرفه ؟ فتبسم ، ثم قال : ها أنا هو ، وقد فرج الله عني ما كنت فيه ، فعند ذلك اعتنقته . قال وهب : فأوحى الله إليه في قسمه ليضربها في الذي كلمته أن ( وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ) أي قد برت يمينك ، يقول الله تعالى ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) يقول الله ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ) .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به . قال : وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لرب هذا فيه حاجة ، ما صنع به هذا ، فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقي أيوب على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدواب .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه ، قال : لم يكن بأيوب أكلة ، إنما كان يخرج به مثل ثدى النساء ثم ينقفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن حسين ، عن هشام ، عن الحسن ، وحجاج عن مبارك ، عن الحسن : زاد أحدهما على الآخر قال : إن أيوب آتاه الله مالا ، وأوسع عليه ، وله من النساء والبقر والغنم والإبل ، وإن عدو الله إبليس قيل له : هل تقدر أن تفنن أيوب ؟ قال : رب إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ، ولا يستطيع أن لا يشكرك ، ولكن سلطني على ماله وولده ، فسرى كيف بطيعني ويعصيك ، قال : فسلطه على ماله وولده ، قال : فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم ، فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب ، وهو يصلى متشبها بראعي الغنم ، فيقول : يا أيوب تصلى لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئا من الغنم إلا أحرقتها بالنيران ، وكنت ناحية فجنث لأخبرك ، قال : فيقول أيوب : اللهم أنت أعطيت ، وأنت أخذت ، مهما تبقى نفسي أحمدك على حسن بلائك ، فلا يقدر منه على شيء مما يريد ، ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ، ويرد عليه أيوب مثل ذلك . قال : وكذلك فعل بالإبل ، حتى ما ترك له من ماشية ، حتى هدم البيت على ولده ، فقال : يا أيوب ، أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت ، حتى هلكوا ؛ فيقول أيوب مثل ذلك ، قال رب هذا حين أحسنت إلى الإحسان كله ، قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ، ويشغلني حب الولد بالليل ، شفقت عليهم ، فالآن أفرغ سمعي

وبصرى ، وليلى ونهاري بالذكر والحمد ، والتقديس والتهليل ، فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيئا مما يريد .

قال : ثم إن الله تبارك وتعالى قال : كيف رأيت أيوب ؟ قال إبليس : أيوب قد علم أنك ستردّ عليه ماله وولده . ولكن سلطني على جسده ، فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك ، قال : فسلط على جسده ، فأناه فنفض فيه نفخة قرح من لدن قرنه إلى قدمه ، قال : فأصابه البلاء بعد البلاء ، حتى حمل فوضع على ميزبلة كُناسة لبني إسرائيل ، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ، ولا أحد يقربه غير زوجته ، صبرت معه بصدق ، وكانت تأتيه بطعام ، وتحمد الله معه إذا حمد ، وأيوب على ذلك لا يفتّر من ذكر الله ، والتحميد والثناء على الله ، والصبر على ما ابتلاه الله . قال الحسن : فصرخ إبليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض ، جزعا من صبر أيوب ، فاجتمعوا إليه وقالوا له : جمعتنا ، ما خبرك ؟ ما أعياك ؟ قال : أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلمني على ماله وولده ، فلم أدع له مالا ولا ولدا ، فلم يزد بذلك إلا صبورا وثناء على الله وتحميدا له ، ثم سلّطت على جسده فركبته قرحة ملقاة على كُناسة بني إسرائيل ، لا يقربه إلا امرأته ، فقد افتضحت بربي ، فاستعنت بكم ، فأعينوني عليه ، قال : فقالوا له : أين مكرك ؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى ، قال : بطل ذلك كله في أيوب ، فأشيروا على ، قالوا : نشير عليك ، أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة ، من أين أتيته ؟ قال : من قبل امرأته ، قالوا : فشأنك بأيوب من قبل امرأته ، فإنه لا يستطيع أن يعصيها ، وليس أحد يقربه غيرها ، قال : أصبتم ، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدّق ، فتمثل لها في صورة رجل ، فقال : أين بعلك يا أمة الله ؟ قالت : هو ذاك يحكّ قروحه ، ويتردّد الدوابّ في جسده ، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع ، فوقع في صدرها ، فوسوس إليها ، فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدوابّ ، وذكرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو فيه من الضرّ ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا . قال الحسن : فصرخت ، فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت ، أتاها بسخلة ، فقال : ليذبح هذا إلى أيوب ويبرأ ، قال : فجاءت تصرخ يا أيوب ، يا أيوب ، حتى متى يعدّ بك ربك ، ألا يرحمك ؟ أين المشاية ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين الصديق ؟ أين لونك الحسن ؟ قد تغير ، وصار مثل الرماد ؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلى وتردد فيه الدوابّ ؟ اذبح هذه السخلة واسترح ، قال أيوب : أتاك عدو الله ، فنفض فيك ، فوجد فيك رفقا ، وأجبتة ؟ وبيك ! رأيت ماتبكين عليه مما تذكرين ، مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب ؟ من أعطانيه ؟ قالت : الله ، قال : فكم متّعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة . قال : فذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به ؟ قالت : منذ سبع سنين وأشهر ، قال : وبيك ! والله ما عدلت ، ولا أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة ، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة ؟ والله لئن شفاني الله لأجلدنك مئة جلدة ، هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله ، طعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام ، وأن أذوق ما تأتيني به بعد ، إذ قلت لي هذا فاغرّبي عني ، فلا أراك ، فطردها ، فذهبت ، فقال الشيطان : هذا قد وطنّ نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه ،

فباء بالغبلة ورفضه . ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها ، وليس عنده طعام ، ولا شراب ، ولا صديق . قال الحسن : ومرّ به رجلان وهو على تلك الحال ، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب ، فقال أحد الرجلين لصاحبه : لو كان لله في هذا حاجة ، ما بلغ به هذا ، فلم يسمع أيوب شيئا كان أشدّ عليه من هذه الكلمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان لأيوب أخوان ، فأتياه ، فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه ، فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى ، قال : فما جزع أيوب من شيء أصابه ، جزعه من كلمة الرجل ، فقال أيوب : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان قطّ وأنا أعلم مكان جائع فصدقتي ، فصدّق وهما يسمعان ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قطّ وأنا أعلم مكان عار فصدقتي ، فصدّق وهما يسمعان ، قال : ثم خرّ ساجدا .

فحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : فحدثني مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : فقال ( رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ) ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال ( وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن جرير ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : فقيل له : ارفع رأسك ، فقد استجيب لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ومخلد ، عن هشام ، عن الحسن ، دخل حديث أحدهما في الآخر قالوا : فقيل له ( أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ) فركض برجله ، فنبعت عين ، فاغتسل منها ، فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط ، فأذهب الله كل ألم وكل سقم ، وعاد إليه شبابه وجماله . أحسن ما كان وأفضل ما كان ، ثم ضرب برجله ، فنبعت عين أخرى فشرب منها ، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج ، فقام صحيحا ، وكسبي حلة ، قال : فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له ، حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل به ، تطاير على صدره جرادا من ذهب ، قال : فجعل يضمه بيده ، فأوحى الله إليه : يا أيوب ألم أغنك ؟ قال : بلى ، ولكنها بركتك ، فمن يشبع منها . قال : فخرج حتى جلس على مكان مشرف ، ثم إن امرأته قالت : أرايت إن كان طردني إلى من أكله ؟ أدعه يموت جوعا ، أو يضيع فتأكله السباع ؟ لأرجعن إليه فرجعت ، فلا كُنْاسة ترى ، ولا من تلك الحال التي كانت ، وإذا الأمور قد تغيرت ، فجعلت تطوف حيث كانت الكُنْاسة وتبكي ، وذلك بعين أيوب ، قالت : وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأل عنه ، فأرسل إليها أيوب فدعاها ، فقال : ما تريدن يا أمة الله ؟ فبكت وقالت : أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكُنْاسة ، لأدرى أضاع ، أم ما فعل ؟ قال لها أيوب : ما كان منك ؟ فبكت وقالت : بلى ، فهل رأيت به ؟ وهي تبكي ، إنه قد كان هاهنا ، قال : وهل تعرفينه إذا رأيت به ؟ قالت : وهل يخفى على

أحدرآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ، ثم قالت : أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا . قال : فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح للشيطان ، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ، فدعوت الله ، فردّ علي ماترين ، قال الحسن : ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء ، أن أمره تخفيفا عنها ، أن يأخذ جماعة من الشجر ، فيضربها ضربة واحدة ، تخفيفا عنها بصبرها معه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ) ... إلى آخر الآيتين ، فإنه لما مسه الشيطان ينصب وعذاب ، أنساه الله الدعاء أن يدعو ، فيكشف ما به من ضرّ ، غير أنه كان يذكر الله كثيرا ، ولا يزيده البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان ؛ فلما انتهى الأجل ، وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرّ ، أذن له في الدعاء ، ويسرّه له ، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى : لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ، ثم لأستجيب له ، فلما دعا استجاب له ، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم ، وأثنى عليه فقال : ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) .

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) أهم أهله الذين أوتيتهم في الدنيا ، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة ؟ فقال بعضهم : إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا ، فإنهم لم يردّوا عليه في الدنيا ، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتبه إياهم في الآخرة .

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة ، يسأله عن قول الله لأيوب ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) فقال : قيل له : إن أهلك لك في الآخرة ، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وآتيناك مثلهم في الدنيا ، فقال : يكونون لي في الآخرة ، وأوتى مثلهم في الدنيا ، قال : فرجع إلى مجاهد ، فقال أصاب . وقال آخرون : بل ردّهم إليه بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أهله بأعيانهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، لما دعا أيوب استجاب الله له ، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أحياءهم بأعيانهم ، وردّ إليه مثلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ )

(١) هذا يناسب الاستشهاد على عدم ردّهم بأعيانهم ، ففعله مؤخر من تقديم .

مَعَهُمْ) قال : قيل له : إن شئت أحييناهم لك ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وتعطى مثلهم في الدنيا ، فاختار أن يكونوا في الآخرة ، ومثلهم في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال الحسن وقاتادة : أحيى الله أهله بأعيانهم ، وزاده إليهم مثلهم .  
وقال آخرون : بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله ، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن الحسن ( وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : من نسلهم .

وقوله (رَحْمَةً) نصبت بمعنى : فعلنا بهم ذلك رحمة منا له . وقوله (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) يقول : وتذكرا للعابدين ربهم ، فعلنا ذلك به ليعتبروا به ، ويعلموا أن الله قد يبطل أولياءه ، ومن أحب من عباده في الدنيا ، بضروب من البلاء ، في نفسه وأهله وماله ، من غير هوان به عليه ، ولكن اختبارا منه له ، ليبلي بصبره عليه ، واحتسابه إياه ، وحسن يقينه ، منزلة التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده .  
وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، في قوله (رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) قال : أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل : قد أصاب من هو خير منا ، نبيا من الأنبياء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ، إِنَّهُمْ

مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)

يعني تعالى ذكره بإسماعيل : إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد ، وإدريس : أخنوخ ، وبذي الكفل : رجلا تكفل من بعض الناس ، إما من نبي وإما من ملك من صالحى الملوك ، يعمل من الأعمال ، فقام به من بعده ، فأثني الله عليه حسن وفائه بما تكفل به ، وجعله من المعدودين في عباده ، مع من حمد صبره على طاعة الله . وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء .

#### ذكر الرواية بذلك عنهم

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث « أن نبيا من الأنبياء ، قال : من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب . فقام شاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لي أن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لي أن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب ، فقال : أنا ، فقال : تقوم الليل ، وتصوم النهار ، ولا تغضب .

فات ذلك النبيّ ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس ، فكان لا يغضب . فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقبّل ، فضرب الباب ضربا شديدا ، فقال : من هذا ؟ فقال : رجل له حاجة ، فأرسل معه رجلا ، فقال : لا أرضى بهذا الرجل ، فأرسل معه آخر ، فقال : لا أرضى بهذا ، فخرج إليه فأخذ بيده ، فانطلق معه ، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب ، فسُمّي ذا الكفل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا داود ، عن مجاهد ، قال : لما كبر اليسع قال : « لو أنى استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي ، حتى أنظر كيف يعمل ، قال : فجمع الناس ، فقال : من يتقبّل لي بثلاث أستخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب . قال : فقام رجل تزدرية العين ، فقال : أنا ، فقال : أنت تصوم النهار ، وتقوم الليل ، ولا تغضب ؟ قال : نعم ، قال : فردّهم ذلك اليوم ، وقال مثلها اليوم الآخر ، فسكت الناس وقام ذلك الرجل ، فقال : أنا ، فاستخلفه . قال : فجعل إبليس يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فأعياهم ، فقال : دعوني وإياه ، فأناه في صورة شيخ كبير فقير ، فأناه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النوم ، فدقّ الباب ، فقال من هذا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم ، قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقصّ عليه ، فقال : إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني ، وفعلوا بي وفعلوا ، فجعل يطولّ عليه ، حتى حضر الرّواح ، وذهبت القائلة ، وقال : إذا رحت فأنتي آخذ لك بحقك ، فانطلق وراح ، فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ، فلم يره ، فجعل يبتغيه : فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة ، فأخذ مضجعه ، أتاه فدقّ الباب ، فقال : من هذا ؟ قال : الشيخ الكبير المظلوم ، ففتح له ، فقال : ألم أقل لك إذا وعدت فأنتي ، فقال : إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد ، قالوا : نحن نعطيك حقك ، وإذا قمت جحدوني ، قال : فانطلق فإذا رحت فأنتي ، قال : ففاتته القائلة ، فراح فجعل ينظر فلا يراه ، فشقّ عليه النعاس ، فقال لبعض أهله : لاتدعنّ أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام ، فأني قد شقّ علىّ النوم ؛ فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل وراءك ، فقال : إني قد أتيت أمس ، فذكرت له أمرى ، قال : والله لقد أمرنا أن لاندع أحدا يقربه ؛ فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت ، فتسوّر منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدقّ الباب ، قال : واستيقظ الرجل فقال : يا فلان ، ألم أمرك ؟ قال : أما من قبلي والله فلم توتّ ، فانظر من أين أتيت ، قال : فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا هو معه في البيت ، فعرفه فقال : أعدوّ الله ؟ قال : نعم أعيبنتي في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك ، فسماه ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَذَا الْكِفْلِ ) قال رجل صالح غير نبيّ ، تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ، ويقيمه لهم ، ويقضى بينهم بالعدل ، ففعل ذلك ، فسُمّي ذا الكفل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : ويقضى بينهم بالحق .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن  
قيس قال : كان في بني إسرائيل ملك صالح ، فكبر ، فجمع قومه فقال : أيكم يكفل لي بملكي هذا ،  
على أن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب ؟ قال : فلم يبق أحد  
إلا قتي شاب ، فازدراه لحدائه سنة ، فقال : أيكم يكفل لي بملكي هذا ، على أن يصوم النهار ، ويقوم  
الليل ، ولا يغضب ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ، فلم يبق إلا ذلك القتي ؛ قال : فازدراه ، فلما  
كانت الثالثة قال مثل ذلك ، فلم يبق إلا ذلك القتي ، فقال : تعال ، فخلي بينه وبين ملكه ، فقام القتي  
ليلة ؛ فلما أصبح جعل يحكم بين بني إسرائيل ؛ فلما انتصف النهار دخل ليقبل ، فأناه الشيطان في صورة  
رجل من بني آدم ، ف جذب ثوبه ، فقال : أتنام والحصوم ببابك ؟ قال : إذا كان العشي فأتني ، قال :  
فانتظره بالعشي فلم يأت ؛ فلما انتصف النهار دخل ليقبل ، ف جذب ثوبه وقال : أتنام والحصوم على بابك ؟  
قال : قلت لك : اتني العشي فلم تأتني ، اتني بالعشي ؛ فلما كان بالعشي انتظره فلم يأت ؛ فلما دخل  
ليقبل جذب ثوبه ، فقال : أتنام والحصوم ببابك ؟ قال : أخبرني من أنت ، لو كنت من الإنس سمعت  
ما قلت ، قال : هو الشيطان ، جئت لأفتنك ، فعصمك الله مني . فقضى بين بني إسرائيل بما أنزل الله زمانا  
طويلا ، وهو ذو الكفل ، سمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال وهو  
يخطب الناس : إن ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ،  
كان يصلي لله كل يوم مئة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفالته إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، قال : أما ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل  
ملك ؛ فلما حضره الموت ، قال : من يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل ، ولا يغضب ، ويصلي كل يوم  
مئة صلاة ، فقال ذو الكفل : أنا ، فجعل ذو الكفل يقضى بين الناس ، فإذا فرغ صلى مئة صلاة ، فكاده  
الشيطان ، فأمهله حتى إذا قضى بين الناس ، وفرغ من صلاته ، وأخذ مضجعه فنام ، أتى الشيطان بابه  
فجعل يدقه ، فخرج إليه ، فقال : ظلمت وصنع بي ، فأعطاه خاتمه وقال : اذهب فأتني بصاحبك ،  
وانتظره ، فأبطأ عليه الآخر ، حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه ، أتى الباب أيضا كي يغضبه ، فجعل  
يدقه ، وخذش وجه نفسه ، فسالت الدماء ، فخرج إليه فقال : مالك ؟ فقال : لم يتبعني ، وضربت وفعل ،  
فأخذه ذو الكفل ، وأنكر أمره ، فقال : أخبرني من أنت ؟ وأخذه أخذا شديدا ، قال : فأخبره من هو .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَذَا الْكِفْلِ )  
قال : قال أبو موسى الأشعري : لم يكن ذو الكفل نبيا ، ولكنه كَفَّلَ بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مئة  
صلاة ، فوفى ، فكفَّلَ بصلاته ، فلذلك سمي ذا الكفل ، ونُصِبَ إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، عطفًا على

أيوب ، ثم استؤنف بقوله (كُلَّ) ، فقال (كُلَّ مِنَ الصَّابِرِينَ) ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله .

وقوله ( وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا لِمَنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، والهاء والميم عائدتان عليهم ( فِي رَحْمَتِنَا لِمَنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) يقول : إنهم ممن صلح ، فأطاع الله ، وعمل بما أمره .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ، فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد ذا النون ، يعني صاحب النون ، والنون : الحوت . وإنما عنى بنى النون : يونس بن متى ، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع . وقوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) يقول : حين ذهب مغاضبا .

واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا ، وعن كان ذهابه ، وعلى من كان غضبه ، فقال بعضهم : كان ذهابه عن قومه ، وإياه غاضب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) يقول : غضب على قومه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) أما غضبه ، فكان على قومه .

وقال آخرون : ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه .

#### ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعثه الله ، يعني يونس إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك ، أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فأخرج من بين أظهرهم ، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن خرج من بين أظهركم ، فهو والله كائن ما وعدكم ؛ فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صباحها أدلج وراه القوم ، فخرجوا من القرية إلى بَرَّاز من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عَجَّوا إلى الله ، فاستقالوه ، فأقالهم ، وتنظر يونس الخبير عن القرية وأهلها ، حتى مرَّ به مارٌّ ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبهم خرج من بين أظهرهم ، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَرَّاز من

الأرض ، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ، وعَجَّوْا إلى الله ، وتابوا إليه ، فقبل منهم ، وأخَّر عنهم العذاب ؛ قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لأرجع إليهم كذَّاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ، ثم رُدَّ عنهم ، ومضى على وجهه مغاضباً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضباً لربه ، واستزَّله الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، في قوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ) قال : مغاضباً لربه .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، فذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، وزاد فيه : قال : فخرج يونس ينظر العذاب ، فلم ير شيئاً ، قال : جَرَّبُوا عَلَى كَذْبَا ، فذهب مغاضباً لربه ، حتى أتى البحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن وهب بن منبه التيمي ، قال : سمعته يقول : إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ؛ فلما حملت عليه أثقال النبوة ، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل ، تفسخ تحتها تفسخ الرُّبْع تحت الحمل ، ففقدتها بين يديه ، وخرج هارباً منها ، يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ( فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ) : أي الاتلقِ أمرى كما ألقاه ، وهذا القول ، أعنى قول من قال : ذهب عن قومه مغاضباً لربه ، أشبه بتأويل الآية ، وذلك لدلالة قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) على ذلك ، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضباً لقومه ، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكاراً منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه ، واستعظاما له . وهم بقيلهم إنه ذهب مغاضباً لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا ، وذلك أن الذين قالوا : ذهب مغاضباً لربه ، اختلفوا في سبب ذهابه كذلك . فقال بعضهم : إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جرَّبوا عليه الخلف فيما وعدهم ، واستحيا منهم ، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء . وقال بعض من قال هذا القول : كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جرَّبوا عليه الكذب ، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب ، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع .

وقال آخرون : بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه ، ويدعوهم إليه ، فسأل ربه أن يُنظره ، ليتأهب للشخص إليهم ، فقيل له : الأمر أسرع من ذلك ، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلاً ليلبسها ، فقيل له نحو القول الأول ، وكان رجلاً في خلقه ضيق ، فقال : أعجلني ربي أن آخذ نعلاً ، فذهب مغاضباً .

(١) الربع : ولد الناقة أول ما يحمل عليه .

ومن ذكر هذا القول عنه : الحسن البصرى ، حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا الحسن بن موسى ، عن أبي هلال ، عن شهر بن حوشب ، عنه .  
قال أبو جعفر : وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا : ذهب مغاضبا لقومه ، لأن ذهابه عن قومهم مغاضبا لهم ، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ، ليبلغهم رسالته ، ويحذّرهم بأسه وعقوبته ، على تركهم الإيمان به ، والعمل بطاعته لاشك أن فيه ما فيه ، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة ، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ( وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ) ويقول : ( فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَكَلَبَتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) .

وقوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه ، من قولهم قدرت على فلان : إذا ضيقت عليه ، كما قال الله جل ثناؤه ( وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُصْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم وفراره ، وعقوبته أخذ النون إياه .  
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : فظن أن لن نعاقبه بذنبه .  
حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : ثنى شعبة ، عن مجاهد ، ولم يذكر فيه الحكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : يقول : ظن أن لن نعاقبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قالوا : ظن أن لن نقضى عليه العقوبة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظنَّ أن الله لن يقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه ، ورفاقه إياهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : البلاء الذي أصابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظنَّ أنه يُعجز ربه ، فلا يقدر عليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واستزله الشيطان ، حتى ظن أن لن نقدر عليه ، قال : وكان له سلف وعبادة وتسبيح ، فأبى الله أن يدعه للشيطان ، فأخذه فقذفه في بطن الحوت ، فكبث في بطن الحوت أربعين ، من بين ليلة ويوم ، فأمسك الله نفسه ، فلم يقتله هناك ، فتأب إلى ربه في بطن الحوت ، وراجع نفسه ؛ قال : فقال ( سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) قال : فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته ، بما كان سلف من العبادة والتسبيح ، فجعله من الصالحين . قال عوف : وبلغني أنه قال في دعائه : وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبته أحد قبلي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) وكان له سلف من عبادة وتسبيح ، فتداركه الله بها ، فلم يدعه للشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن إياس بن معاوية المدني ، أنه كان إذا ذكر عنده يونس ، وقوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول إياس : فلم فر؟ وقال آخرون : بل ذلك بمعنى الاستفهام ، وإنما تأويله : أفظنَّ أن لن نقدر عليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : هذا استفهام ، وفي قوله ( فَأَمَّا تَعْنِي النَّذْرُ ) قال : استفهام أيضا .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : عتني به : فظنَّ يونس أن لن نجسه ونضيق عليه ، عقوبة له على مغاضبته ربه .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة ، لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر ، وقد اختاره لنبوتة ، ووصفه بأن ظنَّ أن ربه يعجز عما أراد به ، ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر ، وغير جائز لأحد وصفه بذلك . وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لم إليه حاجة ، إلا وقد أبت دليلا على أنه مراد في الكلام ، فإذا لم يكن في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) دلالة على

أن المراد به الاستفهام ، كما قال ابن زيد : كان معلوما أنه ليس به ، وإذ فسد هذان الوجهان ، صحح الثالث ، وهو ما قلنا .

وقوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات ، فقال بعضهم : عني بها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وكذلك قال أيضا ابن جرير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نادى في الظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ( لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا محمد بن رفاعة ، قال : سمعت محمد ابن كعب يقول في هذه الآية ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل . وقال آخرون : إنما عني بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر ، قالوا : فذلك هو الظلمات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد . ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : أوحى الله إلى الحوت أن لاتنصر له لحما ولا عظما ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ، قال ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر .   
 قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات : ( أَنْ لَإِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ولا شك أنه قد عني بإحدى الظلمات : بطن الحوت ، وبالأخرى : ظلمة البحر ، وفي الثالثة اختلاف ، وجائز أن تكون تلك الثالثة : ظلمة الليل ، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر ، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي ، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ) يقول : نادى يونس بهذا القول معترفاً بذنبه ، ثابتاً من خطيئته .  
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) : في معصيتي إياك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ،  
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ( نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك ) ، إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) : معترفاً بذنبه ، ثابتاً من خطيئته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال أبو معشر : قال محمد بن قيس ،  
قوله (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ) ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ( إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ )  
حين عصيتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، قال : لما صار  
يونس في بطن الحوت ، ظن أنه قد مات ، ثم حرك رجله ، فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى : يا رب  
اتخذت لك مسجداً في موضع ما اتخذته أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق عن حدثه ، عن عبد الله بن رافع ، مولى  
أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ : أَنْ خُذْهُ ،  
وَلَا تَخْذِشْ لَهُ لَحْمًا ، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا ، فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ الْبَحْرِ »  
فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ ، سَمِعَ يُونُسَ حَسًّا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ :  
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ ، قَالَ : فَسَبَّحَ وَهُوَ  
فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا  
بِأَرْضِ غَرِيبَةٍ ، قَالَ : ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ ، عَصَانِي فَحَبَسْتَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ،  
قَالُوا : الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ قَالَ :  
نَعَمْ ، قَالَ : فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْحُوتَ ، فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى : وَهُوَ سَقِيمٌ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَجِبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : ( فاستجبنا ) ليونس دعاءه إيانا ، إذ دعانا في بطن الحوت ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ  
الْغَمِّ ) الذي كان فيه ، بحبسناه في بطن الحوت ، ونعمه بخطيئته وذنبه ( وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) : يقول  
جل ثناؤه : وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا ، كذلك ننجي المؤمنين  
من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعيّ ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا بشر بن منصور ، عن عليّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعد بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى . قال : فقلت : يا رسول الله ، هي ليونس بن متى خاصة ، أم لجماعة المسلمين ؟ قال : هي لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خاصةً ، وللمؤمنين عامةً إِذَا دَعَوْا بِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَيْلَهُ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) ، فهو شرط الله لمن دعاه بها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) فقرأت ذلك قرآء الأمصار ، سوى عاصم ، بنونين الثانية منهما ساكنة ، من أنجيناها ، فنحن ننجيه . وإنما قرءوا ذلك كذلك ، وكتابته في المصاحف بنون واحدة ، لأنه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم ، بمعنى ما لم يسم فاعله ، كان « المؤمنون » رفعا ، وهم في المصاحف منصوبون ، ولو قرئ بنون واحدة ، وتخفيف الجيم ، كان الفعل للمؤمنين ، وكانوا رفعا ، ووجب مع ذلك أن يكون قوله « ننجي » مكتوبا بالألف ، لأنه من ذوات الواو ، وهو في المصاحف بالياء .

فإن قال قائل : فكيف كتب ذلك بنون واحدة ، وقد علمت أن حكم ذلك إذا قرئ (نُنْجِي) أن يُكتب بنونين ؟ قيل : لأن النون الثانية لما سكنت ، وكان الساكن غير ظاهر على اللسان ، حذفت كما فعلوا ذلك بيلا ، فحذفوا النون من « إن » لخفائها ، إذ كانت مندعمة في اللام من « لا » ، وقرأ ذلك عاصم (نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) بنون واحدة ، وتثقيب الجيم ، وتسكين الياء ، فإن يكن عاصم وجه قراءته ذلك إلى قول العرب ، ضرب الضرب زيدا ، فكأن عن المصدر الذي هو النجاء ، وجعل الخبر ، أعنى خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين ، كأنه أراد : وكذلك نُجِّي النَّجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، فكأن عن النجاء ، فهو وجه ، وإن كان غيره أصوب ، وإلا فإن الذي قرأ من ذلك على ما قرأه لحن ، لأن المؤمنين اسم على القراءة التي قرأها ما لم يسم فاعله ، والعرب ترفع ما كان من الأسماء كذلك ، وإنما حمل عاصم على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القراء ، إلحاق نون أخرى ليست في المصحف ، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف ، ولم يعرف لحذفها وجهها بصرفه إليه .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة التي لأستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قرآء الأمصار ، من قراءته بنونين ، وتخفيف الجيم ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وتخطئها خلافه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ



وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي، وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا  
وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيمِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه : ( رَبِّ  
لَاتَدْرِي ) وحيدا ( فَرَدًّا ) لا ولد لي ولا عقب ( وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ) يقول : فارزقني وارثا من  
آل يعقوب يرثني ، ثم رد الأمر إلى الله ، فقال : وأنت خير الوارثين ، يقول الله جل ثناؤه : فاستجبنا  
لزكريا دعاءه ، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه ، وأصلحنا له زوجه .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) ، فقال  
بعضهم : كانت عقيبا فأصلحها ، بأن جعلها ولودا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر ، عن عمار ، عن سعيد ،  
في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : كانت لاتلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في  
قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : وهبنا له ولدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) :  
كانت عاقرا ، فجعلها الله ولودا ، ووهب له منها يحيى .

وقال آخرون : كانت سيئة الخلق ، فأصلحها الله له ، بأن رزقها حسن الخلق .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أصلح لزكريا زوجه ، كما أخبر تعالى  
ذكره ، بأن جعلها ولودا حسنة الخلق ، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها ، ولم يخص الله جل ثناؤه  
بذلك بعضا دون بعض في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة ، فهو على  
العموم ، ما لم يأت ما يجب التسليم له ، بأن ذلك مراد به بعض دون بعض .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول الله : إن الذين سميتهم ، يعني زكريا وزوجه ،  
ويحيى ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقرّبهم إلينا . وقوله ( وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) :  
يقول تعالى ذكره : وكانوا يعبدوننا رغبًا ورهبا ، وعسى بالدعاء في هذا الموضع : العبادة ، كما قال :  
( وَأَعْتَبْزُ لَكُمْ وَمَاتَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، وَأَدْعُوا رَبِّي ، عَسَى أَنْ لَأَكُونَنَّ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا )  
ويعنى بقوله ( رَغَبًا ) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ( وَرَهَبًا ) يعنى رهبة  
منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته ، وركوبهم معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْحَسِيرَاتِ ، وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : رغباً في رحمة الله ، ورهباً من عذاب الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : خوفاً وطمعا ، قال : وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر .  
 واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَغَبًا وَرَهَبًا ) بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب . واختلف عن الأعمش في ذلك ، فرويت عنه الموافقة في ذلك للقراء ، ورؤى عنه أنه قرأها رُغْبًا ورُهْبًا بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء .  
 والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك الفتح في الحرفين كليهما .  
 وقوله ( وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) يقول : وكانوا لنا متواضعين متذللين ، ولا يستكبرون عن عبادتنا .  
 ودعائنا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلِّتِي أَحْصَنَّتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا، وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر التي أحصنت فرجها ، يعني مريم بنت عمران . ويعني بقوله ( أَحْصَنَّتْ ) : حفظت ، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها بإباحته فيه .  
 واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم : عنى بذلك فرج نفسها ، أنها حفظته من الفاحشة .

وقال آخرون : عنى بذلك جيب درعها ، أنها منعت جبرئيل منه ، قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقيل أن تثبته معرفة . قالوا : والذي يدل على ذلك قوله ( فَتَنَفَخْنَا فِيهَا ) ويعقب ذلك قوله ( وَأَلِّتِي أَحْصَنَّتْ فَرْجَهَا ) قالوا : وكان معلوماً بذلك أن معنى الكلام : والتي أحصنت جيبها ( فَتَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) .  
 قال أبو جعفر : والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك ، قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ، لأن ذلك هو الأغلب من معنیه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام . ( فَتَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) يقول : فنفخنا في جيب درعها من روحنا . وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله ( فَتَنَفَخْنَا فِيهَا ) في غير هذا الموضع ، والأولى بالصواب من القول في ذلك ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وقوله ( وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول : وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمى زمانهما ، يعتبرون بهما ، ويتفكرون في أمرهما ، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء : وقيل آية ، ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين ، لأن معنى الكلام : جعلناهما علماً لنا وحجة ، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله ، وعلى عظيم قدرته ، يقوم مقام الآخر ، إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحداً .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : إن هذه ميلتكم ملة واحدة ، وأنا ربكم أيها الناس ، فاعبدون دون الآلهة والأوثان ، وسائر ما تعبدون من دوني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) يقول : دينكم دين واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال : دينكم دين واحد ، ونصبت الأمة الثانية على القطع ، وبالنصب قرأه جماعة قرآء الأمصار ، وهو الصواب عندنا ، لأن الأمة الثانية نكرة ، والأولى معرفة . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها ، كان وجه الكلام النصب ، هذا مع إجماع الحجة من القرآء عليه . وقد ذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه ( أُمَّةً وَاحِدَةً ) بنية تكرير الكلام ، كأنه أراد : إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ، كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : وتفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزابا ، فهدت اليهود ، وتنصرت النصارى ، وعبدت الأوثان ، ثم أخبر جل ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال : تقطعوا : اختلفوا في الدين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ، وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه

في أمره ونبيه ، وهو مقرّ بوحداية الله ، مصدّق بوعدده ووعيده ، متبرئ من الأنداد والآلهة ( فلأ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ) يقول : فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجحده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ( وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ) يقول : ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا ، لنجزيه على صغير ذلك وكبيره ، وقليله وكثيره .

قال أبو جعفر : والكفران : مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفّرهُ كُفْرًا وكُفْرَانًا ، ومنه قول الشاعر :

مِنَ النَّاسِ نَاسٌ مَا تَنَامُ خُدُودُهُمْ وَخَدَّيْ وَلَا كُفْرَانَ لَهِ نَائِمٌ

القول في تأويل قوله تعالى

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَحَرَامٌ ) ، فقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( وَحَيْرٌ ) بكسر الحاء . وقراء ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَحَرَامٌ ) بفتح الحاء والألف .

والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ، وذلك أن الحَرَمَ هو الحرام ، والحرام هو الحَرَمُ ، كما الحلّ هو الحلال ، والحلال هو الحلّ ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وكان ابن عباس يقرؤه ( وَحَيْرٌ ) بتأويل : وعزَمَ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علي ، عن أبي المعلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَيْرٌ عَلَى قَرْيَةٍ ) قال : فقلت لسعيد : أي شيء حَيْرٌ ؟ قال : عزَمَ . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَيْرٌ عَلَى قَرْيَةٍ ) قلت لأبي المعلي : ما الحريم ؟ قال : عزم عليها . حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية ( وَحَيْرٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلا يرجع منهم راجع ، ولا يتوب منهم تائب .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) قال : لم يكن ليرجع منهم راجع ، حرام عليهم ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، قال : ثنا جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر عن الرجعة ، فقرأ هذه الآية ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فكأن أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه : وحرام على أهل قرية أمتناهم ، أن يرجعوا إلى الدنيا ، والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بُعِثَ به إليهم الرسل

(١) البيت شاهد على أن الكفران في قوله تعالى « فلا كفران لسعيه » مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفّرهُ كُفْرًا وكُفْرَانًا . قال في (اللسان : كفر) : وتقول : كفر نعمة الله ، وبنعمة الله ، كفرا وكفرا وكفورا .

ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعت إليه رسله من الإيمان به ، والعمل بطاعته ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَتَاهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلأن يكون ذلك خبراً عن صنيعه بمن أتى إجابة رسله ، وعمل بمعصيته ، وكفر به ، أخرى ، ليكون بياناً عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات ، وكفرت به . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا على قلوبهم ، وختمنا على أسماعهم وأبصارهم ، إذ صدوا عن سبيلنا ، وكفروا بآياتنا ، أن يتوبوا ، ويراجعوا الإيمان بنا ، واتباع أمرنا ، والعمل بطاعتنا . وإذا كان ذلك تأويل قول الله ( وَحَرَامٌ ) وعزّم ، على ما قال سعيد ، لم تكن « لا » في قوله ( أَتَاهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) صلة ، بل تكون بمعنى النفي ، ويكون معنى الكلام : وعزّم منا على قرية أهلكتناها أن لا يرجعوا عن كفرهم . وكذلك إذا كان معنى قوله ( وَحَرَامٌ ) نوجبه . وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة ، فإن معنى الكلام : وحرام على قرية أهلكتناها أن يرجعوا ، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا فُتِحَ عن يأجوج ومأجوج ، وهما أمتان من الأمم ردمهما .

كما حدثني عصام بن داود بن الجراح ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيع بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ الْآيَاتِ : الدَّجَالُ ، وَتُرُؤُلُ عَيْسَى ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْسِينَ ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّابَّةُ ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ » قال حذيفة : قلت : يا رسول الله ، وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ : أُمَّمٌ ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُ مِثَّةِ الْنَفِ ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى الْنَفَ عَيْنَيْنِ تَطْرَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ ، فَيَسِيرُونَ إِلَى خَرَابِ الدُّنْيَا ، يَكُونُ مُقَدِّمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِالْعِرَاقِ ، فَيَمْرُونَ بِأَنْهَارِ الدُّنْيَا ، فَيَشْرَبُونَ الْفُرَاتَ وَالدَّجْلَةَ وَبَحِيرَةَ الطَّبْرِيةِ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا ، فَقاتِلُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فَيَرْمُونَ بِالنُّشَابِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ نَشَابُهُمْ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وَعَيْسَى وَالْمُسْلِمُونَ بِجَبَلِ طُورِ سَيْنِينَ ، فَيُوحَى لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عَيْسَى : أَنْ أَحْرِزْ عِبَادِي بِالطُّورِ ، وَمَا بَلَى أَيْلَةَ ، ثُمَّ إِنَّ عَيْسَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُؤْمِنُ الْمُسْلِمُونَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا النُّغْفُ ، تَدْخُلُ مِنْ مَنَاخِرِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، مِنْ حَاقِ الشَّامِ إِلَى حَاقِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى تَمْسَنَ الْأَرْضَ مِنْ جَنَفِهِمْ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ

كَافُوَاهِ الْقِرْبِ ، فَتَغْسَلُ الْأَرْضُ مِنْ جِيْفِهِمْ وَتَنْسِيهِمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طُلُوْعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف ، وإن الجن يزيدون على الإنس الضعف ، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت وهب ابن جابر يحدث عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : إن يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ، ويمر آخرهم فيقول : قد كان في هذا مرة ماء ، لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وقال : من بعدهم ثلاث أم لا يعلم عددهم إلا الله : تاويل ، وتاريس ، وناسك أو منسك ، شك شعبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفیان ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر الخيواني ، قال : سألت عبد الله بن عمرو ، عن يأجوج ومأجوج ، أمن بنى آدم هم ؟ قال : نعم ، ومن بعدهم ثلاث أم لا يعلم عددهم إلا الله : تاريس ، وتاويل ، ومنسك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن حماد أبو عتاب ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، قال : سمعت نافع بن جبیر بن منعم يقول : قال عبد الله بن عمرو : يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمونها ما شاءوا ، ونساء يجامعون ما شاءوا ، وشجر يلقمون ما شاءوا ، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا زكريا ، عن عامر ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن سلام ، قال : مامات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرء فصاعدا .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : قال أبو سعيد : يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه ، إلا أهل الحصون ، فيمرون على البحيرة فيشربونها ، فيمر المار فيقول : كأنه كان هاهنا ماء ، قال : فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصبروا خبالا ، فتقول أهل الحصون : لقد هلك أعداء الله ، فيدلون رجلا لينظر ، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه ، فيجدهم قد هلكوا ، قال : فينزل الله ماء من السماء ، فيقذفهم في البحر ، فتطهر الأرض منهم ، ويغرس الناس بعد هم الشجر والنخل ، وتخرج الأرض ثمرتها ، كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم ، لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم ، قال : فيسمعون جلبة وأمرا شديدا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق أن عبد الله بن عمرو ، قال : ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج ، حتى يولد له من صلبه ألف ، وإن من ورائهم ثلاث أمم ، ما يعلم عددهم إلا الله : منسك وتأويل ، وتاريس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمرو البيكالي ، قال : إن الله جزأ الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذين يحملون العرش ؛ ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، قال : ومن بقى من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته ؛ ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الجن ، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة ؛ ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء ، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج ، وسائر الإنس جزء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حتى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ) قال : أُمَّتَانِ من وراء ردم ذي القرنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن غير واحد ، عن حميد بن هلال ، عن أبي الصيف ، قال : قال كعب : إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا ، حتى يسمع الذين يلونهم قرع فنوسهم ، فإذا كان الليل قالوا : نجىء غدا فنخرج ، فيعيدها الله كما كانت ، فيجيئون من الغد . فيجدونه قد أعاده الله كما كان ، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فنوسهم ، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول : نجىء غدا فنخرج إن شاء الله ، فيجيئون من الغد ، فيجدونه كما تركوه ، فيحفرون ثم يخرجون ، فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة ، فيشربون ماءها ، ثم تمر الزمرة الثانية ، فيلحسون طينها ، ثم تمر الزمرة الثالثة ، فيقولون : قد كان هاهنا مرة ماء - وتفر الناس منهم ، فلا يقوم لهم شيء ، يرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع مخرجة بالدماء ، فيقولون : غلبنا أهل الأرض وأهل السماء ، فيدعو عليهم عيسى بن مريم ، فيقول : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئت ، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، فتفرس رقابهم ، ويبعث الله عليهم طيرا ، فتأخذهم بمنقرها ، فتلقبهم في البحر ، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة ، تطهر الأرض منهم ، وتنبتها ، حتى إن الرمانة ليشتع منها السككن ؛ قيل : وما السككن يا كعب ؟ قال : أهل البيت ؛ قال : فيينا الناس كذلك ، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريدته ، فيبعث عيسى طليعة سبع مئة ، أو بين السبع مئة والثمان مئة ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله ريحا يمانية طيبة ، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ، ثم يبقى عجاج من الناس ، يتسافدون كما تتسافد البهائم ، فقتل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ، ينتظرها متى تضع ، فن تكلف بعد قولي هذا شيئا ، أو على هذا شيئا ، فهو المتكلف .

حدثنا العباس بن الوليد البيروتي ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت ابن جابر ، قال : ثنى محمد بن جابر الطائي ، ثم الحمصي ، ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، قال : ثنى أبي : أنه سمع النؤاس بن سمعان الكلابي يقول : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، وذكر أمره ، وأن عيسى بن مريم

يقتله ، ثم قال : فبينما هو كذلك ، أوحى الله إليه يا عيسى ، إني قد أخرجت عبادا لي لا يبذل لأحد بقتلهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، فبيعت الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمروا أحدهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ثم ينزل آخرهم ، ثم يقول : لقد كان بهذه ماء مرة ، فيحاصر نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مئة دينار لأحدكم ، فيرغب نبي الله عيسى أصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم ، فيصبحون فرسي موت نفس واحدة ، فيبسط نبي الله عيسى وأصحابه ، فلا يجدون موضعا إلا قد ملأه زحمهم وندتهم ودماءهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكثر منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض ، حتى يتركها كالزلفة .

وأما قوله ( وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : عني بذلك بنو آدم ، أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض ، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال ابن جريج : قال مجاهد : جمع الناس من كل حدب من مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب .

وقال آخرون : بل عني بذلك يأجوج ومأجوج ، وقوله : وهم كناية أسمائهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله أنه قال : يخرج يأجوج ومأجوج ، فيمرحون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد الله ( وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النعف ، فتلجج في أسماعهم ومناخرهم ، فيموتون منها ، فتتن الأرض منهم ، فيرسل الله عز وجل ماء ، فيطهر الأرض منهم .   
 والصواب من القول في ذلك ، ما قاله الذين قالوا : عني بذلك : يأجوج ومأجوج . وإن قوله ( وَهُمْ ) كناية عن أسمائهم ، للخبر الذي حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن قتادة الأنصاري ، ثم الظفري ، عن محمود بن لسيد أخي بني عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ( مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ » .



حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى بن مريم ، قال : « قال عيسى : عهد إلى ربي أن الدجال خارج ، وأنه مهبطي إليه ، فذكر أن معه قضيبين ، فاذا رأني أهلكته الله ، قال : فيدوب كما يدوب الرصاص ، حتى إن الشجر والحجر ليقول : يا مسلم هذا كافر فاقتلته ، فيهلكهم الله تبارك وتعالى ، ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فيستقبلهم بأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون ، لا يأتون على شيء إلا أهلكتوه ، ولا يمرّون على ماء إلا شربوه » .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهبباري ، قال : ثنا المخاربي ، عن أصبع بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وأما قوله ( من كل حدب ) فإنه يعنى من كل شرف ونشز وأكمة .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( من كل حدب ينسلون ) يقول : من كل شرف يقبلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة ( من كل حدب ينسلون ) قال : من كل أكمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وهم من كل حدب ينسلون ) قال : الحدب : الشيء المشرف . وقال الشاعر :

..... على الحداب تمور<sup>١</sup>

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ) قال : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وأما قوله ( ينسلون ) فإنه يعنى : أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب ، كما قال الشاعر :

عسلان الذئب أمسى قارباً برّد الليل عليه فندسل<sup>٢</sup>

(١) هذا جزء من بيت لم ينسبه المؤلف عند قوله تعالى : « وهم من كل حدب ينسلون » . قال في ( اللسان : حدب ) يريد يظهر من غليظ الأرض ومرتفعها . وقال الفراء : « من كل حدب ينسلون » : من كل أكمة من كل موضع مرتفع ، والجمع أحدات وحداب ، والحدب : الغلظ من الأرض في ارتفاع ، والحدبة : ما أشرف من الأرض وغلظ وارتفع . ولا تكون الحدبة إلا في قف أو غلظ أرض . وتمور : من مار الشيء بمورا . تحرك وجاء وذهب ، كما تتكفأ النحلة العيدانة .

(٢) البيت للبيد أو للنايفة الجعدى ( اللسان : عسل ، ونسل ) . وعسل اللئب والتعب يعسل عسلا وعسلانا : مضى ممرعا ، واضطرب في عدوه ، وهز رأسه . والقارب : الذي يطلب الماء ليلا ، يسير إليه ممرعا . ونسل الماشى ينسل كيف ضرب ويقتل نسلا ( بالنسكين والتحرير ) ونسلانا : أسرع . وأصل النسلان للذئب ، ثم استعمل في غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ، فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ  
مِّنْ هَذَا، بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحق ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب ، وهو لاشك حق كما قال جل ثناؤه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، يعني ابن قيس ، قال : ثنا حذيفة :  
لو أن رجلا افلئ فلكوا بعد خروج يأجوج ومأجوج ، لم يركبه حتى تقوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ )  
قال : اقترب يوم القيامة منهم . والواو في قوله ( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ) مقحمة . ومعنى الكلام : حتى  
إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذلك نظير قوله ( فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ  
معناه : نادينا بغير واو ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى  
بَيْنَا بَطْنٌ حَبَّتْ ذِي حَقَافٍ عَقْنَقْلٍ ١  
يريد : فلما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا .

وقوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) في هي التي في قوله فإذا هي وجهان : أحدهما  
أن تكون كناية عن الأبصار ، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينِي  
أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ ٢

(١) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلح السقا طبعة مصطفى البابي الحلبي ص ٢٧)  
قال : أجزنا : قطعنا . والساحة : الفناء . والحب : أرض مطمئنة . والحقف من الرمل : المعوج ، والجمع حفاف . ويروي «ركام»  
أي بعضه فوق بعض . وعقنقل : متعقد متداخل بعضه في بعض . والبيت شاهد على أن الواو في قوله : « وانتحى » : مقحمة ، يريد :  
فلما أجزنا ساحة الحي انتحى . وهي نظير الواو في قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب  
الوعد الحق . » الواو في « واقترب » : مقحمة . والفعل جواب للشرط « حتى إذا فتحت » . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٦  
من مصورة الجامعة رقم ٢٤٥٥٩ وقوله : « واقترب الوعد الحق » معناه : والله أعلم ، حتى إذا فتحت اقترب ، ودخول الواو  
في الجواب في « حتى إذا » بمنزلة قوله : « حتى إذا جاءوها وفتحت » . وفي قراءة عبد الله « فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية » .  
وفي قراءتنا بغير واو . ومثله في الصافات « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناها » معناها : ناديناها . وقال امرؤ القيس : « فلما أجزنا . . .  
البيت » يريد : انتحى .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٧ من مصورة الجامعة عند قوله تعالى : « فإذا هي شاخصة أبصار الذين  
كفروا » قال : تكون هي عمادا يصلح في موضعها هو ، فتكون كقوله « إنه أنا الله العزيز » . ومثله قوله : « فأنها لا تسمى الأبصار »  
فجاء التأنيث لأن الأبصار مؤنثة ، والتذكير للعماد . . . وإن شئت جعلت « هي » للأبصار ، كقمت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها ،  
كما قال الشاعر : لعمر أبيها . . . البيت « ٥١ » .

فكفى عن الظعينة في : لعمري أيها ، ثم أظهرها ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا .

والثاني : أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه ( فَلْيَنْهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ ) ، وكقول الشاعر :

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسٌ

وقوله ( يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ) يقول تعالى ذكره : فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله ، وقيام الساعة بحقائقها ، وهم يقولون : يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاین ، ونزل بنا من عظيم البلاء ، وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وذلك يقولون من قوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يقولون : يا ويلنا . وقوله ( بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ : ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجيننا من شدائده ، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا ، وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون بالله ، العابدون من دونه الأوثان والأصنام ، وما تعبدون من دون الله من الآلهة .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ) يعني الآلهة ومن يعبدها ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) وأما حَصَبُ جَهَنَّمَ ، فقال بعضهم : معناه : وقود جهنم وشجرها .

= وعلى كلام الفراء يكون الضمير « في أيها » مفسرا بقوله ظعينة . ومثله الضمير « هي » في الآية « فإذا هي » مفسر بقوله « أبصار » وقال أبو البقاء العكبري في إعراب القرآن ، وهو كالوجه الأول من الوجهين الذين ذكرهما الفراء : إذا للمفاجأة ، وهي مكان . والعامل فيها شاخصة . و « هي » : ضمير القصة . و « أبصار الذين » : مبتدأ و شاخصة خبره . وقال الشوكاني في فتح القدير ( ٣ : ٤١٣ ) مينا الوجهين : الضمير في فإذا هي للقصة ، أو مبهم يفسره ما بعده . وإذا للمفاجأة .

(١) هذا شطر بيت من أبيات ثلاثة وردت في الجزء الأول من هذا التفسير ص ٤٠١ عند قوله تعالى « وهو محرم عليكم إخراجهم » . وقد بين أن الضمير « هو » فيه وجهان من التأويل ، كما قال في قوله تعالى « فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ، ومثل قول الشاعر :

فَأَبْلِغْ أَبَا بَحْسِي إِذَا مَا لَقَيْتَهُ  
عَلَى الْعَيْسِ فِي أَبَاطِهَا عَرَقٌ يَبْدَسُ  
بَأَنَّ السُّلَامِيَّ الَّذِي بِيَضْرِيَّةٍ  
أَمِيرَ الْحِمِيِّ قَدْ بَاعَ حَقِّي بِنِي عَبْدِسُ  
بِشَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ  
فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

والأبيات : من شواهد الفراء في آية البقرة ولم يورد هنا إلا الشطر الثاني من البيت الثالث .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) : شجر جهنم .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : وقودها .  
وقال آخرون : بل معناه : حطب جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطبها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وزاد فيه وفي بعض القراءة ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) يعني في قراءة عائشة .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم يقذفون فيها .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن الحر ، عن عكرمة ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : إن جهنم إنما تُحَصَّبُ بهم ، وهو الرمي ، يقول : يرمى بهم فيها .  
واختلف في قراءة ذلك ، فقرأته قرأه الأمصار ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) بالصاد ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه .  
وروى عن عليّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) بالطاء . ورؤي عن ابن عباس أنه قرأه ( حَصَبُ ) بالصاد .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأها كذلك . وكان ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك ، أراد أنهم الذين تُسَجَّرُ بهم جهنم ، ويوقد بهم فيها النار ، وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به ، فهو عند العرب حصب لها ، فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب : الرمي ، من قولهم : حَصَبَتِ الرجل : إذا رميته ، كما قال جل ثناؤه ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ) كان الأولى بتأويل ذلك ، قول من قال : معناه : أنهم تقذف جهنم بهم ، ويرمى بهم فيها ، وقد ذكر أن الحصب

في لغة أهل اليمن : الحطب ، فإن يكن ذلك كذلك ، فهو أيضا وجه صحيح . وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد . وأما قوله ( أَنْتُمْ لَهَا وَآرِدُونَ ) فإن معناه : أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردة ، يقول : داخلون . وقد بينت معنى الورد فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، أنهم ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وهم مشركو قريش : أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردة جهنم ، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها ، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها ، إذ كنتم لها في الدنيا عابدين ، ولكنها إذ كانت لانفع عندها لأنفسها ، ولا عندها دفع ضرر عنها ، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ، ومن كان كذلك كان بيننا بعده من الألوهة ، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ، ولا يقدر عليه شيء ، فأما من كان مقدورا عليه ، فغير جائز أن يكون إلها . وقوله ( وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) : يعنى الآلهة ومن عبدها ، أنهم ما كانوا في النار أبدا بغير نهاية ، وإنما معنى الكلام : كلكم فيها خالدون . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) قال : الآلهة التي عبد القوم ، قال : العابد والمعبود .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا

مُبَعَّدُونَ (١٠١)

يعنى تعالى ذكره بقولهم ( لَهُمْ ) المشركين وءالهمهم ، والهاء والميم في قوله ( لَهُمْ ) من ذكر كل التي في قوله ( وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) يقول تعالى ذكره : لكلهم في جهنم زفير ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) يقول : وهم في النار لا يسمعون .

وكان ابن مسعود يتأول في قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن المسعودي ، عن يونس بن خباب ، قال : قرأ ابن مسعود هذه الآية ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) قال : إذا ألقى في النار من يخلد ، فيها جعلوا في تواييت من نار ، ثم جعلت تلك التواييت في تواييت أخرى ، ثم جعلت التواييت في تواييت أخرى فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره ، ثم قرأ ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) .

وأما قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : عني به كل من سبق له من الله السعادة من خلقه ، أنه عن النار مُبْعَد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن سعد ، وليس با بن مارك ، عن محمد بن حاطب ، قال : سمعت عليا يخطب ، فقرأ هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عثمان رضي الله عنه منهم .

وقال آخرون : بل عني : من عبد من دون الله ، وهو لله طائع ، ولعبادة من يُعبد كاره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج : قوله (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) ثم استثنى فقال (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن يزيد ، عن عكرمة ، والحسن البصري قال : قال في سورة الأنبياء (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ . ثم استثنى فقال : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) فقد عبت الملائكة من دون الله ، وعزير وعيسى من دون الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عيسى .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) قال : عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : «جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، يوما مع الوليد بن المغيرة ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) ... إلى قوله (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس

ابن عدى السهمي ، حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير عري : والله ما قام النصرين الحارث لابن عبد المطلب آنفا ، وما قعد ، وقد زعم أننا وما نعبد من اهتتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبير عري : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمدا : أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود نعبد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد بن المغيرة ، ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبير عري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، إِنَّمَا يُعْبَدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) . . . إلى ( خَالِدُونَ ) : أى عيسى ابن مريم ، وعزير ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ، فأنزله الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) . . . إلى قوله ( تَجْزَى الظَّالِمِينَ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، قال : يقول : ناس من الناس ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) يعنى من الناس أجمعين ، فليس كذلك ، إنما يعنى من يعبد الآلهة ، وهو الله مطيع مثل عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة ، واستثنى الله هؤلاء الآلهة المعبودة ، التي هي ومن يعبدها في النار .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) قال المشركون ، فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون ، فأنزله الله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) لعيسى وغيره ، <sup>و</sup> وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : عني بقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع ، وعابده بعبادتهم إياه بالله كفار ، لأن قوله تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) : ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذي ذكرنا في الخبر ، عن ابن عباس ، فكأن المشركين قالوا لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال لهم ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ما الأمر كما تقول ، لأننا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعزيرا ، فقال عز وجل ردّا عليهم قولهم ، بل ذلك كذلك ، وليس الذين سبق لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون ، لأنهم غير معينين بقولنا ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) فقول لا معنى له ، لأن الاستثناء إنما هو لإخراج المستثنى من المستثنى منه ، ولا شك أن الذين سبق لهم منا الحسنى ، إنما هم إما ملائكة ، وإما إنس أو جان ،

وكل هؤلاء إذا ذكرتهم العرب، فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حصب جهنم بما، قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لامن كان من الملائكة والإنس. فإذا كان ذلك كما وصفنا، فقله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُمِ الْحُسْنَى) جواب من الله للقاتلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ. وأما الحسنى فإنها الفعلية من الحسن، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم:

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُمِ الْحُسْنَى) قال: الحسنى: السعادة، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهلها من الله.

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيصَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحس:

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها، وقد علمت ما روى «من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟» قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيصَهَا وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار، إذا نزلوا منزلهم من الجنة. وقوله (وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) يقول: وهم فيما تشبهه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها، لا يخافون زوالها عنهم، ولا انتقالها عنها.

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ، وَتَلَقَّوهُمْ الْمَلَكَةُ: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

اختلف أهل التأويل في الفرع الأكبر: أي الفرع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا طبقت على أهلها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ) قال: النار إذا طبقت على أهلها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قوله (لَا يَحْزَنُهُمُ



الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ) قال : حين يطبق جهنم ، وقال : حين ذبح الموت .  
وقال آخرون : بل ذلك النفخة الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ) يعني النفخة الآخرة .  
وقال آخرون : بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ )  
قال : انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك  
الفرع الأكبر ، وأمن منه ، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع ، وأن من أفزعه ذلك ، فغير مأمون عليه الفرع  
مما بعده .

وقوله ( وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول : وتستقبلهم الملائكة يهتفونهم ، يقولون ( هَذَا يَوْمُكُمْ  
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) فيه الكرامة من الله ، والحياء ، والجزيل من الثواب ، على ما كنتم تنصبون  
في الدنيا لله في طاعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَذَا يَوْمُكُمْ  
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) قال : هذا قبل أن يدخلوا الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِكُتُبٍ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدَا عَلَيْنَا  
إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : لا يحزنهم الفرع الأكبر . يوم نطوي السماء ، فيوم صلة من يحزنهم .  
واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اسم ملك  
من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، في قوله  
( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِكُتُبٍ ) قال : السجل : مملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال :  
اكتبها نورا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، قال : سمعت السدي يقول ، في قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ ) قال : السجل : ملك .  
وقال آخرون : السجل : رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في هذه الآية ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : كان ابن عباس يقول : هو الرجل .

قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السجل : كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وقال آخرون : بل هو الصحيفة التي يكتب فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتَابِ ) يقول : كطي الصحيفة على الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتَابِ ) يقول : كطي الصحف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السجل : الصحيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتَابِ ) قال : السجل : الصحيفة .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : السجل في هذا الموضع : الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه .

فإن قال قائل : وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة ؟ قيل : ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه : يوم تطوى السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل تطوى مصدرا ، فقيل ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتَابِ ) واللام في قوله للكتاب ، بمعنى على .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى أبي جعفر القارئ ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالنون ، وقرأ ذلك أبو جعفر ( يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ ) بالطاء وضمها ، على وجه ما لم يُسم فاعله .

والصواب من القراءة في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، بالنون ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه . وأما السجل فإنه في قراءة جميعهم بتشديد اللام ، وأما الكتاب ، فإن قراء أهل المدينة ، وبعض

أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتوحيد ، كطى السجل للكتاب ، وقرأ ذلك عامة قرءاء الكوفة ( للكتّاب ) على الجماع .

وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب ، لما ذكرنا من معناه ، فإن المراد منه : كطى السجل على ما فيه مكتوب ، فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تتبعه من معروف كلام العرب ، وعند قوله ( كطى السجل ) انقضاء الخبر عن صلة قوله ( لا يحزهم النزع الأكبّر ) ، ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره : ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) فالكاف التي في قوله ( كما ) من صلة نعيد ، تقدمت قبلها ، ومعنى الكلام : نعيد الخلق عرّة حفاة غيرلا يوم القيامة ، كما بدأناهم أول مرة ، في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم ، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك .

وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اخترت القول به على غيره .

ذكر من قال ذلك ، والأثر الذي جاء فيه

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أول خلق نعيده ) قال : حفاة عرّة غيرلا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله ( أول خلق نعيده ) قال : حفاة غلغا . قال ابن جرير أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أنه سمع مجاهدا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه : « يأتونه حفاة عرّة غلغا ، فاستترت بكم درعها ، وقالت وأسواتاه » قال ابن جرير : أخبرت أنها عائشة قالت : يا نبي الله ، لا يجتشم الناس بعضهم بعضا ، قال : « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجتشم الناس حفاة عرّة غيرلا ، فأول من يكسى إبراهيم ، ثم قرأ : ( كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إننا كنا فاعلين ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فذكر نحوه . » حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . » حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، قال : ثنا المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا عيسى بن يوسف بن الطَّبَّاع أبو يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال : « إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ مُشَاةً غُرُلًا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة ، قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى عجوز من بنى عامر ، فقال : مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ ؟ » فقلت : إحدى خالاتي ، فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجْزَةُ ، قالت : فأخذ العجوز ما أخذها ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ ، ثم قال : يُحْشِرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُلْفًا ، فقالت : حاش لله من ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَى ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعِنْدًا عَلَيْنَا . . . إلى آخر الآية ، فأولُّ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عطاء ، عن عتبة بن عامر الجهني ، قال : « يجمع الناس في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عرأة ، كما خلقوا أول يوم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوام ، عن هلال بن حبان ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عرأة مشاة غرلا ، قلت : يا أبا عبد الله ، ما الغرل ؟ قال : الغلُف ، فقال بعض أزواجه : يا رسول الله ، أينظر بعضنا إلى بعض ، إلى عورته ؟ فقال : « لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مَا يَشْعَلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى عَوْرَةِ أَخِيهِ » قال هلال : قال سعيد بن جبَّير : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) قال : كيوم ولدت أمه ، يرد عليه كل شيء انتقص منه ، مثل يوم ولد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كما كنا ولا شيء غيرنا ، قبل أن نخلق شيئا ، كذلك نهلك الأشياء ، فنعيدها فانية ، حتى لا يكون شيء سوانا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) . . . الآية ، قال : نهلك كل شيء ، كما كان أول مرة . وقوله ( وَعِنْدًا عَلَيْنَا ) يقول : وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا ، أن نُؤَفِّيَ بِمَا وَعَدْنَا ، إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس ، لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله ، على يقين بأن ذلك كائن ، واستعدوا وتأهبوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بالزبور : كتب الأنبياء كلها ، التي أنزلها الله عليهم ، وعنى بالذكر : أم الكتاب التي عنده في السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيدا ، عن قول الله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر : الذي في السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : قرأها الأعمش ( الزُّبُرِ ) قال : الزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن ( مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر الذي في السماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ( مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : أم الكتاب عند الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ، بعد الذكر : قال : أم الكتاب عند الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : الزبور : الكتب التي أنزلت على الأنبياء . والذكر : أم الكتاب الذي تُكتب فيه الأشياء قبل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : كتبنا في القرآن من بعد التوراة .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء ، وبالذكر : التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) الآية ، قال : الذكر : التوراة ، والزبور : الكتب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) . . . الآية ، قال : الذكر : التوراة ، ويعنى بالزبور من بعد التوراة : الكتب .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : زبور داود ، وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : زبور داود ، من بعد الذكر : ذكر موسى التوراة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : في زبور داود ، من بعد ذكر موسى .  
 وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب في ذلك : ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ، ومن قال بقولهما في ذلك ، من أن معناه : ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه ، قبل خلق السموات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه : زبرت الكتاب وذبرته : إذا كتبه ، وإن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه ، فهو ذِكْرٌ . فإذا كان ذلك كذلك ، فإن إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه ، معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا ، لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك ، من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زبور داود . فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا : ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ؛ يعنى بذلك : أن أرض الجنة يرثها عبادى العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم ، المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله ( أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : أرض الجنة . حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه ، قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : كتبنا في القرآن بعد التوراة ، والأرض أرض الجنة . حدثنى على بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ( أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : الأرض : الجنة .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيدا عن قول الله ( أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : أرض الجنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أن الأرض ) قال : الجنة ( يرثها عبادى الصالحون ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

(١) في (اللسان : ذبر) : الذبر : الكتابة ، مثل الزبر . ذبر الكتاب يذبره (كنصره) ويذبره (كيقضه) ذبرا ، وذبره (بالضعيف) كلاهما : كتبه ، وقيل : نقطه . وقيل : قرأه قراءة خفيفة ، بلغة هذيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال : الجنة . وقرأ قول الله جل ثناؤه ( وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوا ) من الجنة حيث نشاء ، فنعلم أجر العاملين ) قال : فالجنة مبتدؤها في الأرض ، ثم تذهب درجات علواً ، والنار مبتدؤها في الأرض ، وبينهما حجاب سور ، ما يدرى أحد ماذا السور ، وقرأ ( باب باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ) قال : ودرجها تذهب سفلًا في الأرض ، ودرج الجنة تذهب علواً في السموات .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، سألت عامر بن عبد الله أبا العيمان : هل أنفس المؤمنين تجتمع ؟ قال : فقال : إن الأرض التي يقول الله ( ولقد كتبتنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال : هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث .

وقال آخرون : هي الأرض يرثها الله المؤمنين في الدنيا .

وقال آخرون : عني بذلك بنو إسرائيل ، وذلك أن الله وعدم ذلك فوفى لهم به ، واستشهد لقوله ذلك بقول الله ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ) . وقد ذكرنا قول من قال ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) أنها أرض الأمم الكافرة ، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لبلاغاً لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله ، إلى رضوانه ، وإدراك الطلبيّة عنده . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الحريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، إنهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس ، ساهم الله عابدين .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن لباس الحريري ، عن أبي الورد عن كعب ، في قوله ( إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ) قال : صوم شهر رمضان ، و صلاة الخمس ، قال : هي ملء اليدين والبحر عبادة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن الحسين ، عن الحريري ، قال : قال كعب

(١) الأصل : هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ والصواب : ما أثبتناه .

الأخبار ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عابدين ) : لأمة محمد .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عابدين ) يقول : عاملين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عابدين ) قال : يقولون في هذه السورة لبلاغاً .

ويقول آخرون : في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس ، من أداها كان بلاغاً لقوم عابدين ، قال : عاملين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ

عابدين ) قال : إن في هذا لمنفعة وعلماً ، لقوم عابدين ذلك البلاغ .

وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وما

أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجمع العالم الذي أرسل إليهم محمد! أريد بها مؤمنهم

وكافرهم ؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة ، دون أهل الكفر ؟ فقال بعضهم : عنى بها جميع العالم المؤمن والكافر .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له

سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله في كتابه ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )

قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، عُوْفِيَ مما

أصاب الأمم من الحَسْفِ والقذف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن المسعودي ، عن أبي سعيد ، عن

سعيد جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) قال : تمت الرحمة لمن آمن

به في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن به عُوْفِيَ مما أصاب الأمم قبل .

وقال آخرون : بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر! .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ) قال : العالمون : من آمن به وصدقَه . قال : ( وَإِن أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى

حِينٍ ) قال : فهو لهؤلاء فتنة ، ولهؤلاء رحمة ، وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين ، والعالمون ههنا : من

آمن به وصدقَه وأطاعه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي رُوِيَ عن ابن عباس ، وهو أن الله أرسل نبيه محمداً

صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم . فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ،

وبالعمل بما جاء من عند الله ، الجنة . وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء ، الذي كان ينزل بالأمم المكذبة

رسلها من قبله .



## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : ما يوحى إليّ ربّي إلا أنّه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد ، لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي ذلك لغيره ( فهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ ) : يقول : فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون ، العابدون الأوثان والأصنام ، بالخضوع لذلك ، ومتبرّثون من عبادة ما دونه من آلهتكم ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ، وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان ، بأن لا إله لهم إلا إله واحد ، فأعرضوا عنه ، وأبوا الإجابة إليه ، فقل لهم ( قَدْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) يقول : أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب ، لا صلح بينكم ولا سلم .  
وإنما عني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) فإن تولوا : يعني قريشا .

وقوله ( وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ) يقول تعالى ذكره لنبية : قل وما أدري متى الوقت الذي يخلّ بكم عقاب الله الذي وعدكم ، فينتقم به منكم ، أقرب نزوله بكم ، أم بعيد .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ؟ ) قال : الأجل .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهِ فَتْنَةٌ لَكُمْ

وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المشركين ، إن الله يعلم الجهر الذي تجهرون به من القول ، ويعلم ما تخفون ، فلا تجهرون به ، سواء عنده خفيه وظاهره ، وسره وعلايته ، إنه لا يخفى عليه منه شيء ، فإن أخرج عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به ، أو تجهرون به ، فما أدري

ما السبب الذي من أجله يؤخَّر ذلك عنكم ؟ لعل تأخيرَه ذلك عنكم مع وعده إياكم ، لفتنة يريد بها بكم ، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه ، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) يقول : لعل ما أُقْرَب لكم من العذاب والساعة ، أن يؤخَّر عنكم لمدتكم ، ومتاع إلى حين ، فيصير قولي ذلك لكم فتنة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ، وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢) .

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد : يا ربّ افصل بيني وبين من كذّبي من مشركي قومي وكفر بك ، وعبد غيرك ، بإحلال عذابك ونقمته بهم ، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به ، وهو نظير قوله جلّ ثناؤه ( رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ( قال رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ) قال : لا يحكم بالحقّ إلا الله ، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا ، يسأل ربه على قومه .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا شهد قتالا قال : ( رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( قُلْ رَبِّ أَحْكُم ) بكسر الباء ، ووصل الألف ألف احكم . على وجه الدعاء والمسألة ، سوى أبي جعفر ، فإنه ضمّ الباء من الربّ ، على وجه نداء المفرد ، وغير الضحاك بن مزاحم ، فإنه روى عنه أنه كان يقرأ ذلك ( رَبِّي أَحْكُم ) على وجه الخبر بأن الله أحكم بالحقّ من كلّ حاكم ، فيثبت الباء في الربّ . ويهمز الألف من أحكم ، ويرفع أحكم ، على أنه خبر للربّ تبارك وتعالى .

والضواب من القراءة عندنا في ذلك : وصل الباء من الربّ وكسرهما باحكم ، وترك قطع الألف من احكم ، على ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجّة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه . وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خطّ المصاحف ، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها ، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته . وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ( رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ) قل : ربّ احكم بحكمك الحقّ ، ثم حذف الحكم الذي الحقّ نعت له ، وأقيم الحقّ مقامه ، ولذلك وجه ، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل ، فلذلك اخترناه .

وقوله ( وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ) يقول جل ثناؤه : وقل يا محمد : وربنا الذي يرحم عباده، ويعلمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي، فيما أتيتكم به من عند الله ( إن هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ )، أفْتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ؟ )، وقولكم ( أَيْلَافَتَّرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ )، وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) فإنه حين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم، بتعجيل العقوبة لكم، على ما تصفون من ذلك .  
آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

### تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ  
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمٌ  
بِسُكَرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته، فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد، ثم وصف جل ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه، فقال : ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) .

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة، فقال بعضهم : هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى، قال : ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، في قوله ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : قبل الساعة .

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال : ثنا محمد بن الصلت، قال : ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن عامر ( يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا حجاج، عن ابن جريج في قوله ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ )

فقال : زلزلتها : أشرطها . . . الآيات ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا في الدنيا من آيات الساعة .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر ، في إسناده نظرا ، وذلك ما حدثنا

أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن أبي زياد ،

عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما فرغ الله من خلق السموات والأرض ، خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو وأضيعه على فيه ، شاخص ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر .

قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرآن ، وكيف هو ؟ قال : قرآن عظيم ينفتح فيه ثلاث تفحات : الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيئديمها ويطوئها ، فلا يفسر ، وهي التي يقول الله ( ما ينظرون هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) ، فيسبر الله الجبال ، فتكون سرايا ، وترج الأرض بأهلها رجاء ، وهي التي يقول الله ( يوم ترجف الراجفة تتبعمها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ) ، فتكون الأرض كالسفيينة الموبقة في البحر ، تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجفه الأرواح ، فتמיד الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة ، فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويوتى الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله ( يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضليل الله فما له من هادي ) ، فبينما هم على ذلك ، إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمرا عظيما ، وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالمهل ، ثم خسف ثمنها وخسف قمرها ، وانتشرت نجومها ، ثم كسفت عنهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . فقال أبو هريرة : فن استثنى الله حين يقول : ( ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) قال : أولئك الشهداء ، ولما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول ( يا أيها الناس )

(١) لعل المراد بأن في إسناده نظرا : أن فيه رجلين مجهولين من الأنصار .

اتَّقُوا رَبَّكُمْ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) . . . إلى قوله (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) . وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه ، قول لولا يحيى الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحى الله وتنزيله .

❖ والصواب من القول في ذلك : ما صح به الخبر عنه .

ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث عن قتادة ، عن صاحب له حديثه ، عن عمران بن حصين ، قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، وقد فاوت السير بأصحابه ، إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ( يا أيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : فحششوا المطى ، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « هل تدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم ينادى آدم ، يناديه ربه : ابعث بعث النار ، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار ، قال : فأبلس القوم ، فما وضع منهم ضاحك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا اعلموا وأبشروا ، فإن معكم خليفتين ما كانتا في قوم إلا كسرتاه ، فمن هلك من بني آدم ، ومن هلك من بني إبليس وبأجوج ومأجوج ، قال : أبشروا ، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير ، أو كالرقمة في جناح الدابة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا هشام بن أبي عبد الله ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن أبي عدي ، عن هشام جميعا ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد عن عمران ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسرة ، ومعه أصحابه ، بعد ما شارف المدينة ، قرأ ( يا أيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا ) . . . الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون أى يوم ذاكم ؟ قيل : الله ورسوله أعلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه زاد : وإنه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فتنة من الجاهلية ، فهم أهل النار ، وإنكم بين ظهراني خليفتين لا يعادهما أحد من أهل الأرض إلا كسروهم ، وهم مأجوج ومأجوج ، وهم أهل النار ، وتكمل العدة من المنافقين . »

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي . قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه . عن الأعمش . عن أبي صالح عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُقَالُ لِآدَمَ : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَمَا بَعَثَ النَّارَ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَمَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيْبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، قَالَ : قُلْنَا فَأَيْنَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَبْشِرُوا : فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ وَأَلْفًا مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا أَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَسَبَرْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا أَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَأَنَّمَا مِثْلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ . »

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ثم ذكر نحوه .  
حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَشْرَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْحَشِيرُ بِيَدَيْكَ . فَيَقُولُ : ابْعَثْ بَعَثًا إِلَى النَّارِ . » ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : « نَزَلَتْ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) . . . . . حَتَّى إِلَى ( عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) . . . . . الْآيَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَسِيرٍ ، فَرَجَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ : يَا آدَمُ قُمْ فَاْبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَسَبَرْتَاهُ : يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : دخلت على ابن مسعود بيت المال ، فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ قَلِيلَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا يوم القيامة ، والزلزلة : مصدر من قول القائل : زلزلت بفلان الأرض ، أززلتها زلزلة وزلزالا ، بكسر الزاي من الزلزال ، كما قال الله ( إذآ زلزلت الأرض زلزآ لها ) وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال إذا جاءت على فيعلال ، فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواسا ، فإذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس ، وهو ما وسوس إلى الإنسان ، كما قال الشاعر :

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضِلُّ أَنْ الدَّهْرَ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ<sup>١</sup>

وقوله تعالى ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا ) يقول جل ثناؤه : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها ، كل مرضعة مولود عما أرضعت ، ويعنى بقوله ( تَدَهَّلُ ) تنسى وتترك من شدة كربها ، يقال : ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا ، وهي قليلة ، والفصيح : الفتح في الهاء ، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين ، لم يسمع غير ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

صَحَّأَ قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَدَهَّلُ<sup>٢</sup>

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاؤه ، قلت : أذهله هذا الأمر عن كذا يذهله إذهالا . وفي إثبات الهاء في قوله ( كَلُّ مُرْضِعَةٍ ) اختلاف بين أهل العربية<sup>٣</sup> . وكان بعض نحويي الكوفيين يقول : إذا أثبتت الهاء في المرضعة ، فإنما يراد أم الصبي المرضع ، وإذا أسقطت ، فإنه يراد المرأة التي معها صبي ترضعه ، لأنه أريد الفعل بها ، قالوا : ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضِعٌ . قال : وكذلك كل مُفْعِلٍ أو فاعل يكون للأنثى ، ولا يكون للذكر ، فهو بغير هاء ، نحو : مُقْرَبٌ ، ومُوقِرٌ ، ومُشْدَنٌ ، وحاملٌ ، وحائضٌ . قال أبو جعفر : وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك ، لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعول إذا وصفوا المؤنث به ، ولو لم يكن للمذكر فيه حظٌّ ، فإذا أرادوا الخبر عنها أنها

(١) البيت شاهد على أن المصدر الرباعي المضعف إذا جاء على « فعلال » فهو بكسر الفاء ، فإذا فتحت الفاء فهو اسم للمصدر ، وليس بمصدر ، كما في البيت . قال في ( اللسان : زلزل ) : والزلزلة والزلزال ( بالفتح ) : تحريك الشيء ، وقد زلزلته زلزلة وزلزالا ( بكسر الزاي في الثاني ) وقد قالوا : إن الفعلال ( بالفتح ) والزلزال ( بالكسر ) مطرد في جميع مصادر المضاعف . والاسم الزلزال ( بالفتح ) . وليس في الكلام فعلال ، بفتح الفاء إلا في المضعف ، نحو الصلصال والزلزال . وقال أبو إسحاق والزلزال بالكسر : المصدر ، والزلزال ، بالفتح : الاسم ، وكذلك الوسواس : المصدر ، والوسواس الاسم اه .

(٢) هذا مطلع قصيدة لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي المشهور ( بكثير عزة ) في مدح عبد الملك بن مروان ، ومصرعه الثاني :  
 • وأضحى يريد الصرم أو يتبدل • ( ديوانه طبع الجزائر ٢ : ٢٨ ) قال شارحه : قوله « صحا قلبه » : قال في الاقتضاب : قال ابن قتيبة : أصححت السماء وأصححت العاذلة ، وصحا من السكر . أما السماء فلا يقال فيها إلا أصححت بالألف ، وأما السكر فلا يقال فيه إلا صحا بغير لف . وأما الإفاقة من الحب فلم أشع فيه إلا صحا بغير ألف ، كالسكر . وهو شاهد على الفعل تذهل في ما ضيه لنتان ، فتح الهاء وكسرها ، والأولى أفصح اللغتين . قال في ( اللسان : ذهل ) : وفي التنزيل العزيز : « يوم تذهل كل مرضعة » أي تسلو عن ولدها . ابن سيده : ذهل الشيء وذهل عنه وذله وذهل الكسر يذهل فيهما ذهلا وذهولا : تركه على عمد أو غفل عنه أو نسيه لشغل . وقيل : الذهل : السلو وطيب النفس عن الإلنت . وقد أذهله الأمر ، وأذهله عنه اه .

(٣) يتأمل في هذا المقام ويراجع اللسان فإنه أبسط .

ستفعله ولم تفعله ، أثبتوا هاء التأنيث ، ليفرقوا بين الصفة والفعل ، منه قول الأعشى فيما هو واقع ، ولم يكن وقع قبل :

أيا جارتا بييني فإنك طالقَه<sup>١</sup> كذالك أمور الناس غادٍ وطارقَه<sup>١</sup>

وأما فيما هو صفة ، نحو قول امرئ القيس :

فمشلكِ حبلتي قد طرقتُ ومرضيعِ<sup>٢</sup> فألهيتُها عن ذى تمامٍ محمول<sup>٢</sup>

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين ، وربما أسقطوهما فيهما ، غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت .

فتأويل الكلام إذن : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة ، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها ،

عما أرضعت .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ

كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : تترك ولدها للكرب الذى نزل بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( تَذْهِلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : ذهلت عن أولادها بغير فطام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا )

قال : ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ) يقول : وتسقط كل

حامل من شدة كرب ذلك حملها .

وقوله ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) قرأت قرآء الأمصار ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) على وجه الخطاب

للو احد ، كأنه قال : وترى يا محمد الناس حينئذ سُكَارَى ، وما هم بسُكَارَى . وقد روى عن أبي زُرْعَةَ

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له قالها لامرأته الهزانية ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٦٣ )

والرواية فيه : يا جارتى . قال شارحه : الجارة هنا : زوجته . بيئى : أى فارق . غاد وطارقه : ذكر ( غاد ) على إرادة الجمع ،

وأنت ( طارقة ) على إرادة الجماعة . والغادى : الذى يأق غدوة فى الصباح . والطارق الذى يطرق ، أى يأق ليلا . وأشداه صاحب

( اللسان : طلق ) قال ابن الأعرابي : طلقت ( بضم اللام ) من الطلاق : أجود ، وطلقت بفتح اللام - جائز . وكلهم يقول : امرأة

طالق ، بغير هاء . وأما قول الأعشى « أيا جارتا بييني فإنك طالقَه » فإن الليث قال : أراد : طالقة غدا . قال غيره : قال طالقة على

الفعل ، لأنها يقال لها : قد طلقت ، فبئى النعت على الفعل ، وطلاق المرأة : بينونها عن زوجها . وامرأة طالق من نسوة طلق ، وطلالقة

من نسوة طوالق . وأشد قول الأعشى : « أجارتنا بييني فإنك طالقَه » . . . البيت .

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ص ٢٥ ) قال شارحه : طرقت : أتيت . والتمام : عوذ تعلق على الطفل . ومحمل : أى تم له حول ، يقال : أحول الصبي فهو

محول . ويروى : مغيل . وهو الذى ترضعه أمه وهى حبلية ؛ يقال : أغالت المرأة ولدها ، فهى مغيل ( بكسر الغين ) ، وأغيلته

فهى مغيل ، ( بسكون الغين ، وكسر الياء ) ؛ سقته الغيل ، وهو لبن الحبلية ، والولد : مغال ومغيل . والشاهد فى البيت أن « مرضع »

يدون هاء . هو من الأوصاف الخاصة بالنساء دون الرجال ، وهو لذلك مستغن عن الهاء التى تدخل فى الصفات للفرقة بين المذكر والمؤنث ،

فأما قوله تعالى ( يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) بالهاء فى مرضعة ، فإنما يراد به المرأة التى معها صبي ترضعه ، فهى متلبسة

بالفعل ، فالفعل مراد هنا ، والصفة حينئذ تجرى على الفعل فى التذكير والتأنيث ، يقال أرضعت أو ترضع الأم ولدها ، فهى مرضعة

له . فأما الأئني التى من شأنها أن تكون مرضعا ولم تتلبس بالفعل ، فإنما يقال لها مرضع بلا هاء تأنيث ، لأن هذا وصف خاص بالإناث ،

فلا حاجة فيه إلى الهاء للفرق .



ابن عمرو بن جرير ( وَتَرَى النَّاسَ ) بضم التاء ونصب الناس ، من قول القائل : أُرِيْتُ تُرَى ، التي تطلب الاسم والفعل ١ ، كظن وأخواتها .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، ما عليه قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .

واختلف القرآء في قراءة قوله ( سَكَّارَى ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة : ( سَكَّارَى وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى ) وقرأته عامة قرآء أهل الكوفة ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَّارَى وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب ٢ ، ومعنى الكلام : وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سَكَّارَى من الفزع ، وما هم بسَكَّارَى من شرب الخمر .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ٣ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَّارَى ) من الخوف ( وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى ) من الشراب :

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى ) قال : ما هم بسكاري من الشراب ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَّارَى وَمَا هُمْ بِسَكَّارَى ) قال : ما شربوا خمرًا ، ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) يقول تعالى ذكره : ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله ، عند معابنتهم ما عابنوا من كرب ذلك وعظيم هوله ، مع علمهم بشدة عذاب الله ٤ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣)

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ٥ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : النضر بن الحارث ٦ . ويعنى بقوله ( مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلى وصار ترابا ، بغير علم يعلمه ، بل يجهل منه بما يقول ، ( وَيَتَّبِعُ ) في قلبه ذلك وجداله في الله بغير علم ( كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ) .

(١) لعل الصواب : الاسم والخبر . لأن ظن وأرى وأعلم تدخل على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر .

(٢) كان النضر بن الحارث بن كعدة قد أخذ الطب والفلسفة مع أبيه في الحيرة .

القول في تأويل قوله تعالى

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)

يقول تعالى ذكره : قضى على الشيطان ، فعني ( كُتِبَ ) ههنا قُضِيَ ، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : كُتِبَ على الشيطان ، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : الشيطان اتبعه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه من تولاه ، قال : اتبعه . وقوله ( فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ) يقول : فإن الشيطان يضلّه ، يعنى : يضلّ من تولاه . والهاء التي في يضلّه عائدة على « من » التي في قوله ( مَنْ تَوَلَّاهُ ) . وتأويل الكلام : قُضِيَ على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ، ولا يهديهم إلى الحقّ . وقوله ( وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ) يقول : وَيَسُوقُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَىٰ عَذَابِ جَهَنَّمَ الموقدة ، وسياقه إياه إليه بدعائه إياه إلى طاعته ومعصية الرحمن ، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ، لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم ، اتباعا منه للشيطان المرید ، وتنبيه له على موضع خطأ قيله ، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه . قال : يا أيها الناس إن كنتم في شكّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم ، استعظاما منكم لذلك ، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ، ثم إنشائناكم من نطفة آدم ، ثم تصریفناكم أحوالا حالا بعد حال ، من نطفة إلى علقة ، ثم من علقة إلى مُضْغَةٍ ، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به ، فتعلمون أن من قدر على ذلك ، فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم ، كما كنتم أحياء قبل الفناء .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ، فقال بعضهم : هي من صفة النطفة ، قال : ومعنى ذلك : فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة ، قالوا : فأما المخلقة : فما كان خلقا سوويا . وأما غير مخلقة ، فما دفعته الأرحام من النطفة ، وألفته قبل أن يكون خلقا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : إذا وقعت النطفة في الرحم ، بعث الله ملكا فقال : يا رب مخلقة ، أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة مجتبا الأرحام دما . وإن قال مخلقة قال : يا رب فما صفة هذه النطفة ؟ أذكر أم أنثى ؟ ما رزقها ؟ ما أجلها ؟ أشقى أو سعيد ؟ قال : فيقال له : انطلق إلى أم الكتاب ، فاستنسخ منه صفة هذه النطفة . قال : فينطلق الملك فينسخها ، فلا تزال معه . حتى يأتي على آخر صفتها . وقال آخرون : معنى ذلك : تامة وغير تامة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله ( *مُخَلَّقَةً* ) وغير ( *مُخَلَّقَةً* ) قال : تامة وغير تامة .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ( *مُخَلَّقَةً* ) وغير ( *مُخَلَّقَةً* ) فذكر مثله . وقال آخرون : معنى ذلك المضغعة ، مصورة إنسانا وغير مصورة ، فإذا صورت فهي مخلقة ، وإذا لم تصور فهي غير مخلقة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( *مُخَلَّقَةً* ) قال : السقط مخلقة ( *وغير مُخَلَّقَةً* ) .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( *مُخَلَّقَةً* ) وغير ( *مُخَلَّقَةً* ) قال : السقط مخلوق وغير مخلوق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في النطفة والمضغعة إذا نكست في الخلق الرابع ، كانت نَسَمَة مخلقة ، وإذا قذفها قبل ذلك فهي غير مخلقة .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن أبي سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ( *مُخَلَّقَةً* ) وغير ( *مُخَلَّقَةً* ) قال : السقط .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : المخلقة : المصورة خلقا تاما ، وغير مخلقة : السقط قبل تمام خلقه ، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغعة والنطفة ، بعد مصيرها مضغعة ، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا التصوير ، وذلك هو المراد بقوله ( *مُخَلَّقَةً* ) وغير ( *مُخَلَّقَةً* ) خلقا سويا ، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغعة ولا تصور ، ولا ينفخ فيها الروح .

وقوله (لِنُبَشِّرَنَّ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره : جعلنا المضغة منها المختلقة التامة ، ومنها السقط غير التام لنبيين لكم قدرتنا على ما نشاء ، ونعرفكم ابتداءنا خلقكم .  
 وقوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره : من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية ، فإنا نقره في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها ، فلا تسقطه ، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله ، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها ، أذنا له بالخروج منها ، فيخرج .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : التمام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : الأجل المسمى : إقامته في الرحم حتى يخرج .  
 وقوله (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) يقول تعالى ذكره : ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ؛ ووحده الطفل ، وهو صفة للجميع ، لأنه مصدر مثل عدل وزور .  
 وقوله (ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) يقول : ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم .  
 وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد ، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد في ما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ مِنْ بَيْنِكُمْ مِنْ يَدْعُو إِلَىٰ آرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ،  
 وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
 بَهِيجٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشده فيموت ، ومنكم من ينسأ في أجله ، فيعمر حتى يهرم ، فيرد من بعد انتهاء شبابه ، وبلوغه غاية أشده ، إلى أرذل عمره ، وذلك الهرم ، حتى يعود كهيئته في حال صباه ، لا يعقل من بعد عقله الأول شيئا .

ومعنى الكلام : ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، بعد بلوغه أشده (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ) كان يعلمه (شَيْئًا) . وقوله (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يقول تعالى ذكره : وترى الأرض يا محمد يابسة

دارسة الآثار من النبات والزرع ، وأصل الهمود : الدروس والدثور ، ويقال منه : همدت الأرض تهمد هُمودا ؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس :

قَالَتْ قُتَيْبَلَةٌ : مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا وَأَرَى ثِيَابَكَ بِالْيَابِ مُهْمَدًا  
والهْمْدُ : جمع هَامِد ، كما الرُكْعُ جمع رَاكِع .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جبريِّج ، فى قوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ) قال : لانبات فيها .

وقوله ( فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ) يقول تعالى ذكره : فاذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التى لانبات فيها ، المطر من السماء اهتزت : يقول : تحركت بالنبات ( وَرَبَّتْ ) يقول : وأضعفت النبات بمجىء الغيث .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال : عُرِفَ الغَيْثُ فى ربوها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال : حسنت ، وعرِفَ الغَيْثُ فى ربوها .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، ويوجه المعنى إلى الزرع ، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض . وقرأت قرءاء الأمصار ( وَرَبَّتْ ) بمعنى : الربو : الذى هو النماء والزيادة . وكان أبو جعفر القارى يقرأ ذلك ( وَرَبَّاتٌ ) بالهمز .

حدثت عن القراء ، عن أبي عبد الله التيمى عنه ، وذلك غلط ، لأنه لاوجه للرب هاهنا ، وإنما يقال : ربأ بالهمز بمعنى : حرس من الربيثة ، ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع ، والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار .

وقوله ( وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ) يقول جل ثناؤه : وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث ، من كل نوع بهيج ، يعنى بالبهيج : البهج ، وهو الحسن .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) . وهو من تصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن ولة على بعض السواد . والرواية فيه « ساينا » فى موضع « شاحبا » . قال فى تفسيره : ساينى : يسوء من رآه . وهد الثوب تقطع من طول الطى ، ينظر إليه الناظر ، فيحسبه صحيفا ، فإذا مسه تناثر من البلى . ومثله فى (اللسان هـد) : ( وترى الأرض هامدة ) : أى جافة ذات تراب . وأرض هامدة : مقشعة ، لانبات فيها إلا اليابس المنتظم ، وقد أهدمها القحط . اهـ .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ) قال : حسن .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله :

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله : ذلك هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم فى بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده : طفلا ، وكهلا ، وشيخا هرما ، وتنبئناكم على فعلنا بالأرض الهامدة ، بما نزل عليها من الغيث ، لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذى فعل ذلك ، الله الذى هو الحق لاشك فيه ، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل ، لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك ، وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الأشياء العجيبة ، لا يتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فناءها ودروسها فى التراب ، وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شيء . قادر ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة . ( لا ريب فيها ) يقول : لاشك فى مجيئها وحدوثها . ( وأن الله يبعث من فى القبور ) حينئذ من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب ، فلا تشكوا فى ذلك ، ولا تمتسروا فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وإفراجه بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ( ولا هدى ) يقول : وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان ( ولا كتاب منير ) يقول : وبغير كتاب من الله أنه لصحة ما يقول . ( منير ) يقول ينير عن حجته . وإنما يقول ما يقول من الجهل ، ظنا منه وحسابا ، وذكر أنه عسى بهذه الآية التى بعدها النضر بن الحارث من بنى عبد الدار .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثَأْنِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ، وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

❦ يقول تعالى ذكره : يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم (ثاني عِطْفِيهِ) .  
❦ واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه ، وما المراد من وصفه إياه بذلك ، فقال بعضهم : وصفه بذلك لتكبره وتبختره ، وذكر عن العرب أنها تقول : جاءني فلان ثاني عطفه : إذا جاء متبخترا من الكبر .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (ثاني عِطْفِيهِ) يقول : مستكبرا في نفسه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا ورقبته .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثاني عِطْفِيهِ) قال : رقبته .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثاني عِطْفِيهِ) قال : لا وعنقه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثاني عِطْفِيهِ) يقول : يُعرض عن ذكرى .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (ثاني عِطْفِيهِ) لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ( قال : لاويا رأسه ، معرضا موليا ، لا يريد أن يسمع ما قيل له ، وقرأ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلِي مُسْتَكْبِرًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ثاني عِطْفِيهِ) قال : يعرض عن الحق .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى ، وذلك أن من كان ذا استكبار ، فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه وليّ عنقه عنه والإعراض .

❦ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم ، أنه من كبره إذا دُعِيَ إلى الله ، أعرض عن داعيه ، ولوى عنقه عنه ، ولم يسمع ما يقال له استكبارا .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا

عن الحق استكبارا ، ليصدم المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ، ويستزلهم عنه ( لَهْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ) يقول جل ثناؤه لهذا المجادل في الله بغير علم ، في الدنيا خزي ، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين ، فقتله الله بأيديهم يوم بدر .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ) قال : قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ .

وقوله ( وَتُذَيِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ) يقول تعالى ذكره : ونحرقه يوم القيامة بالنار . وقوله ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ) يقول جل ثناؤه : ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة : هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجمام ( وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ) يقول : وفعلنا ذلك ، لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض عبيده على جرْم ، وهو يغفرا مثله من آخر غيره ، أو يحمل ذنب مذنّب على غير مذنّب ، فيعاقبه به ، ويعفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرْمه ، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر ، إلا بسبب استحقاق به منه مغفرته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)

يعنى جل ذكره بقوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجرين من باديهم ، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام ، أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم ، فقال الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ ) على شك ، فإن أصابه خير اطمان به ، وهو السعة من العيش ، وما يشبهه من أسباب الدنيا ، اطمان به : استقر بالإسلام ، وثبت عليه ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ( انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) يقول : ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه ، من الكفر بالله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) . . . إلى قوله ( انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) قال : الفتنه البلاء ، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيضة ، فإن صح بها جسمه ، ونسجت فرسه مهرا حسنا ، وولدت امرأته غلاما ، رضى به ، واطمان إليه ، وقال : ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا ، وإن

(١) في الأصل يعفو . وفي العبارة ارتباك ، توضيحه في آخر كلامه .



أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًا ، وذلك الفتنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن أبي بكر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك ، فإن أصابه خير ، رخاء وعافية . اطمأن به : استقر . ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) : عذاب ومصيبة ( انْقَلَبَ ) : ارتد ( عَلَى وَجْهِهِ ) : كافرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . قال ابن جريج : كان ناس من قبائل العرب ، ومن حولهم من أهل القرى ، يقولون : نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بأهلنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : شك ( فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ) يقول : أكثر ماله ، وكثرت ماشيته اطمأن وقال : لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) يقول : وإن ذهب ماله ، وذهبت ماشيته ( انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، نحوه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا سعاد يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) الآية . كان ناس من قبائل العرب ، ومن حول المدينة من القرى ، كانوا يقولون : نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فننظر في شأنه ، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بمنزلنا وأهلينا ، وكانوا يأتونه فيقولون : نحن على دينك ، فإن أصابوا معيشة ، ومنتجوا خيلهم ، وولدت نساؤهم الغلمان ، اطمأنوا وقالوا : هذا دين صدق ، وإن تأخر عنهم الرزق ، وأزلقت خيولهم ، وولدت نساؤهم البنات ، قالوا : هذا دين سوء ، فانقلبوا على وجوههم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) فإن أصابه خسر اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ) قال : هذا المنافق ، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه ، وتغيرت ، انقلب ، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه . وإذا أصابته شدة أو فتنة ، أو اختبار أو ضيق ، ترك دينه ، ورجع إلى الكفر .

وقوله ( خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : غيب هذا الذى وصف جل ثناؤه صفته ، دنياه ، لأنه

لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ، ووضع في تجارته ، فلم يربح ، والآخرة : يقول :  
وخسر الآخرة ، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة . وقوله ( ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ) يقول : وخسارته  
الدنيا والآخرة هي الخسران : يعنى الهلاك المبين : يقول : يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا  
والآخرة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قرآء الأمصار جميعا ، غير حميد الأعرج ( خَسِرَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةَ ) على وجه المنصى . وقرأه حميد الأعرج ( خَامِرًا ) نصبا على الحال ، على مثال فاعل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وإن أصابت هذا الذى يعبد الله على حرف فتنة ، ارتدّ عن دين الله ، يدعو من  
دون الله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها . ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) :  
يقول : ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة ، هو الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله  
ذاهبا بعيدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ) يكفر بعد إيمانه ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، لِبَيْتِ الْمَوْتَى ، وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ (١٣)

يقول تعالى ذكره : يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة ، لضرّها في الآخرة له أقرب  
وأسرع إليه من نفعها . وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ .

واختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » ، فكان بعض نحوّي البصرة يقول : موضعه نصب بيدعو ،  
ويقول : معناه : يدعو لآلهة ضرّها أقرب من نفعها ، ويقول : هو شاذّ لأنه لم يوجد في الكلام يدعو  
لزيدا . وكان بعض نحوّي الكوفة يقول : اللام من صلة ما بعد « مَنْ » ، كأن معنى الكلام عنده :  
يدعو من لضرّه أقرب من نفعه . وحكى عن العرب سماعا منها : عندي لَمَّا غَيَّرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ ، بمعنى : عندي  
ما لغيره خير منه . وأعطيتك لما غَيَّرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ ، بمعنى : ما لغيره خير منه . وقال : جائز في كلِّ  
ما لم يتبين فيه الإعراب ، الاعتراض باللام دون الاسم .

وقال آخرون منهم : جائز أن يكون معنى ذلك : هو الضلال البعيد يدعو ، فيكون « يدعو » صلة الضلال  
البعيد ، وتضمير في يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام ، فتقول : لمن ضرّه أقرب من نفعه : لبئس المولى ،  
كأن ذلك في الكلام في مذهب الجزء : لَمَّا فَعَلْتِ لَهْوَ خَيْرٍ لَكَ . فعلى هذا القول « من » في موضع رفع بالهاء

في قوله ضَرَّهُ ، لأن مَنْ إذا كانت جزء ، فإنما يعربها مابعدھا ، واللام الثانية في لبئس المولى جواب اللام الأولى ، وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح ، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب .

وقوله ( لَبِئْسَ الْمَوْلَى ) يقول : لبئس ابن العمّ هذا الذي يعبد الله على حرف . ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) : يقول : ولبئس الخايط المعاشر والصاحب : هو كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) قال : العشير : هو المعاشر الصاحب ، وقد قيل : عنى بالمولى في هذا الموضع : الولي الناصر :

وكان مجاهد يقول : عنى بقوله ( لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) الوثن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) قال : الوثن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، إِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، فيها جنات : يعني بساتين ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجري الأنهار من تحت أشجارها ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) فيعطى ما شاء من كرامته أهل طاعته ، وما شاء من الهوان أهل معصيته :

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ

فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِیْظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يُرِيدُ (١٦)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) .

فقال بعضهم : عنى بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فتأويله على قول بعض قائل ذلك : من كان من الناس يحسب أن لن ينصره الله محمدا في الدنيا والآخرة ، فليمدد بجبل ، وهو السبب إلى السماء : يعني سماء البيت ، وهو سقفه ، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به ، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك ، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ : يقول : هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة : من كان يظن أن لن

ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه ، فليمدد بسبب : يقول : بجبل إلى سماء البيت فليختنق به ( فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ ( فَلْيَسْتَنْظُرْ ) يقول : بجبل إلى سماء البيت . ( ثُمَّ لِيَقْطَعْ ) يقول : ثم ليختنق . ( ثُمَّ لِيَسْتَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقال آخرون ممن قال : الهاء في ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التي ذكرت في هذا الموضع ، هي السماء المعروفة .

قالوا : معنى الكلام ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) فقرأ حتى بلغ ( هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكابد هذا الأمر ، ليقطعه عنه ، ومنه : فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه ، فإن أصله في السماء ، فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله ، فإنه لا يكابده حتى يقطع أصله عنه ، فكأيد ذلك حتى قطع أصله عنه ، فليظن هل يذهبن كيده ما يغيط : ما دخلهم من ذلك ، وغاظهم الله به من نصره النبي صلى الله عليه وسلم وما ينزل عليه . وقال آخرون ممن قال : « الهاء » التي في قوله ( يَنْصُرُهُ ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، معنى النصر هاهنا الرزق ، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام : من كان يظن أن لن يرزق الله محمداً في الدنيا ، ولن يعطيه . وذكروا سماعاً من العرب : من ينصرني نصره الله ، بمعنى : من يعطني أعطاه الله : وحكوا أيضاً سماعاً منهم : نصر المطر أرض كذا : إذا جادها وأحياها ، واستشهد لذلك بيت الفقعسي :  
وإنك لا تعطي أمراً فوق حظه  
ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره<sup>١</sup>

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التيمي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَسْتَنْظُرْ )

(١) البيت للفقعسي ، كما قال المؤلف . والشاهد فيه قوله « الغيث ناصره » . قال في (اللسان : نصر) قال أبو حنيفة الدينوري الناصر والناصر : ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي ، فنصر السيول . ونصر البلاد ينصرها أتاها . عن ابن الأعرابي ، ونصرت أرض بني فلان أي أتيتها ، ونصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبثها . قال :

من كان أخطأ الربيع فإنيما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد

ونصر الغيث البلد : إذا أعانه على الخصب والنبات . وقال أبو عبيد : نصرت البلاد : إذا مطرت . فهي منصورة : أي مطورة . ونصر القوم : إذا أغثوا . وفي الحديث : « إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب » : أي تمطرهم .

بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيْقَطَعُ فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يَدْهَبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ، فليربط حبلا في سقف ، ثم ليختنق به حتى يموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ( فَلْيَسْتَمِدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) والسبب : الحبل ، والسماء : سقف البيت ، فليعلق حبلا في سماء البيت ، ثم ليختنق ( فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يَدْهَبُ كَيْدُهُ ) هذا الذي صنع ما يجد من الغيظ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني تميم ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : سماء البيت .

حدثنا محمد بن المنفي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت التميمي ، يقول : سألت ابن عباس ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ... إلى قوله ( مَا يَغِيظُ ) قال : السماء التي أمر الله أن يمد إليها بسبب : سقف البيت ، أمر أن يمد إليه بحبل ، فيختنق به ، قال : فليظن هل يذهبن كيده ما يغيب إذا ختنق ، إن خشى أن لا ينصره الله !

وقال آخرون : الهاء في ينصره من ذكر « مَنْ » . وقالوا : معنى الكلام : من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ، ثم ليختنق ، فليظن هل يذهبن فعله ذلك ما يغيب ، أنه لا يرزق !

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، ١ عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : يرزقه الله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ ) قال : بحبل ( إِلَى السَّمَاءِ ) سماء ما فوقك ( ثُمَّ لَيْقَطَعُ ) ليختنق ، هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جبري ، عن مجاهد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) يرزقه الله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : بحبل إلى السماء . قال ابن جبري ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : إلى السماء : إلى سماء البيت . قال ابن جبري : وقال مجاهد : ( ثُمَّ لَيْقَطَعُ ) قال : ليختنق ، وذلك كيده ما يغيب ، قال : ذلك خنقه أن لا يرزقه الله .

حُدِّثَ عَنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ( فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبٍ ) يَعْنِي : بِجِبَلِ ( إِلَى السَّمَاءِ ) يَعْنِي : سَمَاءِ الْبَيْتِ .  
 حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو رَجَاءٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عِكْرِمَةَ عَنْ قَوْلِهِ : ( فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ) قَالَ : سَمَاءُ الْبَيْتِ . ( ثُمَّ لَيَقْطَعُ ) قَالَ : يَخْتَنِقُ .

وَأَوَّلَى ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ : قَوْلُ مَنْ قَالَ : الْهَاءُ مِنْ ذِكْرِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، ذَكَرَ قَوْمًا يَعْبُدُونَهُ عَلَى حَرْفٍ ، وَأَنَّهُمْ يَطْمَئِنُّونَ بِالَّذِينَ إِنْ أَصَابُوا خَيْرًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُمْ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ لَشِدَّةِ تَصْيِيمِهِمْ فِيهَا ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا أَتْبَعَهُ إِيَّاهَا تَوْبِيخًا لَهُمْ عَلَى إِزْتِدَادِهِمْ عَنِ الدِّينِ ، أَوْ عَلَى شَكِهِمْ فِيهِ نِفَاقِهِمْ ، اسْتِبْطَاءُ مِنْهُمْ السَّعَةِ فِي الْعَيْشِ ، أَوْ السَّبْوِغِ فِي الرِّزْقِ . وَإِذَا كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَقِيبَ الْخَبَرِ عَنِ نِفَاقِهِمْ ، فَعَنَى الْكَلَامُ إِذْنًا ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ : مَنْ كَانَ يُحْسَبُ أَنْ لَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتَهُ فِي الدُّنْيَا ، فَيُوسِعُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فِيهَا ، وَيَرْزُقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ سِتِّيْ عَطَايَاهُ وَكَرَامَتِهِ ، اسْتِبْطَاءُ مِنْهُ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ وَبِهِمْ ، فَلْيَسْمُدْ بِجِبَلِ إِلَى سَمَاءِ فَوْقَهُ : إِمَّا سَقْفَ بَيْتِ ، أَوْ غَيْرَهُ مِمَّا يَعْلُقُ بِهِ السَّبَبُ مِنْ فَوْقِهِ ، ثُمَّ يَخْتَنِقُ إِذَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَا قَضَى اللَّهُ ، فَاسْتَعْجَلَ انْكَشَافَ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ اخْتِنَاقَهُ كَذَلِكَ مَا يَغِيظُ ، فَإِنْ لَمْ يَذْهَبْ ذَلِكَ غِيظُهُ ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَرْجِ مِنْ عِنْدِهِ فَيَذْهَبُهُ ، فَكَذَلِكَ اسْتَعْجَلَهُ نَصْرُ اللَّهِ مُحَمَّدًا وَدِينَهُ ، لَنْ يُؤَخَّرَ مَا قَضَى اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ مِيقَاتِهِ ، وَلَا يَعَجَّلَ قَبْلَ حِينِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَسَدٍ وَغُظْفَانٍ ، تَبَاظَنُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَقَالُوا : نَخَافُ أَنْ لَا يَنْصُرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْقَطِعَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ حَلْفَانَا مِنَ الْيَهُودِ ، فَلَا يَمِيرُونَنَا وَلَا يُرَوِّونَنَا ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ : مَنْ اسْتَعْجَلَ مِنْ اللَّهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ ، فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلْيَخْتَنِقْ ، فَلْيَنْظُرْ اسْتَعْجَالَه بِذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، هَلْ هُوَ مَذْهَبُ غِيظِهِ ؟ فَكَذَلِكَ اسْتَعْجَلَهُ مِنْ اللَّهِ نَصْرَ مُحَمَّدٍ غَيْرَ مُقَدَّمِ نَصْرِهِ قَبْلَ حِينِهِ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي « مَا » الَّتِي فِي قَوْلِهِ ( مَا يَغِيظُ ) فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ : هِيَ بِمَعْنَى الَّذِي ، وَقَالَ : مَعْنَى الْكَلَامِ : هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ الَّذِي يَغِيظُهُ ، قَالَ : وَحَذَفْتَ الْهَاءَ لِأَنَّهَا صِلَةٌ الَّذِي ، لِأَنَّهُ إِذَا صَارَا جَمِيعًا اسْمًا وَاحِدًا ، كَانَ الْحَذْفُ أَحْفَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ هُوَ مُصَدَّرٌ ، لِأَحْجَاجِهِ إِلَى الْهَاءِ ، هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ غِيظُهُ .

وَقَوْلُهُ ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَكَمَا بَيَّنَّتْ لَكُمْ حُجَجِي عَلَى مَنْ جَحَدَ قَدَرْتِي عَلَى إِحْيَاءِ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ فَنَائِهِ ، فَأَوْضَحْتَهَا أَيُّهَا النَّاسُ ، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، يَعْنِي دَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ ، يَهْدِيْنَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ إِلَى الْحَقِّ ( وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَلِأَنَّ اللَّهَ يُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ وَلِسَبِيلِ الْحَقِّ مَنْ أَرَادَ ، أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَأَنَّ : فِي مَوْضِعِ نَصْبِ .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، إِنَّ  
اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)

يقول تعالى ذكره : إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف ، والذين أشركوا بالله ، فعبدوا الأوثان والأصنام ، والذين هادوا ، وهم اليهود . والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها ، وبين الذين آمنوا بالله ورسله : إلى الله ؛ وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء ، وفصله بينهم : إدخاله النار الأحزاب كلهم ، والجنة المؤمنين به ورسله ، فذلك هو الفصل من الله بينهم .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) قال : الصابئون : قوم يعبدون الملائكة ، ويصلئون القبلة ، ويقرءون الزبور . والمجوس : يعبدون الشمس والقمر والنيران . والذين أشركوا : يعبدون الأوثان . والأديان ستة : خمسة للشيطان ، وواحد للرحمن . وأدخلت « إن » في خبر « إن » الأولى لما ذكرت من المعنى ، وأن الكلام بمعنى الجزاء ، كأنه قيل : من كان على دين من هذه الأديان ، ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله ، والعرب تدخل أحيانا في خبر « إن » ، إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره ، فتقول : إن عبد الله إن الخير عنده لكثير ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلَهُ سِرْبَالَ مِثْلِكَ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

وكان الفراء يقول : من قال هذا لم يقل : إنك إنك قائم ، ولا إن إياك إنه قائم ، لأن الاسمين قد اختلفا ، فحسن رفض الأول ، وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ ، فحسن للاختلاف ، وقبح للاتفاق .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) يقول : إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوي ص ٥٢٧) وهو من قصيدة يمدح بها بعض بني مروان . وفي روايته : « يَكْفَى » في موضع « إن » الأولى ، وترجي ، في موضع ترجى . قال شارح شواهد الكشاف : خاتم الشيء : عاقبته . وترجي أي تساق خواتيم الإنارة ، والخاتم يفتح التاء وكسرهما ، يقال أُرْجيت الإبل أي سقتها . والبيت شاهد عند قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ ... إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ) : أدخلت إن على كل واحد من جزأى الجملة ، لزيادة التأكيد . وحسن دخول إن الثانية على الجملة الواقعة خبرا ، طول الفصل بينهما بالمعاطيف . والمؤلف ساق البيت شاهدا على أنه نظير ما في الآية من دخول إن الثانية على جملة الخبر إذا كان فيه ضمير . ويجوز في البيت وجه آخر ، وهو أن تكون جملة إن الله سر به سر بال ملك ، جملة معترضة بين اسم إن وخبرها ، ولا يجوز ذلك في الآية . قاله أبو حيان ، ونقله عنه شارح شواهد الكشاف . هـ . والسر بال : التميمي والدرع . والمراد هنا الأول .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ  
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بقلبك ، فتعلم أن الله يسجد له من  
في السموات من الملائكة ، ومن في الأرض من الخلق من الجن ، وغيرهم ، والشمس والقمر والنجوم  
في السماء ، والجبال ، والشجر ، والدواب في الأرض ، وسجد ذلك ظلالة حين تطلع عليه الشمس ، وحين  
ترول ، إذا تحول ظل كل شيء فهو يسجده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ  
تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ  
وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ) قال : ظلالة هذا كله .

وأما يسجد الشمس والقمر والنجوم ، فإنه كما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن  
جعفر ، قالوا : ثنا عوف ، قال : سمعت أبا العالية الرياحي يقول : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع  
لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين ، وزاد محمد حتى يرجع إلى مطلعته .  
وقوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) يقول : ويسجد كثير من بني آدم ، وهم المؤمنون بالله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ مِّنَ  
النَّاسِ ) قال : المؤمنون . وقوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يقول تعالى ذكره : وكثير من بني آدم  
حق عليه عذاب الله ، فوجب عليه بكثره به ، وهو مع ذلك يسجد لله ظله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ  
حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وهو يسجد مع ظله ، فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد ، وقع قوله  
( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) بالعطف على قوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) ويكون داخلا في عداد من  
وصفه الله بالسجود له ، ويكون قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) من صلة كثير ، ولو كان الكثير الثاني  
ممن لم يدخل في عداد من وصف بالسجود ، كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ )  
وكان معنى الكلام حينئذ : وكثير أبي السجود ، لأن قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يدل على معصية الله  
وإبائه السجود ، فاستحق بذلك العذاب .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : ومن يهينه الله من خلقه فيشقيه ( فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ) بالسعادة يسعده بها ، لأن



الأمر وكلها بيد الله ، يوفّق من يشاء لطاعته ، ويخذل من يشاء ، ويشتقي من أراد ، ويسعد من أحب .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفعل ما يشاء من إهانة من أراد إهانته ، وإكرام من أراد كرامته ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، ( لَا يُسْتَسْتَلُّ سَمًا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَسْتَلُونَ ) . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه ( فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ ) بمعنى : فما له من إكرام ، وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

## القول في تأويل قوله تعالى

\* هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نَارٌ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُضْهِرُّ بِهِ مَاءٌ فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)

اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ، فقال بعضهم : أحد الفريقين : أهل الإيمان ، والفريق الآخر : عبدة الأوثان من مشركي قريش ، الذين تبارزوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم قسماً أن هذه الآية ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر : حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة بنى ربيعة والوليد بن عتبة ، قال : وقال عليّ : إني لأول ، أو من أول من يجئ للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم بالله قسماً : لنزلت هذه الآية في ستة من قريش : حمزة بن عبد المطلب ، وعليّ بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) . . . إلى آخر الآية ( إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ النَّدِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) .. إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، قال : نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء ابن يسار ، قال : نزلت هؤلاء الآيات ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) : في الذين تبارزوا يوم

بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . إلى قوله ( وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، قال : والله لأنزلت هذه الآية ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين خرج بعضهم إلى بعض يوم بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة رحمة الله عليهم ، وشيبة ، وعتبة ، والوليد بن عتبة .  
وقال آخرون : ممن قال : أحد الفريقين فريق الإيمان ، بل الفريق الآخر أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : هم أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله ، وأقدم منكم كتابا ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله ، آمننا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل الله من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ، ثم تركتموه وكفرتكم به حسدا ، وكان ذلك خصومتهم في ربهم .

وقال آخرون منهم : بل الفريق الآخر الكفار كلهم ، من أي ملة كانوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وأبي قزعة ، عن الحسين ، قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم : قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثل الكافر والمؤمن . قال ابن جريج : خصومتهم التي اختصموا في ربهم ، خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين ، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : كان عاصم والكلابي يقولان جميعا في ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل ، قال : جعل الشرك ملة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : مثل المؤمن والكافر اختصمهما في البعث .  
وقال آخرون : الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة

في ( هَذَا نِ حَصَّانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقتني الله لعقوبته ، وقالت الجنة : خلقتني الله لرحمته ، فقد قصَّ الله عليك من خبرهما ما تسمع .  
 وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عني بالخصمين : جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخر : أهل معصية له ، قد حقَّ عليه العذاب ، فقال ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ) ثم قال : ( وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما ، وما هو فاعل بهما ، فقال : فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار ، وقال الله ( إِنَّ اللَّهَ يَبْدُخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) فكان بيننا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيها روى عن أبي ذر في قوله ( إِنَّ ذَلِكَ ) نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ قيل : ذلك إن شاء الله كما روى عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، تم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب ، وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما ، في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما ، في أنه لأهل الشرك خصم .  
 فتأويل الكلام : هذان خصمان اختصموا في دين ربهم ، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ، ومحاربتة إياه على دينه .

وقوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) يقول تعالى ذكره : فأما الكافر بالله منهما فإنه يُقَطِّعُ له قميص من نحاس من نار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) قال : الكافر قُطِّعَتْ له ثياب من نار ، والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) قال : ثياب من نحاس ، وليس شيء من الآنية أحمر وأشدَّ حرًا منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكفار قطعتم لهم ثياب من نار ، والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الأنهار . وقوله ( يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ) يقول : يصب على رؤوسهم ماء مغلي .

كما حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن

زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، فَيَنْفُذُ الجُمُجُمَةَ ، حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ ، وَهِيَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » .

حدثني محمد بن المنثي ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله ، إلا أنه قال : « فَيَنْفُذُ الجُمُجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ » .

وكان بعضهم يزعم أن قوله ( وَكَلِمٌ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ ) من المؤخر الذي معناه التقديم ، ويقول : وجه الكلام : فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، ولهم مقامع من حديد ، يصب من فوق رؤوسهم الحميم ، ويقول : وإنما وجب أن يكون ذلك كذلك ، لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد ، حتى يثقب رأسه ، ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره ، فيقطع بطنه . والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا ، يدل على خلاف ما قل هذا القائل ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم إذا صب على رؤوسهم نفذ الجمجمة ، حتى يخلص إلى أجوافهم ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ، ولو كانت المقامع قد تثقب رؤوسهم قبل صب الحميم عليها ، لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الحَمِيمَ يَنْفُذُ الجُمُجُمَةَ » معنى : ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل .

وقوله ( يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول : يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ، ما في بطونهم من الشحوم ، وتشتوي جلودهم منه فتساقط ، والصحير : هو الإذابة ، يقال منه : صهرت الألية بالنار : إذا أذبتها ، أصهرها صهرا ، ومنه قول الشاعر :

تَرَوِي لَقَمِي أَلْتَمِي فِي صَفْصَفِ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ وَلَا يَتَّصِرُ

ومنه قول الراجز : شَكَ السَّفَايِدِ الشَّوَاءَ الْمُصْطَهَرُ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يُصْهَرُ بِهِ ) قال : يذاب إذابة .

(١) يسلت في جوفه من باب نصر : أي يقطعه ويستأصله .

(٢) البيت لابن أحرر يصف فرخ قطة (السان: صهر) قال: وصهرته الشمس تصهره صهرا ، وصهرته : اشتد وقعها عليه وحرها ، حتى ألم دماغه ، وانصهر هو ، قال ابن أحرر يصف فرخ قطة ... البيت : أي تذيبه الشمس ، فيصير على ذلك . وتروى تسوق إليه الماء ، أي تصير له كالراوية ؛ يقال : رويت أهل وعليهم ربا: أتيتهم بالماء . والصحير : إذابة الشحم ، صهر الشحم يصهره صهرا : أذابه . وفي التنزيل : ( يصهر به ما في بطونهم والجلود ) أي يذاب . واصطهره : أذابه وأكله . اهـ . واللق : كل شيء مطروح متروك كالقطة . والصفصيف : أرض ملساء مستوية ، كما في اللسان . اهـ .

(٣) البيت للعجاج بن ربيعة الراجز المشهور (السان : صهر) قال : الأزهرى : الصهر إذابة الشحم ، والصحارة : ما ذاب منه . وكذلك الاصطهار في إذابة ، أو أكل صهارته . وقال العجاج : ( شك السفانيد . . . البيت ) . والبيت شاهد مثل الذي قبله ، على أن الصهر معناه الإذابة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج ( يُصْهَرُ بِهِ ) : قال : ما قطع لهم من العذاب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ) : قال : يُدَابُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقُتِلُوا ) . . . إلى قوله ( يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول : يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها ، والجلود مع البطون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : هارون : إذا عام أهل النار ، وقال جعفر : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فيأكلون منها ، فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً مرّ بهم يعرفهم ، يعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش ، فيستغيثوا ، فيغاثوا بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حرّه ، فإذا أدنوه من أفواههم ، انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ( وَيُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ) يعني أمعاءهم ، وتساقط جلودهم ، ثم يشربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو على حاله ، يدعون بالويل والثبور . وقوله ( وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ) تضرب رءوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار ، حتى ترجعهم إليها . وقوله ( كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ) يقول : كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار ، مما نالهم من الغم والكرب ، رُدُّوا إليها .

كما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء لها ولا جمرها ، ثم قرأ ( كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ) وقد ذكروا أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم ، فتلقى من فيها إلى أعلى أبوابها ، فيريدون الخروج ، فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ، ويقولون لهم : إذا ضربوهم بالمقامع : ( ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) . وعنى بقوله ( ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) ويقال لهم : ذوقوا عذاب النار ، وقيل عذاب الحريق والمعنى : المحرق ، كما قيل : العذاب الأليم ، بمعنى : المؤلم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين آمنوا بالله ورسوله ، فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال ، فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، فيحلبهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَلَوْلُؤُا ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا ، مع التي في الملائكة ، بمعنى : يخلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا ، عطفا باللؤلؤ على موضع الأساور ، لأن الأساور وإن كانت منخفضة من أجل دخول من فيها ، فإنها بمعنى النصب ، قالوا : وهي تعد في خط المصحف بالألف ، فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه . وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصريين ( وَلَوْلُؤُا ) خفضا ، عطفا على إعراب الأساور الظاهر .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في وجه إثبات الألف فيه ، فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه يقول : أثبتت فيه كما أثبتت في قالوا ، وكألوا . وكان الكسائي يقول : أثبتوها فيه للهمزة ، لأن الهمزة حرف من الحروف .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متفتتا المعنى ، صحیحتا المخرّج في العربية ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله ( وَكَلِيبًا سُهْمًا فِيهَا حَرِيرٌ ) يقول : ولبوسهم التي تلى أبقارهم فيها ثياب حرير . وقوله ( وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) يقول تعالى ذكره : وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : هدوا إلى الكلام الطيب : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ؛ قال الله ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : ألهموا . وقوله ( وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) يقول جل ثناؤه : وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد ، وطريقه : دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه ، وأمرهم أن يسلكوه ؛ والحميد : فعيل ، صرف من مفعول إليه ، ومعناه : أنه محمود عند أوليائه من خلقه ، ثم صرف من محمود إلى حميد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً  
الْمُكِيفِ فِيهِ وَالْبَاءِ ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ آئِمٍ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ، ويصدون عن سبيل الله : يمتنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه ، وعن المسجد الحرام

الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة، لم يخصص منها بعضا دون بعض. (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) : يقول : معتدل في الواجب عليه ، من تعظيم حرمة المسجد الحرام ، وقضاء نُسُكِهِ به ، والنزول فيه ، حيث شاء العاكف فيه ، وهو المقيم به ؛ والباد : وهو المنتاب إليه من غيره .  
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سواء العاكف فيه ، وهو المقيم فيه ؛ والباد ، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن سابط ، قال : كان الحجاج إذا قدموا مكة ، لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم ، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل ، ففشا فيهم السرقة ، وكل إنسان يسرق من ناحيته ، فاصطنع رجل بابا ، فأرسل إليه عمر : أتخذت بابا من حجاج بيت الله ؟ فقال : لا ، إنما جعلته ليحزير متاعهم ، وهو قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : الباد فيه كالمقيم ، ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد ، إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، قال : قلت لسعيد ابن جبير : أعتكف بمكة ؟ قال : أنت عاكف ، وقرأ (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) العاكف : أهله ، والباد : المنتاب في المنزل ، سواء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) يقول : ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ؛ والباد : الذي يأتيه ، هم فيه سواء في البيوت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) سواء فيه أهله وغير أهله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء .

وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ) قال : الساكن ، والباد : الجانب ، سواء حقّ الله عليهما فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قال : الساكن ( والباد ) : الجانب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعطاء ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قالوا من أهله ، والباد : الذين يأتونه من غير أهله ، هما في حرمة سواء .

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، لأن الله تعالى ذكره ، ذكر في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم ، عن المسجد الحرام ، فقال ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام ، فقال ( الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ) فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم ، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه . ثم قال ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد ، إنما هو في المعنى الذي ابتداء الله الخبر عن الكفار أنهم صدوا عنه المؤمنين به ، وذلك لاشك طوافهم ، وقضاء مناسكهم به والمقام ، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم . وقيل ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) فعطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا ، وهو ماض ، لأن الصد بمعنى الصفة لهم والدوام . وإذا كان ذلك معنى الكلام : لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال ، ولا يكون بلفظ الماضي . وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : إن الذين كفروا من صفتهم الصد عن سبيل الله ، وذلك نظير قول الله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) . وأما قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) فإنه قرأه الأمصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به ، وإعمال جعلناه في الهاء المتصلة به ، واللام التي في قوله للناس ، ثم استأنف الكلام بسواء ، وكذلك تفعل العرب بسواء ، إذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به ، فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشر ، وقد يجوز في ذلك الخفض : وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم ، فكأنهم قالوا : مررت برجل واحد عنده الخير والشر . وأما من خفضه ، فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشر ، ومن قال ذلك في سواء ، فاستأنف به ورفع ، لم يقله في معتدل ، لأن معتدل فعل مصرّح ، وسواء مصدر ، فأخراجهم إياه إلى الفعل كإخراجهم حسب في قولهم : مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل . وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه سواء نصبا على إعمال جعلناه فيه ، وذلك وإن كان له وجه في العربية ، فقراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

وقوله ( وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : ومن يرد فيه إلحادا بظلم ، نذقه من عذاب أليم ، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم . وأدخلت الباء في قوله بإلحاد ، والمعنى فيه ما قلت ، كما أدخلت في قوله تذبذب بالدهن ، والمعنى : تذبذب الدهن ، كما قال الشاعر :

بِوَادِ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ  
وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَّهَانِ

(١) البيت للأحول الشكري ، واسمه يعلى ، قاله في (اللسان : شبه) نقله عن أبي عبيدة . وقد مر هذا الشاهد على مثل ما استشده به المؤلف هنا ، عند قوله تعالى « وهزى إليك بجدع النخلة » (١٦ : ٧٢) ووفينا الكلام في رواياته وتخريجه ، فراجعه ثمة .



والمعنى : وأسفله يُنْتَبِت المَرْخ والشبهان ؛ وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

ضَمِنْتَ بَرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا بَيْنَ المَرَّاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدِ<sup>١</sup>

بمعنى : ضمنت رزق عيالنا أرماحنا في قول بعض نحوبي البصريين . وأما بعض نحوبي الكوفيين فإنه كان يقول : أدخلت الباء فيه ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم . وكان يقول : دخول الباء في أن أسهل منه في الإلحاد ، وما أشبهه ، لأن أن تُضَمَّر الخواضض معها كثيرا ، وتكون كالشروط ، فاحتملت دخول الخافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقال في المصادر : يتبين الرفع والخفض فيها ، قال : وأنشدني أبو الجراح :

فَلَمَّا رَجَتِ بالشَّرْبِ هَزَّ لَهَا العَصَا شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الأَدَاءِ تَهِيمٌ<sup>٢</sup>

وقال امرؤ القيس :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بَأَنَّ امْرَأَ القَيْسِ بِنَ تَمَلِكِ بَيْتِهَا<sup>٣</sup>

(١) هذا البيت ينسب لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، ولم أجد في ديوانه قصيدة دالية مكسورة من بحر الكامل ، ووجدت البيت في دالية منصوبة باختلاف في روايته وهذا هو البيت مع البيتين قبله :

جَعَلَ الإِلَهَ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنَ يَنْفَدَا  
مِثْلَ الهِضَابِ جَزَارَةً لَسِيُوفِنَا فإِذَا تَرَاعُ فَلَمَّهَا لَنَ تُطْرَدَا  
ضَمِنْتَ لَنَا أَعْجَازَهُنَّ قَدُورَنَا وَضُرُوعَهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الأَجْرَدَا

ومعنى الأبيات : جعل الله طعامنا في الإبل ، نرحلها حيث نشاء رزقا لا ينفد . وهي ضخمة كالهضاب نقرها بسيوفنا للضيغان ، لا يطردها مروع أو مفير ، وقد ضمنت أعجازها لنا قدورنا أن تفرغ ، لسمها وكثرة لحمها ، وضمنت ضروعها لنا اللبن خالصا صافيا . (انظر الديوان طبع القاهرة ص ٢٣٠ بشرح الدكتور محمد حسين) . وفي اللسان رواية أخرى للبيت ، مع نسبه للأعشى ( في : جرد ) قال : ألبن وجرود لا رغبة له ، قال الأعشى :

ضَمِنْتَ لَنَا أَعْجَازَهُ أَرْمَاحُنَا مِثْلَ المَرَّاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدَا

وعلى هاتين الروايتين لاشاهد في البيت ؛ لأن المؤلف إنما ساقه شاهدا على زيادة الباء في قوله « برزق » ولا بقاء زائدة في هاتين الروايتين . وقد جعل الباء في قوله ( برزق ) نظير الباء التي في الآية « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » أي على تقدير « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » .

(٢) هذا البيت من شواهد الفراء تلميذ الكسائي وهما زعما نخاعة أهل الكوفة ، وهو ما أنشده إياه أبو الجراح أحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم اللغة ( انظره في معاني القرآن للفراء ، الورقة ١٠ من مصورة الجامعة ) . والنهم كما في ( اللسان : نهم ) : صوت كأنه زحير . وقيل صوت فوق الزئير . والنهم صوت وتوعد وزجر . والضمير في لها : لعله راجع إلى الإبل التي أرادت الشرب ، حتى إذا كادت تبلغ الماء ، هزها العصا ، وردها عنه ، رجل له صوت شديد منكر . والشاهد في البيت أن الباء الزائدة في قوله ( بالشرب داخله ) على مصدر صريح ، وأن الفراء يرى أن دخولها على المصدر المؤول بأن أو بما والفعل ، أحسن من دخولها على المصدر الصريح قال الفراء : قوله « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » دخلت الباء في الإلحاد ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم ، ودخول الباء في « أن » أسهل منه في الإلحاد ، وما أشبهه ، لأن « أن » تضم الحروف معها كثيرا ( يريد حروف الخفض ) فاحتملت دخول الخافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقل في المصادر « ( أي الصريحة ) لتبين الخفض والرفع فيها ؛ أنشدني أبو الجراح : « فلما رجعت بالشرب هز لها العصا » . . . البيت .

(٣) البيت لامرئ القيس بن حجر ( العقد الثمين لألورد ص ١٣٠ ) وليس في روايته الأعلام الشنمري لديوان امرئ القيس . والبيت شاهد كالذي قبله على أن الباء في قوله ( بأن ) زائدة في المصدر المؤول المرفوع ، وهي أحسن منها في المصدر الصريح ، خلفاء الإعراب معها . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، ساقه مع الشاهد الذي قبله ( انظر معاني القرآن للفراء ، الورقة ٣١٠ ) قال : أدخل الباء على ( أن ) هو في موضع رفع كما أدخلها على الإلحاد بظلم ، وهو في موضع نصب .

قال : فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع ، كما أدخلها على إلحاد ، وهو في موضع نصب ، قال : وقد أدخلوا الباء على ما ، إذا أرادوا بها المصدر ، كما قال الشاعر :

أَمْ يَا أَيَّتِيكَمُ وَالْأَنْبِيَاءُ تَسْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ

وقال : وهو في « ما » أقل منه في « أن » ، لأن أن أقل شها بالأسماء من « ما » . قال : وسمعت أعرابيا من ربيعة ، وسألته عن شيء ، فقال : أرجو بذلك : يريد أرجو ذلك .

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام ، أذاقه الله من العذاب الأليم ، فقال بعضهم : ذلك هو الشرك بالله ، وعبادة غيره به : أي بالبيت .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) يقول : بشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) هو أن يعبد فيه غير الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) قال : هو الشرك ، من أشرك في بيت الله عذبه الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) : يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) قال : يعمل فيه عملا سيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأودبي قالا : ثنا الحارثي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن مرة

(١) البيت لقيس بن زهير العبسي كما في (النوادر لأبي زيد الأنصاري ص ٢٠٣) ولم تحذف الياء في قوله (يأتيك) للجزم ، للضرورة . والبيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ٣١٠) على أنهم قد يدخلون الحرف الزائد على المصدر المؤول بما وما بعدها . قال : وقد أدخلوها على (ما) إذا أرادوا المصدر (يعني الباء) وقال قيس بن زهير : « أم يأتيك . . . البيت » وهو فيها أقل منه في (أن) ، لأن (أن) أقل شها بالأسماء من (ما) . وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شيء ، فقال : أرجو بذلك ، يريد : أرجو ذلك .

عن عبد الله ، قال : ما من رجل بهمّ بسينة فتكتب عليه ، ولو أن رجلا بعدن أبين همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت ، لأذاقه الله من العذاب الأليم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة ، عن السديّ ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال مجاهد ، قال يزيد ، قال لنا شعبة ، رفعه ، وأنا لأرفعه لك في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقَهُ مِنْ عَدَابِ الْيَمِّ ) قال : لو أن رجلا همّ فيه بسينة وهو بعدن أبين ، لأذاقه الله عذابا أليما حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : إن الرجل ليهمّ بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها ، فتكتب عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقَهُ مِنْ عَدَابِ الْيَمِّ ) قال : الإلحاد : الظلم في الحرم . وقال آخرون : بل معنى ذلك الظلم : استحلال الحرم متعمدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : الذي يريد استحلاله متعمدا ، ويقال الشرك . وقال آخرون : بل ذلك احتكار الطعام بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الخاربيّ ، عن أشعث ، عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقَهُ مِنْ عَدَابِ الْيَمِّ ) قال : هم المختكرون الطعام بمكة .

وقال آخرون : بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل ، حتى قول القائل : لا والله ، وبلى والله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحلّ ، والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحلّ ، فسئل عن ذلك ، فقال : كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله . وبلى والله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي ربيعي ، عن الأعمش ، قال : كان عبد الله بن عمرو يقول لا والله ، وبلى والله : من الإلحاد فيه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معنى بالظلم في هذا الموضع ، كلّ معصية لله ، وذلك أن الله عمّ بقوله ( وَمَنْ )

يُرَدُّ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَنُّهُمْ) ولم يخص به ظلماً دون ظلم ، في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ومن يرد في المسجد الحرام ، بأن يميل بظلم ، فيعصى الله فيه ، نذقه يوم القيامة من عذاب مَوْجِعٍ له . وقد ذُكِرَ عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَنْ يَرُدُّ فِيهِ ) بفتح الياء ، بمعنى : ومن يردّه بإلحاد ، من وردت المكان أَرَدَهُ . وذلك قراءة لا تحوز القراءة عندي ، بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة ، مع بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن يَرُدُّ فعل واقع ، يقال منه : هو يَرُدُّ مكان كذا ، أو بلدة كذا غدا ، ولا يقال : يَرُدُّ في مكان كذا . وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب ، أن طَبِيشًا تقول : رغبت فيك ، تريد : رغبت بك ، وذكر أن بعضهم أنشد بيتا :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقَيْطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكَيْنِي عَنْ سِنْبِيسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

بمعنى : وأرغب بها ، فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا ، فإنه يجوز في الكلام ، فأما القراءة به فغير جائزة ، لما وصفت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مُعَلِّمَهُ عَظِيمٍ ما ركب من قومه قريش خاصة ، دون غيرهم من سائر خلقه ، بعبادتهم في حرمه ، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببناؤه وتطهيره من الآفات والرِّيب والشرك ، واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري ، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم ، يعني بقوله : بوأنا : وطأنا له مكان البيت .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر بن قَتَادَةَ ، قوله ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) قال : وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه في السماء ، ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعا ، وإن آدم لما فقَدَ أصوات الملائكة وتسييحهم ، شكَا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إني قد أهبطت لك بيتا يُطَافُ به كما يُطَافُ حول عرشي ، ويُصَلَّى عنده كما يصلى حول عرشي ، فانطلق إليه ، فخرج إليه ، ومدَّ له في خطوه ، فكان بين كل خطوتين مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز على ذلك ، حتى أتى آدم البيت ، فطاف به ومن بعده من الأنبياء .

(١) البيت سبق الاستشهاد به على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، في ( ١٣ : ١٨٩ ) وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، الورقة ١٦١ ، والورقة ٣١٠ من مصورة الجامعة (عل أن من العرب من يجعل ( في ) في موضع الباء ، فيقول أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة . قال الفراء في ( ص ٣١٠ ) : وقد يجوز في لغة الطائيين : لأنهم يقولون : رغبت فيك ، يريدون : رغبت بك . أنشدني بعضهم : « وأرغب فيها عن لقيط » . البيت . يعني بنته . هـ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن تطهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول ، لا يدريان أين البيت ، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الحججوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يخفران ، حتى وضع الأساس ، فذلك حين يقول ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) ويعني بالبيت : الكعبة ( أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ) في عبادتك إياي ( وَطَهَّرَ بَيْتِي ) الذي بنيته من عبادة الأوثان .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَطَهَّرَ بَيْتِي ) قال : من الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، قال : من الآفات والرَّيب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( طَهَّرَا بَيْتِي ) قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

وقوله ( لِلطَّائِفِينَ ) يعنى للطائفين به ، والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء ، في قوله ( وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ) قال : القائمون في الصلاة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، والقائمين : قال : القائمون : المصلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ) قال : القائم والراكع والساجد : هو المصلي . والطائف : هو الذي يطوف به . وقوله ( وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ) يقول : والركع السجود في صلاتهم حول البيت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)  
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَسَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ ، وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : عهدنا إليه أيضا أن أذن في الناس بالحج : يعنى بقوله ( وَأَذِّنْ ) أعلم وناد

في الناس: أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام (يَا تَوَكَّرِجَالاً) يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجة مشاة على أرجلهم (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) يقول: وركبانا على كل ضامر، وهي الإبل المهازيل: (يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فج عميق: يقول: من كل طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: يأتين، فجمع، لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكل: الجمع، فلذلك قيل: يأتين. وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كل رجُلٍ قائمٍين. قال: وهو صواب، وقول الله (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ) ينبي عن صحة جوازه. وذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا بيته العتيق.

وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك.

فقال بعضهم: نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له (أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلى البلاغ، فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا» قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يبحثون من أقصى الأرض يلبون.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتنا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء، من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء، لبنيك اللهم لبنيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة، لبنيك اللهم لبنيك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكَّرِجَالاً) قال: وقمرت في قلب كل ذكر وأنتي.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتنا فحجوه، فلم يسمعه يومئذ من إنس، ولا جن، ولا شجر، ولا أكمة، ولا تراب، ولا جبل، ولا ماء، ولا شيء، إلا قال: لبنيك اللهم لبنيك.

قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قام إبراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال : قام إبراهيم على مقامه ، فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، فقالوا : لبئسك اللهم لبئسك ، فمن حجّ اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة بن خالد المخزومي ، قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت ، قام على المقام ، فنادى نداء سمعه أهل الأرض : إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه . قال داود : فأرجو من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، قال : قال ابن عباس : هل تدري كيف كانت التلبية ؟ قلت : وكيف كانت التلبية ، قال : إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحجّ ، خفضت له الجبال رهوسها ، ورُفِعَت القُرى ، فأذن في الناس . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال إبراهيم : كيف أقول يا ربّ ؟ قال : قل : يا أيها الناس استجيبوا لربكم ، قال : وقُرت في قلب كل مؤمن .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحجّ ، قال : يا ربّ كيف أقول ؟ قال : قل لبئسك اللهم لبئسك . قال : فكانت أول التلبية .

وكان ابن عباس يقول : عني بالناس في هذا الموضع : أهل القبلة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) يعني بالناس : أهل القبلة ، ألم تسمع أنه قال : ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْتِكُمْ مَبَارَكًا ) . . . إلى قوله ( وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ) يقول : ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم ، وكتب عليهم الحجّ ، فإنه آمن ، فعظّموا حرّمات الله تعالى ، فإنها من تقوى القلوب .

وأما قوله ( يَا تُوكَّ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ( يَا تُوكَّ رِجَالًا ) قال : مشاة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة ، قال : قال ابن عباس : ما أمسى على شيء فأتني ، إلا أن لا أكون حججت ماشيا ، سمعت الله يقول ( يَا تُوكَّ رِجَالًا ) .

(١) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة في الأصل ، ولعل أصلها : فأرجو أن كل من حج اليوم ، فمجه من إجابة إبراهيم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : حجَّ إبراهيم وإسماعيل ماشيين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ( يَا تُنُوكَ رِجَالًا ) قال : على أرجلهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المخاربي ، عن عمر بن ذر ، قال : قال مجاهد : كانوا لا يركبون ، فأَنْزَلَ اللهُ ( يَا تُنُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : فأمرهم بالزاد ، ورخص لهم في الركوب والمتجر .

وقوله ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) يعني : من مكان بعيد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : بعيد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : مكان بعيد . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

وقوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هي التجارة ومنافع الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : هي الأسواق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر بن الحكم ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : تجارة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزين ، في قوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : أسواقهم .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق عن سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن واقد ، عن سعيد ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سنان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأسواق .

وقال آخرون : هي الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، وسوار بن عبد الله ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة ، وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا سفيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل هي العفو والمغفرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : العفو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال محمد بن علي : مغفرة .

وأولى الأقوال بالصواب ، قول من قال : عني بذلك : ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضى الله ، والتجارة ، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم ، ويأتي له مكة أيام الموسم ، من منافع الدنيا والآخرة ، ولم يخص من ذلك شيئا من منافعهم بخير ولا عقل ، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت .

وقوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يقول

تعالى ذكره : وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدن التي أهدوها ، من الإبل والبقر والغنم ، في أيام معلومات ، وهن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل . وفي قول بعضهم أيام العشر . وفي قول

بعضهم يوم النحر وأيام التشريق .

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات . وبيننا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، غير أني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله ( أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق ، ( عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يعني البدن .  
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) قال : أيام العشر ، والمعدودات : أيام التشريق .

وقوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) يقول : كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرت اسم الله عليها أيها الناس هنالك : وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر لإباحة ، لا أمر لإيجاب ، وذلك أنه لاخلاف بين جميع الحجج ، أن ذابح هديه أو بدنته هنالك ، إن لم يأكل من هديه أو بدنته ، أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه ، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا البائس الفقير ) قال : كان لا يرى الأكل منها واجبا .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، أنه قال : هي رخصة : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، وهي كقوله ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ) يعني قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا القانع والمعسر ) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكلها ، وإن شاء لم يأكل .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : إنما هي رخصة .

وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يقول : وأطعموا مما تذبجون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام ، من هديكم وبدنكم البائس ، وهو الذي به ضرر الجوع والزمانة والحاجة . والفقير : الذي لا شيء له .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا البائس الفقير ) يعني : الزمين الفقير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن مجاهد ( البائيسَ الفقيرَ ) :  
الذي يمد إليك يديه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( البائيسَ الفقيرَ ) قال :  
هو القانع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء ،  
عن عكرمة ، قال : البائيسَ : المضطر الذي عليه البؤس ، والفقير : المتعفف .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( البائيسَ ) الذي يبسط  
يديه . وقوله ( **لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) يقول : تعالى ذكره : **ثُمَّ لِيَقْتَضُوا مَا عَلَيْهِمْ** من مناسك حجهم :  
من حلق شعر ، وأخذ شارب ، ورمى بجمرة ، وطواف بالبيت .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثني يزيد ، قال : أخبرنا الأشعث بن سوار ، عن نافع ، عن ابن  
عمر ، أنه قال ( **لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : ما هم عليه في الحج .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثني الأشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :  
التفث : المناسك كلها .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أنه قال ، في قوله ( **لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** )  
لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ ) قال : التفث : حلق الرأس ، وأخذ من الشاربين ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ،  
وقص الأظفار ، والأخذ من العارضين ، ورمى الجمار ، والموقف بعرفة والمزدلفة .

حدثنا حميد ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا خالد ، عن عكرمة ، قال : التفث : الشعر والظفر .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن خالد ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه  
كان يقول في هذه الآية ( **لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) : رمى الجمار ، وذبح الذبيحة ، وأخذ من الشاربين  
واللحية والأظفار ، والطواف بالبيت وبالصفاء والمروة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد أنه قال  
في هذه الآية ( **لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : هو حلق الرأس ، وذكر أشياء من الحج ، قال شعبة :  
لا أحفظها .

قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) قال : حلق الرأس ، وحلق العانة ، وقصّ الأظفار ، وقصّ الشارب ، ورمى الجمار ، وقصّ اللحية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . إلا أنه لم يقل في حديثه : وقصّ اللحية .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المخاربي ، قال : سمعت رجلا يسأل ابن جريج ، عن قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) قال : الأخذ من اللحية ، ومن الشارب ، وتقليم الأظفار ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ، ورمى الجمار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن الحسن ، وأخبرنا جوير ، عن الضحاك أنهما قالا : حلق الرأس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) يعني : حلق الرأس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : التفت : حلق الرأس ، وتقليم الظفر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) يقول : نسكهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) قال : التفت : حرّمهم .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَشَّهُمْ** ) قال : يعني بالتفت : وضع إحرامهم ، من حلق الرأس ، ولبس الثياب ، وقصّ الأظفار ، ونحو ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، قال : التفت : حلق الشعر ، وقصّ الأظفار ، والأخذ من الشارب ، وحلق العانة ، وأمر الحجّ كله .

وقوله ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) يقول : وليوفوا الله بما نذروا من هدى وبدنة وغير ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) نذر ما نذروا من البدن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) نذر الحجّ والهكدي ، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحجّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ ) قال : نذر الحج والهدى ، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج .  
وقوله ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يقول : وليطوفوا ببيت الله الحرام .  
واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( الْعَتِيقِ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : قيل ذلك لبيت الله الحرام ، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : أن ابن الزبير ، قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبابرة .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن الزبير ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي العتيق ، لأنه أعتق من الجبابرة .  
قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتق من الجبابرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتقه الله من الجبابرة ، يعني الكعبة .

وقال آخرون : قيل له عتيق ، لأنه لم يملكه أحد من الناس .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأنه ليس لأحد فيه شيء .  
وقال آخرون : سمي بذلك لقدمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : العتيق : القديم ، لأنه قديم ، كما يقال : السيف العتيق ، لأنه أول بيت وُضِعَ للناس ، بناه آدم ، وهو أول من بناه ، ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق ، فبناه إبراهيم وإسماعيل .  
قال أبو جعفر : ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) وجه صحيح ، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر ، غير أن الذي روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمْ نَمَّا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنْ الْجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحًا» .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال الزهري : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لَمْ نَمَّا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ» ، ثم ذكر مثله .  
وعنى بالطراف الذى أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به فى هذه الآية طواف الإفاضة الذى يُطاف به بعد التعريف ، إما يوم النحر ، وإما بعده ، لا خلاف بين أهل التأويل فى ذلك .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك

حدثنا عمرو بن سعيد القرشى ، قال : ثنا الأنصارى ، عن أشعث ، عن الحسن ( وَلَيَسْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف الزيارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد ، قال : ثنا الأشعث ، أن الحسن قال فى قوله ( وَلَيَسْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : الطواف الواجب .

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَيَسْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعنى : زيارة البيت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج وعبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله ( وَلَيَسْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف يوم النحر .

حدثنى أبو عبد الرحمن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سألت زهيراً عن قول الله : ( وَلَيَسْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف الوداع .

واختلف القراء فى قراءة هذه الحروف ، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفْتَهُهُمْ ، وَلَيُؤْفُوا نَدْوَرَهُمْ ، وَلَيَسْطَوْفُوا ) بتسكين اللام فى كل ذلك طلب التخفيف ، كما فعلوا فى هو إذا كانت قبلها واو ، فقالوا ( وَهَوَّ عَلِيمٌ بِيذَاتِ الصُّدُورِ ) فسكَّنوا الهاء ، وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة ، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ( ثُمَّ لَيَقْضُوا ) خاصة من أجل أن الوقوف على ثُمَّ دون ليقضوا حسن ، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء ، وهذا الذى اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس ، غير أن أكثر القراء على تسكينها .

وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك عندى : أن التسكين فى لام « لَيَقْضُوا » والكسر : قراءتان مشهورتان ، ولغتان سائرتان ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب الصواب ، غير أن الكسر فيها خاصة أقيس ، لما ذكرنا لأبى عمرو من العلة ، لأن من قرأ ( وَهَوَّ عَلِيمٌ بِيذَاتِ الصُّدُورِ ) فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ، وبحركتها فى قوله ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) ، فذلك الواجب عليه أن يفعل فى قوله ( ثُمَّ

لِيَتَقَضُوا تَفَشَهُمْ) فيحرك اللام إلى الكسر مع «ثم» ، وإن سكنتها في قوله (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري، تحريكها مع «ثم» والواو ، وهي لغة مشهورة ، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها ، وهي أشهر اللغتين في العرب وأصحها ، فالقراءة بها أعجب إلى من كسرهما .

## القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا بَلَغَتْكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَاحْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

يعني تعالى ذكره بقوله (ذلك) : هذا الذي أمر به من قضاء النفث ، والوفاء بالنذور ، والطواف بالبيت العتيق : هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم (وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) يقول : ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه ، تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها ، وحرمة أن يستحلها ، فهو خير له عند ربه في الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ) قال : الحرمات : مكة والحج والعمرة ، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ) قال : الحرمات : المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، هؤلاء الحرمات : وقوله (وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) يقول جل ثناؤه : وأحل لكم أيها الناس الأنعام ، أن تأكلوها إذا ذكيتموها ، فلم يحرم عليكم منها بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حاما ، ولا ما جعلتموه منها لآهنتكم . (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) يقول : إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله ، وذلك : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب ، فإن ذلك كله رجس .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) قال : إلا الميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) يقول : فاتقوا عبادة الأوثان ، وطاعة الشيطان في عبادتها

فلما رجس :

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا طاعة الشيطان ، فى عبادة الأوثان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله ( الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) قال : عبادة الأوثان .

وقوله ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) يقول تعالى ذكره : واتقوا قول الكذب والفرية على الله ، بقولكم فى الآلهة ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) وقولكم للملائكة : هى بنات الله ، ونحو ذلك من القول ، فإن ذلك كذب وزور ، وشرك بالله .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : قول الزور ، قال : الكذب . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ، حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ) يعنى : الافتراء على الله والتكذيب . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، عن عبد الله ، قال : تُعَدَّلُ شهادة الزور بالشرك ، وقرأ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، قال : عدلت شهادة الزور الشرك ، ثم قرأ هذه الآية ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) . حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا سفيان العصفري ، عن أبيه ، عن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَرَأَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن سفيان العصفري ، عن فاتك بن فضالة ، عن أيمن بن خريم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » ويجوز أن يكون مرادا به : اجتنبوا أن تترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان ، بعبادتهم إياها .



فإن قال قائل : وهل من الأوثان ما ليس برجس ، حتى قيل : فاجتنبوا الرجس منها ؟ قيل : كلها رجس ، وليس المعنى ما ذهب إليه في ذلك . وإنما معنى الكلام : فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها ، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله ( فاجتنبوا الرجس ) منها اتقاء عبادتها ، وتلك : العبادة هي الرجس ، على ما قاله ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله قبل .

## القول في تأويل قوله تعالى

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ،  
أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره : اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان ، وقول الشرك ، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا ، دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئا من دونه ، فإنه من يشرك بالله شيئا من دونه ، فثله في بعده من الهدى وإصابة الحق ، وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خرّ من السماء ، فتخطفه الطير ، فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد قولهم : أبعده الله وأسحقه ، وفيه لغتان : أسحقته الريح ، وسحقته . ومنه قيل للنخلة الطويلة : نخلة سحوق ؛ ومنه قول الشاعر :

كَانَتْ لَنَا جَارَةٌ فَأَزْعَجَهَا قَاذُورَةٌ تَسْحَقُ النَّوَى قَدُمَا

ويروى : تسحق : يقول : فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ، ومن إصابة الحق ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض ، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فكأَنَّمَا خَرَّ مِّنَ السَّمَاءِ ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ( فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) قال : بعيد .

(١) البيت مما أنشده الأزهرى في تهذيبه ، ونقله عنه صاحب (اللسان : سحق) قال : السحق في العدو فوق المشى ودون الحضر ، وأنشد الأزهرى : « كانت لنا جارة . . البيت » . والقاذورة من الإبل : التي تترك ناحية منها ، وتسبغ وتنافرها عند الحلب . وتسحق : تجرد في سيرها . والنوى : التحول من مكان إلى مكان ، أو الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو من بعد . وقدمنا : لاتعرج ولا تثنى . يريد أن جارتها نأت عنه بناقة تجرد في سيرها ، ولا تعرج على شيء . والبيت شاهد على أن السحق معناه السير الجاد : فوق المشى ودون العدو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقيل ( فَتَحَطَّفَهُ الطَّيْرُ ) ، وقد قيل قبله ( فكأتمما خراً من السماء ) وخرّ فعل ماض ، وتخطفه  
مستقبل ، فعطف بالمستقبل على الماضي ، كما فعل ذلك ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن  
سَبِيلِ اللَّهِ ) وقد بينت ذلك هناك .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس ، وأمرتكم به ، من اجتناب الرجس من الأوثان ،  
اجتناب قول الزور ، حنفاء لله ، وتعظيم شعائر الله ، وهو استحسان البدن واستئمانها ، وأداء مناسك  
الحج ، على ما أمر الله جل ثناؤه ، من تقوى قلوبكم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن زياد ، عن محمد بن أبي ليلى ،  
عن الحكم ، عن ميقسم ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ )  
قال : استعظامها ، واستحسانها ، واستئمانها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة ،  
عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : الاستئمان والاستعظام .  
وبه عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : والاستحسان .

حدثنا عبد الحميد بن بيان الواسطي ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال :  
ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ،  
عن مجاهد ، قوله ( وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : استعظام البدن ، واستئمانها ، واستحسانها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن  
أبي موسى ، قال : الوقوف بعرفة من شعائر الله ، وبجمع شعائر الله ، ورمي الجمار من شعائر الله ،  
والبدن من شعائر الله ، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله ( وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) فمن يعظمها  
فإنها من تقوى القلوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ  
اللَّهِ ) قال : الشعائر : الجمار ، والصفاء والمروة من شعائر الله ، والمشعر الحرام والمزدلفة ، قال : والشعائر  
تدخل في الحرم ، هي شعائر ، وهي حرم .

﴿٣٣﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أن تعظيم شعائره ، وهي ما جعله أعلاما لخلقها فيما تعبدتم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي أزمهم عملها في حجهم : من تقوى قلوبهم ، لم يخصص من ذلك شيئا ، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه : وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك ، وقال (لأنها من تقوى القلوب) وأنت ولم يقل : فإنه ، لأنه أريد بذلك ، فإن تلك التعظيم مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه (إن ربك من بعدد ما لتغفور رحيم) وعنى بقوله (فإنها من تقوى القلوب) فإنها من وجل القلوب من خشية الله ، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده .

القول في تأويل قوله تعالى

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْآيَةِ الْعَتِيقِ (٣٣)

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية ، وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى ، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَمَأْتِهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) فقال : الذين قالوا عنى بالشعائر : البدن ، معنى ذلك : لكم أيها الناس في البدن منافع . ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع ، وفي الأجل الذي قال عز ذكره ( إلى أجلٍ مسمى ) فقال بعضهم : الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع ، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ، ولم يسمها بدنة ، ولم يقلدها ، قالوا : ومنافعها في هذه الحال : شرب ألبانها ، وركوب ظهورها ، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها . قالوا : والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه ، هو إلى إيجابهم إياها ، فإذا أوجبوها بطل ذلك ، ولم يكن لهم من ذلك شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في ( لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى ) قال : ما لم يسم بدنا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى ) قال : الركوب واللبن والولد ، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في هذه الآية ( لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى ) قال : لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها ، حتى تصير بدنا . قال : ثنا ابن عدى ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، وليث عن مجاهد ( لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى ) قال : في أشعارها وأوبارها وألبانها ، قبل أن تسميها بدنة .

قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال :  
 في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها ، قبل أن تسمى هديا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد  
 فيه : وهي الأجل المسمى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء أنه قال في قوله ( لَكُمْ فِيهَا  
 مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها  
 إلى أجل مسمى : إلى أن تقلد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثل ذلك .  
 حدثني يعقوب ، قال : قال ابن عليّة : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى  
 أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن تُوجِبَها بَدَنَةٌ .

قال : ثنا ابن عليّة ، عن ابن أبي نجيح ، عن قتادة ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول :  
 في ظهورها وألبانها ، فإذا قلدت فحلها إلى البيت العتيق .

وقال آخرون ممن قال : الشعائر : البدن في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى  
 الْقُلُوبِ ) والهاء في قوله ( لَكُمْ فِيهَا ) من ذكر الشعائر ، ومعنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) لكم  
 في الشعائر التي تعظمونها لله منافع ، بعد اتخاذكموها لله بَدَنًا أو هدايا ، بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى  
 ذلك ، وتشربوا ألبانها إن اضطرتتم إليها . قالوا : والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه ( إِلَى أَجَلٍ  
 مُّسَمًّى ) إلى أن تنحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
 إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : هو ركوب البَدَنِ ، وشرب لبنها إن احتاج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح  
 في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن تنحر ، قال له أن يحمل عليها المعبي  
 والمنقطع به من الضرورة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها ، أن يحمل عليها  
 ويركب عند منهوكه . قلت لعطاء : ما ، قال : الرجل الراجل ، والمنقطع به ، والمتعب ، وإن نتجت ، أن  
 يحمل عليها ولدها ، ولا يشرب من لبنها إلا فضلا عن ولدها ، فإن كان في لبنها فضل فليشرب من أهداها  
 ومن لم يهداها . وأما الذين قالوا : معنى الشعائر في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ ) : شعائر الحج ،  
 وهي الأماكن التي يتنسك عندها لله ، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله لكم ( فِيهَا مَنَافِعُ )

فقال بعضهم : معنى ذلك : لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجاركتكم عندها ، وبيعكم وشرائكم بحضرتها ، وتسوقكم . والأجل المسمى : الخروج من الشعائر إلى غيرها ، ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم .

حدثني الحسن بن علي الصُّدَائِي ، قال : ثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) قال : أسواقهم ، فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : والأجل المسمى : الخروج منه إلى غيره . وقال آخرون منهم : المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع : العمل لله بما أمر من مناسك الحج . قالوا : والأجل المسمى : هو انقضاء أيام الحج التي يُنْسِكُ لله فيهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقرأ قول الله ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفه يقف فيها ، يتغى الأجر ، ولا المزدلفة ، ولا رمى الجمار ، وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع ، وإنما منافعها إلى تلك الأيام ، وهي الأجل المسمى ، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق . قال أبو جعفر : وقد دَلَّلْنَا قَبْلَ عَلَى أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) معنى به : كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه ، إذ لم يخص من ذلك جل ثناؤه شيئا في خير ولا عقل . وإذ كان ذلك كذلك فعلوم أن معنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) : في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، فما كان من هذه الشعائر بُدُنًا وهدايا ، فنافعها لكم من حين تملكون ، إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا ، وما كان منها أماكن يُنْسِكُ لله عندها ، فنافعها ، التجارة لله عندها ، والعمل بما أمر به إلى الشخص عنها ، وما كان منها أوقاتا ، بأن يُطَاعَ الله فيها بعمل أعمال الحج ، وبطلب المعاش فيها بالتجارة ، إلى أن يُطَافَ بالبيت في بعض ، أو يُؤَاتَى الحرم في بعض ، ويُخْرَجَ عن الحرم في بعض .

وقد اختلف الذين ذكرنا اختلا فهم في تأويل قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في تأويل قوله ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقال الذين قالوا : عن بالشعائر في هذا الموضع : البدن معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة ، وهي التي بها البيت العتيق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) إلى مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ( **ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ) يعني محل البدن حين تسمى إلى البيت العتيق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال ( **ثُمَّ مَحَلُّهَا** ) حين تسمى هديا إلى البيت العتيق ، قال : الكعبة أعتقها من الجابرة ، فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى **ثُمَّ مَحَلُّهَا** منحرا البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم ، وقالوا : عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها ؛ وقالوا : وذلك نظير قوله ( **فَلَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ) والمراد : الحرم كله .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر ، بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ( **ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ) قال : محل هذه الشعائر كلها : الطواف بالبيت .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ) حين تنقضى تلك الأيام ، أيام الحج إلى البيت العتيق .  
ويروى وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق ، فما كان من ذلك هديا أو بدنا ، فبموافاته الحرم في الحرم ، وما كان من نسك ، فالطواف بالبيت .  
وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ،  
فَالرُّكُوعُ لِلرَّبِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره ( **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ** ) ولكل جماعة ستلّف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس ، جعلنا ذبائحهم يذكرون دمه ( **لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ** ) بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام ، كالخيل والبغال والحمير . وقيل : إنما قيل للبهائم ، بهائم لأنها لا تتكلم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( **جَعَلْنَا مَنَسَكًا** ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) قال : إهراق الدماء ( لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاحِدٌ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، فإلهكم إله واحد ، لا شريك له ، فإياه فاعبدوا ، وله أخلصوا الألوهة . وقوله ( فَلَنَهُ أَسْلِمُوا ) يقول : فلا إلهكم فاحضعوا بالطاعة ، وله فذليوا بالإقرار بالعبودية . وقوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) يقول تعالى ذكره : وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة ، المذعنين له بالعبودية ، المنيين إليه بالتوبة . وقد بينا معنى الإخبات بشواهد في ما مضى من كتابنا هذا .

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به : وبشِّرِ الْمُطْمَئِنِّينَ إِلَى اللَّهِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : الْمُطْمَئِنِّينَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) الْمُطْمَئِنِّينَ إِلَى اللَّهِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) الْمُطْمَئِنِّينَ .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المتواضعين .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن عثمان ابن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، قال : الخبتون : الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .  
حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، قال : ثني عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ، وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ،

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)

فهذا من نعت المحبتين ؛ يقول تعالى ذكره لنبينه محمد صلى الله عليه وسلم : وبشر يا محمد المحبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله ، وتخضع من خشيته وجسلاً من عقابه ، وخوفاً من سخطه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ) قال : لانتفسو قلوبهم ( والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ) من شدة في أمر الله ، ونالهم من مكروه في جنبه ( والمُقِيمِي الصَّلَاةِ ) المفروضة ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في الواجب عليهم إنفاقها فيه في زكاة ، ونفقة عيال ، ومن وجبت عليه نفقته ، وفي سبيل الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَأَذْكُرُوا لَكُمْ اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافٍ ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعْنَتَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : والبدن : وهي جمع بدنة ، وقد يقال لواحدها : بدن . وإذا قيل بدن احتتمل أن يكون جمعاً وواحداً ، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز :

عَلَى حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَ صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُدُورًا  
وَحَلَقَ رَأْسِي وَأَفِيئًا مَضْفُورًا وَبَدَنًا مُدْرَعًا مَوْفُورًا

والبدن : هو الضخم من كل شيء ، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الحورنق والسديير : البدن : لضخمه واسترخاء لحمه ، فإنه يقال : قد بدن تبدينا . فعنى الكلام : والإبل العظام الأجسام

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الراجز ، رواها المؤلف عن الفراء في معاني القرآن في هذا الموضع من التفسير ، وأنشدها قبل ذلك ثلاثة منها في (٧ : ١٢٠) عند تفسير قوله تعالى « فأخرن يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » في سورة المائدة . مع اختلاف في بعض الألفاظ عن روايتها لها هنا ، وهي :

عَلَى حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَ صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُدُورًا  
وَبَدَنًا مُقَلَّدًا مَنَحُورًا

ولفظ ( بادنا ) على هذه الرواية ، قد تكون صحيحة ، يريد جملاً سميماً جسيماً . كما في ( اللسان : بدن ) ، يقال : رجل بادن ، والأثني بادن وبادنة والجمع : بدن ( بضم فسكون ) ، وبدن ( بالضم وتشديد الدال المفتوحة ) . وقد تكون ( بادنا ) محرفة عن ( بادنا ) بالتحريك ، بدليل تخريج المؤلف له بقوله « والبدن » ( بضم فسكون ) جمع بدنة ( بالتحريك ) ، وقد يقال لواحدها : بدن ( بالتحريك ) يدل عليه قول الراجز . « وبدنا مدرعاً موفوراً » . اهـ .

ويؤيده أيضاً قول أبي البقاء العكبري في إعراب القرآن : البدن ( بضم فسكون ) : وجمع بدن ، ( بالتحريك ) وواحدته : بدنة ؛ مثل خشب ( بضم فسكون ) وخشب ( بالتحريك ) . ويقال هو جمع بدنة ، مثل ثمرة وثمر ( الأخيرة بضم فسكون ) ، ويقرأ بضم الدال والبدنة كما في ( اللسان : بدن ) بالهاء : تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر ، مما يجوز في الهدى والأصاحي ... ولا تقع على الشاة ؛ سميت بدنة لعظمها وشمها . اهـ . يقول الراجز : أوجبت على نفسي إذا ملكت الأمور ( بناء المخاطب أن أصوم شهوراً ، وأن أحلق رأسي ، وأن أحر بدن أي جملاً ضمناً .



الضحام ، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله : يقول : من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم ، إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك ، وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر .  
كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جرير ، قال : قال عطاء : ( والبُدنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ) قال : البقرة والبعير .  
وقوله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) يقول : لكم في البدن خير ، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة ، بنجرها والصدقة بها ، وفي الدنيا : الركوب إذا احتاج إلى ركوبها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : أجر ومنافع في البدن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : اللبن والركوب إذا احتاج .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : إذا اضطررت إلى بدنتك ركبها ، وشربت لبنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) من احتاج إلى ظهر البدنة ركب ، ومن احتاج إلى لبنها شرب .

وقوله ( فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) يقول تعالى ذكره : فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) : بمعنى مصطفة ، واحدها : صافة ، وقد صفت بين أيديها . وروى عن الحسن ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وجماعة آخر معهم ، أنهم قرءوا ذلك ( صَوَافٍ ) بالياء منصوبة ، بمعنى : خالصة لله ، لا شريك له فيها ، صافية له . وقرأ بعضهم ذلك ( صَوَافٍ ) بإسقاط الياء وتنوين الحرف ، على مثال : عوار ، وعواد . وروى عن ابن مسعود أنه قرأه ( صَوَافِينَ ) بمعنى : معقلة .

والصواب من القراءة في ذلك عندى ، قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك .

## ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله

(فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : الله أكبر الله أكبر ، اللهم منك ولك . صَوَافَّ : قياما على ثلاث أرجل ، فقتيل لابن عباس : مانصنع بجلودها ، قال : تصدقوا بها ، واستمتعوا بها .  
حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (صَوَافَّ) قال : قائمة ، قال : يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله اللهم منك ولك .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : قياما على ثلاث قوائم معقولة ، باسم الله ، والله أكبر ، اللهم منك ولك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله : (صَوَافَّ) قال : معقولة إحدى يديها ، قال : قائمة على ثلاث قوائم .  
حدثني علي ، قال ثنا عبد الله قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) يقول : قياما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) والصَوَافَّ : أن تُعَقَّلَ قائمة واحدة ، وتصفها على ثلاث ، فتنحرفها كذلك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يعلى بن عطاء ، قال : أخبرني بُجَيْر بن سالم ، قال : رأيت ابن عمر وهو ينحرف بدنته ، قال : فقال (صَوَافَّ) كما قال الله ، قال : فنحرفها وهي قائمة معقولة إحدى يديها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، قال : الصَوَافَّ : إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث .

قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : صَوَافَّ بين أوظافها .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (صَوَافَّ) قال : قيام صواف على ثلاث قوائم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : بين وظائفها قياما .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مرزوم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن نافع ، عن عبد الله ، أنه كان ينحرف البدن وهي قائمة مستقبلة البيت ، تصف أيديها بالقبود ، قال : هي التي ذكر الله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن منصور ، عن رجل ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ،

قال : قلت له قول الله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافً ) قال : إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها ، وقل الله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك ، ثم سم ، ثم انحرها ، قلت : فأقول ذلك للأضحية ، قال : وللأضحية .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِي ) بالياء

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن أنه قال ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : مخلصين .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) : خالصة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) : خالصة لله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن شقيق الضبي ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أيمن بن نابل ، قال : سألت طاوسا عن قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون ، يجعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله تعالى .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِين )

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) : أي معقولة قياما .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) قال : أي معقولة قياما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأها ( صَوَافِين ) قال : معقولة . قال : ومن قرأها ( صَوَافً ) قال : تصف بين يديها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافً ) يعني صوافن ، والبدنة إذا نحر عقلت يد واحدة ، فكانت على ثلاث ، وكذلك تنحر .

قال أبو جعفر : وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل قوله ( صَوَافً ) وهي المصطفة بين أيديها ، المعقولة إحدى قرأتها .

وقوله ( فإذًا وجبت جنوبها ) يقول : فإذا سقطت ، فوقع جنوبها إلى الأرض بعد النحر ،

( فَكُلُّوا مِنْهَا ) وهو من قولهم : قد وجبت الشمس : إذا غابت فسقطت للتغيب ، ومنه قول أوس ابن حجر :

ألم تُكسِفِ الشَّمْسُ والبَدْرُ والكَوَاكِبُ للَجَبَلِ الوَاجِبِ  
يعنى بالواجب : الواقع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذا وجبت جنوبها ) سقطت إلى الأرض . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله ( فإذا وجبت جنوبها ) قال : إذا فرغت ونحرت .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( فإذا وجبت ) نحرت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فإذا وجبت جنوبها ) قال : إذا نحرت . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فإذا وجبت جنوبها ) قال : فإذا ماتت .

وقوله ( فَكُلُّوا مِنْهَا ) وهذا مُخرجه مُخرَج الأمر ، ومعناه : الإباحة والإطلاق ؛ يقول الله : فإذا نُحرت فسقطت ميتة بعد النحر ، فقد حلّ لكم أكلها ، وليس بأمر إيجاب . وكان إبراهيم النخعي يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص للمسلمين ، فأكلوا منها ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، فهى بمنزلة ( فإذا حللتكم فاصطادوا ) .

(١) البيت لأوس بن حجر كما قال المؤلف . والجبل هنا : يريد به رجلا عظيما ، والواجب الذى مات . قال فى ( اللسان : واجب ) ووجب الرجل وجوبا : مات . قال قيس بن الخطيم . يصف حربا وقعت بين الأوس والخزرج فى يوم بعث ، وأن مقدم بنى عوف وأميرهم لج فى إبخارية ، ونهى بنى عوف عن السلم حتى كان أول قتيل :

أطاعت بنو عوف أميرا نهما عن السلم حتى كان أول واجب

وبيت أوس بن حجر شاهد على أن قوله تعالى : « فإذا وجبت جنوبها » معناه : فإذا سقطت فوقمت جنوبها إلى الأرض بعد النحر ، فكلوا منها . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : يأكل منها ويطعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، وأخبرناه مغيرة ، عن إبراهيم ، وأخبرنا حجاج ، عن عطاء ، وأخبرنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكُلُّوا مِنْهَا ) قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، قال مجاهد : هي رخصة ، هي كقوله ( فَاذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ) ومثل قوله ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : فأطعموا منها القانع .

وختلف أهل التأويل في المعنى بالقانع والمعتّر ، فقال بعضهم : القانع الذي يقنع بما أعطى أو بما عنده ولا يسأل ، والمعتّر : الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : المستغنى بما أعطيته ، وهو في بيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ، ويلمّ بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ، وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك الذي يقنع بما أعطيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ولا يسألك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) القانع : الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به . والمعتّر : الذي يمر بجانبك لا يسأل شيئا ، فذلك المعتّر .

وقال آخرون : القانع : الذي يقنع بما عنده ، ولا يسأل ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : القانع المتعفف ؛ والمعتّر : يقول : السائل .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا خَصِيف ، قال : سمعت مجاهدا يقول : القانع : أهل مكة ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا عطاء ، عن خَصِيف ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : سمعت قتادة يحدث ، عن عكرمة ، في قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقعد في بيته ، والمعتّر : الذي يسأل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القانع : المتعفف الجالس في بيته ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : القانع والمعتر . قال : القانع : الطامع بما قبلك ولا يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتريك ويسألك .  
 حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا المخاربي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم  
 قالا : القانع : الجالس في بيته ؛ والمعتر : الذي يسألك .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في القانع والمعتر ، قال : القانع :  
 الذي يقنع بما في يديه ؛ والمعتر : الذي يعتريك ، ولكليهما عليك حتى يا بن آدم .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( فكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ  
 وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع الذي يجلس في بيته . والمعتر : الذي يعتريك .  
 وقال آخرون : القانع : هو السائل ، والمعتر : هو الذي يعتريك ولا يسأل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : القانع : الذي يقنع  
 إليك ويسألك ؛ والمعتر : الذي يتعرض لك ولا يسألك .  
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ،  
 في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتريك . قال :  
 وقال الكلبي : القانع : الذي يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتريك ، يتعرض ولا يسألك .  
 حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المخاربي ، عن سفیان ، عن يونس ، عن الحسن ،  
 في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يسألك ، والمعتر : الذي يتعرض لك .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، قال : قال سعيد بن جبيرة : القانع : السائل .  
 حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب ، قال : ثنا شريك ، عن فرات القزاز ، عن  
 سعيد بن جبيرة ، في قوله ( الْقَانِعَ ) قال : هو السائل ، ثم قال : أما سمعت قول الشياخ .  
 لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُعْتَرِّي مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنْ الْقَنْوَعِ  
 قال : من السؤال .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، أنه قال في قوله ( وَأَطْعِمُوا  
 الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع إليك يسألك ، والمعتر : الذي يريك نفسه ، ويتعرض لك  
 ولا يسألك .

(١) البيت للشياخ بن ضرار ( لسان العرب : قنع ) قال : وفي التنزيل : « وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ، فالقانع الذي يسأل ،  
 والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل . قال الشياخ : « لَمَالُ الْمَرْءِ . . . البيت » يعني من مسألة الناس . وقال ابن السكيت : ومن العرب  
 من يميز القنوع : بمعنى القناعة ، وكلام العرب الجيد : هو الأول . وروى : « من الكنوع ؛ » ، والكنوع : التقبض والتصاغر .  
 وقيل القانع : السائل ، وقيل : المتعفف ، وكل يصلح ، والرجل : قانع وقنوع . وقال الفراء : هو الذي يسألك فأعطيته قبله . وقيل :  
 القنوع : الطمع . والفعل : قنع بالفتح يقنع قنوعا : ذل للسؤال . وقيل : سأل . ومفارقة : وجوه فقره ، وقيل : جمع فقر على  
 غير قياس كالمشابه والملاح . ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره ، أو جمع مفقر ( اسم فاعل ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشام ، قال : أخبرنا منصور ويونس ، عن الحسن ، قال : القانع : السائل ، والمعتز : الذي يتعرض ولا يسأل .  
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم : القانع : الذي يسأل الناس .  
 وقال آخرون : القانع : الجار ، والمعتز : الذي يعتريك من الناس .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك وإن كان غنيا ، والمعتز : الذي يعتريك .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتز ) قال : القانع : جارك الغني ، والمعتز : من اعتراك من الناس .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتز ) أنه قال : أحدهما السائل ، والآخر : الجار .  
 وقال آخرون : القانع : الطواف . والمعتز : الصديق الزائر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنى أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تعالى ( القانع والمعتز ) فالقانع : المسكين الذي يطوف ، والمعتز : الصديق والضعيف الذي يزور .  
 وقال آخرون : القانع : الطامع ، والمعتز : الذي يعتز بالبدن .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( القانع ) قال : الطامع والمعتز : من يعتز بالبدن ، من غني أو فقير .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، قال : القانع : الطامع .  
 وقال آخرون : القانع : هو المسكين ، والمعتز : الذي يتعرض للحم .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتز ) قال : القانع : المسكين ، والمعتز : الذي يعتز القوم لحمهم وليس بمسكين ، ولا تكون له ذبيحة ، يجيء إلى القوم من أجل لحمهم ، والبائس الفقير : هو القانع .

وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن فرات ، عن سعيد بن جبير ، قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتربك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن بمثله .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ومجاهد ( القانِعَ والمُعْتَرَّ ) القانع : الجالس في بيته ، والمعتر : الذي يتعرض لك .

وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : عني بالقانع : السائل ، لأنه لو كان المعنى بالقانع في هذا الموضع ، المكتفى بما عنده ، والمستغنى به لقليل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل : وأطعموا القانع والمعتر ، وفي إتباع ذلك قوله : والمعتر ، الدليل الواضح على أن القانع معنى به السائل ، من قولهم : قنع فلان إلى فلان ، بمعنى سأله وخضع إليه ، فهو يقنع قنوعا ؛ ومنه قول لبيد :

وأعْطاني المَوْلَى عَلى حِينٍ فَفَقِرَهُ إِذَا قَالَ أَبْصِرْ خَلَّتِي وَقُنُوعِي<sup>١</sup>

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفى ، فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا . وأما المعتر : فإنه الذي يأتبك معترآبك لتعطيه وتطعمه .

وقوله ( وكذلك سَخَّرْنَاها لَكُمْ ) يقول هكذا سخرنا البُدن لكم أيها الناس . لعلمكم تشكرون : يقول : لتشكروني على تسخيرها لكم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ، كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها ، ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه ، وعلمتم فيها بما ندبكم إليه ، وأمركم به في أمرها ، وعظمت بها حرمانه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قول الله ( لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : ما أريد به وجه الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : إن اتقيت الله في هذه البدن ، وعلمت فيها لله ،

(١) البيت للبيد كما قال المؤلف ، ولم أجده في ديوانه طبعه ليدن سنة ١٨٩١ . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر . وقال اللحياني : خلة به شديدة : أي خصاصة . والقنوع : السؤال ، وقد شرحتاه وبيناه في الشاهد الذي قبله .



وطلبت ما قال الله تعظيماً لشعائر الله ، ولحرمات الله ، فإنه قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) قال : وجعلته طيباً ، فذلك الذي يتقبل الله . فأما اللحوم والدماء ، فن أبن تبال الله ؟ وقوله ( كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ) يقول : هكذا سخر لكم البؤدن ( لَتُكْسَبُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) يقول : كسى تعظموا الله على ما هداكم ، يعنى على توفيقه إياكم لدينه ، ولذالك فى حجكم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( لَتُكْسَبُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) قال : على ذبحها فى تلك الأيام ( وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : وبشّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا فى طاعتهم إياه فى الدنيا بالجنة فى الآخرة .

## القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَآيْحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ، إن الله لا يحب كل خوّان يخون الله ، فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ، ويطيع الشيطان ( كَتُفُورٌ ) يقول : جحود نعمه عنده ، لا يعرف لمنعمها حقه ، فيشكره عليها . وقيل : إنه عنى بذلك : دفع الله كفار قريش عن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ، وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِهِ ، بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ظَلَمُوهُمْ بِقَاتِلِهِمْ . واختلقت القراء فى قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ( أُذِنَ ) بضم الألف ( يُقَاتِلُونَ ) بفتح التاء بترك تسمية الفاعل ، فى أُذِنَ وَيُقَاتِلُونَ جميعاً . وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة ( أُذِنَ ) بترك تسمية الفاعل و ( يُقَاتِلُونَ ) بكسر التاء ، بمعنى يقاتل المأذون لهم فى القتال المشركين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ، وبعض المكيين ( أُذِنَ ) بفتح الألف ، بمعنى : أُذِنَ اللَّهُ وَ ( يُقَاتِلُونَ ) بكسر التاء ، بمعنى : إن الذين أُذِنَ اللَّهُ لهم بالقتال ، يقاتلون المشركين . وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى ، لأن الذين قرءوا أُذِنَ على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه فى التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله وإن من قرأ يُقَاتِلُونَ ، وَيُقَاتِلُونَ بالكسر أو الفتح ، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل إنساناً ، فالذى قاتله له مقاتل ، وكل واحد منهما مقاتل . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فصيبت الصواب .

غير أن أحب ذلك إلى ، أن أقرأ به أُذِنَ بفتح الألف ، بمعنى : أُذِنَ اللَّهُ ، لقرب ذلك من قوله ( إِنَّ اللَّهَ لَآيْحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ) أُذِنَ اللَّهُ فى الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم ، فبإذن أُذِنَ

على قوله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ) ، وكذلك أحبّ القراءات إلى في يُقَاتِلُونَ كسر التاء ، بمعنى : الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم ، فيكون الكلام متصلا معنى بعبءه ببعض .

وقد اختلف في الذين عُموا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال ، فقال بعضهم : عنى به نبي الله وأصحابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) يعني : محمدا وأصحابه إذ أخرجوا من مكة إلى المدينة : يقول الله ( فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) وقد فعل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد ابن جبير ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال رجل : أخرجوا نبيهم ، فنزلت : ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) . . . الآية ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكن . قال ابن عباس : فأنزل الله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال ، وهي أول آية نزلت . قال ابن داود : قال ابن إسحاق : كانوا يقرءون ( أذِنَ ) ونحن نقرأ ( أذِنَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال أبو بكر : قد علمت أنه يكون قتال ، وإلى هذا الموضع انتهى حديثه ، ولم يزد عليه .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ليهلكن جميعا فلما نزلت ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) . . . إلى قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَغْيٍ حَقٌّ ) عرف أبو بكر أنه سيكون قتال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) قال : أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشرين ، وقرأ ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَغْيٍ حَقٌّ ) وقال : هؤلاء المؤمنون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ )<sup>١</sup> .  
وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية ، قوم بأعيانهم ، كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة ، فنعوا من ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ) قال : أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة ، فكانوا يمنعون ، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار ، فقاتلوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ) قال : ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة ، وكانوا يمنعون ، فأذن لهم الكفار ، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم . قال ابن جريج يقول : أول قتال أذن الله به للمؤمنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) قال قتادة : وهي أول آية نزلت في القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ) قال : هي أول آية أنزلت في القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا . وقد كان بعضهم يزعم أن الله إنما قال : أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار إذا آذوهم ، واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا ، فأنزل الله في ذلك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ) فلمَّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، أطلق لهم قتلهم وقتالهم ، فقال ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ) وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت .

وقوله ( وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) يقول جل ثناؤه : وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر ، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم ، وأهلك عدوهم ، وأذلهم بأيديهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

(١) لعله اختصره إن لم يكن سقط منه شيء من الناسخ ، والأصل : هم والنبي وأصحابه ، أو نحو ذلك .

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَيَسَعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ، كَثِيرًا وَيَنْصُرَنَّ  
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : أذن للذين يقاتلون ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) فالذين  
الثانية ردّ على الذين الأولى ، وعنى بالخرجين من دورهم : المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة ،  
وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله ، وسبهم بعضهم بألسنتهم  
ووعيدهم إياهم ، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم ، وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ ، لأنهم كانوا على  
باطل ، والمؤمنون على الحقّ ، فلذلك قال جلّ ثناؤه ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ )  
وقوله ( إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره : لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم : ربنا الله وحده  
لا شريك له ، فإن في موضع خفض ردّا على الباء في قوله ( بِغَيْرِ حَقٍّ ) ، وقد يجوز أن تكون في موضع  
نصب على وجه الاستثناء .

أ وقوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم  
: معنى ذلك : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ  
النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) دفع المشركين بالمسلمين .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ولولا القتال والجهاد في سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ  
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) قال : لولا القتال والجهاد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعدهم  
من التابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن  
ثابت بن عويجة الحضرمي ، قال : ثنى سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقرم ،  
والعيزار بن جرول ، وعطية القرظي ، أن عليا رضي الله عنه قال : إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين  
( لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَيَسَعُ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق ، تكون لبعض

الناس على بعض ، عن لا يجوز قبول شهادته وغيره ، فأحيا بذلك مال هذا ، ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا ، وتركوا المظالم من أجله ، لتظالم الناس ، فهدمت صوامع .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَوَلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) يقول : دفع بعضهم بعضا في الشهادة ، وفي الحق ، وفيما يكون من قبل هذا ، يقول : لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض ، لهدم ما ذكر ، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض ، وكفّه المشركين بالمسلمين عن ذلك ؛ ومنه كفّه ببعضهم التظالم ، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم ؛ ومنه كفّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحقّ من له قبله حق ، ونحو ذلك ، وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض ، لولا ذلك لتظالموا ، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم ، وما ستمى جلّ ثناؤه ، ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل ، على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض ، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له ، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينتته قبل ، لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا .

وقوله ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بالصوامع ، فقال بعضهم : عنى بها صوامع الرهبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع في هذه الآية ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( كَهْدُمَتْ صَوَامِعُ ) وهي صوامع الصغار بينونها<sup>١</sup> .

وقال آخرون : بل هي صوامع ، الصابئين .

(١) لعله وهي الصوامع الصغار : أي المعابد الصغار الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صَوَّامِعُ) قال : هي للصابئين .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
واختلفت القراء في قراءة قوله (كَلْدَمَتٌ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (كَلْدِمَتٌ) خفيفة . وقراءته  
عامة قراء أهل الكوفة والبصرة (كَلْدَمَتٌ) بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة ، والتشديد  
في ذلك أعجب القراءتين إلى . لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك .  
وأما قوله (وَبَيْعٌ) فإنه يعني بها : بيع النصارى .  
وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : مثل الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع (وَبَيْعٌ) قال : بيع  
النصارى .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَبَيْعٌ) للنصارى .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول :  
الْبَيْعُ : بيع النصارى .  
وقال آخرون : عنى بالبيع في هذا الموضع : كنائس اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (وَبَيْعٌ) قال : وكنائس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَبَيْعٌ) قال : البيع :  
الكنائس .

قوله (وَصَلَوَاتٌ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : عنى بالصلوات : الكنائس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
في قوله (وَصَلَوَاتٌ) قال : يعنى بالصلوات الكنائس .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
(وَصَلَوَاتٌ) : كنائس اليهود ، ويسمون الكنييسة صلوتا .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَصَلَوَاتٌ) كنائس اليهود .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : عن الصلوات مساجد الصابئين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سألت أبا العالية عن الصلوات ،  
قال : هي مساجد الصابئين .

قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، نحوه .

وقال آخرون : هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَصَلَّوَاتٌ ) قال : مساجد لأهل الكتاب ،  
ولأهل الإسلام بالطرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَصَلَّوَاتٌ ) قال : الصلوات  
صلوات أهل الإسلام ، تنقطع إذا دخل العدو عليهم ، انقطعت العبادة ، والمساجد تهدم ، كما صنع  
بختنصر .

وقوله ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول ، فقال  
بعضهم : أريد بذلك مساجد المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، قوله ( وَمَسَاجِدُ ) قال :  
مساجد المسلمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا  
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) قال : المساجد : مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

وقال آخرون : عن بقوله ( وَمَسَاجِدُ ) : الصوامع والبيع والصلوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
( وَمَسَاجِدُ ) يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا ، ولم يخص المساجد .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : الصلوات لا تهدم ، ولكن حمله على فعل آخر ، كأنه

قال : وتركت صلوات . وقال بعضهم : إنما يعنى : مواضع الصلوات . وقال بعضهم : إنما هى صلوات ، وهى كنائس اليهود ، تُدعى بالعبرانية : صلوتا .

﴿ وَأُولَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ﴾ : قول من قال : معنى ذلك : لخدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصرارى ، وصلوات اليهود ، وهى كنائسهم ، ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا .  
وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك ، لأن ذلك هو المعروف فى كلام العرب ، المستفيض فيهم ، وما خالفه من القول ، وإن كان له وجه فغير مستعمل فيها وجهه إليه من وجهه إليه .

وقوله ( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ) يقول تعالى ذكره : وليعين الله من يقاتل فى سبيله ، لتكون كلمته العليا على عدوه ؛ فنصر الله عبده : معونته إياه ، ونصر العبد ربه : جهاده فى سبيله ، لتكون كلمته العليا .

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لقوى على نصر من جاهد فى سبيله من أهل ولايته وطاعته ، عزيز فى ملكه ، يقول : منيع فى سلطانه ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ ﴾ : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، الذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة : والذين هاهنا رد على الذين يقاتلون . ويعنى بقوله ( إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ) إن وطنا لهم فى البلاد ، فقهروا المشركين ، وغلبوهم عليها ، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : إن نصرناهم على أعدائهم ، وقهروا مشركى مكة ، أطاعوا الله ، فأقاموا الصلاة بحدودها ، وآتوا الزكاة : يقول : وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ( وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ) يقول : ودعوا الناس إلى توحيد الله ، والعمل بطاعته ، وما يعرفه أهل الإيمان بالله ( وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول : ونهوا عن الشرك بالله ، والعمل بمعاصيه ، الذى ينكره أهل الحق والإيمان بالله ( وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول : والله آخر أمور الخلق ، يعنى : أن إليه مصيرها فى الثواب عليها ، والعقاب فى الدار الآخرة .  
وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين الأشيب ، قال : ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان ، الذى يقال له الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، فى قوله ( الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) قال : كان أمرهم بالمعروف



أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده ، لا شريك له ، ونهيبهم عن المنكر ، أنهم نهوا عن عبادة الأوثان ، وعبادة الشيطان ؛ قال : فمن دعا إلى الله من الناس كلهم ، فقد أمر بالمعروف ، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان ، فقد نهى عن المنكر .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ، وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله ، وحاضاً له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب ، وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان ، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله ، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله ، المشركة بالله ، ومنهاجهم من قبلهم ، فلا يصدتك ذلك ، فإن العذاب المهين من ورأيهم ، ونصرى إياك ، وأتباعك عليهم ، آتيتهم من وراء ذلك ، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم ، بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال ، فقد كذبت قبلهم : يعنى مشركى قريش ، قوم نوح ، وقوم عاد وثمود ، وقوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وهم قوم شعيب : يقول : كذب كل هؤلاء رسلهم ، وكذب موسى ، فقيل : وكذب موسى ، ولم يقل : وقوم موسى ، لأن قوم موسى بنو إسرائيل ، وكانت قد استجابت له ولم تكذبه ، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط . وقد قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم ، كما ولد في أهل مكة .

وقوله ( فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ) يقول : فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم ، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ( ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ) يقول : ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء ، فكيف كان نكيرى ) يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة ، وتنكرى لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم . ألم أبدلهم بالكثرة قلة ، وبالحياة موتاً وهلاكاً ، وبالعمارة خراباً ؟ يقول : فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم ، فإني مستجيزك وعدى فيهم ، كما أنجزت غيرك من رسلى وعدى في أممهم ، فأهلكناهم ، وأنجيتهم من بين أظهرهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَبُرُومٌ مَّطْلُةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها . وهم الظالمون : يقول : وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبد ، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه . وقوله ( فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ) يقول : فباد أهلها وخت ، وخوت من سكانها ، فخربت وتداعت ، وتساقطت على عروشها ، يعنى على بناتها وسقوفها .

كما حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ( فهى خاوية على عروشها ) قال : خاؤها : خرابها ، وعروشها : سقوفها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خاوية ) قال : خربة ليس فيها أحد .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . مثله .

وقوله ( وَيَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ ) يقول تعالى : فكأين من قرية أهلكناها ، ومن بئر عطلناها ، بإفناء أهلها ، وهلاك واديها ، فاندفت وتعطلت ، فلا واردة لها ، ولا شاربة منها ( وَمِنْ قَصْرِ مَشِيدٍ ) رفيع بالصخور والجص ، قد خلا من سكانه ، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعلهم ، فبادوا ، وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم . والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية . وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا ، وإن لم يحسن فيهما ، على أن العروش أعلى البيوت ، والبئر في الأرض ، وكذلك القصر ، لأن القرية لم تنحو على القصر ، ولكنه أتبع بعضه بعضا ، كما قال ( وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ) فعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك : فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهى خاوية على عروشها ، ولها بئر معطلة ، وقصر مشيد ، ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها ، أتبعها في الإعراب العروش ، والمعنى : ماوصفت .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ( وَيَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَيَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ ) قال : التى قد تركت ، وقال غيره : لأهل لها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ ) قال : عطلها أهلها ، تركوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وَيَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ ) قال : لأهل لها .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) فقال بعضهم : معناه : وقصر مجصص .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، فى قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب بن فائد ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، مثله .

حدثني الحسين بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثني مطر بن محمد ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر بن برقان ، قال : كنت أمشي مع عكرمة ، فرأيت حائطاً آجرَ مُصَهَّرَجَ ، فوضع يده عليه ، وقال : هذا المشيد الذي قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : المجصص . قال عكرمة : والمجصص بالمدينة يسمى المشيد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقصة أو الفضة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقصة يعني بالحصص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص ، هكذا هو في كتابي ، عن سعيد بن جبير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقصر رفيع طويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : كان أهله شيدوه وحصصوه ، فهلكوا وتركوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) يقول : طويل .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بالمشيد : المجصص ، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الحصص بعينه ؛ ومنه قول الراجز :

كحبة الماء بين الطي والشيد ١

(١) هذا عجز بيت من البسيط ، وليس من الرجز . وقال في اللسان : وحب الماء بالكسر ، وحببه وحبابه بالفتح : طرافته والطي : الحجارة تبنى بها بدار البئر . والشيد ، بكسر الشين : كل ما مل به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح : المصدر ، تقول : شاده يشده شيدا : جصصه ، وبناء مشيد : ممول بالشيد .

فالمشيد : إنما هو مفعول من الشيد ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وتيسمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْعَ تَخْلَتِ وَلَا أُطْمَأْ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ

يعنى بذلك : إلا بالبناء بالشيد والجدل . وقد يجوز أن يكون معنياً بالمشيد : المرفوع بناؤه بالشيد ، فيكون الذين قالوا : عنى بالمشيد : الطويل نحووا بذلك إلى هذا التأويل ؛ ومنه قول عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَيْلَسًا فَلطَّيِرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ

وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده : إذا زينت به ، وذلك شبيه بمعنى من قال : مجصص .

### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا

لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٧)

\* يقول تعالى ذكره : أفلم يسيرا هؤلاء المكذبون بآيات الله ، والجاحدون قدرته في البلاد ، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم ، كعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب ، وأوطانهم ومساكنهم ، فيفتكروا فيها ، ويعتبروا بها ، ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها ، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره ، وكذب رسله ، فيذنبوا من عتوهم وكفرهم ، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك ، واعتبروا به ، وأنابوا إلى الحق ( قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيننا ، أو آذان يسمعون بها : يقول : أو آذان تصغى لسمع الحق فتعى ذلك ، وتميز بينه وبين الباطل . وقوله ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) يقول : فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها ، بل يبصرون ذلك بأبصارهم ، ولكن تعمى قلوبهم

(١) البيت لامرئ القيس يصف السيل في معلقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٣ ) قال شارحه : تيماء . مدينة . والأطم : البيت المسطح ، ويروى « ولا أجا » ، وهو بمعنى الأطم . يقول : لم يدع السيل بيتا مينا يحصى وحجارة إلا هدمه إلا المشيد بجندل فإنه سام لقوته .

وفي ( اللسان : شيد ) : وبناء مشيد : معمول بالشيد . وكل ما أحكم من البناء فقد شيد ، وتشيد البناء إحكامه ورفع ، والمشيد : المبنى بالشيد ، وأنشد : « شاده مرمرًا . . . البيت » . قال أبو عبيد : البناء المشيد ( بالشد ) : المطول . والمفهوم من نصوص اللغويين من بيت امرئ القيس ومن بيت عدى بن زيد الآتي بعد هذا ، أن البناء المشيد بالتخفيف : هو المطول الذاهب في السماء ، أو هو المحكم القوى . فيكون للمشيد إذن معنيان : الأول هو المطلق بالجص ونحوه لتزيينه . والثاني هو المبنى بالجص ونحوه مع الصخور أو المرمر . . . الخ .

(٢) البيت لعدى بن زيد العبادي . وقد أنشده في ( اللسان : شيد ) ولم ينسبه ، وقال المشيد : المبنى بالشيد . اه . يريد أنه أحكم بناؤه وأحكم بالشيد مع المرمر ، وهو نوع من الرخام صلب . والكلس قال في ( اللسان : كلس ) : مثل الصاروج يبنى به . وقيل الكلس : ما طل به حائط أو باطن قصر ، شبه الجص من غير آجر ؛ قال عدى بن زيد العبادي ( وذكر أربعة أبيات منها بيت الشاهد ، وهو آخرها ) ثم قال : والتكليس التليس ، فإذا طل تخينا فهو المقرم . والشاهد في بيت عدى هذا كما بيناه في بيت امرئ القيس قبله أن قوله « شاده مرمرًا » يفهم منه الإحكام والتقوية ورفع البناء ، ولا يفهم منه الطلاء الخارجى بالشيد . وهو ما قاله المؤلف . والذرا بضم الذال : جمع ذرورة ، وهي أعلى الشيء . والوكور : جمع وكر وهو عش الطائر أي أن صاحب ذلك القصر المعروف بالحضر ، رفع بناءه بالشيد والمرمر ، ثم كلسه وملسه بالجص أو بالكلس ، وإن الطير قد اتخذت وكورها في أعلاه .

التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته . والماء في قوله ( فَلِئَنَّا لَا تَعْمَى ) هاء عماد ، كقول القائل : إنه عبد الله قائم . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( فَلِئَنَّا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) وقيل ( وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ ) التي في الصدور ، والقلوب لا تكون إلا في الصدور ، توكيدا للكلام ، كما قيل ( يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك ، بما تعددهم من عذاب الله على شركهم به ، وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا ، ولن يخلف الله وعده الذي وعده فيهم ، من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا ، ففعل ذلك ، ووفى لهم بما وعدهم ، فقتلهم يوم بدر . واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) أي يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ ) . . . الآية ، قال : هي مثل قوله في ( الْم تَنْزِيلُ ) سواء ، هو هو الآية . وقال آخرون : بل هو من أيام الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا سعيد الجريدي ، عن أبي نصره عن سمير بن نهار ، قال : قال أبو هريرة : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت : وما نصف يوم ؟ قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) . » حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ) قال : من أيام الآخرة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال في هذه الآية ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال : هذه أيام الآخرة . وفي قوله ( ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال : يوم القيامة ، وقرأ ( لِأَنَّهُمْ يَرْوِثُهُ بَعِيدًا وَّرَأَاهُ قَرِيبًا ) .

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله ، فقال بعضهم : إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا ، فأنزله الله ( وَلَكِنْ يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا ، وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة ، كألف سنة مما تعدون في الدنيا .

وقال آخرون : قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب ، أنه لا يعجل ، ولكنه يُسهل إلى أجل أجله ، وأن البطيء عندهم قريب عنده ، فقال لهم : مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدونه أنتم أيها القوم من أيامكم ، وهو عندكم بطيء ، وهو عندي قريب .  
وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة .

والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) فأخبر عن إهلاك أهل القرية الظالمة ، وتركه معاجلتهم بالعذاب ، فبين بذلك أنه عني بقوله ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) نفي العجلة عن نفسه ، ووصفها بالأنانة والانتظار . وإذا كان ذلك كذلك ، كان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة ، يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده بعيد ، وهو عندكم بعيد ، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته ، حتى يبلغ غاية مدته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا ) يقول : أمهلهم ، وأخرت عذابهم ، وهم بالله مشركون ، ولأمره مخالفون ، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه ، فلم أعجل بعذابهم ، ( ثُمَّ أَخَذْتُهَا ) يقول : ثم أخذتها بالعذاب ، فعذبتها في الدنيا باحلال عقوبتنا بهم . ( وَإِلَى الْمَصِيرِ ) يقول : وإلى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم ، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له ؛ يقول تعالى ذكره : فكذلك حال مستعجلك بالعذاب من مشركي قومك ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم ، فلإني أخذتهم بالعذاب ، فقاتلهم بالسيف ، ثم إلى مصيرهم بعد ذلك ، فوجعهم لإذن عقوبة على ما قدموا من آثامهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم ، اتباعا منهم لكل شيطان مرید : ( يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ) أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا ، وعذابه في الآخرة أن تصلوه . مبين : يقول : أبين لكم إنذارى ذلك وأظهره ، لتنبئوا من شرككم ، وتحذروا ما أنذركم من ذلك ، لأملك لكم غير ذلك ، فأما تعجيل العقاب وتأخيرها ، الذي تستعجلونني به فإلى الله ، ليس ذلك إلى ، ولا أقدر عليه ؛ ثم وصف نذارته وبشارته ، ولم يجز للبشارة ذكر ، ولما ذكرت النذارة على عمل ، علم أن البشارة على خلافه ، فقال : والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم . ( لهم مغفرة ) يقول : لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة . ( ورزق كريم ) يقول : ورزق حسن في الجنة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ) قال : الجنة .

وقوله ( والذين سعوا في آياتنا معاجزين ) يقول : والذين عملوا في حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا ، والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه . وقال في آياتنا ، فأدخلت فيه في ، كما يقال : سعى فلان في أمر فلان . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( معاجزين ) فقال بعضهم : معناه : مشاقيين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( معاجزين ) في كل القرآن ، يعني بألف ، وقال : مشاقيين . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( في آياتنا معاجزين ) قال : كذبوا بآيات الله ، فظنوا أنهم يعجزون الله ، ولن يعجزوه . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه ( في آياتنا معاجزين ) بالألف ، وهي قراءة عامة قرآء المدينة والكوفة . وأما بعض قرآء أهل مكة والبصرة ، فإنه قرأه ( معجزين ) بتشديد الجيم ، بغير ألف ، بمعنى أنهم عجزوا الناس ، وثببطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بالقرآن .

ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُعْجِزِينَ) قال : مُبْطِئِينَ ، يبطئون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن من عجز عن آيات الله ، فقد عاجز الله ، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله ، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره ، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم ، أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله ، واتباع رسوله ، ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحسبون أنهم يُعْجِزُونَهُ وَيُغْلِبُونَهُ ، وقد ضمن الله له نصره عليهم ، فكان ذلك معاجزتهم الله . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءتين قرأ القارئ ، فصيب الصواب في ذلك .

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز ، ومعناه : مغالبة اثنين أحدهما صاحبه ، أيهما يعجزه ، فيغلبه الآخر ويقهره .

وأما التعجيز : فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز . وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة ، وأهلها الذين هم أهلها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْتَمَسِ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَتَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)

قيل : إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه ، مما أنزل الله عليه من القرآن ، ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد ابن قيس قالا : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ، فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : (والتَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ (أَفْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرائقة العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فتكلم بها ، ثم مضى فقرأ السورة ،



كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضوا بما تكلم به وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آهتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا ، فنحن معك ؛ قالوا : فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتكم بهاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افسرتي على الله ، وقلت على الله ما لم يُقُلْ ، فأوحى الله إليه ( وَإِنْ كَادُوا لَيَفْسُقُوا نُبُوَّتَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، لِيَتَفَسَّرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ) . . . إلى قوله ( ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ) ، فما زال مغمو ما مهموما حتى نزلت عليه ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائهم وقالوا : هم أحب إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي قال : « لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولَّى قومه عنه ، وشقَّ عليه ما يرى من مباعدهم ماجاءهم به من عند الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه ، وكان يسره ، مع حبه وحرصه عليهم ، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم ، حين حدث بذلك نفسه ، وتمنى وأحبه ، فأُنزل الله : ( وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ) فلما انتهى إلى قول الله ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه ، تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن تُرْتَضَى ؛ فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرَّهم ، وأعجبهم ما ذكر به آلهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ، ولا يهتمونه على خط ولا وهم ولا زلل ؛ فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة ، سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم ، تصديقا لما جاء به ، واتباعا لأمره ، وسجد من في المسجد من المشركين ، من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع ، فأخذ بيده حفنة من البطحاء ، فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد ، وخرجت قريش وقد سرَّهم ما سمعوا من ذكر آلهم ، يقولون : قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر ، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرائق العلى ، وأن شفاعتهن تُرْتَضَى ، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أسلمت قريش ، فهضت منهم رجال ، وتخلَّف آخرون ، وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ماذا صنعت ؛ لقد تلو على الناس ما لم آتكَ به عن الله ، وقلت ما لم يُقُلْ لك ، فعزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وخاف من الله خوفا كبيرا ، فأُنزل الله تبارك وتعالى عليه ( وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا ) يعزِّيه ويخفِّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى كما تمنى ، ولا أحب كما أحب ، إلا

والشيطان قد ألقى في أمنيته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم آياته ، أي فأنت كبعض الأنبياء والرسل ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتِ النَّفْسُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . الآية ، فأذهب الله عن نبيه الحزن ، وأمنه من الذي كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم ، أنها الغرائق العلى ، وأن شفاعتهم ترتضى ، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إلى قوله ( وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ) ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ، فلما جاءه من الله مانسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه ، قالت قريش : ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقع في فم كل مشرك ، فازدادوا شرًا إلى ما كانوا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن أبي العالية ، قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جلساؤك عبد بنى فلان ومولى بنى فلان ، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك ، فإنه يأتبك أشراف العرب ، فإذا رأوا جلساءك أشراف قومك ، كان أرغب لهم فيك ، قال : فألقى الشيطان في أمنيته ، فنزلت هذه الآية ( أَقْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) قال : فأجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وشفاعتهن ترجى ، مثلهن لا ينسى ؛ قال : فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها ، وسجد معه المسلمون والمشركون ؛ فلما علم الذى أُجرى على لسانه ، كبر ذلك عليه . فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتِ النَّفْسُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : « قالت قريش : يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس ، فلو ذكرت آلهتنا بخير جالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ؛ فلما انتهى على هذه الآية : ( أَقْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) فألقى الشيطان على لسانه : وهى الغرائق العلى ، وشفاعتهن ترجى ؛ فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون ، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص ، أخذ كفا من تراب وسجد عليه ؛ وقال : قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير ، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، أن قريشا قد أسلمت ، فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت هذه الآية ( أَقْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ) قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : إنه لم يذكر

أهتكم قبل اليوم بخير ، فسجد المشركون معه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير  
قال : لما نزلت ( أفرأيتم اللات والعزى ) ، ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ )  
إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) ، وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي ، إذ نزلت عليه قصة  
آلهة العرب ، فجعل يتلوها فسمعه المشركون ، فقالوا : إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير ، فدنوا منه ، فبينما هو يتلوها ،  
وهو يقول ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) ألقى الشيطان : إن تلك الغرائيق العلى ،  
منها الشفاعة ترجى ، فجعل يتلوها ، فنزل جبرائيل عليه السلام ، فسخها ، ثم قال له ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ،  
وهو بمكة ، أنزل الله عليه في آلهة العرب ، فجعل يتلو اللات والعزى ، ويكثر ترديدها ، فسمع أهل مكة  
نبي الله يذكر آلهتهم ، وفرحوا بذلك ، ودنوا يستمعون ، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم :  
تلك الغرائيق العلى ، منها الشفاعة ترجى ، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، فأنزل الله عليه : ( وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ) . . . إلى ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أنه سئل عن قوله  
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، قال ابن شهاب : ثنا أبو بكر بن  
عبد الرحمن بن الحارث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم ( والنجم إذا هوى ) ، فلما  
بلغ ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) قال : إن شفاعةن ترجى ، وسها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فلقية المشركون الذين في قلوبهم مرض ، فسلموا عليه ، وفرحوا بذلك ، فقال لهم :  
: إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . حتى  
بلغ ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) .

فتأويل الكلام : ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، ولا نبي محدث ليس  
بمرسل ، إلا إذا تمنى .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع ، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمني

من النبي صلى الله عليه وسلم ، ما حدثته نفسه من محبته مقارنة قومه ، في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا قرأ وتلا أو حدث .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِذَا تَمَسَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانِ فِي أَمْنِيَّتَيْهِ ) يقول : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِذَا تَمَسَّتْ ) قال : إذا قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِلا إِذَا تَمَسَّتْ ) يعني باتمنى : التلاوة والقراءة .

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام ، بدلالة قوله ( فَيَتَسَخَّرُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) على ذلك ، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها ، لاشك أنها آيات تنزله ، فعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله ، وقرأ ، أو حدث وتكلم ، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ( فَيَتَسَخَّرُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ) يقول : تعالى فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَيَتَسَخَّرُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ) فيبطل الله ما ألقى الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَيَتَسَخَّرُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ) نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحكم الله آياته .

وقوله ( ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) يقول : ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ ) بما يحدث في خلقه من حدث ، لا يخفى عليه منه شيء ( حَكِيمٌ ) في تدبيره إياهم ، وصرفه لهم فيما شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، كى يجعل ما يلقي الشيطان في أمانة نبيه من الباطل ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى فتنة ، يقول اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق ، وذلك الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما يخبرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين ، فألقى الشيطان في أمنيته ، فقال : إن الآلهة التى تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنها لكغرانيق العلى ، فنسخ الله ذلك ، وأحكم الله آياته ، أفرأيتم اللات والعزى ، حتى بلغ ( من سلطان ) قال قتادة : لما ألقى الشيطان ما ألقى ، قال المشركون : قد ذكر الله آلهتهم بخير ، فترحوا بذلك ، فذكر قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول : وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله ، فلا تلين ولا ترعوى ، وهم المشركون بالله .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( والقاسية قلوبهم ) قال : المشركون .

وقوله ( وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَسَيِّئُ شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) يقول تعالى ذكره : وإن مشركى قومك يا محمد لى خلاف الله فى أمره ، بعيد من الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آوَوْا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه ، أنه الحق من عند ربك يا محمد ، فؤمنوا به ، يقول : فيصدقوا به ، فتخبت له

(١) قوله : « وللذين قست » : عطف على مفهوم من السياق ، أى للذين فى قلوبهم مرض ، وللذين قست قلوبهم .

قلوبهم : يقول : فتحضع للقرآن قلوبهم ، وتدعن بالتصديق به ، والإقرار بما فيه ( وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد، والحق الواضح ، ينسخ ما ألقى الشيطان في أمانة رسوله ، فلا يضرهم كيد الشيطان ، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ آوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) قال : يعنى القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ

عَقِيمٍ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ولا يزال الذين كفروا بالله في شك .

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله « منه » من ذكر ماهي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) من قوله : تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجي .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة .  
وقال آخرون : بل هي من ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم في النجم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : في مِرْيَةٍ من سجودك .  
وقال آخرون : بل هي من ذكر القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : من القرآن .

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله ( وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ آوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) أقرب منه من

ذكر قوله (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) والهاء من قوله «أنه» من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله (في مِرْيَةٍ مِنْهُ) بالهاء من قوله (أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أولى من إلحاقها بما التي في قوله (ما يُلْقِي الشَّيْطَانُ) مع بُعد ما بينهما .

وقوله (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) يقول : لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيم الساعة (بَغْتَةً) وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة ، يقول : فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) .

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أى يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا شيخ من أهل خراسان من الأزدي يكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك ، عن قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : عذاب يوم لا ليلة بعده .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ، أن يوم القيامة لا ليلة له .

وقال آخرون : بل عنى به يوم بدر ، وقالوا : إنما قيل له يوم عقيم ، أنهم لم ينظروا إلى الليل ، فكان لهم عقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) يوم بدر .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال ابن جريج : يوم ليس فيه ليلة ، لم ينظروا إلى الليل ، قال مجاهد : عذاب يوم عظيم .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال مجاهد : يوم بدر .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : هو يوم بدر ، ذكره عن أبي بن كعب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : هو يوم بدر ، عن أبي بن كعب .

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية ، لأنه لا وجه لأن يقال : لا يزالون في مرية منه حتى تأتيم الساعة بغتة ، أو تأتيم الساعة ؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة ، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة ، فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين ، باختلاف الألفاظ ، وذلك ما لا معنى له . فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به أصحهما معنى ، وأشبههما بالمعروف في الخطاب ، وهو ما ذكرناه في معناه .

فتأويل الكلام إذن : ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ، حتى تأتيهم الساعة بغتة ، فيصيروا إلى العذاب الدائم ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم ، فلا ينظروا فيه إلى الليل ، ولا يؤخروا فيه إلى المساء ، لكنهم يقتلون قبل المساء .

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَخْضَعُونَ لِيَوْمِئِذٍ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٦)  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : السلطان والملك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ، ولا ينازعه يومئذ منازع ، وقد كان في الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ، ولا أحد يومئذ يدعى ملكا سواه ، يحكم بينهم : يقول : فصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين ، فالذين آمنوا بهذا القرآن ، وبمن أنزله ، ومن جاء به ، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه : في جنات النعيم يومئذ ، والذين كفروا بالله ورسوله ، وكذبوا بآيات كتابه وتنزله ، وقالوا : ليس ذلك من عند الله ، إنما هو إفك افتراه محمد ، وأعانه عليه قوم آخرون ، ( فأولئك لهم عذاب مهين ) يقول : فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين ، يعنى عذاب مذل في جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : والذين هاجروا في سبيل الله ، فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ، ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ، ليرزقهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا . يعنى بالحسن : الكريم وإنما يعنى بالرزق الحسن : الثواب الجزيل ( وإن الله لهو خير الرازقين ) يقول : وإن الله هو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم . وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله ، فقال بعضهم : سواء المقتول منهم والميت . وقال آخرون : المقتول أفضل ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يُعلمهم استواء أمر الميت في سبيله ، والمقتول فيها في الثواب عنده .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن سلامان بن عامر ، قال : كان فضالة برودس أميرا على الأرباع ، فخرج بجنازتي رجلين ، أحدهما قتيل ، والآخر متوفى ، فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرة ، فقال : أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل ، وتفضلونه



على أخيه المتوفى ، فوالذى نفسى بيده ، ما أبالى من أى حفرتهما بُعثت ، اقرعوا قول الله تعالى ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ) . . . إلى قوله ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : ليدخلن الله المقتول فى سبيله من المهاجرين والميت منهم ( مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ ) ، وذلك المُدخل هو الجنة . ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ ) بمن يهاجر فى سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة ، أو عرض من عروض الدنيا ( حَلِيمٌ ) عن عَصَاة خلقه ، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

\* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٦٠)

يقول تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) لهذا ، لهؤلاء الذين هاجروا فى سبيل الله ، ثم قُتلوا أو ماتوا ، ولهم مع ذلك أيضا ، أن الله يعيدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم ، فأخرجوهم من ديارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ) قال : هم المشركون بغوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده الله أن ينصره ، وقال فى القصص أيضا : وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين ، لليلتين بقيتا من المحرم ، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ فى الأشهر الحرم ، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر ، فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم ، فبغوا عليهم ، وثبت المسلمون لهم ، فنصروا عليهم ، فأنزل الله هذه الآية ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ) بأن بدئ بالقتال ، وهو له كاره ( لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ ) ، وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق ، غفور لما فعل بيادته بالظلم ، مثل الذى فعل به غير معاقبه عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)

يقول تعالى ذكره بقوله : ( ذَلِكَ ) هذا النصر الذى أنصره على من بغى عليه على الباغى ، لأنى القادر على ما أشاء ، فمن قُدِرته أن الله يولج الليل فى النهار ، يقول : يُدْخِلُ ما ينقص من ساعات الليل فى ساعات النهار ، فما نقص من هذا زاد فى هذا ( وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) ويدخل ما انتقص من ساعات النهار فى ساعات الليل ، فما نقص من طول هذا ، زاد فى طول هذا ، وبالقدر التى تفعل ذلك ينصر محمدا

صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم، فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول : وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شيء ، بصير بما يعملون ، لا يغيب عنه منه شيء ، كل ذلك منه بمرآى ومسمع ، وهو الحافظ لكل ذلك ، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه .

## القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك : هذا الفعل الذى فعلت من إيلاجى الليل فى النهار ، وإيلاجى النهار فى الليل ، لأنى أنا الحق الذى لا مثل لى ، ولا شريك ولا ندى ، وأن الذى يدعوه هؤلاء المشركون إلهام من دونه ، هو الباطل ، الذى لا يقدر على صنعة شيء ، بل هو المصنوع . يقول لهم تعالى ذكره : أفتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع ، ويبيده الضر ، وهو القادر على كل شيء ، وكل شيء دونه ، وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادته . وقوله ( وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) يعنى بقوله ( الْعَلِيُّ ) ذو العلو على كل شيء ، هو فوق كل شيء ، وكل شيء دونه ( الْكَبِيرُ ) يعنى العظيم ، الذى كل شيء دونه ، ولا شيء أعظم منه .

وكان ابن جرير يقول فى قوله ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، فى قوله ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) قال : الشيطان .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ) فقراءته عامة قراء المدينة والحجاز ( تَدْعُونَ ) بالتاء ، على وجه الخطاب ؛ وقراءته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء ، على وجه الخبر ، والياء أعجب القراءتين إلى ، لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعنى مطرا ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ) بما يثبت فيها من النبات ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ) باستخراج النبات من الأرض ، بذلك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه ( خَبِيرٌ ) بما يحدث عن ذلك الثبت من الحب ، وبه قال ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ) فرقع ، وقد تقدمه قوله ( أَلَمْ تَرَ ) وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام الخبر ، كأنه قيل : اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء ، فتصبح الأرض ؛ ونظير ذلك قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ<sup>١</sup> وَهَلْ تُخَيِّرُنَاكَ الْيَوْمَ بِيَدَيْهِ سَمَلِقُ<sup>٢</sup>  
لأن معناه : قد سأله فنطق .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : له ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء ، هم عبيده ومماليكه وخلقته ، لا شريك له في ذلك ، ولا في شيء منه ، وإن الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه ، وهم المحتاجون إليه ، الحميد عند عباده ، في إفضاله عليهم وأياديه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ، وَأَتَمَّتْ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَيُمْسِكُ  
السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ، وأتمت تجرى في البحر بأمره ، ويمسك لكم السقف من حوائجكم ( والفلك تجرى في البحر بأمره ) يقول : وسخر لكم السفن تجرى في البحر بأمره ، يعني بقدرته ، وتذليله إياها لكم كذلك .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( والفلك تجرى ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( والفلك ) نصبا بمعنى سخر لكم ما في الأرض ، والفلك عطف على « ماء » ، وعلى تكرير « أن » وأن الفلك تجرى . ورؤى عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء ، والنصب هو القراءة عندنا في ذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه . ( ويُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ) يقول : ويمسك السماء بقدرته ، كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه . ومعنى قوله ( أَنْ تَقَعَ ) : أن لا تقع ( إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ) بمعنى : لأنه بهم لدور أرفق ورحمة ، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية ، تفضلا منه عليكم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ مِمَّا مَيَّمَتْكُمْ<sup>١</sup> مِمَّا يُحْيِيكُمْ<sup>٢</sup> ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ آيَةٍ جَعَلْنَا

(١) البيت مطلع قصيدة لجميل بن معدن العذري ( خزائن الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٦٠٢ ) وهو شاهد عند النحاة ، على أن ما بعد الفاء قد يبق على رفعة قليلا ، وهو مستأنف . قال : وأشد سبويه هذا البيت وقال : لم يجعل الأول سبب الآخر ، ولكنه جعله ينطق على كل حال ، كأنه قال : وهو مما ينطق . وقال أبو جعفر النحاس : عن أبي إسحاق ، قال : إنه تقرير ، معناه أنك سأله ، فيقبح النصب . قلت : أى لأن الاستفهام قبله ليس محضا ، وإنما هو للتقرير ، فيشبه الخبر ، وهو نحو ما قال المؤلف : معناه قد سأله فنطق . ورواية البيت في الخزانة : « القواء » في موضع القديم ، وهو الذى خلا من يسكنه . ووقع الفعل ينطق نظير الفعل تصيح في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » .

مَنْسَكَاهُمْ نَاسِكُوهُ، فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ، وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ، إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) يقول تعالى ذكره : والله الذي أنعم عليكم هذه النعم ، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم ، ولم تكونوا شيئا ، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم ، فيفنيكم عند مجيئ آجالكم ، ثم يحييكم بعد مماتكم ، عند بعثكم لقيام الساعة ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ) يقول : إن ابن آدم ليجحد لنعم الله التي أنعم بها عليه ، من حُسْن خلقه لإياه ، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبر والبحر ، وتركه إهلاكه ، بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد ، وتركه إفراده بالعبادة ، وإخلاص التوحيد له .

وقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) يقول : لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك ، جعلنا مألفا يألفونه ، ومكانا يعتادونه ، لعبادتي فيه ، وقضاء فرائضي ، وعملا يلزمونه ، وأصل المنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه ، نخير أو شر ؛ يقال : إن فلانا منسكا يعتاده : يراد مكانا يغشاه ويألفه نخير أو شر . وإنما سميت مناسك الحج بذلك ، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة ، وفيه لغتان ( مَنْسِكٌ ) بكسر السين وفتح الميم ، وذلك من لغة أهل الحجاز ، و ( مَنْسَكٌ ) بفتح الميم والسين جميعا ، وذلك من لغة أسد ، وقد قرئ باللغتين جميعا .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) : أى المناسك عنى به ؟ فقال بعضهم : عنى به : عيدهم الذي يعتادونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) يقول : عيدا . وقال آخرون : عنى به : ذبح يذبحونه ، ودم يهريقونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن جرير ، عن مجاهد ، في قوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إراقة الدم بمكة . حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إهراق دماء الهدى . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْسَكًا ) قال : ذبحا وحجا .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : عنى بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى ، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت إراقة الدم في هذه الأيام ، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام ، بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام ، غير أن تلك لم

تكن مناسك . فأما التي هي مناسك ، فإنما هي هدايا أو ضحايا . ولذلك قلنا : عُنِيَ بالمنسك في هذا الموضع : الذبيح الذي هو بالصفة التي وصفنا .

وقوله ( فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) يقول تعالى ذكره : فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم : أتأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله ؟ فإنك أولى بالحقّ منهم ، لأنك محقّ وهم مبطلون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) قال : الذبيح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) : فلا تتحام لحمك .

وقوله ( وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك ، إلى اتباع أمر ربك في ذلك بألأبأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك ، وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله ، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان ، وتبرءوا منها . إنك لعلي طريق مستقيم ، غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك ، الذي جعله لك ولأمتك ربك ، وهم الضالّالّ عن قصد السبيل ، لمخالفهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ جَادَلُوكَ ، فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن جادلوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك ، فقل : الله أعلم بما تعملون ونعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَإِنْ جَادَلُوكَ ) قال : قول أهل الشرك : أما ما ذبح الله بيمينه ( فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

وقوله ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يقضى بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون ، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحقّ من المبطل .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع ، والأرضين السبع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة ، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، إن ذلك في كتاب : يقول تعالى ذكره : إن علمه بذلك في كتاب ، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه ، قبل أن يخلق خلقه ، ما هو كائن إلى يوم القيامة (إن ذلك على الله يسير) .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر بن إسماعيل الحلبي ، عن الأوزاعي ، عن عبدة ابن أبي لبابة ، قال : علم الله ما هو خالق ، وما الخلق عاملون ، ثم كتبه ثم قال لنبيه (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب ، إن ذلك على الله يسير) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة بن حبيب يقول : «إن الله كان على عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم ، فكتب به ما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام ، قبل أن يبدأ شيئا من الخلق» .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سيار ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعب الأحمري ، عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه كن كتابا .

وكان ابن جرير يقول ، في قوله (إن ذلك في كتاب) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير (إن ذلك في كتاب) قال قوله (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) .

ولما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك ، لأن قوله (إن ذلك) إلى قوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) أقرب منه إلى قوله (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) ، فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه ، أولى منه بما بعد .

وقوله (إن ذلك على الله يسير) اختلف في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير (إن ذلك على الله يسير)

قال : حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعنى هين . وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن قوله ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) ... إلى قوله ( إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) أقرب وهو له مجاور ، ومن قوله ( اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) متباعد مع دخول قوله ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) بينهما ، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام ، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن

نَصِيرٍ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ، ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله ، بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدها ، بأن الله أذن لهم في عبادتها ، وما ليس لهم به علم أنها آلهة ( وما للظالمين من نصير ) يقول : وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة ، فينقذهم من عذاب الله ، ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ، يَذَّبُوا بِفِئْتِنَا ، يَذَّابِفُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْمُنْكَرِ ، يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ، قُلْ أَفَأَنْبئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمْ ، النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَبئس ألمصير (٧٢)

يقول تعالى ذكره : وإذا تلى على مشركي قريش العابدین من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ( آياتنا ) يعنى : آيات القرآن ( بيِّنات ) يقول : واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ( تعرِّف في وجوه اللذين كَفَرُوا بِالْمُنْكَرِ ) يقول : تبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها ، لسماهم بالقرآن . وقوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) يقول : يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ، ويتلى عليهم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( يَسْطُونَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ ) يقول : يبطشون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ ) يقول : يقعون بمن ذكّروهم .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) قال : يكادون يقعون بهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ ) قال : يبطشون كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) يقول : يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذًا . وقوله ( قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمْ ) يقول : أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تنكروهن قراءتهم القرآن عليكم ، هي النار وعددها الله الذين كفروا ، وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : إن المشركين قالوا : والله إن محمدا وأصحابه لشر خلق الله ، فقال الله لهم : قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ، ورفعت النار على الابتداء ، ولأنها معرفة ، لاتصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة ، كما يقال : مررت برجلين : أخوك وأبوك ، ولو كانت مخفوضة كان جائزا ، وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعددها ، وأنت تنوى بها الاتصال بما قبلها ، يقول تعالى ذكره : فهؤلاء هم أشرار الخلق ، لأمحمد وأصحابه .  
وقوله ( وَيَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) يقول : وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا  
وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)  
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس جعل لله مثل وذکر ، ومعنى ضرب في هذا الموضع : جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث ، بمعنى : جعل عليهم ، وضرب الجزية على النصارى ، بمعنى : جعل ذلك



عليهم ؛ والمثل : الشبه ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعنى بالشبه والمثل : الآلهة ، يقول : جعل لي المشركون والأصنام شبيها ، فعبدوها معي ، وأشركوها في عبادتي ، فاستمعوا له : يقول : فاستمعوا حال مامثلوه ، وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيها ، وصفته ( إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ) يقول : إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام ، لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته ، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ، ولو اجتمع خلقه جميعها . والذباب واحد ، وجمعه في القلة أذبة ، وفي الكثير ذبان نظير غراب ، يجمع في القلة أغربة ، وفي الكثرة غربان . وقوله ( وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا ) يقول : وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئا مما عليها من طيب ، وما أشبهه من شيء ، لا يستنقذه منه : يقول : لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه . واختلف في معنى قوله ( ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ) فقال بعضهم : عسني بالطالب : الآلهة ، وبالطلب : الذباب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير : قال ابن عباس ، في قوله ( ضَعْفَ الطَّالِبِ ) قال : آلهتهم ( وَالْمَطْلُوبِ ) : الذباب . وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : ( ضَعْفَ الطَّالِبِ ) من بنى آدم إلى الصنم حاجته ( وَالْمَطْلُوبِ ) إليه الصنم أن يعطى سائله من بنى آدم ما سأله ، يقول : ضعف عن ذلك وعجز . والصراب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه : وعجز الطالب وهو الآلهة ، أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه ، وهو الطيب وما أشبهه ، والمطلوب : الذباب . وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك ، لأن ذلك في سياق الخبر ، عن الآلهة والذباب ، فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل ، أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع ، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية ، من ضعفها ومهانتها ، تقريرا منه بذلك عبادة من مشركي قريش . يقول تعالى ذكره : كيف يجعل لي مثل في العبادة ، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب ، وإن أخذ له الذباب ، فسلبه شيئا عليه ، لم يقدر أن يمتنع منه ، ولا ينتصر ، وأنا الخالق ما في السموات والأرض ، ومالك جميع ذلك ، والحجي من أردت ، والميت ما أردت ومن أردت ، إن فاعل ذلك لاشك أنه في غاية الجهل . وقوله ( مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) يقول : ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته ، حين أشركوا به غيره ، فلم يخلصوا له العبادة ، ولا عرفوه حق معرفته ، من قولهم : ما عرفت كفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه ، وهم يريدون تعظيمه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ )

شيئا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله لآلهم ، وقرأ ( ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ، ولا يمتنع منه .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ) يقول : إن الله لقوى على خلق ما يشاء ، من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره .  
عزيز : يقول : منيع في ملكه ، لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئا ، وليس كآلتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه ؛ الذين لا يقدر على خلق ذباب ، ولا على الامتناع من الذباب ، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة .

## القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ، ومن شاء من عباده ومن الناس ، كأنيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم . ومعنى الكلام : الله يضطفي من الملائكة رسلا ، ومن الناس أيضا رسلا : وقد قيل : إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون : أنزل عليه الذكر من بيننا ، فقال الله لهم : ذلك إلى ويدي دون خلقي ، أختار من شئت منهم للرسالة .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول : إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عنده ، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله ، من قبل أن يخلقهم . وما خلفهم : يقول : ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم . ( وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ) يقول : إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا ، وإليه تعود كما كان منه البدء .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْوَعْدِ وَالْحَقُّ بِكُمْ وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ( اِرْكَعُوا ) لله في صلاتكم ( وَاَسْجُدُوا ) له فيها ( وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ) يقول : وذللوا لربكم ، وانضغوا له بالطاعة . ( وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ ) الذي أمركم ربكم بفعله . ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا بذلك ، فتدركوا به طلباتكم عند ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مَلَّةً  
أَيُّكُمْ إِبْرَاهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا، لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ،  
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،

❦ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) فقال بعضهم : معناه :  
وجاهدوا المشركين في سبيل الله حقَّ جهاده .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن  
عبد الله بن عباس ، في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) كما جاهدتم أول مرة ، فقال عمر من أمر  
بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس ، فقال عمر : صدقت .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تخافوا في الله لومة لائم ، قالوا : وذلك هو حقَّ الجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) لا تخافوا في الله لومة لائم .  
وقال آخرون : معنى ذلك : اعملوا بالحق ، حقَّ عمله ، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من  
في روايته نظر .

❦ والصواب من القول في ذلك : قول من قال : عني به الجهاد في سبيل الله ، لأن المعروف من الجهاد  
ذلك ، وهو الأغلب على قول القائل : جاهدت في الله ، وحقَّ الجهاد : هو استفراغ الطاقة فيه .

وقوله ( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) يقول : هو اختاركم لدينه ، واصطفاكم لحرب أعدائه ، والجهاد في سبيله .  
وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله  
( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) قال : هو هداكم .

وقوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول تعالى ذكره : وما جعل عليكم ربكم  
في الدين الذي تعبدكم به من ضيق ، لا يخرج لكم مما ابتليتم به فيه ، بل وسَّع عليكم ، فجعل التوبة من  
بعض مخرجاً ، والكفارة من بعض ، والتقصاص من بعض ، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين  
الإسلام مخرج .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد ، عن ابن شهاب ،

قال: سألت عبد الملك بن مروان على بن عبد الله بن عباس، عن هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) فقال على بن عبد الله: الحَرَجُ: الضيق، فجعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك، سمعت ابن عباس يقول ذلك.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يُسأل عن (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)، قال: ما هاهنا من هذيل أحد، فقال رجل: نعم، قال: ما تعدون الحرجة فيكم؟ قال: الشئ الضيق، قال ابن عباس: فهو كذلك. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس، وذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال ابن عباس: أهاهنا أحد من هذيل، فقال رجل: أنا، فقال أيضاً ما تعدون الحرج، وسائر الحديث مثله.

حدثني عمران بن بكار الكُلاعي، قال: ثنا يحيى بن صالح، قال: ثنا يحيى بن حمزة، عن الحكم بن عبد الله، قال: سمعت القاسم بن محمد يحدث، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال هو الضيق. حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا أبو خلدة، قال: قال لي أبو العالية: أتدرى ما الحرج؟ قلت: لا أدري، قال: الضيق، وقرأ هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ).

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن، في قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: من ضيق.

حدثنا عمرو بن بندق، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة، قال: قال لي أبو العالية: هل تدرى ما الحرج؟ قلت لا، قال: الضيق، إن الله لم يضيّق عليكم، لم يجعل عليكم في الدين من حرج. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن عون، عن القاسم أنه تلا هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: تدرّون ما الحرج؟ قال: الضيق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، ثم دعا ابن عباس أعرابيا، فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق، قال: صدقت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: من ضيق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله. وقال آخرون: معنى ذلك (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تبيقنوا محلها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) قال : هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس ، وفي الحج إذا شكوا في الهلال ، وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم ، وأشباهه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما جعل في الإسلام من ضيق ، بل وسعه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق ، هو واسع ، وهو مثل قوله في الأنعام ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ) يقول : من أراد أن يضله يضيق عليه صدره ، حتى يجعل عليه الإسلام ضيقاً ، والإسلام واسع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) يقول : من ضيق ، يقول : جعل الدين واسعاً ، ولم يجعله ضيقاً . وقوله ( ملّة أبيكم إبراهيم ) نصب ملّة بمعنى : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، بل وسعه ، كملّة أبيكم ، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبته ، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها ، لأن الكلام قبله أمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزمو ملّة أبيكم إبراهيم . وقوله ( هو ستماكم المسلمين من قبل وفي هدا ) يقول تعالى ذكره : سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هو ستماكم المسلمين ) يقول : الله سماكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء بن ابن أبي رباح ، أنه سمع ابن عباس يقول : الله سماكم المسلمين من قبل .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعاً ، عن معمر ، عن قتادة ( هو ستماكم المسلمين ) قال : الله سماكم المسلمين من قبل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هو ستماكم المسلمين ) قال : الله سماكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ ، فِي قَوْلِهِ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) يَقُولُ : اللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ .

وقال آخرون : بل معناه : إبراهيم سماكم المسلمين ؛ وقالوا : هو كناية من ذكر إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قال : ألا ترى قول إبراهيم ( وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ) قال : هذا قول إبراهيم ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بالإيمان والإسلام جميعا ، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان ، ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك ، لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن ، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله تعالى ذكره ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ) ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن ، وفي القرآن ، الله الذي لم يزل ولا يزال . وأما قوله ( مِنْ قَبْلُ ) فان معناه : من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله ، وفي هذا يقول ( وَفِي هَذَا الْكِتَابِ ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) وفي هذا القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ( مِنْ قَبْلُ ) قال : في الكتب كلها والذكر ( وَفِي هَذَا ) يعني القرآن ، وقوله ( لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته ، من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة ، بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم ، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين ، أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) قال : الله سماكم المسلمين من قبل ( وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ) بأنه بلغكم ( وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) أن رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة . قال : أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه إلا نبي ، كان يقال للنبي : اذهب فليس عليك حرج ، وقال الله ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

مِنْ حَرَجٍ ) ، وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سل تعطه ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي ، كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : اذهب فليس عليك حرج ، فقال الله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سل تعطه ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ، هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) .

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) يقول : فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها ، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ( وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ) يقول : وثقوا بالله ، وتوكلوا عليه في أموركم ( فَنِعْمَ الْمَوْلَى ) يقول : فنعمة الولي الله لمن فعل ذلك منكم ، فأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وجاهد في سبيل الله حتى جهاده ، واعتصم به . ( وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) يقول : ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء .

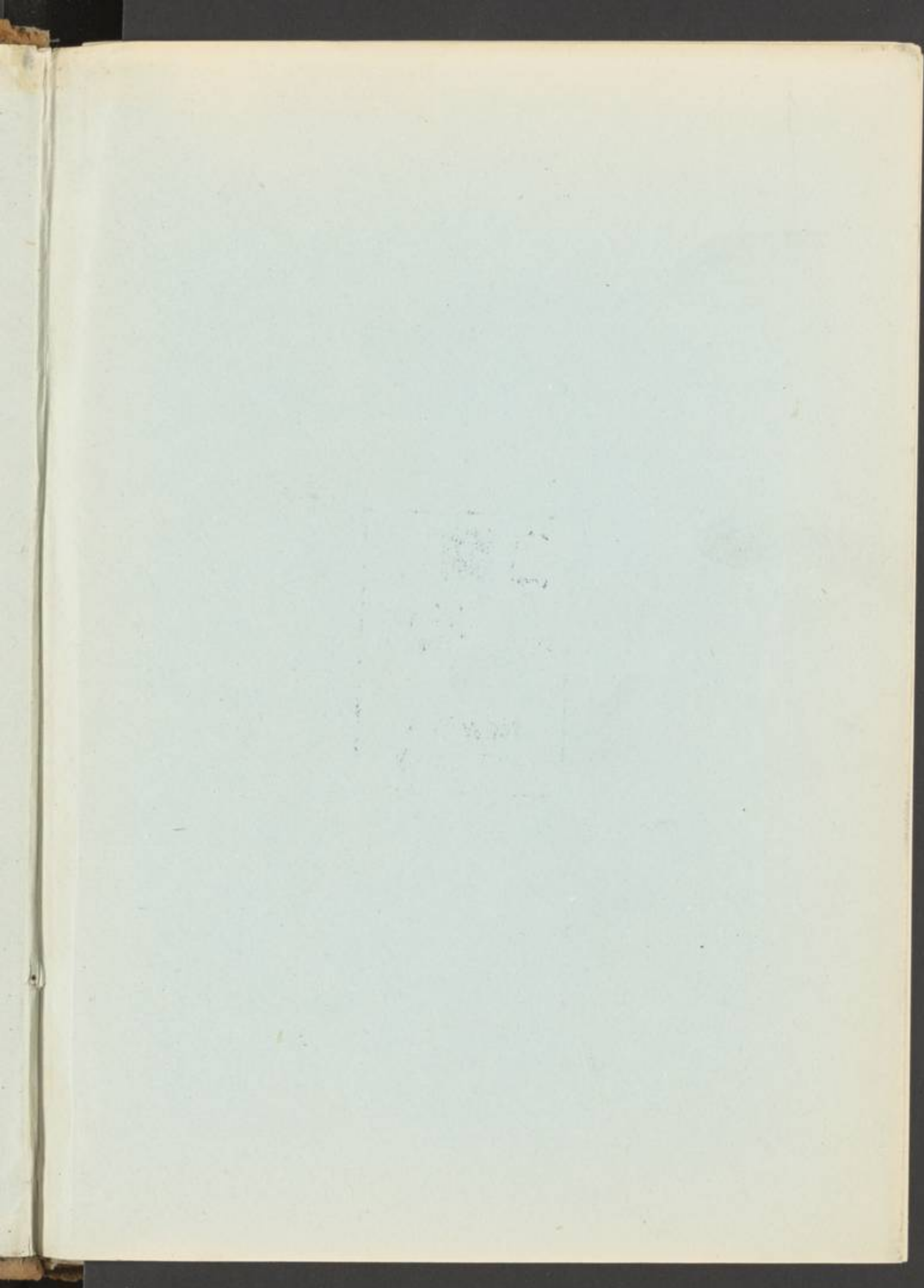
تم الجزء السابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه : الجزء الثامن عشر

وأوله : سورة المؤمنون









**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

